شرح
نهج البلاغة

للإمام أمير المؤمنين علي بن أبي طالب عليه السلام

تأليف

[illegible]

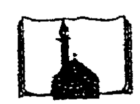
تحقيق

مُحَمَّد جواد الحسيني الجلالي

(الجزء الثالث)



The Open School
P.O. BOX 53573
CHICAGO, IL 60653-0398



شرح
نهج البلاغة

للإمام أمير المؤمنين علي بن أبي طالب عليه السلام

تاليف

[illegible]

تحقيق

مُحَمَّد جواد الحسيني الجلالي

(الجزء الثالث)



The Open School
P.O. BOX 53573
CHICAGO, IL 60653-0398



The Open School
P.O. BOX 53573
CHICAGO, IL 60653-0396

Sharna 3

شرح
نهج البلاغة

للإمام أمير المؤمنين علي بن أبي طالب عليه السلام

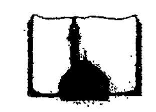
تأليف

يحيى بن إبراهيم الجحاف

تحقيق

مُحَمَّد جواد الحسيني الجلالي

(الجزء الثالث)



The Open School
P.O. BOX 53573
CHICAGO, IL 60653-0398

بسم الله الرحمن الرحيم

هوية الكتاب

الكتاب: شرح نهج البلاغة للإمام عليّ بن أبي طالب عليه السلام

تأليف : السيد محمّد حسين الجلالي

تحقيق : محمّد جواد الحسيني الجلالي

الطبعة: الاولى ١٤٢٢هـ

الفلم والالواح الحساسة: زنكغراف قم

الناشر: المحقق

الكمية المطبوعة: ١٠٠٠ نسخة

صف الحروف والإخراج الفني :

ومن خطبة له عليه السلام:

رُوِيَ عَنْ نَوْفٍ الْبِكالِيِّ[١]، قالَ: خَطَبَنا بهذِهِ الْخُطْبَةِ اميرُ الْمُؤْمِنِينَ ٧ بـالكُوفَةِ[٢]، وَهُـوَ قـائِمٌ عـلى حِـجارَةٍ نَـصَبَها لهُ جَـعْدَةُ[٣] ابْـنُ هُـبَيْرَةَ الَمخْزُومِيُّ[٤]، وعليْهِ مِدْرَعَةٌ[٥] مِنْ صُوفٍ، وحَمائِلُ سَيْفِهِ لِيفٌ[٦]، وفـي رِجْلَيْهِ نَعْلاَنِ منْ لِيفٍ[٧]، وكأَنَّ جَبِينَهُ ثِفَنَةُ[٨] بَعيرٍ، فقالَ عليه السلام[٩]:

قال ابن حجر في تهذيب التهذيب، برقم ٨٨٢:«نوف [١٠] بن فضالة الحميري البكالي أبو يزيد ويقال: أبو رشيد ويقال: أبو رشدين ويقال: أبو عمرو شامي وهو ابن امرأة كعب الأحبار . روى عن علي وأبي أيوب وثوبان وعبد الله بن عمرو وكعب الأحبار . وعنه أبو إسحاق الهمداني وشهر بن حوشب ونسير بن ذعلوق وسعيد بن جبير وخالد بن صبيح وأبو عمران الجوني وأبو هارون العبدي . ذكره خليفة في الطبقة الأولى من الشاميين وقال: جعفر ابن سليمان عن أبي عمران الجوني كان نوف ابن امرأة كعب أحد العلماء وقال: ضمرة عن يحيى ابن أبي عمرو الشيباني كان نوف إماما لأهل دمشق وقال: صفوان بن عمرو عن أبي عتبة الكندي استشهد مع محمّد بن مروان في الصائفة . وقع ذكره في

---

(١) في هـ. ص: قال في الشرح قال في الصحاح: نوف البكالي بفتح الباء كان صاحب علي عليه السلام، ثم قال: وقال ثعلب هو منسوب إلى بكاله، والرواية صحيحة بالكسر، لأنّ نوف بن فضالة بكاليّ ـ بالكسر ـ من حمير، منهم هذا الشخص وهو نوف بن فضالة صاحب عليّ عليه السلام وقد ذكر الكلبي نسب بني بكال الحميريين، انتهى.
في هـ. ب: بكال: حيّ من همدان من اليمن، ويقال لهم: بكيل ـ أيضاً ـ وهذا أكثر وقال ثعلب البكالي، بكسر الباء.
(٢) لم ترد «بالكوفة» في أ.
(٣) هو ابن أُمّ هاني، أُخت أمير المؤمنين، وهو من الصحابة، انتهى من الشرح .
(٤) في هـ. ب: قبيلة.
(٥) في هـ. ب: دراعة، وفي هـ. ص: جبّة.
(٦) في هـ. ب: شيء غليظ يكون من جرائد النخل، وفي هـ. ص: شجر يصنع منه الحبال.
(٧) لم ترد «وفي رجليه نعلان من ليف» في ب.
(٨) في هـ. ص: هي واحدة ثفنات: وهي ما يقع على الأرض من أعضائه إذا استناخ فتغلظ وتكثف كالركبتين وغيرهما.
(٩) في ص: عليه وعلى آله السلام.
(١٠) نوف : بفتح النون وسكون الواو . وفضالة : بفتح الفاء والمعجمة . والبكالي: بكسر الموحدة وتخفيف الكاف .

الصحيحين في حديث سعيد ابن جبير عن ابن عباس عن أبي بن كعب في قصة موسى والخضر. قلت: ذكره البخاري في الأوسط في فصل من مات ما بين التسعين إلى المائة وذكره ابن حبان في الثقات وقال: كان راوية للقصص».[1]

وقال الشارح ابن أبي الحديد (ت / ٦٥٦ هـ) في شرح نهج البلاغة، ما نصّه:

[نوف البكالي]

قال الجوهري في الصحاح: نوف البكالي، بفتح الباء، كان حاجب علي عليه السلام، ثم قال: وقال ثعلب: هو منسوب إلى بكالة، قبيلة. وقال: القطب الراوندي في شرح نهج البلاغة بكال وبكيل شئ واحد، هو اسم حي من همدان، وبكيل أكثر، قال: الكميت: فقد شركت فيه بكيل وأرحب. والصواب غير ما قالاه، وإنما بنو بكال، بكسر الباء، حي من حمير، منهم هذا الشخص، هو نوف بن فضالة، صاحب علي عليه السلام، والرواية الصحيحة الكسر، لان نوف بن فضالة بكالي، بالكسر، من حمير، وقد ذكر ابن الكلبي نسب بني بكال الحميريين، فقال: هو بكال بن دعمي بن غوث بن سعد بن عوف بن عدي بن مالك بن زيد ابن سهل بن عمرو بن قيس بن معاوية بن جشم بن عبد شمس بن وائل بن الغوث بن قطن بن عريب بن زهير بن أيمن بن الهميسع بن حمير.

[نسب جعدة بن هبيرة]

وأمّا جعدة بن هبيرة، فهو ابن أخت أمير المؤمنين عليه السلام، أمه أم هانئ بنت أبي طالب بن عبد المطلب بن هاشم، وأبوه هبيرة بن أبي وهب بن عمرو بن عائذ بن عمران ابن مخزوم بن يقظة بن مرة بن كعب بن لؤي بن غالب. وكان جعدة فارسا شجاعا، فقيها وولى خراسان لأمير المؤمنين عليه السلام، وهو من الصحابة الذين أدركوا رسول الله صلى الله عليه وآله يوم الفتح، مع أمه أم هانئ بنت أبي طالب، وهرب أبو هبيرة بن أبي وهب ذلك اليوم هو وعبد الله بن الزبعرى إلى نجران».[2]

(ط - ١٨٢/١) **الحمد والاستعانة بالله والايمان:**

الحمدُ للهِ الذِي إِلَيْهِ مَصائِرُ[3] الخَلْقِ، وعَوَاقِبُ[4] الأمْرِ، نَحْمَدُهُ على عَظِيمِ إِحْسَانِهِ،

(١) تهذيب التهذيب؛ لابن حجر ١٠ : ٤٣٦.

(٢) شرح نهج البلاغة؛ ابن أبي الحديد ١٠ : ٧٦ ـ ٧٨.

(٣) في هـ. ب: جمع مصير، وفي هـ. ص: جمع مصير وهو مصدر صار.

ونَيِّرِ بُرْهانِهِ، ونَوَامِي[5] فَضْلِهِ وامْتِنانِهِ[6]، حَمْداً يكُونُ لحقِّهِ قَـضَاءً[7]، ولِشُكْـرِهِ أدَاءً، وإلى ثَوَابِهِ مُقَرِّباً، ولِحُسْنِ مَزِيدِهِ مُوجِباً[8]، ونَسْتَعِينُ بِهِ اسْتِعانَةَ رَاجٍ لِفَضْلِهِ، مُـؤَمِّلٍ لِنَفْعِهِ، واثِقٍ بِدَفْعِهِ، مُعْتَرِفٍ لهُ بالطَّوْلِ[9]، مُذْعِنٍ[10] لهُ بالْعَمَلِ والْقَوْلِ، ونُؤْمِنُ بِهِ إِيمَانَ مَنْ رَجاهُ مُوقِناً، وأنابَ[11] إليْهِ مُؤمِناً، وخَنَعَ[12] لَهُ مُذْعِناً، وأخْلَصَ لَهُ مُوَحِّداً[13] وعظَّمَهُ مُمَجِّداً[14] وَلاذَ[15] بِهِ رَاغِباً مُجْتَهِداً.

استفتح الخطبة بالحمد لله معقبا اياه بالوصف الذي يقتضيه موضوع الخطبة وهو اعلان الجهاد، فإنّ مصير الحرب لا يعرفه سوى الله، والى ذلك اشار بقوله:

(الحمد الله الذي إليه مصائر الخلق) سواءً من قبل في ساحة المعركة، أو من مات حتف انفه.

(وعواقب الأمر) بالنصر في ساحة المعركة أو الخسران؛ فإنّ شيئا من ذلك ليس في تقدير الانسان، بل لا يعلمه سواه.

ثم سرد ما يوجب الحمد بقوله:

١ ـ (نحمده على عظيم إحسانه) من الهداية للاسلام والصحة في الاجسام والقدرة على مقاومة الاعداء في ساحة المعركة.

٢ ـ (ونير برهانه) لوضوح الرؤية من البرهان الاسلامي، وهو القرآن والسنة.

٣ ـ (ونوامي فضله وامتنانه) وهو الفضل الذي ينمو كالعلم والمعرفة، فإنّه ينمو

(٤) في هـ. ص: جمع عاقبة: آخر الشيء.

(٥) في هـ. ب: زوائد.

(٦) في هـ. ب: من المنّة.

(٧) في هـ. ص: أي هو أبلغ ما يدخل تحت الطوق من قضاء حق الله ومن أداء شكره وإلّا فإن القوى قاصرة عن أداء حقيقة ما الله أهله.

(٨) في هـ. ب: إشارة إلى أصول النعم.

(٩) في هـ. ب: الفضل، وفي هـ. ص: أي الافضال.

(١٠) في هـ. ص: أي منقاد ومسلّم وجهه إليه.

(١١) في هـ. ب: رجع، وفي هـ. ص: أقبل وتاب.

(١٢) في هـ. ب: ذلّ خاضعاً، وفي هـ. ص: خضع وذلّ.

(١٣) في هـ. ب: أي اعتقد وحدانيّته.

(١٤) في هـ. ب: ممجّداً، هو الذي يقول: «لا حول ولا قوّة إلّا بالله العليّ العظيم».

(١٥) في هـ. ب: عاذ، وفي هـ. ص: إلتجأ إليه.

بالتجربة، وكذا الرزق وسائر انواع الخيرات فانها تنمو بين المجتمع بنمو آثارها.

فإنّ هذه النقاط الثلاث توجب الحمد في كلّ الحالات وخاصة في حالة الاستعداد للجهاد.

وعن نوع الحمد المطلوب في المقام قال:

١ ـ (حمدا يكون لحقه قضاء) فإنّ حقوق الله سبحانه بالانعام والاحسان والفضل والهداية لا يمكن للانسان على الحقيقة قضائها، والمسؤول هو الله في أن يجعلها حمدا يوجب ذلك.

٢ ـ (ولشكره أداءً) فإنّ شكر الله سبحانه واجب، واداء الشكر الحمد له سبحانه.

٣ ـ (وإلى ثوابه مقربا) فإنّ الحمد مامور به، والعمل بما امر به يقرب إلى الثواب الموعود على الطاعة.

٤ ـ (ولحسن مزيده موجبا) حيث أنّ طاعة الله سبحانه بالحمد لله من مصاديق الشكر له، وقد وعد سبحانه المزيد بقوله: ﴿لئن شكرتم لأزيدنكم﴾[1].

وهذا النوع من الحمد هو غاية ما يمكن للانسان القيام به لقضاء الحق واداء الشكر المقرب الى الثواب والموجب للمزيد؛ حيث لا يمكن للانسان اداء ذلك على حقيقته؛ لكثرة الحقوق إلالهية التي لا يمكن للانسان احصائها ﴿وان تعدوا نعمة الله لا تحصوها﴾[2].

ويتلخص ذلك كلّه بان الموجب للحمد هو الاستعانة به تعالى.

وعن الاستعانة بالله قال:

(ونستعين به) من انواع الاستعانة التي يتيسر للانسان.

١ ـ (استعانة راج لفضله) فإنّ الرجاء يستلزم العمل على طبق ما يرجوه الانسان.

٢ ـ (مؤمل لنفعه) لعلمه بان من يرتجى منه قادر على ذلك.

٣ ـ (واثق بدفعه) تعالى لما يمنع من العوائق لتحقيق الرجاء.

٤ ـ (معترف له بالطول) وهو الفضل في الخلق والحياة والقدره وغيرها.

٥ ـ (مذعن له بالعمل والقول) والاذعان: الطاعة عملاً بما تقتضيه الاستعانة من

(١) ابراهيم: ٧.
(٢) ابراهيم: ٣٤.

الواجبات، وقولا بالاقرار بتلك الواجبات، فلا ينفك القول عن العمل.

وهذه الانواع من الاستعانة هو المتيسر للانسان في حياته.

وحيث أنّ الموجب للاستعانة به تعالى هو الايمان عقب ذلك بقوله:

(ونؤمن به) بالقلب واللسان والاركان.

ومن نوعية الايمان قال:

١ ـ (إيمان من رجاه موقنا) والايقان: الثبوت والوضوح، حيث يظهر الرجاء في اعمال الانسان.

٢ ـ (وأناب إليه مؤمنا) والانابة: الرجوع مع الاعتقاد بان الاثابة لا يكون إلّا لله تعالى.

٣ ـ (وخنع له مذعنا) والخنوع: الخضوع؛ حيث لا يكون الخضوع إلّا له تعالى.

٤ ـ (وأخلص له موحدا) اذ الاخلاص يستلزم التوحيد.

٥ ـ (وعظمه ممجدا) والتعظيم بان لا اله الاّ هو، والتمجيد بصفاته الكمالية من القدرة والعلم وغيرهما.

٦ ـ (ولاذ به راغبا مجتهدا) واللوذ: اللجوء مع الرغبة في ذلك باجتهاد وجد من دون توان.

وهذه النقاط في الايمان بالله تستلزم العمل على مقتضاه في الحياة الشخصية والاجتماعية ومنها الدفاع عن الاسلام ونصرته في ساحة الحرب كما يقتضيه مقام الخطبة.

(٢ / ط ـ ١٨٢) من صفات الله:

لمْ يُولَدْ سُبْحانَهُ[1] فيكُونَ فِي الْعِزِّ مُشَارِكاً[2]، ولمْ يَلدْ فيكُونَ مَوْروثاً[3] هَالِكاً، ولمْ يَتَقَدَّمْهُ وقْتٌ ولاَ زَمانٌ، ولمْ يَتَعاوَرْهُ[4] زِيادَةٌ ولا نُقصَانٌ، بَلْ ظَهَرَ لِلْعُقُولِ بِمَا أرَانا مِنْ عَلاَماتِ التَّدْبيرِ الْمُتْقَنِ[5]، والْقَضاءِ المُبرَمِ[6].

(١) في هـ. ب: لم يتولّد من شيء.
(٢) أي فيشاركه ايّاه.
(٣) في هـ. ب: مورثاً ـ ض ب.
(٤) في هـ. ب: يصبه.
(٥) في هـ. ب: المحكم.
(٦) في هـ. ب: المحكم.

وبعد سرد صفات الذات المقدسة ذكر السبب فقال:

١ ـ (لم يولد سبحانه فيكون في العز مشاركا) فإنّ الذات المقدسة منزه عن الولادة؛ لانها من خصائص الحيوان دون المجردات، وان الولادة تستلزم الشركة في العز؛ وذلك لان من يكون سببا بالولادة يعتبر شريكاً في ذلك المولود باعتبار السببية، والله سبحانه هو العزيز المنفرد بالعز الحقيقي دون سواه.

٢ ـ (ولم يلد فيكون موروثا هالكا) فإنّ المولود الجديد يكون وارثا لمن اولده في الخصال والطبائع، فيكون الوالد موروثا بعد أن يهلك ليرثه الولد، والله منزه عن هذه الصفات الحيوانية.

٣ ـ (ولم يتقدمه وقت ولا زمان) فإنّ ذلك يستلزم الجسمية، والله سبحانه منزه عن ذلك.

٤ ـ (ولم يتعاوره زيادة ولا نقصان) والتعاور: التداول، فإنّ الزيادة والنقصان انما يطرءان على الحادث، والله سبحانه قديم.

والى الصفات الايجابية اشار فقال:

(بل ظهر للعقول بما أرانا من علامات التدبير المتقن والقضاء المبرم) فإنّ الله سبحانه وجوده ظاهر للعقول التي تنظر بعين البصيرة كما أنّ المحسوسات ظاهرة للعين الباصرة، واجمل السبب في هذا الظهور بالاشارة إلىٰ العلامات والاثار الدالة على وجوده في التدبير للنظام الكوني والقضاء في امره التكويني في الكون الذي لا يتغير لابرامه على هذه الطبيعة، فكلّ شئ راجع اليه تعالى.

(٣ / ط ـ ١٨٢) **السماوات:**

فمنْ[1] شَوَاهِدِ خَلْقِهِ خَلْقُ السَّمَوَات مُوَطَّدَاتٍ[2] بِلاَ عَمَدٍ[3]، قائِمَاتٍ بِلاَ سَنَدٍ[4]،

(١) في ص: ومن، وفي هـ. د: ومن ـ ب.
(٢) في هـ. ب: وطّدَ، أي: ثبّت، ويُقال: وطّدت على باب الغار بالصخر: إذا سددته، وفي هـ. ص: مقامات موزرات في مكانهنّ، مقوّمات.
(٣) في هـ. ب: جمع عماد، وفي هـ. ص: جمع عماد نحو إهاب وأهب وأديم وادم، وهو على خلاف القياس، انتهى من الشرح.
(٤) في هـ. ب: بعماد، وفي هـ. ص: هو ما يستند إليه ويعتمد عليه.

دَعاهُنَّ فأجَبنَ طَائِعاتٍ[1] مُذْعِناتٍ[2]، غيرَ مُتَلَكِّئَآتٍ[3] ولا مُبْطِئَآتٍ، وَلوْلا إقْرَارُهُنَّ لهُ بالرُّبُوبِيَّةِ، وإذْعانُهُنَّ لهُ[4] بالطَّوَاعِيَّةِ[5]، لَمَا جَعَلَهُنَّ[6] مَوْضِعاً لِعَرْشِهِ، ولا مَسْكَناً لِمَلاَئِكَتِهِ، ولا مَصْعَداً لِلْكَلِمِ الطَّيِّبِ[7] والْعَمَلِ[8] الصَّالح منْ خَلْقِهِ.

سرد عليه السلام الاكثار التكوينيّة الدالة على وجوده تعالى للعقول المفكرة بقوله: (فمن شواهد خلقه):

أوّلاً: السماوات:

(خلق السماوات) فإنّ السماء المرتفع وان كان في عين الناظر سماءً واحداً ولكنه في حقيقته سماوات ؛ لاختلاف الطبقات فيها، واوطئها الطبيعة التي يثبت فيها الامواج والذبذبات الهوائية المستخدمة في المذياع واقصاها ما لا يعلمه إلّا الله تعالى.

وسرد من حقائقها:

١ ـ (موطدات بلا عمد) أي ممهدات تمهيداً دقيقا وهي ثابتة بعضها على بعض من دون عمود يدعمها، بل بالطبيعة التي خلقها الله فيها. ونتيجة ذلك فهي:

٢ ـ (قائمات بلا سند) فإنّ كلّ طبقة منها لها دورها الطبيعيّ القائم بها خاصة، دون ما تليها أو يعلوها من الطبقات من دون أن يكون لهذه الطبقة سند خارجي سوى نفسها.

٣ ـ (دعاهن فأجبن) اشارة إلىٰ قوله تعالى:﴿فقال لها وللارض ائتيا طوعا أو كرها قالتا اتينا طائعين﴾[9]، فإنّه تعالى خلق هذه المخلوقات وقبولها للخلق استجابة للدعوة بقوله: «كن» فيكون.

وعن نوعيةِ هذه الاستجابة قال:

(١) في هـ. ب: ﴿قالتا أتينا طائِعين﴾ فصلت: ٤١ /١١.
(٢) في هـ. ب: منقادات.
(٣) في هـ. ب: مقصرات، تلكّأ عن الأمر تباطأ عنه والمتلكئات: المتأخرات، وفي هـ. ص: المتلكي: المبطئ.
(٤) لم ترد «له» في أ ب.
(٥) في هـ. د: بالطوعية ـ م ن، واذعانهن بالطواعية ـ ش، وفي هـ. ب: الطاعة.
(٦) في هـ. ب: يعني السماوات.
(٧) في هـ. ص: هو كلّ قول يرضي الله ويعبد به، والعمل الصالح كلّ عمل يطاع به الله ويتعبّد له، والكلام مأخوذ من قوله تعالىٰ: (إليه يصعد الكلم الطيِّب والعمل الصالح يرفعه) فاطر:٣٥/١٠.
(٨) في هـ أ، في نسخة: في العمل.
(٩) فصلت : ١١.

(طائعات) فانّ كلّ شئ مؤتمر بأمره تعالى.

(مذعنات) والإذعان: الانقياد للامر.

(غير متلكئات) والتلكوء: التوقف والتامل.

(ولا مبطئات) في تنفيذ الأوامر.

فان وجود هذه السماوات كانت بارادة الله سبحانه بأمره التكويني لها.

وعن نتيجة هذه الطاعة التكوينة، قال:

٤ ـ (ولولا إقرارهن له بالربوبية وإذعانهن بالطواعية) بالوجود التكويني لها لما ترتب الخصائص التي خص الله السماوات بها، وعددها بقوله:

أوّلاً: (لما جعلهن موضعا لعرشه) ومظهرا لقدرته في الكون.

ثانيا: (ولا مسكنا لملائكته) الذين هم اقرب خلق الله إلىٰ العرش.

ثالثا: (ولا مصعدا للكلم الطيّب والعمل الصالح من خلقه) حيث أنّ الكلم الطيب هي الشهادتان والعمل الصالح من الانسان يرفع إلىٰ السماء بواسطة الملائكة الموكلين بحفظ الاعمال، وهذا اقتباس من قوله تعالى:﴿اليه يصعد الكلم الطيب والعمل الصالح يرفعه﴾[1].

فان هذه الخصائص للسماوات سواءً الذاتية لها أو التي يترتب على ذلك لهي شواهد في الخلق على قدرته تعالى وعظمته.

($\frac{٤}{ط ـ ١٨٢}$) النجوم:

جَعَلَ نُجُومَها أعْلاَماً يَسْتَدِلُّ بِها الحَيْرَانُ في مُخْتَلِفِ فِجاجِ[2] ٱلأَقْطارِ[3]، لمْ يَمْنَعْ ضَوْءَ نُورِها ادْلِهْمامُ[4] سَجَفِ[5] اللَّيْلِ المُظْلِمِ، ولا اسْتَطاعَتْ[6] جَلاَبيبُ[7] سَوَادِ الحَنادِسِ[8] أن تَرُدَّ[9] ما شَاعَ[10] فِي السَّمَوَاتِ منْ تَلَاْلُؤِ[11] نورِ القَمَرِ.

(١) فاطر: ١٠.
(٢) في هـ. ب: طرق.
(٣) في هـ. ب: الجوانب.
(٤) في هـ. ب: الظلمة، وفي هـ. ص: امتداد سواد الليل.
(٥) في هـ. ب: ستر، وفي هـ. ص: جمع سجف وهو الستر ويجوز فتح السين، تمت من الشرح.
(٦) في هـ. د: ولا اسطاعت ـ حاشية ن، وفي هـ. ب: أي ما برحت.
(٧) في هـ. ب: جمع جلباب، وفي هـ. ص: جمع جلباب، وهو ما يستر البدن من الثياب.
(٨) في هـ. ب: الظلمات.

ومن شواهد الخلق الدالة على وجوده تعالى النجوم في السماء، واشار إلىٰ خصائصها بقوله:

١ ـ (و جعل نجومها أعلاما يستدل بها الحيران في مختلف فجاج الأقطار) فإنّ لكل نجم في السماء مسير خاص يودي دوره كالعلم المنصوب في الارض للهداية في المواقع الجغرافية الطبيعية، ودورانها الطبيعيّ المنظم في كلّ فصل من فصول السنة كما هو مشروح ومدروس في الجغرافيا الطبيعية المسمّى بعلم الفلك.

٢ ـ (لم يمنع ضوء نورها ادلهمام سجف الليل المظلم) والادلهمام: شدة ظلمة الليل، والسجف: الستر؛ فإنّ نور النجوم تصل إلىٰ الانسان في حالة من الظلام الدامس الذي يعم الكون والذي يكون ستراً يمنع الانسان العادي رؤية حواليه، فإنّ هذا النور الذي يكون بعيداً عن كوكب الارض بملايين السنين يصلها ويشاهده الانسان العادي كما هو مشروح في علم الفلك.

٣ ـ (ولا استطاعت جلابيب سواد الحنادس أن ترد ما شاع في السماوات من تلألؤ نور القمر) والجلباب: الثوب، والحندس: اليل المظلم، فإنّ سواد الليل المظلم الذي هو كالثوب المغطي للارض، لا يمنع من انوار القمر المشع على الارض واهلها، ولها من النور النافذ الشامل ما لا يعيقه عائق سوى الكسوف في حالة مدروسة.

وهذه الخصائص المحسوسة للنجوم شواهد الخلق على وجود الصانع الحكيم القادر على كل شيً.

($\frac{٥}{ط ـ ١٨٢}$) علم الله تعالى:

فَسُبْحَانَ مَنْ لا يَخْفَى عَلَيْهِ سَوَادُ غَسَقٍ دَاجٍ[12]، ولا لَيْلٍ ساجٍ[13] فِي بِقاعِ الْأَرْضِينَ الْمُتَطأْطِئاتِ[14]، ولافي يَفاعٍ[15] السُّفْعِ[16] المُتَجاوِرَاتِ[17]، ومايَتَجَلْجَلُ[18] بِهِ الرَّعْدُ في

(٩) في هـ. ب: تفرق.
(١٠) في هـ. ب: ظهر.
(١١) في هـ. ب: اللّمعان.
(١٢) في هـ. ص: أي مظلم أو غائب للأشياء.
(١٣) في هـ. ب وص: ساكن.
(١٤) في هـ. ب: تطأطأ: تطامن، سكن، متطافيات: ساكنات، وفي هـ. ص: أي المنخفضات.
(١٥) في هـ. ص: اليفاع المرتفع من الأرض، والسفع: جمع سفعاء، وهي ما كان لونه حمرة مشوباً بالسواد، وكذلك لونها في الأكثر. وفي هـ. د: بقاع السفع ـ م ن ف.

أُفُقِ السَّماءِ، وما تَلاَشَتْ[١٩] عَنْهُ بُرُوقُ الغَمَامِ، وما تَسْقُطُ منْ وَرَقَةٍ تُزِيلُها عَنْ مَسْقَطِها عَوَاصِفُ[٢٠] الْأَنْوَاء[٢١]، وانْهِطَالُ[٢٢] ٱلسَّماءِ، ويَعْلَمُ مَسْقَطَ الْقَطْرَةِ وَمَقَرّها، ومَسْحَبَ[٢٣] الذَّرَّةِ وَمَجَرَّها، وما يَكْفِي البَعُوضَةَ منْ قُوتِها، وما تَحْمِلُ من أُنْثَى[٢٤] في بَطْنِها.

وختم المقطع بسرد آثار علمه تعالى الموجبة لتسبيحه وتنزيهه عن كلّ ما لا يليق به بقوله:

١ ـ (فسبحان من لا يخفى عليه سواد غسق داج) والغسق: الظلمة، والداجي: الشديد الظلمة، فإنّ علمه تعالى محيط بكل شئ.

٢ ـ (ولا ليل ساج) والساجي: الساكن، فإنّ الليل يخيم السكون على الارض واهلها سكنا لهم.

(في بقاع الأرضين المتطأطئات) والمتطأطئ: المنخفض التي لا تكون سكنا للانسان.

٣ ـ (ولا في يفاع السفع المتجاورات) والسفع: الجبال؛ لان لونها غالباً السفعة، وهي اللون المشرب حمرة، وتجاورها بامتدادها سلسلة متصلة على سطح الارض النامية نمواً طبيعيا على امتداد السنين والاعوام.

٤ ـ (وما يتجلجل به الرعد في أُفق السماء) والتجلل: صوت الرعد المرافق للبرق في السماء.

٥ ـ (وما تلاشت عنه بروق الغمام) والتلاشي: الاضمحلال، والبرق: اصطكاك كهربائي

---

(١٦) في هـ. أ في نسخة: السبع، وفي هـ. ب: الجبال. والسفعة: سواد مشروب بحمرة، يعني بالسفعة مجاور الجبال.
(١٧) في هـ. ب: المتدانيات.
(١٨) في هـ. ب: يتغلغل، الجلجلة: صوت الرعد، وفي هـ. ص: أي: تردّد صوته.
(١٩) في هـ. ب: صارت لا شيء، وفي هـ. ص: تلاشت بمعنى اضمحلت، وكأنّه مأخوذ من لشا الرجل، أي: اتضع وخس بعد رفعة، ذكر معناه ابن أبي الحديد في الشرح ١٠:٨٧. قلت : يمكن أن يكون مأخوذاً من لاشئ؛ لأنّه ينعدم عقيب وجوده بلا مهلة، فهو تفاعل من لفظ لاشي، والله أعلم.
(٢٠) في هـ. ب: رياح شديدة.
(٢١) في هـ. ب: النوء: سقوط النجم، الجمع: الانواء، وفي هـ.ص: جمع نوء، وهو سقوط نجم من منازل القمر في المغرب مع الفجر وطلوع قرينهُ من المشرق مقابلاً له.
(٢٢) في هـ. ب: انصباب، وفي هـ. ص: انفعال، من الهطل: نزول الماء.
(٢٣) في هـ. ب: من السحب، وهو الجرّ.
(٢٤) في هـ. د: وما تحمل الأُنثى ـ ض ح.

في السحاب يحدث ضوءً لامعا، فان علم الله سبحانه يعم من الارض ما هو بهذه الصفة.

٦ ـ (وما تسقط من ورقة تزيلها عن مسقطها عواصف الأنواء وانهطال السماء) قال الشارح (ت / ٦٥٦ هـ): «والنوء: سقوط النجم من منازل القمر الثمانية والعشرين في المغرب مع الفجر، وطلوع رقيبه من المشرق، مقابلا له من ساعته، ومدة النوء ثلاثة عشر يوما إلّا الجبهة فإنّ لها اربعة عشر يوماً»[١]

والعواصف: الرياح الشديدة، والانهطال: الانصباب.

٧ ـ (ويعلم مسقط القطرة ومقرها) والمسقط: محل سقوطها، والمقر: محل الاستقرار بعد السقوط، فإنّ السقوط على الارض والحجر الصلد لا يكون مستقراً لها.

٨ ـ (ومسحب الذرة ومجرها) والذرة: النمل، ومجرها: موضع جرها لما تأخذ معها إلىٰ مسكنها، فإنّ عالم النمل عالم خاص مدروس في علم الحيوان.

٩ ـ (وما يكفي البعوضة من أقواتها) فإنّ لكل مخلوقات الله تعالى ما تمون حياتها منه، ولا يستغنى شئ منها من الماء، قال تعالى: ﴿وجعلنا من الماء كلّ شئ حي﴾ [٢].

١٠ ـ (وما تحمل الأنثى في بطنها) فإنّ العلم بذلك في المراحل الأولى لا سبيل اليه عادة إلّا بعد تكون الحمل بمراحل متأخرة.

وهذه الموارد العشرة من مظاهر علمه سبحانه ممّا يعجز البشر عن الاحاطة بها جميعا وان امكن للعلم اكتشاف بعض الحالات في بعض المراحل كالدراسات التي اكتشفت حياة النمل والمراحل المتطورة من الحمل، وهذا هو الفارق بين الاكتشاف والاختراع، فإنّ العلم عاجز عن اختراع هذه الحقائق، وانما تكتشف بعض آثارها بعد جهد جهيد، وذلك كلّه يدل على أنّ علمه تعالى بهذه المخلوقات الكونية بأسرها علم ذاتي ﴿فإنّه بكل شئ عليم﴾[٣]

(٦ / ط - ١٨٢) وصف الرّب:

والْحَمْدُ لِلّٰهِ الكائِنِ[٤] قَبْلَ أن يَكُونَ كُرْسِيٌّ أوْ عَرْشٌ، أوْ سَماءٌ أوْ أرْضٌ، أوْ جانٌّ أوْ إنْسٌ،

---

(١) شرح نهج البلاغة ١٠ : ٨٨، ط / ١٩٦٢م.
(٢) الانبياء: ٣٠.
(٣) الشورى : ١٢.
(٤) في هـ. ص: أي الموجود الثابت، لا أنّ المراد الحاصل بعد أن لم يكن.

لا يُدْرَكُ بِوَهْمٍ[١]، ولايُقَدَّرُ بِفَهْمٍ، ولا يَشْغَلُهُ سائِلٌ، ولا يَنْقُصُهُ نائِلٌ[٢]، ولا يَنْظُرُ[٣] بِعَيْنٍ، ولا يُحَدُّ بأيْنٍ[٤]، ولا يُوصَفُ بالأَزْواجِ[٥]، ولا يَخْلُقُ بِعِلاَجٍ[٦]، ولا يُدْرِكُ بالْحَوَاسِّ، ولا يُقَاسُ بالناسِ، الّذِي كَلّمَ مُوسَى تَكْلِيماً، وأرَاهُ منْ آياتهِ عظِيماً بِلاَ جَوَارِح ولا أدواتٍ، ولا نُطْقٍ ولا لَهَواتٍ[٧].

بَلْ إنْ كُنْتَ صادِقاً أيُّها المُتَكَلِّفُ[٨] لوَصْفِ رَبِّكَ، فَصِفْ جِبرَائِيلَ[٩] ومِيكائِيلَ، وجُنُودَ المَلاَئِكَةِ المُقَرَّبينَ في حُجُرَاتِ[١٠] الْقُدْسِ[١١] مُرْجَحِنِّينَ[١٢]، مُتَوَلِّهَةً[١٣] عُقُولُهُمْ أنْ يَحُدُّوا أحْسَنَ الخَالِقينَ، فإنّما[١٤] يُدْرَكُ بالصِّفاتِ ذَوُو الْهيْآتِ[١٥] والأَدَوَاتِ، ومَنْ يَنْقَضِي إذا بَلَغَ أمَدَ حَدِّهِ بالْفَناءِ، فلاَ إلَهَ إلَّا هُوَ أضَاءَ بِنُورِهِ كلَّ ظَلامٍ، وأظْلَمَ، بِظُلْمَتِهِ كلَّ نُورٍ.

يتضمن المقطع وصف الله سبحانه بأنه واجب الوجود لذاته، ثمّ عقب ذلك بسلسلة من

---

(١) في هـ. ص: أي بفكر وقياس إلى المعروفات.
(٢) في هـ. ب: معطي.
(٣) في أ: ولا يبصر، وفي هـ. د: ولا يبصر ـ ف ن م.
(٤) في هـ. ص: أي بمكان، فكنى عن المكان؛ لأنّه يسأل بها عنه، وكأنّ سرّ اختيار الكناية أنّه لا يحد ولا يطلب حدّه، والله أعلم.
(٥) في هـ. ص: الازواج: الأجزاء والأبعاض.
(٦) في هـ. ب: العلاج المعالجة، وهي المزاولة، والله تعالى يخلق بلا معاناة ولا تعب، والعِلاج إعمال الأدوات كما هو شأن المخلوق في عمله، وقصده نفي التوهم، والله أعلم..
(٧) اللهوات: جمع لهاة: اللحمة المشرفة على الحلق في أقصى الفم.
(٨) في هـ. ب: أي الإنسان المتكلّف.
(٩) في ب : جبريل.
(١٠) في هـ. ب: جمع حجرة، وفي هـ أ: الحجرات: النواحي، وفي هـ. ب: جمع حجرة.
(١١) في هـ. ب: الطهر.
(١٢) في هـ. أ: أرجحن الشيء: أي مال، وأرجحن: اهتز، وأرجحى: وقع، ورحى مرجحة: ثقيلة، وجيش مرجحن، وفي هـ. ب: الارجحنان: الميل، وجيش مرجحن ورحى مرجحن: أي ثقيل، وأرجحن الشيء : مال، وفي هـ. ص: أي مائلين إلى جهة تحت؛ خضوعاً لجلال الباري سبحانه. أرجحن الحجر: إذا مال هاوياً، انتهى من الشرح.
(١٣) في هـ. ب: متحيّرة، وفي هـ. ص: أي حائرة عن ذلك كافّة عن تعاطيه.
(١٤) في أ و ص: وإنّما.
(١٥) في ب: ذوو الهينة وفي ص: ذو الهيئة وفي هـ. د: ذو الهيئة ـ ش، وفي هـ. ب: يعني الإنسان، وفي هـ. ص: أي: الجسم، وفيه دليل على أنّ الهيئة وما يراد فيها من الكيفية والحالة والمزية من خواص الأجسام.

الصفات السلبية، ثمّ أشار الى العجز عن وصف الرب، وبيّن السبب في هذا العجز.

وعن وصف الله سبحانه قال:

(الحمد لله الكائن قبل أن يكون كرسي أو عرش ، أو سماء أو أرض أو جان أو إنس)؛ لأنّ هذه كلها مخلوقات لله تعالى وهو الموجد لها، فهو واجب الوجود لذاته، وكل علة لابد وان تنتهي اليه، فإنا لله وانا اليه راجعون. ولا يمكن للانسان مهما اوتي من علم وبيان ان يصف الرحمن الواجب الوجود سوى القول بأنه موجود فقط، وكل صفاته تضاد الصفات المتصورة في الإنسان المادي في تفكيره، وقد سردها في سلسلة مترابطة بقوله:

١ ـ(لا يدرك بوهم) وهو الفكر لغة.

٢ ـ(ولا يقدر بفهم) والتقدير: التحديد؛ فإنّ الفهم المادي عاجز عن ذلك.

٣ ـ(ولا يشغله سائل)؛ فإنّ الانشغال بالسؤال يستلزم العجز، والله تعالى قادر على كلّ شيْ.

٤ ـ(ولا ينقصه نائل) والنوال العطاء؛ فإنّ ذلك لا ينقص منه تعالى شيئا.

٥ ـ(ولا يبصر بعين)؛ لأنّ العين الباصرة من لوازم الجسمية، والله منزّه عنها.

٦ ـ(ولا يحدّ بأين) والأين هو التحديد بالمكان، والتحديد المكاني يلازم الجسمية.

٧ ـ(ولا يوصف بالأزواج)؛ لأنّ الزوجية تنافي التوحيد.

٨ ـ(ولا يخلق بعلاج) فلا يفتقر في خلق الاشياء إلى علاج، بل يخلقها بالارادة فقط.

٩ ـ(ولا يدرك بالحواس) لان الحواس لا تدرك إلّا المحسوسات، وليس المجردات.

١٠ ـ(ولا يقاس بالناس)؛ فإنّ الصفات البشريّة للناس محكومة بالحواس، والله منزّه عنها؛ فإنّ هذه الصفات العشر كلها صفات المحسوسات التي تلازم الجسميّة، والله منزّه عنها.

ثم ذكر ثلاث حقائق في صفات الرب التي لا تقاس بالناس، في تكليم موسى وعجز الوصف لمخلوقاته، فكيف بذاته وسبب العجز.

تكليم موسى:

وعن تكليم موسى الذي هو مثال حيّ؛ لكونه تعالى لا يقاس بالناس، قال:

١ ـ (الذي كلّم موسى تكليما) اقتباسا من قوله تعالى:﴿و كلّم الله موسى تكليما﴾[١].

٢ ـ (وأراه من آياته عظيما) وهي الآيات التسع، قال تعالى:﴿و لقد آتينا موسى تسع ايات بينات﴾[٢].

والآيات التكوينيّة هي: فلق البحر ، والعصا ، واليد البيضاء ، والمن ، ورفع الطور، والجراد، والقمّل، والصفادع، والدم؛ لكونها آيات محسوسة لبني اسرائيل، راجع اوضح البيان.

وعن خصائص هذا الكلام الالهي الذي لا يشابه كلام الناس قال:

(بلا جوارح) وهي أعضاء البدن التي لكل منها دورها.

(ولا أدوات) كاللسان في الانسان، أداة التكلّم.

(ولا نطق) وهو التكليم بواسطه اللسان.

(ولا لهوات) وهي اللحمة في اقصى الفم.

فإن هذه الخصائص متواجدة في كلام الناس وهي مفقودة في كلام الله تعالى؛ لأنّه تعالى يخلق الكلام بالارادة التكوينية.

عجز الوصف:

وعن عجز الإنسان المادي وصف الذات المقدسة التي ليست مادية قال:

١ ـ (بل إن كنت صادقا أيها المتكلّف لوصف ربك)؛ فإنّ وصف ما ليس ماديا لمن هو مادي تكلّف بما لا يطيق.

٢ ـ (فصف جبرائيل وميكائيل وجنود الملائكة المقرّبين)؛ فإنّ هذه المخلوقات لله كما ان الإنسان مخلوق له، فاذا عجز الإنسان عن وصف المخلوق فكيف يتمكن من وصف الخالق؟

وهذه الطائفة من الملائكة مقربون إلى الله سبحانه وليس ذواتهم مادية، يعجز الإنسان المادي عن وصفها، فيكون لوصف الخالق اعجز.

ثم أشار إلى ان العجز لوصف الرب لا يختص بالانسان، بل هم الملائكة ايضاً بالرغم من قربهم فهم عاجزون عن وصف الخالق ، بقوله:

---

(١) النساء : ١٦٤ .

(٢) الاسراء: ١٠١ .

٣ ـ (المقربين في حجرات القدس مرجحنين متولّهة عقولهم ان يحدّوا أحسن الخالقين) والقرب هو معنوي إلى الله، والحجرة: الغرفة، والقدس: اشعار بمكانهم المقدس، ومرجحنين: أي مائلين إلى تحت خضوعا لعظمة الله، والوله: الحيرة؛ فإنّ هذه صفة الملائكة بالرغم من قربهم وصفاتهم، عجزوا عن تحديد الذات المقدسة التي هي واجب الوجود.

فيكون الإنسان المادي الذي لا يتصف بهذه الصفات المقدسة أعجز.

وعن سبب العجز قال:

١ ـ (فإنما يدرك بالصفات) المادية طائفتان، هما:

الطائفة الاولى: (ذوو الهيئات والأدوات)؛ حيث ان الهيئة وهي الشكل الخاص، والأدوات وهي الجوارح والاعضاء، انما تكون للشئ المجسم، والشئ المجسم يمكن ان يوصف وصفا ماديّاً محسوساً من دون غيره، وبما ان واجب الوجود منزّه عن الجسميّة فلا يمكن ان يدرك بالصفات المادية التي يدرك بها الاجسام ذات الهيئات الخاصة والاجزاء الخاصة المحسوسة.

والطائفة الثانية: (ومن ينقضي إذا بلغ أمد حده بالفناء)؛ فإنّ كلّ شئ فانٍ في الحياة يمكن تحديده؛ فإنّ من يفنى بالموت إذا بلغ النهاية التي هي امد حدّه يمكن ان يدرك بالصفات الشئ المادي قابل لذلك، وليس المجردات.

فيستحيل وصف الرب تعالى على الناس كما يستحيل دلك على الملائكه؛ لأنّ واجب الوجود ليس من المحسوسات وليس فانيا حتّى يمكن فيه الوصف.

ونتيجة ذلك أنّه لا يسع الإنسان سوى الاعتراف بوجوده بكلمة التوحيد (فلا إله إلّا هو) الذي هو واجب الوجود، ومن آثار وجوب وجوده امران:

١ ـ (أضاء بنوره كلّ ظلام) فنور وجوده يعم كل ما خلق، وهو دالّ على وجوده.

٢ ـ (وأظلم بظلمته كلّ نور)؛ فإنّ ارادة الله سبحانه بالظلمة لشئ لا يمكن للانسان ان يحصل على نور يهتدي به لمعرفة ذلك الشئ، ومن ذلك معرفة كنه ذاته المقدسه التي جعلها ظلمة لا يمكن لأي مخلوق اختراقه؛ ولا يمكن ان يحصل على أي طريق للوصول اليه.

(٧ / ط ـ ١٨٢) الوصيّة بالتقوى:

أُوصِيكُمْ عِبادَ اللهِ بِتَقْوَى الله الذِي أَلْبَسَكُمُ ٱلرِّيَاشَ[١]، وأَسْبَغَ عليكُمُ المَعاشَ، ولوْ أنَّ أحَداً يَجِدُ إلى الْبقاءِ سُلَّماً أوْ لدَفْعِ[٢] المَوْتِ سَبِيلاً لَكانَ ذَلِكَ سُلَيْمانَ بنَ دَاوُدَ عليْهِما السَّلاَمُ[٣]، الَّذِي سُخِّر لهُ مُلْكُ الجِنِّ والإنْس معَ النُّبُوَّةِ وَعَظِيمِ ٱلزُّلْفَةِ[٤]، فلمَّا اسْتَوْفَى طُعْمَتَهُ[٥]، واسْتَكْمَلَ مُدَّتَهُ[٦]، رَمَتْهُ قِسِيُّ[٧] الفَناءِ بِنِبالِ[٨] المَوْتِ، وأصْبَحَتِ الدِّيارُ مِنْهُ خالِيةً، والمَسَاكِنُ مُعَطَّلَةً، وَوَرِثَها[٩] قوْمٌ آخَرُونَ، وإنَّ[١٠] لَكُمْ في الْقُرُونِ السَّالِفَةِ لَعِبْرَةً.

يؤكد في هذا المقطع على التقوى وما يستلزمه من العمل، فقال:

١ ـ (أوصيكم عباد الله بتقوى الله)؛ فإنّ التقوى عماد المجتمع الاسلامي، وبه يتميز عن غيره، ثمّ أشار ان الله التقوى يستلزم العمل بمقتضياته؛ فإنّ كلّ نعمة من الله واليه يرجع، فكما أن الحياة من الله فكذلك الموت، ونعمة الحياة متكونة من أمرين أشار اليهما بقوله:

٢ ـ (الذي ألبسكم الرياش) وهي اللباس الذي يفتقر اليه في الحياة.

٣ ـ (وأسبغ عليكم المعاش) بأن جعلها واسعا ميسّراً لاستمرار الحياة.

وان مظاهر الحياة مهما اختلفت وتعددت فانها من الله سبحانه واليه يرجع كلّ شئ (انا لله وانا اليه راجعون) فكما ان الحياة من الله يكون الموت كذلك منه ﴿هو الذي خلق الموت والحياة ليبلوكم ايكم أحسن عملا﴾[١١].

ومن السياق يفهم التحريض على المشاركة في ساحة الحرب عملا بما يستلزمه التقوى من الجهاد في سبيل الله. وان الموت لا سبيل لرفعه مهما عاش الإنسان عزيزاً أو ذليلا، ولان الموت في سبيل الواجب اشرف من الحياة في الذل، ويبرهن على ذلك بمثل تاريخي بقوله:

---

(١) في هـ. ب: اللباس.
(٢) في هـ. د: أو إلى دفع ـ ض ب.
(٣) في ب و ط: «عليه السلام».
(٤) في هـ. ب: القرب.
(٥) في هـ. ب: كناية عن الرزق.
(٦) في هـ. ب: عمره.
(٧) القسي: القوس: وما يرمى به النبل.
(٨) في هـ. ب: جمع نبل.
(٩) في أ و ب: ورثها، وفي هـ. ب، وفي نسخة: وورثها.
(١٠) في ب: فان.
(١١) الملك: ٢.

٤ ـ (ولو أن أحدا يجد إلى البقاء سلّما، أو إلى دفع الموت سبيلا، لكان ذلك سليمان بن داود عليه السلام) فان سليمان قد جمع بين الملك والنبوة، وذلك مرتبة عظمى من القوّة في العقيدة والملك، ولكنّه ايضا لم يسلم من الموت، بل كان حاله حال كلّ البشر، ممّا يصفه بقوله:

٥ ـ (الذي سخر له ملك الجن والإنس) من مخلوقات الله حتى في الطير في الهواء.

٦ ـ (مع النبوة وعظيم الزلفة) التي هي اشرف من ملك الدنيا، وباجتماعهما كان اعظم قوة وقربة إلى الله.

٧ ـ (فلما استوفى طعمته) أي رزقه من الحياة في الدنيا.

٨ ـ (واستكمل مدته) التي قدر الله له في الدنيا.

٩ ـ (رمته قسيّ الفناء بنبال الموت)؛ فإنّ الموت لا يرحم احداً، فقد جاء اجله، قوي أو ضعف وسواء نبيا كان أو ملكا، وقال:

١٠ ـ (وأصبحت الديار منه خالية) فذهب ملكه إلى غيره كسائر الملوك في الدنيا.

١١ ـ (والمساكن معطلة) من اهلها، التي من بنوها وكانهم يخلدون فيها.

١٢ ـ (وورثها قوم آخرون) جاءوا من بعدهم.

ففي هذه النقاط الاثنى عشر دروس وعبر للحاضرين، أشار اليها بقوله: (وإن لكم في القرون السالفة لعبرة) بأنّ الموت انما يحل عند حلول الاجل، والحرص على البقاء في الدنيا لا ينفع احداً ولا يقدم ولا يؤخر شيئا، سوى ما يبقى عبرة في التاريخ لمن يتجاهل عن واجبه.

(٨ / ط - ١٨٢) العمالقة:

أَيْنَ الْعَمالِقَةُ[١] وأَبْناءُ الْعَمالِقَةِ، أَيْنَ الْفَراعِنَةُ[٢] وأَبْناءُ الْفَرَاعِنَةِ، أَيْنَ أَصْحَابُ مَدَائِنِ الرَّسِّ[٣] الَّذِينَ قَتَلُوا النَّبِيِّينَ، وأَطْفَأُوا سُنَنَ الْمُرْسَلِينَ، وأَحْيُوا سُنَنَ الجَبَّارِينَ[٤]، أَيْنَ

---

(١) في هـ. ص: ذكر في الشرح في تعيينهم أقوالاً: ... هم أولاد عملاق بن لاوذ بن ارم بن سام بن نوح. كان المُلك لهم باليمن والحجاز وما تاخم ذلك من الأقاليم، فمنهم: عملاق بن لاوذ، ومنهم: طسم بن لاوذ، ومنهم: جديس بن لاوذ أخوهما، انتهى من الشرح.
(٢) في هـ. ص: جمع فرعون، وهم ملوك مصر، انتهى من الشرح، وفي هـ. ب: فرعون لقب الوليد بن مصعب ملك مصر، وكلّ عاتٍ فرعون، والعتاة: الفراعنة. والعمالقة: قوم من ولد عمليق بن لاوذ بن ارم بن سام بن نوح، وهم أمم تفرّقوا في البلاد.
(٣) في هـ. ب: الرس: امم بقية من قوم صالح، وعن الصادق عليه السلام: الرس هم أصحاب النبي حنظلة، كانوا مبتلين بطول عنقهم.

الذِينَ سَاروا بالجُيُوشِ، وهَزَمُوا بالأُلُوفِ، وَعَسكَرُوا الْعَساكِرَ، ومَدَّنُوا[1] المَدَائِنَ[2].

واشار إلى ما يمكن الاعتبار به من غبر التاريخ قبل الاسلام بقوله:

١ ـ (أين العمالقة وأبناء العمالقة) الذين حكموا اليمن والحجاز.

٢ ـ (أين الفراعنة وأبناء الفراعنة؟) الذين حكموا مصر.

٣ ـ (أين أصحاب مدائن الرس؟) الذين حكموا في اكثر من مدينه على خلاف في تحديدها من الشام الى الحجاز أو غيرها، والذين عرفوا بالصفات التالية:

أوّلاً: (الذين قتلوا النبيّين) لعدم الاعتقاد بنبوتهم، وذلك لا يستوجب القتل.

ثانياً: (وأطفأوا سنن المرسلين) كمحاولة منهم لمحوا آثار العدالة التي يؤمن بها المسلمون.

ثالثاً: (وأحيوا سنن الجبارين) خدمة لمصالح المستكبرين في عصرهم.

٤ ـ (القول العسكرية العظمى في التاريخ التي يتصف عادة بما يأتي:

الأوّل: (وأين الذين ساروا بالجيوش) لغرض حكمهم على دول غير دولهم.

الثاني: (وهزموا الألوف)؛ لأنّ جيشهم وقوتهم العسكرية كانت اقوى من عدوهم.

الثالث: (وعسكروا العساكر) والعسكر: الجمع الكثير من كلّ شئ، والجيش: الجند والأعوان منهم.

الرابع: (ومدّنوا المدائن) بتأسيس حضارات جديدة حسبوها تخلدهم في التاريخ،

---

(٤) في هـ. د: سير الجبّارين ـ م ن ف. وفي شرح محمّد عبده ما يلي: سُئِلَ أمير المؤمنين عن أصحاب مدائن الرس فيما رواه الرضي عن آبائه إلى جدّه الحسين، فقال: انّهم كانوا يسكنون في مدائن لهم على نهر يسمّى الرس من بلاد المشرق (هو نهر أرس في بلاد أذربيجان) وكانوا يعبدون شجرة صنوبر مغروسة علىٰ شفير عين تسمّى دوشاب (يُقال: غرسها يافث بن نوح) وكان اسم الصنوبرة شاه درخت، وعدة مدائنهم اثنتى عشرة مدينة، اسم الأولى: ابان، والثانية آذر، والثالثة دي، والرابعة بهمن، والخامسة اسفندارمز، والسادسة فروردين، والسابعة اردي بهشت، والثامنة خرداد، والتاسعة مرداد، والعاشرة تير، والحادية عشرة مهر، والثانية عشرة شهر نور، فبعث الله لهم نبيّاً ينهاهم عن عبادة الشجرة ويأمرهم بعبادة الله، فبغوا عليه وقتلوه أشنع قتل، حيث أقاموا في العين أنابيب من رصاص بعضها فوق بعض كالبرابخ، ثم نزعوا منها الماء واحتفروا حفرة في قعرها وألقوا نبيّهم فيها حيّاً، واجتمعوا يسمعون أنينه وشكواه حتى مات، فعاقبهم الله بإرسال ريح عاصفة ملتهبة سلقت أبدانهم، وقذفت عليهم الأرض مواد كبريتية متّقدة فذابت أجسادهم وهلكوا، وانقلبت مدائنهم.

(١) هـ. ب: أقاموا.

(٢) في هـ. ب: جمع مدينة، ومدن الرجل: إذا أقام بالمكان.

ولعلّه يريد مدائن كسرى لمروره بها وقربه منها في حرب صفين.

فإنّ نظرة سريعة إلى تاريخ هذه الاقوام ومقارنة اهدافهم بأهداف الاسلام تجعل الإنسان المسلم على رؤية وبصيرة من الحرب التي يخوضها بهدف الوصول الى إحدى الحسنيين إمّا النصر أو الشهادة.

ونكتفي في سرد احوالهم بما ذكر ابن أبي الحديد في شرح نهج البلاغة حيث قال:

[نسب العمالقة]

والعمالقة أولاد لاوذ إرم بن سام بن نوح ، كان الملك باليمن والحجاز وما تاخم ذلك من الأقاليم ، فمنهم عملاق بن لاوذ بن سام ، ومنهم طسم بن لاوذ أخوه . ومنهم جديس بن لاوذ أخوهما ، وكان العز والملك بعد عملاق بن لاوذ في طسم ، فلما ملكهم عملاق بن طسم ، بغى وأكثر الفساد في الأرض ، حتى كان يطأ العروس ليلة إهدائها إلى بعلها ، وإن كانت بكرا افتضها قبل وصولها إلى البعل ، ففعل ذلك بامرأة من جديس ، يقال: لها غفيرة بنت غفار ، فخرجت إلى قومها ، وهي تقول :

لا أحد أذل من جديس   أهكذا يفعل بالعروس !

فغضب لها أخوها الأسود بن غفار ، وتابعه قومه على الفتك بعملاق بن طسم وأهل بيته ، فصنع الأسود طعاما ، ودعا عملاق الملك إليه ، ثم وثب به وبطسم ، فأتى على رؤسائهم ، ونجا منهم رياح بن مر ، فصار إلى ذي جيشان بن تبع الحميري ملك اليمن ، فاستغاث به ، واستنجده على جديس ، فسار ذو جيشان في حمير ، فأتى بلاد جو ، وهي قصبة اليمامة ، فاستأصل جديسا كلها ، وأخرب اليمامة فلم يبق لجديس باقية ، ولا لطسم إلّا اليسير منهم . ثم ملك بعد طسم وجديس وبار بن أميم بن لاوذ بن إرم ، فسار بولده وأهله ، فنزل بأرض وبار ، وهي المعروفة الان برمل عالج ، فبغوا في الأرض حينا حتى أفناهم الله .

ثم ملك الأرض بعد وبار عبد ضخم بن أثيف بن لاوذ ، فنزلوا بالطائف حينا ، ثم بادوا».[1]

[نسب عاد وثمود]

---

(١) شرح نهج البلاغة ؛ ابن أبي الحديد ١٠ : ٩٣.

وممن يعد مع العمالقة عاد وثمود ، فأما عاد فهو عاد بن عويص بن إرم بن سام بن نوح ، كان يعبد القمر ، ويقال: إنه رأى من صلبه أولاد أولاد أولاده أربعة آلاف ، وإنه نكح ألف جارية ، وكانت بلاده الأحقاف المذكورة في القرآن ، وهي من شحر عمان إلى حضرموت ، ومن أولاده شداد بن عاد ، صاحب المدينة المذكورة . وأما ثمود ، فهو ثمود بن عابر بن إرم بن سام بن نوح ، وكانت دياره بين الشام والحجاز إلى ساحل نهر الحبشة».[1]

[نسب الفراعنة]

«قوله عليه السلام : (أين الفراعنة ، وأبناء الفراعنة) ، جمع فرعون ، وهم ملوك مصر ، فمنهم الوليد بن الريان فرعون يوسف ، ومنهم الوليد بن مصعب ، فرعون موسى . ومنهم فرعون بن الأعرج الذي غزا بني إسرائيل وأخرب بيت المقدس».[2]

[نسب أصحاب الرس]

قوله عليه السلام : (أين أصحاب مدائن الرس ؟) ، قيل : إنهم أصحاب شعيب النبي النبي صلى الله عليه وآله ، وكانوا عبدة أصنام ، ولهم مواش وآبار يسقون منها . والرس : بئر عظيمة جدا انخسفت بهم ، وهم حولها ، فهلكوا وخسفت بأرضهم كلها وديارهم . وقيل : الرس قرية بفلج اليمامة ، كان بها قوم من بقايا ثمود بغوا ، فأهلكوا . وقيل قوم من العرب القديمة بين الشام والحجاز ، وكانت العنقاء تختطف صبيانهم فتقتلهم ، فدعوا الله أن ينقذهم منها ، فبعث إليهم حنظلة بن صفوان ، فدعاهم إلى الدين على أن يقتل العنقاء ، فشارطوه على ذلك فدعا عليها ، فأصابتها الصاعقة ، فلم يفوا له وقتلوه ، فأهلكوا . وقيل : هم أصحاب الأخدود ، والرس ، هو الأخدود . وقيل الرس أرض بأنطاكية قتل فيها حبيب النجار . وقيل : بل كذب أهلها نبيهم ورسوه في بئر ، أي رموه فيها . وقيل : إن الرس نهر في إقليم الباب ، والأبواب مبدؤه من مدينة طراز ، وينتهي إلى نهر الكر ، فيختلط به حتى يصب في بحر الخزر ، كان هناك ملوك أولو بأس وقدرة ، فأهلكهم الله ببغيهم».[3]

(٩ / ط - ١٨٢) مسؤوليّة المسلم:

(١) شرح نهج البلاغة ؛ ابن أبي الحديد ١٠ : ٩٤.
(٢) شرح نهج البلاغة ؛ ابن أبي الحديد ١٠ : ٩٤.
(٣) شرح نهج البلاغة ؛ ابن أبي الحديد ١٠ : ٩٣ - ٩٥.

مِنْها[1]: قدْ لَبِسَ لِلْحكْمَةِ جُنَّتَها[2]، وأَخَذَ بِجَمِيعِ أَدَبِها: منَ الإقْبالِ عَليْها، والمَعْرِفَةِ بِهَا والتَّفَرُّغِ لَها، وهيَ[3] عِنْدَ نَفْسِهِ ضَالَّتُهُ الَّتي يَطْلُبُها، وحاجَتُهُ الَّتي يَسْأَلُ عَنْها، فَهُوَ[4] مُغْتَرِبٌ[5] إذا اغْتَرَب الْإِسْلاَمُ، وَضَرَبَ بِعَسيبِ ذَنَبِهِ[6]، وأَلْصَقَ الْأَرْضَ بجِرانِه[7]، بَقِيَّةٌ منْ بَقَايا حُجَّتِهِ، خليفَةٌ منْ خَلَائِفِ أَنْبِيَائِهِ[8].

واشار في هذا المقطع إلى مسؤوليات الإنسان المسلم في ساحة الحرب العقائدية بقوله:

١ ـ (قد لبس للحكمة جنّتها) والجنّة: ما يستتر به من السلاح؛ فإنّ المسلم المسؤول لابد وان يكون له جنّته من الانزلاق الى الاهداف المادية، وليس له في ساحة الحرب إلّا هدف احدى الحسنيين: النصر أو الشهادة.

٢ ـ (وأخذها بجميع أدبها)؛ فإنّ للحكمة الاسلامية آداب خاصة لها، سرد منها:

أوّلاً: (من الاقبال عليها) بشدة الحرص عليها عمليا.

ثانياً: (والمعرفة بها) بدراسة ثقافة الاسلام نظريّاً؛ استنادا إلى الكتاب والسنة النبوية .

ثالثاً: (والتفرغ لها) اى التركيز عليها خاصة؛ فإنّ دراسة غيرها يشوش الفكر.

٣ ـ (وهي عند نفسه ضالته التي يطلبها) لمن يطلب ما يفقد، لما فى الحكمة الاسلاميّة من صلاحية التطبيق في حياة الإنسان في نفسه ومجتمعه.

٤ ـ (وحاجته التي يسأل عنها)؛ فإنّ الإنسان لا يحتاج إلى غيرها من النظريات الروحية البحتة أو المادية البحتة؛ لما في الاسلام من كلّ منهما احسنه في كلّ مجالات الحياة، عقائديا واقتصاديّاً وسياسيا.

٥ ـ (فهو مغترب إذا اغترب الاسلام) فيجد نفسه في غربة اذاكان الاسلام في غربة ولم يطبق عمليّاً في المجتمع الاسلامي، ومثّل ذلك بالبعير الذي يكون باركاً يضرب الارض

(١) في أ: منها.
(٢) جنة الحكمة: ما يحفظها على صاحبها؛ من الزهد والورع والتقوى.
(٣) في ب و د: فهي.
(٤) في ب: وهو .
(٥) في هـ. ب: من الغربة.
(٦) في هـ. ب: منبت ذنبه من الجلد والعظم.
(٧) في هـ أ: الجران: باطن عنق البعير، وفي هـ. ب: صدره.
(٨) الامام المهدي عجّل الله فرجه.

بذنبه ويلصق صدره بالارض من دون أيّة مسؤولية للعمل، وهذا هو المعني بقوله (وضرب بعسيب ذنبه، وألصق الأرض بجرانه) والعسيب: اصل الذنب، والجران: الصدر، وذلك كناية عن الضعف عن العمل.

٦ ـ (بقية من بقايا حجته)؛ فإنّ الإنسان المسؤول بالصفات المذكورة يكون من بقايا حجة الاسلام على العباد، حيث يلتزم بواجباته متاثراً بغربة الاسلام.

٧ ـ (خليفة من خلائف أنبيائه) والخليفة باعتبار انه يسير على خطى الانبياء الذين ارسلهم الله تعالى، فهم انبياء الله وحجج الاسلام ايضاً؛ لانهم جميعا حملوا رساله الله، قال تعالى: ﴿لا نفرق بين أحد منهم ونحن له مسلمون﴾[1].

وهذه النقاط السبع من مسؤوليات الإنسان المسلم في المجتمع الاسلامي، وتكون مسؤولية القاعدة الاسلامية اجمع.

قال ابن أبي الحديد في شرح نهج البلاغة ما نصه: «هذا الكلام فسره كل طائفة على حسب اعتقادها، فالشيعة الامامية، تزعم أن المراد به المهدى المنتظر عندهم، والصوفية يزعمون أنه يعنى به ولى الله في الأرض، وعندهم أن الدنيا لا تخلو عن الابدال، وهم أربعون، وعن الأوتاد، وهم سبعة، وعن القطب وهو واحد، فإذا مات القطب صار أحد السبعة قطبا عوضه، وصار أحد الأربعين وتدا، عوض الوتد، وصار بعض الأولياء الذين يصطفيهم الله تعالى أبدالا عوض ذلك البدل. وأصحابنا يزعمون أن الله تعالى لا يخلى الأمة من جماعة من المؤمنين العلماء بالعدل والتوحيد، وأن الاجماع إنما يكون حجة باعتبار أقوال أولئك العلماء لكنه لما تعذرت معرفتهم بأعيانهم، اعتبر إجماع سائر العلماء، وإنما الأصل قول أولئك. قالوا: وكلام أمير المؤمنين عليه السلام ليس يشير فيه إلى جماعة أولئك العلماء من حيث هم جماعة، ولكنه يصف حال كل واحد منهم، فيقول: من صفته كذا، ومن صفته كذا. والفلاسفة يزعمون أن مراده عليه السلام بهذا الكلام العارف، ولهم في العرفان وصفات أربابه كلام يعرفه من له أنس بأقوالهم، وليس يبعد عندي أن يريد به القائم من آل محمّد صلى الله عليه وآله في آخر الوقت، إذا خلقه الله تعالى، وإن لم يكن الان موجودا، فليس في الكلام ما يدل على وجوده الان، وقد وقع اتفاق الفرق من المسلمين أجمعين

(١) البقرة: ١٣٦.

على أن الدنيا والتكليف لا ينقضي إلّا عليه. قوله عليه السلام: (قد لبس للحكمة جنتها)، الجنة: ما يستتر به من السلاح كالدرع ونحوها، ولبس جنة الحكمة قمع النفس عن المشتهيات، وقطع علائق النفس عن المحسوسات، فإن ذلك مانع للنفس عن أن يصيبها سهام الهوى، كما تمنع الدرع الدارع عن أن يصيبه سهام الرماية».[1]

(١٠ / ط - ١٨٢) مسؤوليّة الإمام:

ثم قال عليه السلام[2]: أَيُّهَا النَّاسُ؛ إِنِّي قَدْ بَثَثْتُ[3] لَكُمُ ٱلْمَوَاعِظَ الَّتي وَعَظَ بِهَا ٱلأَنْبِيَاءُ أُمَمَهُمْ، وَأَدَّيْتُ إِلَيْكُمْ مَا أَدَّتِ ٱلأَوْصِيَاءُ إِلَى مَنْ بَعْدَهُمْ، وَأَدَّبْتُكُمْ بِسَوْطِي فَلَمْ تَسْتَقِيمُوا، وَحَدَوْتُكُمْ[4] بِالزَّوَاجِرِ فَلَمْ تَسْتَوْسِقُوا[5].

لِلّٰهِ أَنْتُمْ! أَتَتَوَقَّعُونَ إِمَاماً غَيْرِي يَطَأُ[6] بِكُمُ الطَّرِيقَ[7]، وَيُرْشِدُكُمُ السَّبِيلَ!.

ويتضمن المقطع الإشاره إلى مسؤوليات الإمام، قال:

١ ـ (أيها الناس) خطاباً للعموم من دون استثناء؛ لأنّ مسؤوليات الإمامة تعم المجتمع ككلّ من دون استثناء، سواءً كان تطبيقها على فرد خاص أو جماعة قليلة أو كثيرة.

٢ ـ (إني قد بثثت لكم المواعظ التي وعظ الأنبياء بها أممهم)؛ فإنّ المسؤولية الاسلاميّة هي بالدرجة الاولى الوعظ من دون أى اكراه، كما تفعل الحكومات المادية.

والمواعظ تقثيف الامة برسالة الانبياء.

٣ ـ (وأديت إليكم ما أدت الأوصياء إلى من بعدهم) وذلك بأداء المسؤولية بتطبيق ما تتضمن تلك المواعظ من رسالة الانبياء، وهي تطبيق حكم الله على الارض.

٤ ـ (وأدبتكم بسوطي فلم تستقيموا) فيما دعت الحاجة إلى استعمال القوة، ولكن

(١) شرح نهج البلاغة؛ ابن أبي الحديد ١٠: ٩٦ ـ ٩٧.
(٢) لم ترد «ثم قال عليه السلام» في أ.
(٣) وفي ص: بيّنت، وفي هـ. ص: نسخة ابن أبي الحديد: بثثت. قال: أي فرّقتها ونشرتها، وفي هـ. ب: البث: التفريق.
(٤) في هـ. ص: أي سقتكم إلى الصلاح.
(٥) في هـ. ب: فلم تجتمعوا، وسقت: جمعت، وفي هـ. ص: أي لم تجتمعوا في المسير على منهج الحق.
(٦) في هـ. ص: أي يوطئكم طريق الحق، لمّا شبّه الحق بالطريق أثبت له حكمه وهو الوطء، والمعنى: يسلك بكم الطريق المستقيم كما يسلك الدليل بالقوم في المفاوز، والمجاهل: جادّة الطريق.
(٧) في هـ. ص: هو استقامة أمورها على وفق الشريعة ومنهاج الرسول صلى الله عليه وآله.

حتّى القوة لم تؤثر في الناس الذين تطبّعوا على طبيعة خاصة تربوا عليها.

٥ ـ (وحدوتكم بالزواجر فلم تستوثقوا) والحدو: سوق الابل بالحداء، والاستوساق: الاجتماع في وقت الحاجة إلى جمع الكلمة، ومن هذه المواقع وقعة الحرب التي تقضي إلى التجمع ووحدة الكلمة، وهي المناسبة الداعية لهذه الخطبة.

وهذه مسؤوليات القائد في كلّ مرحلة يقوم فيها بدور قيادي في المجتمع الاسلامي، وقد اداها الإمام بالرغم من عدم التجاوب الكامل من القاعدة.

ثم اظهر تعجّبه من عدم التجاوب الكامل لمتطلبات الحكم الاسلامي العادل، فقال: (لله أنتم!) وهي كلمة تعجب؛ حيث انّه ليس البديل لحكم العدل إلّا الظلم، والى ذلك أشار بقوله:

(أتتوقعون إماما غيري؟) كبديل يقوم بنفس المسؤوليات على اسس اسلاميّة قائمة على الكتاب والسنة، يجتمع فيها اهم صفتين من صفات القيادة، وهما:

أوّلاً: (يطأ بكم الطريق) ويمهده للسير إلى النجاة في الدنيا من الاعداء، وفي الاخرة من النار.

ثانياً: (ويرشدكم السبيل؟) كما يدعوا اليه الاسلام.

والإمام قام بالامرين خير قيام، ولم يجمع لنفسه من الدنيا أي حطام، ولم يكن البديل سوى العدو الذي جعل الظلم شعاره والمرتزقة اعوانه وانصاره.

(١١ / ط - ١٨٢) أهداف الحرب:

أَلَا إِنَّهُ قَدْ أَدْبَرَ مِنَ الدُّنْيَا مَا كَانَ مُقْبِلاً ، وَأَقْبَلَ مِنْهَا مَا كَانَ مُدْبِراً[١]، وَأَزْمَعَ[٢] التَّرْحَالَ عِبَادُ ٱللهِ ٱلْأَخْيَارُ، وَبَاعوا قَلِيلاً مِنَ الدُّنْيَا لاَ يَبْقَى؛ بِكَثِيرٍ مِنَ ٱلْآخِرَةِ لاَ يَفْنَى!

وعن اهداف الحرب التي من اجلها اورد هذه الخطبة قال مؤكدا:

١ ـ (ألا، انّه قد أدبر من الدنيا ما كان مقبلا) ففي زمن الرسول ﷺ كان الاسلام مقبلاً والضلال مدبراً، وفي عصر الإمام اصبح العكس، فالاسلام الذي كان مقبلا اصبح مدبراً ومتروكا، مشيرا إلى زوالل أهم الثوابت وهو الحكم بالشورى في الحكم الاسلامي.

٢ ـ (وأقبل منها ما كان مدبرا)؛ فإنّ في عهد الرسول القائد ﷺ كان الضلال مدبراً، فقد

(١) في هـ. ب: أي أقبل الشبه والجهالات والبدع، وهذا إنذار منه عليه السلام بما يقع بعده من الفتن.
(٢) في هـ. د: وأزمعوا ـ ب. وفي هـ. ص: أي عزموا.

اصبح في عصر الإمام مقبلا مشيرا إلى اهم عناصر الضلال في القيادة وهو الحكم بالغلبة.

٣ ـ(وأزمع الترحال عباد الله الأخيار)؛ فإنّ عباد الله الاخيار على عزم للخوض في ساحة الحرب التصحيحيّة بالرحيل إلى الحرب كما يتطلب منهم مسؤولياتهم الاسلامية.

٤ ـ (وباعوا قليلا من الدنيا لا يبقى بكثير من الآخرة لا يفنى)؛ فإنّ مشاركتهم في الحرب بيع رابحٌ ، وهو المقايضة بين الدنيا الفانية والاخرة الخالدة.

وهذه هي النقاط الاسلاميّة في الحرب العقائدية التي لا ترى إلّا نصر الاسلام في مواقع الانحراف.

(١٢ / ط - ١٨٢) ذكرى الشهداء:

مَا ضَرَّ إِخْوَانَنَا ٱلَّذِينَ سُفِكَتْ دِمَاؤُهُمْ بِصِفّينَ[١] أَلّا يَكُونُوا ٱلْيَوْمَ أَحْيَاءً، يُسِيغُونَ[٢] ٱلْغُصَصَ، وَيَشْرَبُونَ الرَّنْقَ![٣] قَدْ ـ وَٱللهِ ـ لَقُوا اللهَ فَوَفَّاهُمْ أُجُورَهُمْ، وَأَحَلَّهُمْ دَارَ ٱلْأَمْنِ بَعْدَ خَوْفِهِم!

أَيْنَ إِخْوَانِي ٱلَّذِينَ رَكِبُوا الطَّرِيقَ، وَمَضَوْا عَلَى ٱلْحَقِّ! أَيْنَ عَمَّارٌ! وَأَيْنَ ٱبْنُ التَّيِّهان[٤]! وَأَيْنَ ذُو الشَّهَادَتَيْنِ[٥]! وَأَيْنَ نُظَرَاؤُهُمْ مِنْ إِخْوَانِهِمُ ٱلَّذِينَ[٦] تَعَاقَدُوا[٧] عَلَى المَنِيَّةِ وَأُبْرِدَ[٨] بِرُءُوسِهِمْ إِلَى ٱلْفَجَرَةِ!

قال: **ثُمَّ** ضربَ **عَلَيْهِ السَّلَامُ** بيده إلى[٩] **لحْيَتِهِ[١٠]، فَأَطال ٱلْبُكَاءَ.**

ثم قال[١١]:

(١) في أ و د زيادة: وهم وفي هـ. د: دماؤهم بصفّين ـ ح ش ض.
(٢) في هـ. ب: يتجرعونها.
(٣) في هـ. ب: الرنق : الكدور.
(٤) في هـ. أ: ابن التيهان هو أبو الهيثم مالك بن التيهان ذو السيفين، وفي هـ. ب: أبو الهيثم..
(٥) في هـ. أ: ذو الشهادتين هو خرثمة بن ثابت، أقام رسول الله ﷺ شهادته مقام شهادة الرجلين.
(٦) لم ترد «الذين» في أ.
(٧) في هـ. ب: تعاهدوا.
(٨) في هـ. ص: أي أرسِل، أي: حملت رؤوسهم مع البريد، وفي هـ. ب: بعث برؤوسهم على البريد ليصل اليهم سريعاً فيفرحوا بذلك.
(٩) في ط و د : على.
(١٠) في ط و د زيادة «الشريفة الكريمة» وفي هـ. د:« الشريفة الكريمة» ساقطة من م ن ش.
(١١) في ط : ثم قال عليه السلام .

أَوْهِ[١] عَلَى إِخْوَانِي ٱلَّذِينَ تَلَوا[٢] ٱلْقُرْآنَ فَأَحْكَمُوهُ، وَتَدَبَّرُوا ٱلْفَرْضَ فَأَقَامُوهُ! أَحْيَوْا ٱلسُّنَّةَ، وَأَمَاتُوا ٱلْبِدْعَةَ؛ دُعُوا لِلْجِهَادِ فَأَجَابُوا، وَوَثِقُوا بِالْقَائِدِ[٣] فَاتَّبَعُوا[٤].

ثم نادى بأعلى صوته:

ٱلْجِهَادَ[٥] ٱلْجِهَادَ عِبَادَ ٱللهِ! أَلَا وَإِنِّي مُعَسْكِرٌ فِي يَوْمِي هذا؛ فَمَنْ أَرادَ الرَّوَاحَ[٦] إِلَى ٱللهِ فَلْيَخْرُجْ[٧].

قالَ نَوْفٌ: وَعقد للحسين عليه السلام[٨] في عَشَرَة آلافٍ[٩]، ولقيس بن سعدٍ رحمه الله في عشرة آلافٍ، ولأبي أيُّوب الأنصاريّ في عشرةِ آلاف، ولغيرهم على أعدادٍ أُخَرَ؛ وهو يريد الرَّجْعةَ إلى صِفّين فما دارت الجمعةُ حتّى ضربه الملعون ابنُ ملجم لعنه الله، فتراجعت العساكر، فكنّا كأغنامٍ فقدت راعيَها، تختطفها[١٠] الذئاب من كلّ مكانٍ!

وأشار إلى مواقف الشهداء في طريق الاسلام في حرب صفين، وعن الشهداء عامة، قال:

١ ـ (ما ضر إخواننا الذين سفكت دماؤهم وهم بصفين أن لا يكونوا اليوم أحياء؟) فانهم بشهادتهم فازوا ما يستحقون من الجنة، ولم يشاهدوا الانحرافات التي حصلت بعدهم في المجتمع الاسلامي، والتي حصلت لمن بقي بعدهم؛ فإنّ الباقين بعدهم:

٢ ـ (يسيغون الغصص ويشربون الرنق) وهو الكدر؛ لمشاهدتهم الانحرافات التي لا يمكن السكوت عليها من الإنسان المسلم المسؤول عن دينه ووطنه، واهمها التخطيط لقلب الحكم الاسلامي من الشورى الى الملوكية، وما يتقدم ويتأخر عليها من اسباب

---

(١) في هـ. ب: «أوه» كلمة توجّع، تقال عند الشكاية.، وفي هـ. ص: هي ساكنة الواو ومكسورة الهاء ومفتوحة الهمزة وفيها لعاب، وهي كلمة تشكّ وتوجّع.

(٢) في ط: قرءوا، وفي هـ. د: قرأوا ـ ض ح ب.

(٣) في هـ. ص: يعني نفسه عليه السلام.

(٤) في ط و د: فاتبعوه.

(٥) في هـ. ص: منصوب بفعل مقدّر، على الإغراء.

(٦) في هـ. ب: سير العشيّة.

(٧) في ص: فليرح، وفي هـ. ص، وفي نسخة: فليخرجٍ، وفي هـ. ص: قال ابن أبي الحديد: إنّ هذه الخطبة آخر خطبة خطب بها أمير المؤمنين عليه السلام قائماً.

(٨) في ص: للحسن.

(٩) في ب: «ألف» وكذا فيما يليه.

(١٠) في أ: يختطفها، وفي هـ. ب: يسلبها.

وآثار.

وعن السبب في انّه لم يظهر المستشهدين من قبل سننا قال مؤكدا:

٣ ـ(قد والله لقوا الله، فوفّاهم أجورهم ، وأحلهم دار الأمن بعد خوفهم) كما وعد الله المستشهدين في سبيله، قال تعالى:﴿ولا تحسبن الذين قتلوا في سبيل الله امواتا بل احياء عند ربهم يرزقون﴾[١] .

ثم خص بالذكر جمعاً خاصا من اصحابه الشهداء، وفاءً لمواقفهم المشرّفة فقال :(أين إخواني الذين ركبوا الطريق ومضوا على الحق؟) فانهم أدوا ما عليهم من الواجبات، ثمّ ذكرهم بالاسماء، قائلا:

١ ـ(أين عمار؟) وهو ابن ياسر ابن عامر بن كنانة بن قيس المذحجي.

٢ ـ(وأين ابن التيهان؟) وهو ابوالهيثم بن مالك بن مالك الانصاري.

٣ ـ(وأين ذو الشهادتين؟) وهو خزيمة بن ثابت بن الفاكه الانصاري.

فان هؤلاء الثلاثة أمثلة وقدوة لمن يلتزم بطريق الاسلام حتّى النهاية، ثمّ عمم الكلام إلى غيرهم ممن يشاركهم في العقيدة والمبدأ، وسار على طريقهم، فقال:

٤ ـ (وأين نظراؤهم من إخوانهم الذين تعاقدوا على المنيّة ، وأبردوا برؤوسهم إلى الفجرة) فانهم يشاركون سائر اخوانهم الشهداء في الهدف مهما كان الطريق وعرا وان العدو شريراً لا يتورع عن نقض الثوابت الاسلاميّة في الحرب، والتي منها ابراد الرؤوس من المسلمين كما كانت عليه العادات الجاهلية قبل الاسلام.

والى اسباب التأثر هذا أشار إلى مواقفهم الشجاعة في الرؤية الواضحة للمبادي الاسلامية والوسائل والاهداف فقال:

(اوّه) وهي كلمة عجز وتوجّع (على اخواني الذين) اتصفوا بالصفات التالية:

١ ـ(تلوا القرآن فأحكموه) بدراسته وتطبيقه في حياتهم.

٢ ـ(وتدبروا الفرض فأقاموه) بالعمل بها من فرائض العبادة كالصلاة والجهاد.

٣ ـ(أحيوا السنة) النبويّة التي خلفّها الرسول القائد صلى الله عليه وآله في حياته.

٤ ـ(وأماتوا البدعة) التي ابتدعها اعداء الاسلام لتمييع مفاهيم الاسلام عمليا.

---

(١) الحجرات: ١٦٩.

٥ ـ(دعوا للجهاد فأجابوا) الإمام الحق الداعي الى العمل بكتاب الله وسنة رسوله.

٦ ـ(ووثقوا بالقائد فاتبعوه) في اوامره العسكرية القيادية.

فان هذه النقاط الست في حياة هؤلاء الشهداء تكشف عن رؤية واضحة للمبادي والوسائل والاهداف الاسلامية في الحياة.

(١٣/ط - ١٨٢) اعلان الحرب:

وختم الخطبة بالهدف الذي من اجله القيت وهو اعلان الحرب في ثلاث نقاط، هي:

الأوّل: (الجهاد الجهاد عباد الله) على سبيل الاغراء، مخاطبا من يعبد الله سبحانه ويريد تطبيق حكم الله على الارض، أي اسرعوا إلى الجهاد.

الثاني: (ألا، وإني معسكر في يومي هذا) وذلك اعلان باجتماع العسكر في الموضع الجامع لهم.

الثالث: (فمن أراد الرواح إلى الله فليخرج) الى هذه الحرب العقائدية التي لا تهدف سوى احدى الحسنيين: النصر أو الشهادة.

و هذه النقاط الثلاث هي التي تميّز الحرب الاسلامية عن غيرها، كما كانت عليه سنة الرسول القائد، فليس فيها خداع أو تضليل، بل بالمبادئ المعلنة الواضحة، كما ليس فيه أي اجبار أو اكراه، بل الحرية الكاملة لمن له رؤية واضحة في الحرب الاسلاميّة ومبادئها واسسها واهدافها، وقد طبقها جميعا في حياته كما كان الرسول القائد يطبقها في حياته.

ونكتفي هنا بمقتطفات مما ذكره ابن أبي الحديد في تراجم المذكورين في شرح نهج البلاغة، قال:

[عمار بن ياسر ونسبه ونبذ من أخباره]

وهو عمار بن ياسر بن عامر بن كنانة بن قيس العنسي) بالنون (المذحجي ، يكنى أبا اليقظان ، حليف بني مخزوم . ونحن نذكر طرفا من أمره من كتاب الاستيعاب [١] لأبي عمر بن عبد البر المحدث . قال: أبو عمر : كان ياسر والد عمار عربيا قحطانيا ، من عنس في مذحج ، إلّا أن ابنه عمارا كان مولى لبني مخزوم ، لان أباه ياسرا قدم مكة مع أخوين له ، يقال: لهما : مالك والحارث ، في طلب أخ لهم رابع ، فرجع الحارث ومالك إلى اليمن ،

(١) الاستيعاب ١ : ٤٢٢ - ٤٢٤.

وأقام ياسر بمكة ، فحالف أبا حذيفة بن المغيرة بن عبد الله بن عمر بن مخزوم ، فزوجه أبو حذيفة أمة يقال: لها سمية ، فأولدها عمارا ، فأعتقه أبو حذيفة ، فمن هاهنا كان عمار مولى بني مخزوم ، وأبوه عربي ، لا يختلفون في ذلك ، وللحلف والولاء الذي بين بني مخزوم وعمار وأبيه ياسر ، كان احتمال بني مخزوم على عثمان ، حين نال من عمار غلمان عثمان ما نالوا من الضرب ، حتى انفتق له فتق في بطنه ، زعموا ، وكسروا ضلعا من أضلاعه ، فاجتمعت بنو مخزوم ، فقالوا : والله لئن مات لا قتلنا به أحدا غير عثمان . ! قال: أبو عمر : كان عمار بن ياسر ممن عذب في الله . ثم أعطاهم عمار ما أرادوا بلسانه ، واطمأن الايمان بقلبه ، فنزل فيه : ﴿ إلّا من أكره وقلبه مطمئن بالايمان ﴾ [١]، وهذا مما أجمع عليه أهل التفسير [٢] وهاجر إلى أرض الحبشة ، وصلى إلى القبلتين ، وهو من المهاجرين الأولين ، ثم شهد بدرا والمشاهد كلها ، وأبلى بلاء حسنا ، ثم شهد اليمامة ، فأبلى فيها أيضا يومئذ ، وقطعت أذنه . قال: أبو عمر : وقد روى الواقدي ، عن عبد الله بن نافع ، عن أبيه ، عن عبد الله بن عمر ، قال: رأيت عمارا يوم اليمامة على صخرة وقد أشرف عليها يصيح : يا معشر المسلمين ، أمن الجنة تفرون ؟ أنا عمار بن ياسر ، هلموا إلي ! وأنا أنظر إلى أذنه قد قطعت ، فهي تذبذب [٣] ، وهو يقاتل أشد القتال . قال: أبو عمر : وكان عمار آدم طوالا مضطربا أشهل العينين ، بعيد ما بين المنكبين ، لا يغير شيبة . قال: وبلغنا أن عمارا قال: كنت تربا لرسول الله ﷺ في سنه ، لم يكن أحد أقرب إليه مني سنا . وقال: ابن عباس في قوله تعالى : ﴿أو من كان ميتا فأحييناه وجعلنا له نورا يمشى به في الناس﴾ [٤]: إنه عمار بن ياسر ، ﴿كمن مثله في الظلمات ليس بخارج منها﴾ : إنه أبو جهل بن هشام . قال: وقال: رسول الله ﷺ : إن عمارا ملئ إيمانا إلى مشاشه [٥] . ويروى إلى أخمص [٦]

(١) سورة النحل : ١٠٦.

(٢) في كتاب الجامع لأحكام القرآن للقرطبي ١٠: ١٨٠ : هذه الآية نزلت في عمار بن ياسر ، في قول أهل التفسير ، لأنه قارب بعض ما ندبوه إليه (، ثم قال:) وأما عمار فأعطاهم ما أرادوا بلسانه مكرها ، فشكى ذلك إلى رسول الله ﷺ ، فقال له رسول الله ﷺ : كيف تجد قلبك ؟ قال: مطمئن بالايمان ، فقال رسول الله ﷺ : فإن عادوا فعد .

(٣) تذبذب : تتحرك .

(٤) سورة الأنعام: ١٢٢ ، وفى تفسير القرطبي عن ابن عباس أيضا أنها نزلت في حمزة بن عبد المطلب وأبى جهل . قال: والصحيح أنها عامة في كل مؤمن وكافر.

(٥) المشاشة : رأس العظم .

قدميه . وروى أبو عمر عن عائشة ، أنها قالت : ما من أحد من أصحاب رسول الله ﷺ أشاء أن أقول فيه إلّا قلت ، إلّا عمار بن ياسر ، فإني سمعت رسول الله ﷺ يقول : إنه ملئ إيمانا إلى أخمص قدميه . قال أبو عمر : وقال: عبد الرحمن بن أبزى : شهدنا مع علي عليه السلام صفين ثمانمائة ممن بايع بيعة الرضوان ، قتل منا ثلاثة وستون ، منهم عمار بن ياسر . قال: أبو عمر : ومن حديث خالد بن الوليد ، أن رسول الله ﷺ قال: من أبغض عمارا أبغضه الله ، فما زلت أحبه من يومئذ . قال: أبو عمر : ومن حديث علي بن أبي طالب عليه السلام : إن عمارا جاء يستأذن على رسول الله ﷺ يوما ، فعرف صوته ، فقال: مرحبا بالطيب المطيب – يعنى عمارا – ائذنوا له . قال أبو عمر : ومن حديث أنس عن النبي ﷺ : اشتاقت الجنة إلى أربعة : علي ، وعمار ، وسلمان ، وبلال . قال أبو عمر : وفضائل عمار كثيرة جدا يطول ذكرها . قال: وروى الأعمش ، عن أبي عبد الرحمن السلمي ، قال: شهدنا مع علي عليه السلام صفين ، فرأيت عمار بن ياسر لا يأخذ في ناحية ولا واد من أودية صفين ، إلّا رأيت أصحاب محمّد ﷺ يتبعونه ، كأنه علم لهم ، وسمعته يقول يومئذ لهاشم بن عتبة : يا هاشم ، تقدم الجنة تحت البارقة .

اليوم ألقى الأحبة   محمّدا وحزبه

والله لو هزمونا حتى يبلغوا بنا سعفات هجر لعلمنا أنا على الحق ، وأنهم على الباطل ، ثم قال:

نحن ضربناكم على تنزيله   فاليوم نضربكم على تأويله
ضربا يزيل الهام عن مقيله   ويذهل الخليل عن خليله
أو يرجع الحق على سبيله

فلم أر أصحاب محمّد ﷺ قتلوا في موطن ، ما قتلوا يومئذ . قال: وقد قال: أبو مسعود البدري وطائفة لحذيفة حين احتضر ، وقد ذكر الفتنة : إذا اختلف الناس فبمن تأمرنا ؟ قال: عليكم بابن سمية ، فإنه لن يفارق الحق حتى يموت – أو قال: فإنه يزول مع الحق حيث زال . قال: أبو عمر : وبعضهم يجعل هذا الحديث عن حذيفة مرفوعا . قال: أبو عمر : وروى الشعبي ، عن الأحنف ، أن عمارا حمل يوم صفين ، فحمل عليه ابن جزء

(٦) الأخمص من باطن القدم: ما لم يصب الأرض .

السكسكي ، وأبو الغادية الفزاري ، فأما أبو الغادية ، فطعنه ، وأما ابن جزء فاحتز رأسه . قلت : هذا الموضع مما اختلف فيه قول أبي عمر رحمه الله ، فإنه ذكر في كتاب الكنى من الاستيعاب[1] أبا الغادية بالغين المعجمة ، وقال: إنه جهني من جهينة ، وجهينة من قضاعة ، وقد نسبه هاهنا فزاريا . وقال: في كتاب الكنى : إن اسم أبي الغادية يسار ، وقيل مسلم . وقد ذكر ابن قتيبة في كتاب المعارف عن أبي الغادية: أنه كان يحدث عن نفسه بقتل عمار ، ويقول : إن رجلا طعنه فانكشف المغفر عن رأسه ، فضربت رأسه ، فإذا رأس عمار قد ندر.

وكيفية هذا القتل تخالف الكيفية التي رواها ابن عبد البر . قال أبو عمر : وقد روى وكيع ، عن شعبة ، عن عبد بن مرة ، عن عبد الله بن سلمة ، قال: لكأني أنظر إلى عمار يوم صفين وهو صريع ، فاستسقى ، فأتى بشربة من لبن ، فشرب ، فقال: اليوم ألقى الأحبة . إن رسول الله ﷺ عهد إلي أن آخر شربة أشربها في الدنيا شربة من لبن ، ثم استسقى ثانية فأتته امرأة طويلة اليدين بإناء ، فيه ضياح[2] من لبن ، فقال: حين شربه : الحمد لله ، الجنة تحت الأسنة ، والله لو ضربونا حتى يبلغونا سعفات هجر لعلمنا أنا على الحق ، وأنهم على الباطل ، ثم قاتل حتى قتل . قال: أبو عمر : وقد روى حارثة بن المضراب : قرأت كتاب عمر إلى أهل الكوفة : أما بعد ، فإني بعثت إليكم عمارا أميرا ، و عبد الله بن مسعود معلما ووزيرا ، وهما من النجباء ، من أصحاب محمّد ، فاسمعوا لهما ، واقتدوا بهما ، فإني قد آثرتكم بعبد الله على نفسي أثرة . قال: أبو عمر : وإنما قال: عمر : هما من النجباء ، لقول رسول الله ﷺ :) إنه لم يكن نبي إلّا أعطى سبعة من أصحابه نجباء وزراء فقهاء ، وإني قد أعطيت أربعة عشر : حمزة ، وجعفرا ، وعليا ، وحسنا ، وحسينا ، وأبا بكر ، وعمر ، وعبد الله بن مسعود ، وسلمان ، وعمارا ، وأبا ذر ، وحذيفة ، والمقداد ، وبلالا (. قال: أبو عمر : وتواترت الاخبار عن رسول الله ﷺ أنه قال:) تقتل عمارا الفئة الباغية (، وهذا من إخباره بالغيب ، وأعلام نبوته ﷺ ، وهو من أصح الأحاديث . وكانت صفين في ربيع الاخر سنة سبع وثلاثين ، ودفنه علي عليه السلام في ثيابه ولم يغسله .

وروى أهل الكوفة أنه صلى عليه ، وهو مذهبهم في الشهداء ، أنهم لا يغسلون ويصلى

(١) الاستيعاب: ٦٨٠. المعارف ١١٢ .
(٢) الضياح ، بالفتح : اللبن الرقيق الكثير الماء .

عليهم . قال: أبو عمر : وكان سن عمار يوم قتل نيفا وتسعين ، سنة ، وقيل : إحدى وتسعين ، وقيل : اثنتين وتسعين ، وقيل : ثلاثا وتسعين .

[ذكر أبي الهيثم بن التيهان وطرف من أخباره]

ثم قال(عليه السلام) : «وأين ابن التيهان» ، هو أبو الهيثم بن التيهان ، بالياء المنقوطة ، باثنتين تحتها ، المشددة المكسورة ، وقبلها تاء منقوطة باثنتين فوقها ، واسمه مالك ، واسم أبيه مالك أيضا ، ابن عبيد بن عمرو بن عبد الأعلم بن عامر الأنصاري ، أحد النقباء ليلة العقبة . وقيل : إنه لم يكن من أنفسهم ، وإنه من بلي بن أبي الحارث بن قضاعة ، وإنه حليف لبني عبد الأشهل ، كان أحد النقباء ليلة العقبة ، وشهد بدرا . قال: أبو عمر بن عبد البر في كتاب) الاستيعاب (اختلف في وقت وفاته ، فذكر خليفة ، عن الأصمعي ، قال: سألت قومه ، فقالوا : مات في حياة رسول الله ﷺ [١] . قال أبو عمر : وهذا لم يتابع عليه قائله . وقيل : إنه توفى سنة عشرين ، أو إحدى وعشرين . وقيل : إنه أدرك صفين ، وشهدها مع علي(عليه السلام) ، وهو الأكثر . وقيل : إنه قتل بها . ثم قال أبو عمر : حدثنا خلف بن قاسم ، قال: حدثنا الحسن بن رشيق ، قال: حدثنا الدولابي ، قال: حدثنا أبو بكر الوجيهي ، عن أبيه ، عن صالح بن الوجيه ، قال: وممن قتل بصفين عمار ، وأبو الهيثم بن التيهان ، وعبد الله بن بديل ، وجماعة من البدريين رحمهم الله . ثم روى أبو عمر رواية أخرى ، فقال: حدثنا أبو محمّد عبد الله بن محمّد بن عبد المؤمن ، قال: حدثنا عثمان بن أحمد بن السماك ، قال: حدثنا حنبل بن إسحاق بن علي ، قال: قال: أبو نعيم : أبو الهيثم بن التيهان ، اسمه مالك ، واسم التيهان عمرو بن الحارث ، أصيب أبو الهيثم مع علي يوم صفين . قال: أبو عمر : هذا قول أبي نعيم وغيره . قلت : وهذه الرواية أصح من قول ابن قتيبة في كتاب المعارف[٢] ، وذكر قوم أن أبا الهيثم شهد صفين مع علي(عليه السلام) ، ولا يعرف ذلك أهل العلم ولا يثبتونه فإن تعصب ابن قتيبة معلوم ، وكيف يقول : لا يعرفه أهل العلم ، وقد قاله أبو نعيم ، وقاله صالح ابن الوجيه ، ورواه ابن عبد البر وهؤلاء شيوخ المحدثين !

[ترجمة ذي الشهادتين خزيمة بن ثابت]

ثم قال(عليه السلام):(وأين ذو الشهادتين) هو خزيمة بن ثابت بن الفاكه بن ثعلبة الخطمي

(١) الاستيعاب: ٦٩٦ .
(٢) المعارف: ١١٧ ، قال: وليس يعرف ذلك أهل العلم ولا يثبتونه .

الأنصاري من بني خطمة [١] من الأوس جعل رسول الله ﷺ شهادته كشهادة رجلين ، لقصة مشهورة[٢] ، يكنى أبا عمارة ، شهد بدرا وما بعدها من المشاهد ، وكانت راية بني خطمة بيده يوم الفتح».[٣]

وقال: قال أبو عمر بن عبد البر في كتاب الاستيعاب [٤] : وشهد صفين مع علي بن أبي طالب(عليه السلام) ، فلما قتل عمار قاتل حتى قتل . قال: أبو عمر : وقد روى حديث مقتله بصفين من وجوه كثيرة ، ذكرناها في كتاب الاستيعاب عن ولد ولده ، وهو محمّد بن عمارة بن خزيمة ذي الشهادة ، وأنه كان يقول في صفين : سمعت رسول الله ﷺ يقول :) تقتل عمارا الفئة الباغية (، ثم قاتل حتى قتل .

قلت : ومن غريب ما وقعت عليه من العصبية القبيحة ، أن أبا حيان التوحيدي قال: في كتاب البصائر : إن خزيمة بن ثابت المقتول مع علي(عليه السلام) بصفين ، ليس هو خزيمة بن ثابت ذا الشهادتين ، بل آخر من الأنصار صحابي اسمه خزيمة بن ثابت ، وهذا خطأ ، لان كتب الحديث والنسب تنطق بأنه لم يكن في الصحابة من الأنصار ، ولا من غير الأنصار خزيمة بن ثابت إلّا ذو الشهادتين ، وإنما الهوى لا دواء له ، على أن الطبري صاحب التاريخ قد سبق أبا حيان بهذا القول ، ومن كتابه نقل أبو حيان ، والكتب الموضوعة لأسماء الصحابة تشهد بخلاف ما ذكراه ، ثم أي حاجة لناصري أمير المؤمنين أن يتكثروا بخزيمة ، وأبي الهيثم ، وعمار وغيرهم ! لو أنصف هذا الرجل ورأوه بالعين الصحيحة ، لعلموا أنه لو كان وحده ، وحاربه الناس كلهم أجمعون ، لكان على الحق ، وكانوا على الباطل».[٥]

الى ان قال في ذكر سعد بن عبادة ونسبه:« وقيس بن سعد بن عبادة بن دليم [٦] الخزرجي ، صحابي ، يكنى أبا عبد الملك ، روى عن رسول الله ﷺ أحاديث ، وكان طوالا

(١) بنو خطمة ، هم بنو عبد الله بن بن أوس .
(٢) ذكر ابن الأثير في أسد الغابة ، قال: روى عنه ابنه عمارة أن النبي ﷺ اشترى فرسا من سواء بن قيس المحاربي ، فجحده سواء ، فشهد خزيمة بن ثابت للنبي ﷺ ، فقال له رسول الله : ما حملك على الشهادة ، ولم تكن حاضرا معنا ؟ قال: صدقتك بما جئت به ، وعلمت أنك لا تقول إلّا حقا ، فقال رسول الله ﷺ : من شهد له خزيمة أو عليه فهو حسبه.
(٣) شرح نهج البلاغة ؛ ابن أبي الحديد ١٠ : ١٠٢ ـ ١٠٩.
(٤) الاستيعاب: ١٥٧ ، ١٥٨ .
(٥) شرح نهج البلاغة ؛ ابن أبي الحديد ١٠ : ١٠٩ ـ ١١٠.
(٦) في الأصول : « دلهم » واثبت ما في الاستيعاب .

جدا سباطا شجاعا، جوادا، وأبوه سعد رئيس الخزرج، وهو الذي حاولت الأنصار إقامته في الخلافة بعد رسول الله ﷺ، ولم يبايع أبا بكر حين بويع، وخرج إلى حوران، فمات بها، قيل قتلته الجن لأنه بال قائما في الصحراء ليلا، ورووا بيتين من شعر، قيل إنهما سمعا ليلة قتله، ولم ير قائلهما:

نحن قتلنا سيد الخزرج	سعد بن عبادة
ورميناه بسهمين فلم	نخطئ فؤاده

ويقول قوم: إن أمير الشام يومئذ كمن له من رماه ليلا، وهو خارج إلى الصحراء بسهمين، فقتله لخروجه عن طاعة الامام، وقد قال: بعض المتأخرين في ذلك:

يقولون سعد شكت الجن قلبه	ألا ربما صححت دينك بالغدر
وما ذنب سعد أنه بال قائما	ولكن سعدا لم يبايع أبا بكر
وقد صبرت من لذة العيش أنفس	وما صبرت عن لذة النهي والامر

وكان قيس بن سعد من كبار شيعة أمير المؤمنين عليه السلام، وقائل بمحبته وولائه، وشهد معه حروبه كلها، وكان مع الحسن عليه السلام، ونقم عليه صلحه معاوية، وكان طالبي الرأي، مخلصا في اعتقاده ووده، وأكد ذلك عنده فوات الامر أباه وما نيل يوم السقيفة وبعده منه، فوجد من ذلك في نفسه وأضمره، حتى تمكن من إظهاره في خلافة أمير المؤمنين، وكما قيل:) عدو عدوك صديق لك.

) ذكر أبي أيوب الأنصاري ونسبه (

وأما أبو أيوب الأنصاري، فهو خالد بن يزيد بن كعب بن ثعلبة الخزرجي، من بني النجار، شهد العقبة وبدرا وسائر المشاهد، وعليه نزل رسول الله ﷺ لما خرج عن بني عمرو بن عوف، حين قدم المدينة مهاجرا من مكة، فلم يزل عنده حتى بنى مسجده ومساكنه، ثم انتقل إليها، ويوم المؤاخاة آخى رسول الله ﷺ بينه وبين مصعب بن عمير. وقال: أبو عمر في كتاب) الاستيعاب[1]) الاستيعاب: إن أبا أيوب شهد مع علي عليه السلام مشاهده كلها، وروى ذلك عن الكلبي، وابن إسحاق، قالا: شهد معه يوم الجمل وصفين، وكان مقدمته يوم النهروان».[2]

(١) الاستيعاب: ٦٢٠.
(٢) شرح نهج البلاغة؛ ابن أبي الحديد ١٠: ١١١ ـ ١١٢.

[١٨٣]

ومن خطبة له عليه السلام:

(ط ـ ١٨٣ / ١) **في قدرة الله وبعثة الرسل:**

في قدرة الله وفضل القرآن والوصية بالتقوى وبعثة رسل الله تعالى.

الحمدُ لِلّهِ المَعْرُوفِ منْ غَيرِ رُؤْيَةٍ، الخَالِق منْ غيرِ مَنْصَبَةٍ[1]، خَلَقَ الخَلاَئِقَ بِقُدْرَتِهِ، واسْتَعْبَدَ[2] الأرْبابَ بِعِزَّته، وسَادَ[3] الْعُظَمَاءَ بِجُودِهِ، وَهُوَ[4] الذِي أَسْكَنَ الدُّنْيا خَلْقَهُ، وَبَعَثَ إلى الجِنِّ والإِنْسِ رُسُلَهُ؛ لِيَكْشِفُوا لَهُمْ عنْ غِطائِها، ولِيُحَذِّرُوهُمْ[5] منْ ضَرَّائِها، ولِيَضْرِبُوا لَهُمْ أمْثالها[6]، وليبصّروهم عيوبها، ولِيَهْجُمُوا[7] عليهِمْ بمُعْتَبرٍ مِنْ تَصَرُّفِ مَصاحِّها[8] وأسْقامِهَا[9]، وَحَلاَلها وحَرَامها، وما أَعَدَّ سبحانه لِلْمُطِيعين منهم والْعُصَاةِ منْ جَنَّةٍ ونَارٍ، وكَرَامَةٍ وَهَوانٍ.

أَحْمَدُهُ إلى نَفْسِهِ كما اسْتَحْمَدَ إلى خَلْقِهِ[10] جَعَلَ[11] لِكلِّ شَيْءٍ قَدْراً[12]، ولِكلِّ قَدْرٍ أجَلاً[13]، ولِكلِّ أجَلٍ كِتَاباً[14].

يستفتح المقطع بالحمد لله تعالى مشيرا إلى خصائص ثلاث للذات المقدسة، بقوله:

(١) في هـ ب: من غير تعبٍ ونصب، وفي هـ. ص: المنصبة بالفتح والنصب: التعب.
(٢) هـ. ص: أي اتخذهم عبيداً.
(٣) في هـ ب: صار سيّداً.
(٤) في ب و ص: هو.
(٥) في هـ ب: من الحذر.
(٦) في هـ. د: لهم عن أمثالها ـ م.
(٧) في هـ ب: هجمت على الشيء: بغتّه.
في هـ. ص: يقال «هجمت على الشيء» أي: وقعت عليه بغتة.
(٨) في هـ ب: مفاعل من الصحة.
(٩) عبارة «وليبصروهم عيوبها» وردت في «ب» هنا.
(١٠) في هـ ب: استحمد إليه: إذا فعل الثناء عليه، وفي هـ. ص: إمّا بمعنى طلب منهم حمده، وإمّا بمعنى أحسن إليهم فاستحق عليهم أن يحمدوه.
(١١) في هـ. د: وجعل ـ ض ب.
(١٢) في هـ. ص: جعل لكل شيء قدرا: أي من أفعاله قدراً، أي: جعله مقدّراً محدوداً لحكمة اقتضت ذلك القدر وتلك الكيفية، كما قال سبحانه: ﴿وكلُّ شيءٍ عنده بمقدارٍ﴾ (الرعد ١٣: ٨)، انتهى من الشرح.
(١٣) في هـ. ص: أي وقتاً تنتهي إليه وينقطع عنده، من الشرح.
(١٤) في هـ. ص: أي رقماً تعرفه الملائكة لحكمة يعلمها.

الاولى: (الحمد الله المعروف من غير رؤية)؛ فإنّ معرفة أي شئ مادي لا يكـون إلّا برؤية العين الباصرة أو ما ينتهى اليها من سائر الحواس حتّى تكون كانها مرئية بالباصرة، سوى الذات المقدسة التي تعرف بالبصيرة من غير رؤية الباصرة.

الثانية: (والخالق من غير منصبة) وهي التعب؛ لأنّ الخلق انما هو بارادته تعالى التي هي عين ذاته، فلا تعب ولا نصب في هذه الارادة الذاتيّة، وانما امره اذا أراد شيئا ان يقول له: كن، فيكون[1].

الثالثة: (خلق الخلائق بقدرته)؛ فإنّ كيفية الخلق يختلف عن خلق الإنسان المادي المفتقر الى الالات والادوات، بل هي خلق بالقدرة الذاتية التي هي عين الذات.

الرابعة: (واستعبد الأرباب بعزته)؛ فإنّ العزة الالهية حاكمة على الكون كلّه من دون استثناء من الارباب وغيرهم؛ فإنّ الخلق جميعا مفتقرون إلى الله سبحانه في وجودهم.

الخامسة: (وساد العظماء بجوده)؛ فإنّ من اسباب العظمة في الحياة الجود، فمن ينتفع به يعترف بالسيادة لمن يجود عليه، وجود الله سبحانه تعم المخلوقات جميعا.

السادسة: (وهو الذي أسكن الدنيا خلقه) ولولا خلقه اياهم لما كان لهم وجود، ولو لا وجودهم في الدنيا لما كان لهم سكون، فكان سكناهم في الدنيا رحمة منه تعالى لهم.

السابعة: بعثة الانبياء وقد فصلها بقوله:

بعثة الانبياء:

وأشار إلى بعثة الانبياء والرسل واهدافهم بما توجبه و الإنسان إلى الحياة الفـضلى بقوله:

١ ـ (وبعث إلى الجن والإنس رسله) فليست الرسالة مختصة بالإنسان عـلى وجـه الارض، بل تعم المخلوقات التي لا يعلمها إلّا الله سبحانه، ممّا هو جن أي مستور على الانسان.

وعن اهداف الرسل قال:

٢ ـ (ليكشفوا لهم عن غطائها) ممّا خفي من خـصائص الدنـيا مـن آثـار المـاضين وخصائص الحياة.

---

(١) يس : ٨٢.

٣ ـ (وليحذروهم من ضرائها) التي تؤثر في حياة الإنسان فيها وفي الاخرة.

٤ ـ (وليضربوا لهم أمثالها) المحسوسة للانسان كي يعتبروا بها في الحياة.

٥ ـ (وليبصروهم عيوبها) فيكونوا على بصيرة في المسير والمصير.

٦ ـ (وليهجموا عليهم بمعتبر) والهجوم: الدخـول غـفلة، والمـعتبر: مـصدر بـمعنى الاعتبار؛ فإنّ حياة الإنسان المستمرة المعتادة تنسي العبر مع كثرتها، فيفتقر إلى من يذكر الإنسان دائما بالاعتبار، وخص بالذكر موارد الاعتبار التالية:

أوّلاً: (من تصرف مصاحها وأسقامها) التصرف: التغيّر، والمصاح: الصحة والعافية؛ فإنّ نعم الدنيا من الصحة لا تدوم إلى الابد، بل لا بد وان تتغير بتغير الازمان والاماكن والعمر.

ثانياً: (وحلالها وحرامها) من قوانين الشريعة الالهية التي تطبق في الحـياة لسـعادة الإنسان في الدنيا والاخرة.

ثالثاً: (وما أعد الله للمطيعين منهم والعصاة من جنة ونار وكرامة وهوان)؛ فإنّ العمل يتبعه الاثر في الدنيا والاخرة، فللمطيعين الجنة والكرامة، وللعصاة النار والهوان.

وختم المقطع بأنواع الحمد بقوله:

١ ـ (أحمده إلى نفسه كما استحمد إلى خلقه) أي طلب الخلق ان يحمدوه لعلّه اشاره إلى قوله تعالى: ﴿فادعوه مخلصين له الدين الحمد لله رب العالمين﴾[1]؛ لأنّ الاخلاص شرط اساسي في حقيقة الحمد، كما أشار إلى ما يترتب على ذلك من الشروط :

اولا: القدر (جعل لكل شئ قدرا) أي مقدرا محدوداً، وقال تعالى: ﴿وكان امر الله قدرا مقدوراً﴾[2] والقدر للحمد لله انما هو ملازم للحياة، فما دام الإنسان حيا بكرمه لابد ان يحمد الله سبحانه.

ثانيا: الاجل (ولكل قدر أجلا) وهو الوقت الخاص به، منها قوله تعالى: ﴿وسبح بحمد ربك بالعشي والابكـار)[3] وقـوله: (و سـبح بـحمد ربك قـبل طـلوع الشـمس وقـبل الغروب﴾[4] و ﴿سبح بحمد ربك حين تقوم﴾[5].

---

(١) غافر : ٦٥.
(٢) الاحزاب: ٣٨.
(٣) غافر : ٥٥.
(٤) ق: ٣٩.
(٥) غافر: ٥٥.

ثالثا: الكتاب (ولكل أجل كتابا) أي نهاية مكتوبة من الله، وهو انتهاء الحياة؛ فإنّ واجب الحمد لله تعالى على ما انعم لاتنتهي إلّا بانتهاء الحياة، ففي كلّ لحظة يتنفس الإنسان لله على الإنسان فضل يجب ان يحمده بالقدرة على التنفس، وهكذا في كلّ لحظة في الحياة.

(٢ / ط - ١٨٣) خصائص القران:

مِنْهَا في ذكر القرآن:

فالْقُرْآنُ آمِرٌ زَاجِرٌ، وصَامِتٌ ناطِقٌ، حُجَّةُ اللهِ على خَلْقِهِ، أخَذَ عليهمْ[1] مِيثَاقَهُ، وارْتَهَنَ عليْهِ[2] أنْفُسَهُمْ[3]، أتَمَّ نُورَهُ، وَأَكْرَمَ[4] بِهِ دِينَهُ.

اشار إلى خصائص القران الكريم الذي حمله الرسول القائد بقوله:

١ ـ (فالقرآن آمرٌ زاجرٌ) في تشريعاته التي تحكم في حياة الإنسان من الاوامر والنواهي.

٢ ـ (وصامتٌ ناطقٌ) ويجمع بين هذين الخصيصتين في نفس الوقت، فباعتبار كونه مكتوبا فهو صامت، ولكن باعتباره قانونا الاهيا فهو ناطق بما يحتويه من القوانين الحاكمة في الحياة.

٣ ـ (حجة الله على خلقه) لما يحتويه من الرسالة التي بلغها وطبقها في حياته .

٤ ـ (أخذ عليهم ميثاقه) بالعمل بالقران، قال تعالى: ﴿واوحي إليّ هذا القران لانذركم به ومن بلغ﴾[5] وقوله: ﴿واذ اخذ الله ميثاق النبيّين لما آتاكم من كتاب وحكمة﴾[6].

٥ ـ (وارتهن عليه أنفسهم) حيث اصبح النجاة للانسان في الحياة مرهون بالوفاء بما اراده الله بالعمل بالقران باعتباره خاتم الكتب السماوية.

٦ ـ (أتم نوره) حيث انّه الكتاب المصدق لما تقدمه من التوراة والانجيل من الكتب السماويّة التي أرسلها الله لهداية البشريّة، فكان اخرها القران الكريم.

---

(١) في ب: عليه، وفي هـ. د: عليه ـ ض ب ش، على المكلفين ـ ك.
(٢) في أو و ط و د: عليهم، وفي هـ. د: عليه ب ش .
(٣) أي أخذ على أداء حق القرآن أنفسهم فإن لم يفعلوا يهلكوا، وفي هـ. د: نفوسهم ـ م.
(٤) في ط د: أكمل، وفي هـ. د: أكرم ـ ش.
(٥) الانعام : ١٩ ؟آل عمران : ٨١؟.
(٦) الانعام : ١٩ ؟آل عمران : ٨١؟.

٧ ـ (وأكمل به دينه)؛ فإنّ الدين الالهي الذي اختاره الله للانسانية واحد في الاهداف وان اختلف الرسل في مختلف العصور ﴿لا نفرق بين أحد منهم ونحن له مسلمون﴾[1].

وهذه الخصائص السبع تميّز القران من غيره من الكتب السماوية، حيث انّه به كمال الدين في العقيدة والشريعة لكل ما يحتاج اليه الإنسان في الحياة الفرديّة والاجتماعيّة والاقتصاديّة والسياسيّة، كما قال تعالى: ﴿اليوم اكملت لكم دينكم واتممت عليكم نعمتي ورضيت لكم الاسلام دينا﴾[2].

(٣ / ط - ١٨٣) السنّة النبويّة:

وقَبَضَ نَبِيَّهُ ﷺ وقدْ فَرَغَ إلى الخَلْقِ منْ أحكامِ الْهُدَى[3] بهِ.

فَعَظِّمُوا مِنْهُ سُبْحانَهُ ما عَظَّمَ منْ نَفْسِهِ، فإنَّهُ لمْ يُخْفِ عنكُمْ شَيْئاً منْ دِينِه[4]، ولمْ يَترُكْ شَيْئاً رَضِيَهُ أوْ كَرِهَهُ إلَّا وجَعَلَ لَهُ عَلَماً[5] بادِياً[6]، وآيةً مُحْكَمَةً[7]. تَزْجُرُ عنْهُ أوْ تَدْعُو إلَيْهِ، فَرِضَاهُ فِيما بَقِيَ وَاحِدٌ، وسَخطُهُ فِيما بَقِي واحدٌ، واْعْلَمُوا أنَّهُ لنْ يَرْضَى عنكُمْ بِشَيْءٍ سَخِطَهُ عَلى مَنْ كانَ قَبْلَكُمْ، ولَنْ يَسْخَطَ عَليكُمْ بِشَيءٍ رَضِيَهُ ممَّنْ كانَ قَبْلَكُم، وإنَّما تَسيرُونَ في أَثَرٍ بيِّنٍ[8]، وتَتكلَّمُونَ بِرَجْعِ قَوْلٍ قدْ قالهُ الرِّجالُ منْ قَبْلِكُمْ، قدْ كَفاكُمْ مؤُونَةَ دُنْياكُمْ، وحَثَّكُمْ على الشكْرِ، وافْتَرَضَ من أَلْسِنَتِكُمُ الذِّكْرَ.

ويتضمن هذا المقطع الاشارة إلى سنة النبي ﷺ وما تستلزمها من العمل بها في الحياة بقوله:

١ ـ (وقبض نبيه ﷺ وقد فرغ إلى الخلق من أحكام الهدى به) فلم يكن وفاة النبي ﷺ إلّا بعد استنفاذ ما عليه من اداء الرسالة إلى الامة كاملة، فقد قبضه الله بعد اعلام الدين كاملة.

---

(١) البقرة: ١٣٦.
(٢) المائدة : ٣ .
(٣) في هـ ب : من الشرائع وغيره.
(٤) في هـ ب : أي أن الله تعالى لم يخف عنكم شيئاً، فاما أمر به وبيّنه، واما نصب لهم عليه دليلاً قاطعاً.
(٥) في هـ ب : علامة.
(٦) في هـ ب : ظاهراً.
(٧) في هـ ب : الآية المحكمة التي لا تحتمل التأويل إلّا حكماً واحداً.
(٨) في هـ. ص: أي أنّ الأدلّة واضحة وليس مراده الأمر بالتقليد، من الشرح.

وعن نتيجة اداء الرسالة كاملة قال:

٢ ـ (فعظموا منه سبحانه ما عظم من نفسه)؛ فإنّ الاقتداء بالسنة النبوية يستلزم تعظيم الله بما عظم سبحانه بنفسه، ومن الرسول ذلك.

وعن السبب في هذا التعظيم قال:

٣ ـ (فإنه لم يخف عنكم شيئا من دينه) حيث بلغ الرسول الاعظم الرسالة كاملة.

٤ ـ (ولم يترك شيئا رضيه أو كرهه)؛ فإنّ الرسول لم يترك شيئا من الوحي الكاشف عما يرضي الله أو يكرهها إلّا وادى رسالته في ذلك.

ثمّ شرح وجوه اداء الرسالة بقوله:

٥ ـ (إلّا وجعل له علما باديا) والعلم: ما يهتدي به من الاثر، وهو تاكيد في ظهور العلم.

٦ ـ (وآية محكمة) من القران الكريم أو السنة المطهرة (تزجر عنه) في النواهـي (أو تدعو إليه) في الاوامر.

٧ ـ (فرضاه فيما بقي واحد) حيث ليس ما يرتضيه الله سبحانه إلّا شئ واحـد، امـا الحرام المزجر عنه أو المطلوب المأمور به، وليس هناك سبب ثالث بينهما؛ فإنّ حكم الله الواقعي واحد لا محالة، سواء طابقه الحكم الظاهري أو خالفه بقصور النصوص عنه.

٨ ـ (وسخطه فيما بقي واحد)؛ لأنّ الحكم الواقعي لا يتغير، دون الحكم الظاهري الذي لا قيمة له مع العلم بالحكم الواقعي.

الموقف من السنّة:

وعن الموقف المطلوب من السنة النبوية المطهرة قال:

١ ـ (واعلموا) ان نتيجة متابعة السنة رضى الله سبحانه وحده، بقوله تعالى:﴿اطيعوا الله وأطيعوا الرسول لعلكم ترحمون ﴾[1].

٢ ـ (أنه لن يرضى عنكم بشيئ سخطه على من كان قبلكم)؛ فإنّ رضا الله سبحانه انما هو بالعمل بما امر به، وما امر به من الاوامر واحد في كلّ الازمان المتاخرة والمتقدمة، فما حرمه الله سبحانه في حياة الرسول موجب لسخطه تعالى، ولن يرضى الله به فيما يأتي من الاجيال.

(١) آل عمران : ١٣٢.

٣ ـ(ولن يسخط عليكم بشئ رضيه ممن كان قبلكم)؛ فإنّ ما أحله الله سبحانه فـي حياة الرسولﷺ موجب لرضاه سبحانه في الاجيال المتقدمة والمتاخرة على حد سواء؛ فإنّ سنة الرسول تطبيق وشرح لحكم الله تعالى.

والى السبب في ذلك أشار بقوله:

٤ ـ (وإنما تسيرون في أثر بين) من السنة النبوية الواضحة المشـروحه فـي تـاريخ حياتهﷺ كقائد اعلى.

٥ ـ (وتتكلمون برجع قول قد قاله الرجال من قبلكم) حيث ان الاقتداء بالسنة يستلزم التكلم بما تكلم به، وهو الرجوع إلى قول قاله الرجال قبلكم مستندين إلى النبىﷺ .

وختم المقطع بالاشارة إلى ثلاث مواقف، هي:

الاولى: (قد كفاكم مؤونة دنياكم) ممّا يحتاج اليه الانسان.

الثانية: (وحثكم على الشكر) على اداء الحقوق الاجتماعيّة، واهـمها الشكـر، قـال تعالى:﴿لئن شكرتم لازيدنكم﴾[1].

الثالثة: (وافترض من ألسنتكم الذكر) قال تعالى:﴿فاذكروني اذكركم﴾.[2]

فان هذه الثوابت تنبع من الايمان بالله الذي هو على كلّ شئ قدير.

(٤ / ط - ١٨٣) التقوى وآثارها:

تتضمن هذا المقطع الوصيّة بالتقوى.

وَأوْصَاكُمْ بالتقْوَى، وَجَعَلَها[3] مُنْتَهَى رِضاهُ وحاجَتَهُ منْ خَلْقِهِ.

فاتَّقوا اللهَ الَّذِي أَنْتُمْ بِعَيْنهِ[4]، ونَوَاصِيكُمْ بِيَدِهِ، وتَقَلُّبُكُمْ في قَبْضَته ـ إنْ أَسْـرَرْتُمْ[5] عَلِمَهُ، وإنْ أعْلَنْتُمْ كَتَبهُ[6]، قدْ وكّلَ بذلكَ[7] حَفَظَةً كِراماً لا يُسْقِطُونَ حَقّاً، ولا يُثْبِتُونَ باطِلاً.

وأشار إلى موجبات التقوى واثارها بنقاط سبع، هي:

(١) ابراهيم : ٧.
(٢) البقرة: ١٢٥.
(٣) في هـ ب : أي التقوى.
(٤) يقال: فلان بعين فلان، إذا كان بحيث لا يخفى عليه منه شيء.
(٥) في هـ. ص: أي لم يعلمه الكاتبون فكتبوه.
(٦) في هـ. ص: أي يؤكّد الحجّة عليكم باستكتابه وان كان علمه محيطاً به.
(٧) في هـ. د: وكّل بكم ـ ض ب .

١ ـ (وأوصاكم بالتقوى)؛ فإنّ الله سبحانه أمر بالتقوى في ايات كثيرة من القران الكريم تبلغ سبعين موردا، منها قوله تعالى:﴿واتقوا الله واعلموا ان الله مع المتقين﴾.(١)

٢ ـ (وجعلها منتهى رضاه) قال تعالى:﴿افمن اسس بينانه على تقوى من الله ورضوان خير﴾.(٢) وقال: ﴿للذين اتقوا عند ربهم جنات تجرى من تحتها الانهار خـالدين فـيها وازواج مطهرة ورضوان من الله﴾(٣).

٣ ـ (وحاجته من خلقه) والحاجة: ما يطلبه؛ فإنّ الله سبحانه طلب التقوى من الخلق في ايات كثيرة امره بها، بقوله: (واتقوا) بلغت ٦٩ مورداً، منها قوله: (واتقوا الله يـا أولي الالباب).

٤ ـ (فاتقوا الله الذي أنتم بعينه) حيث انّه سبحانه يعلم ما يصدر من اعمال الإنسان كما يراه الإنسان بالباصرة، ولا يخفى عليه شئ.

٥ ـ (ونواصيكم بيده) والناصية: مقدم الراس، ومن يتمكن من السـيطرة عـلى ذلك يصبح محكوما بامره، والله هو الحاكم على مصائر العباد.

٦ ـ (وتقلبكم في قبضته) والتقلب: التصرف، حيث انّه تعالى قدير على تغييرها كما يريد.

وختم هذه الموجبات للتقوى بقوله:

٧ ـ (وإن أسررتم علمه، وإن أعلنتم كتبه. قد وكل بذلك حفظة كراما لا يسقطون حقا، ولا يثبتون باطلا) فانّ علم الله سبحانه بما يصدر من العبد من الافعال والاعمال تعم ما اسره وما اعلنه في كلّ الحالات، ولكنّه سبحانه وكل ملائكة تضبط ما يصدر من العـبد حجة عليه يوم القيامة، مشيرا إلى قوله تعالى:﴿وانّ عليكم لحافظين كراما كـاتبين﴾(٤) (راجع المادة في المعجم).

واشار عليه السلام إلى ان المسؤولية لهذه الطائفة من امرين، هما:

(لايسقطون حقا ولايثبتون باطلا) لانها مسؤولية دقيقة في المحاسبة.

(١) البقرة: ١٩٤.
(٢) البقرة: ١٠٩.
(٣) آل عمران : ١٥.
(٤) الانفطار : ١١.

فان هذه النقاط السبع تستوجب الاعتبار بالتقوى في جميع الحالات في الحياة.

(٥/ط - ١٨٣) اثار التقوى:

وعن آثار التقوى قال:

واعْلَمُوا أنَّ مَنْ يَتَّقِ اللهَ يَجْعَلْ لَهُ مَخْرَجاً منَ الفِتَنِ، ونُوراً مِنَ الظُّلَمِ، ويُـخْلِدَهُ فِـيما اشْتَهَتْ نَفْسُهُ، ويُنْزِلَهُ مَنْزِلَةَ(١) الكَرَامةِ عِنْدَهُ، في دَارٍ اصْطَنَعَها لِنَفْسِهِ(٢)، ظِلُّها عَرْشُهُ، ونُورُها بَهْجَتُهُ، وزُوَّارُها مَلاَئِكَتُهُ، ورُفَقاؤُها رُسُلُهُ.

١ ـ (واعلموا انّه من يتق الله يجعل له مخرجا) كما قال تعالى في سورة الطلاق ٢٠.

٢ ـ وصرح الإمام بان المخرج انما هو (من الفتن) وهي الامتحانات التي تعترض حياة أي انسان.

٣ ـ (ونورا من الظلم) حيث يتمتع الإنسان المتقي برؤية واضحة في حياته يـنير له الطريق في اختيار الصراط المستقيم في الدنيا.

٤ ـ (ويخلده فيما اشتهت نفسه) في الدنيا حيث يؤدي واجبه الاسلامي طاهر الضمير.

٥ ـ (وينزله منزل الكرامة عنده) في الاخرة التـي وعـد الله المـتقين، وخـص مـن الخصائص عن المنزلة بقوله:

٦ ـ (في دار اصطنعها لنفسه) كناية عن شدة القرب المعنوى من الله سبحانه، حيث انها الدار التي اختارها لمن رضى اعماله في الدنيا.

٧ ـ (ظلها عرشه) وليس أقرب من ذلك إلى رحمته تعالى دار، فهي دار دون العرش، والعرش يظلها برحمته.

٨ ـ (ونورها بهجته) وهي السرور؛ فإنّ السرور الذي ينعم به الإنسان في هذه الدار نور خالد.

٩ ـ (وزوارها ملائكته) الذين طهرهم الله سبحانه من كلّ رجس، فما اعـظمهم مـن زوّار!.

١٠ ـ (ورفقاؤها رسله) والرفيق: الصاحب المرافق؛ فإنّ الصحبة حينئذ لا يكون إلّا مع من يتبعهم المتقي في الدنيا، وهم الرسل على اختلاف طبقاتهم؛ لوحدة رسالتهم، فـهم

(١) في د: منزل، وفي هـ. د: منزلة ـ ض ب، وفي هـ. ص، وفي نسخة: منزل.
(٢) في هـ ب : يريد بها الجنّة، واختارها لخاصّة أولياء أمره.

جميعا حملوا رسالة الله سبحانه إلى البشر، وكان المتقي ممن تبعها، فاستحق بها هذه المنزلة وما اعظمها من منزله رفيعة!

وهنا وقف عندها عن شرح غيرها حيث لامزيد عليها.

(٦ / ط - ١٨٣) المبادرة إلى العمل:

فَبادِرُوا المَعَادَ، وسَابِقُوا الآجالَ[١]، فإنَّ النَّاسَ يُوشَكُ[٢] أَنْ يَنْقَطِعَ بِهِمُ الْأَمَلُ، ويَرْهَقَهُمُ[٣] الأجَلُ، ويُسَدَّ عَنْهُمْ[٤] بابُ التَّوْبةِ. فقدْ أَصْبَحْتُمْ في مِثْلِ ما سألَ إليْهِ الرَّجْعَةَ مَنْ كانَ قَبْلَكُمْ[٥]، وأَنْتُمْ بَنُو سَبِيلٍ[٦] على سَفَرٍ مِنْ دَارٍ لَيْسَتْ بِدَارِكُمْ، وقدْ أُوذِنْتُمْ[٧] مِنْها بالارْتِحالِ، وأُمِرْتُم فِيها بالزَّادِ.

وبعد العلم بموجبات التقوى واثارها لا يبقى للمؤمن بها سوى المبادرة إلى العمل بما يقتضيه التقوى، وقد سرد ذلك بقوله:

١ ـ (فبادروا المعاد) بالمبادرة إلى ما يطلبه الايمان بالمعاد من العمل في الدنيا.

٢ ـ (وسابقوا الآجال) بالمسارعة إلى ما يقتضيه العلم بحلول الاجل لكل انسان.

٣ ـ (فإن الناس يوشك أن ينقطع بهم الأمل) بسبب حلول الاجل الذي لا يعلم وقته.

٤ ـ (ويرهقهم الأجل) والرهق: حمل الإنسان ما لا يطيقه؛ فإنّ الاجل عند حلوله لا يجعل للانسان أي مجال للعمل حيث لا يطيقه ذلك.

٥ ـ (ويسد عنهم باب التوبة) التي كانت مفتوحة قبل الاجل.

٦ ـ (فقد أصبحتم في مثل ما سأل إلله الرجعة من كان قبلكم) اشارة إلى قوله

(١) في هـ ب : الاجل: الموت .
(٢) في هـ ب : يقرب.
(٣) هـ ب : يغشاهم. هـ. ص: رهقه الأمر بالكسر: غشيه عنوة وفاجئه ودفعه .
(٤) في ب: عليهم. وفي في هـ ب : عنهم .
(٥) في ص: الرجعة إليه. وفي هـ. ص: من سبقكم من في هـ ب : الرجعة، إشارة الى قوله تعالىٰ: ﴿ربِّ ارجعون لعلّي أعمل صالحاً فيما تركت كلّا إنّها كلمةٌ هو قائلها ومن ورائهم برزخٌ إلى يوم يبعثون﴾ المؤمنون ٢٣ : ٩٩. يقول: هبوا إنّكم بلغتم إلى تلك الحال وطلبتم الرجعة ورددتم إلى الدّنيا فاعملوا الآن. وفي هـ. ص: أي إنّ أهل التفريط قد سأل الرجعة الي ما أنتم فيه من دار التكليف وإمكان العمل، فقرِّوا في أنفسكم إنّكم إذا فرَّطتم كتفريطهم سألتم الرجعة كسؤالهم، فلا تجابون كما لم يجابوا، والله أعلم.
(٦) في هـ. ص: ابن السبيل : السائر في الأرض.
(٧) أعلمتم.

تعالى: ﴿رب ارجعون لعلّي اعمل صالحا فيما تركت كلا إنّها كلمة هو قائلها﴾[١]؛ فإنّ حالة الاحتضار تشابه هذه الحالة، حيث يرى الإنسان انّه لا طريق للخلاص من موقفه الآيس.

٧ ـ (وأنتم بنو سبيل) يسيرون في السبيل الذي سلكه كثيرون قبلكم.

٨ ـ (على سفر من دار ليست بداركم)؛ لأنّ الدنيا دار لكم الان كما كانت لمن قبلكم، وستكون لغيركم.

٩ ـ (وقد أوذنتم منها بالارتحال) والاذان: الاعلام بكثرة من يموت امام اعينكم.

١٠ ـ (وأمرتم فيها بالزاد) حيث امر الله سبحانه بقوله: ﴿وتزودوا فان خير الزاد التقوى﴾[٢] فان تنفيذ هذه النقاط تعني المبادرة، واهمالها تعني اهمال موجبات التقوى.

(٧ / ط - ١٨٣) العبرة بالآثار:

واعْلَمُوا أنَّهُ لَيْسَ لِهَذَا الْجِلْدِ الرَّقِيقِ صَبْرٌ على النَّارِ، فارْحَمُوا نُفُوسَكُمْ؛ فإنَّكُمْ قدْ جَرَّبْتُمُوها في مَصَائِبِ الدُّنْيا، فَرَأَيْتُمْ جَزَعَ أَحَدِكُمْ مِنَ الشَّوْكَةِ تُصِيبُهُ، والعَثْرَةِ تُدْمِيهِ، والرَّمْضاءِ[٣] تُحْرِقُهُ؟ فَكَيْفَ إذَا كانَ بيْنَ طابَقَيْنِ[٤] منْ نارٍ، ضَجِيعَ حَجَرٍ وقَرِينَ شَيْطانٍ، أَعَلِمْتُمْ أنَّ مالِكاً[٥] إذا غَضِبَ على النَّارِ حَطَمَ[٦] بَعْضُها بَعْضاً لِغَضَبِهِ وإذا زَجَرَها تَوَثَّبَت[٧] بيْنَ أبْوَابِهَا جَزَعاً منْ زَجْرَتِهِ؟

أَيُّها اليَفَنُ الْكَبِيرُ[٨] الَّذِي قدْ لَهَزَهُ[٩] القَتِيرُ[١٠]، كَيْفَ أَنْتَ إذا الْتَحَمَتْ[١١] أَطْوَاقُ[١٢]

(١) المؤمنون: ١٠٠.
(٢) البقرة: ١٩٧.
(٣) في هـ. ب: الرمضاء: الرملة الحارة، وفي هـ. ص: هي الأرض الشديدة الحرارة، والرَمض ـ بالتحريك ـ: وقع الشمس على الرمل وغيره وتأثيرها فيه الحرارة.
(٤) في هـ ب : الطابق: الآجرّة الكبيرة، فارسي معرّب، وضجيع حجر: إشارة إلى قوله تعالىٰ: ﴿قو أنفسكم وأهليكم ناراً...﴾ (التحريم: ٦٦ / ٦). قيل: انّها حجارة الكبريت. وفي هـ. ص: الطابق ـ بالفتح ـ: الآجرّة العظيمة، فارسي معرّب، انتهى من الشرح ، فكأنّه أراد: بين شيئين متماثلين اطبق أحدهما على الآخر، من قوله تعالىٰ: ﴿لهم من جهنّم مهادٌ ومن فوقهم غواش﴾ (الاعراف: ٧ / ٤١)، ومن قوله: ﴿لهم من فوقهم ظلل من النّار ومن تحتهم ظلل﴾ الزمر: ٣٩ / ١٦، والله أعلم.
(٥) في هـ ب : مالك خازن النار.
(٦) في هـ ب : كسر، وفي هـ. ص: أي كسره وأكله، و«الحطمة» من أسماء النار، لأنّها تحطّم ما يلقى فيها، تمت من الشرح.
(٧) في هـ ب : قرّت.
(٨) في هـ ب : الشيخ.

النَّارُ بِعِظَامِ الأَعْناقِ، ونَشَبَتِ[١٣] الجَوَامِعُ[١٤] حَتّى أَكَلَتْ لُحُومَ السَّواعِدِ؟.

يتضمن هذا المقطع العبرة بالنار في الاخرة وما تستلزمه من العمل بذكر موقفه ونتيجته، فعن المقدمة قال:

١ ـ (واعلموا انّه ليس لهذا الجلد الرقيق صبر على النار) وهذه حقيقة يحسها كل انسان في حياته الخاصة، واشار إلى ذلك بما يستلزم ذلك بقوله:

٢ ـ (فارحموا نفوسكم) من نار الاخرة، فإنّه لاطاقة للانسان بها، واشار الى تجربة الإنسان لها في الدنيا بقوله:

٣ ـ(فإنكم قد جربتموها في مصائب الدنيا)؛ فإنّ من جرّب اخذ جذوة من النار واصطلى بها يعرف أنه لا طاقة للانسان للنار.

وعن المثل قال:

(أفرأيتم جزع أحدكم من) مصائب الدنيا التي تعرض حياة أي انسان، وذكر لذلك امثلة ثلاثة عادية:

أوّلاً: (الشوكة تصيبه)؛ فإنّ الحياة مع النبات لا تخلوا من غرز شوكة الصبر عليها، لا يكون إلّا باخراجها، واخراجها لا يمكن إلّا بجزع مثلها، وقد لا يمكن حتّى يتورم الجلد لفترة.

ثانياً: (والعثرة تدميه) بسبب الوقوع على الارض والارتطام بالاحجار، وما اكثرها في الاسفار.

ثالثاً: (والرمضاء تحرقه؟) من حر الصيف في الصحراء الرملية، حيث يضطر إلى المشي لقطع المسافة في رمضاء الارض الشديدة الحرارة.

فان هذه الحالات امثلة عادية في الدنيا، ولا تقاس مع عذاب الاخرة.

وعن عذاب الاخرة، قال:

---

(٩) في هـ ب : خالطه.
(١٠) في هـ ب : الشيب، وفي هـ أ «لهزه القتير» أي: خالطه الشيب.
(١١) في هـ ب : التفّت وانضمت، وفي هـ. ص: أي خالطت لحمها فأفضت إليها.
(١٢) في هـ ب : جمع طوق.
(١٣) في هـ ب : علقت.
(١٤) في هـ ب : القيود، وفي هـ. ص: جمع جامعة؛ لأنّها تجمع اليدين إلى الرجلين.

(فكيف إذا كان بين طابقين) طبقة عالية وطبقة سافلة بالخصائص الثلاث:

الاولى: (من نار)؛ فإنّ كلا من الطابقين الاعلى والاسفل نارٌ حاميةٌ.

الثانية: (ضجيع حجر)؛ فإنّ الاحجار هي وقود النار التي يضطجع عليها، قال تعالى:﴿وقودها الناس والحجارة﴾[١].

الثالثه: (وقرين شيطان) حيث لا صاحب له في هذا العذاب سوى من يعذب مثله، وهو الشيطان، قال تعالى:﴿ومن يعش عن ذكر الرحمن نقيّض له شيطانا فهو له قرين﴾[٢].

فان من يعذب بذلك من اتباع الشيطان الذي اثرت مواقفهم في مصير الشعوب والامم والاجيال، وتفكيك الاسر والعوائل، ومايتبع ذلك من اثار الذنوب نعوذ بالله منها.

مالك خازن النار:

واشار إلى دور مالك خازن النار بقوله:

١ ـ (أعلمتم أنّ مالكا) وهو الملك الموكل بنار جهنم.

٢ ـ (إذا غضب على النار حطم بعضها بعضا لغضبه) والحطم: الطرح؛ فإنّ النار عذاب استحقها اهلها، واخذوا بجريرة اعمالهم، قال تعالى:﴿وما ادراك ما الحطمة نار الله الموقدة﴾[٣].

٣ ـ(وإذا زجرها توثبت بين أبوابها جزعا من زجرته) والزجر: الصياح بالشئ طارداً له ؛ لمنعه عن الحضور في واجبه، والوثبة: القفز العالي؛ فإنّ الملك الموكل بالنار لو رأى ان النار ليست موقدة كما هو المطلوب صاح بالنار، فتقفز شرارتها إلى الاعلى حتّى تصل إلى الابواب على اثر شدة وقودها.

وهذه الامور عن النار تجعل وصف النار جهنم خارجاً عن قدرة الانسان، حيث انها ليست نار موقدة من قبل البشر، بل هي (نار الله) التي لا تبقي ولا تذر، نعوذ بالله منها.

و إلى نتيجة وصف هذه النار والمثال، أشار إلى العبرة المتوخاة منها بقوله:

أوّلاً: (أيها اليفن الكبير) واليفن: الشيخ المتقدم في العمر، باعتباره مسؤولاً عن حياته التي ولت، والمقدم على حياة الاخرة.

---

(١) .
(٢) الصافات : ٥١ .
(٣) الهمزة : ٤ ـ ٥ .

ثانياً: (الذي قد لهزه القتير) واللهمزة: الخلط، والقتير: الشيب، وهما علامتان لدنوّ الاجل لحظة فلحظة.

ثالثاً: (كيف أنت إذا التحمت أطواق النار بعظام الأعناق! ونشبت الجوامع حتّى أكلت لحوم السواعد) الالتحام: الالتفاف، والجامعة: الغل الذي يجمع اليدين إلى العنق، والسواعد: الذراع، وذلك تصوير لموقف الذل الذي يقفه المجرم في الدنيا في الحديد، فكيف بالموقف المشابه في الاخرة حيث تكون الاطواق والجوامع من النار؟! اللهم انا نستجير بك من النار، خلصنا من النار يارب !؛ فإنّ العبرة لمن يتقدم نحو الموت خطوة فخطوة ان يستعد بالعمل لقرب الاجل.

(٨ / ط ـ ١٨٣) الاستعداد:

وعن الاستعداد ليوم المعاد اشار عليه السلام إلى نقاط بقوله:

فاللهَ ٱللهَ مَعْشَرَ الْعِبَادِ وأَنْتُمْ سالِمُونَ في الصِّحَّةِ[١] قَبلَ السُّقْم، وفي الْفسْحَةِ[٢] قَبْلَ الضّيقِ، فاسْعَوْا في فِكاكِ[٣] رِقابِكمْ منْ قَبْلِ أنْ تغْلَقَ رَهائِنُها[٤].

أَسْهِرُوا عُيُونَكُم[٥]، وَأَضْمِرُوا بُطُونَكُمْ[٦]، وَاسْتَعْمِلُوا أَقْدَامكُمْ[٧]، وَأَنْفِقُوا أَمْوَالَكُمْ[٨]، وَخُذُوا مِنْ أَجْسادِكُمْ[٩] تَجُودُوا[١٠] بِها على أَنْفُسِكُمْ، وَلاَ تَبْخَلُوا بِها[١١] عنْها، فَقَدْ قالَ اللهُ سُبْحانَهُ: ﴿إن تَنْصُرُوا الله ينصركم ويُثبِّتْ أقْدامكم﴾[١٢]، وقالَ

(١) في هـ. ص: متعلّق بناصب «الله الله»، من الشرح.
(٢) في هـ ب : السعة.
(٣) في هـ ب : تخليص.
(٤) في هـ ب : كان في الجاهلية أنّ الراهن إذا لم يرد ما عليه في الأجل المؤقت ملك مال الرهن يقال أغلق الرهن، أي: تعلق بحلقه، وفي هـ. ص: يقال: علق الرهن ـ بالكسر ـ: إذا استحقه المرتهن بأن لا يفكّه الراهن في المشروط وكان ذلك من شرع الجاهلية، فنهى النبي صلى الله عليه وآله عنه وقال: «لا يغلق الرهن». من الشرح.
(٥) في هـ ب : أي لا تناموا، وفي هـ. ص: تهجّدوا.
(٦) في هـ. أ: الإضمار: الدقة والهزال، وفي هـ ص: صوموا.
(٧) في هـ ب : إمشوا في حوائج إخوانكم، وفي هـ. ص: حجوا وجاهدوا.
(٨) في هـ. ص: تصدّقوا.
(٩) في هـ ب : جمع جسد.
(١٠) في ط: فجودوا، وفي هـ. د: فجودوا ـ ض، ما تجدوا ـ ب، وفي هـ ب : تميلوا.
(١١) في هـ. ص، وفي نسخة: عليها.
(١٢) سورة محمّد صلى الله عليه وآله: ٤٧ / ٧.

تعالىٰ: ﴿مَن ذا الّذي يُقْرض ٱلله قرضاً حسناً فيُضاعفهُ له ولهُ أجرٌ كريم﴾[١].

فَلَمْ[٢] يَسْتَنْصِرْكُمْ مِنْ ذُلٍ، وَلَمْ يَسْتَقْرِضْكُمْ مِنْ قُلٍّ[٣]؛ اسْتَنْصَرَكُمْ وَلَهُ جُنُودُ السَّمَوَاتِ وَٱلأَرْضِ وَهُوَ ٱلْعَزِيزُ الحَكِيمُ، وَاسْتَقْرَضَكُمْ وَلَهُ خَزَائِنُ السَّمٰوَاتِ وَٱلأَرْضِ وَهُوَ ٱلْغَنِيُّ الحَمِيدُ، وَإِنَّمَا أَرَادَ[٤] أَنْ يَبْلُوَكُمْ أَيُّكُمْ أَحْسَنُ عَمَلاً.

(فالله الله معشر العباد) على سبيل الاغراء، أي اتقوا الله، بالتكرار استعدادا للعمل.

١ ـ (العمل وأنتم سالمون) من العوارض التي تمنع من الاستعداد للعمل، واهمها:

٢ ـ (في الصحة قبل السقم)؛ فإنّ الصحة لا تدوم إلى الابد، فلابد من العمل قبل السقم الطارئ عليها.

٣ ـ (وفي الفسحة قبل الضيق)؛ فإنّ الفسحة للعمل متوفرة قبل حلول الاجل الذي به يكون الضيق.

٤ ـ (فاسعوا في فكاك رقابكم من قبل أن تغلق رهائنها) وفكاك الرقاب: عتقها، وغلق الرهن اذ استحقه المرتهن لعدم فك الراهن ذلك في الوقت المشروط .

٥ ـ (أسهروا عيونكم) بترك النوم في وقت صلاة الليل بالتهجد والعبادة ليلا.

٦ ـ (وأضمروا بطونكم) بتجنب الاكل أو بالصوم للتطوع؛ الموجب للضمور، أي الهزال.

٧ ـ (واستعملوا أقدامكم) بالسعي فيما يكون واجبا ويعود بالخير على النفس والمجتمع.

٨ ـ (وأنفقوا أموالكم) في سبيل الله بعمل الخيرات العامة للمحتاجين وغيرهم.

٩ ـ (وخذوا من أجسادكم وجودوا بها على أنفسكم)؛ فإنّ الراحة للجسم يوجب الكسل في أداء الواجبات، بل ولا بد من الجود براحة الجسم في سبيل الاخرة التي يعود على النفس.

١٠ ـ (ولا تبخلوا بها عنها)؛ فإنّ البخل باستخدام الجسم فيما له القدرة من المسؤوليات بخل بنعمة الله تعالى.

(١) البقرة: ٢ / ٢٤٥ .
(٢) في ص: ولم في هـ. ص، وفي نسخة: فلم.
(٣) في هـ ب : من قُلّ: أي: من قِلّة.
(٤) في هـ. د: وأراد ـ ب.

و هذه النقاط العشر هي ورقة عمل للانسان في الحياة استعداداً للاخرة.

نصوص قرآنية:

وقد سرد نصوصا قرانية مساندة لهذه النقاط بقوله:

١ ـ (فقد قال الله سبحانه: ﴿إن تنصروا الله ينصركم ويثبت أقدامكم﴾[١] ؛ فإنّ هذه النقاط نصر لدين الله وتثبيت الاقدام في الحياة بالرؤية الواضحة في الدنيا والثواب في الاخرة.

٢ ـ وقال تعالى:﴿من ذا الذي يقرض الله قرضا حسنا فيضاعفه له وله أجر كريم﴾[٢].

فان العمل في الدنيا يترتب عليه الثواب في الاخرة، كالقرض العائد الى الانسان، واشار إلى ان القرض في هذه الاية الكريمة ليس لحاجة، بل لما يعود على الإنسان من نفع بقوله:

ـ (فلم يستنصركم من ذل) كما هو الحال لمن يستنصر غيره في الدنيا.

ـ (ولم يستقرضكم من قل) في المال كما هو الحال في المستقرضين في الدنيا، بل استنصركم واستقرضكم لما يعود نفعه عليكم في الاخرة.

٣ ـ(استنصركم) في الوقف الذي لاحاجة له لكم، حيث أن ﴿له جنود السماوات والأرض وهو العزيز الحكيم﴾[٣] .

٤ ـ(واستقرضكم وله خزائن السماوات والأرض وهو الغني الحميد) اقتباساً من قوله تعالى:﴿ولله جنود السموات والارض﴾[٤]، وقوله تعالى:﴿واعلموا ان الله غنيّ حميد﴾[٥].

و إلى السبب الموجب لهذين من الاستنصار والاستقراض أشار بقوله:

٥ ـ (وانما أراد أن يبلوكم أيكم أحسن عملا) والبلاء: الامتحان، اقتباساً من قوله تعالى:﴿هو الذي خلق الموت والحياة ليبلوكم ايكم احسن عملاً﴾[٦] .

(٩ / ط ـ ١٨٣) نتيجة المبادرة:

(١) محمّد : ٧.
(٢) البقرة: ٢٤٥.
(٣) الفتح : ٧.
(٤) المنافقون : ٧.
(٥) البقرة: ٢٦٧.
(٦) الملك: ٣.

ولخص المقطع بما يقتضيه نتيجة التقوى، وهو المبادرة، بقوله: (فبادروا بأعمالكم) التي هي مبادرة للاخرة استعداداً، فان نتيجة المبادرة ما ياتي:

فَبادِرُوا بِأَعْمالِكُمْ تَكُونُوا مَعَ[١] جِيرَانِ ٱللهِ في دَارِهِ، رَافَقَ بِهِمْ رُسُلَهُ، وَأَزارَهُمْ[٢] مَلَائِكَتَهُ، وَأَكْرَمَ أَسْماعَهُمْ عَن أنْ[٣] تَسْمَعَ حَسِيسَ[٤] نارٍ أبداً، وَصانَ أَجْسادَهُمْ أَنْ تَلْقَى لُغُوباً[٥] وَنَصَباً:﴿ذَٰلِكَ فَضْلُ ٱللهِ يُؤْتِيهِ مَنْ يَشاءُ وَٱللهُ ذُو ٱلْفَضْلِ ٱلْعَظِيمِ﴾[٦].

أَقُولُ ما تَسْمَعُونَ، وَٱللهُ المُسْتَعانُ على نَفْسِي وَأَنْفُسِكُمْ؛ وَهُوَ حَسْبُنا[٧] وَنِعْمَ الْوَكِيلُ!.

(تكونوا مع جيران الله في داره) أي دار الاخرة؛ فإنّ القرب المعنوي من الله سبحانه والتنعّم بنعيم ثوابه الخالد بمنزلة الجوار، ولها الخصائص التالية:

أوّلاً: (رافق بهم رسله) حيث ان الله سبحانه خصهم بمرافقة الرسل.

ثانياً: (وأزارهم ملائكته) فإنّه سبحانه يأمر ملائكته بزيارتهم.

ثالثاً: (وأكرم أسماعهم أن تسمع حسيس نار أبدا) والحسيس: الصوت الخفي؛ فإنّ بعدهم عن مواقع اهل النار بسبب استحقاقهم تجعلهم في صيانة من هذا السماع.

رابعاً: (وصان أجسادهم أن تلقى لغوبا ونصبا) اللغوب: سنة الاعياء، والنصب: التعب؛ فإنّ حياة الاخرة ليس كحياة الإنسان المادي المتلبس بها، بل هي حياة منزهة عنها.

خامساً: ختم حقيقة المبادرة هذه بانها من فضل الله تعالى؛ فإنّ سبحانه قال: ﴿ذلك فضل الله يؤتيه من يشاء والله ذو الفضل العظيم﴾[٨] .

وختم المقطع بقوله: (أقول ما تسمعون، والله المستعان على نفسي وأنفسكم، وهو حسبي ونعم الوكيل).

[١٨٤]

(١) في ص: من وفي هـ. ص، وفي نسخة: مع.
(٢) في هـ ب : من زار يزور.
(٣) في هـ ب : لم ترد «عن» في ط و د وفي هـ. د: عن ان تسمع ـ م.
(٤) في هـ ب : صوت.
(٥) في هـ ب : اللغوب: النصب والتعب.
(٦) سورة الحديد : ٢١ .
(٧) في هـ. د: فهو حسبي ـ ب وحسبنا الله ـ ل .
(٨) المائدة : ٥٤ .

ومن كلام له عليه السلام قاله للبرج[1] بن مسهر[2] الطائي[3] وقد قال له بحيث يسمعه: «لا حكم إلّا لله» وكان من الخوارج:

(١ / ط - ١٨٤) مواجهة المهرّجين:

أَسْكُتْ قَبَّحَكَ[4] اللهُ يا أَثْرَمُ[5] فَوَاللهِ لَقَدْ ظَهَرَ الحَقُّ فَكُنْتَ فيهِ ضَئِيلاً[6] شَخْصُكَ. خَفِيّاً صَوْتُكَ حَتّى إذا نَعَرَ[7] الْباطِلُ نَجَمْتَ نُجُومَ[8] قَرْنِ الْمَاعِزِ[9].

قال ابن أبي الحديد في الشرح : «البرج بن مسهر – بضم الميم وكسر الهاء – بن الجلاس بن وهب بن قيس بن عبيد بن طريف بن مالك بن جدعاء بن ذهل بن رومان بن جندب بن خارجة بن سعد بن قطرة بن طي بن داود بن زيد بن يشجب بن عريب بن زيد بن كهلان بن سبا بن يشجب بن يعرب ابن قحطان ، شاعر مشهور من شعراء الخوارج ، نادى بشعارهم بحيث يسمعه أمير المؤمنين عليه السلام ، فزجره».[10]

لا يخلو مجتمع من مهرجين تنقصهم الكفاءة فيستخدمون الفتنة، وينتهزون الفرص لهذا الهدف، والإمام في هذا المقطع يحدد الموقف الحكيم في مواجهة المهرجين كاثبات وجودهم ممّا يكشف عن حقيقة شخصيتهم في نقاط ثلاث:

الاولى: عدم الاهتمام بالمهرّج حتّى يبدوا منه شيئ، فإنّه لا قصاص قبل الجناية في الاسلام.

الثانية: عند ظهور ما يدعو إلى التهريج يجب الرد السريع لتظهر حقيقة المهرّج.

الثالثة: ان الرد يجب ان يكون مدعوماً من مواقف الهرج السلبية والايجابية.

---

(١) في ب: لبرج.
(٢) في هـ. ص: بضمّ الميم وكسر الهاء.
(٣) وهو أحد شعراء الخوارج.
(٤) في هـ. ص: كلمةٌ معناها: كسّرك، يقال: قبحت الجوزة، أي: كسّرتها، وقيل: قبّحه: نحّاه من الخير، انتهى من الشرح.
(٥) في هـ. ب: الأثرم في اللغة: من سقط ثنيته، وليس ذلك بعيب ، وبرج الطائي لعلّه أثرم، ومعناه: يامن فعله. أو يلقب به لوجه معيب، وفي هـ. ص: كان ساقط الثنية فأهانه بأن دعاه به عقوبة.
(٦) في هـ. ب: دقيقاً، وفي هـ. ص: هو الدقيق الخافي.
(٧) في هـ. ب: صاح، وفي هـ. ص: أي صاح داعياً لأهله.
(٨) في هـ. ب: نجم القرن والسنّ: أي ظهر، وفي هـ. ص: ظهرت.
(٩) في هـ. ب: الشاة، وفي هـ. ص: أي أعوج ملويّها.
(١٠) شرح نهج البلاغة ؛ ابن أبي الحديد ١٠ : ١٣٠.

وقد استخدم الإمام هذه النقاط في التهريج الذي قام به البرج بن مسهر الطائي من شعراء الخوارج، فرفع شعارهم: (لاحكم إلّا لله) حيث سمع الإمام فردّ عليه سريعا، ولم يواجهه بشيئ من قبل حيث لم يدوا منه شيئ يؤخذ عليه، وبعد أن ابدى ذلك جابهه بالرد السريع بقوله:

أوّلاً: (أسكت قبحك الله يا أثرم) وقبحك الله لفظة معناها كسّرك ونحّاك عن الخير، وخاطبه بوصف طبيعيّ فيه؛ فإنّ الأثرم من كسرت ثنيته، فاهانه بها كما يهان اصحاب العاهات، كما اهان هو الإمام برفع هذا الشعار ليسمعه، فهي اهانة في مقابل إهانة من دون تعدٍ.

ثانياً: ان مواقف الرجل وتاريخ حياته تكشف عن نفسيته وشخصيّته، فإنّه لم يظهر منه أي عمل ايجابي في حياته من قبل لمساندة الحق.

واكد الإمام ذلك بقوله: (فوالله لقد ظهر الحق فكنت فيه ضئيلا شخصك، خفيّاً صوتك) وذلك؛ لأنّ مساندة الحق من امرين؛ اما ان يكون عمليا بالحضور في الساحة بما يتمتع به الإنسان من مواقف عمليّة.

واما ان تكون المساندة بالقول فيما اذا كان له مواهب خطابية.

وهذا المهرّج لم يكن له شئ من الأمرين في تاريخ حياته، فلم يكن له مواقف ايجابية في العمل بنصرة الحق بالجهاد مثل هذا الاعلان المهرج، بل كان شخصه في ذلك ضئيلاً، أي ضعيفا كما لم يكن له أي مواقف خطابية في الاعلان والشعر، فكان صوته (خفيّا) لم يسمع منه شعرا أو خطابه أو اعلان في نصرة الحق.

ثالثاً: ان هذا الشخص الخامل والصوت الخافت اصبح صوتا معلنا في الفتنه حيث رفع شعار (لا حكم إلّا لله) عند خروج الخوارج لا قبله، وهذا هو دور من يطلب الفتنة ليستخدمه للتعريب عن شخصيته، ولذلك قال عليه السلام: (حتى إذا نعر الباطل نجمت نجوم قرن الماعز) والنعر: الصياح، والنجم: الطلوع عند الوقت المحدد كالنجوم، وقرن الماغر: كناية عن الدور الذي يقوم به الهرج وهو الطعن لا،غير من دون أي عمل الجايبي؛؛ لأنّه يريد اثبات الوجود بهذا الاعلان لا غير، ومن أجل ذلك وصفه الإمام بانه اظهر حقيقته بأن رفع الشعار الذي يرفعه الخوارج؛ ليكون في دور الطاعن عند تحقق موقع الفتنة في وقتها المحدد.

وبهذه النقاط الثلاث كشف الإمام عن حقيقة دور المهرجين الذين لا يقصدون سوى الفتنة، فلابد من مواجهتهم بالنقاط المذكورة، والله العاصم.

[١٨٥]

ومن خطبة له عليه السلام:

(١ / ط - ١٨٥) حمد الله تعالى:

يتضمن حمد الله فيها وصفات الذات المقدسة ويثني على رسوله ويصف خلقاً من الحيوان من النمل والجراد والسماوات.

استفتح المقطع بالحمد لله تعالى وعقّبه بصفات الذات المقدسة الموجبة لذلك بقوله:

الحَمْدُ للهِ الذِي لا تُدْرِكُهُ الشَّوَاهِدُ، ولا تَحْوِيهِ المَشَاهِدُ[١]، ولا تَرَاهُ النَّـوَاظِـرُ، ولا تَحْجُبُهُ السَّوَاتِرُ، الدَّالِّ على قِـدمِهِ بِـحُدوثِ خَـلْقِهِ، وبِـحُدُوثِ خَـلْقِهِ عـلى وُجُـودِهِ، وبِإشْتِباهِهِمْ[٢] على أنْ[٣] لا شَبهَ لهُ، الَّذِي صَدَقَ في ميعَادِهِ، وارْتَفَعَ عنْ ظُـلْمِ عِـبَادِهِ، وقامَ[٤] بالْقِسْطِ[٥] في خَلْقِهِ وعَدَلَ عليهِمْ في حُكْمِهِ، مُسْتَشْهِدٌ[٦] بِحُدُوثِ الأشْياءِ على أزَلِيَّتِهِ، وبِمَا وسَمَها[٧] بِهِ منَ الْعَجْزِ على قُدْرَتِهِ، وبِمَا اضْطَرَّها إليْهِ منَ الْفَناءِ على دَوامِهِ.

واحِدٌ لا بِعَدَدٍ[٨]، دَائِمٌ[٩] لا بِأمَدٍ[١٠]، وقائِمٌ[١١] لا بِعَمَدٍ، تَـتلَقَّاهُ[١٢] الأذْهـانُ[١٣] لا بِمُشَاعَرَةٍ[١٤]، وتَشْهَدُ لهُ المَرَائِي[١٥] لا بمُحَاضَرَةٍ، لمْ تُحِطْ بِهِ الأَوْهامُ[١٦]، بَـلْ تَـجلَّى

(١) في هـ. ص: هي المجالس والنوادي، انتهى من الشرح.
(٢) في ص: وبأشباههم.
(٣) في ب: ألّا .
(٤) في هـ. ب: قام وأقام بمعنى واحد.
(٥) في هـ. ب: العدل.
(٦) في ب: مستشهَد، وفي هـ. د: وروي مستشهداً ـ ر، وفي هـ. ب: بالفتح أصح، ومستشهد بالأشياء والقدرة في عجز الخلق، تقديره: مستشهد على أزليّته بحدوث الأشياء.
(٧) في هـ. ب: من وسمه، أي: وسم به، من العلامة.
(٨) في هـ. ب: واحد لا ثاني له، ولا ينضم إليه غيره في العدد.
(٩) في ص: دائم، وفي هـ. ص، وفي نسخة: ودائم.
(١٠) في هـ. ب: زمان.
(١١) في ب ص: قائم، وفي هـ. ص، وفي نسخة: وقائم.
(١٢) في ب: فتلقاه، وفي هـ. ب: من التلقي.
(١٣) في هـ. ب: جمع ذهن، وهو الفهم.
(١٤) المشاعرة: انفعال إحدى الحواس بما تحسّه، هـ ب: الحواس، هـ ص: يعني ادراك الحواس .

لَها[١٧]، وبِهَا امْتَنَعَ مِنْها، وإلَيْها حَاكَمها[١٨]، لَيْسَ[١٩] بِذِي كِبَرٍ امْتَدَّتْ بِهِ النِّهايَاتُ فَكَبَّرَتْهُ تَجْسِيماً، ولا بِذِي عِظَمٍ تَناهَتْ بِهِ الْغايَات فَعظَّمَتْهُ تَجْسِيداً، بَلْ كَبُرَ شَأناً، وعَظُمَ سُلْطَاناً.

١ ـ (الحمد لله الذي لا تدركه الشواهد) وهي الحواس الخمس التي تشهد على وجود الشئ المحسوس لتنزّه الذات عن الحس.

٢ ـ (ولا تحويه المشاهد) وهي اماكن تواجد المشاهدات؛ لانها محسوسات، والذات المقدسة منزهة عنها.

٣ ـ (ولا تراه النواظر) بالعين الناظرة التي لا تشاهد سوى المحسوسات.

٤ ـ (ولا تحجبه السواتر)؛ لأنّ الستر انما يكون للشئ المحسوس، فلا يحجب الله حجاب.

٥ ـ (الدال على قدمه بحدوث خلقه)؛ فإنّ حدوث الخلق دليل على قدم الخالق؛ لافتقاره إلى واجب الوجود القديم بذاته، وتسلسل العلل لابد وان تنتهي إلى العلّة الاولى التي لا تتصف بالحدوث.

٦ ـ (وبحدوث خلقه على وجوده) لما تقدم من ان الحادث لابد وان ينتهي إلى العلّة الاولى القديمة بالذات وهو واجب الوجود لذاته، وهو الله سبحانه.

٧ ـ (وباشتباههم على أن لا شبه له)؛ فإنّ الشبه بين الموجودات انما هو في الحادثات، وليس لواجب الوجود شبيه ولا مثيل.

٨ ـ (الذي صدق في ميعاده) بأن خلق الإنسان في احسن تقويم، وكذلك لا يخلف الميعاد في المستقبل.

٩ ـ (وارتفع عن ظلم عباده)؛ فإنّ الظلم من الصفات التي تخلى عنها الذات المقدسة؛ اذ لا يكون إلّا عن حاجة، وهو الغني عن العالمين.

(١٥) في هـ. ب: جمع مرآة، على مفعلة، وهو المنظر الحسن.
(١٦) في هـ. ب: لم يحط الأوهام، أي: فكرته تجلّي الله للأوهام ولا حجابها بالأوهام؛ لأنّ الأوهام تقع على أنّه لولا الله لم يكن وهم ولا صاحب وهم ولا يقع الوهم وعلي أنّ الخالق تعالى كما يقع عليه الوهم والله تعالى خالق الأوهام أي جعلكم على نفس الأوهام بأنّها لا تحيط به ولا تقع على ذاته، والمحاكمة: الموافقة،
(١٧) في ط بها.
(١٨) أي: حكمت الأوهام على نفسها بالعجز.
(١٩) في هـ. ب: أي ليس هو.

١٠ ـ (وقام بالقسط في خلقه)؛ فإنّ ما خلقه سبحانه من المخلوقات حسب حاجتها ودورها التي تفتقر اليه، ولو اعطيت بعض هذه المخلوقات ما لغيرها لاضرت في الحياة، فعلى سبيل المثال لو كانت الهرر تطير لما بقي الطير في الهواء، وما يعلم المصير إلّا الله في حكمه التكويني.

١١ ـ (وعدل عليهم في حكمه) التشريعي كما كان في حكمة التكويني؛ فإنّ الشريعة الاسلامية تكفّلت العدالة في احكامها العبادية والحياتية والاقتصادية والسياسية وغيرها.

١٢ ـ (مستشهد بحدوث الأشياء على أزليته)؛ فإنّ الحادث لابد وان يستند في وجوده إلى علل مادية تنتهي الى علة العلل الحاكمه في الوجود وهي الذات الازلية.

١٣ ـ (وبما وسمها به من العجز على قدرته)؛ فإنّ الاشياء في وجودها تفتقر إلى موجود غني في وجوده عن غيره، وهذا لعجزها عن ايجاد نفسها، وهذا يدل على قدرة موجدها تعالى.

١٤ ـ (وبما اضطرها إليه من الفناء على دوامه) حيث ان مصير جميع الاشياء إلى الفناء يسير اليه مضطراً في الحياة من دون اختيار، وهذه حقيقة الحادث دون واجب الوجود لذاته.

١٥ ـ (واحد لا بعدد)؛ فإنّ الوحدة في ذات الباري وحدة بالذات، دون غيره من الاشياء الحادثة التي وحدتها اما بالزمان أو المكان أو النوع وما شابه؛ فإنّ واجب الوجود منزّه عنها جميعا.

١٦ ـ (ودائم لا بأمد) والامد: الغاية؛ فإنّ دوام أي شئ مادي يكون منتهيا بانتهاء ذلك الامر الزماني، وليس كذلك واجب الوجود.

١٧ ـ (وقائم لا بعمد) أي بسبب، والقيام: الوجود؛ فإنّ وجود أي شئ يكون بسبب سوى واجب الوجود.

١٨ ـ (تتلقاه الأذهان لا بمشاعرة) أي الشعور باحدى الجواس الخمس، لتنزه الذات المقدسة عنها.

١٩ ـ (وتشهد له المرائي لا بمحاضرة) والمرآة: المنظر للشئ، ولا يمكن إلّا بالحضور في المحسوسات، والله سبحانه تشهد له الموجودات بدلالة الآثار على المؤثر من دون

محاضرة.

٢٠ ـ (لم تحط به الأوهام) أي العقول لقصورها، وهي في عالم المادة من ادراك ماوراء الطبيعة.

٢١ ـ (بل تجلى لها بها)؛ فإنّ الله سبحانه يتجلى للاوهام بواسطة الاوهام نفسها؛ فإنّ وجود الاوهام التي هي من الحادثات تدل على وجود من يحدثها بالاجمال حتّى تنتهي إلى علة العلل وهو واجب الوجود.

٢٢ ـ (وبها امتنع منها) فإنّه تعالى امتنع وصفه بالتفصيل بسبب هذه الاوهام المادية العاجزة عن ادراك ما وراء الطبيعة، فامتنع وصفه تعالى من هذه الاوهام لعجزها عن خارج دائرتها.

٢٣ ـ (وإليها حاكمها)؛ فإنّ الله سبحانه إلى هذه الاوهام حاكم الاوهام نفسه، بأن عجزها عن تصور ما ليس في دائرة تصورها مما وراء الطبيعة دليل على عجزها عن معرفة واجب الوجود، وهذا حكم عليها بالاعتراف بالعجز؛ لانها لا تنكر وجود نفسها، وان وجود نفسها يفتقر إلى موجد لا تعرفه تفصيلا، فلابد من ان تعترف بوجوده.

٢٤ ـ (ليس بذي كبر امتدت به النهايات فكبرته تجسيما)؛ فإنّ الله سبحانه كبير متعال، وليس كالمادي الذي يقاس بالامتداد إلى نهاية جسميّة؛ لأنّه منزّه عن الجسميّة في الطول والعرض والعمق.

٢٥ ـ (ولا بذي عظم تناهت به الغايات فعظمته تجسيدا)؛ فإنّ العظمة لله ليست بالمقاييس المادية التي تكون في الاجساد، والجسد: الجسم ذو الدم كالحيوانات؛ لأنّ الجسميّة من عوارض المادة والماديات، وذات واجب الوجود منزّه عنها.

وعن نتيجة هذه الخصائص للذات واجب الوجوب قال:

(بل كبر شأناً، وعظم سلطاناً) حيث ان الكبر والعظمة في الشأن والسلطان لله سبحانه يفوق أي وصف يقاس به الماديات، وهو حاكم على جميع المخلوقات في الكون، فلا إله سواه يتصف بوجوب الوجود.

(٢/ط - ١٨٥) وصف الرسول الاعظم:

وأَشْهَدُ أن لا إله إلّا الله وحده لا شريكَ لهُ[1] وأَشْهَدُ أنَّ مُحَمّداً عَبْدُهُ ورَسُولُهُ الصَّفِيُّ[2]، وأَمِينُهُ الرَّضِيُّ[3] صلّى اللهُ عليْهِ وآلِهِ وسلّم، أرْسَلَهُ بِوُجُوبِ الحُجَجِ[4]، وظُهُورِ الْفَلْجِ، وإيضَاحِ المَنْهجِ، فَبَلَّغَ الرِّسَالةَ صَادِعاً[5] بها، وحَمَلَ على المَحَجَّةِ[6] دَالّاً عليها، وأقامَ أعْلَامَ الاهْتِدَاءِ، ومَنارَ الضِّيَاءِ، وجَعلَ أمْرَاسَ[7] الإسْلَامِ مَتِينَةً، وعُرَى[8] الإيمانِ وثِيقَةً.

ويتضمن المقطع الشهادة الثانية لاوصاف النبي القائد ﷺ وخصائص رسالته الخاتمة بقوله:

١ ـ (وأشهد أن محمّدا) ابن عبد الله الهاشمي الذي كان بشراً اختاره الله بالوحي.

٢ ـ (عبده) يعبد الله كسائر العباد من الانبياء والرسل والشهداء والصيقين وعباد الله الصالحين.

٣ ـ(ورسوله) خصّه الله سبحانه بخاتمية الرسل من قبله.

٤ ـ (الصفي) حيث اجتباه دون سواه من الخلق لتحمّل الرسالة.

٥ ـ (وأمينه) على الوحي وتبليغه وتطبيقه في المجتمع.

٦ ـ(الرضي) عند الله سبحانه وعند الخلق اجمعين؛ لأنّه رحمة للعالمين.

وعن مسؤولياته العباديّة قال:

١ ـ (أرسله بوجوب الحجج) فانه ﷺ أتمّ الحجة على الخلق اجمعين بتطبيق رسالة الاسلام عقيده وشريعة على وجه الارض.

٢ ـ (وظهور الفلج) والفلج: الظفر، فلم يظفر بهذه الحقيقة غيره من الانبياء قبله.

٣ ـ(وإيضاح المنهج) في تطبيق حكم الله على الارض في السلم والحرب حتّى بين المجتمع الاسلامي الاول.

(١) لم ترد «وأشهد أن لا إله إلّا الله وحده لا شريك له» في ب و ط.
(٢) في هـ. ص، وفي نسخة: المصطفى، وفي هـ. د: المصطفى ـ ف ن. عبده الصفي ـ م ل.
(٣) في هـ. ص: في نسخة: المرتضى.
(٤) أي ليلزم العباد بالحجج؛ والفلج: الظفر وظهور الفلج: إعلاء كلمة الإسلام.
(٥) في هـ. ب: مبيّناً صائحاً.
(٦) في هـ. ب: الطريق.
(٧) في هـ. ب: أي حبالها محكمة، والمرسة: الحبل.
(٨) في هـ. ب: جمع عروة.

٤ ـ(فبلغ الرسالة صادعا بها) والصدع: الجهد، حيث طبقها معلنا عن المبادئ والثوابت الاسلاميّة.

٥ ـ (وحمل على المحجة دالاً عليها) حيث ان في سنته المطهرة دلالة للسلوك في الطريق للعمل.

٦ ـ (وأقام أعلام الاهتداء) لتأسيس الثوابت الاسلامية، والتأكيد عليها لاهتداء الاجيال القادمة.

٧ ـ(ومنار الضياء)؛ فإنّ سيرته العطرة في الثوابت تضئ الطريق لمن اتبع الهدى.

٨ ـ(وجعل أمراس الاسلام متينة) قوية بالتأكيد على الثوابت التي منها قوانين الجهاد.

٩ ـ(وعرى الايمان وثيقة من جهتين النظرية والتطبيق لا يمكن الفصل بينهما.

فان هذه النقاط تكشف عن اساس متين للمجتمع الاسلامي يهتدى بها من اراد الحفاظ على الحضارة الالهيّة بتطبيقها في كافة مجالات الحياة الفرديّة والاجتماعيّة والاقتصاديّة والسياسية.

(٣/ط - ١٨٥) الدلالة على الخالق:

منها في صفة خلق أصناف من الحيوان .

مِنْها: في صِفَةِ عجيب خَلْقِ أصْنافٍ منَ الحَيَوان:

ولَوْ فَكَّرُوا في عَظِيمِ الْقُدْرَةِ، وجَسيمِ النِّعْمَةِ لَرَجَعُوا إلى الطَّرِيقِ، وخَافُوا عذَابَ الحرِيقِ، ولكن الْقُلُوبُ عَليلَةٌ[1]، والأبصارِ[2] مَدْخُولَةٌ[3]، أَلَا يَنْظُرُونَ[4] إلى صَغيرِ ما خَلَقَ[5] كَيْفَ أحْكَمَ خَلْقَهُ، وأتْقَنَ تَرْكِيبَهُ، وَفَلَقَ[6] لَهُ السَّمْعَ والْبَصَرَ، وسَوَّى لهُ الْعَظْمَ والْبَشَرَ[7]؟ اشار في هذه المقطع إلى الدليل السائد في معرفة الخالق، وهو دلالة الآثار على المؤثر، فإنّه لا يشك من تأمل في نفسه وما حوله من المشاهدات من المحسوسات

(١) في هـ. ب: مريضة.
(٢) في هـ. د: والبصائر ح ص ب.
(٣) في هـ. ب: أي معيبة أو دغلة.
(٤) في ب: ألا تنظرون.
(٥) في ب زيادة: الله ، وفي هـ. د: ما خلق الله ـ ش.
(٦) في هـ. ب: خلق وشق.
(٧) جمع بشرة، وهي ظاهر الجلد.

إلى أنها وجدت باسباب طبيعية وغير طبيعية؛ اذ لابد لكل حادث من موجد، وهذه الاسباب لابد وان تنتهي الى العلّة الاولى التي هي واجب الوجود، ففي كلّ شيئ له آية تدل على انه واحد، فقال:

١ ـ (لو فكروا في عظيم القدرة) التي تعم الكون ممّا اكتشف العلم بعض آثارها وما لم تتمكن من اكتشافه من اعلى طبقات السماء الى أعمق أعماق الارض واعماق البحار، وما لم يتوصل اليه العلم اكثر. فانه يقف العلم امام هذا الكون العظيم في حيرة.

٢ ـ (وجسيم النعمة) في الحياة من الإنسان والحيوان والنبات التي لولا وجودها لكانت نعمة الحياة معدومة لترابط هذه السلسلة في استدامة الحياة على وجه الارض.

وعن نتيجة هذا التفكير أشار إلى امرين:

الاول: (لرجعوا إلى الطريق) العادل في الحكم بأن لهذا الكون لابد من موجب وخالق، وان قصر التفكير عن معرفة حقيقه.

الثانية: (وخافوا عذاب الحريق) الذي اوعد الله عليها بالانبياء والرسل؛ فإنّ مجرد الاحتمال يوجب الوقاية والحذر وان لم يكن ذلك يقينيا؛ فإنّ الخوف من الخطر موجب للحذر كما قال الشاعر:

قال المنجم والطبيب كلاهما ... لان يحشر الاموات ملت اليكما

ان كان قولكما فلست بخاسر ... وان كان قولي فالخسار عليكما

وأشار إلى السبب من الغفلة عن التفكير الحر في هذا المجال الى أمرين:

الأوّل: (ولكن القلوب عليلة)؛ فإنّ العلّة فيها عدم الرغبة بالالتزام بنتائج الايمان من اللوازم العملية في الحياة في النفس والامة والمجتمع.

الثاني: (والبصائر مدخولة) أي معيبة؛ فإنّ المنكر للمبدأ والمعاد انما يرى لوازمها بمنظار الحياة المادية الاقتصادية، مع ان هذه الرؤية ناقصة حيث ان الضرر الاقتصادي المتصور في الانفاق مثلا لا يكون مجبوراً بحب الدنيا، حيث ان الدنيا لا تفي لأحد، وواجد الدنيا ليس اسعد حالا من فاقدها، والرؤية الواضحة للحياه تستلزم التوازن بين الدنيا والاخرة كما امر به الاسلام في تشريعاته.

ثم أشار إلى ان كلّ ما في الكون من الموجودات ادلة على الخالق، واكتفى بالاشاره العابرة إلى اصغر الموجودات فقال:

(ألا تنظرون إلى صغير ما خلق) من الموجودات المحسوسة من الحيوان؛ فإنّ فيها من النظام والحكمة في الخلق ما يوجب الايمان بالله، وحدد وجوه النظام الحاكم على اصغر الموجود بأربعة خصائص هي:

أوّلاً: (كيف أحكم خلقه)؛ فإنّ خلقه اصغر الحيوانات يوجب الايمان بوجود سبب في خلقها على هذا الخلق دون غيره.

ثانياً: (وأتقن تركيبه) في الاعضاء التي يتكون منها هذا الحيوان، ممّا يمكنها الاستمرار بها في الحياة.

ثالثاً: (وفلق له السمع والبصر)؛ فإنّ وجود السمع والبصر في الحيوان يمكّن هذا الحيوان من السعي خلف ما يفتقر اليه في الحياة والحذر ممّا يخافه.

رابعاً: (وسوّى له العظم والبشر) والبشر: ظاهر الجلد؛ فإنّ قوام الحيوان الصغير انما يكون بالعمود الفقري المناسب لخلقه وجلده الخاص به ممّا يقيه من الحوادث القاضية على حياته.

وهذه الخصائص الموجودة في اصغر الحيوانات المشاهدة المحسوسة تدعوا للتأمل، هل هي وجدت صدفة؟ أو بطبيعة لا تستند إلى اسباب طبيعية؟ أو تستند إلى علل مسلسلة حتّى تنتهى الى العلة الاولى الواجب الوجود؟

والفكر الحر غير العليل والقلب غير المدخول، لابد وان ينصف ويعترف بوجود خالق لها، ثمّ سرد طائفة من خلق الله صغيرها وكبيرها ممّا يشاهدها كلّ انسان في حياته اليومية.

(٤ / ط - ١٨٥) النملة:

أنْظُرُوا إلى النَّمْلةِ في صِغَرِ جُثَّتِها، ولَطَافَةِ هَيئَتِها، لا تَكادُ تُنالُ بِلَحْظِ الْبَصَرِ، ولا بِمُسْتَدْرِكِ الْفِكْرِ، كَيْفَ دَبَّتْ[١] على أرْضِهَا، وَصُبّت[٢] على رِزْقِها[٣]، تَنْقُلُ الحَبَّةَ إلى جُحْرِها، وتَعُدُّها في مُسْتَقَرِّها، تَجْمَعُ في حَرِّها لِبَرْدِها، وفي وِرودها[٤] لِصَدَرِها[٥]،

---

(١) في هـ. ب: مشت مشياً خفيّاً.

(٢) في هـ. د: وضنت ـ ن ف.

(٣) في هـ. ب: «صبت على رزقها» قيل: هو على العكس، أي: صبت رزقها عليها، وظاهر اللّفظ حسن.

(٤) في ص: وردها، هـ. د: دردها ـ ض ح.

مَكْفُولٌ[٦] بِرِزْقِها، مَرْزُوقَةٌ بِوِفْقِها[٧]، لا يُغْفِلُها[٨] المَنَّانُ، ولا يحْرِمُها[٩] الدَّيَّان[١٠] ولوْ في الصَّفا[١١] الْيابِسِ، والحَجَرِ الجَامِسِ[١٢].

ولوْ فَكَّرْتَ في مَجارِي أكلِها، وفي عُلْوِها وسُفْلِها، ومَا في الجَوْفِ منْ شَرَاسِيفِ[١٣] بَطْنِها، ومَا في الرَّأسِ منْ عَيْنِها وأُذُنِها، لَقَضَيْتَ منْ خَلْقِها[١٤] عَجَباً، ولَقِيتَ منْ وصْفِها تَعَباً.

فَتَعالَى الذِي أقامَها على قَوَائِمِها، وبَناهَا على دَعائِمِهَا، لمْ يَشْرَكْهُ فِي فِطْرَتِها فاطِرٌ، ولمْ يُعِنْهُ في خَلْقِها[١٥] قادِرٌ.

ابتدأ بصفات خلق النمل الذي يعتبر اصغر خلق محسوس في الحياة اليومية، وذكر من خصائصها التي يشاهدها مشاهدة المستخبر عن أحوالها من حركاتها، فقال:

١ ـ (انظروا إلى النملة) باعتبارها متواجدة في كلّ مكان يتواجد فيه الماء على الارض.

٢ ـ (في صغر جثتها) حيث يعبّر عنه بالذرّ بسبب صغر حجمها.

٣ ـ (ولطافة هيئتها) واللطف: الرقة بحسب ما يتراآى انها اضعف الهيئات.

٤ ـ (لا تكاد تنال بلحظ البصر) لصغر حجم بعض انواعها.

٥ ـ (ولا بمستدرك الفكر) أي طلب الفكر ادراك حقيقتها.

٦ ـ (كيف دبت على أرضها؟) والدبيب: المشي ببطء.

٧ ـ (وصبت على رزقها؟) بأن الهمت لانصباب رزقها عليها.

---

(٥) الصَدَر محرّكة: الرجوع بعد الورود.
(٦) في د: مكفولة.
(٧) أي بما يوافقها من الرزق.
(٨) في هـ. ب: لا يتركها.
(٩) في هـ. ب: لا يمنعها.
(١٠) في هـ. ب: «الديّان» من صفات الله تعالى فإنّ الله يجازي ويحاسب ويكافئ والدين: الجزاء والمكافأة، قال تعالىٰ: ﴿مالك يوم الدين﴾.
(١١) في هـ. ب: الأملس.
(١٢) في هـ. ب: الجامد.
(١٣) في هـ. ب: الشراسيف: أطراف الضلع التي تشرف على البطن، الواحدة: شرسوف.
(١٤) في ب: من ذلك، وفي هـ. ب: من خلقها ـ صح.
(١٥) في د: على خلقها، وفي هـ. د: في خلقها ـ ب ل ش.

٨ ـ (تنقل الحبة إلى جحرها) وقد تكون الحبة المنقولة اكبر من حجمها.

٩ ـ (وتعدها في مستقرها) عدة لمستقبل حاجتها.

١٠ ـ (تجمع في حرها لبردها) فانها تستعد في الصيف للشتاء.

١١ ـ (وفي ورودها لصدرها) الصدر: الرجوع بعد الورود، فهي تستعد في الصيف لفصلي الصيف والشتاء.

١٢ ـ (مكفولة برزقها) حيث الهمها الله هذا الاستعداد الذي يكفل مستقبلها.

١٣ ـ (مرزوقة بوفقها) أي الطعام الذي يوافق مزاجها وطبعها.

١٤ ـ (لا يغفلها المنان) فالنملة مرزوقة بما تحتاج اليه في حياتها، كما ان الإنسان كذلك من دون غفلة عن الصغير لصغره.

١٥ ـ (ولا يحرمها الديان) ممّا تحتاج اليه في حياتها.

١٦ ـ (ولو في الصفا اليابس) الصفا: الحجر الاملس؛ فإنّ رزق النملة محفوظة لها.

١٧ ـ (والحجر الجامس) وهو الجامد؛ فإنّ وجد النمل فيها لحصلت على رزقها.

١٨ ـ (ولو فكرت في مجاري أكلها) من المواضع التي تكون فيه مجاري الاكل في جسمها كالحلق والامعاء.

١٩ ـ (في علوها) من الرأس.

٢٠ ـ (وسفلها) من الخروج.

٢١ ـ (وما في الجوف) من وسط الجسد.

٢٢ ـ (من شراسيف بطنها) والشراسيف: الاضلاع حول الصدر والبطن.

٢٣ ـ (وما في الرأس) من الدماغ.

٢٤ ـ (من عينها) التي تبصر بهما.

٢٥ ـ (وأذنها) التي تسمع بهما.

فان هذه الخصائص الجسمية والمتواجدة في جثّة صغيرة للنمل يوجب التأمّل في القدرة التي تتمتع بها والاسباب الموصلة الى ذلك، فلابد وان يتسلسل إلى العلة الاولى التي هي واجب الوجود.

وعن العجب من هذه الخصائص في حيوان صغير كالنملة قال:

أوّلاً: (لقضيت من خلقها عجبا)؛ لأنّ هذه الصفات غير متوقعة في حيوان صغير

كالنملة، وكل ما هو غير متوقع موجبٌ للعجب.

ثانياً: (ولقيت من وصفها تعبا) حيث ان استقصاء هذه الخصائص وما يتفرع عليها في مملكة النمل من خصائص ذاتيّة واجتماعية في تعاملها مع بعضها مما يوجب تعب الانسان، إلّا ان يفزع في ذلك الى الله.

واشار إلى أن العلم بهذه الخصائص يدعوا إلى الايمان بالقدرة العليا التي وهبها هذه الخصائص بقوله:

١ ـ (فتعالى الذي أقامها على قوائمها) وهي أرجلها التي هي اضعف من جسمها.

٢ ـ (وبناها على دعائمها) من العمود الفقري وسائر الاعضاء.

٣ ـ (لم يشركه في فطرتها فاطر) واجب الوجود سوى الله.

٤ ـ (ولم يعنه في خلقها قادر)؛ فإنّ الخلق كان بارادته تعالى من دون معين سوى ارادة رب العالمين.

(٥ / ط ـ ١٨٥) بين النملة والنخلة:

ولوْ ضَرَبْتَ في مَذَاهِبِ فِكْرِك لِتَبْلُغَ غايَاتِه[١]، مَا دَلَّتْكَ الدّلاَلةُ إلَّا على أنَّ فاطِرَ النمْلةِ هُوَ فاطِرُ النَّخلةِ؛ لدَقيقِ تَفْصِيلِ كلِّ شيْءٍ[٢]، وغامِض اخْتِلاَفِ كلِّ حَيّ، ومَا الجَلِيل واللَّطِيفُ، والثَّقيلُ والخَفِيفُ[٣]، والْقَوِيُّ والضَّعِيفُ في خَلْقِهِ إلَّا سَوَاءٌ[٤]، وختم المقطع بالمقارنة بين خلقين من خلق الله تفترقان في الصغر والكبر، وهما النملة والنخلة؛ فإنّ احدهما من الحيوان والاخر من النبات، وهما متوفران في العراق، ويجمعهما السجع في هذا الكلام، وهما يشتركان في خصائص يفتقر إلى تفصيلها علماء اعلام اخصاء لكل واحد منهما من الخصائص التي أودعها فيها الخالق العلّام.

وقد أشار اليها الإمام بقوله:

١ ـ (ولو ضربت في مذاهب فكرك) حيث ان للفكر مذاهب وطرق للوصول إلى حقائق الاشياء بالتأمل في الاثار الطبيعيّة والذاتيّة والصحية والطبيّة وغيرها.

(١) في د: غاياتك، وفي هـ. د: غاياته ـ ض ح ب ل ش.
(٢) في هـ. ب، وفي نسخة: كلّ حي.
(٣) في ب: والخليل، وفي هـ. ب: الخفيف، وفي هـ. ب، وفي نسخة: والخفيف.
(٤) في هـ. ب: كما قال الله تعالى: ﴿ما خلقكم ولا بعثكم إلّا كنفسٍ واحدةٍ﴾.

٢ ـ (لتبلغ غاياته) إلى غاية الفكر في الاستقصاء.

٣ ـ (ما دلتك الدلالة) من هذه الخصائص سوى حقيقة واحدة وهي ان جميع هذه الاثار تنتهي إلى مؤثر واحد، هو علّة العلل وواجب الوجود، وهو الله، فهي دالة على ان:

٤ ـ (فاطر النملة هو فاطر النخلة) حيث اوجدهما من العدم في سلسلة علل ومعلولات حتّى وجدناها بالحالة الموجودة في حاضرها.

وعن كيفية هذه الدلالة قال:

أوّلاً: (لدقيق تفصيل كلّ شئ) في خلق كلّ من النملة التي من الحيوان والنخلة التي هي من الشجر.

ثانياً: (وغامض اختلاف كلّ حي) ممّا كان جنسه وفصله ونوعه، لا يعلم حقائقها إلّا الله بالتفصيل.

ثالثاً: (وما الجليل واللطيف) في الحجم (والثقيل والخفيف) من الوزن (والقوي والضعيف) في المتانة (في خلقه إلّا سواء)؛ لقدرته تعالى المطلقه على كلّ شئ.

فان العلم تمكن من أن يكشف بعض الحقائق دون كلها، ولم يتمكن من احداث أي موجود حي بالتفصيل؛ اذ ليس قدرته سوى الاكتشاف، لا الاختراع.

(٦ / ط ـ ١٨٥) آيات الله في الكون:

ثم أشار عليه السلام إلى مخلوقات الله تعالى في الكون، وسرد منها بقوله:

وكَذَلِكَ السَّماءُ والهوَاءُ، والرِّياحُ والمَاء.

فانْظُرْ إلى الشَّمْسِ والْقَمَرِ والنَّباتِ والشَّجَرِ، والْماءِ والحَجَرِ، واخْتِلاَفِ هذا اللَّيْلِ والنَّهارِ، وتَفَجُّرِ هذِهِ الْبِحَارِ، وكثرَةِ هذِه الجِبالِ، وطُولِ هذِهِ الْقِلاَلِ[١]، وتَفَرُّق هذِه اللُّغاتِ، وَالألْسُنِ الْمخْتَلِفَاتِ.

فالْوَيْلُ[٢] لِمَنْ جَحَدَ المُقَدِّرَ، وأنْكَرَ المُدَبِّرَ[٣]، زَعَمُوا أَنَّهُمْ كالنَّباتِ مالَهُمْ زَارِعٌ، ولا لاِخْتِلاَفِ صُوَرِهِمْ صانِعٌ، ولمْ يَلْجأُوا[٤] إلى حُجَّةٍ فِيما ادَّعُوا، ولا تَحْقِيقٍ لِمَا أُوعُوا[٥]،

(١) في هـ. ب: جمع قلّة الجبل.
(٢) في ب: الويل.
(٣) في د: لمن أنكر المقدر وجحد المدبر، وفي هـ. د: لمن جحد المقدر وأنكر المدبر ـ ب ل.
(٤) في هـ. د: لم يلجأوا ـ م ن ف.
(٥) في ب: ادعوا وفي د: وعوا، وفي هـ. ب: وعيت الشيء حفظته، وأوعيت الشيء: جعلته في

وهَلْ يَكُونُ بِناءٌ منْ غيرِ بانٍ؟ أَوْ جِنايةٌ منْ غيرِ جانٍ؟

١ ـ (وكذلك السماء) وهو ما يعلو من طبقات الجو اللامتناهية.

٢ ـ (والهواء) وهو الغلاف الغازي المحيط بالكرة الارضية.

٣ ـ (والرياح) والريح: الهواء المتحرك.

٤ ـ (والماء) السائل المركب من الهيدروجين والاوكسجين ولا لون له ولا رائحة.

٥ ـ (فانظر إلى الشمس) الكوكب الكروي المضئ الذي يبلغ حرارته سطحه (٦٠٠٠) درجة مؤية ويبعد عن الارض ١٤٩ مليونا ونصف مليون كيلومترا.

٦ ـ (والقمر) وهو كوكب يستمد نوره من الشمس، ويدور حول الارض، وفي الليالي الثلاث الأول: هلال، ثمّ قمر الى آخر الشهر.

٧ ـ (والنبات) وما يخرج من الارض من الزرع.

٨ ـ (والشجر) وهو النبات الذي يقوم على ساق، ذي جذور في الارض.

٩ ـ (والماء) ولا ادرى لماذا تكررت المادة.

١٠ ـ (والحجر) وهو الجسم الصغير المنجمد من الارض.

١١ ـ (واختلاف الليل والنهار) الليل من غروب الشمس عن الارض إلى طلوعها، وتقديمها يوحي الى تقدمها على النهار، والنهار من طلوع الفجر إلى غروب الشمس أو من الصبح إلى المغرب.

١٢ ـ (وتفجر هذه البحار) وهو الماء الذي يغطي الكرة الارضية، وهي مالحة.

١٣ ـ (وكثرة هذه الجبال) وهو ما ارتفع من الارض وطال.

١٤ ـ (وطول هذه القلال) والقلة: اعلى الرأس والجبل وكل شئ.

١٥ ـ (وتفرق هذه اللغات) واللغة: الكلمات التي يعبر بها كلّ قوم عن حاجاتهم.

١٦ ـ (والألسن المختلفات) واللسان قد يراد منه اللغة أو اللهجة، وهي اللغة التي ينشأ عليها محليا؛ فإنّ كلّ لغة أمّ يتفرع عنها لهجات مختلفة.

فان هذه الحقائق الحاكمة في الكون لو تدبّر فيها الإنسان فلابد وان يسندها إلى سبب ينتهي إلى قدرة الله تعالى الواجب الوجود، الحاكمة في الكون عامة.

الوعاء، وفي هـ. د: لما أوعوا ـ ض ب ل ش.

(٧ / ط - ١٨٥) خلق الجرادة:

وإِنْ شِئْتَ قُلْتَ في الجَرَادَةِ إِذْ خَلَقَ لها عَيْنَيْنِ حَمْرَاوَيْنِ، وأَسْرَجَ لها حَدَقَتَينِ قَمْرَاوَيْنِ[١] وَجَعَلَ لها السَّمْعَ ٱلخَفِيَّ، وفَتَحَ لها الفَمَ السَّوِيَّ، وجَعَلَ لها الْحَسَّ القَوِيَّ[٢]، ونابَيْنِ[٣] بِهِما تَقْرِضُ[٤]، ومِنْجَلَينِ[٥] بِهِما تَقْبِضُ، يَرْهَبُها[٦] الزُّرَّاعُ في زَرْعِهِمْ، ولا يَسْتَطِيعُونَ ذَبَّها[٧]، ولوْ أَجْلَبُوا بِجَمْعِهِمْ، حَتّى[٨] تَرِدَ الحَرْثَ[٩] في نَزَوَاتِها[١٠]، وتَقْضِيَ منْهُ شَهَوَاتِها[١١]، وخَلْقُها[١٢] كُلُّهُ لا يَكُونُ إِصْبَعاً مُسْتَدِقَّةً.

ومن عجائب خلق الله الجراد، وقد وصف الإمام ما يشاهد منها، وهي كثيرة في موارد الزرع خاصة، وقال في وصفها:

(وانّ شئت قلت في الجرادة) ما يقال في غيرها من الحيوانات من الدلالة على وجود خلق لها؛ لما فيها من الصفات الخاصة بها في الخلق، وهي:

١ ـ (إذ خلق لها عينين) فهي كسائر الحيوانات لها عينان.

٢ ـ (حمراوين) يختلف بهذا اللون عن كثير من الحيوانات.

٣ ـ (وأسرج لها حدقتين) في العين كما هي في سائر الحيوان، ولكن تختلف عنها بانها:

٤ ـ (قمراوين) اي مضيئين كضوء القمر.

٥ ـ (وجعل لها السمع الخفي)؛ فإنّ الاذن فيها خافية.

٦ ـ (وفتح لها الفم السوي) أي السمتوى في الخلقه.

٧ ـ (وجعل لها الحس القوي) لقوة الاستهلاك.

---

(١) أي: مضيئتين كأنّ كلاًّ منها قمر، أي: أضاءها القمر.
(٢) في هـ. ب: خلق أي جعل للجرادة ما تحسّ به الأشياء.
(٣) في هـ. ب: مثنى ناب.
(٤) في هـ. ب: تقرض: تقطع، أي تستأصل به الزرع.
(٥) في هـ. ب: المنجل: ما يحصد به الزرع.
(٦) في هـ. ب: يخافها.
(٧) في هـ. ب: دفعها.
(٨) في هـ. ب، وفي نسخة: حين.
(٩) في هـ. ب: الزرع.
(١٠) في هـ. ب: النزوات: الوثبات.
(١١) في هـ. د: فيه شهواتها ـ ف.
(١٢) في هـ. ب: خلقها: شخصها.

٨ ـ (ونابين بهما تقرض)؛ فإنّ لها من الاسنان اثنان.

٩ ـ (ومنجلين بهما تقبض)؛ فإنّ اليدين لها كالمنجلين الذي يحصد به الزرع.

١٠ ـ (يرهبها الزراع في زرعهم) لما تفسد من الزرع بالاكل.

وعن اسباب الرهبة قال:

أوّلاً: (ولا يستطيعون ذبّها) والذب: الدفع بالمباشرة؛ لكثرتها (ولو أجلبوا بجمعهم) والجلب: اجتماعهم بانفسهم؛ فإنّ كثرة الجراد أقوى اثراً من كثرة الزرّاع.

ثانياً: (حتى ترد الحرث في نزواتها)؛ فإنّ الجراد في هجومها على الزرع كالنزوة والوثبة لا يمكن ايقافها حين هجومها إلّا بعد ان تفسد ما تريد من الحرث (وتقضي منه شهواتها) من الزرع بالاكل لما تريد اكله.

ثالثاً: (وخلقها كلّه لا يكون إصبعا مستدقة)؛ فإنّ الجرادة الدقيقة في الخلقة كالاصبع الرفيع، ومع هذه الخلقة الضعيفة لها آثارها الكبيرة على الزرع التي لا تقاوم بالجماعات من الناس، ولا يتوهم ان الاسباب المادية قد تقصى عليها، فانها انما تقضي عليها موضعيّاً ووقتيا، ولا يمكن القضاء عليها كليّا.

فان في خلق الجراد في نفسه وآثاره دلالة على ان لكل حادث مؤثر في الوجود ينتهي إلى واجب الوجود.

(٨ / ط ـ ١٨٥) القدرة العليا:

فَتَبارَكَ ٱللهُ الذِي[١] يَسْجُدُ لَهُ مَنْ في السَّماواتِ والْأَرْضِ طَوْعاً[٢] وكَرْهاً، ويَعْفُرُ[٣] لَهُ خَدّاً وَوَجْهاً، ويُلْقِي بِالطَّاعَةِ إليْهِ[٤] سِلْماً وضعْفاً، ويُعْطِي لَهُ[٥] الْقِيادَ[٦] رَهْبَةً وخَوْفاً، فالطَّيرُ مُسَخَّرَةٌ لِأَمْرِهِ أحْصَى[٧] عَدَدَ الرِّيشِ مِنْها والنَّفَسِ، وأرْسَى قَوَائِمَها على النَّدَى واليَبَس، وقَدَّرَ[٨] أقْوَاتها، وأحْصَى أجْناسَها، فَهٰذا غُرَابٌ، وهٰذَا عُقابٌ، وهَذَا حَمامٌ، وهَذَا

(١) في ب: فتبارك الذي، وفي هـ. د: فتبارك الذي ـ ص ح ف ل ش.
(٢) في هـ. ب: صلحاً.
(٣) في ط: ويعفوا، وفي هـ. د: ويعنوا ـ ب.
(٤) في ط : إليه بالطاعة.
(٥) لم ترد «له» في ب و ص.
(٦) في هـ. ب: من الانقياد.
(٧) في هـ. ب: أثبت.
(٨) في د: قدر، وفي هـ. د: وقدر ـ ض ح ب.

نَعامٌ، دَعا كُلَّ طَائِرٍ باسمِهِ[١]، وكَفَلَ لهُ بِرِزْقِهِ، وأنْشأَ السَّحَابَ الثِّقالَ، فأهْطَلَ دِيَمَها[٢]، وعَدَّدَ قَسْمَها، فَبَلَّ الْأَرْضَ بَعْدَ[٣] جُفُوفِها[٤] وأخْرَجَ نَبْتَها بَعْدَ جُدُوبِها[٥].

وختم المقطع بالاقرار بالقدرة العليا التي اليها تنتهي كلّ العلل والاسباب الحاكمة في الكون باسره، في كلّ الحالات التي هي مظاهر قدرته، وقد أشار اليها بقوله:

١ ـ (فتبارك الله الذي يسجد له من في السماوات والأرض طوعا وكرها)؛ فإنّ وجودها في نفسها سجود لعظمة الخالق تعالى، فمن آمن به سجد طوعاً ومن كفر سجد بوجوده التكويني كرها، وفي نتيجة هذا السجود قال:

٢ ـ (ويعفر له خدا ووجها) كناية عن غاية الخضوع بالاعتراف بالعجز في تفسير ما يراه في الطبيعة من اسرار وحكم.

٣ ـ (ويلقي إليه بالطاعة سلما وضعفا) فالمؤمن يطعيه سلما والكافر ضعفا، حيث يستسلم لما أقره الله سبحانه في الكون.

٤ ـ (ويعطي له القياد رهبة وخوفا)؛ فإنّ المؤمن والكافر سواء في الانقياد للامر الواقع من الاثار والاسرار الطبيعيّة الكامنة في الكون رهبة منها، وآثارها وان تختلف نتيجة هذه الرهبة في المؤمن بالايمان والاعتقاد، والكافر بالجرأة في القرار، ثمّ عقب ذلك باكثر بالاشارة إلى خلقين من مخلوقات الله سبحانه في السماء، وهي الطير والسحاب :

الاول ـ الطير:

فقال عليه السلام: ١ ـ (فالطير مسخرة لأمره) اقتباس من قوله تعالى: ﴿أَلَمْ يَرَوْا إِلَى ٱلطَّيْرِ مُسَخَّرَاتٍ في جَوِّ ٱلسَّماءِ مَا يُمْسِكُهُنَّ إِلَّا ٱللهُ إِنَّ في ذٰلِك لَآيَاتٍ لِقَوْمٍ يُؤْمِنُونَ﴾[٦]

٢ ـ (أحصى عدد الريش منها والنفس) فالله عالم بعددهما في كلّ طير.

٣ ـ (وأرسى قوائمها على الندى واليبس) والقوائم: الارجل، فمن الطير ما يستقر على الارض اليابسة، ومنها ما يستقر على الماء.

(١) في هـ. ب: أي باسم طائر.
(٢) في هـ. ب: أمطارها.
(٣) في ب: قبل.
(٤) في هـ. ب: يبسها.
(٥) في هـ. ب: قحوطها.
(٦) النّحل: ٧٩.

٤ ـ(وقدر أقواتها) فلكل من انواع الطيور قوت يعيش عليه في الحياة.

٥ ـ(وأحصى أجناسها) وانواعها وفصولها المختلفة، وذكر منها اربعة:

الأوّل: (فهذا غرابٌ) طائرٌ اسود يضرب به المثل في الحذر والسواد والشؤم.

الثاني: (وهذا عقابٌ) طائرٌ من الجوارح يضرب به المثل في قوة الخطف وحدة البصر.

الثالث (وهذا حمامٌ) طائرٌ اليف يأكل الحب وله هديل.

الرابع (وهذا نعامٌ) طائرٌ قصير الجناحين لا يطير ولكنه سريع العدو، يعيش في الصحراء.

٦ ـ(دعا كلّ طائر باسمه) فلكلّ من الفصائل والانواع اسمائها الخاصة بها.

٧ ـ(وكفل له برزقه) الذي يعيش في الحياة عليه حتّى يبقى اصله بالرغم من اختلاف خلقها.

الثاني: السحاب:

وقد أشار إلى خصائص السحاب في سلسلة مترابطة بقوله:

١ ـ (وأنشأ السحاب الثقال) لنقلها بالماء، اقتباسا من قوله تعالى:﴿هو الذي يريكم البرق خوفا وطمعا وينشئ السحاب الثقال﴾(١).

٢ ـ(فأهطل ديمها) الهطلع: تتابع المطر، والديم: المطر من دون صوت الرعد أو البرق.

٣ ـ(وعدد قسمها) أي تقسيمها للمواضع المقدر لها بالامطار.

٤ ـ(فبل الأرض بعد جفوفها) بواسطة الامطار المحمولة في السحاب.

٥ ـ (وأخرج نبتها بعد جدوبها) والجدب: يبسوسة الارض بسبب عدم نزول المطر؛ فإنّ كل مرحلة منها اثرت في الآخر حتّى اخرج النبت الذي يعيش عليه الحيوان والانسان.

وبكلمة، فان كلّ هذه الاثار الطبيعية في الكون لابد لها من مؤثر، فانها بوجودها تدل على مؤثر فيها، وينتهي في سلسلة الاثار إلى العلة الاولى التي هي واجب الوجود المستجمع لصفات الكمال والجلال.

وان هذا النوع من الاستدلال على وجوده سبحانه يغلب في تضاعيق آيات القران

(١) الرعد: ١٢.

الكريم كثيرا.

[١٨٦]

ومن خطبة له عليه السلام:

وتجمع هذه الخطبة من اصول العلم ما لا تجمعه خطبة

تتضمن الخطبة سلسلة من صفات الذات المقدسة الثبوتية والسلبية، وكلّ منها موضوع قائم برأسه، وقد عددها في مفتتح الخطبة بقوله:

(١ / ط ـ ١٨٦) في التوحيد:

مَا وَحَّدَهُ مَنْ كَيَّفَهُ، وَلَا حَقِيقَتَهُ أَصَابَ مَنْ مَثَّلَهُ، وَلَا إِيَّاهُ عَنَى مَنْ شَبَّهَهُ، وَلَا صَمَدَهُ(١) مَنْ أَشَارَ إِلَيْهِ وَتَوَهَّمَهُ.

١ ـ(ما وحده من كيّفه)؛ لأنّ الكيفية جعل الشيئ ذا هيئة وشكل ولون.

والكيقيات بأسرها انما تعرض على الجسم الذي يقبل الانقسام بحسب تلك الكيفيات، والله واحد حقيقي وليس بجسم، فلا يمكن فيه الوصف بالكيفية.

٢ ـ(ولا حقيقته أصاب من مثّله)؛ فإنّ وجوب واجب الوجود يتنافي مع المثلية؛ فإنّ تصور من له مثلٌ ينافي وجوب الوجود، فان وجد مثل له فينتفي كونه واجب الوجود، فليس الوصف بالمثيلة إلّا ما يتصوره المتصور، فلا يكون مصيبا لحقيقة الذات المقدسة، بل ما خطر في ذهنه من المثل، وذلك ليس الحقيقة، بل عين الوهم؛ فإنّ أيّة صفة خارجة عن حقيقة ذات واجب الوجود تكون غير الذات.

٢ ـ(ولا إيّاه عني من شبّهه)؛ لأنّ وجه الشبه لابد وان يكون امّا في الذات وامّا في الصفات، ووجوب الوجود يناقض الشبيه في الذات؛ اذ يستلزم الامكان، وكذلك الشبيه في الصفة لانه يستلزم الحدوث، وهو يناقض وجوب الوجود الازلي.

٤ ـ(ولا صمده من أشار إليه وتوهّمه) الصمد لغة: السيد، والحجر الصلد الذي لا جوف له، والجامع بينها: الاصالة، ويطلق على البارئ باعتبار وجوب وجوده، والاشارة إلى واجب الوجود بالحس ممتنعة؛ لأنّه ليس من المحسوسات، وبالفكر والتوهم ايضا ممتنعة؛ لأنّ الفكر لا يصل إلى ما وراء الطبيعة.

(١) في ب: صمّده، وفي هـ. ب : صمده، أي ولا صمد اليه ولا قصده من أشار اليه بأنّه على العرش أو هو جسم.

(٢ / ط - ١٨٦) المقطع الثاني ـ في وصف مخلوقاته:

كُلُّ مَعْرُوفٍ[١] بِنَفْسِهِ مَصْنُوعٌ، وَكُلُّ قَائِمٍ فِي سِوَاهُ مَعْلُولٌ.

فاعِلٌ لَا بِاضْطِرَابِ آلَةٍ، مُقَدِّرٌ لَا بِجَوْلِ فِكْرَةٍ؛ غَنِيٌّ لَا بِاسْتِفَادَةٍ؛ لَا تَصْحَبُهُ الأَوْقَاتُ؛ وَلَا تَرْفِدُهُ الأَدَوَاتُ[٢]، سَبَقَ الأَوْقَاتَ كَوْنُهُ، وَٱلْعَدَمَ وُجُودُهُ، وَالابْتِدَاءَ أَزَلُهُ.

١ ـ (كل معروف بنفسه مصنوع)؛ فإنّ الله يعرف بآثاره من المخلوقات التي تدل على الخالق، فليس سبحانه معروفا بنفسه بل بآثاره؛ لأنّ المعروف بنفسه لابد وان يعرف باجزائه التي يتركب منها المعروف. وذلك من صفات الاجسام المصنوعة، والله سبحانه ليس بجسم حتّى يعرف بنفسه.

٢ ـ (وكل قائم في سواه معلول)؛ فإنّ الذات المقدسة قائم بالنفس، وليس بالغير، ولا في الغير؛ لأنّ القيام في الغير وبالغير افتقارٌ إلى المحل، والله غير غني عن المحل؛ وأيضاً فإنّ الافتقار علة والذات المقدسة منزهة عنها.

٣ ـ (فاعل لا باضطراب آلة)؛ فإنّ صدور الافعال منه تعالى ليس باستخدام الآلات، بل بالارادة؛ فإنّ أراد شيئا فانما يقول له: كن، فيكون؛ لأنّ استخدام الالة افتقار اليها، والافتقار من صفات المخلوقات دون واجب الوجود.

٤ ـ (مقدر لا بجول فكرة)؛ فإنّ التقدير في الممكنات يفتقر إلى التفكير في الشئ، وماله من الايجابيات والسلبيات، ثمّ تقدير الشئ حيث مايراه من المصلحة، ولكن التقدير من الله سبحانه بالارادة من دون اعمال فكر ونظر.

٥ ـ (غني لا باستفادة)؛ فإنّ الغني في الماديات انما يحصل بعد طلب الفائدة، وباستكمال الفائدة يتحقق الغنى بعد الفقر اليها، والله سبحانه غنيّ بالذات عن كلّ شئ، واليه يحتاج كلّ شئ.

٦ ـ (لا تصحبه الأوقات)؛ لأنّ الوقت من الزمان، والذات المقدسة ليس بزمان ولا قابل للحركة، فلا يتصور فيها الوقت المفتقر اليها معاً، بخلاف واجب الوجود القديم في ذاته.

٧ ـ (ولا ترفده الأدوات) الرفد: الاعانة؛ فإنّ الله سبحانه لا يعينه في ارادته اداة وآلة؛

---

(١) في هـ ب : جنس الجواهر؛ لانها تعرف بأن تشاهد وتلمس.
(٢) في هـ . ب: أي تعينه.

لأنّ الاعانة انما يكون فيمن يفتقر إليها، والله منزه عنها.

٨ ـ (سبق الأوقات كونه) ونتيجة ذلك انّ وجوده تعالى سبق الزمان فكان للمكان ووجداً، فانها حادثة وهو قديم.

٩ ـ (والعدم وجوده)؛ فإنّ وجود الله سبق العدم مطلقاً، اما العدم للذات المقدسة؛ فلانها واجب الوجود، فلا يتطرق اليه العدم ابداً، واما غير الذات المقدسة من المخلوقات فلانها كانت معدومة، فاوجدها من العدم بقدرته، فوجوده تعالى سابق على العدم.

١٠ ـ (والابتداء أزله)؛ فإنّ وجوده تعالى ازلي؛ لوجوب وجوده، فيكون سابقاً لابتداء أي شئ مطلقا، اما الذات المقدسة فليس لها ابتداء؛ لانها ازلية، واما غيرها؛ فلأنّ الله هو الذي اوجدها بوجوده الازلي، فسبق أزله الابتداء مطلقا.

(٣ / ط - ١٨٦) المقطع الثالث ـ في المعرفة بالأضداد:

بِتَشْعِيرِهِ المَشَاعِرَ[١] عُرِفَ أَنْ لَا[٢] مَشْعَرَ لَهُ[٣] وَبِمُضَادَّتِهِ بَيْنَ الأُمُورِ عُرِفَ أَنْ لَا[٤] ضِدَّ لَهُ. وَبِمُقَارَنَتِهِ بَيْنَ الأَشْيَاءِ عُرِفَ أَنْ لَا[٥] قَرِينَ لَهُ.

ضَادَّ النُّورَ بِالظُّلْمَةِ، وَٱلْوُضُوحَ[٦] بِالْبُهْمَةِ[٧]، وَٱلْجُمُودَ بِالْبَلَلِ، وَٱلْحَرُورَ بِالصَّرَدِ[٨].

مُؤَلِّفٌ بَيْنَ مُتَعَادِيَاتِهَا[٩]، مُقَارِنٌ بَيْنَ مُتَبَايِنَاتِهَا. مُقَرِّبٌ[١٠] بَيْنَ مُتَبَاعِدَاتِهَا[١١]، مُفَرِّقٌ بَيْنَ مُتَدَانِيَاتِهَا[١٢].

١ ـ (بتشعيره المشاعر عرف أن لا مشعر له) الشعور لغة: الاحساس، والمشعر اسم مكان، أي الحواس الخمس التي يشعر الإنسان بالمحسوسات بواسطتها؛ فإنّ الله سبحانه

---

(١) في هـ . ب: المشاعر: الحواس.
(٢) في الف و ب: إلّا، وفي هـ . ب في نسخة: ان لا.
(٣) المشعر: كمقعد، محل الشعور أي الاحساس.
(٤) و (٩) في الف و ب: ألّا .
(٦) في هـ ب: مصدر وضح الأمر، أي بان، والبهمة: الانغلاق.
(٧) في هـ ب: أي الظلمة.
(٨) الصرد محركاً: البرد.
(٩) في هـ . ب: أي متضاداتها.
(١٠) في هـ ب: متقرب متباعداتها.
(١١) في هـ . ب: أي متضاداتها.
(١٢) كالجزئين من عنصر واحد في جسمين مختلفي المزاج ووردت عبارة «مفرق بين متدانياتها في الاصل قبل جملة مقرب بين متباعداتها.

هو الذي اوجدها والموجد للشئ يكون فاعلا له لا منفعلا به، وحيث انّه اوجد الحواس ففي ذلك دلالة على انّه تعالى لا يوصف بالحواس؛ فإنّ ذلك افتقار اليها وواجب الوجد لا يفتقر إلى أي شئ.

٢ ـ (وبمضادته بين الأمور عرف أن لا ضد له)؛ فإنّ الضدين لا يجتمعان في شئ واحد في آن واحدٍ، والله سبحانه ليس بجسم حتّى يفتقر إلى محل، فلا يكون له ضدّ، بل هو الذي اوجد المضادة بين الامور، والفاعل لا يكون منفعلاً بالفعل.

٣ ـ(وبمقارنته بين الأشياء عرف أن لا قرين له)؛ فإنّ تعالى قارن بين الاشياء كالجوهر والعرض والصورة، بحيث يستحيل وجود الجوهر من دون الصورة .

وهذا افتقار احدهما الى الاخر، والله واجب الوجود غير مفتقر إلى شئ، فلا يكون له قرين.

ثمّ اشار الى موارد من قدرته تعالى في خلق الاضداد بقوله:

٤ ـ (ضاد النور بالظلمة) فانهما ضدان لا يجتمعان في مكان واحد في آنٍ واحدٍ من جهةٍ واحدةٍ.

٥ ـ (والوضوح بالبهمة) قال الشارح ابن أبي الحديد (ت / ٦٥٦ هـ): «هي البياض والسواد». والظاهر مطلق الوضوح والظهور؛ المضاد للبهمة، وهو الخفاء.

٦ ـ (والجمود بالبلل) قال الشارح ابن أبي الحديد (ت / ٦٥٦ هـ):«يعني اليبوسة والرطوبة».

٧ ـ (والحرور بالصرد) قال الشارح ابن أبي الحديد (ت / ٦٥٦ هـ):«يعني الحرارة والبرودة».

وعن كيفية المقارنة بين هذه الاضداد قال:

٨ ـ (مؤلف بين متعادياتها)؛ فإنّ مقتضى التضاد هو استحالة ان يجتمع الضدان في مكان واحد، وعدم امكان التاليف بينهما بوجه من الوجوه، ولكن الله جعل بين هذه الاشياء المتضادة الفة من جهتين مخلتفتين مع ان التضاد بين الحقيقتين يقتضي عدم الائتلاف، فقد ألّف بين الحرارة والرطوبة في مزاج الإنسان .

٩ ـ(مقارن بين متبايناتها) والبيونة بين الشيئين يقتضي عدم المقارنة، ولكنّه سبحانه قارن بين المتباينات كالمقارنة بين الروح والجسد في جسم الإنسان والحيوان.

وأشار إلى ان هذا التأليف والمقارنة ليس أبدياً بقوله:

١٠ ـ (مقرب بين متباعداتها) في الدنيا كما هو الحال في الروح والجسد في الانسان. (مفرّق بين متدانياتها) بالموت حيث ينفصل احدهما عن الاخر.

(٤ / ط ـ ١٨٦) المقطع الرابع ـ في دلالة الأدوات:

لَا يُشْمَلُ بِحَدٍّ، وَلَا يُحْسَبُ بِعَدٍّ[١]، وَإِنَّمَا تَحُدُّ الأَدَوَاتُ أَنْفُسَهَا، وَتُشِيرُ ٱلآلَاتُ[٢] إِلَى نَظَائِرِهَا[٣].

مَنَعَتْهَا مُنْذُ ٱلْقِدْمة ، وَحَمَتْهَا قَدْ ٱلْأَزَلِيَّةَ. وَجَنَّبَتْهَا لَوْلَا[٤] التَّكْمِلَةَ. بِهَا تَجَلَّى صَانِعُهَا لِلْعُقُولِ وَبِهَا ٱمْتَنَعَ عَنْ نَظَرِ ٱلْعُيُونِ. وَلَا يَجْرِي[٥] عَلَيْهِ السُّكُونُ وَٱلْحَرَكَةُ.

١ ـ (لا يُشمل بحدّ) والشمول: الاحاطة الكاملة بالشئ، والله سبحانه لا يُشمل بحد من الحدود لا لغة ولا اصطلاحاً أمّا الحد اللغوي فلقصور الإنسان المادي عن معرفة ما وراء الطبيعة، واما الحد المنطقي فلأنّه يتركب من الجنس والفصل، والذات المقدسة مجردة غير مركبة.

٢ ـ (ولا يُحسب بعدّ)؛ فإنّ العد انما يكون للمحسوسات التي تدخل في الحساب العددي، والله منزّه عنها.

٣ ـ(وإنما تحد الأدوات أنفسها)؛ فإنّ الادوات المستخدمة في تحقيق اغراض خاصة انما تحد ما كان مثلها من الادوات الاخرى التي هي في أنفسها أدوات فالشئ يحد مثله الذي يشترك معه في الصفات والصفة المشتركة للادوات جسميّة، والله منزّه عنها، فلا يمكن حدّ الذات المقدسة.

٤ ـ (وتشير الآلة إلى نظائرها) للصفة المشتركة بين الالة ونظيرها، وهي الجسمية، والله منزّه عنها، فلا يمكن حد الذات المقدسة.

---

(١) في هـ. ب: لا يعد بعدد .
(٢) في ب و ص: الآلة في هـ. ج: وتشير الآلة ـ ل.
(٣) في هـ. د : وتشير الى نظائرها ـ ب.
(٤) في هـ ص : «منذ» و «قد» و «لولا» فواعل للأفعال قبلها، و «منذ» لابتداء الزمان و «قد» لتقريبه، ولا يكون الابتداء والتقريب إلّا في الزمان المتناهي، وكل مخلوق يقال فيه: «قد وجد» و «وجد منذ كذا» فهذا مانع للقدم والأزلية، وكل مخلوق يقال فيه: «لولا خالقه ماوجد» فهو ناقص لذاته محتاج للتكملة بغيره.
(٥) في ص : « لا يجري » .

وعن السبب في عدم امكان حد الذات المقدسة بالادوات والآلات أشار إلى:

٥ ـ (منعتها "منذ" القدمية)؛ فإنّ كلمة (منذ) وهي لابتداء الزمان منعت الاسباب والالات القدمة، ولا تستعمل هذه الكلمة في الذات المقدسة؛ لكونه قديما، بل يستعمل في الحادثات كالالات والادوات، فيقال: كانت هذه الآلة منذ كذا، لكونه حادثا، ولا يقال: كان سبحانه منذ كذا؛ لكونه قديماً.

٦ ـ (وحمتها "قد" الأزلية)؛ فإنّ كلمة (قد) تستعمل لتقريب الماضي إلى الحال، فلا تطلق إلّا على الحادث من الادوات والآلات، دون الباري؛ لأنّه أزلي، و(الحتم) من الحتمية أي السواد، بأن كلمة (قد) سلبت من الأدوات الحادثة الأزلية، فاصبحت مسلوبة منها كالسواد، والله العالم.

٧ ـ (وجنبتها "لولا" التكملة)؛ فإنّ كلمة (لولا) لا تطلق إلّا على الناقص، والله سبحانه عين الكمال المطلق، وهو برئ من النقص، فإنّ كلمة (لولا) جنبت الأدوات من الكمال؛ لأنّ الادوات حادثة، فهي ناقصة بعيدة عن الكمال.

وإلى نتيجة الدلالة لهذه الأدوات والآلات قال:

٨ ـ (بها تجلّى صانعها للعقول)؛ فإنّ الأدوات والآلات آثار مخلوقة تدل على خالق لها، وكلها مظاهر تجلي صنعه تعالى للعقول الذي يستشهد من الاثار على وجود المؤثر لها.

٩ ـ (وبها امتنع عن نظر العيون) لأنّ الأدوات والآلات من المحسوسات، فهي تشاهد بالباصرة، دون المؤثر الذي ليس من المحسوسات فيمتنع من نظر الباصرة، وانما تصل إليه الرؤية بالبصيرة وبسبب هذه الأدوات والآلات التي تختلف عن الخالق لها في الصفات.

١٠ ـ (لا يجري عليه السكون والحركة)؛ قال الشارح (ت / ٦٥٦هـ): «هذا دليل اخذه المتكلمون عنه عليه السلام، فنظموه في كتبهم وقرروه، وهو انّ الحركة والسكون معان محدثة، فلو حلّت فيه لم يخل منها، ومالم يخل من المحدَث فهو محدَث».[١]

(٥ / ط - ١٨٦) المقطع الخامس ـ في سائر صفات الذات والآلات:

(١) شرح النهج ١٣ : ٧٨، ط / ١٢٦٢.

وَكَيْفَ يَجْرِي عَلَيْهِ مَا هُوَ أَجْرَاهُ[١]، وَيَعُودُ فِيهِ مَا هُوَ أَبْدَأَهُ[٢]، وَيَحْدُثُ فِيهِ مَا هُوَ أَحْدَثَهُ. إِذاً لَتَفَاوَتَتْ ذَاتُهُ وَلَتَجَزَّأَ كُنْهُهُ وَلَامْتَنَعَ مِنَ ٱلْأَزَلِ مَعْنَاهُ[٣] وَلَكَانَ لَهُ وَرَاءٌ إِذْ وُجِدَ لَهُ أَمَامٌ. وَلَالْتَمَسَ التَّمَامَ إِذْ لَزِمَهُ النُّقْصَانُ. وَإِذاً لَقَامَتْ آيَةُ الْمَصْنُوعِ فِيهِ، وَلَتَحَوَّلَ دَلِيلاً بَعْدَ أَنْ كَانَ مَدْلُولاً عَلَيْهِ وَخَرَجَ بِسُلْطَانِ ٱلْإِمْتِنَاعِ مِنْ أَنْ يُؤَثِّرَ فِيهِ مَا يُؤَثِّرُ فِي غَيْرِهِ[٤].

١ ـ (وكيف يجري عليه ما هو أجراه!)؛ فإنّ صفات الإلات ـ التي منها الحركة والسكون ـ قد خلقها سبحانه؛ لأنّه علة العلل، ولا يمكن اتصافه تعالى بهذه الصفات التي خلقها؛ لأنّ وجوب وجوده ينافي اتصافه بها؛ اذ لا يتصف بها إلّا الحادث المفتقر إلى المؤثر، وهو منزّه عن الافتقار.

٢ ـ (ويعود فيه ما هو أبداه؟)؛ فإنّ عود الصفات المخلوقة إلى ما أبداه الخالق، يستلزم كون الفاعل منفعلاً، وحاشا لواجب الوجود ذلك.

٣ ـ (ويحدث فيه ما هو أحدثه؟)؛ فإنّ صفات الحادث محسوسة مخلوقة للباري القديم، فاتصافه بصفات الحادث ينافي القدم.

وعن السبب في هذا التعجب من هذه اللوازم الباطلة أشار بقوله:

٤ ـ (إذاً لتفاوتت ذاته)؛ فإنّ توارد صفات الآلية كالحركة والسكون على الذات

(١) في ص : « أجراه » .

(٢) في ص : « أبداه » .

(٣) في هـ ص : قوله عليه السلام: «إذاً لتفاوتت ذاته ولتجزّأ كنهه ولامتنع من الأزل معناه» قال في الشرح: هذا تأكيد لبيان استحالة الحركة والسكون عليه يقول: لو صحّ لكان محدثا، وهو معنىٰ قوله: «ولامتنع من الأزل معناه» وأيضاً كان ينبغي أن يكون ذاته منقسمة؛ لأنّ المتحرك الساكن لابدّ أن يكون متحيّزاً، وكل متحيّز جسم، وكل جسم منقسم أبداً، وفي هذا اشارة الى نفي الجوهر الفرد.
ثم قال: «ولكان له وراء اذا وجد له أمام».
هذا يؤكد ما قلناه إنّه إشارة الى نفي الجوهر الفرد، يقول: لو حلّته الحركة لكان جرماً وحجماً ولكان أحد وجهيه غير الوجه الآخر لا محالة، فكان منقسماً، وهذا الكلام لا يستقيم إلّا مع نفي الجوهر الفرد؛ لأنّ من أثبته بقول: يصح أن تحلّه الحركة ولا يكون أحد وجهيه غير الآخر، فلا يلزم أن يكون له وراء وامام، انتهى نقلاً منه بلفظه.
وقد نصّ الامام أحمد بن سليمان في حقائق المعرفة على نفي الجوهر الفرد، وروى السيد حميدان القول بنفيه عن الامام الحسين بن القاسم العياني وكلام سائر المتقدمين ككلامهما، والله أعلم.

(٤) قوله : « وخرج » عطف على قوله: « لا يجري عليه السكون » ، وسلطان الامتناع: هو سلطان العزة الأزلية.

المقدسة تستلزم التفاوت في الذات المقدسة، بأن يكون تارة متحركا وآخر ساكنا، كما هو الحال في كلّ حادث، مع انّ الذات المقدسة قديمة وليست حادثة، فلا يكون في ذاته تعالى تفاوت.

٥ ـ (ولتجزّأ كنهه)؛ فإنّ اتصاف الذات المقدسة بالحركة والسكون مثلا، يستلزم ان تكون الذات مجزءة، كما هو الحال في الاجسام التي تتركب من الجنس والفصل والعرض، والباريُ سبحانه ليس بجسم فيتجزأ.

٦ ـ (ولا متنع من الأزل معناه) فإنّه تعالى ازلي، واتصاف الذات بصفات الآلات كالحركه والسكون يعني انه لا معنى للازليّة فيه، مع ان الذات واجب الوجود وهو متصف بالازلية.

٧ ـ (ولكان له وراء إذ وجد له أمام)؛ فإنّ الحركة والكسون لازمان للجسمية، والجسم يتصف بالجهات الست التي توجد في كل جسم من الفوق والتحت والأمام والخلف واليمين واليسار، واثبات الحركة والسكون للذات المقدسة يستلزم ان يوصف بهما بأن يكون له امام وخلف وغيرهما، وحيث أنّ الجسمية منفية عنه تعالى فكذلك لوازمها من الجهات.

٨ ـ (ولالتمس التمام إذ لزمة النقصان)؛ فإنّ صفة الحركة والسكون مثلا يستلزم الحاجة إلى شيئ يستكمل به النقص الموجود في الذات، فلولا هذا النقص لما كانت الحاجة إلى صفة الكمال، والذات المقدسة هي كمالٌ مطلقٌ.

٩ ـ (وإذاً لقامت آية المصنوع فيه) ففي صورة حاجة الصانع إلى ما يفتقر اليه المصنوع يتساوى الصانع والمصنوع في الحاجة، فيكون في ذات الباري تعالى علامة المصنوع، وذلك ينافي وجوب الوجود.

١٠ ـ (ولتحوّل دليلا بعد أن كان مدلولا عليه)؛ فإنّ المخلوقات آثار دالة على وجوده تعالى، ولو نسبت صفات المخلوقات اليه لكان اثراً لا مؤثراً ومدلولا عليه بالآثار، وهذا ينافي وجوب الوجود.

و إلى نتيجة بطلان هذه اللوازم عن الذات المقدسة أشار بقوله:

(وخرج بسلطان الامتناع من أن يؤثر فيه ما يؤثر في غيره) والحال ان هذه اللوازم المذكورة كلها فاسدة، لا يمكن أن تتصف الذات المقدسة بها؛ لأنّ واجب الوجود ذاتا

يتمتع بصفات الكمال، وينفى عنه كلّ صفات الجلال التي تجل الذات المقدسة عنها، ويمتنع عليها، فان وجوب الوجود سلطان للامتناع من كافة صفات المحسوسات ومنها التأثر بأي شيئ، قال الشارح (ت / ٦٥٦ هـ)، ما نصّه: «ليس من المستحيلات عليه بل هو واجب له».[(١)]

ولا فرق في واقع الحال بين التعبيرين، والمحصل: ان الله سبحانه خرج من ان يؤثر فيه شيئ يوثر في المحسوسات والمخلوقات؛ للفرق بين الخالق والمخلوق في الذات، وهذا بسبب سلطان الامتناع الذي ينفرد به تعالى، وان كان قادراً على الجمع بين النقيضين، ولكن أبى ان يجري الامور إلّا باسبابها.

(٦ / ط ـ ١٨٦) المقطع السادس ـ في صفات الذات المقدسة:

ٱلَّذِى لَا يَحُولُ وَلَا يَزُولُ وَلاَ يَجُوزُ عَلَيْهِ ٱلْأُفُول، لَمْ يَلِدْ[(٢)] فَيَكُونَ مَوْلُوداً وَلَمْ يُولَدْ فَيَصِيرَ مَحْدُوداً جَلَّ عَنِ ٱتِّخَاذِ ٱلْأَبْنَاءِ. وَطَهُرَ عَنْ[(٣)] مُلاَمَسَةِ ٱلنِّسَاءِ. لَا تَنَالُهُ ٱلْأَوْهَامُ فَتُقَدِّرَهُ. وَلَا تَتَوهَّمُهُ ٱلْفِطَنُ فَتُصَوِّرَهُ. وَلَا تُدْرِكُهُ ٱلْحَوَاسُّ فَتَحُسَّهُ[(٤)]. وَلَا تَلْمِسُهُ ٱلْأَيْدِى فَتَمَسَّهُ. لَا يَتَغَيَّرُ[(٥)] بِحَالٍ. وَلَا يَتَبَدَّلُ[(٦)] فِي ٱلْأَحْوَالِ[(٧)]. وَلَا تُبْلِيهِ ٱللَّيَالِيَ وَٱلْأَيَّامُ. وَلَا يُغَيِّرُهُ ٱلضِّيَاءُ وَٱلظَّلَامُ.

١ ـ (الذي لا يحول ولا يزول) الحول: الانفعال من حالة الى اخرى، والزول: الخفة في الحركة.

٢ ـ (ولا يجوز عليه الأفول) وهو الغياب من الوجود؛ لوجوب وجوده.

٣ ـ (ولم يلد فيكون مولودا)؛ لأنّ صفة الولادة من صفات الحيوان، والله سبحانه ليس بجسم، فينتفي عنه صفة الولادة، والداً ومولوداً.

٤ ـ (ولم يولد فيصير محدودا)؛ لأنّ المولود حادث بالولادة، والله سبحانه قديم.

---

(١) شرح النهج ١٣ : ٨٠، ط / ١٢٦٢.
(٢) في هـ. د: ولم يلد ـ ب.
(٣) في الف: من.
(٤) في هـ. ب: تحسسه، أي تحسه باليد، قال تعالىٰ: ﴿هل تحسّ منهم من أحد﴾ .
(٥) في ط: ولا يتغيَّر.
(٦) كذا في ب والأصل ظاهراً، وفي الف: بتبدل.
(٧) في هـ. د: بالأحوال ـ ب .

٥ ـ (جل عن اتخاذ الأبناء)؛ فإنّ اتخاذ الابناء لابد وان يكون لحاجة اليهم والحاجة تنافي وجوب الوجود، وتعتبر نقصا في الذات، والذات المقدسه بريئة من كلّ نقص.

٦ ـ (وطهر عن ملامسة النساء)؛ فإنّ الملامسة لا تكون إلّا لرغبة جنسية، وهي من صفات الحيوان، والله سبحانه منزّه عنها.

٧ ـ (لا تناله الأوهام فتقدره)؛ لأنّ العقول لا تصل إلى حقيقة ما بعد الطبيعة من الكون، وانما يمكن من تقدير ما تنالها من المحسوسات.

٨ ـ (ولا تتوهمه الفطن فتصوره)؛ لأنّ نتيجة عدم تناول الاوهام للذات المقدسة انها لا تتمكن من التصور لها، فان تصور الشيئ فرع امكانية توهمه بوجه من الوجوه، وكلها منتفية في الذات المقدسة.

٩ ـ (ولا تدركه الحواس فتحسه) باحدى الحواس الخمس؛ لأنّه تعالى ليس من المحسوسات.

١٠ ـ (ولا تلمسه الأيدي فتمسه)؛ فإنّ كونه من المجرد والجوهر الفرد، فيمتنع من اللمس المادي.

١١ ـ (لا يتغير بحال)؛ فإنّ التغير في الذات من آثار الحادثات، والله واجب الوجود.

١٢ ـ (ولا يتبدل بالأحوال)؛ فإنّ التبدل هو التحوّل من حال لاخر من دون تبدل في الذات.

١٣ ـ (ولا تبليه الليالي والأيام)؛ فإنّ البلى منسب الزمى انما هو للحادثات.

١٤ ـ (ولا يغيره الضياء والظلام) كما يتغير حال المحسوسات من الإنسان والحيوان والنبات بسبب تغير الضياء في النهار من اشعة الشمس، والظلام في الليل المتعاقبين طول الدهر.

(٧ / ط ـ ١٨٦) المقطع السابع ـ في نفي الجسم:

وَلاَ يُوصَفُ بِشَيْءٍ مِنَ ٱلأَجْزَاءِ ولا بِالْجَوَارِحِ وَٱلأَعْضَاءِ. وَلَا بِعَرَضٍ مِنَ ٱلأَعْرَاضِ[١]. وَلَا بِالْغَيْرِيَّةِ والأَبْعاضِ. وَلا يُقالُ لَهُ حَدٌّ ولا نِهَايَةٌ. ولا ٱنْقِطاعٌ وَلا غَايَةٌ. ولا أَنَّ الأَشْياءَ تَحْوِيهِ؛ فَتُقِلَّهُ[٢] أوْ تُهْوِيَهُ[٣] أَوْ أَنَّ شَيْئاً يَحْمِلُهُ فَيُمِيلَهُ أَوْ يُعْدِلَهُ[٤]. لَيْسَ[٥] فِى الأَشْياءِ بَوَالِجٍ[٦] ولا عَنْهَا بِخَارِجٍ.

(١) في هـ. ب: أي ما يعرض من الحركة والسكون والانتقال.
(٢) أي تحمله وترفعه.

وانما فصل فيه للعقيدة الجاهلية التي كان عليها الناس قبل الاسلام من عبادة الاصنام التي تنبع من القول بالجسم، فقال:

١ ـ (ولا يوصف بشيئ من الأجزاء)؛ فإنّ القول بالجزئية يستلزم التركيب، والمركب يفتقر إلى الاجزاء في تكوينه، كما هو الحال في كلّ الاجسام، والله سبحانه واجب الوجود ويختلف عن الممكنات ومنزّه عن الجسمية.

٢ ـ (ولا بالجوارح والأعضاء)؛ فإنّ عبدة الاصنام استخدموا ذلك في معبوداتهم المجسمة، والله سبحانه منزّه عن الجسمية.

٣ ـ (ولا بعرض من الأعراض)؛ لأنّ العرض باقسامه حادث، والله سبحانه قديم واجب الوجود، وهي تعرض الجسم، والله سبحانه منزّه عن الجسميّة، والاعراض سبعة، هي: الكم، والكيف، والاضافة والاين، والمتى، والوضع، والملك، والفعل والانفعال، على ما هو مشروح في علم المنطق.

٤ ـ (ولا بالغيرية والأبعاض)؛ لأنّ الغيرية والبعضية انما تعرض الاجسام، والله ليس بجسم.

٥ ـ (ولا يقال له حد)؛ فإنّ الحد يستلزم العلم بكنه الشيئ جنسا وفصلا، وواجب الوجود لا جنس له ولا فصل له، وإلّا لكان مركبا؛ فإنّه جوهر فرد مجرد.

٦ ـ (ولا نهاية)؛ فإنّ النهاية تستلزم الجسمية، وهو منزّه عنها، وكذلك نهاية الابتداء.

٧ ـ (ولا انقطاع) في وجوده سبحانه؛ لأنّه أزلي واجب الوجوب، فيستحيل العدم في ذاته.

٨ ـ (ولا غاية) في الوجود؛ لوجوب وجوده الذي لا تنتهي إلى غاية محددة.

٩ ـ (ولا أن الأشياء تحويه ، فتقله)؛ فإنّ الاحتواء على الشيئ يستلزم جسميّة ذلك الشيئ، والله سبحانه منزّه عنها.

(٣) أي تضعه وتسقطه.
(٤) في هـ. ب: عدلت الشيء سوّيته، ضد الميل.
(٥) في د: وليس.
(٦) الولوج: الدخول.

ونتيجة ذلك استحالة ان تقلّه، أي تحمله (أو تهويه) بأن تـدفعه إلى أسـفل مـوجبا للهبوط.

١٠ ـ (أو أن شيئا يحمله فيميله أو يعدله)؛ فإنّ حمل الجسم يفتقر إلى امالة وتعديل حتّى يكون صالحا للحمل، وذلك من صفات الاجسام، والله سبحانه منزّه عنها.

١١ ـ (ليس في الأشياء بوالج) والولوج: الدخول والحلول، وهو يستلزم الجسميّة.

١٢ ـ (ولا عنها بخارج) حيث لا مكان للذات المقدسة؛ لاستلزام ذلك الحاجة، والله غني عن كل شيء.

فان النقاط المذكورة التي نفاها الإمام عـن الذات الذات المـقدسة إنـما تشـير إلى المبادي التي كان يلتزم بها عبدة الاصنام الذين تخيلوا آثاراً فجسموها، ومنهم من ادعى الحلول على ما هو مشروح في كتب العقيدة والتاريخ.

(٨/ط ـ ١٨٦) المقطع الثامن ـ في صفات الذات المقدسة:

يُخْبِرُ لا بِلِسانٍ[١] وَلَهَوَاتٍ وَيَسْمَعُ لا بِخُرُوقٍ[٢] وأدَوَاتٍ. يَقُولُ ولا يَلْفِظُ[٣]، وَيَحْفَظُ ولا يَتَحَفَّظُ[٤] ويُرِيدُ ولا يُضْمِرُ.

يُحِبُّ ويَرْضَى مِن غَيْرِ رِقَّةٍ. ويُبْغِضُ وَيَغْضَبُ مِن غَيْرِ مَشَقَّةٍ. يَقُولُ لِما[٥] أرَادَكَوْنَهُ: كُنْ فَيَكُونُ، لا بِصَوْتٍ يَقْرَعُ. ولا بِنِدَاءٍ يُسْمَعُ. وَإِنَّمَا كَلَامُهُ سُبْحَانَهُ فِعْلٌ مِنْهُ أنْشأهُ وَمَثَّلَهُ.

لَمْ يَكُنْ مِنْ قَبْلِ ذَلِكَ كائِناً ولَوْ كانَ قَدِيماً لَكَانَ إلٰهاً ثانياً.

لَا يُقَالُ كَانَ بَعْدَ أَنْ لَمْ يَكُنْ فَتَجْرِىَ عَلَيْهِ ٱلصِّفَاتُ الُمحْدَثَاتُ وَلَا يَكُونَ بَيْنَهَا وَبَيْنَهُ فَصْلٌ، وَلَا لَهُ عَلَيْهَا فَضْلٌ فَيَسْتَوِي ٱلصَّانِعُ وَالمَصْنُوعُ. وَيَتَكَافَأَ المُبْتَدَعُ وَٱلْبَدِيعُ.

١ ـ (يخبر لا بلسان ولهوات) فما يرسله من الوحي ليس بواسطة الالآت المحسوسة التي توجد في الإنسان من اللسان واللهوات، وهي ما تكون في اقصى الحلق، بل يخلق الصوت، وهو على كلّ شيء قدير، فإنّه منزّه عن الجسميّة ولوازمها.

٢ ـ (ويسمع لا بخروق وأدوات) فليس له تعالى اذن سامعة مخروقة لهـذا الغـرض

(١) في الف بلا لسان، وفي هـ. ص في نسخة: بلا لسان، وفي هـ. د: بلا لسان ـ ف و م.
(٢) في الف : بلا خروق وفي هـ. ب، وفي نسخة: بلا خروق، جمع خرق: وهو السمع.
(٣) في ص: ولا يتلفظ، وفي هـ. ص : في نسخة : لا يلفظ.
(٤) أي لا يتكلّف الحفظ ، وهو معنى : (ولا يؤوده حفظهما وهو العليّ العظيم) .
(٥) في ط: لمن ، وفي هـ. د: لمن ـ ض ح ب .

كالاداة للسماع، بل يسمع بقدرته الذاتية.

٣ ـ (يقول ولا يلفظ) بالفم كما هو الحال في الانسان، بل يخلق الكلام.

٤ ـ (ويحفظ ولا يتحفظ) حيث يحفظ الناس ولا يفتقر إلى من يحفظه التحذر منه.

٥ ـ (ويريد ولا يضمر)؛ فإنّ الارادة الالهية لا يفتقر إلى اضمار، فإنّه اذا اراد شيئا قال له: كن، فيكون.

٦ ـ (يحب ويرضى من غير رقة)؛ فإنّ المحبة والرضى من الله ليس لحاجة في نفسه، بل لمصلحة في سلوك العبد، بخلاف المحبة والرضى في الإنسان الذي ينبع من رقة القلب عطفا على من يحب واشفاقا، والله سبحانه منزّه عن ذلك.

٧ ـ (ويبغض ويغضب من غير مشقة)؛ فإنّ البغض والغضب من الله سبحانه انما هـو لتعدي الإنسان على نفسه، وليس بسبب المشقة، كما يحصل بالنسبة الى نزول المشقة على قلب الإنسان بسبب فقدان شيء يتوقعه، والله سبحانه منزّه عن ذلك.

٨ ـ (يقول لمن أراد كونه: كن، فيكون ، لا بصوت يقرع ، ولا بنداء يسمع)؛ فإنّ القول بواسطة ﴿اذا اراد أمرا فانما يقول له كن فيكون﴾[١] والقرع والنداء من خصائص الانسان، والله سبحانه منزّه عن الجسمية وخصائصها.

٩ ـ (وإنما كلامه سبحانه فعل منه أنشأه ومثله) الانشاء: الايجاد، والتمثيل: جعل الشئ على صورة، فان كلام الله سبحانه هو الايجاد للشئ المراد في صورة واقعيّة في الخارج وان كان الإنسان يتصوره كلاما مسموعاً، ولكنّه ليس سوى وجود شـئ عـلى صـورة خاصة في الخارج بارادة الله تعالى الذي هو على كلّ شئ قدير.

١٠ ـ (لم يكن من قبل ذلك كائنا)؛ فإنّ الكلام المخلوق هو خلق حادث احدثه الله سبحانه حيث لم يكن موجوداً من قبل ذلك.

الكلام القديم:

وختم المقطع بما ينفي القدم عن كلام الله سبحانه في نقاط:

أوّلاً: (ولو كان قديما لكان إلها ثانيا)؛ فإنّ القول بقدم الكلام يستلزم تعدد الالهة، وذلك لأنّ القدم من خصائص ذات واجب الوجود لا يشاركه فيه غيره من الموجودات، والقول

(١) راجع مثلا سورة يس: ٨١.

بقدم شئ اخر سواءً في الذات أو الصفات أو المعاني يستلزم تعدد القدماء، وهو الشرك بعينه، فيلزم القول بكون الكلام القديم الها ثانياً، وهو الشرك بالله، تعالى عن ذلك علواً كبيرا.

ثانياً: (لا يقال كان بعد أن لم يكن)؛ فإنّ هذا القول يستلزم سبق العدم على الوجود، وهو ينافي وجوب الوجود، فان سبق العدم على الوجود من صفات الحادثات، والله سبحانه منزّه عنها.

ثالثاً: (فتجري عليه الصفات المحدثات)؛ فإنّ القول (كان بعد ان لم يكن) من الصفات المحدثة، حيث انها لم تكن من قبل كما هي صفات المحدثات؛ لانها تستلزم سبق العدم على الوجود، والله منزّه عنها.

رابعاً: (ولا يكون بينها وبينه فصل) اذ على القول بانه كان بعد ان لم يكن، لم يكن فصل بين المحدثات وبين من احدثها، وهو الله سبحانه؛ لاشتراكهما معا في الصفات، مع ان الذات المقدسة واجب الوجود دون غيره.

خامسا: (ولا له عليها فضل) في الخلق كما هو في خصائص واجب الوجود.

سادسا: (فيستوي الصانع والمصنوع) مع وضوح الفرق بينهما من الذات؛ فإنّ الصانع واجب الوجود، والمصنوع حادث ممكن لا وجوب لوجوده.

سابعاً: (ويتكافأ المبتدئ والبديع) مع ما بينهما من الفرق الواضح بين من يبدع الشئ والاثر الذي يبدعه من اختلافهما من حيث الصفات بوجوب الوجود في البديع تعالى دون ما يخترعه من المبتدعات، فانها جميعا من الممكنات المفتقرة إلى من يوجدها.

(٩/ط - ١٨٦) المقطع التاسع ـ خلق الخلائق:

خَلَقَ ٱلْخَلَائِقَ عَلَى غَيْرِ مِثَالٍ خَلاَ مِنْ غَيْرِهِ. وَلَمْ يَسْتَعِنْ[١] عَلَى خَلْقِهَا بِأَحَدٍ مِنْ خَلْقِهِ. وَأَنْشَأَ ٱلْأَرْضَ فَأَمْسَكَهَا[٢] مِنْ غَيْرِ ٱشْتِغَالٍ. وَأَرْسَاهَا[٣] عَلَى غَيْرِ قَرَارٍ. وَأَقَامَهَا بِغَيْرِ قَوَائِمَ. وَرَفَعَهَا بِغَيْرِ دَعَائِمَ. وَحَصَّنَهَا مِنَ ٱلْأَوَدِ وَٱلاعْوِجَاجِ وَمَنَعَهَا مِنَ ٱلتَّهَافُتِ[٤] وَالانْفِرَاجِ[٥].

---

(١) في هـ. ب : في نسخة : يستعن.
(٢) في هـ. ب : أثبتها.
(٣) في هـ. ب : أثبتها.
(٤) التهافت: التساقط.
(٥) الانفراج: الانفصال.

أَرْسَى أَوْتَادَهَا وَضَرَبَ أَسْدَادَهَا[١]. وَٱسْتَفَاضَ عُيُونَهَا[٢] وَخَدَّ[٣] أَوْدِيَتَهَا. فَلَمْ يَهِنْ مَا بَنَاهُ وَلَا ضَعُفَ مَا قَوَّاهُ.

١ ـ (خلق الخلائق على غير مثال خلا من غيره) بأن خلقها من دون مثال سابق لها، فكان الخلق بديعا لا سابق له في الخلق.

٢ ـ (ولم يستعن على خلقها بأحد من خلقه)؛ فإنّ الاستعانة عجزٌ، والله على كلّ شئ قدير، واكتفى بمثال الارض، فقال:

٣ ـ (وأنشأ الأرض فأمسكها من غير اشتغال) بها عن خلق غيرها من الخلائق.

٤ ـ (وأرساها على غير قرار)؛ فإنّ وجود الارض في جو قائم باسباب طبيعة في نفسها من دون اساس يعتمد عليه.

٥ ـ (وأقامها بغير قوائم) فان الارض قائمة بنفسها وبالقوى الجاذبيّة التي فيها.

٦ ـ (ورفعها بغير دعائم) فهي مرتفعة عن المياه المحيطة بها من دون ان يستوي الماء عليها ومن دون دعائم محسوسة مشاهدة سوى ما اودع الله فيها من قوى الجاذبية.

٧ ـ (وحصنها من الأود والاعوجاج) وهو الميل عن مسارها الطبيعي الذي جعل الله لها، والاعوجاج: الانحراف.

٨ ـ (ومنعها من التهافت والانفراج) والتهافت: السقوط، والانفراج: الانشقاق؛ فإنّ مسير الارض تكشف عن هذا المنع.

٩ ـ (أرسى أوتادها) فهي كالسفينة السابحة في الماء، تفتقر إلى أوتاد وحبال للارساء.

١٠ ـ (وضرب أسدادها) وهي الجبال، والضرب: النصب، فقد جعل فيها الجبال الراسيات.

١١ ـ (واستفاض عيونها) حيث انها نابعة بالماء الذي يفتقر اليه الحياة والزرع.

١٢ ـ (وخد أوديتها) والخد: الشق؛ فإنّ الوديان التي تحيط بالجبال يحدد مسيرتها.

١٣ ـ (فلم يهن ما بناه) حيث ان الارض سائرة في مسيرتها اليومية بميزان جعله الله

( ) أي الجبال ، (والجبال اوتادا).
(١) في هـ. ا: جمع سدّ، وهو الجبل. وفي هـ. ب: السدّ: الحاجز والجبل.
(٢) في هـ. ب: أي أفاض ماء عيونها.
(٣) في ها و ب: أي شق.

فيها.

١٤ ـ (ولا ضعف ما قواه) من الخصائص الطبيعية التي جعلها الله على الارض في مسيرتها اليومية في الحياة، والتي تعم منافعها كلّ من عليها من انسان وحيوان ونبات.

(١٠/ط ـ ١٨٦) المقطع العاشر ـ في قدرة الله تعالى:

هُوَ ٱلظَّاهِرُ عَلَيْهَا بِسُلْطَانِهِ وَعَظَمَتِهِ، وَهُوَ ٱلْبَاطِنُ[١] لَهَا بِعِلْمِهِ وَمَعْرِفَتِهِ وَٱلْعَالِي عَلَى كُلِّ شَيْءٍ مِنْهَا بِجَلاَلِهِ وَعِزَّتِهِ. لَا يُعْجِزُهُ[٢] شَيْءٌ مِنْهَا طَلَبَهُ. وَلَا يَمْتَنِعُ عَلَيْهِ فَيَغْلِبَهُ وَلَا يَفُوتُهُ ٱلسَّرِيعُ مِنْهَا فَيَسْبِقَهُ. وَلَا يَحْتَاجُ إِلَى ذِى مَالٍ فَيَرْزُقَهُ. خَضَعَتِ ٱلْأَشْيَاءُ لَهُ، وَذَلَّتْ[٣] مُسْتَكِينَةً[٤] لِعَظَمَتِهِ لَا تَسْتَطِيعُ ٱلْهَرَبَ مِنْ سُلْطَانِهِ إِلَى غَيْرِهِ فَتَمْتَنِعَ[٥] مِن نَفْعِهِ وَضُرِّهِ. وَلَا كُفْؤَ[٦] لَهُ فَيُكَافِئَهُ[٧]. وَلَا نَظِيرَ لَهُ فَيُسَاوِيَهُ[٨].

١ ـ (هو الظاهر عليها بسلطانه وعظمته)؛ فإنّ الارض مقدورة بسلطان الله الحاكم على الكون، وعظمته الظاهرة للارض ومن فيها ومن عليها.

٢ ـ (وهو الباطن لها بعلمه ومعرفته)؛ فإنّ علمه تعالى ومعرفته شاملة لما يبطن في الارض؛ فإنّ مظاهر قدرته كامنة في باطن الارض كما هي في ظاهرها من المعادن.

٣ ـ (والعالي عل كلّ شئ منها بجلاله وعزته)؛ فإنّ جلال الله وعزته عالية على كلّ مظاهر الارض من انسان وحيوان وجماد ونبات.

٤ ـ (لا يعجزه شئ منها طلبه) فإنّه تعالى قادر على كلّ شئ ولا يعجزه شئ في ذلك.

٥ ـ (ولا يمتنع عليه فيغلبه) حيث انّه الغالب على كلّ شئ، فلا يمتنع عليه شئ.

٦ ـ (ولا يفوته السريع منها فيسبقه) حيث انّه واهب القوّة فيها في السير، فلا يعوقه شئ منها بقدرته الحاكمة على كلّ شئ.

ـ (ولا يحتاج إلى ذي مال فيرزقه)؛ لأنّه هو الرزاق ذو القوّة المتين، وكل ما في الوجود

(١) في هـ. د: بطنت الشيء علمته بمكنونه.
(٢) في ص: «و لا يعجز». وفي هـ. د: و لا يعجزه ـ ب.
(٣) في د: وذلت.
(٤) في هـ. ب: أي خاضعة.
(٥) في هـ. ب، وفي نسخة: فيمنع.
(٦) في ص: «لا كفؤ». وفي أ و ط: «و لا كفؤ»، وفي د: «ولا كفٔ».
(٧) في ص: «فيكافيه». وفي د: «فيكافئه».
(٨) في ب: فيناويه.

من الحادثات يفتقر اليه.

وهذه مظاهر قدرة الله سبحانه الحاكمة على الكون وآثارها، وهي:

أوّلاً: (خضعت الأشياء له) خضوع المؤمن إلى الخالق.

ثانياً: (وذلت مستكينة لعظمته) والذلة: بسبب الحاجة إلى موجدها، وهو الله سبحانه.

ثالثاً: (لا تستطيع الهرب من سلطانه إلى غيره فتمتنع من نفعه وضره)؛ لأنّه سبحانه القادر على كلّ شئ.

وإلى السبب في عدم الاستطاعة من الهرب من سلطانه أشار بقوله:

رابعاً: (ولا كفؤ له فيكافئه) ولا نظير له فيقاومه، والكفو: المثل؛ فإنّ الهرب من سلطانه إلى غيره يكون هربا الى من هو دونه؛ حيث انّه لا مثل له ليكافئه، اذ ليس له نظير مساو في وجوب الوجود، فهو ذو القدرة الكاملة على كلّ موجود.

(١١/ط ـ ١٨٦) المقطع الحادي عشر ـ في فناء الارض والدنيا:

هُوَ الْمُفنى لَهَا بَعْدَ وجُودِهَا. حَتى يَصِيرَ[١] مَوْجُودُهَا كَمَفْقُودِهَا.

وَلَيْسَ فَنَاءُ ٱلدُّنْيَا بَعْدَ ٱبْتِدَاعِهَا بِأَعْجَبَ مِنْ إِنْشَائِهَا وَٱخْتِرَاعِهَا وَكَيْفَ وَلَوِ ٱجْتَمَعَ جَمِيعُ حَيَوَانِهَا ـ مِنْ طَيْرِهَا وَبَهَائِمِهَا وَمَا كَانَ مِنْ مرَاحِهَا[٢] وَسَائِمِهَا[٣] وَأَصْنَافِ أَسْنَاخِهَا[٤] وَأَجْنَاسِهَا وَمُتَبَلِّدَةِ أُمَمِهَا[٥] وَأَكْيَاسِهَا[٦] ـ عَلَى إِحْدَاثِ بَعُوضَةٍ مَا قَدَرَتْ عَلَى إِحْدَاثِهَا وَلَا عَرَفَتْ كَيْفَ ٱلسَّبِيلُ إِلَى إِيجَادِهَا. وَلَتَحَيَّرَتْ عُقُولُهَا فِى عِلْمِ ذَلِكَ وَتَاهَتْ[٧] وَعَجَزَتْ قُوَاهَا وَتَنَاهَتْ. وَرَجَعَتْ خَاسِئَةً[٨] حَسِيرَةً[٩] عَارِفَةً بِأَنَّهَا مَقْهُورَةٌ. مُقِرَّةً بِالْعَجْزِ عَنْ إِنْشَائِهَا. مُذْعِنَةً[١٠] بِالضَّعْفِ عَنْ إِفْنَائِهَا.

(١) في ب: يصيّر.
(٢) في هـ. ب: المراح: الموضع الذي يراح الابل اليه بعد الرواح، والتي تراح، أي ثويتها.
(٣) في هـ ب: السائم: الذي [يرعى] من الماشية.
(٤) في ب: أسباخها وفي هـ ب: أشباحها: شخصها واشخاصها: أُصولها.
(٥) المتبلدة: الغبيّة، وفي هـ ب: متردّدة أُممها، متحيّرة، تلبّد، أي تردّد متحيراً.
(٦) في هـ. ب: جمع كيّس.
(٧) في هـ. ب: تحيرت.
(٨) هـ. ب: صاغرة.
(٩) في هـ.ب: منقطعة معيبة.
(١٠) في هـ. ب: منقادة.

١ ـ (هو المفني لها بعد وجودها)؛ فإنّ الله سبحانه خلق الارض السائرة على القوانين التي أودعها الله فيها الى نهاية محتومة بها يكون فناء الارض.

٢ ـ (حتى يصير موجودها كمفقودها) فان ما بها ومن عليها ينتهي الى العدم، كانها لم توجد كما يشير الى ذلك آيات القران الكريم، منها قوله تعالى:﴿يوم تبدل الارض غير الارض﴾[1] وغيره من اشراط الساعة .(راجع المادة في المعجم).

وحيث ان هذا الفناء بعد ما سرد من خصائص الارض المانعة لها من التهافت والانفراج يدعوا الى التساؤل والتعجب، أشار عليه السلام إلى ان الارض والدنيا، ومجموعة السيارات كلها، من النظام الحاكم في الكون، فإنّها محكومة بالفناء عند قيام الساعة، فقال:

٢ ـ (وليس فناء الدنيا بعد ابتداعها بأعجب من إنشائها واختراعها)؛ فإنّ في ذلك كلّه داخل تحت قدرة الله تعالى الحاكمة في الكون بالانشاء والفناء تبعا لارادته تعالى وحكمته التي لا يعلمها سواه.

ثم سرد من خلق الدنيا الموجبة للعجب، فقال:

٤ ـ (وكيف لو اجتمع جميع حيوانها) على خلق شئ صغير من الخلق كالبعوضة لم تتمكن من ذلك، واشار الى اصناف الحيوان بقوله:

(من طيرها) الحيوان ذو الجناحين الذي يطير في الهواء.

(وبهائمها) والبهيمة: كلّ ذات اربع قوائم.

(وما كان من مراحها) محل الراحة، وهي الابل التي خلدت إلى الراحة.

(وسائمها) المطلقة العنان للرعي.

(وأصناف أسناخها) السنخ: الاصل.

(وأجناسها) النوع من الشيء، وشرح الاصناف بقوله:

(ومتبلدة أممها) التليد: الغائب، إشارة إلى الغباء.

(وأكياسها) الكيس: الحاذق، إشارة إلى الذكاء.

فانها جميعا عاجزة عن الخلق؛ لانها مخلوقات مفتقرة إلى من يخلقها، وشرح ذلك بقوله:

---

(١) ابراهيم : ٤٨.

٥ ـ (على إحداث بعوضة ما قدرت على إحداثها) لانها مخلوقات حادثة وليست بواجب الوجود الذي هو على كلّ شئ قدير.

٦ ـ (ولا عرفت كيف السبيل إلى إيجادها) لفقدان العلم المؤدي إلى ذلك.

٧ ـ (ولتحيرت عقولها في علم ذلك وتاهت)؛ لأنّ العقول المادية لا تتمكن من الخلق وان تمكن من اكتشاف المخلوقات.

٨ ـ (وعجزت قواها) لانها ذات قوى محدودة وعلم محدود لا يمكنها خلق بعوضة .

٩ ـ (وتناهت) أي انتهت من القرار لمحاولة خلق جديد.

١٠ ـ (ورجعت) عن محاولة خلق جديد وهي متصفة بالصفات التالية:

أوّلاً: (خاسئة) أي ذليلة.

ثانياً: (حسيرة) اي ذات حسرة.

ثالثاً: (عارفة بأنها مقهورة) لفشلها في محاولتها.

رابعاً: (مقرّة بالعجز عن إنشائها) لفقدان القدرة على الانشاء.

خامساً: (مذعنة بالضعف عن إفنائها) أي افناء البعوضة من الوجود؛ فإنّ ما يستخدم لابادتها لا يمكن ابادة نوعها من الوجود.

وبكلمة: ان كلا من الابداع للشئ وافناء الشئ من دواعي العجب، ومشاهدة البعوضة دليل على ذلك؛ فإنّ كلّ القوى لو اجتمعت لافناء هذه الحشرة من الارض لم يمكنها ذلك، كما هو المحسوس، والمحاولات العلمية لم تتمكن من القضاء على هذه الحشرة، وهذا يوجب العجب في بعوضة صغيرة، وفناء الدنيا أعجب، كما ان انشائها عجيب، بحسب الموازين المادية، ولكنها جميعا داخلة تحت قدرة الله تعالى الذي هو على كلّ شئ قدير.

(١٢ / ط ـ ١٨٦) المقطع الثاني عشر ـ بعد فناء الدنيا:

وَانَّ سُبْحَانَهُ[1] يَعُودُ[2] بَعْدَ فَنَاءِ ٱلدُّنْيَا وَحْدَهُ لَا شَيْءَ مَعَهُ. كَمَا كَانَ قَبلَ ٱبْتِدَائِهَا كَذَلِكَ يَكُونُ بَعْدَ فَنَائِهَا بِلَا وَقْتٍ وَلَا مَكَانٍ وَلَا حِينٍ وَلَا زَمَانٍ. عُدِمَتْ عِنْدَ ذَلِكَ ٱلْآجَالُ وَٱلْأَوْقَاتُ[3]. وَزَالَتِ ٱلسِّنُونَ وَالسَّاعَاتُ. فَلَا شَيْءَ إِلاَّ ٱلْوَاحِدُ ٱلْقَهَّارُ ٱلَّذِي إِلَيْهِ مَصِيرُ

---

(١) في ص : « وان الله سبحانه » .

(٢) د: وانه يعود سبحانه في هـ د: وانه سبحانه يعود ـ ح و ل، وان الله سبحانه يعود ـ ب.

(٣) في هـ. د: والأوقات والسنون ـ ب .

جَمِيعِ ٱلْأُمُورِ.

١ ـ (وإن الله سبحانه يعود بعد فناء الدنيا) والمراد من العود: البقاء بعد فناء الاشياء، فإنّه تعالى كان ولم يزل.

٢ ـ (وحده لا شئ معه) لفناء كلّ شئ من المخلوقات سوى وجوده تعالى وحده.

٣ ـ (كما كان قبل ابتدائها) من الوحدة في الوجود والوجوب.

٤ ـ (كذلك يكون بعد فنائها) من الوجود في الوجود والوجوب.

٥ ـ (بلا وقت ولا مكان) لا ستلزامهما الجسمية، والله منزّه عنهما.

٦ ـ (ولا حين ولا زمان) الحين: المدة، والزمان: مدة من الوقت غير ثابتة الاجزاء، والموجب: المقدار من الزمن، وكل ذلك يستلزم الجسميّة، والله منزّه عنها.

٧ ـ (عدمت عند ذلك الآجال والأوقات)؛ لأنّ تحديد ذلك كلاه ّنما هو بدوران الافلاك والشمس والقمر، فان عليها اعتماد التواريخ، وبعد فناء كلّ شئ لا يوجد وقت ولا غاية اجل.

٨ ـ (وزالت السنون والساعات) بزوال المقاييس التي تقاس بها.

٩ ـ (فلا شئ إلّا الواحد القهار) حيث قال تعالى: ﴿ويبقى وجه ربك ذو الجلال والاكرام﴾[1].

١٠ ـ (الذي إليه مصير جميع الأمور) اقتباس من قوله تعالى: ﴿وَللهِ مَا فِي ٱلسَّمَاوَاتِ وَمَاٱلْأَرْضِ وَإِلَى ٱللهِ تُرْجَعُ ٱلْأُمُورُ﴾[2].

وبهذه النقاط العشر حدد عليه السلام قيام الساعة ونهاية الدنيا وما فيها وما عليها.

(١٣/ط ـ ١٨٦) المقطع الثالث عشر ـ في خلق الدنيا وفنائها:

بَلَا قُدْرَةٍ مِنْهَا كَانَ ٱبْتِدَاءُ خَلْقِهَا. وَبِغْيرِ ٱمْتِنَاعٍ مِنْهَا كَانَ فَنَاؤُهَا. وَلَوْ قَدَرَتْ عَلَى ٱلامْتِنَاعِ لَدَامَ بَقَاؤُهَا لَمْ يَتَكَاءَدْهُ[3] صُنْعُ شَيْءٍ مِنْهَا إِذْ صَنَعَهُ. وَلَمْ يَؤُدْهُ[4] مِنْهَا خَلْقُ مَابَرَأَهُ

(١) الرحمن : ٢٧ .

(٢) آل عمران: ١٠٩ .

(٣) في هـ. د: وروي :لم يتكأد ـ ر، ولم يتكأده ـ ل و ، وفي هـ. ب: لم يتأده، أي هو الله تعالى فعل الافعال بغير معالجة ولا استحثاث، فلم يكده ولم يثقله، بخلافنا. وفي هـ. ص:« بالمد: أي لم يشق عليه، ويجوز: يتأكّده، بالتشديد والهمزة، وأصله من العقبة الكؤود، وهي الشاقة». انتهى من الشرح .

وَخَلَقَهُ[1] وَلَمْ يُكَوِّنْهَا لِتَشْدِيدِ سُلْطَانٍ. وَلَا لِخَوْفٍ[2] مِنْ زَوَالٍ وَنُقْصَانٍ. وَلَا لِلْاسْتِعَانَةِ بِهَا عَلَى نِدٍّ مُكَاثِرٍ. وَلَا لِلْاحْتِرَازِ بِهَا مِنْ ضِدٍّ مُثَاوِرٍ[3]. وَلَا لِلْازْدِيَادِ بِهَا فِي مُلْكِهِ. وَلَا لِمُكَاثَرَةِ شَرِيكٍ فِي شِرْكِهِ. وَلَا لِوَحْشَةٍ كَانَتْ مِنْهُ فَأَرَادَ أَنْ يَسْتَأْنِسَ إِلَيْهَا. ثمَّ هُوَ[4] يُفْنِيهَا بَعْدَ تَكْوِينِهَا لَا لِسَأَمٍ[5] دَخَلَ عَلَيْهِ فِي تَصْرِيفِهَا وَتَدْبِيرِهَا وَلَا لِرَاحَةٍ وَاصِلَةٍ إِلَيْهِ. وَلَا لِثِقَلِ شَيْءٍ مِنْهَا عَلَيْهِ. لَا[6] يُمِلُّهُ طُولُ بَقَائِهَا فَيَدْعُوهُ إِلَى سُرْعَةِ إِفْنَائِهَا.

١ ـ (بلا قدرة منها كان ابتداء خلقها)؛ فإنّ الله سبحانه لحكمته خلقها بارادته من دون قدرة للدنيا سوى الوجود التكويني بامره تعالى.

٢ ـ (وبغير امتناع منها كان فناؤها) لارادة الله الحاكمة على فنائها؛ لعدم قدرتها على الامتناع امام امر الله الواحد القهار.

٣ ـ (ولو قدرت على الامتناع دام بقاؤها) لما اودع الله فيها من عوامل القوى الطبيعيّة فيها، ولكن بارادة الله قبل قيام الساعة يحدث اشراط القيامة، وقد يكون انعدام الطاقة في الشمس حتّى كورت، وبانعدام ذلك تختل السيارات السبع ويكون فناء الكواكب على اثر صدام بينها، وفي الايات الكريمة لمحات إلى ذلك، اشرت اليها في اوضح البيان في مواضعها.

٤ ـ (لم يتكأده صنع شئ منها إذ صنعه) الكد: المشقة؛ فإنّ الله سبحانه خلقها بارادته.

٥ ـ (ولم يؤوده منها خلق ما خلقه وبرأه) والوأد: القتل؛ فإنّ الدنيا على دقة الخلق بها لم تستتبع ثقلا في خلقها امام قدرة الله تعالى، والبرأ كناية عن الخلق.

والى اسباب تكوين الدنيا أشار إلى سلسلة من السلبيات التي اعتادها الإنسان في الماديات بقوله:

أوّلاً: ـ (ولم يكونها لتشديد سلطان) كما هو المعتاد للانسان المادي، من تكوين شئ

(٤) أي لم يثقله.

(١) في هـ. د: خلق ما خلقه وبرأه ـ ب.

(٢) في ص: تخوّف.

(٣) في هـ. ا: المثاورة: المواثبة.

(٤) لم ترد «هو» في ب.

(٥) السأم: الملل والضجر.

(٦) في ص: ولا يمله.

ليكون له اثراً يشير الى قوة سلطانه.

ثانياً: (ولا خوف من زوال ونقصان) حيث اعتاد اصحاب القوّة من بناء قصورهم بصورة تحفظهم مما قد يطرأ لملكهم من الحوادث.

ثالثاً: (ولا للاستعانة بها على ند مكاثر) والند: النظير، والمكاثر: الخارج بالغلبة .

رابعاً: (ولا للاحتراز بها من ضد مثاور) والمثاور: المهاجم بالدفع المضاد للحكم.

خامساً: (ولا للازدياد بها في ملكه) كما يحفظ الملوك سعة ملكهم.

سادساً: (ولا لمكاثرة شريك في شركه) كما يقوم بذلك الشركاء، حيث يبنون ما يبنون للغلبة على الشريك الفاقد لها.

سابعاً: (ولا لوحشة كانت منه فأراد أن يستأنس إليها)؛ فإنّ الوحشة والانس من الصفات المادية.

فان هذه الاسباب كلها منتفية بالنسبة إلى ذات واجب الوجود المستغني عن الخلق اجمعين.

والى سبب الافناء للدنيا قال:

١ ـ (ثم هو يفنيها بعد تكوينها) لحكمة لا يعلمها إلّا الله سبحانه.

٢ ـ (لا لسأم دخل عليه) بسبب الملل من الخلق كما يحصل للانسان المادي في ما يقوم به من الاعمال في الدنيا (في تصريفها وتدبيرها) أي تحويلها من حالات مختلفة، والتدبير: الاهتمام بشؤون الشيئ، فان السأم من ذلك انما هو من خصائص الإنسان المادي، وواجب الوجود منزّه عنها.

٣ ـ(ولا لراحة واصلة إليه) بسبب التخلص من التصريف والتدبير.

٤ ـ (ولا لثقل شيئ منها عليه) كما يثقل على الإنسان المادي.

٥ ـ (لم يمله طول بقائها فيدعوه إلى سرعة إفنائها)؛ فإنّ طول البقاء في الإنسان المادي يدعوا إلى التخلص من الشيئ لاستبداله باحسن منه حسب رغبته.

فان هذه الاسباب الماديّة ليست هي الاسباب الداعيّة إلى افناء الدنيا .

بل ان كلا من التكوين والافناء لحكمة لا يعلمها سوى الله سبحانه.

(١٤ / ط ـ ١٨٦) المقطع الرابع عشر ـ في تدبير الخلق:

لَكِنَّهُ سُبْحَانَهُ دَبَّرَها بِلُطْفِهِ وَأَمْسَكَهَا بِأَمْرِهِ وَأَتْقَنَهَا بِقُدْرَتِهِ ثُمَّ يُعِيدُهَا بَعْدَ ٱلْفَنَاءِ مِنْ غَيْرِ

حَاجَةٍ مِنْهُ إِلَيْهَا وَلَا ٱسْتِعَانَةٍ بِشَيْءٍ مِنْهَا عَلَيْهَا[١] وَلَا لِانْصِرَافٍ مِنْ حَالِ وَحْشَةٍ إِلَى حَالِ ٱسْتِئْنَاسٍ. وَلَا مِنْ حَالِ جَهْلٍ وَعَمًى إِلَى حالِ عِلْمٍ وَٱلْتِمَاسٍ. وَلَا مِنْ فَقْرٍ وَحَاجَةٍ إِلَى غِنًى وَكَثْرَةٍ. وَلاَ مِنْ ذُلٍّ وَضَعَةٍ إِلى عِزٍّ وَقُدْرَةٍ.

وختم المقطع بالاشارة إلى السبب الاصيل في التكوين والافناء، ثمّ قيام الساعة للنشر والحساب هو لتدبير الخلق كما يريد، والله سبحانه على كلّ شيئ شهيد، وقال عن التكوين:

١ ـ (ولكنّه سبحانه دبرها بلطفه) من البر والاحسان بالخلق اجمعين.

٢ ـ (وأمسكها بأمره) النافذ من الفناء.

٣ ـ(وأتقنها بقدرته) الحاكمة على الكون.

والى قيام الساعة للنشر والحساب أشار بقوله:

٤ ـ (ثم يعيدها بعد الفناء) اما جميعها أو بعضها أو الناس الذين عاشوا فيها للنشر والحساب كما نصت على ذلك ايات واحاديث كثيرة، الظاهر الاخير، والله العالم.

٥ ـ (من غير حاجة منه إليها)؛ لأنّه الغني الحميد.

٦ ـ (ولا استعانة بشيئ منها عليها)؛ فإنّ الاستعانة افتقار واحتياج، والله على كلّ شيئ قدير.

٧ ـ (ولا لانصراف من حال وحشة إلى حال استئناس) كما هو الحال في الإنسان المادي.

٨ ـ(ولا من حال جهل وعمى إلى حال علم والتماس)؛ لأنّ علمه تعالى وسع كلّ شيئ، وهو علم ذاتي، فلا يفتقر إلى التماس العلم وطلبه.

٩ ـ (ولا من فقر وحاجة إلى غنى وكثرة)؛ فإنّ ذلك من صفات الحادثات.

١٠ ـ (ولا من ذل وضعة إلى عز وقدرة)؛ فإنّ ذلك من حالات الإنسان المادي، وهو العزيز الحكيم؛ فإنّ هذه الصفات المنفية هي من خصائص الإنسان المادي وليس شيئ منها هي ممّا يوصف به الذات المقدسة الواجب الوجود المجتمع بجميع صفات الكمال، وهو الله سبحانه البارئ المتعال، وهو وحده العالم بالحكمة في التدبير في ذلك تكويناً

---

(١) في الف : عليه.

وافناءً، وهو على كلّ شئ قدير.

قال ابن أبي الحديد في شرح نهج البلاغة مانصه:« فان قلت: إذا كان يفنيها لا لكذا ولا لكذا، وكان من قبل أوجدها لا لكذا ولا لكذا، ثم قلتم انه يعيدها لا لكذا ولا لكذا، فلأي حال أوجدها أولا، ولأي حال أفناها ثانيا، ولأي حال أعادها ثالثا خبرونا عن ذلك، فإنكم قد حكيتم عنه عليه السلام الحكم ولم تحكوا عنه العلة. قلت: إنما أوجدها أولا للإحسان إلى البشر ليعرفوه، فإنه لو لم يوجدهم لبقي مجهولا لا يعرف، ثم كلف البشر ليعرضهم للمنزلة الجليلة التي لا يمكن وصولهم إليها إلّا بالتكليف وهي الثواب، ثم يفنيهم لأنه لا بد من انقطاع التكليف ليخلص الثواب من مشاق التكاليف؛ وإذا كان لا بد من انقطاعه فلا فرق بين انقطاعه بالعدم المطلق، أو بتفريق الاجزاء، وانقطاعه بالعدم المطلق قد ورد به الشرع، وفيه لطف زائد للمكلفين، لأنه أردع وأهيب في صدورهم من بقاء أجزائهم، واستمرار وجودها غير معدومة. ثم إنه سبحانه يبعثهم ويعيدهم ليوصل إلى كل انسان ما يستحقه من ثواب أو عقاب، ولا يمكن ايصال هذا المستحق إلّا بالإعادة، وإنما لم يذكر أمير المؤمنين عليه السلام هذه التعليلات، لأنه قد أشار إليها فيما تقدم من كلامه، وهي موجودة في فرش خطبه، ولان مقام الموعظة غير مقام التعليل، وأمير المؤمنين عليه السلام في هذه الخطبة يسلك مسلك الموعظة في ضمن تمجيد الباري سبحانه وتعظيمه، وليس ذلك بمظنة التعليل والحجاج».[1]

[١٨٧]

ومن خطبة له عليه السلام تختص بذكر الملاحم[2]:

يتضمن وصف الطليعة المؤمنة والادبار عن الحقّ وعلائمه وآثاره، وواجب الموقف ومثال القائد.

وقد ختم المقطع بدور نفسه كقائد يؤدي واجبه الرسالي ويطلب من القاعدة متابعتها، فقال:

(١ / ط - ١٨٧) في ذكر الملاحم:

(١) شرح نهج البلاغة؛ ابن أبي الحديد ١٣ : ٩٣ ـ ٩٤.
(٢) في أ: ومن خطبة له عليه السلام في الملاحم.

أَلَا بِأَبِي وَأُمِّي[1] هُمْ[2] مِنْ عِدَّةٍ![3] أَسْمَاؤُهُمْ فِي السَّمَاءِ مَعْرُوفَةٌ، وَفِي الْأَرْضِ مَجْهُولَةٌ[4]. أَلَا فَتَوَقَّعُوا[5] مَا يَكُونُ مِنْ إِدْبَارِ أُمُورِكُمْ، وَانْقِطَاعِ[6] وُصَلِكُمْ[7]، وَاسْتِعْمَالِ صِغَارِكُمْ[8].

ذَاكَ[9] حَيْثُ تَكُونُ ضَرْبَةُ السَّيْفِ عَلَى الْمُؤْمِنِ أَهْوَنَ مِنَ الدِّرْهَمِ مِنْ حِلِّهِ![10] ذَاكَ حَيْثُ يَكُونُ الْمُعْطَى أَعْظَمَ أَجْراً من الْمُعْطِي[11]؛ ذَاكَ حَيْثُ تَسْكَرُونَ مِنْ غَيْرِ شَرَابٍ[12]، بَلْ مِنَ النِّعْمَةِ وَالنَّعِيمِ[13]، وَتَحْلِفُونَ[14] مِنْ غَيْرِ اضْطِرَارٍ، وَتَكْذِبُونَ مِنْ غَيْرِ إِحْرَاجٍ[15]؛ ذَاكَ[16] إِذَا عَضَّكُمُ الْبَلَاءُ، كَمَا يَعَضُّ الْقَتَبُ غَارِبَ الْبَعِيرِ[17]. مَا أَطْوَلَ هَذَا الْعَنَاءَ! وَأَبْعَدَ هَذَا الرَّجَاءَ!

أَيُّهَا النَّاسُ، أَلْقُوا هَذِهِ الْأَزِمَّةَ[18] الَّتِي تَحْمِلُ ظُهُورُهَا الْأَثْقَالَ مِنْ أَيْدِيكُمْ[19]، وَلَا

(١) في هـ. ب: أي فداهم أبي وأُمي.
(٢) لم ترد «هم» في أ، وفي هـ د: بأبي وأُمي من عدة ـ ن و ف و م.
(٣) في هـ. ب: العدة مصدر عدد الشيء عداً وعدة، والعدة جماعة قلّت أم كثرت، وعدة المرأة كذلك.
(٤) في هـ. ب: أشار أولاً الى أحد عشر من أولاده المعصومين من بعده وقال: ان الملائكة يعرفونهم وأكثر أهل الأرض يجهلونهم.
(٥) في هـ. ب: انتظروا.
(٦) في هـ. ص: أي تفرقكم واختلافكم.
(٧) في هـ. ب: جمع وصلة.
(٨) في هـ. ب: أي استعمل عليكم أحداثكم وذوو الصغار، واستعمال صغاركم: أي استعمل عليكم فاسق كل قبيلة ومن هو أصغر قدراً.
(٩) في هـ.ب: اشارة الى فتنة الدجال قبل خروج المهدي.
(١٠) في هـ. ب: من كسب حلال، وفي هـ. ب أيضاً ان ذلك الذي ذكرت اذا صار وحان وقته، اكتساب درهم حلال أصعب من احتمال ضربة سيف.
(١١) في هـ. ب: اشارة الى ان اليد السفلى خير من اليد العليا، على ما يقال.
(١٢) في هـ. ب: يسكرون بالتنعم والمال باسراف التنعم.
(١٣) في هـ. ب: أي المال.
(١٤) في هـ. ب، وفي نسخة: وتخلفون من الخلاف.
(١٥) في هـ. د: من غير اخراج ـ ن و ل، وفي هـ. ب: الاحراج مصدر أحرجه، والمصدر الحرج.
(١٦) د: ذلك.
(١٧) في هـ. ب القتب بالتحريك رحل صغير على قدر السنام، والغارب من البعير: ما بين السنام الى العنق.
(١٨) في هـ. ب: جمع زمام.
(١٩) في هـ. ب: أي القوا من أيديكم.

تَصَدَّعُوا[1] عَلَى[2] سُلْطَانِكُمْ فَتَذُمُّوا[3] غِبَّ[4] فِعَالِكُمْ، وَلَا تَقْتَحِمُوا[5] ما اَسْتَقْبَلْتُمْ[6] مِنْ فَوْرِ[7] نارِ الْفِتْنَةِ، وَأَمِيطُوا[8] عَنْ سَنَنِهَا[9]، وَخَلُّوا قَصْدَ السَّبِيلِ لَهَا؛ فَقَدْ لَعَمْرِي يَهْلِكُ فى لَهَبِهَا[10] الْمُؤْمِنُ، وَيَسْلَمُ فِيهَا غَيْرُ الْمُسْلِمِ[11]. إِنَّمَا مَثَلِى بَيْنَكُمْ كَمَثَلِ السِّرَاجِ فى الظُّلْمَةِ يَسْتَضِيءُ بِهِ مَنْ وَلَجَهَا.

فاسْمَعُوا أَيُّهَا النَّاسُ وَعُوا، وَأَحْضِرُوا آذَانَ قُلُوبِكُمْ تَفْهَمُوا.

١ ـ (إنما مثلي بينكم) باعتبار تسلم القيادة الاسلاميّة.

٢ ـ (مثل السراج في الظلمة)؛ فإنّ من مسؤوليات القائد تثقيف الشعب بالثقافة الاسلاميّة التي تكون نورا للمهتدين بها في الظلمة، والشهاب الذي ينير الدرب للوصول الى الحقائق.

٣ ـ (يستضئ به من ولجها)؛ فإنّ من يتحصن بالرؤية الواضحة للمبادي والوسائل والاهداف لابد وان يستخدم ثقافته حين يدخل مواقع الظلمة كيلا ينزلق بسبب الظلمة.

والى واجب القاعدة أشار بقوله:

أوّلاً: (فاسمعوا أيها الناس)؛ فإنّ الواجب الأوّل: السماع لتوجيهات القائد.

ثانياً: (وعوا)؛ فإنّ الواجب الثاني: الوعي الاسلامي لما يذكر من التوجيهات.

ثالثاً: (وأحضروا آذان قلوبكم) بأن يكون الحضور حضورا للهداية، وليس لقضاء الوقت بالاصغاء من دون وعي القلب.

رابعاً: (تفهموا) فهي النتيجة الحتمية التي تهدى الإنسان للسلوك في الصراط المستقيم.

---

(١) هـ. ب: أي لا تتفرقوا.
(٢) في هـ. ص، وفي نسخة: عن.
(٣) في ص: فتندموا ظاهرا، وفي هـ. ب: من المذمة.
(٤) في هـ. ب: الغب: العاقبة.
(٥) في هـ. ب: أي لا تدخلوا قحمة الفتنة أي معظمها.
(٦) في الف و ص و د: ما استقبلكم في هـ. د: ما استقبلتم ـ ض و ح و ب و ل و ش.
(٧) في هـ. ب: أي من غليان.
(٨) في هـ. ب: أي ابعدوا.
(٩) في هـ. ب: أي اتركوا سواء السبيل.
(١٠) في هـ. ب: أي ما يتلهب من النار.
(١١) الى هنا ورد في أ، وفي هـ. د: «انما مثلي... الى تفهموا» ساقطة من ف و ن و ش.

وافتتح المقطع بوصف الطليعة المؤمنة في المجتمع الاسلامي الذي يقوم بواجبه فوصفهم بقوله:

١ ـ (ألا بأبي وأمي) فانهم يستحقون الفداء لهم بالاب والام؛ لانهم يحملون مشعل الاسلام وما اعظمها من كلمة.

٢ ـ (هم من عدة أسماؤهم في السماء معروفة) حيث ذكر القران الكريم صفات المؤمنين ﴿الذين صَدَقُوا مَا عَاهَدُوا اللهَ عَلَيْهِ فَمِنْهُم مَّن قَضَىٰ نَحْبَهُ وَمِنْهُم مَّن يَنتَظِرُ وَمَا بَدَّلُوا تَبْدِيلاً﴾[1].

٣ ـ (وفي الأرض مجهولة) لانهم يؤدون واجبهم لله تعالى وليس للاعلان بين الناس على الارض.

الادبار عن الحق ؛ علاماته وآثاره:

وأشار إلى ان هذه الطليعة المؤمنة تتواجد في كلّ عصر ومصر، إلّا ان الاتجاه العام للمجتمع يكون بالادبار عن الحق واهمال الواجب الاسلامي، وذكر لذلك العلامات والاثار بقوله:

(ألا فتوقعوا ما يكون) من العلامات، التي أشار اليها بقوله:

١ ـ (من إدبار أموركم) بصفة عامة، حيث ان اثر اهمال الواجب الاسلامي يعم المجتمع بصورة عامة.

٢ ـ (وانقطاع وصلكم)؛ فإنّ الصلة بين طبقات المجتمع تنقطع باتباع الاعداء سياسة «فرّق تسد».

٣ ـ (واستعمال صغاركم) حيث يتحمل المسؤولية اناس ليس لهم الكفاءة والتجربة لصغر العمر، فيستخدمون لضرب اصحاب الكفاءة بهؤلاء الصغار الذين تخفى عليهم الاسباب والاهداف.

٤ ـ (ذاك حيث تكون ضربة السيف على المؤمن أهون من الدرهم من حله) حيث ان نتيجة اهمال الواجب ان تستخدم الاموال المحرمة شرعا والتي تكسب بالتجارات غير المشروعة كالخمور والربا والقمار، فيكون اثرها في الطليعة المؤمنة اكبر من القتل ؛ لانها

---

(١) الاحزاب: ٢٣.

قتل للمفاهيم الاسلامية.

٥ ـ (ذاك حيث يكون المعطي أعظم أجرا من المعطي)؛ لأنّ المعطى له دوافع مـاديّة وسياسيّة والذي ياخذ ما يعطيه بامتناعه عن استخدام نفس الاسلوب غير الاسـلامي يكون اعظم منه اجراً؛ لعدم انزلاقه الى حبائل الشيطان.

٦ ـ (ذاك حيث تسكرون من غير شراب ، بل من النعمة والنعيم)؛ فـإنّ حب الدنـيا توجب الغرور الذي هو سكر ويصد هذا الحب الإنسان عن العمل بالواجب.

٧ ـ (وتحلفون من غير اضطرار) موجب للحلف، بل لاستخدام الحلف في الاغـراء للمؤمن بها.

٨ ـ (وتكذبون من غير إحراج) موجب للكذب مثل حفظ نفس أو عـرض أو مـال محترم، بل يصبح الكذب عادة سارية في المجتمع.

٩ ـ (ذلك إذا عضكم البلاء كما يعض القتب غارب البعير) والعض: الشدة، والقـتب: سرج البعير، والغارب: ما بين العنق والسنام؛ فإنّ وضع الشئ في غير موضعه يكون له من الاذى كالعض شدة، وكنتيجة لهذا الوضع غير الاسلامي أشار بقوله:

١٠ ـ (ما أطول هذا العناء وأبعد هذا الرجاء)؛ فإنّ نتيجة الانحراف عـن المسـؤولية الاسلامية يوجب طول العناء وبعد الرجاء للاصلاح.

فإنّ كلا من النقاط المذكورة التي هي علائم للانحراف عن الحق الاسلامي تسـتلزم عناءً طويلا يعانيه المسلم في حياته الشخصية والاجتماعية، فـلا يـرى رجـاءً قـريبا للتخلص منه.

وأشار إلى واجب الموقف بقوله:

١ ـ (أيها الناس) والخطاب عام، أي يجب على الجميع ما ينقد الموقف؛ لأنّ الضرر يكون عاما.

٢ ـ (ألقوا هذه الأزمة) وهي المقود الذي يقود إلى النتيجة المذكورة (التـي تـحمل ظهورها الأثقال من أيديكم) وذلك بالإعراض عما يقود الى النتيجة المذكورة التي تحمل اثقال المعاصي على ظهوركم.

٣ ـ(ولا تصدعوا على سلطانكم فتذموا غبّ فعالكم) والصدع: التفرقة؛ فإنّ التفرقة في الكلمة والسلطة للامام العادل يوجب الندامة عقيب الافـعال بـصورة مـباشرة أو غـير

مباشرة.

٤ ـ (ولا تقتحموا ما استقبلتم من فور نار الفتنة)؛ فإنّ الدخول فـي الفـتنة يـوجب الاصطلاء بنارها الفوّارة الهائجة.

٥ ـ (وأميطوا عن سننها) والإماطة: التنحّي، والسنن: الطريقة للفتنة.

٦ ـ (وخلوا قصد السبيل لها) والسبيل القاصد: الطريق المستقيم، أي اتـركوا الفـتنة وطريقها التي يسلك فيها، لا تلتبس عليكم الحقائق؛ فإنّ الفتنة لو تركت ونفسها كشفت عن حقيقتها بنفسها.

واشار إلى حقيقة عامة للفتنة بقوله:

(فقد لعمري يهلك في لهبها المؤمن ويسلم فيها غير المسلم)؛ فإنّ الفتن هي مواقـع التباس الحق بالباطل، والذي لا مبدأ له سوى المصلحة الشخصية ـ وهم غير المسلمين ـ يسلمون فيها ؛ لانهم يواجهون كلّ طائفة بما يحب ان يسمع، ويلعبون على جميع الحبال؛ فإن كانت جهة غالبة اظهرت الولاء لها.

وعلى العكس المؤمن، فيهلك فيها؛ اذا عدم الرؤية الواضحة بسبب الالتباس، فيقوم ببعض الامور التي يراها واجبا تحت تأثير الدعايات، فيهلك بسبب لهبها، مع ان الواجب الاسلامي في الموقف يحتّم عليه الرؤية الواضحة التي تلازم عدم التفرق عن السـلطان العادل، كما في المادة الثالثة من واجبات الموقف، والله العاصم.

قال ابن أبي الحديد في شرح نهج البلاغة:«الامامية تقول هذه العدة هم الأئمة الأحد عشر من ولده ﷺ . وغيرهم يقول إنه عنى الابدال الذين هم أولياء الله في الأرض ، وقد تقدم منا ذكر القطب والابدال ، وأوضحنا ذلك إيضاحا جليا . قوله ﷺ) أسماؤهم فـي السماء معروفة (، أي تعرفها الملائكة المعصومون ، أعلمهم الله تعالى بأسمائهم . وفـي الأرض مجهولة ، أي عند الأكثرين لاستيلاء الضلال على أكثر البشـر . ثـم خـرج إلى مخاطبة أصحابه على عادته في ذكر الملاحم والفتن الكائنة في آخر زمان الدنيا فقال لهم توقعوا ما يكون من إدبار أموركم ، وانقطاع وصلكم – جمع وصلة – واستعمال صغاركم ، أي يتقدم الصغار على الكبار ، وهو من علامات الساعة . قال ذاك حيث يكون احتمال ضربة السيف على المؤمن أقل مشقة من احتمال المشقة في اكتساب درهم حلال ، وذلك لان المكاسب تكون قد فسدت واختلطت ، وغلب الحرام الحلال فيها . قوله) ذاك حيث

يكون المعطى أعظم أجرا من المعطى (، معناه أن أكثر من يعطى ويتصدق في ذلك الزمان يكون ماله حراما فلا اجر له في التصدق به ، ثم أكثرهم يقصد الرياء والسمعة بالصدقة أو لهوى نفسه ، أو لخطرة من خطراته ، ولا يفعل الحسن لأنه حسن ، ولا الواجب لوجوبه ، فتكون اليد السفلى خيرا من اليد العليا ، عكس ما ورد في الأثر ، واما المعطى فإنه يكون فقيرا ذا عيال ، لا يلزمه أن يبحث عن المال احرام هو أم حلال ! فإذا اخذه ليسد به خلته ، ويصرفه في قوت عياله ، كان أعظم أجرا ممن أعطاه .

وقد خطر لي فيه معنى آخر ، وهو أن صاحب المال الحرام إنما يصرفه في أكثر الأحوال وأغلبها في الفساد وارتكاب المحظور كما قال) من اكتسب مالا من نهاوش أذهبه الله في نهابر [1] فإذا اخذه الفقير منه على وجه الصدقة فقد فوت عليه صرفه في تلك القبائح والمحضورات التي كان بعرضته صرف ذلك القدر فيها لو لم يأخذه الفقير ، فإذا قد أحسن الفقير إليه بكفه عن ارتكاب القبيح ، ومن العصمة إلّا يقدر فكان المعطى أعظم أجرا من المعطى».[2]

وقال ابن أبي الحديد (ت / ٦٥٦ هـ) في شرح نهج البلاغة، ما نصّه:« قال ذلك إذا عضكم البلاء كما يعض القتب غارب البعير . هذا الكلام غير متصل بما قبله ، وهذه عادة الرضى ﷺ يلتقط الكلام التقاطا ، ولا يتلو بعضه بعضا ، وقد ذكرنا هذه الخطبة أو أكثرها فيما تقدم من الاجزاء الأول ، وقبل هذا الكلام ذكر ما يناله شيعته من البؤس والقنوط ومشقة انتظار الفرج . قوله ﷺ) ما أطول هذا العناء ، وابعد هذا الرجاء (هذا حكاية كلام شيعته وأصحابه».[3]

[١٨٨]

ومن خطبة له ﷺ:

وهي التقوى وذكر الموت والاستعداد للاخرة.

افتتح المقطع بالوصية بالتقوى والحمد، فقال: (أوصيكم أيها الناس بتقوى الله وكثرة حمده) وسرد ثلاث امور من متعلقات الحمد، وهي:

---

(١) النهاوش : المظالم : والنهابر : المهالك ؛ وانظر النهاية لابن الأثير .
(٢) شرح نهج البلاغة ؛ ابن أبي الحديد ١٣ : ٩٦ ـ ٩٧.
(٣) شرح نهج البلاغة ؛ ابن أبي الحديد ١٣ : ٩٧.

(١ / ط - ١٨٨) في الوصية بأمور:

أُوصِيكُمْ أَيُّهَا ٱلنَّاسُ بِتَقْوَى ٱللهِ، وَكَثْرَةِ حَمْدِهِ عَلَى آلَائِهِ إِلَيْكُمْ، وَنَعْمَائِهِ عَلَيْكُمْ، وَبَلَائِهِ لَدَيْكُمْ، فَكَمْ[1] خَصَّكُمْ بِنِعْمَةٍ، وَتَدَارَكَكُمْ بِرَحْمَةٍ!
أَعْوَرْتُمْ لَهُ[2] فَسَتَرَكُمْ، وَتَعَرَّضْتُمْ لِأَخْذِهِ فَأَمْهَلَكُمْ!

(على آلائه إليكم) والآلآء النعم الباطنة التي وهبها الله للعباد من العقل والصحة والسلامة وما شابه، فانها جميعا توجب الحمد عليها، ولا يعرف قدرها إلّا عند فقدآنها

٢ ـ (ونعمائه عليكم) من النعم الظاهرة التي تقوم حياة الإنسان جسميّاً وعقليّاً من خلقة الله من انواع الاطعمة والفواكه والنبات، ولولاها لاختل نظام حياة الانسان.

٣ ـ(وبلائه لديكم) والبلاء هو الامتحان؛ فإنّ الله لم يعاقب على المعاصي مباشرة، بل جعل لها فترة امتحان واختيار يتمكن الإنسان فيها من التوبة والرجوع إلى الله تعالى.

وهذه النقاط تستوجب الحمد من الإنسان لله تعالى، ولكن لم يحتقق ذلك من الإنسان ومن ثم شرحها بقوله:

أوّلاً: (فكم خصكم بنعمة) وأقلها نعمة التنفس بالهواء الطلق، الذي به قوام الحياة، ولولاها لكان الإنسان في خبر كان.

ثانياً: (وتداركم برحمة) والتدارك: المتابعة بما يتطلب من الرحمة في الاعمال التي تستحق العقاب مباشرة، وما ذلكرحمة للانسان الضعيف في رؤيته.

ثالثاً: (أعورتم له فستركم) والعوار: العبيب الذي يعلنه الانسان، والله سترها على عبده رحمة منه.

رابعاً: (وتعرضتم لأخذه فأمهلكم) حيث ان ارتكاب المعصية تعرّض لأخذ الله سبحانه مرتكب المعصية بالعقاب مباشرة، ولكن الله سبحانه امهل العصاة للتوبة؛ رحمة منه.

فان كلّ نقطة من هذه النقاط تستوجب الحمد الكثير من العبد.

(٢ / ط - ١٨٨) الموت:

---

(١) في ب: وكم.
(٢) أعورتم أي انكشفتم وبدت عوراتكم، وفي هـ. ب أي بدا عورتكم. يقال أعورك الصيد أي أمكنك منه والعورة كل ما يستحى منه. وما يتخوف منه من ثغر، وعور صار أعور.

وَأُوصِيكُمْ بِذِكْرِ ٱلْمَوْتِ وَإِقْلاَلِ ٱلْغَفْلَةِ عَنْهُ، وَكَيْفَ غَفْلَتُكُمْ عَمَّا لَيْسَ يُغْفِلُكُمْ، وطَمَعُكُمْ فِيمَنْ[١] لَيْسَ يُمْهِلُكُمْ؛ فَكَفَى وَاعِظاً بِمَوْتَى عَايَنْتُمُوهُمْ، حُمِلُوا إِلَى قُبُورِهِمْ غَيْرَ رَاكِبِينَ، وَأُنْزِلُوا فِيهَا غَيْرَ نَازِلِينَ، فَكَأَنَّهُمْ[٢] لَمْ يَكُونُوا لِلدُّنْيَا عُمَّاراً، وَكأَنَّ ٱلآخِرَةَ لَمْ تَزَلْ لَهُمْ دَاراً. أَوْحَشُوا[٣] مَا كَانُوا يُوطِنُونَ[٤]، وَأَوْطَنُوا مَا كَانُوا يُوحِشُونَ[٥]، وَاشْتَغَلُوا[٦] بِمَا فَارَقُوا، وَأَضَاعُوا مَا إِلَيْهِ ٱنْتَقَلُوا[٧]، لاَ عَنْ قَبِيحٍ يَسْتَطِيعُونَ ٱنْتِقالاً، وَلاَ فِي حَسَنٍ[٨] يَسْتَطِيعُونَ ٱزْدِيَاداً، أَنِسُوا بِالدُّنْيَا فَغَرَّتْهُمْ، وَوَثِقُوا بِهَا فَصَرَعَتْهُم.

والامر الثاني: الوصية بالموت، وقد أشار إلى نقاط فيها بقوله:

١ ـ (وأوصيكم بذكر الموت وإقلال الغفلة عنه)؛ فإنّ ذكر الموت بانتظام وفي كلّ يوم يستلزم قلة الغفلة، وكلما اقترب الإنسان إلى الدنيا انشغل بها عن ذكر الموت.

وتعجّب عليه السلام عن الغفلة عن الموت بقوله:

٢ ـ (وكيف غفلتكم عمّا ليس يغفلكم)؛ فإنّ الموت لا يغفل عن أي موجود حيّ في الحياة، فكيف يغفل الإنسان عن الموت مع انّه لا يغفل عن غريم يطالبه أو عدو يطارده، بل يكون على حذر منه على الدوام.

٣ ـ (وطمعكم فيمن ليس يمهلكم) وهو ملك الموت الذي لا يمهل احداً عند طول الامل، فكيف يكون الإنسان طامعاً في ان يمهله مع انّه انه يؤدي واجبه المأمور به ؟

٤ ـ (فكفى واعظا بموتى عاينتموهم) وهل هناك من لم يشاهد ميّتا يحمل إلى المقبرة؟

٥ ـ (حملوا إلى قبورهم غير راكبين)؛ فإنّ هؤلاء الاموات المعروفين من الاقارب والاصدقاء كانوا يركبون الوسائل النقليّة المعتادة لهم الى مقاصدهم في العمل وغيره، واليوم هم محمولون غير راكبين بل مركوبين على الاعواد لمقصد المقبرة .

---

(١) هـ. د: وطمعكم فيما ـ ف و ن و م.
(٢) د: كأنهم، وفي هـ. د: فكأنهم ـ ض و ب .
(٣) في هـ. ب: اوحشت الأرض اذا وجدتها موحشة خالية.
(٤) في هـ. ب: أي الدنيا.
(٥) في هـ. ب: أي القبر.
(٦) في ب: فاشتغلوا.
(٧) في ص: انقلبوا.
(٨) في ص: حسنة في هـ. د: حسنة ـ ب.

٦ ـ (وأنزلوا فيها غير نازلين) على الرغم من ارادتهم الحياة، فانهم اصحبوا ينزلون اليها بايدي غيرهم.

٧ ـ (فكأنهم لم يكونوا للدنيا عمّارا)؛ فإنّ العمران في الدنيا انما كان لمن يظن انّه يعيش فيها ويسكن العمران الذي بناه.

٨ ـ (وكأن الآخرة لم تزل لهم دارا) حيث لم يستعدّوا لآخرتهم بمثل ما استعدوا لدنياهم.

٩ ـ (أوحشوا ما كانوا يوطنون) فاصحبت الديار التي عمروها وطنا لغيرهم بعد ان كانت لهم.

وعن حالهم في الدنيا قال:

١٠ ـ (واشتغلوا بما فارقوا)؛ فإنّ شغلهم في الدنيا كان بالماديات التي فارقوها بالموت.

١١ ـ (وأضاعوا ما إليه انتقلوا) حيث لم يقوموا في الدنيا بما يفتقرون اليه في حين الانتقال إلى المقبرة في طريق الاخرة.

وعن حالهم بعد الموت قال:

١٢ ـ (لا عن قبيح يستطيعون انتقالا) حيث انّه فاتهم وقت العمل.

١٣ ـ (ولا في حسن يستطيعون ازديادا)؛ لأنّ الحياة بعد الموت وقت النتائج دون العمل، فلا يحصدون إلّا ما زرعوا من دون زيادة أو نقصان.

وعن السبب في هذه الحالة قال:

١٤ ـ (أنسوا بالدنيا فغرتهم) بمظاهرها المادية وعناوينها الخياليّة، فلم يقوموا بما يجب عليهم تجاه الاخرة.

١٥ ـ (ووثقوا بها فصرعتهم) حيث قامت الدنيا بطبيعتها التي تقوم به مع كلّ الناس في التاريخ، فكيف يمكن الوثوق بالدنيا المتغيرة في كلّ الحالات؟

وهذه الحقائق الخمسة عشر تكفي للانسان ان يكون متذكراً للموت، استعداداً لما يجب عليه في الدنيا من الحقوق والواجبات تجاه النفس والاسرة والمجتمع.

(٣ / ١٨٨ ـ ط) الاستعداد للاخرة:

فَسَابِقُوا رَحِمَكُمُ ٱللهُ إِلَى مَنَازِلِكُمُ ٱلَّتِي أُمِرْتُمْ تَعْمُرُوهَا، وَالَّتِي رُغِّبْتُمْ[١] فِيهَا وَدُعِيتُمْ إِلَيْهَا، وَٱسْتَتِمُّوا نِعَمَ ٱللهِ عَلَيْكُمْ بِالصَّبْرِ عَلَى طَاعَتِهِ، وَالْمُجَانَبَةِ لِمَعْصِيَتِهِ، فَإِنَّ غَداً مِنَ ٱلْيَوْمِ قَرِيبٌ.

مَا أَسْرَعَ ٱلسَّاعَاتِ فِي ٱلْيَوْمِ، وَأَسْرَعَ ٱلْأَيَّامَ[٢] فِي ٱلشَّهْرِ، وَأَسْرَعَ ٱلشُّهُورَ فِي ٱلسَّنَةِ، وَأَسْرَعَ ٱلسِّنِينَ فِي ٱلْعُمْرِ![٣]

وختم المقطع بالخطوط العامة المطلوبة لتذكر الموت استعداداً للاخرة بقوله:

١ ـ (فسابقوا - رحمكم الله -) وليس المشي بخطوات، بل بالمسارعة إلى العمل حيث لا ضمان من مفاجئة الاجل.

٢ ـ (إلى منازلكم التي أمرتم أن تعمروها) في الدنيا بالعمل، لتظهر في الاخرة آثارها.

١٣ ـ (والتي رغبتم فيها) لكثرة الآيات والروايات في المواعظ.

المرغّبة للعمل للاخرة.

٤ ـ (ودعيتم إليها) في الآيات والروايات الكثيرة الداعية إلى هذا الاستعداد.

٥ ـ (واستتموا نعم الله عليكم بالصبر على طاعته)؛ فإنّ من النعم الكثيرة التي توجب الحمد: الصبر على طاعته التي أمر بها من الواجبات والمستحبات.

٦ ـ (والمجانبة لمعصيته) من ترك النواهي التي نهى عنها من المحرمات والمكروهات.

وعن السبب في امرهﷺ بالمسابقة للاستعداد أشار إلى نقاط هي:

أوّلاً: (فإن غدا من اليوم قريب) حيث انا نعلم بمجيئ الاجل ولا نعلم وقته؛ فإنّ كلّ يوم يكون خطوة اليه.

وقد ظهرت هذه الحقيقة في سلسلة مترابطة في الحياة إلى الاجل بقوله:

---

(١) في ط و د: رغِبتُم.

(٢) في ص: اليوم، وفي هـ. ص، وفي نسخة: الايام.

(٣) في ب هنا ما يلي: آخر الجزء الأول من كتاب نهج البلاغة، يتلوه في الجزء الثاني منه. من خطبة لمولانا أمير المؤمنين صلوات الله عليه فمن الايمان ما يكون ثابتاً مستقراً في القلوب وكتب الحسين بن الحسن المؤدب حامداً لله ومصليّاً على رسوله محمّد وآله الطاهرين وسلّم تسليما.

قرأ علي هذا الجزء شيخي الفقيه الأصلح ابن عبدالله الحسين رعاه الله وكتب محمّد بن علي بن أحمد بن فبدام [ظ] بخطه في جمادى الآخرة سنة تسع وتسعين وأربعمائة هجرية عظم الله يمنها بمنّه.

ثانياً: (ما أسرع الساعات في اليوم)؛ فإنّ كلّ ساعة فائتة هي خطوة نحو الساعة الاتية حتّى تنتهي ساعات اليوم.

ثالثاً: (وأسرع الأيام في الشهر)؛ فإنّ كلّ يوم يتقدم يوما اخر، هو اعلان بقرب أجل الايام.

رابعاً: (وأسرع الشهور في السنة)؛ فإنّ كلّ شهر سابق يتقدم نحو شهر لاحق يقصر الطريق إلى الموت.

خامساً: (وأسرع السنين في العمر)؛ فإنّ كلّ سنة هي خطوة نحو سنة اخرى حتّى تنتهي إلى الموت الذي لا مفرّ منه.

وما اروع كلام الإمامﷺ في الخطوات المتتابعة نحو الأمام إلى المصير الذي ينتهي اليه كلّ الانام؛ فإنّ ذكر الموت يسبب الرؤية الواضحة للسير بخطىً ثابتة نحو الهدف بأداء المسؤوليات الملقاة على عاتق كلّ مسلم في الحياة تجاه نفسه واسرته ومجتمعه، والله المستعان.

[١٨٩]

ومن خطبة له ﷺ:

في الايمان ووجوب الهجرة واقسام الايمان:

تتضمن الايمان ومن لوازمه الهجرة، ومن لوازمها الامتحان، ومن لوازمه متابعة الإمام.

(١ / ط - ١٨٩) **الايمان ولوازمه:**

فَمِنَ ٱلْإِيمَانِ مَا يَكُونُ ثَابِتاً مُسْتَقِرًّا فِي ٱلْقُلُوبِ، وَمِنْهُ مَا يَكُونُ عَوَارِيَ بَيْنَ ٱلْقُلُوبِ وَالصُّدُورِ، إِلَى أَجَلٍ مَعْلُومٍ فَإِذَا كَانَتْ لَكُمْ بَرَاءَةٌ[١] مِنْ أَحَدٍ فَقِفُوهُ حَتَّى يَحْضُرَهُ الْمَوْتُ، فَعِنْدَ ذَلِكَ يَقَعُ حَدُّ ٱلْبَرَاءَةِ.

---

(١) في هـ. ب أي اذا تبرأتم من انسان لاعتقاده الباطل فاحلوه حتى تعلموا على أي شيء يخرج من الدنيا فانه ربما يكون معتقداً للحق ويكتم اعتقاده لغرض دنيوي، وقيل معناه اذا تبرأتم من أحد فترقبوا به الموت فانه ربما يتوب ويرجع وقيل هذا اشارة الى ما عمل.

وفي هـ ب : أي تظنون وتتوهمون ان ايمانه ليس بحقيقي بامارة حق تعلمون اتهامه بظاهر القول وليس في قلبه فقفوه حتى يحضر الموت، وفي هـ. ب و أ: اشارة الى انه كانﷺ اذا صلّى على الميت ان كان منافقاً صلّى عليه أربع تكبيرات.

وجوب الهجرة:

وَٱلْهِجْرَةُ قائِمَةٌ عَلَى حَدِّهَا الأَوَّلِ، مَا كَانَ لِلَّهِ فِى[١] أَهْلِ الأَرْضِ حَاجَةٌ مِنْ مُسْتَسِرِّ[٢] ٱلْأُمَّةِ وَمُعْلِنِها، لَا يَقَعُ ٱسْمُ ٱلْهِجْرَةِ عَلَى أَحَدٍ إِلَّا بِمَعْرِفَةِ ٱلْحُجَّةِ فِى ٱلْأَرْضِ، فَمَنْ عَرَفَهَا وَأَقَرَّ بِهَا فَهُوَ مُهَاجِرٌ، وَلَا يَقَعُ ٱسْمُ الاسْتِضْعَافِ عَلَى مَنْ بَلَغَتْهُ ٱلْحُجَّةُ فَسَمِعَتْهَا أُذُنُهُ، وَوَعَاهَا قَلْبُهُ.

صعوبة الإيمان:

إِنَّ أَمْرَنَا صَعْبٌ مُسْتَصْعَبٌ[٣] لَا يَحْمِلُهُ[٤] إِلَّا عَبْدٌ مُؤْمِنٌ[٥] ٱمْتَحَنَ ٱللهُ قَلْبَهُ لِلْإِيمَانِ[٦]، وَلَا يَعِى[٧] حَدِيثَنَا إِلَّا صُدُورٌ اَمِينَةٌ، وَأَحْلَامٌ[٨] رَزِينَةٌ.

علم الوصي:

أَيُّهَا النَّاسُ. سَلُونِى قَبْلَ أَنْ تَفْقِدُونِى، فَلَأَنَا بِطُرُقِ السَّمَاءِ أَعْلَمُ مِنِّى بِطُرُقِ الأَرْضِ؛ قَبْلَ أَنْ تَشْغَرَ[٩] بِرِجْلِهَا فِتْنَةٌ تَطَأُ فِى خِطَامِهَا، وَتَذْهَبُ بِأَحْلَامِ[١٠] قَوْمِهَا.

اشار الإمام عليه السلام إلى أقسام الايمان، وما يستلزم الايمان من العمل وهو الهجرة، ثمّ ما يستلزم الهجرة وهو الامتحان، ثمّ ما يستلزم الامتحان وهو متابعة القائد.

وقد أشار إلى هذه المستلزمات في سلسلة مترابطة:

تقسيم الايمان:

اشار الإمام إلى ان الايمان على قسمين لا ثالث لهما:

الاول: الايمان المستقر، وقد عرفه بقوله: (فمن الإيمان ما يكون ثابتا مستقرا في

(١) د: ما كان لله تعالى في و في هـ. د: ما كان لله في ـ ض ب ح ش ل.
(٢) في ص زيادة : هذه.
(٣) في هـ. ب: يقال استصعبت الأمر واصعبته وجدته صعباً يعني امامته وامامة الأئمة المعصومين عليهم السلام.
(٤) في ط و د : لا يحمله.
(٥) في ص زيادة إلّا ملك مقرب أو نبي مرسل أو مؤمن، وفي هـ. ص في نسخة إلّا عبد امتحن الله ـ ف و ن و م و ل .
(٦) في هـ. ب: في حاشية ن: بالايمان.
(٧) هـ. ب: أي لا يحفظ.
(٨) أي : عقول.
(٩) في هـ. ب: أي ترفع.
(١٠) في هـ. ب: أي أخلاق.

القلوب) وطبيعيّ ان هذا الاعتقاد بالقلب امر لا يعلمه سوى المؤمن نفسه وخالقه تعالى، فانه العلام بمخفي الضمائر وما تنعقد عليه القلوب.

الثاني: الايمان المستودع، وقد عرفه بقوله: (ومنه ما يكون عواري بين القلوب والصدور إلى أجل معلوم) والعارية: ما لا ثبوت له، ومن خصائصها: انها تسترجع فيما بعد ؛ لعدم استحقاق القابض لها عنده.

وقد أشار الإمام الى موضع هذا الايمان المستودع بأنه ليس في القلوب، بل هو بين الصدور والقلوب وديعة، يمكن ان يتمتع واجدها برؤية أعمق فينتقل الايمان إلى القلب، أو يغويه الشيطان فيخرج من الصدر .

وعن الفترة التي تظهر فيها هذه النتيجة قال:(إلى أجل معلوم) وهو الموت الذي قهر الله به البشر عامة .

معرفة الايمان:

وأشار عن معرفة القسمين من الايمان بأن ذلك لا يكون إلّا بالعمل على ما يقتضيه الايمان، فتختلف درجات الايمان، واولها: الاعتقاد، وثانيها: العمل، وثالثها: القول باللسان.

ثم أشار إلى قاعدة عامة نابعة من تحديد الايمان من القسم الثاني: بأن المدة المذكورة تشمل حياة الإنسان كله، فلا يظهر ان الرجل مؤمن أم لا إلّا بالعمل حتّى الاجل، وبالنتيجة لا يمكن الحكم بعدم الايمان إلّا عند الموت الذي هو غاية لمعرفة الايمان المستودع.

وقد اشار إلى ذلك بقوله:

(فإذا كانت لكم براءة من أحد) لمواقف قام بها غير اسلامية تكسف عن ان ايمانه من الايمان المستودع حيث انّه يظهر درجة واحدة من الايمان وهو القول باللسان من دون عمل في الحال، ولكن الله مقلب القلوب والاحوال فلعله يتوب قبل حلول الاجل، فيدل على ان ايمانه اصبح مستقراً، أو لا يتوب فيظهر انّه كان مستودعا، فلا يجوز البراءة من احد بمجرد موقف حتّى ينتهي الى الغاية من الايمان المستودع وهو الموت، ومن اجل ذلك قال عليه السلام:

(فقفوه حتّى يحضره الموت) فيجب ان يعتبر هذا العاصي موقوفا في امره حتّى الموت؛

فإن تاب قبل الموت كان ايمانه مستقراً، وإلّا كان ايمانه مستودعاً (فعند ذلك يقع حد البراءة) حيث ان الموت يكون الحد الفاصل للبراءة من الشخص اذا لم يتب، فلا يجوز التسرع بالبراءة عنه بمجرد المعصية، وكانه عليه السلام يدحض دعوى الخوارج بأن ارتكاب المعصية كفر وبه يخرج مرتكب المعصية من جماعة المسلمين.

وجوب الهجرة:

وأشار في المقطع الثاني الى أن الايمان المستقر يستلزم العمل بوجوب الهجرة إلى الله ورسوله؛ فإنّ الايمان باللسان مرتبة تستلزم العمل، وبدونه يكون الايمان ناقصا حيث ينقصه العمل، قال تعالى:﴿وَمَن يَخْرُجْ مِن بَيْتِهِ مُهَاجِراً إِلَى ٱللهِ وَرَسُولِهِ، ثمّ يُدْرِكْهُ ٱلْمَوْتُ فَقَدْ وَقَعَ أَجْرُهُ عَلَىٰ ٱللهِ وَكَانَ ٱللهُ غَفُوراً رَحِيماً﴾[1]؛ فإنّ الهجرة تكشف عن العمل المقارن للايمان حتّى الموت.

اشار الإمام عليه السلام إلى ان الهجرة في عهد الرسالة كانت إلى الرسول الذي طبق حكم الله في سبيل الله تعالى، وكذلك الهجرة بعد الرسول لابد وان يكون في سبيل الله تعالى إلى من يطبّق حكم الله، فقال:

١ ـ (والهجرة قائمة على حدها الأول) وهي الهجرة في عصر الرسول صلى الله عليه وآله الذي طبق حكم الاسلام في حياته، فهاجر اليه من آمن برسالته.

٢ ـ (ما كان لله في أهل الأرض حاجة من مستسر الأمة ومعلنها)؛ فإنّ الهجرة في عصر الرسول انما وجبت لقيام النبي صلى الله عليه وآله بتطبيق الاسلام، وكذلك في كلّ عصر اذا كان في الامة من يطبق حكم الله سبحانه بالاعلان أو بالسر، فإنّه عمل في سبيل الله يجب الهجرة اليه، كما كان في عصر الرسول صلى الله عليه وآله.

وعن سبب ذلك قال:

٣ ـ (لا يقع اسم الهجرة على أحد إلّا بمعرفة الحجة في الأرض) لكونه الداعي إلى تطبيق حكم الله في الارض، فهو الحجة على الخلق، وقد جاء تفسير هذه الفقرة في شرح النهج لابن أبي الحديد (ت / ٦٥٦ هـ)، بما ذكرنا، راجع: ج ١٣، ص ١٠١، ط / ١٩٦٢، ولكن جاءت في طبعة الدكتور صبحي الصالح حفظه الله مع حذف كلمة (الا) ولم يذكر

(١) النساء: ١٠٠.

مستنده من المخطوطات والسياق يقتضى كلمة (الا) وبدونها لا يستقيم المعنى كما هو واضح لمن تأمل، والله العاصم.

وأشار إلى نتيجة قوله: (ان الهجرة قائمة على حدها الاول) وقوله: (لا يقع اسم الهجرة على احد إلّا بمعرفة الحجة في الارض) فقال:

٤ ـ (فمن عرفها وأقرّ بها فهو مهاجر)؛ لأنّ الهجرة لا تزال قائمة، وتتحقق بمعرفة الحجة في الارض في كل عصر، والاقرار به كحجة يطبق حكم الاسلام.

ثم أشار إلى ان من بلغته الحجة لا يكون المستضعف المشار اليه في قوله تعالى:﴿إِلَّا ٱلْمُسْتَضْعَفِينَ مِنَ ٱلرِّجَالِ وَٱلنِّسَاءِ وَٱلْوِلْدَانِ لاَ يَسْتَطِيعُونَ حِيلَةً وَلاَ يَهْتَدُونَ سَبِيلاً﴾[1]، فقال:

٥ ـ (ولا يقع اسم الاستضعاف على من بلغته الحجة فسمعتها أذنه ووعاها قلبه)؛ فإنّ من وقف على الحقيقة لا يكون مستضعفاً، وانما المستضعف من لم تبلغه الحجة.

وبهذه النقاط الخمس اثبت الإمام بأن الهجرة إلى الله كانت في عصر الرسول بالهجرة اليه لغاية تطبيق الاسلام الى المدينة النورة، وان هذه الهجرة مستمرة في كلّ عصر مادام هناك من يطبق الاسلام في الارض، ويوصل الحجة بين المسلمين في أي قطر من اقطار العالم.

ثم أشار إلى لوازم الهجرة وهو الامتحان الذي يواجهه في مقام العمل أي مهاجر، وهو الالتزام بأوامر القيادية التي تصدر من القائد الاسلامي الأعلى في الحكم؛ فإنّ الاوامر يجب تطبيقها بعد صدورها، وفي عصر الإمام كان هو القائد الأعلى للحكم الاسلامي الذي يصدر منه الاوامر القياديّة، قال:

١ ـ (إن أمرنا صعبٌ مستصعبٌ) وصعوبتها في نفسها أنها اوامر شاقة على من ليس له الرؤية الواضحة للمبادي الاسلاميّة التي أمر بها القران الكريم وطبقها الرسول العظيم في سنته، وهي مستصعبة للبعد الزمني من نزول الوحي وعصر السنة المطهرة.

والى خصائص أوامر اهل البيت اشار بقوله:

٢ ـ (لا يحمله إلّا عبد مؤمن امتحن الله قلبه للإيمان)؛ فإنّ الامتحان من لوازم الهجرة،

(١) النساء: ٩٨.

وفي عصر الإمام يظهر بمتابعة قيادته التي تسير على خطى النبي ﷺ.

٣ ـ(ولا يعي حديثنا إلّا صدور أمينة) لرؤيتها الواضحة بأن خط الإمام هو خط النبيّ الاعظم في تطبيق حكم الله على الارض.

(وأحلام رزينة) أي اهداف عملية كوسيلة لتطبيق الاسلام في الحياة.

فإنّ هذه النقاط هي نقاط امتحان تلازم الهجرة، يـجتازها مـن العـباد فـي اتـصف بالصفات التالية:

أوّلاً: الايمان المستقر.

ثانياً: الامتحان من الله.

ثالثاً: الوعي للحديث في الصدور بأمانة.

رابعاً: الأهداف العمليّة في تطبيق حكم الله على الارض.

وبهذه النقاط يجتاز المؤمن مرحلة الامتحان للهجرة إلى الله.

وأشار إلى ضرورة التحصن بالرؤية الواضحة قبل حدوث الفتن، بقوله:

٤ ـ (قبل أن تشغر برجلها فتنة) والشغر: الرفع أي ارتفاع الفتن وعلوّها واستحفالها؛ فإنّ الواجب التحصن بالسؤال قبل حصول الفتنة لا حينها، حيث تلتبس الحقائق.

والى آثار الفتن أشار الى أمرين:

الأوّل: (تطأ في خطامها) أي تتعثر الفتنة بالخطام كالبعير الذي يتعثر بزمامه، ويوجب ذلك أن تدمي انفه.

الثاني: (وتذهب بأحلام قومها) وهي الاهداف التي من اجلها تضحي الامم بحياتها؛ فإنّ الوقاية خير من العلاج.

وختم المقطع بالواجب الذي يستلزمه الامتحان وهـو مـتابعة الإمـام فـي اوامـره وارشاداته، واشار اليها بقوله:

١ ـ (أيها الناس) من دون تخصيص طبقة عن اخرى ؛ لدلالة الحجة على الناس في عصره.

٢ ـ (سلوني قبل أن تفقدوني)؛ فإنّ من مسؤوليات الإمام ان يكـون مسـتعدا لاداء مسؤولياته ومنها الاجابة على الاسئلة الموجهة اليه.

ثم أشار إلى حدود معرفته بقوله:

٣ ـ(فلأنا بطرق السماء أعلم مني بطرق الأرض)؛ فإنّ طرق السماء إشارة إلى الحقائق الاسلاميّة المستقاة من الكتاب النازل من السماء والسنة الشارحة له، وليس هذا يلازم العلم الكامل للحقائق التي يفتقر اليها الإنسان من الامور المادية في الحياة على الارض؛ فإنّ كلّ انسان على نفسه بصيرة، وان كان الإمام يعلمها، لكن اختصاصه ببيان الحقائق الاسلامية الالهية.

قال الشارح ابن أبي الحديد (ت / ٩٥٦ هـ):« انّه عليه السلام قسم الايمان إلى ثلاثة أقسام:

أولها قوله عليه السلام فمن الايمان ما يكون كذا فنقول انه قسم الايمان إلى ثـلاثة أقسـام : أحدها الايمان الحقيقي ، وهو الثابت المستقر في القلوب بالبرهان اليقيني . الثاني ما ليس ثابتا بالبرهان اليقيني بل بالدليل الجدلي ، كإيمان كثير ممن لم يحقق العـلوم العـقلية ، ويعتقد ما يعتقده عن أقيسة جدلية لا تبلغ إلى درجة البرهان ، وقد سمى عليه السلام هذا القسم باسم مفرد ، فقال إنه عواري في القلوب ، والعواري جمع عارية أي هو وإن كان في القلب وفي محل الايمان الحقيقي إلّا أن حكمه حكم العارية في البيت ، فإنها بعرضة الخروج منه ، لأنها ليست أصلية كائنة في بيت صاحبها . والثالث ما ليس مستندا إلى برهان ولا إلى قياس جدلي ، بل على سبيل التقليد وحسن الظن بالأسلاف ، وبمن يحسن ظن الانسان فيه من عابد أو زاهد أو ذي ورع ، وقد جعله عليه السلام عواري بين القلوب والصدور لأنه دون الثاني ، فلم يجعله حالا في القلب ، وجعله مع كونه عارية حالا بين القـلب والصـدر . فيكون أضعف مما قبله».[1]

الى ان قال:«وثانيها قوله عليه السلام) فإذا كانت لكم براءة (، فنقول انه عليه السلام نهى عن البراءة من أحد ما دام حيا ، لأنه وإن كان مخطئا في اعتقاده ، لكن يجوز أن يعتقد الحق فيما بعد ، وإن كان مخطئا في أفعاله ، لكن يجوز أن يتوب . فلا تحل البراءة من أحد حتى يموت على أمر ؛ فإذا مات على اعتقاد قبيح أو فعل قبيح جازت البراءة منه ، لأنه لم يبق له بعد الموت حاله تنتظر ؛ وينبغي أن تحمل هذه البراءة التي أشار إليها عليه السلام على البراءة المطلقة ، لا على كل براءة ، لأنا يجوز لنا أن نبرأ من الفاسق وهو حي ، ومن الكافر وهو حي ، لكن بشرط كونه فاسقا ، وبشرط كونه كافرا ، فاما من مات ونعلم ما مات عليه فانا نبرأ مـنه

(١) شرح نهج البلاغة ؛ ابن أبي الحديد ١٣ : ١٠١ ـ ١٠٢.

براءة مطلقة غير مشروطة . وثالثها قوله) والهجرة قائمة على حدها الأول (، فنقول هذا كلام يختص به أمير المؤمنين عليه السلام ، وهو من اسرار الوصية ، لان الناس يروون عن النبي صلى الله عليه وآله أنه قال لا) هجرة بعد الفتح (، فشفع عمه العباس في نعيم بن مسعود الأشجعي أن يستثنيه ، فاستثناه وهذه الهجرة التي يشير إليها أمير المؤمنين عليه السلام ليست تلك الهجرة ، بل هي الهجرة إلى الامام ، قال إنها قائمة على حدها الأول ما دام التكليف باقيا ، وهو معنى قوله) ما كان لله تعالى في أهل الأرض حاجة (. وقال الراوندي ما هاهنا نافيه ، أي لم يكن لله في أهل الأرض من حاجة ، وهذا ليس بصحيح ، لأنه ادخال كلام منقطع بين كلامين متصل أحدهما بالآخر . ثم ذكر انه لا يصح أن يعد الانسان من المهاجرين إلّا بمعرفة امام زمانه ، وهو معنى قوله:(إلّا بمعرفة الحجة في الأرض (قال) فمن عرف الامام وأقر به فهو مهاجر) . قال ولا يجوز أن يسمى من عرف الامام مستضعفا ، يمكن أن يشير به إلى آيتين في القرآن : أحدهما قوله تعالى :﴿إن الذين توفاهم الملائكة ظالمي أنفسهم قالوا فيم كنتم قالوا كنا مستضعفين في الأرض قالوا ألم تكن ارض الله واسعة فتهاجروا فيها فأولئك مأواهم جهنم ﴾[١] فالمراد على هذا انه ليس من عرف الامام وبلغه خبره بمستضعف كما كان هؤلاء مستضعفين ، وإن كان في بلده وأهله لم يخرج ولم يتجشم مشقة السفر . ثانيهما قوله تعالى في الآية التي تلى الآية المذكورة:﴿إلّا المستضعفين من الرجال والنساء والولدان لا يستطيعون حيلة ولا يهتدون سبيلا فأولئك عسى الله أن يعفو عنهم﴾[٢] فالمراد على هذا انه ليس من عرف الامام وبلغه خبره بمستضعف كهؤلاء الذين استثناهم الله تعالى من الظالمين ، لان أولئك كانت الهجرة بالبدن مفروضة عليهم ، وعفى عن ذوي العجز عن الحركة منهم ، وشيعة الإمام عليه السلام ليست الهجرة بالبدن مفروضة عليهم ، بل تكفى معرفتهم به وإقرارهم بإمامته ، فلا يقع اسم الاستضعاف عليهم».[٣]

الى ان قال:« ورابعها : قوله عليه السلام : إن أمرنا هذا صعب مستصعب!، ويروى : مستصعب – بكسر العين – لا يحتمله إلّا عبد امتحن الله تعالى قلبه للايمان ، هذه من ألفاظ القرآن

(١) سورة النساء : ٩٧ .
(٢) سورة النساء: ٩٨ و ٩٩ .
(٣) شرح نهج البلاغة ؛ ابن أبي الحديد ١٣ : ١٠٣ ـ ١٠٤ .

العزيز ، قال الله تعالى:﴿أولئك الذين امتحن الله قلوبهم للتقوى ﴾».[١]

الى ان قال:«وهذه الكلمة قد قالها عليه السلام مرارا ، ووقفت في بعض الكتب على خطبة من جملتها إن قريشا طلبت السعادة فشقيت ، وطلبت النجاة فهلكت ، وطلبت الهدى فضلت ، ألم يسمعوا ويحهم قوله تعالى :﴿والذين آمنوا واتبعتهم ذريتهم بايمان ألحقنا بهم ذريتهم﴾، فأين المعدل والمنزع عن ذرية الرسول ، الذين شيد الله بنيانهم فوق بنيانهم ، وأعلى رؤوسهم فوق رؤوسهم ، واختارهم عليهم إلّا إن الذرية أفنان انا شجرتها ، ودوحة انا ساقها ، وإني من احمد بمنزلة الضوء من الضوء ، كنا ظلالا تحت العرش قبل خلق البشر ، وقبل خلق الطينة التي كان منها البشر ، أشباحا عالية ، لا أجساما نامية ، ان أمرنا صعب مستصعب ، لا يعرف كنهه إلّا ثلاثة ملك مقرب ، أو نبي مرسل ، أو عبد امتحن الله قلبه للايمان ، فإذا انكشف لكم سر أو وضح لكم أمر فاقبلوه ، وإلّا فاسكتوا تسلموا ، وردوا علمنا إلى الله فإنكم في أوسع مما بين السماء والأرض . وخامسها : قوله:" سلوني قبل أن تفقدوني" ، أجمع الناس كلهم على أنه لم يقل أحد من الصحابة ، ولا أحد من العلماء "سلوني " غير علي بن أبي طالب عليه السلام ، ذكر ذلك ابن عبد البر المحدث في كتاب " الاستيعاب ". والمراد بقوله : فلانا اعلم بطرق السماء مني بطرق الأرض ، ما اختص به من العلم بمستقبل الأمور ، ولا سيما في الملاحم والدول ، وقد صدق هذا القول عنه ما تواتر عنه من الاخبار بالغيوب المتكررة ، لا مرة ولا مائة مرة ، حتى زال الشك والريب في أنه اخبار عن علم ، وانه ليس على طريق الاتفاق ، وقد ذكرنا كثيرا من ذلك فيما تقدم من هذا الكتاب».[٢]

[١٩٠]

ومن خطبة له عليه السلام:

في حمد الله والثناء على نبيّه والوعظ بالتقوى:

تتضمن الحمد والشهادة والتحذير من الدنيا وطبيعتها وحقيقتها ومصيرها وما بعد الدنيا من الجنة والنار والعمل المطلوب في السلم والحرب.

(١) شرح نهج البلاغة ؛ ابن أبي الحديد ١٣ : ١١٥ .
(٢) شرح نهج البلاغة ؛ ابن أبي الحديد ١٣ : ١٠٥ ـ ١٠٦ .

أَحْمَدُهُ شُكْراً لِإِنْعَامِهِ(١)، وَأَسْتَعِينُهُ عَلَى وَظَائِفِ(٢) حُقُوقِهِ، عَزِيزَ(٣) ٱلْجُنْدِ، عَظِيمَ ٱلْمَجْدِ.

(١/١٩٠ ـ ط) حمد الله:

استفتح المقطع بالحمد لله تعالى، وقد ذكر السبب لهذا الحمد وما يوجيه بقوله:

١ ـ (أحمده شكرا لإنعامه)؛ فإنّ انعام الله سبحانه على الإنسان كثيرة، قال تعالى: ﴿وانّ تعدوا نعمة الله لا تحصوها﴾.(٤)

و إلى ما يستلزم الحمد من العمل أشار بقوله:

٢ ـ (وأستعينه) وحده، حيث لا عون حقيقة من غيره، فإياه نعبد واياه نستعين في الحمد.

٣ ـ (على وظائف حقوقه) والوظيفة: ما يحصل للانسان في كلّ يوم أو شهر أو سنة من رزق، وذلك يولد حقا على الإنسان يجب اداؤه، ومن طرق الاداء الحمد والاستعانة بالله.

والى السبب في تخصيصه تعالى بالاستعانة دون غيره أشار بقوله:

٤ ـ (عزيز الجند)؛ فإنّ العون من أي جهة اخرى لابد وان تنتهي إلى من له القدرة على العون، وهو الله، والعباد والاسباب التي هي وسائط لهذا العون الالهي هم جند الله، يؤدون ما أقدرهم الله عليه من المسؤوليات الاسلامية في المجتمع.

٥ ـ (عظيم المجد) وهو العز والرفعة والشرف، ومجده سبحانه يتصف بالعظمة دون غيره.

(٢/١٩٠ ـ ط) الشهادة بالرسالة:

وَأَشْهَدُ أَنَّ مُحَمَّداً عَبْدُهُ وَرَسُولُهُ، دَعَا إِلَى طَاعَتِهِ، وَقَاهَرَ(٥) أَعْدَاءَهُ، جِهَاداً عَنْ دِينِهِ، لَا يَثْنِيهِ(٦) عَنْ ذَلِكَ ٱجْتِمَاعٌ(٧) عَلَى تَكْذِيبِهِ، وَٱلْتِمَاسٌ لِإِطْفَاءِ نُورِهِ.

---

(١) في هـ. ص: دل على ان العبادات شكر للمنعم.
(٢) في هـ. ب: جمع وظيفة.
(٣) في هـ. ب: حال استعينه.
(٤) ابراهيم: ٣٤.
(٥) في هـ. ص: أي قاومهم بالقهر.
(٦) في هـ. ب: أي لا يصرفه.
(٧) في هـ. ب: أي اجتماع العدو.

ثم عقب الحمد بالشهادة بالرسالة للنبي محمّدﷺ، وعقبها باوصاف تستوجب ذلك بقوله:

١ ـ (وأشهد أن محمّدا عبده ورسوله) فان شخصية الرسولﷺ القيادية متقومة بهما معاً.

٢ ـ (دعا إلى طاعته) كسائر الانبياء والرسل من قبل ولكن بفرق واحد هو:

٣ ـ (وقاهر أعداءه جهادا على دينه)؛ فإنّ تشريع الجهاد في الاسلام هو الذي جعله خاتم الاديان ؛ لشموله حكما يتطلّبه المجتمع الديني، ومن هنا قالﷺ: «انا نبي المرحمة) وايضا: (انا نبيّ الملحمة) راجع قسم السيرة من "موارد الاعتبار".

٤ ـ (لا يثنيه عن ذلك اجتماع على تكذيبه) للرؤية الواضحة التي أعطاه الله، فلم توثر فيه الدعايات والتهريجات الكاذبة من الاعداء؛ فإنّ احزاب الكفر والشرك في عصره اتحدوا على معارضته .

وعن هدف المعارضة الكافرة أشار بقوله:

٥ ـ (والتماس لاطفاء نوره)؛ فإنّ الوعي الذي اوجده الاسلام في صفوف المجتمع المستضعف الذي استولى عليه اصحاب الصالح المادية من الكفار والمشركين، جعلهم في صف واحد؛ لاخماد هذا الوعي حتى يبقى المجتمع مخدراً بدعاياتهم ﴿ومكرو ومكر الله والله خير الماكرين﴾(١).

(٣/١٩٠ ـ ط) تقوى الله:

وتتضمن الموعظة في ثلاث نقاط: التقوى والموت وقبل القيامة فقال:

فَاعْتَصِمُوا بِتَقْوَى ٱللهِ؛ فَإِنَّ لَهَا حَبْلاً وَثِيقاً عُرْوَتُهُ، وَمَعْقِلاً(٢) مَنِيعاً(٣) ذِرْوَتُهُ(٤). وَبَادِرُوا ٱلْمَوْتَ وَغَمَرَاتِهِ(٥)، وَٱمْهَدُوا(٦) لَهُ قَبْلَ حُلُولِهِ، وَأَعِدُّوا لَهُ(٧) قَبْلَ نُزُولِهِ؛ فَإِنَّ ٱلْغَايَةَ

---

(١) آل عمران: ٥٤.
(٢) في هـ. ب: موضع العقل من عقال الناقة وفي هـ. ص: هو ما يعتصم به.
(٣) في هـ. ب: أي محفوظاً.
(٤) في هـ. ص: أعلاه، وقد شبّه التقوى بالحصن الرفيع المانع لما فيه .
(٥) في أ و ب: في غمراته، وصحح في ب بما في المتن، وفي هـ. ب: في شدائده. وفي هـ. د: في غمراته ـ ف و م و ب .
(٦) في هـ. ص: أي اتخذوا مهاداً.
(٧) في هـ. ب: أي هيئوا.

ٱلْقِيَامَةُ؛ وَكَفَى بِذَلِكَ وَاعِظاً لِمَنْ عَقَلَ، وَمُعْتَبَراً[١] لِمَنْ جَهِلَ. وَقَبْلَ بُلُوغِ ٱلْغَايَةِ مَا تَعْلَمُونَ مِنْ ضِيقِ ٱلْأَرْمَاسِ[٢]، وَشِدَّةِ ٱلْإِبْلَاسِ[٣]، وَهَوْلِ ٱلْمُطَّلَعِ[٤]، وَرَوْعَاتِ[٥] ٱلْفَزَعِ، وَٱخْتِلَافِ ٱلْأَضْلَاعِ، وَٱسْتِكَاكِ ٱلْأَسْمَاعِ[٦]، وَظُلْمَةِ ٱللَّحْدِ، وَخِيفَةِ[٧] ٱلْوَعْدِ، وَغَمِّ ٱلضَّرِيحِ[٨] وَرَدْمِ[٩] ٱلصَّفِيحِ[١٠].

أوّلاً: التقوى (فاعتصموا بتقوى الله) التقوى عاصمة للانسان من مهالك الحياة، وقد أشار إلى اسباب العصمة بقوله:

١ ـ (فإن لها حبلا وثيقا عروته) اشارة إلى قوله تعالى: ﴿ومن يسلم وجهه إلى الله وهو محسن فقد استمسك بالعروة الوثقى﴾.[١١] حيث انّه حبل الله المتين .

٢ ـ (ومعقلا منيعا ذروته) والمعقل: المعتصم به، والذروة: اعلى الشئ؛ لأنّه حبل متصل من العبد إلى الذروة المرتبطة بالله سبحانه.

ثانياً: الموت (وبادروا الموت في غمراته) والمبادرة: المسارعة، والغمرة: الشدة، وانما تكون المبادرة بالاستعداد لما يستوجب بسبب الموت من العمل، وقد أشار إلى عملين في المبادرة:

١ ـ (وامهدوا له قبل حلوله) استعارة عن الاستعداد بما يتطلب، كما يتخذ الإنسان المهاد وهو الفراش للنوم، فان الموت نوم ابدي ويفتقر إلى فراش ابدي استعداداً له.

٢ ـ (وأعدوا له قبل نزوله) بالاعمال الصالحة والواجبات المفروضة والخدمات

---

(١) في هـ. ب: موضع العبرة.
(٢) في هـ. ب و ص: الارماس جمع رمس وهو القبر.
(٣) في هـ. ص: مصدر أبلس : خاب وانقطع ويئس.
(٤) في هـ. ب: ما يطلع عليه، موضع الاطلاع من اشراف الى اللحد وفير وصراط وفي هـ. ص: معرفة امور الآخرة.
(٥) في هـ. ب: الروعات الافزاع الشديدة.
(٦) في هـ. ب: أي صمم استك سمعه فهو ساك أي صم، وفي هـ. ص: أي صممها.
(٧) في هـ. ب: من الخوف.
(٨) في هـ. ب: أي اللحد.
(٩) في هـ. ب: أي سد واللدم والردم: اللصوق .
(١٠) في هـ. ب: الصفيح الحجر العريض يجعل في القبر.
(١١) لقمان: ٢٢.

الاجتماعيّة.

والى السبب الموجب لهذا الاستعداد أشار بقوله:

٣ ـ (فإن الغاية القيامة) فانها غاية كلّ انسان على وجه الارض، ولابد وان يصل اليها بعد الموت.

٤ ـ (وكفى بذلك واعظا لمن عقل) فان الحقيقة واضحة بأن الموت لا يرحم احدا.

٥ ـ (ومعتبرا لمن جهل) فواقع القيامة واهوالها كما اخبر به سبحانه على لسان انبيائه بالموت خير واعظ له.

ثالثاً: احوال قبل القيامة (وقبل بلوغ الغاية ما تعلمون) اما بالحس في بعضها واما استناداً إلى ما اخبر به الانبياء والرسل والايات القرانيّة والسنة النبويّة وغيرها.

١ ـ (من ضيق الأرماس) والرمس: القبر، وهذا محسوس لكل جاهل وعالم، بأن القبر مهما ترتبت مظاهره في الخارج فإنّه ليس إلّا صندوقا ضيّقا يحتوى على جسد الميت فقط دون غيره.

٢ ـ (وشدة الإبلاس) وهو الخيبة والانكسار بسبب الحزن على ما فات من الانسان.

٣ ـ (وهول المطّلع) وهو موضع الاطلاع على حقيقة الحال بعد الموت الموجب للفزع.

٤ ـ (وروعات الفزع)؛ فإنّ للفزع درجات، واقصاها المروّعة للانسان.

٥ ـ (واختلاف الأضلاع) بحيث يشتبك بعضها في الاخر على اثر الضغط.

٦ ـ (واستكاك الأسماع) أي الصمم من كثرة الاصوات المحزنة.

٧ ـ (وظلمة اللحد) داخل القبر الذي يلحد فيه الميت.

٨ ـ (وخيفة الوعد) الصادق الذي اعلنها سبحانه على لسان رسله وانبياءه في الدنيا.

٩ ـ (وغم الضريح) وهو القبر من الخارج، فالميت فيه يكون في حالة غم وكربة لا توصف .

١٠ ـ (وردم الصفيح) وهو الحجر، والردم: السد، فان الميت في قبر مسدود من جوانبه الست.

(٤ / ط ـ ١٩٠) التحذير من الدنيا:

وحذر عليه السلام من الدنيا مشيراً إلى اسباب الحذر بقوله:

فَاللهَ ٱللهَ عِبادَ ٱللهِ! فَإِنَّ ٱلدُّنْيَا مَاضِيَةٌ بِكُمْ عَلَى سَنَنٍ(١)، وَأَنْتُمْ وَٱلسَّاعَةَ فِي قَـرَنٍ(٢)، وَكَأَنَّهَا قَدْ جَاءَتْ بِأَشْرَاطِهَا(٣)، وَأَزِفَتْ بِأَفْرَاطِهَا(٤)، وَوَقَفَتْ بِكُمْ عَلَى صِرَاطِهَا(٥). وَكَأَنَّهَا قَدْ أَشْرَفَتْ بِزَلَازِلِهَا، وَأَنَاخَتْ بِكَلَاكِلِهَا(٦)، وَٱنْصَرَفَتِ(٧) ٱلدُّنْيَا بِأَهْلِهَا، وَأَخْـرَجَتْهُمْ مِـنْ حِضْنِهَا(٨)، فَكَانَتْ كَيَوْمٍ مَضَى، وَشَهْرٍ(٩) ٱنْقَضَى، وَصَارَ جَدِيدُهَا رَثًّا(١٠)، وَسَمِينُهَا غَثًّا(١١).

١ ـ (فالله الله عباد الله) على سبيل الاغراء، أي الجأوا الى الله؛ فإنّ للدنيا طبيعة وحقيقة ومصير، والى الطبيعة أشار بقوله:

٢ ـ (فإن الدنيا ماضية بكم على سنن) وهي بالفتح بمعنى: الطريقة، كما هي طـبيعة الدنيا فيمن سبق ومن يعاصركم ومن يأتي بعدكم.

فالطريقة التي تسير عليها الدنيا معروفة وواضحة.

٣ ـ(وأنتم والساعة في قرن) وهو الحبل الذي يشد به البعير ليستقر في مكان خاص.

والى الحقيقة أشار بقوله:

٤ ـ (وكأنها قد جاءت بأشراطها) واشراط الساعة: علاماتها اللّتي أخبر بها الانـبياء والرسل فهى حقائق واقعة في المستقبل؛ لأنّ مصدر الاخبار بها هو الله سبحانه.

٥ ـ (وأزقت بأفراطها) الفرط: المستقدمون من الاموات؛ فإنّ الساعة قربت بـحسب تقدم الزمان لحظة فلحظة؛ فإنّ موت الاموات ايذان بدنوّ الساعة.

٦ ـ (ووقفت بكم على صراطها) وكان الساعة حضرت واقفة على الصراط في يـوم

(١) في هـ. ص: أي طريق من قبلكم.
(٢) في هـ أو ب: القرن الحبل وفي هـ. ص: هو الحبل يقرن به بين حيوانين.
(٣) في هـ. ب وص: أي علاماتها.
(٤) في هـ. ا: جمع الفرط ومقدم القوم الى الماء، وفي هـ. ب: المتقدم الذي يطلب الماء، وفي هـ. ص: بأوائلها وسوابقها.
(٥) في أ و ب: سراطها، و في هـ. د: سراطها ـ ف و ن و ش.
(٦) في هـ. ص: جمع كلكل وهو الصدر، كنى بهذه العبارة عن ثقلها.
(٧) في أ و د: وانصرمت، وفي هـ. د: وانصرفت ـ ش.
(٨) في ب: حصنها ظاهراً. وفي هـ. ص: بكسر الحـاء مـا دون الابـط الى الكشـح كأن الدنـيا حاضنة لمن فيها.
(٩) في هـ. د: أو شهر ـ ص و ب.
(١٠) في هـ. ب: أي خلقاً و في هـ. ص: أي خلقاً بالياً.
(١١) في هـ. ب: أي نحيفاً في هـ. ص: أي هزيلاً.

القيامة.

و إلى مصير الدنيا أشار بقوله:

٧ ـ (وكأنها قد أشرفت بزلازلها) والاشراف: الاطلاع مباشرة، قال تعالى:﴿يـا ايـها الناس اتقوا ربكم ان زلزلة الساعة شئ عظيم﴾.(١)

٨ ـ (وأناخت بكلاكلها) والكلكل: الصدر، والاناخة: اقامة البعير في مكان استراحته والإناخة بالصدر ترضى الشئ بسبب الثقل، وهذه استعارة لثقل الموقف.

٩ ـ (وانصرمت الدنيا بأهلها) الصرم: القطع، حيث حصلت البينونة الابدية بين الميت واهل الدنيا.

١٠ ـ (وأخرجتهم من حضنها) فان للحضانة دور ينتهي بالامد، فلا يحضن الولد إلى الابد، وكان الدنيا خضنت الانسان، ولما بلغ موعد الحضانة الغاية خرج إلى الاخرة وهي النهاية.

١١ ـ (فكانت كيوم مضى) كسائر الايام الماضية من حياة الانسان.

١٢ ـ (أو شهر انقضى) كسائر الشهور اللّتي أنقضت من عمر الانسان.

١٣ ـ (وصار جديدها رثّا) وهو العتيق الخلق، فانه لا يبقى الجديد على جدته.

١٤ ـ (وسمينها غثا) الغث: الهزيل؛ فإنّ كلما حصل عليه الإنسان في الحياة يـنتهي بالممات وكانه اصبح هزيلا ليس له شئ من الدنيا سوى نفسه.

و هذه النقاط الاربعة عشر تكفي موعظة للحذر من الدنيا واهلها.

($\frac{٥}{١٩٠ \text{ ـ ط}}$) ما بعد الدنيا:

وعما بعد الدنيا ومايعقبها من الجنة أو النار أشار بقوله:

فِي مَوْقِفٍ(٢) ضَنْكٍ(٣) ٱلْمُقَامِ، وَأُمُورٍ مُشْتَبِهَةٍ عِظَامٍ، وَنَـارٍ شَـدِيدٍ كَـلَبُهَا(٤)، عَـالٍ لَجَبُهَا(٥)، سَاطِعٍ لِهَبُهَا(٦)، مُتَغَيِّظٍ(٧) زَفِيرُهَا(٨)، مُتَأَجِّجٍ(٩) سَعِيرُهَا، بَعِيدٍ خُمُودُهَا، ذَاكٍ(١٠)

(١) الحج: ١.
(٢) في هـ. د: من موقف ـ م.
(٣) في هـ. ب: ضيق.
(٤) في هـ. ب: شدتها.
(٥) في هـ. ب ص: أي صوتها.
(٦) في هـ. ب: أي وقودها.

وُقُودُهَا، مَخُوفٍ وَعِيدُهَا، عَمٍ[11] قَرَارُهَا، مُظْلِمَةٍ أَقْطَارُهَا، حَامِيَةٍ قُدُورُهَا، فَظِيعَةٍ[12] أُمُورُهَا.

﴿وَسِيقَ ٱلَّذِينَ ٱتَّقَوْا رَبَّهُمْ إِلَى ٱلْجَنَّةِ زُمَراً﴾[13]. قَدْ أُمِنَ[14] ٱلْعَذَابُ، وَٱنْقَطَعَ ٱلْعِتَابُ، وَزُحْزِحُوا عَنِ ٱلنَّارِ، وَٱطْمَأَنَّتْ بِهِمُ ٱلدَّارُ، وَرَضُوا ٱلْمَثْوَى وَٱلْقَرَارَ؛ ٱلَّذِينَ كَانَتْ أَعْمَالُهُمْ فِي ٱلدُّنْيَا زَاكِيَةً، وَأَعْيُنُهُمْ بَاكِيَةً، وَكَانَ لَيْلُهُمْ فِي دُنْيَاهُمْ نَهَاراً، تَخَشُّعاً وَٱسْتِغْفَاراً؛ وَكَانَ نَهَارُهُمْ لَيْلاً؛ تَوَحُّشاً وَٱنْقِطَاعاً فَجَعَلَ ٱللهُ لَهُمُ ٱلْجَنَّةَ ثَوَاباً[15]، وَكَانُوا أَحَقَّ بِهَا وَأَهْلَهَا، فِي مُلْكٍ دَائِمٍ؛ وَنَعِيمٍ قَائِمٍ.

أوّلاً: (في موقف ضنك المقام) والضنك: الضيق بسبب هول المطلع في هذا الموقف الذي هو للحساب.

ثانياً: (وأمور مشتبهة عظام) وهو اهوال يوم القيامة حيث لا علم للانسان بمصيره إلّا بعد الحساب في امور عظيمة الاثار، مشبهة للناس اجمعين، حتّى يتم الحساب العادل، اما الجنة للصالحين أو النار للطالحين.

وإلى خصائص النار أشار بقوله:

١ ـ (ونار شديد كلبها) والكلب: الشرر، فليست كالنار في الدنيا.

٢ ـ (عال لجبها) واللجب: الصوت المسموع من النار وزفيرها.

٣ ـ (ساطع لهبها) حيث ان علو اللهب يوجب نورا ساطعا يراه كل الحاضرين.

٤ ـ (متغيظ زفيرها) والزفير: صوت النار، والغيظ: الهيجان؛ لشدتها.

٥ ـ (متأجج سعيرها) والتأجج: التوقد من دون انقطاع.

٦ ـ (بعيد خمودها) فهي نار قائمة غير خامدة.

---

(٧) في هـ. ب: متعال من الغيظ.
(٨) في هـ. ب: أنينها.
(٩) في هـ. ب:
(١٠) في هـ. ب: أي جديد.
(١١) في ص: غم وفي هـ. ب: في نسخة غم وفي هـ. د: غم ـ ص ب، وفي هـ.ص: غم أي يغم من فيه وفي شرح ميثّم: اسند العمى الى فرارها مجازاً باعتبار انه لا يهتدى منه لظلمته أوّ لأن عمقها لا يوقف عليه لبعده، انتهى ويفهم منه ان نسخته: عم. بالعين المهملة وتخفيف الميم. والله أعلم.
(١٢) في هـ. ب: أي شديدة.
(١٣) الزمر: ٧٣.
(١٤) في هـ. ب: أومن ويحتمل انها نسخة. وفي هـ. ص: في نسخة أمنوا.
(١٥) في د و ط: الجنة مآباً والجزاء ثواباً، وفي هـ. ب: «مآبا والجزاء» ساقطة من ف و ن و ل و ش.

٧ ـ (ذاك وقودها) وذكاء النار: شدة الوقود فيها، والوقود: ما يستهلكه النار كالحطب والحجارة.

٨ ـ (مخيف وعيدها)؛ فإنّ لها المنظر المخيف الذي أوعد الله بها.

٩ ـ (غم قرارها) والقرار: الاصل الذي يستقر عليه، والعمى بسبب كثرة النار وعمق القرار.

١٠ ـ (مظلمة أقطارها) وهي الجوانب المحيطة بها، فلا نور إلّا نور النار.

١١ ـ (حامية قدورها) اللّتي أعدت لمن يستحق عذابها.

١٢ ـ (فظيعة أمورها)؛ فإنّ كلّ ما يتعلق بالنار والعذاب بها امور قطعية شديدة في الشناعة، والتي لا يمكن للانسان العاقل أن يتحملها، ومن يستحق عذابها لابد وان يصطلي بنارها عقابا عادلا أوعد الله عليه في الدنيا.

وإلى خصائص الجنة أشار بقوله:

١ ـ (وسيق الذين اتقوا ربهم إلى الجنة زمرا) كما قال تعالى في سورة الزمر: ٧٣، والزمر: الفوج؛ فإنّ اصحاب الجنّة على النقيض من اصحاب النار في دخولهم الجنة جماعات جماعات، حسب تفاضلهم في الدرجات (راجع: اوضح البيان).

٢ ـ (قد أمن العذاب) الذي علموا به وباسبابه في الدنيا فتركوها، فاستحقوا الامن منها.

٣ ـ (وانقطع العتاب) حيث لا موجب له بسبب حذرهم في الدنيا عن مغرياتها.

٤ ـ (وزحزحوا عن النار) لعدم استحقاقهم العقاب.

٥ ـ (واطمأنت بهم الدار)؛ لأنّ الجنة دار اطمينان وسلام.

٦ ـ (ورضوا المثوى والقرار) كما قال تعالى: ﴿فاما من ثقلت موازينه فهو في عيشة راضية﴾.[1]

وعن السبب في استحقاقهم الجنة قال:

٧ ـ (الذين كانت أعمالهم في الدنيا زاكية) وانتجت في الاخرة نتائج زاكية.

٨ ـ (وأعينهم باكية) خوفا من العقاب، فاستحقوا بما حذورا في الدنيا ذلك.

٩ ـ (وكان ليلهم في دنياهم نهارا) باحيائها بالطاعات والعبادات (تخشعا) لله تعالى

---

(١) الحاقة: ٢١.

(واستغفارا) لما حصل لهم من المعاصي واصبحوا طاهرين بالتوبة.

١٠ ـ (وكان نهارهم ليلا توحشا وانقطاعا) بسبب عدم مشاركتهم مع العصاة في اعمالهم واجرامهم، فكان النهار بسبب هذا الانقطاع ليلا، والتوحش عدم الاستئناس بمن يهمه الدنيا.

١١ ـ (وكانوا أحق بها وأهلها) اقتباسا من قوله تعالى:﴿وألزمهم كلمة التقوى وكانوا احق بها واهلها﴾.[١]

وهؤلاء المتقون الذي ادوا مسؤولياتهم احق بالجنة واهلها من غيرهم .

١٢ ـ (في ملك دائم، ونعيم قائم) وهي صفات الجنة اللّتي أخبر بها القران الكريم والسنة المطهرة. وراجع المادّة في المعجم، وفي اوضح البيان، والله المسفان.

(٦/ط - ١٩٠) العمل المطلوب:

فَارْعَوْا[٢] عِبَادَ ٱللهِ مَا بِرِعَايَتِهِ يَفُوزُ فَائِزُكُمْ، وَبِإِضَاعَتِهِ يَخْسَرُ مُبْطِلُكُمْ، وَبَادِرُوا آجَالَكُمْ بِأَعْمَالِكُمْ؛ فَإِنَّكُمْ مُرْتَهَنُونَ بِمَا أَسْلَفْتُمْ، وَمَدِينُونَ[٣] بِمَا قَدَّمْتُمْ، وَكَأَنْ قَدْ نَزَلَ بِكُمُ ٱلْمَخُوفُ، فَلَا رَجْعَةً تُنَالُونَ، وَلَا عَثْرَةً تُقَالُونَ.

ٱسْتَعْمَلَنَا ٱللهُ وَإِيَّاكُمْ بِطَاعَتِهِ وَطَاعَةِ رَسُولِهِ ﷺ[٤]، وَعَفَا عَنَّا وَعَنْكُمْ بِفَضْلِ رَحْمَتِهِ.

يتضمن المقطع ما يجب في تطبيق المسؤولية من الاعمال المطلوبة في الحياة الدنيا بقوله:

١ ـ (فارعوا عباد الله ما برعايته يفوز فائزكم) بالجنة بسبب الطاعات والاعمال الصالحة.

٢ ـ(وبإضاعته يخسر مبطلكم) الفوز الموعود به، لمن يعمل بمسؤولياته بسبب اهمال تلك المسؤوليات في الدنيا.

٣ ـ(وبادروا آجالكم بأعمالكم) بالاستعداد قبل حلول الحوادث المتبعة بالاجل، واهمها:

---

(١) الفتح: ٢٦.
(٢) في هـ . ب: احتفظوا.
(٣) في هـ . ب: مجزيون.
(٤) لم ترد ﷺ في د و ط .

٤ ـ (فإنكم مرتهنون بما أسلفتم) في الدنيا من العمل الصالح أو غير الصالح.

٥ ـ (ومدينون بما قدمتم) من العمل في الدنيا الذي يظهر نتيجته في الاخرة بالجزاء العادل.

٦ ـ (وكأن قد نزل بكم المخوف) أي ما يخاف منه؛ فإنّ العلم بحصول الشئ يستلزم التفاعل معه كانه نازل حاضر.

٧ ـ (فلا رجعة تنالون) حيث لا يمكن الرجوع إلى الدنيا قط مرة اخرى.

٨ ـ (ولا عثرة تقالون) لسبق التحذير من عذابها قبل وقوعها كما هو شان القانون .

وختم الإمام ذلك بالدعاء للتوفيق للعمل المطلوب بقوله:

٩ ـ (استعملنا الله وإياكم بطاعته وطاعة رسوله) بما أمر في القرآن الكريم بقوله:﴿اطيعوا الله واطيعوا الرسول واولى الامر منكم﴾.[١]

١٠ ـ (وعفا عنا وعنكم بفضل رحمته)؛ فإنّ الإنسان محل السهو والخطأ والنسيان، ولا عصمة إلّا لمن عصمة الرحمن، امين رب العالمين.

(٧/ط - ١٩٠) السلم والحرب:

ٱلْزَمُوا ٱلْأَرْضَ، وَٱصْبِرُوا عَلَى ٱلْبَلَاءِ، وَلَا تُحَرِّكُوا بِأَيْدِيكُمْ وَسُيُوفِكُمْ فِي[٢] هَوَى أَلْسِنَتِكُمْ، وَلَا تَسْتَعْجِلُوا بِمَا لَمْ يُعَجِّلْهُ ٱللهُ لَكُمْ؛ فَإِنَّهُ مَنْ مَاتَ مِنْكُمْ عَلَى فِرَاشِهِ وَهُوَ عَلَى مَعْرِفَةِ حَقِّ رَبِّهِ[٣] وَحَقِّ رَسُولِهِ[٤] وَأَهْلِ بَيْتِهِ:[٥] مَاتَ شَهِيداً، وَوَقَعَ أَجْرُهُ عَلَى ٱللهِ، وَٱسْتَوْجَبَ ثَوَابَ مَا نَوَى مِنْ صَالِحِ عَمَلِهِ، وَقَامَتِ ٱلنِّيَّةُ مَقَامَ إِصْلَاتِهِ[٦] لِسَيْفِهِ[٧]؛ فَإِنَّ لِكُلِّ شَيْءٍ مُدَّةً وَأَجَلاً.

وختم المقطع بواجبات الإنسان في الحرب والسلم؛ فإنّ لكل منهما ظروف خاصة وواجبات تفرض على الإنسان المسلم الاخذ بها بحسب تلك الظروف، أو التي لا بد وان

---

(١) النساء : ٥٩ .
(٢) لم ترد «في» في ا و ب ،وهي غير واضحة في ب، وكتب عليها في ص: نسخة، وفي هـ . د: سيوفكم في هوىً ـ ص و ب و ح، سيوفكم هوىً ـ ل.
(٣) في د زيادة عزوجل، وفي هـ. د: «عزوجل» ساقطة من ص و ح و ب و ل.
(٤) في ب كتب على «وحق رسوله» نسخة.
(٥) لم ترد عليهم السلام في د و ط .
(٦) الاصلات بالسيف مصدر اصلت سيفه أي سلّ سيفه.
(٧) كذا في د و ط وفي غيرهما بسيفه.

تكون صادرة من قيادة اسلامية عليا رشيدة تأخذ بعين الاعتبار جميع الاسباب والوسائل والنتائج، وتصدر القرار النهائي المطلوب تنفيذه، اما السلم أو الحرب في سبيل اعلاء كلمة الاسلام، والدفاع عن الامة والوطن.

ومن الطبيعي ان يكون لكل من السلم والحرب دعاة باختلاف دواعيهم ونظرياتهم وقدراتهم، ومن طبيعة الشباب التسرع في اتخاذ القرار إلى الحرب، ومن طبعة العجزة التخوف من الحرب لاثارها المشؤومة التي لا مفر عنها، وبين هذين الطبيعتين طوائف مختلفة اهدافها في الحرب والسلم.

وحيث ان الاسلام لا يستخدم الحرب إلّا لتحقيق الاهداف الاسلاميّة الثابتة في تحقيق العدالة في المجتمع بحكم الله سبحانه، فلابد ان يصدر القرار المناسب في الموقع المناسب الذي فيه الامل لتحقيق تلك الاهداف، سواء بالسلم أو الحرب.

ومن هذا المنطلق يخاطب الإمام ـ كما يقضيه السياق ـ جماعة خاصة يحاولون الاستعجال في الحرب، ولعلها حرب صفين: أو القضاء على المنافقين المندسين في صفوف الإمام.

وامر الإمام بنقاط يقتضيها الموقف فقال:

الأوّل: (الزموا الأرض) وهو أمر بالالتزام بالسلم وعدم التحرك نحو الحرب، ولزوم الارض أي السكون.

الثانية: (واصبروا على البلاء) وهو الامتحان الذي لا يخلوا منه حياة أي انسان، فيفتقر إلى الصبر حتى ينتهي دور الامتحان وتتضح الامور، فيتحرك الإنسان برؤية واضحة.

الثالثة: (ولا تحركوا بأيديكم وسيوفكم في هوى ألسنتكم)؛ فإنّ الحرب يجب ان تكون على بصيرة للاسباب الموجبة لها، وليس منها هوى الالسن والانفعال والعصبية.

الرابع: (ولا تستعجلوا بما لم يعجله الله لكم)؛ فإنّ الاستعجال إلى الحرب من دون تحقق مبرراتها ليس من المبادئ الاسلاميّة، بل لابد وان تكون الحرب بما امر الله به وجعله فرضا معجلا دون غيره.

وعن نتيجة الموقف السلمي ريثما تتضح موجبات الحرب، قال:

١ ـ (فإنه من مات منكم على فراشه وهو على معرفة حق ربه وحق رسوله وأهل بيته مات شهيدا) فان الموت على الفراش موت طبيعي برؤية واضحة وعمل بما امر به الله

يعادل الموت في ساحة المعركة فيما اذا كان ذلك ممّا امر به الله؛ لأنّ الموتتان حكمهما في سبيل الله، والعمل بالواجب المطلوب في حالتي السلم والحرب على رؤية واضحة هي معرفة حق الله والرسول واهل بيته، وكلاهما مات شهيداً سواء في المعركة ام لا.

٢ ـ (ووقع أجره على الله)؛ لأنّه عمل بما امره الله به من السلم في حالة السلم، والحرب في حالة الحرب ﴿وانّ الله لا يضيع اجر المحسنين﴾.[1]

٣ ـ (واستوجب ثواب ما نوى من صالح عمله)؛ لأنّه عمل بواجبه وادى مسؤوليته باستعداده للحرب حيث ظن انها الواجب، ولما علم نهي القيادة عنها علم بعدم وجوبها. لعدم المسؤولية حينئذٍ.

وإلى السبب في اسباب الثواب أشار بقوله:

٤ ـ (وقامت النيّة مقام إصلاته لسيفه) والاصلات: سل السيف للحرب؛ فإنّ هذا الداعي للحرب ظهرت نيته والتزم بواجبه حيث لم يعمل بنيته، بل عمل بما عليه من مسؤوليته، وهي طاعة الإمام القائد، فالطاعة في الحرب يقتضي سل السيف، وفي السلم النيّة والاستعداد.

٥ ـ (وإن لكل شئ مدة وأجلا)؛ فإنّ مسؤولية الحرب تختلف عن مسؤوليّة السلم، ولكل منهما اجل ومدة، يجب في الحالتين طاعة القائد بتنفيذ اوامره في حالتي السلم والحرب.

وهذه النقاط المذكورة تحدد المسؤوليات في حالتي السلم والحرب.

قال ابن أبي الحديد (ت / ٦٥٦ هـ) في شرح نهج البلاغة، ما نصّه:« ثم أمر أصحابه أن يثبتوا ولا يعجلوا في محاربة من كان مخالطا لهم من ذوي العقائد الفاسدة كالخوارج ، ومن كان يبطن هوى معاوية ، وليس خطابه هذا تثبيطا لهم عن حرب أهل الشام ، كيف وهو لا يزال يقرعهم ويوبخهم عن التقاعد والابطاء في ذلك ولكن قوما من خاصته كانوا يطلعون على ما عند قوم من أهل الكوفة ، ويعرفون نفاقهم وفسادهم ، ويرمون قتلهم وقتالهم ، فنهاهم عن ذلك ، وكان يخاف فرقة جنده وانتثار حبل عسكره ، فأمرهم بلزوم الأرض ، والصبر على البلاء».[2]

---

(١) التوبة: ١٢٠.

(٢) شرح نهج البلاغة ؛ ابن أبي الحديد ١٣ : ١١٣.

الى ان قال :« واعلم أن هذه الخطبة من أعيان خطبه عليه السلام ، ومن ناصع كلامه ونادره ، وفيها من صناعة البديع الرائقة المستحسنة البريئة من التكلف ما لا يخفى ، وقد اخذ ابن نباتة الخطيب كثيرا من ألفاظها فأودعها خطبه ، مثل قوله) شديد كلبها ، عال لجبها ، ساطع لهبها ، متغيظ زفيرها ، متأجج سعيرها ، بعيد خمودها ذاك وقودها ، مخوف وعيدها ، عم قرارها ، مظلمة أقطارها ، حامية قدورها ، فظيعة أمورها (فان هذه الألفاظ كلها اختطفها ، وأغار عليها واغتصبها ، وسمط بها خطبه ، وشذر بها كلامه . ومثل قوله) هول المطلع ، وروعات الفزع ، واختلاف الأضلاع ، واستكاك الاسماع ، وظلمة اللحد ، وخيفة الوعد ، وغم الضريح ، وردم الصفيح (فان هذه الألفاظ أيضا تمضي في أثناء خطبه ، وفي غضون مواعظه».[1]

[١٩١]

ومن خطبة له عليه السلام:

(ط - ١٩١ / ١) حمد الله:

استفتح المقطع بحمد الله تعالى وصفاته الموجبة للحمد بقوله:

ٱلْحَمْدُ لِلهِ ٱلْفَاشِي[2] حَمْدُهُ[3]، وَٱلْغَالِبِ جُنْدُهُ[4]، وَٱلْمُتَعَالِي جَدُّهُ[5]؛ أَحْمَدُهُ عَلَى نِعَمِهِ ٱلتُّؤَامِ[6]، وَآلَائِهِ ٱلْعِظَامِ، ٱلَّذِى عَظُمَ حِلْمُهُ فَعَفَا، وَعَدَلَ فِى كُلِّ مَا قَضَى، وَعَلِمَ بِمَا يَمْضِى وَمَا مَضَىٰ، مُبْتَدِعِ[7] ٱلْخَلَائِقِ[8] بِعِلْمِهِ، وَمُنْشِئِهِمْ بِحُكْمِهِ، بِلاَ ٱقْتِدَاءٍ وَلَا تَعْلِيمٍ؛ وَلَا

(١) شرح نهج البلاغة ؛ ابن أبي الحديد ١٣ : ١١٤.
(٢) في هـ ص: أي الذائع المنتشر.
(٣) في ط : الفاشي في الخلق حمده.
(٤) في هـ ب : أي المؤمنون.
(٥) في هـ ب : أي المتعالي جلاله وعظمته عن اتخاذ الحاجب والولد، وفي القرآن: ﴿وانه تعالى جد ربنا﴾، وفي هـ. ص: الجد الحظ، وهو من قوله تعالىٰ: ﴿وانه تعالى جدّ ربنا﴾ ويراد به في حق الله العظمة. وفي حديث أنس:« كان أحدنا اذا قرأ البقرة وآل عمران جدّ فينا» أي عظم، والله أعلم.
(٦) في هـ ب : في نسخة التوامّ وفي هـ ب : يعني اصول النعم وفروعه وفي هـ. ص: التوءام جمع توأم وهو الولد يقارن أخاه في بطن وأراد به ـ هنا ـ الكثيرة المتقارنة.
(٧) هـ ب: أي المخترع.
(٨) في هـ ب : الخلائق جمع خليقة، وهي الخلق.

ٱحْتِذَاءٍ[1] لِمِثَالِ صَانِعٍ حَكِيمٍ، وَلَا إِصَابَةِ خَطَإٍ[2]، وَلَا حَضْرَةِ[3] مَلَإٍ[4].

أوّلاً: (الحمد الله الفاشي حمده)؛ فإنّ حمده التكويني منتشر ظاهر في كلّ مواقع الحياة في الكون عامة، قال تعالى:﴿تُسَبِّحُ لَهُ ٱلسَّماوَاتُ ٱلسَّبْعُ وَٱلْأَرْضُ وَمَن فِيهِنَّ وَإِن مِن شَيْءٍ إِلَّا يُسَبِّحُ بِحَمْدِهِ وَلَٰكِن لَّا تَفْقَهُونَ تَسْبِيحَهُمْ﴾.[5]

ثانيا: (والغالب جنده) اقتباس من قوله تعالى:﴿وانّ جندنا لهم الغالبون﴾.[6]

وجنده في السماء هم الملائكة، قال تعالى:﴿وانزل جنوداً لم تروها﴾.[7]

وجنده في الارض حزب الله، قال تعالى:﴿فان حزب الله هم الغالبون﴾.[8]

فان كلّ من يؤدي رسالته برؤية واضحة غالب على عدوه، حيث لم يستلسم لمغريات العدو حتى الشهادة.

ثالثا: (والمتعالي جدّه) والجدّ في هذا الموضع: العظمة، فانها تعلو كلّ عظمة.

وإلى اسباب الحمد أشار بقوله:

(أحمده على نعمة التوأم) والتوأم: الولد المقارن اخاه في بطن واحد؛ فإنّ نعم الله سبحانه التي نعم العباد والبلاد متشابهة في اثارها على الإنسان والحياة عامة، وهي من مصدر واحد هو ارادة الله تعالى.

١ ـ(وآلائه العظام) وهي النعم الباطنيّة من العقل والصحة والسلامة وما شابه.

٢ ـ(الذي عظم حلمه فعفا) عما يوجب العقوبة بالتوبة.

٣ ـ(وعدل في كلّ ما قضى)؛ فإنّ كلّ ما يصدر منه على العباد انما هو بعدلٍ وان لا ينتبه الإنسان إلى ذلك.

(١) في هـ ب : حذوت النعل بالنعل أي قدرت واحدة على الأُخرىٰ.
(٢) في في هـ ب : ﴿ما ترى في خلق الرحمن من تفاوت﴾.
(٣) في ب: حضور، وفي هـ ب ، وفي نسخة: حضرة، وفي هـ د: ولا حضور ملاء ـ ش. وفي ص: حصرة، وفي هـ ص في نسخة: حضره.
(٤) في هـ. ص في نسخة: ولا أصابه خطأ ولا حضره ملأٌ، وفي هـ ب : ما اشهدتهم خلق السماوات والأرض ولا خلق أنفسهم.
(٥) الاسراء: ٤٤.
(٦) الصافات: ١٧٣ .
(٧) التوبة: ٢٦.
(٨) المائدة : ٥٦.

٤ ـ (وعلم ما يمضي وما مضى) ﴿فان الله بكل شئ عليم﴾.(١)

وإلى خصائص العلم الالهي أشار بقوله:

٥ ـ (مبتدع الخلائق بعلمه) لما في خلقها من المصالح والحكم التي لا يعلمها إلّا هو.

٦ ـ (ومنشئهم بحكمه) حيث انشأهم بحكمه القائل (كن) فتكون موجودة بهذا الحكم، قال تعالى:﴿اذا اراد شيئا ان يقول له كن فيكون﴾.(٢)

٧ ـ (بلا اقتداء ولا تعليم) حيث لم يسبق لهذه الخلائق سابقة وجود من مثال وان علمه عين ذاته.

٨ ـ (ولا احتذاء لمثال صانع حكيم) بل بارادته التي هي عين ذاته في الصفة والحكمة.

٩ ـ (ولا إصابة خطأ) حيث ان الخطأ انما يحصل لمن يغفل، والله ليس بغافل.

١٠ ـ (ولا حضرة ملأ) والملأ: الجماعة؛ فإنّ خلقه سبحانه بارادته المنفردة الخاصة به حيث لاوجود لمخلوق.

فان هذه النقاط العشر من حقائق الذات المقدسة الموجبة لحمده تعالى.

(٢ / ط - ١٩١) الشهادة بالرسالة:

وعقب الحمد بالشهادة الثانية للرسول القائد بقوله:

وَأَشْهَدُ أَنَّ مُحَمَّداً عَبْدُهُ وَرَسُولُهُ ﷺ(٣)، اُبْتَعَثَهُ وَالنَّاسُ يَضْرِبُونَ(٤) فِـى غَـمْرَةٍ(٥)، وَيَمُوجُونَ(٦) فِى حَيْرَةٍ(٧)، قَدْ قَادَتْهُمْ أَزِمَّةُ(٨) اَلْحِينِ(٩)، وَاُسْتَغْلَقَتْ(١٠) عَلَى أَفْئِدَتِهِمْ أَقْفَالُ اَلرَّيْنِ(١١).

(وأشهد أن محمّدا) باعتباره خاتم الانبياء له الخصائص التالية:

---

(١) البقرة: ٢٣١.
(٢) يس: ٨٢.
(٣) لم ترد ﷺ في د و ط.
(٤) في هـ ب : أي يسرعون وفي هـ. ص: أي يسيرون.
(٥) في هـ ب : أي جهل وضلال، وفي هـ. ص: أي غمرة جهل.
(٦) في هـ ب : من الموج.
(٧) في هـ ب : أي الغلبة.
(٨) في هـ ب : جمع زمام.
(٩) في هـ ب : أي الهلاك، وفي هـ. ص أي حقت عليهم كلمة العذاب بما كفروا وظلموا.
(١٠) في هـ ص: واستغلفت استحكم اغلاقها.
(١١) في هـ. ص: هو الدنس والطبع يكون على القلب من المعاصي.

١ ـ (عبده) شأنه شأن كلّ عباد الله، وليس فيه حلول صفات الهية، نعوذ بالله.

٢ ـ (ورسوله) حيث اختاره سبحانه رسولا لحمل الرسالة الاسلاميّة الخاتمة.

٣ ـ (ابتعثه والناس يضربون في غمرة) وهي المآثم الكثيرة، والضرب: السير؛ فإنّ فترة الرسالة كانت فترة الغرق في غمرات الحياة المادية المتلاطمة الامواج من الجهالة والضلالة.

٤ ـ (ويموجون في حيرة) بسبب كثرة الضلالة وفقدان البديل عنها.

٥ ـ (قد قادتهم أزمة الحين) الحين: الهلاك، والزمام: مايقاد به الدابة، فكانت الحياة الجاهلية تقودهم الى الهلاك.

٦ ـ (واستغلقت على أفئدتهم أقفال الرين) الرين: الوسخ، والقفل: آلة تستخدم للاغلاق؛ فإنّ طول الجهالة في حياتهم جعلتهم يتعودون عليها، وكأن على قلوبهم اقفال الوسخ الذي لا يمكن رفعها؛ لكونها مغلقة عن عمد، وزاد ذلك اشكالاً الوسخ المستولى عليها، فاصبحت طبيعة ثانية، والطبيعيّة في البدن لا يغيرها إلّا الكفن، والنبي القائد ادى مسؤولية الرسالة حتّى غير هذا المجتمع الجاهل إلى مجتمع اسلامي، وغير ما به من العادات الجاهلية، وتطلع إلى الحكم في العالم المنحصر انذاك، ووصل حكمه إلى اقاصيه خلال خمسة وعشرين عاما، ولم يحصل مثل ذلك في التاريخ قط، وما تيسّر ذلك إلّا بفضل رسالة النبيﷺ واداء مسؤولياته الرسالية.

(٣ / ط - ١٩١) التقوى اهلها وآثارها:

فى هذا المقطع أشار إلى التقوى واهلها واثارها بقوله:

عِبَادَ اَللهِ! أُوصِيكُمْ(١) بِتَقْوَى اَللهِ فَإِنَّهَا حَقُّ اَللهِ عَلَيْكُمْ؛ وَاَلْمُوجِبَةُ(٢) عَلَى اَللهِ حَـقَّكُمْ، وَأَنْ تَسْتَعِينُوا عَلَيْهَا بِاللهِ(٣)، وَتَسْتَعِينُوا بِهَا عَلَى اَللهِ(٤)؛ فَإِنَّ اَلتَّقْوَى فِـى اَلْـيَوْمِ اَلْـحِرْزُ وَاَلْجُنَّةُ، وَفِى غَدٍ اَلطَّرِيقُ إِلَى اَلْجَنَّةِ؛ مَسْلَكُهَا وَاضِحٌ، وَسَالِكُهَا رَابِـحٌ، وَمُسْـتَوْدَعُهَا(٥)

---

(١) في د : اوصيكم عباد الله.
(٢) في هـ ب : التاء ضمير التقوى «على الله حقكم» يعني الثواب.
(٣) في هـ. ص: ليقويكم عليها ويلهمكم اياها من قوله تعالىٰ ﴿وما تشاؤون إلّا ان يشاء الله﴾.
(٤) في هـ. ص: أي تتوجهون بها وتزدلفون بها عنده وتتخلصون من عذابه.
(٥) في هـ. ص: هو الله عزوجل قال تعالى ﴿انا لا نضيع أجر من أحسن عملاً﴾.

حَافِظٌ[١]. لَمْ تَبْرَحْ عَارِضَةً نَفْسَهَا[٢] عَلَى ٱلْأُمَمِ ٱلْمَاضِينَ مِنْكُمْ، وَٱلْغَابِرِينَ[٣] لِحَاجَتِهِمْ إِلَيْهَا غَداً[٤]، إِذَا أَعَادَ[٥] ٱللهُ مَا أَبْدَى، وَأَخَذَ مَا أَعْطَى[٦]، وَسَأَلَ عَمَّا أَسْدَى[٧]. فَمَا أَقَلَّ[٨] مَنْ قَبِلَهَا[٩]، وَحَمَلَهَا حَقَّ حَمْلِهَا! أُولٰئِكَ ٱلْأَقَلُّونَ عَدَداً، وَهُمْ أَهْلُ صِفَةِ ٱللهِ سُبْحَانَهُ إِذْ يَقُولُ: ﴿وَقَلِيلٌ مِنْ عِبَادِيَ ٱلشَّكُورُ﴾[١٠].

فَأَهْطِعُوا[١١] بِأَسْمَاعِكُمْ إِلَيْهَا، وَأَكِظُّوا[١٢] بِجِدِّكُمْ عَلَيْهَا، وَٱعْتَاضُوهَا[١٣] مِنْ كُلِّ سَلَفٍ خَلَفاً، وَمِنْ كُلِّ مُخَالِفٍ مُوَافِقاً.

أَيْقِظُوا بِهَا نَوْمَكُمْ، وَٱقْطَعُوا بِهَا يَوْمَكُمْ، وَأَشْعِرُوهَا[١٤] قُلُوبَكُمْ، وَٱرْحَضُوا[١٥] بِهَا ذُنُوبَكُمْ؛ وَدَاوُوا بِهَا ٱلْأَسْقَامَ[١٦]، وَبَادِرُوا بِهَا ٱلْحِمَامَ[١٧]، وَٱعْتَبِرُوا بِمَنْ أَضَاعَهَا، وَلَا يَعْتَبِرَنَّ بِكُمْ مَنْ أَطَاعَهَا.

أَلَا فَصُونُوهَا[١٨] وَتَصَوَّنُوا بِهَا.

(عباد الله أوصيكم بتقوى الله) وسرد من خصائص التقوى ما يأتي:

---

(١) في هـ. ب: محفوظ.
(٢) في هـ ب : أي لم تزل التقوى تعرض نفسها على الغابرين أي .
(٣) في هـ ب الغابرين: الماضين والباقين.
(٤) في هـ ب : أي في القيامة.
(٥) في هـ ب : أي أعاد الخلق.
(٦) في هـ ب : أي ما أعطاه في الدنيا.
(٧) في هـ ب : الأسداء: الاعطاء وفي هـ. ص: أي قدم من النعم.
(٨) في هـ ب في نسخة: ما أقل.
(٩) في هـ ب : من قبلها حذف لقوله فما أقل من قبلها أي من كان قبل التقوى في الدنيا.
(١٠) سبأ: ١٣.
(١١) في ص: فانقطعوا، وفي هـ. د: فانقطعوا ـ م و ن و ق. وفي هـ. ص ويروى فاهطعوا ومعناه: اسرعوا وفي هـ ب : المهطع: الذي ينظر في ذل وخشوع، معناه واسرعوا.
(١٢) في ط: والظّوا وفي د: وواكظوا في هـ. د: والظوا ـ ح، وفي هـ ب : المواكضة الموافقة والملازمة وفي هـ ا: أي داموا، وفي هـ. ص: أي داوموا، ويروىٰ والظوا. ومعناه ألحوا، والألظاظ الالحاح من السرح.
(١٣) في هـ ب : خذوها عوضاً.
(١٤) في هـ. د : واشعروا بها ـ ب.
(١٥) في هـ ب : في نسخة : ارخصو، وفي هـ. ص: أي اغسلوا.
(١٦) في هـ. ص: أي أمراض القلوب.
(١٧) في هـ ب : أي الموت.
(١٨) في ص: وصونوها، وفي هـ. د: وصونوها ـ ش.

١ ـ (فإنها حق الله عليكم)؛ فإنّ التقوى عبادة، وقد قال تعالى:﴿و ما خلقت الجن والانس إلّا ليعبدون﴾[١].

٢ ـ (والموجبة على الله حقكم)؛ فإنّ الله سبحانه جعل من حقوق العباد الدخول في الجنة جزاء للتقوى في آيات كثيرة، منها: قوله تعالى:﴿ان للمتقين عند ربهم جنات النعيم﴾[٢].

٣ ـ(وأن تستعينوا عليها بالله)؛ فإنّ الإنسان يفتقر إلى عونه تعالى في العمل على طبق ما يوصله الى التقوى.

٤ ـ (وتستعينوا بها على الله) بأن يكون التقوى وسيلة إلى ما وعد الله سبحانه من حقوق المتقين .

٥ ـ (فإن التقوى في اليوم الحرز والجنة) وهي بالضم ما يستتر به فيحترز بالتقوى من المؤاخذات في الدنيا.

٦ ـ (وفي غد الطريق إلى الجنة) التي وعد الله المتقين في الاخرة.

٧ ـ (مسلكها واضح) لوضوح الاوامر والنواهي في الاسلام من الثوابت الاصيلة.

٨ ـ (وسالكها رابح) في الدنيا بتمتعه بالرؤية الواضحة، وفي الاخرة بالثواب الموعود من الله.

٩ ـ (ومستودعها حافظ) والمستودع هنا الله سبحانه، حيث يكون التقوى وديعة عنده، أو الملائكة الكرام الكاتبين لاعمال الإنسان (راجع المادة في المعجم).

١٠ ـ (عارضة نفسها على الأمم الماضين والغابرين)؛ فإنّ التقوى كانت مطلوبة في كلّ الامم المتعاقبة، وقد حمل هذه الرسالة اليهم الانبياء قال تعالى:﴿وانّ من امة إلّا خلا فيها نذير﴾[٣].

وعن السبب في هذا العرض العام للتقوى على جميع الامم قال:

١١ ـ (لحاجتهم إليها غدا) في الاخرة؛ حيث لا ينفع شئ سوى التقوى والعمل الصالح. وإلى صفات الغد الاتي أشار بقوله:

---

(١) الذاريات: ٥٦ .
(٢) القلم: ٣٤.
(٣) فاطر: ٢٤ .

١٢ ـ (إذا أعاد الله ما أبدى ، وأخذ ما أعطى ، وسأل ما أسدى) والاسداء: الاعطاء، وذلك حيث يسترجع سبحانه الوديعة وهي الحياة اللّتي أوهبها للانسان في البداية، ثمّ اخذ بالموت، ثمّ حاسبه يوم القيامة على استخدام ما اعطى الإنسان من القوّة والقدرة والعقل في أي سبيل ولأيّة غاية؛ لانه يوم الحساب.

و هذه النقاط الاثني عشر خصائص التقوى في الدنيا والاخرة موجبة للتوازن بين الروح والمادّة في الدنيا والثواب العادل في الاخرة.

اهل التقوى:

وأشار إلى اهل التقوى في كلّ الامم الماضية والحاضرة والمستقبلة بقوله:

١ ـ (فما أقل من قبلها)؛ فإنّ قبول التقوى يستلزم العمل بما يامر بها من المسؤوليات الذي تحدد الحريات الشهويّة والطبيعية وغيرها.

٢ ـ (وحملها حق حملها)؛ فإنّ كلّ من قبل التقوى ليس يؤدى التقوى بالشروط المطلوبة فيها.

٣ ـ(أولئك الأقلون عددا) بالنسية إلى من لايتقيد بالتقوى، ولكن لا يطبقها بشروطها وبالنسبة إلى من لا يعتقد بالتقوى كاصل ثابت في الحياة، بل الاكثر ممن يعبد المادة والماديات والعناوين الخيالية ويرجحها على متطلبات الروح في الحياة.

٤ ـ (وهم أهل صفة الله سبحانه إذ يقول : ﴿وقليل من عبادي الشكور﴾.[١]

فان القلة العددية مع الرؤية الواضحة في المبدأ والمسير والمصير اكثر نفعا في المجتمع من الكثرة التي تتبع كلّ ناعق.

و هذه النقاط الاربع تميز اصحاب التقوى المتقين من غيرهم ممن لا يرى في الحياة فيه سوى للمادة والماديات والعناوين الخيالية، التي تزول كلها بالموت.

ومن اجل ذلك خلد هؤلاء المتقين في التاريخ.

آثار التقوى:

وسرد الإمام آثار التقوى المتلازمة مع العمل بما يقتضيه فقال:

١ ـ (فأهطعوا بأسماعكم إليها) والاهطاع: الاسراع إلى تعلم التقوى وشروطها

---

(١) سبأ: ١٣.

المطلوبة في حالة السرعة، حيث لا يأمن من اجل الموت أحد.

٢ ـ (وألظوا بجدكم عليها) والإلظاظ: الإلحاح عن جدّ وعزم؛ فإنّ اللّذي له آثار حقيقة في حياة الإنسان ينبغي الالحاح في المحافظة عليه، وليس في نظر الاسلام شئ اعلى حقيقة من التقوى.

٣ ـ(واعتاضوها من كلّ سلف خلفا) بأن يكون التقوى عوضا عن كلما سلف، فيكون خلفا حاضرا لها في حياة الانسان.

٤ ـ (ومن كلّ مخالف موافقا) بأن يكون التقوى عوضا عن كلّ ما يخالف الحق، حتّى يكون المخالف موافقا للتقوى.

٥ ـ (أيقظوا بها نومكم)؛ فإنّ التقوى اذان لليقظة الفكريّة في الحياة الانسان.

٦ ـ (واقطعوا بها يومكم) بأن يعيش الإنسان في يومه مؤديا مسؤولياته اليومية طاهر الضمير بحيث لو جاءه الموت لم يكن مضيعا للحقوق المفروضة عليه تجاه النفس والاسرة والمجتمع.

٧ ـ (وأشعروها قلوبكم) بأن يكون التقوى محسوسة في القلب حاضرة في كلّ آن مسيطرة على كلّ اعضاء الإنسان وجوارحه من القلب وسائر الاعضاء.

٨ ـ (وارحضوا بها ذنوبكم) والرخص: الغسل؛ فإنّ التقوى يدعوا إلى التوبة، والتوبة يغسل الذنوب، فيكون التائب كيوم ولدته امه .

٩ ـ (وداووا بها الأسقام)؛ فإنّ الامراض الاجتماعية دواؤها التقوى.

١٠ ـ (وبادروا بها الحمام) وهو ـ بالكسر ـ: الموت، بالمبادرة للاستعداد لما تتطلبه المسؤوليّة بعد الموت.

١١ ـ (واعتبروا بمن أضاعها) من الافراد والامم فانهم ضاعوا في التاريخ والقوا في سلة المهملات؛ لاضاعتهم ما امروا به من التقوى في العدالة وغيرها، ولا يكون مصير من يضيع التقوى إلّا مثلها.

ـ (ولا يعتبرن بكم من أطاعها) بأن لا تكونوا انتم عبرة لمن يطيع التقوى باضاعتكم المسؤولية واستحقاقكم اللعن كالافراد والامم اللّتي أضاعت التقوى.

١٢ ـ (ألا، فصونوها وتصونوا بها) وختم المقطع بأن من مسؤوليات الإنسان السلم ان يصون التقوى نظريا بالدراسة والفهم لاسبابها واهدافها، وان يصون بها عمليا بالتطبيق في

الحياة، وذلك لأنّ التقوى من مادة الوقاية، فكما يجب الوقاية في حفظ الصحة البدنية كذلك يجب الوقاية في حفظ الصحة الروحية، ولا يكون ذلك إلّا بالتوازن بين الروح والمادّة كما امر به الاسلام في تشريعاته العاديّة والاجتماعية والاقتصاديّة والسياسيّة.

(٤ / ط - ١٩١) الدنيا:

وَكُونُوا عَنِ ٱلدُّنْيَا نُزَّاهاً[١]؛ وَإِلَى ٱلْآخِرَةِ وُلَّاهاً[٢]، وَلَا تَضَعُوا مَنْ رَفَعَتْهُ ٱلتَّقْوَى، وَلَا تَرْفَعُوا مَنْ رَفَعَتْهُ ٱلدُّنْيَا، وَلَا تَشِيمُوا[٣] بَارِقَهَا، وَلَا تَسْمَعُوا نَاطِقَهَا، وَلَا تُجِيبُوا نَاعِقَهَا[٤]، وَلَا تَسْتَضِيئُوا[٥] بِإِشْرَاقِهَا، وَلَا تُفْتَنُوا[٦] بِأَعْلَاقِهَا[٧]، فَإِنَّ بَرْقَهَا خَالِبٌ[٨]، وَنُطْقَهَا كَاذِبٌ، وَأَمْوَالَهَا مَحْرُوبَةٌ[٩]، وَأَعْلَاقَهَا مَسْلُوبَةٌ[١٠].

وحيث ان الدنيا اهم ما يعترض حياة الانسان؛ لكثرة مغرياتها المادية والخيالية شرح الدنيا وخصائصها واهلها من النقاط التي تناقض التقوى؛ لأنّ حب الدنيا رأس كلّ خطيئة، فقال عن المسؤوليات تجاه الدنيا:

١ ـ (وكونوا عن الدنيا نزّاها) والنزه: البعد؛ فإنّ التقرب من الشئ قد يسبب الانزلاق إلى حيث ذلك الشئ، فمن الطبيعيّ ان يكون التقرب لاهل الدنيا موجب لتقليد اعمالهم، والتنافس معهم كما يقتضيه كل صحبة، إلّا من عصمة الله. فيكون الابتعاد عن المظاهر الدنياوية عصمة عن الانزلاق اليها.

٢ ـ (وإلى الآخرة ولّاها) والوله: الاشتياق إلى حدّ الجنون؛ فإنّ الامور بعواقبها، سواءً كانت عواقبها في الدنيا أو الاخرة، كالكذب مثلاً فان له عاقبة في الدنيا من سلب الثقة، وفي الاخرة من العذاب.

---

(١) في ص: نزها، وكذا في هـ ب في نسخة. وفي هـ. ص جمع نزيه: المتبريء من العيب، المتحرز. وفي هـ ب جمع نزيه وهو الذي لا ذم له كريما وبعيداً من اللوم.
(٢) في ص: ولّها وكذا في هـ ب في نسخة، وفي هـ. ب و ص و جمع واله وهو المشتاق.
(٣) في هـ ب : أي لا تنظروا، وفي هـ. ص: الشيم: نظر البرق طمعاً في المطر.
(٤) في هـ. د: ولا تسمعوا ناطقها ولا ناعقها ـ ب.
(٥) في ب ظاهراً ـ: ولا تستفيئوا.
(٦) في هـ. ص في نسخة: تفتتنوا.
(٧) في هـ ب و ص: جمع علق وهو الشيء النفيس.
(٨) في هـ. ص: أي لا مطر معه.
(٩) في هـ. ص: أي منهوبة.
(١٠) في هـ ب : من السلب.

٣ ـ (ولا تضعوا من رفعته التقوى) باهمال امره وعدم الانتفاع من تجاربه في الحياة.

٤ ـ (ولا ترفعوا من رفعته الدنيا) بتملكه ما يتباهى به ووصوله إلى المنصب الاداري واشباع نفسه بالعناوين الخيالية؛ فانها جميعا آئلة إلى الزوال، ولا يبقى إلّا خالص الاعمال.

٥ ـ (ولا تشيموا بارقها) الشيم: النظر إلى البرق توقعا للمطر، والنظر إلى مظاهر الدنيا المغرية يوجب الوقوع في شراكها كما يتأثر الإنسان بالاعلانات للمبيعات.

٦ ـ (ولا تستمعوا ناطقها)؛ فإنّ ما تدعوا اليه الدنيا من الدعايات الناطقة ليست إلّا مغريات وقتيّة زائلة.

٧ ـ (ولا تجيبوا ناعقها)؛ فإنّ الصوت الذي يدعوا اليها انما هو في الحقيقة صوت حيوان ناعق كنعيق الحمير، الذين لا يعرفون حقيقة الدنيا الزائلة ولا يتأثر بها إلّا من ينعق مثله.

٨ ـ (ولا تستضيئوا بإشراقها)؛ فإنّ للدنيا ايضا ضوء يظهر ويعلو كالشمس عند الاشراق ثمّ ينزل عند الغروب، والمخلوقات تستضئ بها ؛ فإنّ من يبصر مسؤولية لا يستضئ بهذا الضوء الزائل، بل يستضئ بنور المعرفة التي تعطيه الرؤية الواضحة في الحياة.

٩ ـ (ولا تفتتنوا بأعلاقها) والعلق ـ بالكسر ـ الشئ النفيس؛ فإنّ للدنيا من النفائس ما يبهر ويوجب الافتتان لفترة من الزمان، والمتحصن بالتقوى لا ينخدع بها.

وعن اسباب عدم الانخداع بها قال:

أوّلاً: (فإن برقها خالب) والبرق الخالب: ما لا مطر فيه، فيكون المتوقع للمطر اثرهذا البرق متوقعا لما لا يتحقق، فكذلك مظاهر الدنيا من المادة والماديات، فان لها تأثيرات وقتية تنتهي بانتهاء امدها.

ثانياً: (ونطقها كاذب) للعلم بزوال كلّ مالها من المغريات بمرور الزمن؛ فإنّ الوعود لا تطبق والمناصب الادارية لا تدوم، وهكذا غيرها.

ثالثاً: (وأموالها محروبة) يتحارب الناس عليها مادياً حتّى يستولي عليها غير اهلها.

رابعاً: (وأعلاقها مسلوبة) يسلبها غير من جمعها.

وفي سيرة الملوك واصحاب الاموال دروس كثيرة منها.

(٥ / ط ـ ١٩١) من خصائص الدنيا:

وسردعليه السلام من خصائص الدنيا الوصيّة بعدم الانخداع بها بقوله:

أَلَا وَهِيَ ٱلْمُتَصَدِّيَةُ[١] ٱلْعَنُونُ[٢]، وَٱلْجَامِحَةُ[٣] ٱلْحَرُونُ[٤]، وَٱلْمَائِنَةُ[٥] ٱلْحَؤُونُ[٦]، وَٱلْجَحُودُ[٧] ٱلْكَنُودُ، وَٱلْعَنُودُ[٨] ٱلصَّدُودُ[٩]، وَٱلْحَيُودُ[١٠] ٱلْمَيُودُ[١١]؛ حَالُهَا ٱنْتِقَالٌ، وَوَطْأَتُهَا زِلْزَالٌ[١٢]، وَعِزُّهَا ذُلٌّ، وَجِدُّهَا هَزْلٌ، وَعُلْوُهَا سُفْلٌ.

دَارُ حَرْبٍ وَسَلَبٍ، وَنَهْبٍ وَعَطَبٍ.

١ ـ (ألا، وهي المتصدية) وهي المرأة التي توقع الرجال في شراك حبّها، شأن المرأة المومس.

٢ ـ (العنون) والعنة: الظهور بالتبرج، كما هي صفة المرأة المومس.

٣ ـ (والجامحة) وهي الدابة ذات الجماح التي لا تسمح بركوبها.

٤ ـ (الحرون) وهي الدابة اللتي لا تأتمر بأمر راكبها، فتقف عند طلب السير، وتسير عند طلب الوقوف.

٥ ـ (والمائنة) أي الكاذبة في الوعود.

٦ ـ (الخؤون) مبالغة في الخيانة للانسان.

---

(١) في هـ ب : المعترضة، تصدى أي تعرض ليستشرفه ناظر وفي هـ. ص التي تعرض.

(٢) في ه ا: العنون من الدواب: المتقدمة في السير. وفي هـ ب : العنون من الدابة المتقدمة على غيرها... اذا اعترض وفي هـ. ص: العنون التي تعن وتترائىٰ، شبهها بالمرأة تبدي محاسنها للرجال.

(٣) في هـ ب : المائلة بفارسها.

(٤) في هـ ب : الفرس الذي لا ينقاد.

(٥) في هـ ب و ص: أي الكاذبة.

(٦) في هـ ب : من الخيانة الى فارسها، وفي هـ. ص: الخائنة.

(٧) في هـ ب : تنكر الحير وفي هـ. ص كانها تجحد احسان أو بانها وفي معناها الكنود.

(٨) في هـ. ا: العنود التي ترعىٰ ناحية، وفي هـ. ص: الناقة تعدل عن مرعىٰ الابل وترعىٰ ناحية.

(٩) في هـ. ص: تصد عن القصد وتعدل.

(١٠) في هـ. ص: تحيد أي تميل.

(١١) في هـ ب : المائلة و في هـ. ص تتحول من محال الى آخر.

(١٢) في هـ. ص: قوله ووطأتها زلزالها هي كالضغطة وهي بمنزلة الشدة. وأصلها من وطء القدم، والزلزال: استبداد الخطب، وان كانت الرواية بفتح الواو والطاء ومد الألف فهو مصدر الوطيّ بمعنى المطمئن من هو عليه.

٧ ـ (والجحود) لكثرة تنكرها للحقائق.

٨ ـ (الكنود) والكند: كفر النعمة.

٩ ـ (والعنود) والعناد: الميل عن الحق.

١٠ ـ (الصدود) والصد: الاعراض عن المسؤولية.

١١ ـ (والحيود) والحيد: الميل عن الطريق الواضح.

١٢ ـ (الميود) والميد: الاضطراب في المواقف في كلّ حال.

وهذه الصفات على الاغلب صفات الناقة بالنسبة إلى صاحبها، وكذلك الدنيا بالنسبة الى من يعتمد عليها.

وهذه النقاط حقائق عن الدنيا أثبتها التاريخ في حياة الملوك واصحاب المال والسلطة، مما يوجب عدم الاغترار بها، والاعراض عنها كما تعرض عن الاعلانات الصاخبة في بيع المستهلكات، ولا يغتر بها إلّا من يجهل حقيقتها، واما الإنسان ذو الرؤية الواضحة فلا ينخدع بها، والله العاصم.

وإلى ما تقتضيه هذه الصفات من حالات الدنيا أشار بقوله:

أوّلاً: (حالها انتقال) حيث لا تكون الدنيا باقية لاحد على حالة واحدة، فينتقل من الملك إلى الذل، ومن الغنى الى الفقر، ومن الصحة إلى السقم، وهكذا؛ لأنّ ذلك طبيعة الدنيا وخصوصية لا تفارقها.

ثانياً: (ووطأتها زلزال) والوطاءة: موضع القدم، والزلزال: الشدة والعظمة؛ فإنّ من تطأه الدنيا يعاني ما لا يطاق.

ثالثاً: (وعزّها ذل)؛ فإنّ العزّة ليست صافية بل مشوبة بالذل، فما من ملك متغرطس على الناس إلّا وهو ذليل للمحافظين عليه، ويعيش ذليلا تحت ايديهم خوفا منهم مع كثرة انفاقه عليهم، فهم لا يخدمونه، بل يخدمون ما يحصلون عليه منه، وفي اية لحظة لو فقدوا ذلك تركوه.

رابعاً: (وجدّها هزل)؛ لأنّه لا جدّ في طبيعتها، وهل يتوقع من احد إلّا ما في طبيعته؟

خامساً: (وعلوّها سفل) فما من شخص يتمتع بها إلّا ويندم عليها، فكما يصعد عاليا ينزل سافلا.

سادساً: (دار حرب) يحارب الناس في الدنيا بعضهم البعض في كلّ طبقة من المجتمع

باسلحتهم الخاصة بهم، فالتجار يتحاربون بتنزيل الاعلانات المنوّعة لكسب المشترى وتسويق ما يمتلكون منالبضائع، والعلماء يتحاربون باسلحة الدعايات الكاذبة والتهم الباطلة وسرقة الافكار وغفلة الجهال، وهكذا دواليك، والحرب ـ بالفتح ـ: السلب.

سابعاً: (وسلب) حيث يسلب كلّ الآخر بالوسائل المتيسرة له، قال:

كل من في الوجود يطلب صيدا انما الاختلاف في الشبكات

ثامناً: (ونهب) وهو اخذ الشئ قهرا بظلم وعدوان سافر، ودونها السرقة التي تكون بالخفاء.

تاسعاً: (وعطب) وهو الهلاك.

وهذه الحالات التسع، من حقائق الدنيا التي هي جزء من طبيعتها التي لا تتغير على مرور الزمان، ويكفى التأمّل فيها لعدم الاغترار بها.

(٦ / ط - ١٩١) اهل الدنيا:

أَهْلُهَا عَلَى سَاقٍ[١] وَسِيَاقٍ[٢]، وَلَحَاقٍ[٣] وَفِرَاقٍ، قَدْ تَحَيَّرَتْ مَذَاهِبُهَا، وَأَعْجَزَتْ مَهَارِبُهَا[٤]، وَخَابَتْ مَطَالِبُهَا، فَأَسْلَمَتْهُمُ[٥] الْمَعَاقِلُ، وَلَفَظَتْهُمُ[٦] ٱلْمَنَازِلُ، وَأَعْيَتْهُمُ[٧] ٱلْمحَاوِلُ[٨]؛ فَمِنْ نَاجٍ مَعْقُورٍ[٩]، وَلَحْمٍ مَجْزُورٍ[١٠]، وَشِلْوٍ[١١] مَذْبُوحٍ، وَدَمٍ مَسْفُوحٍ[١٢]، وَعَاضٍّ عَلَى يَدَيْهِ، وَصَافِقٍ[١٣] بِكَفَّيْهِ[١٤]، وَمُرْتَفِقٍ[١٥] بِخَدَّيْهِ، وَزَارٍ[١٦] عَلَى رَأْيِهِ، وَرَاجِعٍ عَنْ

(١) في هـ ب : شدة، ساق من سوق يسوق، وفي هـ. ص: أي شدة.
(٢) في هـ. ص: الى الآخرة.
(٣) في هـ. ص بفتح اللام، أي من الباقي وفراق من السابق.
(٤) في هـ ب : جمع مهرب.
(٥) في ب: فاستسلمتهم.
(٦) في هـ ب : أي نبذتهم.
(٧) هـ ب: أي أعجزتهم.
(٨) في هـ ب المطالب، وفي هـ. ص: أي ما يحاولون ويطلبون، وكأنه يريد طلب الرجعة.
(٩) في هـ ب : أي مجروح.
(١٠) في هـ ب : جزرت الناقة أي تحرثها.
(١١) في هـ ب و ص : هو العضو.
(١٢) في هـ ب : أي مسفوك.
(١٣) في هـ. ص: تأسفاً.
(١٤) في أ و ب و د: لكفيه، في هـ. د بكفيه ـ ص ح ب.
(١٥) في هـ. ص: أي معتمد عليها حزناً وإبلاساً.
(١٦) في هـ. ب و ص: عائب له.

عَزْمِهِ.

وَقَدْ أَدْبَرَتِ الْحِيلَةُ، وَأَقْبَلَتِ ٱلْغِيلَةُ[١]، وَلَاتَ حِينَ مَنَاصٍ![٢] هَيْهَاتَ هَيْهَاتَ! قَدْ[٣] فَاتَ مَا[٤] فَاتَ، وَذَهَبَ مَا ذَهَبَ، وَمَضَتِ ٱلدُّنْيَا لِحَالِ بَالِهَا، ﴿فَمَا بَكَتْ عَلَيْهِمُ ٱلسَّمَاءُ وَالْأَرْضُ وَمَا كَانُوا مُنْظَرِينَ﴾[٥].

وبالاضافة إلى الخصائص التي أشير اليها في طبيعة الدنيا، فان لأهل الدنيا خصائص أشار اليها بقوله:

١ ـ (أهلها على ساق وسياق) الساق: الشدة، والسياق: نزع الروح؛ فإنّ اهل الدنيا كمن هو في حالة الاحتضار ينتزع منه الروح في اضطراب نفسي مستمر، خوفا من زوال ما استحصل عليه من المال والجاه والعنوان، حيث اصبح عبداً لها فهو يعبدها من دون الله.

٢ ـ (ولحاق وفراق) حيث ان اهل الدنيا يلحقون بالاموات الذين تقدموا عليهم ويفارقون المال والأهل والاولاد، وبذلك يفترقون عن المتقين الذين لا خوف عليهم ولاهم يحزنون.

٣ ـ (قد تحيرت مذاهبها)؛ فإنّ لكل انسان في الحياة مسلكا مادياً يختلف عن الاخر وان كانت مجتمعة في القضاء على المنافس لازالته عن طريق النصر المادي بأية وسيلة ممكنة، ولكن بعد النصر يكون الحيرة في المنافع إلى ان يغلب من له حصة الاسد.

٤ ـ (وأعجزت مهاربها)؛ فإنّ اهل الدنيا عاجزون عن تحصيل مهرب يتخلصون به من المشاكل المادية والماديات بمسالكهم المادية؛ اذ لا طريق للخلاص سوى التوجّه إلى التوازن بين الروح والمادة التي شرعها الاسلام واهل الدنيا عازفون عنها.

٥ ـ (وخابت مطالبها)؛ لأنّ الخيبة حتمية لمن يسلك الطرق المادية؛ فإنّ المنافق المادي الاقوى يستولى على حصة الاخرين كحصة الاسد في مجتمع يسوده شريعة

(١) في هـ ب : الهلاك، وفي هـ. ص الاعتيال الهلكة.
(٢) في هـ ب : لا لتوكيد النفي ويزاد فيها التاء فيقال: لات، كما يقال تمت وراعت، وشبهوا لات بليس، وأضمروا اسم الفاعل ولا يقال لات الأمر حين، وقد جاء حذف حين في الشعر وهو: «ولات حين مناص»، والمناص: المهرب.
(٣) في هـ ب : وهيهات قد ـ ب.
(٤) في هـ ب : من.
(٥) الدخان: ٢٩.

الغاب.

٦ ـ (فأسلمتهم المعاقل) حيث يتحصن اهل الدنيا في المعاقل الخاصة المعدة لحصانتهم فقط، فهم كالمسجوبين فيها.

٧ ـ (ولفظتهم المنازل) التي يعيش فيها الناس عادة بأمان؛ فهي تطرحهم كما يلفظ الإنسان نواة التمر؛ لعدم الثقة بهم وبمواعيدهم.

٨ ـ (وأعيتهم المحاول) وهي المطالب التي يسعون اليها بواسطة المحالة أي قوة النظر؛ لان القوة المادية لا تجلب ما يحققه قوة الايمان.

ونتيجة هذه الصفات العامة لاهل الدنيا الحالات التالية:

أولا: (فمن ناج معقور) والعقر: الجرح.

ان ابتلي بالدنيا جرح فاصبح معقوراً؛ فإنّ النجاة لا يزيل آثار الجرح

ثانياً: (ولحم مجزور) ممن اصبح قتيلا للدنيا، كما تقتل السباع ما تصيد وتجعله قطعا.

ثالثاً: (وشلو مذبوح) والسلو: العضو من اعضاء الحيوان حيث قطعت الدنيا من اعضائه كما تقطع اعضاء المذبوح.

رابعاً: (ودم مسفوح) أي المسفوح ظلماً بظلم الدنيا عليه.

خامساً: (وعاض على يديه) ندما على ما صدر منه من متابعة هواه في طلب الدنيا حيث لم يحصل على شئ سوى الندم.

سادساً: (وصافق بكفيه) تعجباً من حالته وتأسفا على مواقفه التي دعت اليها جهالة لاجل الدنيا ومغرياتها.

سابعاً: (ومرتفق بخديه) بأن يحصل خده على مرفقه فيجعلها تارة على يمينه وأخرى على يساره، متأملا من موافقه وآثارها في هموم واحزان.

ثامناً: (وزار على رأيه) بالعتب واللوم لما قدمه من الراي السفيه في حب الدنيا.

سابعاً: (وراجع عن عزمه) الذي سبق منه في السعي للحصول على المادة والماديات، ولكن بعد أن ضيع الفرصة من العمر ما لا يمكن تداركه.

عاشراً: أشار إلى لنتائج الحتمية لهذه الحالات من اهل الدنيا في نقاط:

١ ـ (وقد أدبرت الحيلة)؛ فإنّ الرجوع عن العزم السابق قد حصل في وقف متأخر جدّاً حيث فات الوقت.

و (الحيلة) أي الوسيلة للرجوع (ادبرت) أي ولّت كما ولّى العمر فولت الفرصة فلا يمكن ارجاع ما قد مضى من العمر.

٢ ـ (وأقبلت الغيلة) وهي الشرّ الذي يقتل الإنسان بالاغتيال أي الخديعة؛ نتيجة لما سبق من اهمال المسؤوليّة والتقوى والاغترار بالدنيا.

٣ ـ(ولات حين مناص) والمناص: المهرب ،اقتباس من قوله تعالى في سورة ص، الاية الثالثة، أي ليس حينئذٍ من خلاص.

٤ ـ (وهيهات هيهات) اسم فعل بمعنى بَعُدَ؛ فإنّ الرجوع بعيد عن الواقع.

واشار إلى السبب في ذلك بقوله:

٥ ـ (قد فات ما فات) من العمر والفرصة للعمر من التقصير في المسؤوليات.

٦ ـ (وذهب ما ذهب) من المواقف التي اتخذها من قبل وبقيت آثارها.

٧ ـ (ومضت الدنيا لحال بالها) فقد ذهبت الدنيا لحال ما هي عليها من الطبيعة، وهي الاغترار بالمادّة والماديات، فوقع لها فريسة هذا المتمني للرجوع، وليس له الآن إلّا آثار ما عمله، والتي هي الخسران في الدنيا بسبب تقصيره.

وختم المقطع بقوله تعالى: ﴿فما بكت عليهم السماء والأرض وما كانوا منظرين﴾.(١)

فانه لا يمكن جرّ عجلة الحياة إلى الوراء، بالتاكيد على ثلاث نتائج حتمية، هي:

أوّلاً: ان اهل السماء لا يتألمون على من اهمل مسؤولياته في الدنيا، فلا يتوقع رحمة السماء.

ثانياً: ان اهل الارض لا يبكون على من انخدع بالدعايات الماديّة والماديات؛ لأنّه اختار مغريات الدنيا على حقائق التقوى الامرة بالنظر إلى عواقب الامور للاخرة.

ثالثاً: ان الوقت قد مضى، فلا ينفع التمني برجوع الوقت الى الوراء، ولا يمكن ايقاف عجلة الزمن إلى الوراء.

[١٩٢]

ومن خطبة له عليه السلام:

ومن الناس مَنْ يسمّى هذه الخطبة بالقاصِعة، وهي تتضمن ذمَّ إبليس لعنه

---

(١) الدخان: ٢٩ .

الله[1]، على استكباره وتركه السجود لآدم ﷺ وأنه أول من أظهر العصبية وتبع الحمية. وتحذيرَ الناس من سلوك طريقته[2]:

(١ / ط - ١٩٢) الخطبة القاصعة:

وهي تتضمن ذم ابليس لعنه الله على استكباره وتركه السجود لآدم ﷺ، وانه اول من اظهر العصبية وتبع الحمية، وتحذير الناس من سلوك طريقته.

وتتضمن فصولاً ستةً في: امتحان الله، وخطط ابليس، ودور الانبياء، وسعار الاسلام، والعبرة بالتاريخ، وخصائص الإمام.

قال ابن أبي الحديد (ت / ٦٥٦ هـ) في شرح نهج البلاغة، ما نصّه:« يجوز أن تسمى هذه الخطبة) القاصعة (من قولهم قصعت الناقة بجرتها ، وهو أن تردها إلى جـوفها ، أو تخرجها من جوفها فتملأ فاها ، فلما كانت الزواجر والمواعظ في هذه الخطبة مرددة من أولها إلى آخرها ، شبهها بالناقة التي تقصع الجرة . ويجوز أن تسمى القاصعة لأنها كالقاتلة لإبليس واتباعه من أهل العصبية ، من قولهم قصعت القملة ، إذا هشمتها وقتلتها . ويجوز أن تسمى القاصعة لان المستمع لها المعتبر بها يذهب كبره ونخوته فيكون من قولهم قصع الماء عطشه ، أي أذهبه وسكنه ، قال ذو الرمة بيتا في هذا المعنى : فانصاعت الحقب لم تقصع صرائرها وقد تشح فلا ري ولا هيم».[3]

وحيث ان هذه الخطبة طويلة قسمتها إلى اقسام عشرة كاملة حسب مواقعها:

(٢ / ط - ١٩٢) حمد الله:

استفتح الخطبة بحمد الله معقبا ببعض صفات الذات المقدسة، فقال:

اَلْحَمْدُ لِلّٰهِ الَّذِى لَبِسَ اَلْعِزَّ وَاَلْكِبْرِيَاءَ؛ وَاَخْتَارَهُمَا لِنَفْسِهِ دُونَ خَلْقِهِ، وَجَعَلَهُمَا حِمًى[4] وَحَرَماً عَلَى غَيْرِهِ، وَاَصْطَفَاهُمَا[5] لِجَلاَلِهِ، ١ ـ(الحمد لله الذي لبس العز والكبرياء) والعز:

(١) لم ترد «لعنه الله» في ب و ص.

(٢) في أ بدل ما بين القوسين: تسمى القاصعة، وهي طويلة وفيها ذم ابليس والعصبية، وفي هـ ب: تسمى هذه الخطبة قاصعة؛ لأنها تقصع ابليس، أي تكسر ظهره، وفيها :ان أمير المؤمنين كان علىٰ ناقة تقصع بجرّتها، أي تخرج من جوفها الجرّة.

(٣) شرح نهج البلاغة؛ ابن أبي الحديد ١٣ : ١٢٨.

(٤) في هـ. ب: ما مفاده: الحمى: المحل الذي يمنع الاغبار من الاستفادة منه.

(٥) في آ: واصطفاها.

القدرة التي لا تقهر، والكبرياء: السلطان الذي لا يقهر، حيث ان صفات الذات المقدسة عين الذات، فانهما لاينفكان عنه تعالى، واستعار لذلك اللبس، الذي يحوي البـدن ولا ينفك عنه ما دام لابسا، وصفات الذات لاتنفك عنها ذاتاً.

٢ ـ (واختارهما لنفسه دون خلقه) حيث لا عزّ فوق عزّه، ولا كبرياء فوق كبريائه، وكل خلقه مقهور لهما.

٣ ـ(وجعلهما حمى وحرما على غيره) الحمى: ما يـمنع عـن الوصـول إلى الشـئ، والحرم: ما يدافع عنه لحرمته، وهذا لا يصدق إلّا على صفات الذات المقدسة دون غيره.

٤ ـ (واصطفاهما لجلاله) والاصطفاء: الاختيار؛ فإنّ العز والكبرياء لا يليق إلّا بـعز الذات المقدسة، وهذه الصفات توجب الحمد لله الذي ليس كمثله شئ في العز والكبرياء.

(٣ / ط - ١٩٢) القسم الأوّل ـ امتحان الله سبحانه:

وَجَعَلَ اَللَّعْنَةَ عَلَى مَنْ نَازَعَهُ فِيهِمَا مِنْ عِبَادِهِ.

ثُمَّ اخْتَبَرَ بِذَلِكَ مَلاَئِكَتَهُ المُقَرَّبِينَ؛ لِيَميزَ اَلْمُتَوَاضِعِينَ مِنْهُمْ مِنَ اَلْـمُسْتَكْبِرِين، فَـقَالَ سُبْحَانَهُ، وَهُوَ اَلْعَالِمُ بِمُضْمَرَاتِ اَلْقُلُوبِ وَمَحْجُوبَاتِ اَلْغُيُوبِ:﴿إِنِّى خَالِقٌ بَشَراً مِنْ طِينٍ ۞ فَإِذَا سَوَّيْتُهُ وَنَفَخْتُ فِيهِ مِنْ رُوحِى فَقَعُوا لَهُ سَاجِدِينَ ۞ فَسَجَدَ اَلْمَلاَئِكَةُ كُلُّهُمْ أَجْمَعُونَ ۞ إِلَّا إِبْلِيسَ﴾[1]؛ اَعْتَرَضَتْهُ اَلْحَمِيَّةُ، فَافْتَخَرَ عَلَى آدَمَ بِخَلْقِهِ، وَتَعَصَّبَ عَلَيْهِ لِأَصْلِهِ، فَعَدُوُّ اَللهِ إِمَامُ[2] اَلْمُتَعَصِّبِينَ، وَسَلَفُ اَلْمُسْتَكْبِرِينَ؛ اَلَّذِى وَضَعَ أَسَاسَ اَلْعَصَبِيَّةَ، وَنَـازَعَ اَللهَ رِدَاءَ اَلْجَبَرِيَّةِ، وَاَدَّرَعَ[3] لِبَاسَ اَلتَّعَزُّزِ، وَخَلَعَ قِنَاعَ اَلتَّذَلُّلِ.

أَلَا تَرَوْنَ كَيْفَ صَغَّرَهُ اَللهُ بِتَكَبُّرِهِ، وَوَضَعَهُ بِتَرَفُّعِهِ[4]؛ فَجَعَلَهُ فِى اَلدُّنْيَا مَدْحُوراً[5]، وَأَعَدَّ لَهُ فِى اَلْآخِرَةِ سَعِيراً!

لكل مخلوقات الله سبحانه امتحان، وكـان مـن نـصيب المـلائكة امـتحانهم بـالعز والكبرياء، فمن نجح في هذا الامتحان من الملائكة بقي في المقربين إلى الله، ومن فشل

(١) ص: ٧١ ـ ٧٤.

(٢) في هـ. ب في نسخة: فعُدّ والله امام.

(٣) في هـ. ب: جعله الدرع.

(٤) في ص كتب على «بترفعه» نسخة، وفي ط: ووضـعه الله بـترفعه، وفـي هـ. د: ووضـعه الله بترفعه ـ ب ض.

(٥) في هـ. ص: أي مطروداً مبعداً.

كان نصيبه اللعنة والطرد من رحمة الله، وقد سرد هذا الامتحان واسبابه وآثاره في هذا المقطع فقال:

١ ـ (وجعل اللعنة على من نازعه فيهما من عباده) من المـخلوقات عـامة بشـراً أو ملائكة، فالعز والكبرياء لله وحده فمن ادعاهما لعنه الله وطرده من رحمته، ومن جعلهما لله تعالى وحده كان من المقربين اليه.

٢ ـ (ثم اختبر بذلك ملائكته المقربين) فانهم ممتحنون كغيرهم من خلق الله اجمعين.

٣ ـ(ليميز المتواضعين منهم من المستكبرين)؛ فـإنّ الهـدف مـن الامـتحان اظـهار حقيقتهم لانفسهم، والمستكبر ينازع الله سبحانه في الكبرياء والسلطان.

وعن مادة الامتحان أشار إلى النص القراني الآتي.

٤ ـ (فقال سبحانه وهو العالم بمضمرات القلوب ، ومحجوبات الغيوب) امراً للملائكة بمادة الامتحان التي نظهر حققهم لانفسهم فإنّه يعلم ما يكون النتيجه؛ لأنّه العلم عى ذاته ويعلم الغيب وما يعفى الصدورالقلوب النص النص القرانى وهو قوله تعالى:

٥ ـ ﴿ إِنِّي خَالِقٌ بَشَراً مِّن صَلْصَالٍ مِّنْ حَمَإٍ مَّسْنُونٍ فَإِذَا سَوَّيْتُهُ وَنَفَخْتُ فِيهِ مِن رُّوحِي فَقَعُوا لَهُ سَاجِدِينَ فَسَجَدَ ٱلْمَلائِكَةُ كُلُّهُمْ أَجْمَعُونَ إِلَّآ إِبْلِيسَ ﴾[1]

(راجع تفسير اوضح البيان والمادّة في العم).

وإلى نتيجة هذا الامتحان أشار بقوله:

٦ ـ (اعترضته الحميّة) وهي الترفّع عن الشئ الذي امر به، وأدّى هذا الاعتراض إلى ان افتخر على آدم بخلقه.

٧ ـ (فافتخر على آدم بخلقه) والفخر على آدم تكبّر عليه، وفي هذا الفخر مـنازعة لصفة من صفات الذات المقدسة وهي الكبرياء.

والى السبب في هذا الفخر أشار بقوله:

٨ ـ (وتعصب عليه لأصله) حيث انهما من اصلين، فآدم اصله طين وابليس اصله نار، والفرق بين الطين والنار كالفرق بين ظلمة الليل وضياء النهار، وهذه وان كانت حقيقة في الفرق بين الخلقين ولكن التعصب لهذه الحقيقة د ات إلى الفخر الملازم للكبر، الذي هـو

(١) الحجر : ٢٩ ـ ٣١.

مستلزم لمنازعة الله فيما اختص به من الكبرياء.

وإلى حقيقة هذا الموقف النابع من التعصب والداعي إلى الكبر والرفض للطاعة، أشار بقوله:

أوّلاً: (فعدو الله إمامُ المتعصبين) حيث انّه كان اول من تعصب لاصله.

ثانياً: (وسلف المستكبرين) حيث انّه لم يسبقه احد من الخلق في الاستكبار.

ثالثاً: (الذي وضع أساس العصبية)؛ فإنّ العصبيّات العنصريّة العرفية والقوميّة وغيرها جميعا تجمعها العصبية التي رفع شعارها ابليس، ووضع اساسها وسار عليها اتباعه.

واشار إلى ثلاثة آثار ملازمة للعصبية، هي:

١ ـ (ونازع الله رداء الجبرية) والجبرية نفي الجبروت، وهو من مرادفـات الكـبرياء الذي هو مختص بالذات المقدسة، فادعاها لنفسه حقيقة، وهـذا الامـر الاوّل مـننتائج العصبية اعاذنا الله منها.

٢ ـ (وادرع لباس التعزز) والعزّ حقيقة من صفات الذات المقدسة وحده، وادعـاها كالدرع الذي يلبس لنفسه حقيقة، وهذا هو الامر الثاني للعصبيّة اعاذنا الله منها.

٣ ـ(وخلع قناع التذلل) لطاعة الاوامر الالهية، حيث تكبر على من امر الله سـبحانه السجود له، فكان كمن خلع القناع المعد للطاعة. وهذا هو الامر الثالث للعصبية اعاذنا الله منها.

والى نتيجة الامتحان الالهي بالنسبة الى موقف ابليس أشار بقوله:

أوّلاً: (ألا ترون كيف صغّره الله بتكبّره)؛ فإنّ الله لعنه وطرده من رحمته بسبب التكبر.

ثانياً: (ووضعه بترفعه) حيث ظن الترفع عن الطاعة عزاً، فـوضعه الله عـن مـوضعه الاعلى مع الملائكة.

ثالثاً: (فجعله في الدنيا مدحورا) والدحر: الطرد والبعد والاقصاء عن رحمة الله تعالى التي وسعت كلّ شئ.

رابعاً: (وأعد له في الآخرة سعيرا) جزاءً عادلاً للعصيان النابع من الكبرياء، فـظهرت حقيقة ابليس لنفسه ولغيره بهذ الامر الامتحاني من الله سبحانه.

(٤/ط ـ ١٩٢) برهان الامتحان:

وَلَوْ أَرَادَ ٱللهُ سبحانه[١] أَنْ يَخْلُقَ آدَمَ مِنْ نُورٍ يَخْطَفُ ٱلْأَبْصَارَ ضِيَاؤُهُ، وَيَبْهَرُ ٱلْعُقُولَ رُوَاؤُهُ[٢]، وَطِيبٍ يَأْخُذُ ٱلْأَنْفَاسَ عَرْفُه[٣]، لَفَعَلَ؛ وَلَوْ فَعَلَ لَظَلَّتْ لَهُ ٱلْأَعْنَاقُ[٤] خَاضِعَةً، وَلَخَفَّتِ ٱلْبَلْوَى[٥] فِيهِ عَلَى المَلاَئِكَةِ، وَلَكِنَّ ٱللهَ سُبْحَانَهُ يَبْتَلِى[٦] خَلْقَهُ بِبَعْضِ مَا يَجْهَلُونَ أَصْلَهُ تَمْيِيزاً بِالاخْتِبَارِ لَهُمْ، وَنَفْياً لِلاسْتِكْبَارِ عَنْهُمْ، وَإِبْعَاداً لِلْخُيَلاَءِ[٧] مِنْهُمْ.

وأشار في هذا المقطع إلى دليل يبرهن على ان خلق آدم وامر الله سبحانه بالسجود له كان امتحانا واختبارا، فقال:

١ ـ (ولو أراد الله أن يخلق آدم من نور) لفعل، وما كان ابليس يمتنع من الطاعة بسبب التكبر، حيث لا يكون حينئذ سبب للتكبر، ولكن الله لم يخلق آدم على هذا البديل امتحاناً، وقد وصف خلق آدم البديل بأوصاف أعلى من أوصاف الملائكة في الخلق بقوله:

أوّلاً: (يخطف الأبصار ضياؤه) لشدة لمعان هذا النور على النقيض من الطين المظلم.

ثانياً: (ويبهر العقول رواؤه) والرواء: حسن المنظر في الغاية، الموجبة لانبهار العقول.

ثالثاً: (وطيب يأخذ الأنفاس عرفه) العرف: الرائحة المستولية على نفوس الملائكة؛ فإنّ هذه الصفات في آدم البديل تناقض صفات آدم المخلوق من الطين الذي لا ضياء له ولا رواء.

٢ ـ (ولو فعل) الله سبحانه خلق آدم البديل بالاوصاف المذكورة (لظلت له الأعناق خاضعة) بما فيها عنق ابليس (ولخفت البلوى فيه على الملائكة) حيث لم يؤمروا بالامتحان.

وأشار إلى حكمة رفض آدم البديل بقوله:

٣ ـ (ولكن الله سبحانه يبتلي خلقه ببعض ما يجهلون أصله) من الحكمة التي هو اعرف

---

(١) لم ترد لفظة الجلالة في آود، ولم ترد «سبحانه» في ط و في هـ. د: ولو أراد الله أن يخلق ـ ص ح ب ل.
(٢) في آ: رواه، وفي هـ. ب، وفي نسخة: ارتواه أحسن منظره وفي هـ. ص: هو المنظر الحسن.
(٣) في هـ. ب: أي رائحته.
(٤) في هـ. د: لظلت الأعناق له ـ م ن ف.
(٥) في هـ. ب: أي المحن.
(٦) في ط: ابتلئ، وفي هـ. د: ابتلى ض ح ب.
(٧) في هـ. ص بضم الخاء، وجاء بكسرها: الكبر، وكذلك الخال والمخيلة.

بها، وقد أشار الإمام إلى ثلاث منها بقوله:

أوّلاً: (تمييزا بالاختبار لهم) فيتميز المطيع من غيره وتظهر حقيقة الممتحن لنفسه، بل وحتّى لغيره، ولا يمكن ذلك بالامتحان والاختبار.

ثانياً: (ونفيا للاستكبار عنهم) حيث ان غير الممتحن سوف يرى نتيجة الامتحان فيمتنع عما وقع فيه هذا الممتحن.

ثالثاً: (وإبعادا للخيلاء منهم)؛ فإنّ نفي الاستكبار عن غير الممتحن يكون سببا لابتعادهم من الخيلاء، وهو الكبر.

فان عدم خلق آدم البديل بالاوصاف المذكورة دليل على ان الهدف من خلق آدم من طين كان الامتحان والاختبار؛ للحكمة المذكورة.

(٥ / ط ـ ١٩٢) العبرة بالامتحان:

وأشار عليه السلام إلى مسؤولية العبرة في امتحان الملائكة وسقوط ابليس بقوله:

فَاعْتَبِرُوا بِمَا كَانَ مِنْ فِعْلِ ٱللهِ بِإِبْلِيسَ إِذْ أَحْبَطَ[١] عَمَلَهُ الطَّوِيلَ، وَجَهْدَهُ ٱلْجَهِيدَ، وَكَانَ قَدْ[٢] عَبَدَ ٱللهَ[٣] سِتَّةَ آلاَفِ[٤] سَنَةٍ، لَا يُدْرَى أَمِنْ سِنِّى ٱلدُّنْيَا أَمْ مِنْ[٥] سِنِّى ٱلآخِرَةِ، عَنْ[٦] كِبْرِ سَاعَةٍ وَاحِدَةٍ، فَمَنْ[٧] بَعْدَ إِبْلِيسَ يَسْلَمُ عَلَى ٱللهِ بِمِثْلِ مَعْصِيَتِهِ!

كَلاَّ مَا كَانَ ٱللهُ سُبْحَانَهُ لِيُدْخِلَ ٱلْجَنَّةَ بَشَراً بِأَمْرٍ أَخْرَجَ بِهِ مِنْهَا مَلَكاً، إِنَّ حُكْمَهُ فِى أَهْلِ السَّمَاءِ وَأَهْلَ[٨] ٱلْأَرْضِ لَوَاحِدٌ، وَمَا بَيْنَ ٱللهِ وَبَيْنَ أَحَدٍ مِنْ خَلْقِهِ هَوَادَةٌ[٩] فِى إِبَاحَةِ حِمًى[١٠] حَرَّمَهُ ٱللهُ[١١] عَلَى ٱلْعَالَمِينَ.

---

(١) في هـ. ص: أي أبطل، وربما يستدل به على ان المعصية تكبر لوقوعها على وجه مخصوص، وربما يستدل به على ان الاحباط ليس باعتبار الموازنة.
(٢) في د: وقد كان، وفي هـ. د: وكان قد ـ ض ح ب ل ش.
(٣) في آ: وقد كان عبد.
(٤) في ب: الف.
(٥) لم ترد «من» في ب و د، وفي هـ. د: ام موسى ـ ص ح.
(٦) في ب و ط: عن، وفي هـ. ب، وفي نسخة: علىٰ.
(٧) في ط فمن ذا، وفي هـ. د: فمن ذا ـ ض ح ب.
(٨) لم ترد «أهل» في ط.
(٩) في هـ. ب: أي صلح، وفي هـ. ص: هي الموادعة والمصالحة.
(١٠) في هـ. ب: ما يمنع الله منه ورسوله.
(١١) لم ترد لفظة الجلالة في ب و د.

(فاعتبروا بما كان من فعل الله بإبليس)؛ فإنّ في جزاء الله سبحانه لموقف ابليس عبرة للبشر كما كان للملائكة وذلك:

١ ـ (إذ أحبط عمله الطويل) بأن جعله باطلاً بالرغم من طول العمل، وهو عبادة الله تعالى.

٢ ـ (وجهده الجهيد) الملازم لطول المدة في الاستمرار بالعمل. وحدد طـول المـدة بقوله:

٣ ـ (وكان قد عبد الله ستة آلاف سنة).

قال الشارح ابن أبي الحديد (ت / ٦٥٦ هـ)، ما نصّه: «و هذا يدل على انّه قد سمع فيه نصا من رسول الله ﷺ مجملا، لم يفسره له أو فسره له خاصة ولم يفسره امير المؤمنين عليه السلام للناس؛ لما يعلمه في كتمانه عنهم من المصلحة».[١]

وعن نوعية السنين قال:

٤ ـ (لا يدرى أمن سنيّ الدنيا أم سنيّ الآخرة) وهذا يكشف عن ان التحديد المذكور ليس كناية عن طول المدة.

وعن سبب الاحباط للاعمال قال:

٥ ـ (عن كبر ساعة واحدة) والساعة لغة: جزء من الوقت، أو الوقت الحاضر، ويتحقق بلحظة واحدة، فان موقف ابليس في لحظة واحدة بالكبرياء احبط جميع اعماله السابقة بالرغم من طول مدتها وجهده فيها.

وإلى العبرة من هذا الامتحان للبشر أشار بقوله:

أوّلاً: (فمن ذا بعد إبليس يسلم على الله بمثل معصيته) وهو استفهام انكاري، حيث ان البشر ليس أعظم من الملائكة ولا اقرب إلى الله، فاذا احبط الكبر عمل ابليس وطرده من الملائكة فيكون الحال في البشر اشد.

ثانياً: (كلا ، ما كان الله سبحانه ليدخل الجنة بشرا بأمر أخرج به مـنها مـلكا) ان الله سبحانه عادل في الحكم، فلا يمكن ان يكون السبب في الاحباط ايضا سبب في القبول؛ فإنّ الكبر كان سببا لاحباط اعمال ابليس، والعدالة تستلزم ان يكون ايضا سببا لاحباط

(١) شرح النهج ١٣ : ١٣٣، ط /١٩٢٦.

اعمال البشر .

ثالثاً: أشار إلى الكون بقوله:

(إن حكمه في أهل السماء وأهل الأرض لواحد) فما يحرم على الملائكة يحرم على البشر ايضا كما يقتضيه العدالة الالهية في الحكم.

ثم أشار إلى وحدة الحكم بقوله:

رابعاً: (وما بين الله وبين أحد من خلقه هوادة في إباحة حمى حرمه على العالمين) والهوادة: الرخصة من الله سبحانه، أي الحكم بما فيه المصلحة، وهي توجب الالزام اينما وجدت.

ونتيجة هذه العبرة: لزوم اخلاص العمل لله والقيام بالمسؤولية الاسلامية كما فرض الله والتجنب عما حرمه الله، فان فيها ما تحبط الاعمال كالعزة والكبرياء اعاذنا الله منهما.

(٦ / ط ـ ١٩٢) القسم الثاني ـ الحذر من العدوى:

والفصل الثاني: تتضمن اشارة إلى خطط ابليس وجنوده، واعلانه الحرب على البشر واشار وأشار إلى الاهداف الرئيسية لابليس بقوله:

فَاحْذَرُوا عِبَادَ ٱللهِ[١] عَدُوَّ ٱللهِ[٢] أَنْ يُعْدِيَكُمْ[٣] بِدَائِـهِ[٤]، وَأَنْ يَسْـتَفِزَّكُـمْ[٥] بِـخَيْلِهِ وَرَجْلِهِ[٦].

١ ـ (فاحذروا عباد الله عدو الله) وهو ابليس؛ فإنّ دواعي الحذر اهدافه ثلاث ، وهن:

الاولى: (ان يعديكم بدائه)؛ فإنّ ابليس قد ابتلى بداء الكبرياء حتى طرد من رحمة الله، فهو يهدف ان يعدي هذا الداء للبشر؛ لئلا يكون وحيدا.

الثانية: (وأن يستفزكم بندائه) والاستفزاز: الازعاج بالنداء إلى ما يوجب ذلك، حتى يستسلم البشر إلى خططه المادية.

(١) لم ترد «عباد الله» في ب و في هـ. د لم ترد «عباد الله» في م ل ش.
(٢) لم ترد «عدو الله» في آ.
(٣) في هـ. ب: أي يصيبكم، وفي هـ. ص: يعديكم من العدوىٰ وهي انتقال الداء من مـحل الى محل، شبه عليه السلام به تعلمهم منه الكبر والفساد.
(٤) العبارة في د و ط: وان يستفزكم بندائه وان يجلب عليكم بخيله ورجله، وفي هـ. د: «بندائه وان يجلب عليكم» ساقطة من م ن ف ل ش.
(٥) في هـ. ب و ص: أي يستخفكم.
(٦) في هـ. ص: أي أعوانه.

الثالثة: (وأن يجلب عليكم بخيله ورجله)؛ فإنّ جيش ابليس يتكون ممّا تتكون منه الجيوش، واهم ما فيها تركيبها من الخيالة الذين يسخدمون الخيل، والرجالة وهم المشاة على الاقدام، ويدعون بالرجالة.

فان هذه الخطط الثلاث من العدوى والاستفزاز بالجيش، هي الخطط الذي يستعملها كلّ عدو في ساحة الحرب وان اختلفت انواعها واسماؤها.

والعدوى في عصرنا لنما هو بتشجيع الثقافة المادية في المجتمع الاسلامي والاستفزاز: التشكيك والتمييع للمفاهيم الاسلامية، والجيش: الوسائل المستخدمة في ابادة رموز الدعوة الاسلامية.

(٧ / ط ـ ١٩٢) اعلان الحرب:

وأشار في هذا المقطع إلى اعلان ابليس الحرب على المبادئ الروحية بقوله:

فَلَعَمْرِي لَقَدْ فَوَّقَ(١) لَكُمْ سَهْمَ ٱلْوَعِيدِ، وَأَغْرَقَ(٢) لَكُمْ(٣) بِالنَّزْعِ(٤) الشَّدِيدِ، وَرَمَاكُمْ مِنْ مَكَانٍ قَرِيبٍ(٥)، وَقَالَ(٦): ﴿رَبِّ بِمَا أَغْوَيْتَنِي لَأُزَيِّنَنَّ لَهُمْ فِي ٱلْأَرْضِ وَلَأُغْوِيَنَّهُمْ أَجْمَعِينَ﴾(٧)، قَذْفاً بِغَيْبٍ بَعِيدٍ، وَرَجْماً بِظَنٍّ غَيْرِ مُصِيبٍ(٨).

١ ـ (فلعمري لقد فوق لكم سهم الوعيد) وذلك استعداداً للحرب، فقد جعل السهام فوق في الوتر لرميها على الناس، والفوق: هو الموضع الذي يوضع فيه السهم.

٢ ـ (وأغرق لكم بالنزع الشديد) النزع: مد القوس، والاغراق: مدّ القوس إلى الغاية حيث لا يكون بعده إلّا الرمي.

٣ ـ(ورماكم من مكان قريب) اعلانا بالحرب كما هو المطلوب في الرمي بالقرب إلى محل الهدف.

---

(١) في هـ. ص: فوق السهم وضع فوقه، وهو السق في أسفله في الوتر.
(٢) في هـ. ص: استوفى مدّ القوس وبالغ في جذبه.
(٣) في ط: اليكم.
(٤) في هـ. ب: من النزع للسهم عن القوس.
(٥) في هـ. أ: في غير هذا الكتاب ورماكم بالتهديد من مكان بعيد.
(٦) في ط: فقال.
(٧) الحجر: ٣٩.
(٨) في ب: بظن مصيب وفي هـ. ب، وفي نسخة: بظن غير مصيب، وفي هـ. د: ورجماً بالغيب ـ ب ل ش.

واشار الى كيفيّة اعلان الحرب من جانب ابليس بقوله:

٤ ـ(وقال: ﴿رب بما أغويتني لأزينن لهم في الأرض ولأغوينهم أجمعين﴾(١)).

فان هذا اعلان صريح من جانب ابليس وحرب ضد الناس اجمعين.

وقيد الإمام بأن هذا الهدف لابليس لا يتحقق للناس اجمعين من دون استثناء بسببين هما:

٥ ـ (قذفا بغيب بعيد) فما يدعيه ابليس ليس إلّا امرا غائبا بعيداً؛ فإنّ من الناس من يعرف خطط ابليس ويقاومها.

٦ ـ (ورجما بظن غير مصيب)؛ فإنّ ظن ابليس لا يصيب إلّا فيمن ليس له رؤية واضحة، في المبدأ والوسيلة والهدف.

(٨ / ط ـ ١٩٢) جنود ابليس:

ويتضمن هذا المقطع وصف جنود ابليس واتباعه في كلّ عصر ومصر وانهم من طبقات، أشار اليها بقوله:

صَدَّقَهُ(٢) بِهِ أَبْنَاءُ ٱلْحَمِيَّةِ، وَإِخْوَانُ ٱلْعَصَبِيَّةِ، وَفُرْسَانُ ٱلْكِبْرِ وَٱلْجَاهِلِيَّةِ، حَتَّى إِذَا ٱنْقَادَتْ لَهُ ٱلْجَامِحَةُ(٣) مِنْكُمْ، وَٱسْتَحْكَمَتِ الطَّمَاعِيَةُ(٤) مِنْهُ فِيكُمْ، فَنَجَمَتِ(٥) ٱلْحَالُ مِنَ السِّرِّ ٱلْخَفِيِّ إِلَى ٱلْأَمْرِ ٱلْجَلِيِّ، ٱسْتَفْحَلَ(٦) سُلْطَانُهُ عَلَيْكُمْ، وَدَلَفَ(٧) بِجُنُودِهِ نَحْوَكُمْ، فَأَقْحَمُوكُمْ(٨) وَلَجَاتِ(٩) الذُّلِّ، وَأَحَلُّوكُمْ وَرَطَاتِ(١٠) ٱلْقَتْلِ، وَأَوْطَأُوكُمْ(١١) إِثْخَانَ(١٢)

---

(١) الحجر: ٢٩.
(٢) في هـ. د: صدقه امناء الحمية ـ ف و ن.
(٣) في هـ. ب، وفي نسخة: الجماحة من الجموح، وفي هـ. ص: إما جمع جامح، أو مفرد صفة للنفس.
(٤) في هـ. ب: الطماعية والطماعة بمعنىٰ واحد كالكراهية والكراهة، وفي هـ. ص: مصدر طمع.
(٥) هـ. ب: أي طلع.
(٦) في هـ ب: أي استعظم.
(٧) في هـ. ب: أي ذهب، وفي هـ. ص: تقدم.
(٨) في هـ. ب: من الاقحام وهو الادخال في هـ. ص: أي أدخلوكم.
(٩) في آ: ولجاب، وفي هـ. آ: الولج: الطريق في الرمل. وفي هـ. ب: ولجات جمع ولجة، وفي هـ. ص وهي نحو الغار والكهف.
(١٠) في هـ. ب: جمع ورطة وهي المهلكة.
(١١) في هـ. ب: أوردوكم في هـ. ص: أي جعلوكم واطئين.
(١٢) في هـ. ب: أي كثرة القتل، والمبالغة في القتل، وفي هـ. ص: الاثخان مصدر اثخن في القتل

ٱلْجِرَاحةِ، طَعْناً فِى عُيُونِكُمْ، وَحَزًّا[١] فِى حُلُوقِكُمْ، وَدَقًّا لِمَنَاخِرِكُمْ، وَقَصْداً لِمقَاتِلِكُمْ، وَسَوْقاً بِخَزَائِمِ[٢] ٱلْقَهْرِ، إِلَى النَّارِ المُعَدَّةِ لَكُمْ. فَأَصْبحَ[٣] أَعْظَمَ فِى دِينِكُمْ جُرْحاً[٤]، وَأَوْرَى[٥] فى دُنْياكُمْ قَدْحاً، مِنَ الّذِينَ أَصْبَحْتُمْ لَهُمْ مُنَاصِبِينَ، وَعَلَيْهِمْ مُتَأَلِّبِينَ[٦].

١ ـ (صدقه به أبناء الحمية) وهي الكبر، فانما يتبع ابليس بالقول الذي قال، ويصدقه ابناء الكبر فقط الذين يشتركون معه في هذه الصفة دون غيرهم من اصحاب المبادي الذين ليس لهم كبرياء.

٢ ـ (وإخوان العصبية) الذين يتخذون التعصب للعرق والجنس والنوع اساساً للاخوة مع الاخرين، ويرفضون الرضوخ للمسؤولية الانسانية.

٢ ـ (وفرسان الكبر) ممّن له قدم سابق في الكبر؛ فإنّه يجد مصالح مشتركة مع ابليس في مساندة كلما يدعوا الى الكبر وابليس في مقدمتهم.

٤ ـ (والجاهلية)؛ فإنّ اصحاب الجاهلية تجتمع فيهم هذه الصفات التي توجد في ابليس، وهؤلاء يشكلون طبقة قيادية في معسكر ابليس.

مراحل الحرب:

واشار إلى مرحلتين من مراحل حرب ابليس على الناس:

المرحلة الاولى: مرحلة السير الخفي؛ حيث يدرب اتباعه على استخدام الوسائل السرية للتغلغل في افراد المجتمع الاسلامي، وقد أشار إلى ذلك بقوله:

١ ـ (حتى إذا انقادت له الجامحة منكم) والجموح: الخروج عن الطاعة من عامة الناس.

٢ ـ (واستحكمت الطماعية منه فيكم) والطماعية: الطمع من ابليس في استخدام

أي أكثر منه وبالغ حتى كشف شأنه وصار كالشيء الثخين، ومعنى إيطاء الشيطان بني آدم ذلك: القاؤهم فيه، من الشرح.

(١) في هـ. ب: أي قطعاً.

(٢) في هـ. ب: جمع خزام وهو الزمام، وفي هـ. ص: جمع خزامة وهي ما يجعل في أنف البعير يقاد به.

(٣) في ط: فأصبحتم.

(٤) في ط: حَرَجاً.

(٥) في هـ. ص: أي اكثر ايراءً، والإيراء: إخراج النار من الزند.

(٦) في هـ. ب و ص: أي مجتمعين.

العامة.

٣ ـ (فنجمت الحال من السر الخفي إلى الأمر الجلي) أي ظهرت النوايا معلنة.

المرحلة الثانية: مرحلة الامر الجلي باعلان الحرب على الناس.

وأشار إلى ذلك بقوله:

٤ ـ (استفحل سلطانه عليكم) بأن أخذ يعامل الناس من موقع القوّة والسلطة.

٥ ـ (ودلف بجنوده نحوكم) والدلف: التقدم بهم نحو الناس.

وهاتان المرحلتان هما من المراحل الصبعة لأيّة حرب؛ فإنّ مرحلة السرية تستهدف الحرب النفسية، ومرحلة العلن يظهر النوايا باعلان الحرب.

تفصيل الخطط:

وعن الاهداف الرئيسية لابليس في حربه على الناس قال:

١ ـ (فأقحموكم ولجات الذل) والاقحام: الدخول بغتة، والوليجة: المكان الذي ما يستتر فيه؛ فإنّ ابليس يباغت في اذلال الناس.

٢ ـ (وأحلوكم ورطات القتل) الاحلال: الحلول في ورطة الهلاك.

٣ ـ (وأوطأوكم إثخان الجراحة) أي جعلوكم واطنين في الجراحة الثخينة التي لا تتحمل.

٤ ـ (طعنا في عيونكم) باحداث العمى حتى لا يرى الإنسان طريقه في الحياة.

٥ ـ (وحزا في حلوقكم) والحز: القطع، بقطع الرقاب من الخلق.

٦ ـ (ودقا لمناخركم) بإرغام الأنف إذلالاً.

٧ ـ (وقصد لمقاتلكم) متعمدين في قتلكم حتّى تطرحوا في المفاوز.

٨ ـ (وسوقا بخزائم القهر إلى النار المعدة لكم) والخزامة: حلقة توضع في انف البعير للتحكم في سيره، وهي كناية عن التعذيب بالنار المعدة للناس.

٩ ـ (فأصبح أعظم في دينكم جرحا) حيث يستخدم ابليس كلّ قواه في الجرح في الدين جرحا عظيما؛ لأنّه حجر العثرة الوحيدة في طريقه.

١٠ ـ (وأورى في دنياكم قدحا)؛ فإنّ ابليس أشدّ قدحاً للنار باشغالها في امور الدنيا؛ فإنّ بتضعضع الشريعة التي هي الدين تتضعضع امور الدنيا ايضا، حيث تعطل الحدود الشرعية ويتجرأ اصحاب الجرائم على ارتكاب الفضائع المحرمة.

فان جرح ابليس واحراجه يكون اعظم (من الذين أصبحتم لهم مناصبين وعليهم متألّبين) والنصب: العداوه جهراً، والتألب: الاجتماع؛ فإنّ العداوة الشخصية النابعة من الخلافات بين الافراد لها آثار في دائرة خاصة من الاشخاص والاسر، دون الحرج في الدين؛ فإنّه الحرج فيه يكون عاماً مؤثرا في المجتمع ككل.

فان هذه الاهداف الابليسية هي اهداف كلّ طاغية في المجتمعات التي يحكمها الطغاة، حيث لا يعرفون إلّا بالمادّة والماديات، ولا يرون للمباديْ الاخلاقيّة قيمة في قاموسهم، فيستخدمون كافة انواع التعذيب المتطوّرة لاذلال الشعوب المستضعفة المغلوب على امرها.

(٩/ط - ١٩٢) المقاومة الاسلاميّة:

فَاجْعَلُوا عَلَيْهِ حَدَّكُمْ[١] وَلَهُ جِدَّكم. فَلَعَمْرُ ٱللهِ لَقَدْ فَخَرَ عَلَى أَصْلِكُمْ[٢]، وَوَقَعَ فى حَسَبِكُمْ، وَدَفَعَ فى نَسَبِكُمْ، وَأَجْلَبَ بِخَيْلِهِ عَلَيْكُمْ؛ وَقَصَدَ بِرَجْلِهِ سَبِيلَكُمْ. يَقْتَنِصُونَكُمْ[٣] بِكُلِّ مَكَانٍ، وَيَضْرِبُونَ مِنْكُمْ كُلَّ بَنَانٍ[٤]، لَا تَمْتَنِعُونَ[٥] بِحِيلَةٍ، ولا تَدْفَعُونَ[٦] بِعَزِيمَةٍ، فى حَوْمَةِ[٧] ذُلٍّ، وَحَلْقَةِ ضِيقٍ، وَعَرْصَةِ مَوْتٍ، وَجَوْلَةِ[٨] بَلاَءٍ.

ان الخطط بليس الجهنمية لا يمكن الوقاية منها إلّا بمقاومة اسلاميّة على اصول الثوابت الاسلامية التي تقلع خطط ابليس من الجذور.

وقد أشار الإمام إلى المقاومة واسبابها، ثمّ خطط المقاومة.

وقال عن ضرورة المقاومة واسبابها:

١ ـ (فاجعلوا عليه حدكم) والحد: البأس ووحدة الموقف؛ فإنّ المقاومة يجب ان تكون على المستوى المطلوب ضد تلك الخطط الجهنمية.

٢ ـ (وله جدكم) أي الجهد والمبالغة في المقاومة، حيث لا يمكن النصر إلّا بالجد في

---

(١) في د: حدكم، وفي هـ. ب: ما يجب عليهم، أي فاجعلوا عليه جانبكم أي المخصوص.
(٢) في هـ. ب: آدم عليه السلام، وفي هـ. ص: أي عاب أصلكم.
(٣) في هـ. ب: أي يصيدونكم.
(٤) في هـ. ب: اصبع.
(٥) في ب: لا يمتنعون لا تمتنعون.
(٦) في ب: لا يدفعون لا تدفعون.
(٧) في هـ. ب: معظم المعسكر، وفي هـ.ص: هي معظم الشيء كالماء والحرب ونحوهما.
(٨) في هـ. ص: الموضع يجال فيه.

العمل.

وإلى الاسباب الداعية إلى هذه المقاومة أشار بقوله:

اولا: (فلعمر الله لقد فخر على أصلكم) بالفخر على آدم ورفض السجود له، وهو أصل الانسان.

ثانياً: (ووقع في حسبكم) حيث اعتبر ابليس خلق آدم من الطين عيبا.

ثالثاً: (ودفع في نسبكم) حيث حقّر النسب باعتبار افضلية النار على الطين.

رابعاً: (وأجلب بخيله عليكم) حيث استخدم جيشه من الخيالة والرجالة لحربكم.

خامساً: (وقصد برجله سبيلكم) حيث ارسل من الجيش من الرجالة في طريقكم.

سادساً: (يقتنصونكم بكل مكان) كقنص الصائد بالتركيز على القضاء عليكم اينما كنتم.

سابعاً: (ويضربون منكم كلّ بنان) وهو الاصبع، يقطعها تعذيبا لكم.

وهذه الاعتداءات الجماعية تنفذ من قبل العدو ابليس في حين ان الإنسان لا يتمتع بالقوة للقضاء عليه، حيث:

١ ـ (لا تمتنعون بحيلة) أي وسيلة لايقاف الحرب.

٢ ـ (ولا تدفعون بعزيمة) حيث ان العزم مفقود من جانبكم.

٣ ـ (في حومة ذل) الحومة: الموضع الذي ليس فيه إلّا الذل.

٤ ـ (وحلقة ضيق) أي دائرة مضيقة من قبل العدو.

٥ ـ (وعرصة موت) حيث يمنعكم العدو بكل وسائل التعذيب المتيسرة لديه.

٦ ـ (وجولة بلاء) محل الجولان، حيث تجول الامتحانات والبلايا في هذا الموقف الضعيف، فلاتتغير هذه الحالة الضعيفة إلّا بالمقاومة ضد العدو المعتدي؛ فإنّ الاسباب الداعية إلى المقاومة متوفرة، وبعد ان اعلن ابليس الحرب بالقول، فقد طبقه عمليا بانواع التعذيب، فلا حل سوى المقاومة.

(١٠/ط - ١٩٢) خطط المقاومة:

فَأَطْفِئُوا مَا كَمَنَ في قُلُوبِكُمْ مِنْ نِيرَانِ ٱلْعَصَبِيّةِ، وَأَحْقَادِ[١] ٱلْجاهِلِيَّةِ، فَإِنَّمَا[٢] تِلْكَ

---

(١) في هـ. ب: جمع حقد.
(٢) في آ و ب و د: وانما، وفي هـ. د: فانما ـ ض ب.

ٱلْحَمِيّةُ تَكُونُ فِي المُسْلِمِ[١] مِنْ خَطَرَاتِ الشَّيْطَانِ وَنَخَوَاتِهِ[٢]، وَنَزَغَاتِهِ وَنَفَثَاتِهِ، وَٱعْتَمِدُوا[٣] وَضْعَ التَّذَلُّلِ عَلَى رُءُوسِكُمْ، وَإِلْقَاءَ التَّعَزُّزِ[٤] تَحْتَ أَقْدَامِكُمْ، وَخَلْعَ التَّكَبُّرِ مِنْ أَعْنَاقِكُمْ، وَٱتَّخِذُوا التَّوَاضُعَ مَسْلَحَةً[٥] بَيْنَكُمْ وَبَيْنَ عَدُوِّكُمْ إِبْلِيسَ وَجُنُودِهِ؛ فَإِنَّ لَهُ مِنْ كُلِّ أُمَّةٍ جُنُوداً وَأَعْوَاناً، وَرَجْلاً وَفُرْسَاناً؛ وَلَا تَكُونُوا كَالْمُتَكَبِّرِ[٦] عَلَى ٱبْنِ أُمِّهِ[٧] مِنْ غَيْرِ مَا فَضْلٍ جَعَلَهُ ٱللهُ فِيهِ، سِوَى مَا أَلْحَقَتِ ٱلْعَظَمَةُ بِنَفْسِهِ مِنْ عَدَاوَةِ ٱلْحَسَدِ[٨]، وَقَدَحَتِ ٱلْحَمِيَّةُ فِي قَلْبِهِ مِنْ نَارِ ٱلْغَضَبِ، وَنَفَخَ الشَّيْطَانُ فِي أَنْفِهِ مِنْ رِيحِ ٱلْكِبْرِ الّذِي أَعْقَبَهُ ٱللهُ بِهِ النَّدَامَةَ، وَأَلْزَمَهُ آثَامَ ٱلْقَاتِلِينَ إِلَى يَوْمِ ٱلْقِيَامَةِ[٩].

ان خطط المقاومة لا يمكن ان تهزم الخطط الابليسية؛ لانها وسائل غير مشروعة اسلاميا، فلابد من نبذها، فإنّه لايطاع الله من حيث يعصى، وعليه فلا تبرر الواسطة مهما كانت، وقد أشار الإمام إلى سلسلة من خطط المقاومة الاسلامية التي ترتكز على محاربة المبادي الابليسية فقال:

الأوّل: (فأطفئوا ما كمن في قلوبكم من نيران العصبية)؛ فإنّ هدف العدو هو هذا، فلا بد في المقاومة من اطفاء هذه الروح غير الاسلامية.

الثاني: (وأحقاد الجاهلية)؛ فإنّ هدف العدو ايقاد هذه الاحقاد، فلابد من اطفائها .

والى السبب رفض العصبية والاحقاد اشار بقوله:

(فإنما تلك الحمية تكون في المسلم) الذي ليس له رؤية واضحة للمبادي الاسلاميّة، حيث ان الاسلام انما جاء للتغلب على هذه الروح في المجتمع الجاهلي.

---

(١) في أ: من المسلم.
(٢) في هـ. ب: جمع نخوة وهي التكبر.
(٣) في ص: فاعتمدوا وفي هـ. ص، وفي نسخة: واعتمدوا.
(٤) في هـ. ب: الغلبة.
(٥) هـ. ب: المسلحة قوم ذوو سلاح، هـ. ص هي جماعة من الخيل تعد في العورة للحماية والدفاع.
(٦) في هـ. ص: هو قابيل وابن امه هو هابيل، وفي هـ. ب: قابيل وهابيل.
(٧) في هـ. ا: في غير هذا الكتاب: «على أخيه ابن أمه وأبيه».
(٨) في ط: الحسب، وفي هـ. د، وفي نسخة: الحسب.
(٩) في هـ. ص: في امالي الامام أبي طالب مسنداً الى عبدالله ـ أظنه ابن مسعود ـ قال: قال رسول الله ﷺ لا يقتل نفس ظلماً إلاّ كان على ابن آدم الأول كفل من دمها، وذلك انه سنّ القتل. انتهى.

وعن مصدر هذه الحمية الجاهليّة قال:

(من خطرات الشيطان) حيث يوسوس في صدور الناس.

(ونخواته) وهو التكبر.

(ونزغاته) وهو الفساد.

(ونفثاته) وهي النفث.

وهذه الصفات الشيطانيّة يجب التعوّذ منها برب الناس، من الذي يوسوس في صدور الناس، من الجنة والناس.

الثالث: (واعتمدوا وضع التذلل على رؤوسكم)؛ فإنّ العدو يضع التاج على رأسه تكبرا، والمسلم يضع الذل على رأسه لله تعالى.

الرابع: (وإلقاء التعزز تحت أقدامكم)؛ فإنّ العدو يستخدم الشعارات لاظهار العزة، والمسلم ينبغي ان ينبذ مظاهر العزة تحت الاقدام، حيث لا عزة إلّا لله.

الخامس: (وخلع التكبر من أعناقكم) حيث ان العدو يتباهي بالتكبر بما يضعه من الشعارات على الاعناق، والمسلم يخلعها، فلا يتكبر على احد من الناس.

السادس: (واتخذوا التواضع مسلحة بينكم وبين عدوكم إبليس وجنوده) والمسلحة: النجدة المعدة للدفاع، وهي كناية عن الرؤية الواضحة للمبادئ والوسائل والاهداف، فالمسلم يتواضع في اعماله، والتواضع يكون اقوى وسيلة للدفاع، فيقدم بأدنى الاعمال العسكرية المطلوبة بينما العدو لا يتنازل عن مواقعه للاعمال الوضيعة في اعتقاده.

وعلل مبدأ التواضع الاسلامي بقوله: (فإن له من كلّ أمة جنودا وأعوانا ، ورجلا وفرسانا) حيث يستخدم العدو كلّ ما يتمكن من جمعه من الجنود والاعوان والوسائل الحربيّة من الرجال والفرسان، وهي من امم خليطة لا تجمعها إلّا العناوين الخياليّة المغرية، وتلهيها عن التواضع بالاشتغال بالاعمال البسطية، وهذا هو الفارق العملي في ساحة الحرب بين المسلم وغيره.

السابع :(ولا تكونوا كالمتكبر على ابن أمه) مشيراً إلى الاعتداء الذي حصل من قابيل الذي قتل اخاه هابيل، وهما من أم واحدة حواء، والسبب في ذلك هو التكبر.

واشار إلى اسباب القتل الذي يجب ان تكون عبرة؛ فإنّ العمل كان (من غير ما فضل جعله الله فيه) حيث لم يكن عذرا لهذا القتل سوى الاسباب التالية:

١ ـ (سوى ما ألحقت العظمة بنفسه)؛ فإنّ داء العظمة كان السبب في ارتكاب هذا الجريمة.

٢ ـ (من عداوة الحسد)؛ فإنّ الكبرياء أوجب الحسد.

٣ ـ (وقدحت الحمية في قلبه) والحسد اولد الحمية.

٤ ـ (من نار الغضب) والحمية اولدت الغضب.

٥ ـ (ونفخ الشيطان في أنفه من ريح الكبر) وبعد الغضب تحقق الكبر من وسوسه الشيطان، ونتيجة الكبر كان القتل المتعمد من الاخ لاخيه.

و إلى نتايج هذا القتل أشار بقوله:

أوّلاً: (الذي أعقبه الله به الندامة) على الجريمة كما هي الحال في كلّ جريمة، فلا تنهي إلّا بالندامة.

ثانياً: (وألزمه آثام القاتلين إلى يوم القيامة) حيث ان ﴿من قتل نفسا بغير نفس أو فساد في الارض فكأنّما قتل الناس جميعا﴾.[1]

وبهذا القتل انقطع نسل الاخ والى الأبد ولو لم يكن مقتولا لكان له نسل كما هو موجود لاخيه.

وهذه المبادىء السبعة في المقاومة الاسلاميّة تختلف في الاهداف والوسائل عن المبادئ المادية.

(١١ / ط ـ ١٩٢) القسم الثالث ـ في مسؤوليات المسلمين:

أَلَا وَقَدْ أَمْعَنْتُمْ[2] فِى ٱلْبَغْىِ، وَأَفْسَدْتُمْ فِى ٱلْأَرْضِ مُصَارَحَةً لِلّٰهِ بِالْمُنَاصَبَةِ، وَمُبَارَزَةً لِلْمُؤْمِنِينَ بِالْمحَارَبَةِ.

وقد بين حالة المسلمين المخاطبين عصره، ثمّ أشار إلى المسؤوليات التي يتحملها كلّ مسلم بالتحذير من اضدادها.

المسؤولية الاولى: الاصلاح، فقال:

١ ـ (ألا، وقد أمعنتم في البغي) الامعان: المبالغة، والبغي: الاعتداء والظلم بالخروج عن القانون؛ فإنّ لذلك درجات تبتدئ بعدم الاعتقاد بعدالة القانون وتنتهي بالحرب المعلن

(١) المائدة: ٣٢.
(٢) في هـ. ب: أي أسرعتم، وفي هـ. ص: أي بالغتم.

ضد القائم به، والامعان تعدٍّ من الدرجة الاولى.

٢ ـ (وأفسدتم في الأرض) والفساد ـ لغة ـ: اللهو واللعب، وذلك يضاد تحمل المسؤولية الانسانية.

٣ ـ (مصارحة لله بالمناصبة) النصب: اعلان العداء؛ فإنّ العمل باللهو اعلان عملي للإعراض عما نهى الله عنه بقوله: ﴿ولا تعثوا في الارض مفسدين﴾.[1]

٤ ـ (ومبارزة للمؤمنين بالمحاربة)؛ فإنّ المؤمنين بالمسؤوليات الاسلامية يدعون المجتمع إلى تحمل المسؤولية، والمفسدين يحاربونهم باعتبارهم حجر عثرة في سبيل اللهو واللعب.

(١٢ / ط ـ ١٩٢) المسؤولية الثانية ـ رفض العنصرية:

فَاللّٰهَ ٱللّٰهَ فِى كِبْرِ ٱلْحَمِيَّةِ وَفَخْرِ ٱلْجَاهِلِيَّةِ فَإِنَّهُ مَلاَقِحُ[2] ٱلشَّنَآنِ وَمَنَافِخُ[3] ٱلشَّيْطَانِ ٱللاتِى[4] خَدَعَ بِهَا ٱلْأُمَمَ المَاضِيَةَ وَٱلْقُرُونَ ٱلْخَالِيَةَ[5]، حَتَّى أَعْنَقُوا[6] فِى حَنَادِسِ[7] جَهَالَتِهِ وَمَهَاوِى[8] ضَلاَلَتِهِ ذُلُلاً عَنْ سِيَاقِهِ سُلُساً[9] فِى قِيَادِهِ[10]، أَمْراً تَشَابَهَتِ ٱلْقُلُوبُ فِيهِ وَتَتَابَعَتِ ٱلْقُرونُ عَلَيْهِ وَكِبْراً تَضَايَقَتِ ٱلصُّدُورُ بِهِ.

١ ـ (فالله الله في كبر الحمية) وهي العصبية العنصرية الداعية إلى التحالف العرقي والقبلي.

٢ ـ (وفخر الجاهلية) التي لا تستند إلى مبادي اسلامية، بل مبادي قبليّة عرفية.

والى الاثار المترتبة على ذلك أشار بقوله:

٣ ـ (فإنه ملاقح الشنآن ومنافخ الشيطان) حيث ان الكبر الوسيلة المفضلة التي

(١) البقرة: ٦٠.
(٢) هـ. ب: جمع ملقح، والمصدر اللقاح.
(٣) في هـ. ب: من النفخ.
(٤) في هـ. د: التي ـ ض ح ب.
(٥) في هـ. ب: الماضية.
(٦) هـ. ص: أي أسرعوا.
(٧) في هـ. ب: جمع حندس أي الظلمة.
(٨) في هـ. ب: مساقط.
(٩) في هـ. ب: منقادين.
(١٠) في هـ. ب: من القود.

يستخدمها الشيطان؛ لأنّه يبذر النفاق بين الافراد والمجتمع، كما يلقح الذكر الاثنى؛ فإنّ من الطبيعي ان يتأثر بالكبر كلّ من المتكبر فيزداد طغيانا، والمتكبر عليه بالشعور بالضيم في آن واحد، وينتفع الشيطان من هذه الوسيلة المفضلة للتفريق بين الافراد والامم.

٤ ـ (التي خدع بها الأمم الماضية) حيث ظهر فيها طاغية متكبر استخدم الكبرياء على غيره من الافراد والامم المستضعفة التي لم تكن لها قوة المقاومة.

٥ ـ (والقرون الخالية) التي مضت، فلا يخلوا قرن منها من قادة طغوا بما لديهم من العسكرية، واستذلوا غيرهم من الامم بها استكبارا ليس إلّا.

وعن نتيجة هذا الاستكبار الحاكم قال:

٦ ـ (حتى أعنقوا في حنادس جهالته) والاعناق: الاختفاء، والحنادس: الظلم؛ فإنّ الامم التي استخدمت الكبر اساساً لسياساتها اصبحت في الظلمات الشيطانية.

٧ ـ (ومهاوي ضلالته) والهوة: مسقط الشيئ الى الاسفل، وذلك بسبب إضلال الشيطان.

٨ ـ (ذللا على سياقه) واصبحت تلك الامم في ذلة منساقين مع الشيطان.

٩ ـ (سلسا في قياده) والسلسل: السهل؛ لأنّ الشيطان أخذ يقودهم إلى ان وقعوا في مزبلة التاريخ.

والى السبب الحقيقي في انقراض الحكم في الامم اشار بقوله:

١٠ ـ (أمرا) فانهم اعتمدوا امراً هو الكبر اساساً للحكم، دون ما يدعوا اليه الدين من التواضع للامة؛ فإنّ هذا الامر هو القاسم المشترك الاعظم بين كلّ الامم الهالكة، وله آثاره التالية:

أوّلاً: (تشابهت القلوب فيه)؛ فإنّ الامم الطاغية اعتقدت تفوقها في قدرتها فتكبرت.

ثانياً: (وتتابعت القرون عليه) ففي كلّ قرن ينظر الطاغية الجديد إلى آثار فرعون وامثاله قاصداً متابعة خطى من تقدم عليه من الطغاة.

ثالثاً: (وكبرا تضايقت الصدور به) ومن جانب آخر، فقد تراكمت في صدور الشعوب المغلوبة على امرها عوامل الكراهية من الطاغية تدريجياً حتّى انتهت إلى الثورة ضدها، وهكذا هي سنة الحياة.

(١٣ / ط ـ ١٩٢) المسؤولية الثالثة ـ مقاومة الكبر:

أَلَا فَالْحَذَرَ الْحَذَرَ مِنْ طَاعَةِ سَادَاتِكُمْ وَكُبَرَائِكُمْ الَّذِينَ تَكَبَّرُوا عَنْ حَسَبِهِمْ وَتَرَفَّعُوا

فَوْقَ نَسَبِهِمْ. وَأَلْقَوُا الْهَجِينَةَ[1] عَلَى رَبِّهِمْ. وَجَاحَدُوا اللهَ عَلَى[2] مَا صَنَعَ بِهِمْ. مُكَابَرَةً لِقَضَائِهِ وَمُغَالَبَةً لآلَائِهِ. فَإِنَّهُمْ قَوَاعِدُ أَسَاسِ الْعَصَبِيَّةِ[3] وَدَعَائِمُ أَرْكَانِ الْفِتْنَةِ وَسُيُوفُ اعْتِزَاءِ[4] الْجَاهِلِيَّةِ.

١ ـ (ألا فالحذر الحذر من طاعة ساداتكم وكبرائكم) الذين بيدهم السلطات العليا في المجتمع، فيجب ان يقف المسلم من الحذر من ان يستخدموا الكبر ويقعوا فريسة للشيطان باستخدامه في التعدي على المستضعفين لما ترتبت على ذلك من الاثار السيئة على الجميع.

٢ ـ (الذين تكبروا عن حسبهم) والتجاوز عن مسؤولياتهم التي هي خدمة الشعب الذي يحكمونه، وليس التكبر عليهم؛ فإنّ ذلك ليس المطلوب من القائد المسلم.

٣ ـ (وترفعوا فوق نسبهم)؛ فإنّ الناس جميعا من البشر، وانسابهم ترجع إلى آدم، والمتكبر مترفع على نسب نفسه فانه يعتبر نفسه فوق الانسان؛ متجاهلا انّه لا يفترق عن أي انسان آخر في الخلق.

٤ ـ (وألقوا الهجينة على ربهم) والهجينة: الافعال القبيحة، ومنها: الترفع على الاخرين بالعنصرية، فان ذلك في الحقيقة نسبة القبيح إلى الله تعالى، حيث انّه سبحانه خلقهم جميعا بشراً من دون تفضيل عرقي أو قومي وما شابه.

٥ ـ (وجاحدوا الله ما صنع بهم) بانكار ما خلق وما شرع في العدالة بين الجميع من دون كبر.

٦ ـ (مكابرة لقضائه)؛ فإنّ الحكم العنصري القائم على الكبر مكابرة لما قضى الله سبحانه في الخلق تكوينا وتشريعا.

٧ ـ (ومغالبة لآلائه) وهي ما اكرم الله سبحانه الإنسان من الفضل والحكمة من دون تفضيل عنصر على عنصر اخر، أو طبقة على اخرى، فلا مجال للكبرياء إلّا لمن يريد المغالبة والمعارضة لله تعالى.

---

(١) في هـ. ب: الهجنة: وفي هـ. ب: في نسخة: هجنة، والهجنة العيب.
(٢) لم ترد على في د و في هـ. د: جاحدوا الله ـ ص ح ب.
(٣) في هـ. ص: أي في هذه الأُمة.
(٤) في ب. ص: اعتراء، وفي هـ. ب: الانتساب، وفي هـ. ص: أي جاهلية الأهواء والبدع يحتج بهم أهلها.

والى السبب في الحذر من هؤلاء الطبقة من الكبراء أشار بقوله:

أوّلاً: (فإنهم قواعد أساس العصبية)؛ لأنّ بيدهم السلطة وهم يستخدمونها لفرض حكم العصبية والعنصرية في المجتمع الاسلامي، والناس على دين ملوكهم، ومن أن قراراتهم تؤثر في كلّ شرائح المجتمع.

ثانياً: (ودعائم أركان الفتنة)؛ لأنّ الفتنة العنصريّة لا تنبع إلّا من فتنة في المجتمع؛ فإنّ كلّ الفتن لابد وان تنتهي إلى التفرق العنصري في المجتمع.

ثالثاً: (وسيوف اعتزاء الجاهلية) والاعتزاء: التفاخر بالانساب الذي كان اساساً جاهليا حاربه الاسلام في تشريعاته، فقال: ﴿ان اكرمكم عند الله اتقاكم﴾ [١]؛ فإنّ اصحاب السلطة المتكبرين بيدهم القوة، فهم سيوف على رؤوس الشعب المسلم الذي يرفض مفاهيم الجاهليّة، وهم بحكم اتصافهم بالكبر يفرضونها بالقوة على المجتمع المسلم، فيجب مقاومة السلطة المتكبرة بوسائل الامر بالمعروف والنهي عن المنكر التي شرعها الاسلام.

(١٤ / ط - ١٩٢) المسؤولية الرابعة ـ التقوى:

فَاتَّقُوا ٱللهَ وَلَا تَكُونُوا لِنِعَمِهِ عَلَيْكُمْ أَضْدَاداً وَلَا لِفَضْلِهِ عِنْدَكُمْ حُسَّاداً[٢] وَلَا تُطِيعُوا الأَدْعِيَاءَ[٣] الَّذِينَ شَرِبتمْ بِصَفْوِكُمْ كَدَرَهُمْ وَخَلَطْتُمْ بِصِحَّتِكُمْ مَرَضَهُمْ وَأَدْخَلْتُمْ فِى حَقِّكُم بَاطِلَهُمْ وَهُمْ أَسَاسُ[٤] الْفُسُوقِ وَأَحْلَاسُ[٥] الْعُقُوقِ اتَّخَذَهُمْ إِبْلِيسُ مَطَايَا ضَلَالٍ[٦]، وَجُنْداً بِهِمْ يَصُولُ عَلَى النَّاسِ وَتَرَاجِمَةً يَنْطِقُ عَلَى أَلْسِنَتِهِمْ اسْتِرَاقاً[٧] لِعُقُولِكُمْ وَدُخُولاً فِى عُيُونِكُمْ وَنَفْثاً[٨] فِى أَسْمَاعِكُمْ فَجَعَلَكُمْ مَرْمَى نَبْلِهِ وَمَوْطِئَ قَدَمِهِ وَمَأْخَذَ يَدِهِ. فَاعْتَبِرُوا بِمَا

(١) الحجرات: ١٣.
(٢) في هـ. ب: في الآثار الحاسد عدو نعمتي.
(٣) في هـ. ب: جمع دعي، وفي هـ. ص: الادعياء جمع دعي وهو من يدعي ما ليس له والمراد هنا من يدّعي من الفضل والرئاسة ما ليس له، ولا يخفىٰ علىٰ ذوي البصائر المتوسمين من يريد.
(٤) في هـ. ص: جمع اس وهو الأصل.
(٥) الاحلاس لباس، جمع حلس وفي هـ. ص احلاس العقوق جمع حلس وهو في الأصل كساء رقيق يلازم ظهر البعير فكني به عن الملازمة وانما جعلهم أحلاس عقوق لأنهم قطعوا من أمر الله به ان يوصل من أهل بيته .
(٦) أي يضلهم بهم.
(٧) هـ. ب: من قوله تعالىٰ: ﴿استرق السمع﴾.
(٨) في أ: نشأ، وفي هـ. أ :نشرا، وفي هـ. ص:ويروىٰ نثاً، وهو افشاء الحديث، وفي هـ. د: نثاءً ـ ع.

أَصَابَ الأُمَمَ الْمُسْتَكْبِرِينَ مِنْ قَبْلِكُمْ مِنْ بَأْسِ ٱللهِ وَصَوْلَاتِهِ وَوَقَائِعِهِ[١] وَمَثُلَاتِهِ[٢] وَاتَّعِظُوا بِمَثَاوِى خُدُودِهِمْ[٣] وَمَصَارِعِ جُنُوبِهِمْ.

١ ـ (فاتقوا الله)؛ فإنّ تقوى الله مسؤولية اسلامية لكل من يؤمن بالاسلام في جميع مراحل الحياة، والتقوى يستلزم العمل، وقد أشار إلى موارد العمل بقوله:

٢ ـ (ولا تكونوا لنعمه عليكم أضدادا)؛ فإنّ الكبر كفرانٌ لنعمة القوّة التي أنعم الله بها على من يجدها، فلابد ان يكون شاكراً عليها، ويلتزم بما يتطلب الشكر، واستخدام القوّة في استضعاف الآخرين كفران لهذه النعمة، الكفر يوجب زوال هذه النعمة.

٣ ـ(ولا لفضله عندكم حسادا) حيث ان الله سبحانه عندما أنعم بالقوة للفرد أو الامة كان ذلك فضلاً وموهبة من الله، والحسد يدعوا إلى انكار الفضل، حيث ان صاحب القوّة يحاول سلب القوة عن غيره بالقوة، فانّ حقيقة الحسد هي طلب زوال النعمة عن الغير.

٤ ـ(ولا تطيعوا الأدعياء)؛ فإنّ التقوى يستوجب رفض الدعوات غير الاسلامية التي يطلقها ادعياء الاسلام باسم الاسلام؛ فإنّ الرفض هو الخطوة الاولى في العمل بمسؤولية التقوى.

خصائص الادعياء:

ثم أشار في سلسلة مترابطة خصائص ادعياء الاسلام في حياتهم الاجتماعيّة مع الشعب المسلم في أنفسهم، وعن معاملتهم مع الشعب المسلم قال:

١ ـ (الذين شربتم بصفوكم كدرهم)؛ فإنّ المسلم يتعامل بصفاء وشفافية، والمتكبّر يتعامل مع الآخرين بالالتواء والمراوغة، وكأنه يشرب الماء الكدر .

٢ ـ (وخلطتم بصحتكم مرضهم) حيث ان الأمراض الاجتماعية أثرت في المسلم المستضعف في سلوكه الشخصي والعائلي.

٣ ـ(وأدخلتم في حقكم باطلهم) حيث اختلط الحقّ بالباطل في المجتمع.

وهذه النقاط الثلاث تكشف عن ان المجتمع بسكوته وعدم مقاومته يعتبر مسؤولاً حيث لم يؤد واجبه من المقاومة بالمقاطعة.

(١) في هـ. ب: جمع وقيعة وهي ما يقع من العذاب.
(٢) في أ: مثِلات، هـ. ب: مثلاته، من قتل وغيره.
(٣) في هـ. ب: في نسخة: مهاوي وهي المساقط، والمثاوي جمع مثوىٰ وهو المنزل .

وإلى الاسباب الموجبة للمقاطعة أشار إلى خصائص الادعياء الذاتيّة التالية:

أوّلاً: (وهم أساس الفسوق) والواو حاليّة، أي والحال انهم كما يعلم الجميع الاساس الذي يبتنى عليه الفسوق أي الكذب؛ فإنّ الدعي يسخدم الكذب في كلّ معاملاته مع الافراد والمجتمع، وهو انسان معروف بهذه السياسة.

ثانياً: (وأحلاس العقوق) والحلس: كساء رقيق يجعل على ظهر البعير دائماً، والعقوق: العصيان؛ فإنّ شأن الادعياء والسياسيين هو العصيان وخلف الوعد، كانهما شيئان متلازمان.

ثالثاً: (اتخذهم إبليس مطايا ضلال) فهم بحكم انهم استخدموا سياسة الكبر اصبحوا بأنفسهم وسائل لابليس في تقوية وسائل الاضلال للمجتمع الاسلامي، فليس لهؤلاء الادعياء شخصيّة متميزة ينظر الى الامور برؤية واضحة؛ لانّهم لايرون إلّا ما يستمر به كبرياؤهم ولا يكون ذلك إلّا بوسائل سياسة شيطانية في الاضلال بواسطة هؤلاء الادعياء للاسلام.

وإلى خصائص هذه السياسة الشيطانيّة أشار الى امرين:

الأوّل: (وجندا بهم يصول على الناس)؛ فإنّ الشيطان له أعوان ينفذون مآربه، وهو يستخدمهم كجنود ينفّذون الظلم الذي يدعو اليه.

الثاني: (وتراجمة ينطق على ألسنتهم) فهم لا يتكلمون عما يدور في ضميرهم، بل عمّا يملي عليهم الشيطان، ويفسرونه باللغة التي يفهمها المسلمون.

فان الادعياء القادة ليست لهم ارادة سوى ارادة من يدير امورهم وهو الشيطان، فهو المخطط وهم المنفذون حيث ان الدعي يعلم بعدم استحقاقه الموقع الذي يتصداه، فلا يكون له إلّا الرضوخ التام لمن ولّاه.

وإلى الهدف للادعياء أشار في نقاط:

١ ـ (استراقاقاً لعقولكم) وذلك بسلب الارادة من الافراد والأمم حتّى لا تفكر العقول في الحريّة، بل تكون عقولا كعقول الرقيق للقوة الحاكمة، فلا تفكر إلّا ما تريد له ان تفكر فيه، وليست الحقائق.

٢ ـ (ودخولا في عيونكم) حتّى لا يمكن الرؤية إلّا ما تريده القوّة الحاكمة ان يراه الناس من الظواهر وليست الحقائق.

٣ ـ (ونفثا في أسماعكم) والنفث: النفخ، فلا يسمع إلّا ما تريده السلطة ان يسمع من الانباء المعلنة، وليست الحقائق.

وكل ذلك لأنّ الادعياء هم وسائط للشيطان.

وأشار إلى النتائج التالية لاهداف الشيطان بقوله:

أوّلاً: (فجعلكم مرمى نبله) والمرمى: الهدف، والنبل: السهم، فاصبح المسلمون الهدف الذي يرمي الشيطان سهمه للقضاء عليهم.

ثانياً: (وموطئ قدمه) حيث يستولي على الوطن الاسلامي باحتلاله.

ثالثاً: (ومأخذ يده) حيث يستولي على المسلمين ومقدراتهم كما يأخذ يد الاسير ويتصرف كما يشاء من دون مقاومة.

موارد العبرة:

وقد استند في هذه الخصائص عن الادعياء ودور الشيطان بالعبرة من التاريخ، فقال:

١ ـ (فاعتبروا بما أصاب الأمم المستكبرين من قبلكم)؛ فإنّ الأمم قبل الاسلام عاشت كما تعيش امه الاسلام، وعليهم من الحكام الذين تكبروا وظنوا ان القوّة الماديّة هي تكفل لهم الخلود، وطغوا وكانت نتيجة الطغيان السقوط؛ فإنّ في تاريخ حياتهم العبرة من جهتين:

أوّلاً: عقوبة الله (من بأس الله وصولاته، ووقائعه ومثلاته) ضدّ المستكبرين من أمثال فرعون وقوم عاد وثمود وغيرهم، كما هو مشروح في التاريخ والتفسير والحديث (راجع المواد في المعجم) والمثلات: العقوبات التي أنزله الله بهم عقوبة لأعمالهم.

ثانياً: عبرة البشر (واتعظوا بمثاوي خدودهم ومصارع جنوبهم)؛ فإنّ عاقبة امرهم لم تكن إلّا بالقبور؛ حيث تثوى الخدود التي نزلوا فيها، والارض التي سقطوا فيها (مصارع الجنوب) وهي مطرح التراب.

(١٥ / ط ـ ١٩٢) المسؤولية الخامسة ـ الاستعاذة:

وَاسْتَعِيذُوا بِاللهِ مِنْ لَوَاقِحِ الْكِبْرِ[١] كَما تَسْتَعِيذُونَهُ[٢] مِنْ طَوَارِقِ[٣] الدَّهْرِ.

(١) في هـ. ب: لواقح الكبر: جمع لاقح، وهو ناتج.
(٢) هـ. د: كما تستعيذون ـ ب، كما تستعيذون به ـ ن.
(٣) في هـ. ب: جمع طارقة وهي الحادثة التي نخشى منها.

فان الاستعاذة بالله تعالى تؤكد على تطبيق ما امر به تعالى في حياة الفرد والمجتمع الاسلامي الذي يتكون من افراد المسلمين، فهي تذكرة للمسلم بـالمسؤوليات المـلقاة على عاتقه لتجنّب الانحراف عن الخط الاسلامي في الحياة، فقال:

أوّلاً: (واستعيذوا بالله) حيث لا عاصم من خطوات الشيطان إلّا الله تعالى.

ثانياً: (من لواقح الكبر)؛ فإنّ الكبر يولد التفرقة بين الافراد وبين الامم، ولا ينتفع منه المتكبر ولا المقصر في النتيجة والحياة، بل ينتفع منه فقط الشيطان الذي يستخدم سياسة «فرّق تسد»؛ للانحراف عن المفاهيم الاسلامية، وما يوكده الكبر لا يكون تحت ضابط؛ لكثرة النتائج الفاسدة في الحياة وبعد الممات.

ثالثاً: (كما تستعيذونه من طوارق الدهر)؛ فإنّ الحوادث المحسوسة ممّا يستعيذ منها كلّ انسان، واما الكبر وآثاره المشؤومة فلا يشعر به إلّا من له رؤية واضحة للاسلام في المبادئ والوسائل والأهداف.

و هذه النقاط للمسؤولية يوجب على المسلم المقاومة بالاصلاح ورفض العنصرية والكبر والتزام التقوى والاستعاذة بالله من الشيطان.

(١٦/ط - ١٩٢) القسم الرابع ـ دور الأنبياء:

فَلَوْ رَخَّصَ ٱللهُ فِي ٱلْكِبْرِ لِأَحَدٍ مِنْ عِبَادِهِ لَرَخَّصَ فِيهِ لِخَاصَّةِ أَنْبِيَائِهِ[١] وأَوْلِيائِهِ. وَلٰكِنَّهُ سُبْحَانَهُ كَرَّهَ إِلَيْهِمُ ٱلتَّكَابُرَ[٢] وَرَضِيَ لَهُمُ ٱلتَّوَاضُعَ. فَأَلْصَقُوا بِالْأَرْضِ خُدُودَهُمْ. وَعَفَّرُوا فِي ٱلتُّرَابِ وُجُوهَهُمْ وَخَفَضُوا أَجْنِحَتَهُمْ لِلْمُؤْمِنِينَ وَكَانُوا أَقْوَاماً مُسْتَضْعَفِينَ قَدِ ٱخْتَبَرَهُمُ ٱللهُ[٣] بِالْمَخْمَصَةِ[٤] وَٱبْتَلاَهُمْ بِالْمَجْهَدَةِ[٥]. وَٱمْتَحَنَهُمْ بِالْمَخَاوِفِ وَمَخَضَهُمْ[٦] بِالْمَكَارِهِ.

إنّ دور الأنبياء والأولياء عامة دور الهداية؛ لما فيه النجاة في الدنيا والاخرة، وكان لهم من الكبر والمستكبرين دائما موقف المعارض؛ لما يؤدي الكبر اليه من الآثار السلبيّة في

---

(١) في ب: خاصة لأنبيائه وفي هـ. ب في نسخة لخاصة أنبيائه.
(٢) في ب: التكاثر والتكابر معاً.
(٣) لم ترد لفظة الجلالة في أ.
(٤) في هـ. ب: بالجوع. و في هـ. ص: المجاعة.
(٥) في هـ. ب: الجهر، وفي هـ. ص: المشقة.
(٦) في ص و في هـ أو ب، وفي نسخة: محصهم، وفي هـ. ب: محصهم أي خلّصهم، وفي هـ. د: محصهم ـ ح و ع. محضهم ـ ن. وروي محصهم ـ ك.

النفس والمجتمع، فقال:

١ ـ (فلو رخص الله في الكبر لأحد من عباده لرخص فيه لخاصة أنـبيائه وأوليـائه) لانهم في منزلة رفيعة لا يصلها إليها الإنسان العادي؛ لمعرفتهم الاتم بالله سبحانه وشرائعه بسبب الوحي النازل اليهم.

وهذه المنزلة الرفيعة تستحق الترفع بها على من لا يتمتّع بها، ولكن الانبياء جميعا لهم دور واحد في معارضة الكبر ومساندة التواضع.

٢ ـ (ولكنّه سبحانه كره إليهم التكابر ورضي لهم التواضع) فكانت مواقفهم معارضة للمتكبرين في حياتهم من الافراد والحكام، وتـمتعوا فـي انـفسهم بـالتواضـع للافـراد وغيرهم. والى الامثلة المحسوسة لهذا التواضع في الانباء أشار بقوله:

٣ ـ(فألصقوا بالأرض خدودهم) في عباداتهم لله سبحانه وحده دون غيره.

٤ ـ (وعفّروا في التراب وجوههم) بالسجود لله تعالى وحده.

٥ ـ (وخفضوا أجنحتهم للمؤمنين) أي ألانوا جانبهم بالمساواة معهم ومشاركة آلآمهم وآمالهم.

٦ ـ (وكانوا أقواما مستضعفين) فلم يلحقوا بركب المتكبرين في المجالس والمحافل، بل اتخذوا صحبة المستضعفين حتّى اصبحوا واحداً منهم.

وإلى خصائص المستضعفين أشار بقوله:

٧ ـ (وقد اختبرهم الله بالمخمصة) وهي الجوع؛ فإنّ الشبع يستوجب البطر.

٨ ـ (وابتلاهم بالمجهدة) وهي المشـقة لتـحصيل المـعاش والحـياة بـالعمل الذي يستحقه.

٩ ـ (وامتحنهم بالمخاوف) التي ترافق أيّ طريق في الحياة؛ لأداء رسالتهم المظفرة.

١٠ ـ (ومخضهم بالمكاره) والمخض: التحريك؛ فإنّ الابتلاء بـما يكـرهه الإنسـان يكتسب قوّة للمقاومة.

وهذه النقاط العشر تكشف عن وحدة دور الانبياء والأوصياء جـميعا، ومـن يـتبع مدرستهم لابد وان يسير على خطاهم في الحياة.

(١٧/ط - ١٩٢) العبرة:

فَلاَ تَعْتَبِرُوا[١] ٱلرِّضَا وَٱلسُّخْطَ بِالْمَالِ وَٱلْوَلَدِ جَهْلاً بِمَوَاقِعِ ٱلْفِتْنَةِ وَٱلاِخْتِبَارِ فِى مَوَاضِعِ ٱلْغِنَى[٢] وَٱلإِقْتِدَارِ[٣] فَقَدْ قَالَ سُبْحَانَهُ: ﴿أَيَحْسَبُونَ أَنَّمَا نُمِدُّهُمْ بِهِ مِنْ مَالٍ وَبَنِينَ نُسَارِعُ لَهُمْ فِى ٱلْخَيْرَاتِ بَلْ لَا يَشْعُرُونَ﴾[٤] فَإِنَّ ٱللهَ سُبْحَانَهُ يَخْتَبِرُ عِبَادَهُ ٱلْمُسْتَكْبِرِينَ فِى أَنْفُسِهِمْ بِأَوْلِيَائِهِ ٱلْمُسْتَضْعَفِينَ فِى أَعْيُنِهِمْ.

ومن العبرة في حياة المستكبرين والمستضعفين معاً أن كلّا منهم يمر بفترة الفتنة أي الامتحان، المقياس في اجتياز هذا الامتحان هو الرؤية الواضحة للمبادي والوسائل والاهداف، والله سبحانه يمتحن الجميع في الدنيا بامور، منها: المال، والولد، والغنى والفقر، فانها جميعا وسائل الامتحان، ويحصل عليها من يسعى اليها بمقدار سعيه ﴿وأن ليس للانسان إلّا ما سعى وأنّ سعيه سوف يرى﴾.[٥]

ومن له رؤية واضحة في الحياة يقوم بمسؤولياته المطلوبة في هذه الحالات، ويكون مطيعا لاوامره تعالى، ومن ليست له تلك الرؤية ينحرف ويكون عاصيا يحاسب على عمله؛ لأنّ رضى الله سبحانه وسخطه تعالى يكون في هذه الامور التي هي موارد امتحان للانسان في الحياة.

وقد أشار عليه السلام إلى هذه الحقيقة بقوله:

١ ـ (فلا تعتبروا الرضا والسخط) من الله سبحانه فيما يتصوره الجاهل من ان الرضى والسخط بما يلي: (بالمال والولد) وان من كان له ذلك كان مرضيا عند الله؛ فإنّ هذا التصوّر يستلزم (جهلا بمواقع الفتنة والاختبار) والفتنة: الامتحان؛ لأنّ هذه الامور من المال والولد من مواقع الامتحان الذي يختبر به الانسان، والجاهل بالامتحان يتصور ان المال والولد فيها الرضى والسخط، وقد قال تعالى:﴿انما اموالكم واولادكم فتنة والله عنده اجر عظيم﴾.[٦]

---

(١) في أ: ولا تعتبروا.
(٢) في هـ. ب، وفي نسخة: الغناء.
(٣) في ا و د: الافتقار، وفي ص: الاقتار، وفي هـ. ب، وفي نسخة: الاقتار، وفي هـ.د: الاقتار ـ ص ح ب ل ش.
(٤) المؤمنون: ٥٥ ـ ٥٦.
(٥) النجم: ٣٩.
(٦) التغابن: ١٥.

فليس المال والولد إلّا اختبارا و امتحانا للانسان بالالتزام بمسؤولياته (في مواضع الغنى والاقتدار) والاختبار يكون في موضع الغنى بأداء المسؤوليات المفروضة على الغني.

وفي حالة الاقتدار في المسؤوليات المفروضة صاحب القدرة؛ فانها جميعا موارد الاختبار.

واستشهد على ذلك بالقران الكريم فقال: (وقد قال سبحانه وتعالى: ﴿أيحسبون أنما نمدهم به من مال وبنين نسارع لهم في الخيرات؟ بل لا يشعرون﴾.[١] فلا يكون رضى الله بالمال والبنين ،بل ان من يستزيد من المال والبنين ظنّا منه انهما يوجبان الرضى في الحياة مخطىء أيضاً؛ فإنّ المال يزيده همّاً لحفظه، والبنين قد ينقلب عدواً لأبيه، وأين هذا من رضى الله تعالى الذي ليس إلّا بالعمل الصالح.

وختم العبرة بقوله:

٦ ـ (فإن الله سبحانه يختبر عباده المستكبرين في أنفسهم بأوليائه المستضعفين في أعينهم) فانّ المستضعفين ليسوا حقيقة مستضعفين لما يتمتعون به من الرؤية الواضحة، فانهم انما يعتبرون مستضعفين في أعين المستكبرين، وقد جعلهم الله امتحانا للمستكبرين حتّى يظهر مدى العمل بمسؤوليتهم تجاه الشعب المستضعف.

(١٨ / ط ـ ١٩٢) موسى وفرعون:

وَلَقَدْ دَخَلَ مُوسَى بْنُ عِمْرَانَ وَمَعَهُ أَخُوهُ هَارُونُ ٨[٢] عَلَى فِرْعَوْنَ وَعَلَيْهِمَا مَدَارِعُ[٣] ٱلصُّوفِ وَبِأَيْدِيهِمَا ٱلْعِصِيُّ[٤] فَشَرَطَا لَهُ إِنْ أَسْلَمَ بَقَاءَ مُلْكِهِ وَدَوَامَ عِزِّهِ فَقَالَ: أَلَا تَعْجَبُونَ مِنْ هٰذَيْنِ يَشْرِطَانِ لِى دَوَامَ ٱلْعِزِّ وَبَقَاءَ ٱلْمُلْكِ وَهُمَا بِمَا تَرَوْنَ[٥] مِنْ حَالِ ٱلْفَقْرِ وَالذُّلِّ فَهَلَّا أُلْقِيَ عَلَيْهِمَا أَسَاوِرَةٌ[٦] مِنْ ذَهَبٍ إِعْظَاماً لِلذَّهَبِ وَجَمْعِهِ وَٱحْتِقَاراً لِلصُّوفِ وَلُبْسِهِ.

---

(١) المؤمنون: ٥٦.
(٢) في ط: صلّى الله عليهما.
(٣) هـ. ب: جمع دراعة، هـ. ص: جمع مدرعة بالكسر، وهي هنا لباس من صوف ضيق الكمين، ويقال له جمّازة، قال الشاعر:

يغنيك عن طاق كثير الأثمان ... جمّارة ضيق منها الكمّان

(٤) في أ :العصا . وفي هـ. د: العصا ـ ف.
(٥) في ا: يرون.
(٦) في د: أساور، وفي هـ. ص: جمع اسورة، جمع سوار.

واورد عليه السلام مثلا من تاريخ الانبياء مع المستكبرين بما حصل بين موسى وفرعون، فقال:

١ ـ (ولقد دخل موسى بن عمران ومعه أخوه هارون عليهما السلام على فرعون) وهما مثلان لجهتين مناقضتين تماماً؛ فإنّ موسى واخيه هارون يمثلان المستضعفين، وفرعون في اعلى السلطة يمثل المستكبرين.

٢ ـ (وعليهما مدارع الصوف وبأيديهما العصي) وهي خصائص المستضعفين، بالاكتفاء بحالة الحاضر في الحياة الشخصية.

٣ ـ(فشرطا له إن أسلم ، بقاء ملكه ودوام عزه) وهو الشرط من جانب المستعضفين لما في الاسلام الذي هو دين الله من الدعوة إلى العدالة في الحكم والتي تستلزم بقاء الملك ودوام العز عن استحقاق بسبب تلاحم الشعب مع الحكم والتفافه حول الحاكم العادل، وكان جواب فرعون مخاطبة اصحابه معرضا عن موسى وهارون:

٤ ـ (فقال : ألا تعجبون من هذين؟ يشترطان لي دوام العز وبقاء الملك وهما بما ترون من حال الفقر والذل) وطبيعي ان يكون جواب حاشيته أن تسمعه ما يحب ان يسمع بالاثبات، وان هذه الدعوة تدعو الى العجب جهلاً أو تجاهلا لفلسفة الدعوة الالهيّة.

وقد علل فرعون تعجبه بقوله:

٥ ـ (فهلا ألقي عليهما أساورة من ذهب؟) والسوار: ما يتخذ للزينة، وهو غالبا من الذهب الذي يعتبر اغلى معدن مستخرج.

والى السبب في هذا الاقتراح قال:

٦ ـ (إعظاما للذهب وجمعه)؛ لأنّ مقياس التفاضل عند المستكبرين هو المادّة والماديات.

٧ ـ (واحتقارا للصوف ولبسه)؛ لأنّ احقر الاشياء عند المستكبرين من حيث أنها المادة المستيرة لجميع الناس، فهذا المثال التاريخي بين موسى وفرعون يكشف بوضوح تباين الرؤية بين المستكبرين والمستضعفين في أهمية المادة والماديات واحتقارها.

حكمة الله: (١٩ / ط - ١٩٢)

وَلَوْ أَرَادَ ٱللهُ سُبْحَانَهُ بِأَنْبِيَائِهِ حَيْثُ بَعَثَهُمْ أَنْ يَفْتَحَ لَهُمْ كُنُوزَ الذِّهْبَانِ(١) وَمَعَادِنَ الْعِقْيَانِ(٢) وَمَغَارِسَ الْجِنَانِ وَأَنْ يَحْشُرَ مَعَهُمْ طَيْرَ ٱلسَّمَاءِ وَوُحُوشَ الْأَرَضِينَ(٣)؛ لَفَعَلَ وَلَوْ فَعَلَ لَسَقَطَ الْبَلَاءُ(٤) وَبَطَلَ الْجَزَاءُ وَاضْمَحَلَّتِ(٥) الْأَنْبَاءُ وَلَمَا وَجَبَ(٦) لِلْقَابِلِينَ أُجُورُ الْمُبْتَلَينَ وَلَا اسْتَحَقَّ الْمُؤْمِنُونَ ثَوَابَ الْمُحْسِنِينَ(٧) وَلَا لَزِمَتِ الْأَسْمَاءَ مَعَانِيها وَلٰكِنَّ ٱللهَ سُبْحَانَهُ جَعَلَ رُسُلَهُ أُولِي قُوَّةٍ فِي عَزَائِمِهِمْ وَضَعَفَةً فِيما تَرَى الْأَعْيُنُ مِنْ حَالَاتِهِمْ، مَعَ قَنَاعَةٍ تَمْلَأُ الْقُلُوبَ وَالْعُيُونَ غِنًى وَخَصَاصَةٍ(٨) تَمْلَأُ الْأَبْصَارَ والْأَسْمَاعَ أَذًى.

وَلَوْ كانَتِ الْأَنْبِيَاءُ أَهْلَ قُوَّةٍ لَا تُرَامُ(٩) وَعِزَّةٍ لا تُضامُ(١٠) وَمُلْكٍ تُمَدُّ(١١) نَحْوَهُ أَعْنَاقُ الرِّجالِ وَتُشَدُّ(١٢) إِلَيْهِ عُقَدُ الرِّحالِ لَكَانَ ذَلِكَ أَهْوَنُ على الْخَلْقِ فِي الاعْتِبارِ وَأَبْعَدَ لَهُمْ مِنَ ٱلاسْتِكْبارِ وَلَآمَنُوا(١٣) عَنْ رَهْبَةٍ قاهِرَةٍ لَهُمْ أَوْ رَغْبَةٍ مائِلَةٍ بِهِمْ فَكَانَتِ(١٤) النِّيَّاتُ(١٥) مُشْتَرَكَةً وَالحَسَناتُ مُقْتَسَمَةً(١٦).

وربما يسأل سائل: فلو كان للانبياء ما كان للمستكبرين من المادّة والماديات لاثّرت

---

(١) في هـ. ب: الذهبان اسم للذهب، وفي هـ. ص جمع ذهب كخرب وخربان، وفي هـ. ب: الذهبان جمع ذهب كما قالوا حرب وحربان وهو ذكر الحبارىٰ.
(٢) في هـ. ب: هو الذهب.
(٣) د: الأرض، وفي هـ. د: الأرضين ـ ش.
(٤) في هـ. ب: التكليف.
(٥) في ب: واضمحل، وفي هـ. ب: فنى، وفي هـ. ص أي تلاشت وفنيت والانباء جمع نبأ، يعني ان خصيصة الأنبياء: الانباء عن الله وباعتباره يتبعهم المصدقون، واذا كانوا ملوكاً يتبعهم الخلق اتباع الملوك وبطل اعتبار الخصيصة، وانما وجب للقابلين أجور المبتلين لقهرهم أنفسهم وحملها على الصبر.
(٦) في هـ. ب، نسخة: أوجب.
(٧) في هـ. ص: لأن المحسن من يفعل الخير، لأنه خير لا رغباً في الدنيا ولا رهباً فيها.
(٨) في هـ.ب، وفي نسخة: غضاضة، والخصاصة: الفقر والحاجة.
(٩) في هـ. ب: لا يطلب ولا يظفر.
(١٠) في هـ. ب: لا يظلم.
(١١) في د : تمتد.
(١٢) في ب : يشد .
(١٣) هـ. ب، في نسخة: ولأمنوا.
(١٤) في أ و د: وكانت و في هـ.ب، وفي نسخة: وكانت، وفي ص: فكانت، وفي هـ. ص: وكانت، وفي هـ.د: فكانت ـ ض ح ل ش.
(١٥) في هـ. ب، وفي نسخة: السيئات، والكلمة غير واضحة في ص.
(١٦) في ص: متقسّمة.

رسالة السماء في الارض، وكان في ذلك رضى الله سبحانه.

وفي هذا المقطع اشارة إلى الجواب عن هذا السؤال، بأن حكمة الله في النبوة ان يتمتع الإنسان برؤية واضحة في الحياة؛ استناداً إلى العقل الحر من العبودية، والاعتقاد المستند إلى المادّة والماديات في الحقيقة اعتقاد بتلك المادة والماديات، وليس اعتقادا برسالة الانبياء فقال:

١ ـ (ولو أراد الله سبحانه بأنبيائه حيث بعثهم أن يفتح لهم) بما يظفرون على عدوهم من المستكبرين بالمادّة والماديات لفعل، ولكنّه لم يفعل لحكمة الامتحان.

واشار إلى موارد من المادّة والماديات التي لا يصل اليها عقول المستكبرين ، وهي:

أوّلاً: (كنوز الذهبان) من الذهب؛ فإنّ لها كنوزاً في الارض لا يعلمها إلّا الله تعالى.

ثانياً: (ومعادن العقيان) وهي الذهب الخالص بعد التخليص من المعدن.

ثالثاً: (ومغارس الجنان) التي لا معرفة للانسان بها بعد.

رابعاً: (وأن يحشر معهم طيور السماء) بأن يستخدم الانبياء الطيور مسخرات لهم.

خامساً: (ووحوش الأرض) واستخدامها في القضاء على عدوهم.

فان ذلك كلّه تحت قدرة الله سبحانه كما يشار اليها في المعجزات والكرامـات، ولو شاء الله سبحانه (لفعل)؛ لأنّه على كلّ شئ قدير.

استخدام المادة:

فانه تعالى لم يفعل شيئا من ذلك لحكمة الامتحان، واشار إلى ذلك بقوله: (ولو فعل) ذلك باستخدام المادة والماديات في نشر الرسالة الاسلاميّة الالهية لاستلزم اموراً تنافي الحكمة ، وهي:

١ ـ (لسقط البلاء) وهو الامتحان.

٢ ـ (وبطل الجزاء) المترتب على العمل بحرية فكريّة واختيار.

٣ ـ(واضمحلت الأنباء) في الوعد والوعيد المترتب على الاعمال.

٤ ـ (ولما وجب للقابلين أجور المبتلين) حيث لم يبق فرق بين المؤمن عن وعي، أو غير وعي؛ فإنّ ذلك لا يظهر إلّا بالامتحان والابتلاء.

٥ ـ (ولا استحق المؤمنون ثواب المحسنين)؛ فإنّ العمل بدافع المادة ليس احسانا وان كان ايمانا؛ حيث يستلزم عدم الفرق بين الطائفتين.

٦ ـ (ولا لزمت الأسماء معانيها)؛ فإنّ تسمية الشئ باسم انّما هو بسبب وجود الخواص في ذلك الشئ التي هي معاني الاسم؛ فإنّ المؤمن انما يكون مؤمناً حقيقة فيما اذا وجد فيه الايمان حقيقة، وبدون ذلك يكون اسم المؤمن فارغا من المعنى. وهكذا من آمن بـالله بسبب المادّة والماديات؛ فإنّه واجدٌ للاسم فاقد للمعنى، حيث لم يظهر بالامتحان كونه واجداً للمعنى أم لا.

وهذه الاثار الفاسدة كلها بسبب فقدان الامتحان.

صفة الانبياء:

وانّ صفة الانبياء تمثل هذا الامتحان، فيؤمن برسالتهم من يؤمن عن رؤية وعقيدة من دون سبب مادي، والى ذلك أشار بقوله:

٨ و ٧ ـ (ولكن الله سبحانه جعل رسله أولي قوة في عزائمهم) لانّهم على رؤية واضحة للمبادي والوسائل والاهداف.

ثانياً: (وضعفة فيما ترى الأعين من حالاتهم) المتواضعة في المادة إلّا ما يفتقر اليها، والاعراض من الماديات مهما عظمت في اعين غيرهم، حيث ان مقياس التفاضل عندهم ليس المادّة والماديات.

ثالثاً: (مع قناعة تملأ القلوب والعيون غنىً)؛ فإنّ القناعة في الحياة تـجعل القـلوب الواعية تشعر بالغنى الروحي، والعيون بالراحة من النظر في حفظ ما لايدوم.

رابعاً: (وخصاصة تملأ الأبصار والأسماع أذىً) والخصاصة: الجوع، فانها تؤثر على الإنسان وخاصة الانبياء بالأذى في رؤية البصر والسماع بالأذن؛ لتأثر هذين الحاستين به قبل غيرهما من اعضاء الجسم.

فان هذه الخصائص التي كانت في الانبياء تجعل المتأمّل لدعوتهم ناظراً إلى حقيقة الدعوة، وليس إلى ما يرافق الدعوة من المظاهر المغرية بالخلابة.

حكمة الله تعالى:

وشرح الحكمة الالهيّة في رسالة الانبياء وهي الامتحان بقوله:

١ ـ (ولو كانت الأنبياء أهل قوة لا ترام) أي لا تقهر؛ لعظمة القوّة المادية لهم.

٢ ـ (وعزة لا تضام) أي لا تظلم بنقصان العزة المادية والسلطة.

٣ ـ(وملك تمتد نحوه أعناق الرجال) كناية إلى رغبة كلّ الناس من الوصول إلى ذلك

الملك والعظمة.

٤ ـ (وتشد إليه عقد الرحال) فيتعدّون عدّة السفر للوصول إلى ذلك الملك؛ فإنّ ملك الانبياء على هذا الوصف يقدّر من قبل الناس بالآثار الماديّة اليه.

أوّلاً: (لكان ذلك أهون على الخلق في الاعتبار) فلا معارض لهم و حينئذ يسهل استجابة الناس إلى دعوتهم.

ثانياً: (وأبعد لهم في الاستكبار) فلا مستكبر عليهم من احد من المعارضين؛ لقوتهم المادية.

ثالثاً: (ولآمنوا عن رهبة قاهرة لهم) من المستكبرين، حيث انهم يتمتعون بالقوة المادية التي توجب الايمان عن قسر للعدو.

رابعاً: (أو رغبة مائلة بهم) فانهم يأمنون من رغبة في انفسهم تميل بهم عن اداء الرسالة الالهية.

وهذه النقاط الاربع تضمن النجاح في الدنيا من منظار مادي بحت، ونتيجتها امران:

الأوّل: (فكانت النيات مشتركة) حيث لا يتميز المخلص في الاعتقاد عن غيره.

فان المعلن بالايمان قد يكون من الذين امنوا بمبادي الدعوة واهدافها، وقد يكونوا ممن آمن لما للدعوة من المظاهر المادية، فالنيات غير معروفة، بل هي مشتركة بين النيّة الصالحة المخلصة وغيرها.

الثانية: (والحسنات مقتسمة)؛ فإنّ المعلن لقبول الدعوة لا يكون له الخلوص التام في الهدف، فيكون هدفة مقسما بين العمل لله وبين العمل للوصول إلى السلطة والمادة.

وهاتان النتيجتان باعتبار انهما تخالفان هداف الرسالة التي هي الاعتقاد بالله و لله.

(٢٠/ط ـ ١٩٢) الامتحان هو المقياس:

وَلَكِنَّ ٱللهَ سُبْحَانَهُ أَرَادَ أَنْ يَكُونَ الْاتِّبَاعُ لِرُسُلِهِ وَالتَّصْدِيقُ بِكُتُبِهِ وَالخُشُوعُ لِوَجْهِهِ وَٱلاسْتِكَانَةُ[١] لِأَمْرِهِ وَالاسْتِسْلَامُ لِطاعَتِهِ أُمُوراً لَهُ خاصَّةً لَا يَشُوبُهَا[٢] مِنْ غَيْرِهَا شائِبَةٌ. وَكُلَّمَا كَانَتِ ٱلْبَلْوَى وَالإِخْتِبَارُ أَعْظَمَ كَانَتِ المَثُوبَةُ وَٱلْجَزَاءُ أَجْزَلَ[٣].

(١) في هـ. ب : الخشوع.
(٢) في ب: لا تشوبها.
(٣) في هـ. ص: أي أكثر، والجزيل: العظيم، وعطاء جزل وجزيل، والجمع: جزال، من الشرح.

وأشار الإمام عليه السلام في هذا المقطع الى أن الامتحان هو المقياس في التفاضل، ولا يكون إلّا بالدعوة إلى رسالة السماء مجردة من المادّة والماديات، واعلان الدعوة لمن يتقبلها بحرية فكرية من دون تأثير خارجي على الفكر الحر السليم؛ فإنّ هذا هو الفارق الاصلي بين الدين والملك، فلا ينبع اصحاب السلطة إلّا طلاب المادّة والماديات، كما لا يتبع الانبياء والرسل سوى طلاب الحقيقة والعدالة، والى ذلك أشار بقوله:

(ولكن الله سبحانه أراد أن يكون) في الدعوة إلى رسالة السماء الالتزام بالنقاط التالية:

أوّلاً: (الاتباع لرسله) في الحياة نظريا وعمليا، كما هو مشروح في قصص الانبياء.

ثانياً: (والتصديق بكتبه) المنزلة على جميع الانبياء لحمل رسالة الله.

ثالثاً: (والخشوع لوجهه) بالنيّة الخالصة له تعالى، دون غيره من المادّة والماديات.

رابعاً: (والاستكانة لأمره) اي طلب امكانه بالتطبيق لحكم الله على الارض.

خامساً: (والاستسلام لطاعته) وحده، دون غيره من المادة والماديات.

وهذه النقاط الخمس يعتبر فيها النيّة الخالصة لله ليكون (أمورا له خاصة لا تشوبها من غيرها شائبة) الشرك الخفيّ، ولا يكون ذلك مع تمتع الانبياء بالمادة والماديات كسائر الملوك واصحاب السلطات.

ثم ختم هذا المقطع بقوله: (وكلما كانت البلوى والاختبار أعظم كانت المثوبة والجزاء أجزل) ولذلك اختلف درجات الانبياء والاولياء، ثمّ الامثل فالامثل، فالمقاييس في التفاضل هو الامتحان حتى يختار الحق من يختار بحرية الفكر والارادة، والله المستعان.

(٢١/ط ـ ١٩٢) القسم الخامس ـ الكعبة المقدسة:

فى مشاعر الدين التي فيها حكمة الامتحان للخلق من رب العالمين، ومنها: الكعبة المقدسة، فقال:

أَلَاتَرَوْنَ أَنَّ ٱللهَ سُبْحَانَهُ ٱخْتَبَرَ الأَوَّلِينَ مِنْ لَدُنْ آدَمَ[١] إِلَى الآخِرِينَ مِنْ هَـذَا ٱلْـعَالَم بِأَحْجَارٍ لَا تَضُرُّ وَلَا تَنْفَعُ وَلَا تُبْصِرُ وَلَا تَسْمَعُ[٢]. فَجَعَلَهَا بَيْتَهُ ٱلْحَرَامَ الَّذِى جَعَلَهُ[٣] لِلنَّاسِ

(١) في ص زيادة :
(٢) في ب ولا تسمع ولا تبصر.
(٣) في ص زيادة: الله، وفي هـ. ب: في نسخة زيادة: الله.

قِياماً(١). ثُمَّ وَضَعَهُ بِأَوْعَرِ(٢) بِقَاعِ ٱلْأَرْضِ حَجَراً، وَأَقَلِّ نَتَائِقِ(٣) الأَرْضِ(٤) مَدَراً. وَأَضْيَقِ بُطُونِ الْأَوْدِيَةِ قُطْراً(٥) بَيْنَ جِبَالٍ خَشِنَةٍ وَرِمَالٍ دَمِثَةٍ(٦). وَعُيُونٍ وَشِلَةٍ(٧) وَقُرًى مُنْقَطِعَةٍ لَايَزْكُو(٨) بِهَا خُفٌّ. وَلَا حافِرٌ وَلَا ظِلْفٌ.

(ألا ترون أن الله سبحانه أختبر الأولين من لدن آدم صلوات الله عليه إلى الآخرين من هذا العالم) فان آدم كان اول من بنى الكعبة المقدسة، وجدّد بناءها ابراهيم وولده اسماعيل، رمزاً لمشاعر دين الله سبحانه، واشار إلى الكعبة المقدسة كمورد للاختبار، ووصفها باوصاف ذاتيّة لها اشار الى بعضها بقوله:

١ ـ (بأحجار لا تضر ولا تنفع) باعتبار مادتها.

٢ ـ (ولا تبصر ولا تسمع) شأنها شأن كلّ الاحجار من مخلوقات الله.

٣ ـ (فجعلها بيته الحرام) حيث جعله ذا حرمة وقدسية ترمز الى وحدة العقيدة بالله.

٤ ـ (الذي جعله للناس قياما) وهو اقتباس من القران الكريم، سورة البقره، الآية ١٢٥)؛ فإنّ هذا الرمز الذي يقيّم احوال الناس في الدنيا والاخرة إلى دين الله سبحانه.

ومن اجل ذلك عرفه سبحانه بأنّه بيت الله في قوله تعالى: ﴿وَعَهِدْنَا إِلَىٰ إِبْرَاهِيمَ وَإِسْمَاعِيلَ أَن طَهِّرَا بَيْتِيَ لِلطَّائِفِينَ وَٱلْعَاكِفِينَ وَٱلرُّكَّعِ ٱلسُّجُودِ﴾ (٩).

وتكررت الاحاديث بأنّ الناس لو تركوا حجّ البيت عاما واحداً لهلكوا؛ فإنّ هلاك اية امة انما هو بهلاك رموزها، والكعبة رمز دين الله سبحانه.

وعن الموضع الجغرافي لهذا الرمز قال:

١ ـ (ثم وضعه بأوعر بقاع الأرض حجرا) حيث ان مكة المكرمة في أرض جبلية

(١) في هـ. ب: أي قائم.
(٢) في هـ. ب: أي أخشن، وفي هـ. ص: أي أصعب، والوعر: الصعب.
(٣) في هـ. ب: جمع نتقة، وفي هـ. ص: قال في الشرح: أصل هذه اللفظة من قولهم: امرأة منتاق، أي كثيرة الحبل والولادة. ويقال: ضيعة منتاق أي كثيرة الريع، فجعل عليه السلام الضياع ذوات المدر التي تثار للحرث نتائق. وقال: ان مكة أقلها صلاحاً للزرع؛ لأن أرضها حجرية.
(٤) في ا و ص و د: الدنيا، وفي هـ.د: الأرض ـ ب.
(٥) في هـ. ب: أي جانباً.
(٦) في هـ. ا: أي ليّنة، وفي هـ. ص: أي سهلة، وكلّما كان الرمل أسهل كان أبعد من أن ينبت.
(٧) في ها و ب: أي قليلة الماء، وفي هـ. ص: الوشل: قلة الماء.
(٨) أي لا ينمو.
(٩) البقرة: ١٢٥.

وعرة، والوعر: ما يصعب السكنى فيه.

٢ ـ (وأقل نتائق الأرض مدرا) والنتقة: المكان المرتفع، والمدر: التراب؛ لانها منطقة جبلية غير صالحة للزراعة كالارض السهلة.

٣ ـ (وأضيق بطون الأودية قطرا) والقطر: الجانب؛ لضيق الوديان فيها.

٤ ـ (بين جبال خشنة) لصلابة احجارها.

٥ ـ (ورمال دمثة) لسهولة ارضها.

٦ ـ (وعيون وشلة) والوشل: الماء القليل.

٧ ـ (وقرى منقطعة) لبعد المسافة فيما بينها؛ حيث لم يكن فيها حضارة كغيرها من المدن.

٨ ـ (لا يزكو بها خف) والخف هنا: الابل؛ فانها صاحبة الخف، أي لا تزيد فيها الابل سمنا لعدم وجود القوت فيها.

٩ ـ (ولا حافر) كناية عن الخيل والحمير؛ فانهما ذوات الحافر.

١٠ ـ (ولا ظلف) كناية عن الشاة؛ فإنّ لها الظلف.

فان هذه الحيوانات لا يمكنها ان تقوت بالزرع حتّى يوجب لها السمن والنموّ الطبيعي

وهذه النقاط العشر توجب الصعوبة في الحج إلى مكة المكرمة، والله سبحانه اختار هذا المنطقة الجغرافيّة مع العلم بهذه الصعوبات المستلزمة للحج اليها؛ امتحانا للخلق.

(٢٢ / ط ـ ١٩٢) حج البيت:

وقد فرض الله سبحانه حج البيت على الانبياء، اولهم آدم عليه السلام، فقال:

ثُمَّ أَمَرَ آدَمَ(١) وَوَلَدَهُ أَنْ يَثْنُوا(٢) أَعْطَافَهُمْ(٣) نَحْوَهُ فَصَارَ مَثَابَةً لِمُنْتَجَعِ(٤) أَسْفَارِهِمْ وَغَايَةً لِمُلْقَى رِحَالِهِمْ. تَهْوِى(٥) إِلَيْهِ ثِمَارُ الأَفْئِدَةِ(٦) مِنْ مَفَاوِزِ قِفَارٍ سَحِيقَةٍ وَمَهَاوِى(٧) فِجَاجٍ عَمِيقَةٍ وَجَزَائِرِ بِحَارٍ

(١) في د: زيادة عليه السلام.
(٢) في هـ. ب: أي يصرفوا، وفي هـ. ص: يلفتوا ويقصدوه.
(٣) في هـ. ب: مناكبهم، وفي هـ. ص عطفا الرجل: جانباه.
(٤) هـ. ب: موضع الانتجاع، هـ. ص: مرجعاً يثاب عليه ويرجع اليه مرة بعد أُخرىٰ.
(٥) في ب: تهوي، وفي هـ. ص: تتشوق وتنزع.

مُنْقَطِعَةٍ حَتَّى يَهُزُّوا[٨] مَنَاكِبَهُمْ[٩] ذُلُلاً يُهَلِّلُونَ لِلّٰهِ[١٠] حَوْلَهُ. وَيَرْمُلُونَ[١١] عَلَى أَقْدَامِهِمْ شُعْثاً غُبْراً لَهُ قَدْ نَبَذُوا[١٢] السَّرَابِيلَ وَرَاءَ ظُهُورِهِمْ. وَشَوَّهُوا[١٣] بِإِعْفَاءِ الشُّعُورِ مَحَاسِنَ خَلْقِهِمْ ابْتِلَاءً عَظِيماً وَامْتِحَاناً شَدِيداً وَاخْتِبَاراً مُبِيناً. وَتَمْحِيصاً[١٤] بَلِيغاً جَعَلَهُ ٱللّٰهُ سَبَباً لِرَحْمَتِهِ وَوُصْلَةً إِلَى جَنَّتِهِ.

١ ـ (ثم أمر آدم وولده) فاصبح الحج مأموراً به لآدم ومن نزل من نسله.

٢ ـ (أن يثنوا أعطافهم نحوه) والعطف: الجانبان من بدن الإنسان بالتوجه إلى البيت.

٣ ـ (فصار مثابة لمنتجع أسفارهم) والمنتجع: طلب الكلأ، فاصبح البيت المكان الذي يطلب فيه الثواب الذي يعود على المسافر اليه للفائدة الروحيّة المعنويّة، كما يحصل المسافر على الفائدة الغذائيّة التي يفتقر اليها.

٤ ـ (وغاية لملقى رحالهم)؛ فإنّ الحج مؤتمر سنوي عام للمسلمين، عنده تلقى رحال السفر الروحي.

٥ ـ (تهوي إليه ثمار الأفئدة) ثمرة الفؤاد: هو سويداء القلب، فإنّه نسب اليه ذلك باعتباره رمز الدين، فتهوى اليه القلوب من مختلف اقطار العالم، واشار منها إلى:

ـ (من مفاوز قفار سحيقة) والمفازة: الفلاة من الارض التي ليس بها بشر، والقفر من الارض التي لا بشر فيها ولا ماء ولا عشب، والسحيق: البعيد.

ـ (ومهاوي فجاج عميقة) والمهاوي: المكان المنخفض، والفج: بين الجبلين.

ـ (وجزائر بحار منقطعة) وانما اطلق عليها الجزائر؛ بحكم طبيعتها الجغرافية، لانها منقطعة عن غيرها باحاطة مياه البحر حولها.

فان المؤمن برمز الدين يهتف قلبه للوصول إلى هذه البقعة كرمز الهى للدين على وجه

---

(٦) في هـ. ص: وثمرة القلب : سويداه.
(٧) في هـ. ص: المهوي جمع مهواة: ما يهوى فيه.
(٨) في هـ. ب: يحركوا.
(٩) في هـ. ص: جمع منكب، مجمع عظم العضد والكتف.
(١٠) في ا يهلّون، وفي هـ. ص: يقولون لا اله إلّا الله، وفي هـ. د: يهلّون ـ ف ن ب ل وحاشية م.
(١١) في هـ. ص: سير فوق المشي ودون السعي.
(١٢) في هـ. ص: أي حاموا وأبعدوا.
(١٣) في هـ. ب: قبّحوا.
(١٤) في هـ. ب: تخليصاً، وفي هـ. ص: التمحيص: التطهير من محصت الذهب بالنار: إذا صفّيته.

الارض.

٦ ـ (حتى يهزوا مناكبهم ذللا) والمنكب: رأس الكتف، حيث يرفعه الحاج في ذلة تقديساً للرمز الديني وتذللا لله تعالى.

٧ ـ (يهلون لله حوله) برفع شعار التوحيد (لا اله إلّا الله) باصواتهم.

٨ ـ (ويرملون على أقدامهم شعثا غبرا له) الرمل: السعي سريعاً، والشعث: انتثار الشعر من دون تعديل، والغبر: من يعلوه غبار الطريق.

٩ ـ (قد نبذوا السرابيل وراء ظهورهم) والسربال: الثوب المعتاد لتغطية البدن، حيث يستبدلونها بأثواب الاحرام.

١٠ ـ (وشوهوا بإعفاء الشعور محاسن خلقهم) حيث تركوا التزيين للشعر بالحلق؛ لاظهار زينتها، وهم يركزون على طاعة الله سبحانه وتعالى وحده.

وعن الحكمة الالهيّة في هذا التشريع الذي يستلزم صعوبة في الحياة قال:

أوّلاً: (ابتلاء عظيما) وبالابتلاء يعرف الملتزم بالعمل على ما يرغب فيه النفس عادة، ومخالفة النفس ابتلاءٌ عظيمٌ.

ثانياً: (وامتحانا شديدا) لشدة المواقف المذكورة على الإنسان في مقام العمل.

ثالثاً: (وتمحيصا بليغا) والتمحيص: التطهر البالغ للغاية، حيث يطهّر النفس من الهوى.

رابعاً: (جعله الله سببا لرحمته)؛ فإنّ بهذا الامتحان يتوصل الإنسان إلى رحمته تعالى.

خامساً: (ووصلة إلى جنته) حيث يتقرب باداء الواجب للوصول إلى ما وعده الله سبحانه من الجنة.

فان الحج مدرسة روحيّة يخرج منها الحاج مطهراً من الذنوب مثاباً من الله سبحانه لما وعد المتقين، ومتمتعا بالأمن الروحي الذي يعادله الامان كما قال تعالى: ﴿جعلنا البيت مثابة للناس وأمنا﴾.[١]

(٢٣ / ط - ١٩٢) البديل للبيت:

وَلَوْ أَرَادَ سُبْحَانَهُ أَنْ يَضَعَ بَيْتَهُ الْحَرَامَ وَمَشَاعِرَهُ الْعِظَامَ بَيْنَ جَنَّاتٍ وَأَنْهَارٍ وَسَهْلٍ وَقَرَارٍ جَمِّ الْأَشْجَارِ دَانِيَ الثِّمَارِ مُلْتَفَّ الْبُنَى مُتَّصِلَ الْقُرَى بَيْنَ بُرَّةٍ[٢] سَمْرَاءَ وَرَوْضَةٍ خَضْرَاءَ

---

(١) البقرة : ١٢٥.
(٢) في هـ. ب: البرّة: الحنطة.

مُنْقَطِعَةٍ حَتَّى يَهُزُّوا[٨] مَنَاكِبَهُمْ[٩] ذُلُلاً يُهَلِّلونَ لِلّهِ[١٠] حَوْلَهُ. وَيَرْمُلُونَ[١١] عَلَى أَقْدَامِهِمْ شُعْثاً غُبْراً لَهُ قَدْ نَبَذُوا[١٢] السَّرَابِيلَ وَرَاءَ ظُهُورِهِمْ. وَشَوَّهُوا[١٣] بِإِعْفَاءِ الشُّعُورِ مَحَاسِنَ خَلْقِهِمْ ابْتِلَاءً عَظِيماً وَامْتِحَاناً شَدِيداً وَاخْتِبَاراً مُبِيناً. وَتَمْحِيصاً[١٤] بَلِيغاً جَعَلَهُ ٱللّٰهُ سَبَباً لِرَحْمَتِهِ وَوُصْلَةً إِلَى جَنَّتِهِ.

١ ـ (ثم أمر آدم وولده) فاصبح الحج مأموراً به لآدم ومن نزل من نسله.

٢ ـ (أن يثنوا أعطافهم نحوه) والعطف: الجانبان من بدن الإنسان بالتوجه إلى البيت.

٣ ـ (فصار مثابة لمنتجع أسفارهم) والمنتجع: طلب الكلأ، فاصبح البيت المكان الذي يطلب فيه الثواب الذي يعود على المسافر اليه للفائدة الروحيّة المعنويّة، كما يحصل المسافر على الفائدة الغذائيّة التي يفتقر اليها.

٤ ـ (وغاية لملقى رحالهم)؛ فإنّ الحج مؤتمر سنوي عام للمسلمين، عنده تلقى رحال السفر الروحي.

٥ ـ (تهوي إليه ثمار الأفئدة) ثمرة الفؤاد: هو سويداء القلب، فإنّه نسب اليه ذلك باعتباره رمز الدين، فتهوى اليه القلوب من مختلف اقطار العالم، واشار منها إلى:

ـ (من مفاوز قفار سحيقة) والمفازة: الفلاة من الارض التي ليس بها بشر، والقفر من الارض التي لا بشر فيها ولا ماء ولا عشب، والسحيق: البعيد .

ـ (ومهاوي فجاج عميقة) والمهاوي: المكان المنخفض، والفج: بين الجبلين.

ـ (وجزائر بحار منقطعة) وانما اطلق عليها الجزائر؛ بحكم طبيعتها الجغرافية، لانها منقطعة عن غيرها باحاطة مياه البحر حولها.

فان المؤمن برمز الدين يهتف قلبه للوصول إلى هذه البقعة كرمز الهى للدين على وجه

(٦) في هـ. ص: وثمرة القلب : سويداه.
(٧) في هـ. ص: المهوي جمع مهواة: ما يهوى فيه.
(٨) في هـ. ب: يحركوا.
(٩) في هـ. ص: جمع منكب، مجمع عظم العضد والكتف.
(١٠) في ا يهلّون، وفي هـ. ص: يقولون لا اله إلّا الله، وفي هـ. د: يهلّون ـ ف ن ب ل وحاشية م.
(١١) في هـ. ص: سير فوق المشي ودون السعي.
(١٢) في هـ. ص: أي حاموا وأبعدوا.
(١٣) في هـ. ب: قبّحوا.
(١٤) في هـ. ب: تخليصاً، وفي هـ. ص: التمحيص: التطهير من محصت الذهب بالنار: إذا صفّيته.

الارض.

٦ ـ (حتى يهزوا مناكبهم ذللا) والمنكب: رأس الكتف، حيث يرفعه الحاج في ذلة تقديساً للرمز الديني وتذللا لله تعالى.

٧ ـ (يهلون لله حوله) برفع شعار التوحيد (لا اله إلّا الله) باصواتهم.

٨ ـ (ويرملون على أقدامهم شعثا غبرا له) الرمل: السعي سريعاً، والشعث: انتثار الشعر من دون تعديل، والغبر: من يعلوه غبار الطريق.

٩ ـ (قد نبذوا السرابيل وراء ظهورهم) والسربال: الثوب المعتاد لتغطية البدن، حيث يستبدلونها بأثواب الاحرام.

١٠ ـ (وشوهوا بإعفاء الشعور محاسن خلقهم) حيث تركوا التزيين للشعر بالحلق؛ لاظهار زينتها، وهم يركزون على طاعة الله سبحانه وتعالى وحده.

وعن الحكمة الالهيّة في هذا التشريع الذي يستلزم صعوبة في الحياة قال:

أوّلاً: (ابتلاء عظيما) وبالابتلاء يعرف الملتزم بالعمل على ما يرغب فيه النفس عادة، ومخالفة النفس ابتلاءٌ عظيمٌ.

ثانياً: (وامتحانا شديدا) لشدة المواقف المذكورة على الإنسان في مقام العمل.

ثالثاً: (وتمحيصا بليغا) والتمحيص: التطهر البالغ للغاية، حيث يطهّر النفس من الهوى.

رابعاً: (جعله الله سببا لرحمته)؛ فإنّ بهذا الامتحان يتوصل الإنسان إلى رحمته تعالى.

خامساً: (ووصلة إلى جنته) حيث يتقرب باداء الواجب للوصول إلى ما وعده الله سبحانه من الجنة.

فان الحج مدرسة روحيّة يخرج منها الحاج مطهراً من الذنوب مثاباً من الله سبحانه لما وعد المتقين، ومتمتعا بالأمن الروحي الذي يعادله الامان كما قال تعالى:﴿جعلنا البيت مثابة للناس وأمنا﴾.[١]

(٢٣ / ط ـ ١٩٢) البديل للبيت:

وَلَوْ أَرَادَ سُبْحَانَهُ أَنْ يَضَعَ بَيْتَهُ الْحَرَامَ وَمَشَاعِرَهُ الْعِظَامَ بَيْنَ جَنَّاتٍ وَأَنْهَارٍ وَسَهْلٍ وَقَرَارٍ جَمَّ الْأَشْجَارِ دَانِيَ الِّثمَارِ مُلْتَفَّ الْبُنَى مُتَّصِلَ الْقُرَى بَيْنَ بُرَّةٍ[٢] سَمْرَاءَ وَرَوْضَةٍ خَضْرَاءَ

(١) البقرة : ١٢٥.
(٢) في هـ. ب: البرّة: الحنطة.

وَأَرْيَافٍ(١) مُحْدِقَةٍ وَعِرَاصٍ(٢) مُغْدِقَةٍ وَرِيَاضٍ ناضِرَةٍ(٣) وَطُرُقٍ عَامِرَةٍ لَكَانَ قَدْ صَغُرَ قَدْرُ الْجَزَاءِ عَلَى حَسَبِ ضَعْفِ البَلاَءِ. وَلَوْ كَانت(٤) الْأَسَاسُ الَمحْمُولُ عَلَيْها(٥) وَالْأَحْجَارُ المَرْفُوعُ بِها بين زُمُرُّدَةٍ(٦) خَضْرَاءَ وَيَاقُوتَةٍ حَمْرَاءَ وَنُورٍ وَضِياءٍ لَخَفَّتَ(٧) ذَلِكَ مُصَارَعَةَ(٨) ٱلشَّكِّ فِى الصُّدُورِ وَلَوَضَعَ مُجَاهَدَةَ إِبْلِيسَ عَنِ الْقُلُوبِ وَلَنَفَى مُعْتَلَجَ(٩) الرَّيْبِ مِنَ النَّاسِ.

والبيت الله الذي هو رمز للدين يدعوا الناس إلى التقرب إلى الله سبحانه ولو كان للبيت بديلا وكان رمزاً يوصل إلى القرب المعنوي، والبديل اما ان يكون له اوصاف جغرافية أو صفات ذاتيّة اما الصفات الجغرافية:

١ ـ (ولو أراد سبحانه أن يضع بيته الحرام ومشاعره العظام) والمشاعر: أماكن المناسك التي يتوب بها الى الله في تلك المواضع، موضوعه في مكان لا يتصف بالصعوبة المتقدمة، بأن كانت:

٢ ـ (بين جنات وأنهار) تجري على الارض ممّا يتمتع بها الإنسان عادة.

٣ ـ (وسهل وقرار) وهو المطمئن من الارض، الممكن الوصول اليه بسهولة.

٤ ـ (جم الأشجار) والجم: الكثرة بسبب كثرة المياه وسهولة الارض.

٥ ـ (داني الثمار) لدنوها إلى من يقطف الثمر من دون آلة.

٦ ـ (ملتف البنى) بالتفاف الابنية حولها واستمساك بعضها ببعض.

(١) في هـ. ب: جمع ريف، وهو كل أرض بها خصب في هـ ص: جمع ريف، وهو الخصب.
(٢) هـ. ب: جمع عرصة.
(٣) في هـ. ص: كثيرة الماء والنداوة.، وفي أ و هـ ص و د : وزروع.
(٤) في غير ط و د: كان . هـ. د: كان ـ ض و ح و ب .
(٥) في هـ. ص: يجوز ان يكون المناسب ضمير النسب في المحمول المرفوع، ويجوز أن يكون الجار والمجرور.
(٦) في هـ. ص: فصّ أخضر.
(٧) في أ و ب و د: لخفف و في هـ. د: لحقت ـ ب، وفي هـ. ب: خفف ذلك مفعوله مضارعة الشك.
(٨) في ص و ط و د: مصارعة، بالصاد، وفي ط: مسارعة، وفي هـ ب : في نسخة: مصارعة الشك. وفي هـ ب :أي مشابهة، وفي هـ. ص :بالصاد المهملة مفاعلة من الصرع، ويروى بالصاد معجمة، ومعناه مقاربة الشك ودنوّه من النفوس، وأصله من مصارعة المقدر اذا حان ادراكها، ومن مضارعة الشمس اذا دنت للغروب، من الشرح ١٣: ١٥٧.
(٩) في هـ. ب: من الاعتلاج وهو منازعة اليقين و هـ. ص: أي اضطرابه وقلقه.

٧ ـ (متصل القرى) كوحدة سكنيّة متصلة.

٨ ـ (بين برة سمراء) والبرّة: الحنطة، كناية عن وفرتها المعد للاستهلاك.

٩ ـ (وروضة خضراء) من الرياض والأوراد المعدة للنظر.

١٠ ـ (وأرياف محدقة) والريف: الارض الخصبة المعدة للرعي باحاطتها حول المنطقة.

١١ ـ (وعراص مغدقة) والعرصة: الساحة، والاغراق: نزول المطر عليها.

١٢ ـ (ورياض ناضرة) لحسن منظرها في نضرتها.

١٣ ـ (وطرق عامرة) بالبنيان المعد للراحة والاستئناس بها في السكنى.

وهذه الصفات الثلاث عشر لو تواحدت في مكان فانها تشغل القلب بالمناظر الخلابة فيها ؛ لانها تعد جنّة الله على الارض ممّا يفتقر اليه الإنسان في الحياة من المسكن والمنظر، وبذلك لا يمكن الحاج المتوجة إلى الله سبحانه بنيّة خالصة، حيث ان الوضع الجغرافي لابد وان يؤثر في طبعية الإنسان الذي يفضل الخلود الى الراحة.

وعن نتيجة هذا الموضع الجغرافي قال:

(لكان قد صغر قدر الجزاء على حيث ضعف البلاء)، وذلك لأنّ النيّة لم ينعقد بالتركيز على رضى الله تعالى وحده، بل يشاركها تأثير الطبيعة الحاكمة ايضا، فيكون البلاء والامتحان ضعيفا بنفس الدرجة، وبالنتيجه يكون الجزاء ايضا مقدرا على ذلك كما قال: كلما كانت البلوى والاختبار اعظم كانت المثوبة والجزاء اجزل.

وعن صفات البيت البديل الذاتيّة قال:

١ ـ (ولو كان الأساس المحمول عليها) وهو القاعدة التي يبتني عليها البيت، ويحمل البناء كله.

٢ ـ (والأحجار المرفوع بها) بناءً على القاعدة الاساس.

٣ ـ (بين زمردة خضراء) والزمردة حجر كريم شديد الخضرة.

٤ ـ (وياقوتة حمراء) والياقوتة حجر كريم شفاف في ألوان مختلفة، واغلاها الحمراء.

٥ ـ (ونور وضياء) ممّا يتمتع بها الإنسان في الحياة.

وهذه هي الصفات التي يشتاق اليها الإنسان في البيت المادي، كما يتهافت عليها الملوك والرؤساء في حياتهم المادية.

ولبناء البيت البديل بهذه الاوصاف ايجابيات وسلبيات.

اما الايجابيات، فقد اشار اليها بقوله:

أوّلاً: ـ (لخفف ذلك مسارعة الشك في الصدور)؛ فإنّ الحاج يستجيب دعوة الانبياء بسهولة حيث انهم يجدون في اجابة الدعوة ما يبغونه في الدنيا من الراحة، فـلا يكـون الشك من وساوس ابليس مؤثراً تأثيراً تاماً بل خفيفا؛ فإنّ الشك يتفادح بسبب وساوس الخناس في صدور الناس على كل حال من الاسباب الداعية الى الحج، ولكن الحاج يقوم بها؛ لأنّه لا يجد في ذلك ضررا ماديّاً، وفيه دفع لضرر محتمل، وهذا التحفيف مطلوب في محاربة العدو ابليس.

ثانياً: ـ (ولوضع مجاهدة إبليس عن القلوب) ونتيجة القيام بالحج في هذه الحالة لا يفتقر الحاج الى مجاهدة ابليس؛ حيث لا يفتقر إلى المجاهدة بعد حصول الراحة بامتثال الامر إلى شيئ يوافق هوى النفس.

ثالثاً: (ولنفى معتلج الريب من الناس) والاعتلاج: الالتطام؛ فإنّ الحج إلى ما فيه مشقة وتعب للناس يولد ريبا متلاطما في الفكر في الحكمة الداعية إلى الحج الى بيت اتخذه الله رمزاً مع فقدان ما يوافق الطبيعة.

فان بناء البيت البديل بما يرافقه من طبيعته من توفر وسائل الراحة في السفر والمظهر والمنظر يكون مرغّبا للناس اكثر فاكثر.

وهذه النقاط الايجابية تدعوا إلى بناء بيت رمزي بديل يتمتع بهذه الصفات المادية.

(٢٤/ط ـ ١٩٢) وامّا السلبيّات :

وَلَكِنَّ ٱللهَ[1] يَخْتَبِرُ عبادَهُ بِأَنْوَاعِ الشَّدَائِدِ، وَيَتَعَبَّدُهُمْ بِأَنْوَاعِ[2] الْمجَاهِدِ[3] وَيَبْتَلِيهِمْ بِضُرُوبِ المَكَارِهِ إِخْرَاجاً لِلتَّكَبُّرِ مِنْ قُلُوبِهِمْ، وَإِسْكَاناً لِلتَّذَلُّلِ فِى نُفُوسِهِمْ. وَلِيَجْعَلَ ذَلِكَ أَبْوَاباً فُتُحاً إِلَى فَضْلِه وَأَسْبَاباً ذُلُلاً لِعَفْوِه.

فهي بايجاز جهلٌ بالحكمة من هذه التشريعات التي لا توافق طبيعة الإنسان لأنّها الما شرّعت لحكمة الامتحان، ولا تحقق للامتحان إلّا بامور لا ترغب فيها طبيعة الإنسان،

(١) في ب زيادة :سبحانه.
(٢) في أ و ب : بألوان.
(٣) في هـ. ب: من الجهد.

والى ذلك اشار بقوله:

ـ (ولكن الله يختبر عباده)؛ فإنّ الاختبار ضروريّ في كلّ مراحل الحياة حتّى لا يقع الانسان فريسة للشهوات، وتحقق الغاية المطلوبة من خاق الإنسان في حياته بأداء دوره المطلوب من المسؤولية وعن طريق الامتحان قال:

أوّلاً: ـ (بأنواع الشدائد)؛ فإنّ الاختبار والامتحان لايكون في شيْ واحد وفي مرحلة واحدة، بل لابد من أن تعدد الأنواع حتّى يتعوّد النفس على القيام بمسؤوليّاتها في كلّ شدّة.

ثانياً: ـ (ويتعبّدهم بأنواع المجاهد) وهو جمع مجهدة أي المشقة؛ فإنّ العبادة التي لا مشقّة فيها ليست امتحانا بل عادة مستأنسة.

ثالثاً: (ويبتليهم بضروب المكاره)؛ فإن ﴿عسى ان تكرهوا شيئاً وهو خير لكم﴾.[1]

والابتلاء: الامتحان، في انواع منها حتّى يصبح للانسان ملكة المناعة.

وإلى الهدف الاصيل في هذا الامتحان أشار بقوله:

١ ـ (إخراجا للتكبر من قلوبهم)؛ فإنّ التكبر يعد من اكبر وسائل ابليس للوقيعة بين الناس.

٢ ـ (وإسكانا للتذلل في نفوسهم) بالخضوع لله الحق وحده دون سواه.

٣ ـ(وليجعل ذلك أبوابا فتحا إلى فضله)؛ فإنّ كلّ مرحلة من الامتحان يعتبر فـرصة للتعديل، كانها ابواب فتحت للرجوع إلى الله والوصول إلى فضله بالتوبة.

٤ ـ (وأسبابا ذللا لعفوه)؛ فإنّ نتيجة التوبة هي العفو من الله سبحانه، فإنّه هو التوّاب الرحيم.

ولولا هذه طرق الاختبار والامتحان المتكثرة لما كان الطريق للانسان مفتوحاً فـي مختلف الابواب، والله الموفق للصواب.

(٢٥/ط ـ ١٩٢) الفرائض الاسلامية: الصلاة الزكاة الصوم:

فَاللهَ ٱللهَ فِى عَاجِلِ ٱلْبَغْيِ وَآجِلِ وَخَامَةِ[2] الظُّلْمِ وَسُوءِ عَاقِبَةِ ٱلْكِبْرِ[3] فَإِنَّهَا

(١) البقرة: ٢١٦.
(٢) في هـ. ب: الوخم: الشرّ وبلد وخيم اذ لم يوافق ساكنه.
(٣) في أ: التكبّر.

مَصْيَدَةُ(١) إِبْلِيسَ ٱلْعُظْمَى وَمَكِيدَتُهُ(٢) ٱلْكُبْرَى الَّتِي تُسَاوِرُ(٣) قُلُوبَ الرِّجَالِ مُسَاوَرَةَ السُّمُومِ ٱلْقَاتِلَةِ. فَمَا تُكْدِي أَبَداً(٤) وَلَا تُشْوِي(٥) أَحَداً لَا عَالِماً لِعِلْمِهِ وَلَا مُقِلّاً(٦) فِي طِمْرِهِ(٧) وَعَنْ ذَلِكَ مَا حَرَسَ ٱللهُ عِبادَهُ الْمُؤْمِنينَ بِالصَّلَوَاتِ وَالزَّكَوَاتِ وَمُجَاهَدَةِ ٱلصِّيامِ فِي الأَيَّامِ الْمَفرُوضَاتِ تَسْكِيناً لِأَطْرَافِهِمْ(٨) وَتَخْشِيعاً لِأَبْصارِهِمْ وَتَذْلِيلاً لِنُفُوسِهِمْ، وَتَخْفِيضاً(٩) لِقُلُوبِهِمْ وَإِذْهَاباً لِلْخُيَلاَءِ(١٠) عَنْهُمْ لِمَا(١١) فِي ذَلِكَ مِنْ تَعْفِيرِ عِتائقِ(١٢) ٱلْوُجُوهِ بِالتُّرَابِ تَوَاضُعاً وَالْتِصَاقِ(١٣)، كَرَائِمِ الْجَوَارِحِ بِالأَرْضِ تَصَاغُراً. وَلُحُوقِ الْبُطُونِ بِالمُتُونِ مِنَ الصِّيَامِ تَذَلُّلاً مَعَ مَا فِي الزَّكَاةِ مِنْ صَرْفِ ثَمَرَاتِ الأَرْضِ وَغَيْرِ ذَلِكَ إِلَى أَهْلِ المَسْكَنَةِ وَٱلفَقْرِ(١٤).

أَنْظُرُوا إِلَى مَا فى هَذِهِ الأَفْعالِ(١٥) مِنْ قَمْعِ(١٦) نَوَاجِمِ(١٧) الفَخْرِ وَقَدْعِ(١٨) طَوَالِعِ

---

(١) في هـ. ب في نسخة: مصيدة، موضع الصيد. و في هـ. أ: في الديوان المصيدة ما يصاد به، وفي غيره: المصيدة وهي البقعة يصاد بها. وفي هـ ص: مصيدة بفتح الميم وسكون الصاد وفتح الياء: ما يصاد به.

(٢) في هـ. ص: المكيدة: في الأصل صخرة يصل اليها حافر البئر فلا يقدر على الوصول الى الماء، فاستعير لمطلق الحرمان والخيبة.

(٣) في هـ. ب: تخالط: مفاعلة من السورة وهي السطوة والحملة، وفي هـ ص: أي نوائب وتنازل.

(٤) في هـ. ب: من الكدية. قلت: أكدىٰ الحافر اذا عجز عن التأثير في الأرض.

(٥) في هـ. ب الاشواء: خطأ المقتل. وفي هـ ص: يقال رمىٰ فأشوىٰ أي لم يصب المقتل كانه يصيب الشوىٰ وهي الأطراف كاليد والرجل.

(٦) في هـ. ب: فقيراً.

(٧) في هـ. ب: ثوب خلق.

(٨) في هـ. ب: أعضائهم.

(٩) في ص: تحفيظاً ،وفي هـ. ب: تسكيناً.

(١٠) في هـ. ب: الكبر.

(١١) في هـ. ص :توضيح لوجه العليّة في المنصّفات، فهو علّة كونها علّة.

(١٢) في ط: عتاق، وفي هـ. د: عتاق ـ ض و ب و ح، وفي هـ. ب: أي أحرار.

(١٣) في أ و ص: الصاق، وفي هـ. د: الصاق ـ ف و ن و ل.

(١٤) في هـ. ص :هذا وجه ذلك أيضاً، وذلك لأن الفقير يصير شريكاً قاهراً لرب المال لسلطان الله عزوجل فيعطيه ذلك كما يعطي للسلطان.

(١٥) في هـ. د: هذه الأحوال ـ م.

(١٦) في هـ. ب: قلع.

(١٧) النواجم من نجم اذا طلع وظهر ، وفي هـ. ب: جمع نجم وهو ما طلع من الأرض.

(١٨) في هـ. ب في نسخة ظاهراً فرغ، وفي هـ. أ: قدعه: أي كفه وفي ب، وفي هـ. ب: الفدع: الكف. وفي هـ.ص : وهي بالدال المهملة: الكف قدعت الفرس كففته وكبحته باللجام.

الْكِبْرِ.

ومن رموز الدين التي أشار اليها الإمام الفرائض الاسلامية من الصلوات والزكات والصيام.

فهي جميعا تشترك مع رمز الكعبة المعظمة في انها رموز للدين، وانها موارد للامتحان الالهي، وانها جميعا تطهّر القلوب من الكبر الذي هو من اكبر وسائل الشيطان في الاضلال، وفي هذا المقطع اشار إلى دور الكبر ودور الفرائض الاسلامية في محاربة الكبر.

دور الكبر:

حذّر الإمام من الكبر باوصاف غاية في الانذار، وجعل من اعظم الموبقات البغي والظلم والكبر، فقال: (فالله الله) أي اتقوا الله بالحذر من الموبقات الثلاث:

أوّلاً: البغي، (فالله الله في عاجل البغي) وهو العدول عن الحق؛ فإنّ للبغي اثاراً عاجلة منذ حصول البغي على الباغي نفسه وعلى المجتمع كما يشهد بذلك دراسة احوال البغاة في التاريخ.

ثانياً: الظلم، (وآجل وخامة الظلم)؛ فإنّ الظلم في الدرجة الثانية من الأثر حيث انّه يستغرق فترة زمينة لمعرفة الظلم واسبابه وطرق المقاومة ضده، وحينما تظهر حقيقة الظلم يكون له عاقبة وخيمة أشدّ على الظالم من ظلمه، كما يشهد بذلك دراسة احوال الحكام الذين ظلموا الشعوب.

ثالثاً: الكبر، (وسوء عاقبة الكبر)؛ فإنّ تكبر الإنسان في نفسه والامم في قوّتها تجعلها في نشوة لا يمكنها ان تتصور حصول قوة اقوى منها، فتتصرف كأنّها القوّة الوحيدة، وسوء عاقبتها انّه يجمع الضرر عاجلا واجلاً في الدنيا والاخرة؛ فإنّ أول من يبتعد من المتكبر اقرب الناس اليه، فينصرف عنه قلبه، والتفرق عنه اساس كلّ شرّ، ومن أجل ذلك وصفها الإمام باوصاف خاصة دون غيره من الموبقات، فقال:

١ ـ (فإنها مصيدة إبليس العظمى) لانّ لهذه الالة في المجتمع اعظم الاثر.

٢ ـ (ومكيدته الكبرى) والكيد: الخديعة المنمّقة التي لا يمكن معرفة وجه الخدعة فيها.

٣ ـ (التي تساور قلوب الرجال)؛ فإنّ الكبر محبب الى الانسان بالطبع، والتساور: الوثوب؛ فإنّ الكبر يستولي على القلب بسهولة حيث ان به رضى النفس.

٤ ـ (مساورة السموم القاتلة)؛ فإنّ السم يؤثر بسرعة لانتشار السبب بسرعة في الجسم والقلب.

٥ ـ (فما تكدي أبدا) والكدي: المنع من الاثر، ومن ذلك تسمى الارض الصلبة: الكدية.

٦ ـ (ولا تشوي أحدا) والشوء: الخطأ في الضربة، بل يصيب الكبر مرماه.

٧ ـ (لا عالما لعلمه)؛ فإنّ العلم بالمنافع والاضرار امر نظري.

٨ ـ (ولا مقلا في طمره) والمقل: الفقير، والطمر: الثوب الخلق.

فان للكبر اثره في القلب كأثر الكهرباء في الجسم، حيث تتقبله النفس الأمّارة بالسوء إلّا ما رحم ربي.

دور الفرائض:

وللفرائض الاسلامية الدور الوحيد في منع الكبر في الإنسان؛ لما فيها من الاعمال التي تتطلب ترويض النفس الانسانية حتّى لا تخضع لكبر ابداً؛ فإنّ تلك الفرائض تستلزم من الاخلاص والجهد في العمل ما لا يمكن ان يتحملّه المتكبر.

وقد عدد الامام ثلاث من هذه الفرائض وآثارها بقوله:

١ ـ (وعن ذلك ما حرس الله عباده المؤمنين) فإنّه حرسهم لفرائضه من أثر الكبر. قال الشارح ابن أبي الحديد (ت / ٦٥٦هـ)، ما نصّه: «و ما في قوله:" وعن ذلك ما حرس الله" زائدة مؤكدة أي وعن هذه المكايد التي هي البغي والظلم والكبر حرس الله عباده».[١]

٢ ـ (بالصلوات) فانها تفتقر إلى شروط منها: خلوص النيّة لله تعالى وادائها في اوقات محددة يستثقل المتكبر القيام بها قال تعالى:﴿وانها لكبيرة إلّا على الخاشعين﴾ [٢].

٣ ـ (والزكوات) من الواجبة والصدقات، فانها مساهمة عملية لمساعدة الفقراء، لكي لا يتكبر عليهم الاغنياء، فالعمل بهذا الواجب بآدابه المشروحه في كتب الاخلاق نفي للكبر.

٤ ـ (ومجاهدة الصيام في الأيام المفروضات)؛ فإنّ الصوم في نفسه جهاد للنفس وكبح لجماح شهواتها.

(١) شرح ابن أبي الحديد ١٣ : ١٦٤ .
(٢) البقرة: ٤٥.

فان هذه الفرائض تمنع من الكبر لما في طبيعة هذه الفرائض من التذلل إلى الله سبحانه والمساهمة في انقاذ فرد من الافراد المجتمع من ذل الفقر.

حكمة الفرائض:

وأشار إلى حكمة الفرائض الاسلامية المذكورة التي شرعها الله تعالى بقوله:

١ ـ (تسكينا لأطرافهم) وهي الأيدي والأرجل من أعضاء الجسم، حيث تسكن إلى امر الله تعالى.

٢ ـ (وتخشيعا لأبصارهم) حيث تقبض عن المعاصي لما تستلزمة هذه العبادات.

٣ ـ (وتذليلا لنفوسهم) من حب النفس إلى التذلل إلى الله تعالى.

٤ ـ (وتخفيضا لقلوبهم) والتخفيض: الحط عن الموضع الذي هو فيه بالاسفل.

٥ ـ (وإذهابا للخيلاء عنهم) وهو التكبر، فلا يكون مع الاخلاص لله موضع تكبّر في نفوسهم.

وفي الصلاة اموراً تنفي الكبر منها:

٦ ـ (لما في ذلك من تعفير عتاق الوجوه بالتراب تواضعا) وعتاق الوجوه: الجبين والخدين؛ فإنّ من هذه الفرائض ما تستلزم السجدة على الارض لله، وذلك تذليل عملي للنفس ومحاربة عمليّة للكبر.

٧ ـ (والتصاق كرائم الجوارح بالأرض تصاغرا) ففي السجود لله يكون ارفع جزء من جسم الإنسان وهو الجبهة على الارض، وهو تواضع عملي يرفض الكبر.

ومن الصوم:

٨ ـ (ولحوق البطون بالمتون من الصيام تذللا) والمتن: الظهر؛ فإنّ الصيام يوجب الاعراض عن الطعام في فترة الصوم، وذلك لحس الصائم بالجوع ويشعر بما يشعر به الفقراء، كلّ ذلك في سبيل الله تعالى يرفع الكبر من نفسه.

ومن الزكاة:

٩ ـ (مع ما في الزكاة من صرف ثمرات الأرض وغير ذلك إلى أهل المسكنة والفقر) لمساعدة الفقراء والمساكين بما تنبته ارض الله من الثمرات، فان المعطي للزكاة في الحقيقة واسطة لايصال مال الله الى عباد الله.

والى النتيجة لهذه الفرائض وافعالها من الواجبات والشرائط والاداب التي لم يذكرها

أشار بقوله:

١٠ ـ (أنظروا إلى ما في هذه الأفعال من قمع نواجم الفخر وقدع طوالع الكبر) القمع: القهر، والناتج: ما يظهر من الكبر، والقدح: الكف، والطوالع: ماينبت من الشئ قبل الظهور الكامل؛ فإنّ الفرائض الاسلاميّة بافعالها من الاجزاء والشرائط تقمع اصول الكبر ما ظهر منها فلا يبقى لها اثر في الظاهر، وما بطن منها يفتقر الى الوعي الكامل المطلوب، اعاننا الله على ذلك وجميع المؤمنين.

(٢٦ / ط ـ ١٩٢) القسم السادس ـ في العصبيّة، أسبابها وأقسامها:

وَلَقَدْ نَظَرْتُ فَمَا وَجَدْتُ أَحَداً مِنَ العالَمِينَ يَتَعَصَّبُ لِشَيْءٍ مِنَ الْأَشْياءِ إِلَّا عَنْ عِلَّةٍ تَحْتَمِلُ[١] تَمْوِيهَ[٢] الْجُهَلاَءِ أَوْ حُجَّةٍ تَلِيطُ[٣] بِعُقُولِ السُّفَهَاءِ غَيْرَكُمْ فَإِنَّكُمْ تَتَعَصَّبُونَ لِأَمْرٍ مَا يُعْرَفُ لَهُ سَبَبٌ وَلَامس يد عِلَّةٍ[٤].

العصبيّة لغة: العرق المنتشر في الجسم لنقل الدم إلى سائر الاعضاء، وتطلق على العصبية لقرابة الإنسان من جهه الاب، ثمّ نقل إلى المدافعة عما يهم الإنسان لغرض خاص، وطبيعيّ ان تختلف الاغراض، وعلى اثر ذلك تختلف الاسباب الداعية إلى العصبيّة.

وقد أشار الإمام في هذا القسم إلى الاسباب الداعية إلى العصبية، ثمّ عصبية الجماعة التي يخاطبهم من اصحابه، ثمّ امثلة العصبيات في التارخ، ثمّ ما يستحق العصبية له من الاغراض.

(٢٧ / ط ـ ١٩٢) اسباب العصبيّة:

أَمَّا إِبْلِيسُ فَتَعَصَّبَ[٥] عَلَى آدَمَ لِأَصْلِهِ. وَطَعَنَ عَلَيْهِ فِي خِلْقَتِهِ. فَقَالَ: «أَنَا نَارِيٌّ وَأَنْتَ طِينِيٌّ»[٦].

---

(١) في أ: تحمل. وفي هـ. ص :ويروىٰ تحمل، والمعنىٰ متفق.
(٢) في هـ. ب: أي تلبيس، وفي هـ. ص: هو التلبيس من: موّهت النحاس بالذهب إذا طليته بالذهب ليخفىٰ ويروم في المرأىٰ.
(٣) في هـ. أ: تلزق ، وفي هـ. ب: تليط تلصق، وفي هـ. ص: أي: تلصق وتعلق.
(٤) في ب و ط و د: سبب ولا علة، ولم ترد ولا مس يد، وفي هـ. د لأمر لا يعرف ـ ض و ب و ط و د.
(٥) في هـ. ب في نسخة : على غيره.
(٦) اقتباس من قوله تعالىٰ: (خلقتني من نار وخلقته من طين) سورة ص :٣٨/ ٧٦.

اشار إلى سببين رئيسيين للعصبية وقف عليها بالنظر في احوال المتعصبين بقوله: (ولقد نظرت فما وجدت أحدا من العالمين يتعصب لشئ من الأشياء إلّا لعلة)؛ فإنّ السبب للعصبية تدعوا الانسان الى العصبية لذلك الغرض، وقد ذكر سببين لا ثالث لهما، فلا توجد العصبية لغيرهما.

الأوّل: العلة (إلّا عن علة تحتمل تمويه الجهلاء) والعلة: العيب، والتمويه: التلبيس للعيب؛ فإنّ المتعصب يتعصب لموقفه حتّى يلتبس الامر على الجاهل، فيغصب في موقفه حتّى ينخدع الجاهل بهذا التعصب المتعمد بالاصرار على موقف الباطل.

الثاني: الحجة (أو حجة تليط بعقول السفهاء) واللوط: الالتصاق، فيقيم المتعصب الحجة المصطنعة للسفهاء حتى تلتصق الحجة بعقولهم ويعتقدون انها حجة حقيقية وان كانت لا يخدع غير السفهاء.

وفي غير هذين السببين لا حاجة إلى التعصب، بل يكفى بيان الحقيقة من دون تعصب في الموقف.

ويظهر حقيقة التعصب بالتمثيل بالحلف بالله؛ فإنّ الحالف لا يؤكد على القسم إلّا لأحد الامرين؛ فإنّ الصادق يكفيه صدقه ولا يفتقر إلى الحلف.

القسم الثالث:

وأشار إلى قسم ثالث من المتعصبين الذين خاطبهم في هذه الخطبة بقوله: (غيركم)؛ فإنّ هؤلاء المخاطبين ايضا قسم ثالث من المتعصبين الذين جرّبهم الإمام شخصيا، ولكن تعصبهم لايستند إلى سبب، ووصفهم بقوله: (فإنكم تتعصبون لأمر لا يعرف له سبب ولا علة) قال الشارح ابن أبي الحديد (ت / ٦٥٦ هـ)، ما نصّه:

وقيل إنّ أصل هذه العصبية ؛ وهذه الخطبة ؛ أنّ أهل الكوفة كانوا قد فسدوا في آخر خلافة أمير المؤمنين ، وكانوا قبائل في الكوفة ، فكان الرجل يخرج من منازل قبيلته فيمر بمنازل قبيلة أخرى ، فينادى باسم قبيلته يا للنخع مثلا ، أو يا لكندة نداء عاليا يقصد به الفتنة وإثارة الشر ، فيتألب عليه فتيان القبيلة التي مر بها فينادون يا لتميم ويا لربيعة ويقبلون إلى ذلك الصائح فيضربونه ، فيمضى إلى قبيلته فيستصرخها ، فتسل السيوف

وتثور الفتن ، ولا يكون لها أصل في الحقيقة إلّا تعرض الفتيان بعضهم ببعض».[١]

امثال العصبية:

وأشار إلى امثال العصبية إلى تعصب ابليس والاغنياء، فقال عن ابليس:

(أما إبليس فتعصب على آدم لأصله . وطعن عليه في خلقته فقال : أنا نـاري وأنت طيني)؛ فإنّ السبب للتعصب يتلخص في نقاط ثلاث هي:

١ ـ الاختلاف في الاصل، وهذا هو دعوى العنصرية.

٢ ـ الاختلاف في الخلق، حيث لا حاجة إلى خلق وضيع ذاتا.

٣ ـ الاستدلال على هذه التعصب بأن النار افصل من الطين، فهو استدلال يرجع إلى دعوى العنصرية.

ولم يشير الإمام إلى رد هذه الدعوى، وربما لتكرارها منه فيما سبق، من ان المسؤولية تقتضي تطبيق اوامر القيادة من دون مناقشة بعد العلم بحكنة القائد واهتمامه بمسؤولياته.

(٢٨ / ط ـ ١٩٢) عصبيّة المال:

وعن الاغنياء قال: **وَأَمَّا الْأَغْنِيَاءُ مِنْ مُتْرَفَةِ[٢] الْأُمَمِ. فَتَعَصَّبُوا لِآثَارِ مَوَاقِعِ النِّعَمِ. فَقالُوا: ﴿نَحْنُ أَكْثَرُ أَمْوَالاً وَأَوْلَاداً وَمَا نَحْنُ بِمُعَذَّبِينَ﴾[٣]**

١ ـ (فتعصبوا لآثار مواقع النعم ، فقالوا :﴿نحن أكثر أموالا وأولادا وما نحن بمعذبين﴾[٤])، والسبب في تعصبهم يتلخص في نقاط ، هي:

١ ـ الغنى مع الترف، وليس الغنى وحده، والترف: البطر والتمتع بما شاء من لذات الدنيا من دون مانع.

٢ ـ مواقع النعم، وهي المواضع التي توجب الطغيان والبطر من النعم، من الجاه والسلطة والمال.

٣ ـ الاستدلال بكثره الاموال والاولاد.

ولم يشر الإمام إلى رد هذه الاسباب ايضاً، وربما لوضوح بطلانها كما استشهد بالآية

---

(١) شرح نهج البلاغة ؛ ابن أبي الحديد ١٣ : ١٦٧ ـ ١٦٨.
(٢) في هـ . ص :جمع مترف، وهو الذي أطغته النعمة.
(٣) سبأ : ٣٤/ ٣٥.
(٤) التوبه: ٦٩.

الكريمة ؛ فإنّ كثره الاموال والاولاد في الدنيا لاتغني عن الآخرة شيئا.

فان المسؤولية تفرض الحذر ممّا يحتمل فيه الضرر وان لم يكن موجبا للعلم القطعي، واخبار الانبياء والرسل بالبعث والنشور تكفى في الحذر لمن اراد ان يتحذر.

(٢٩ / ط ـ ١٩٢) العصبيّة المحمودة:

ولقد أشار إلى ما في العصبيات الثلاث فقال:

فَإِنْ كَانَ لَابُدَّ مِنَ العَصَبِيَّةِ[١] فَلْيَكُنْ تَعَصُّبُكُمْ لِمَكَارِمِ الْخِصَالِ وَمَحَامِدِ الْأَفْعالِ وَمَحَاسِنِ الْأُمُورِ الَّتِي تَفَاضَلَتْ فِيهَا الْمجَدَاءُ[٢] وَالنُّجَدَاءُ[٣] مِنْ بُيُوتَاتِ العَرَبِ وَيَعاسِيبِ[٤] القَبَائِلِ بِالْأَخْلَاقِ الرَّغِيبَةِ[٥]. وَالْأَحْلَامِ[٦] العَظِيمَةِ. وَالْأَخْطَارِ[٧] الْجَلِيلَةِ. وَالآثَارِ المَحْمُودَةِ. فَتَعَصَّبوا لِخِلَالِ الْحَمْدِ مِنَ الْحِفْظِ لِلْجِوَارِ[٨] وَالْوَفَاءِ بِالذِّمَامِ[٩]. وَالطَّاعَةِ لِلْبِرِّ. وَالمَعْصِيَةِ لِلْكِبْرِ. وَالْأَخْذِ بِالْفَضْلِ. وَالكَفِّ عَنِ البَغْى. وَالْإِعْظَامِ لِلْقَتْلِ. وَالْإِنْصَافِ لِلْخَلْقِ. وَالكَظْمِ لِلْغَيْظِ. وَاجْتِنَابِ[١٠] الفَسَادِ فِى الْأَرْضِ[١١].

(فإن كان لا بد من العصبية فليكن تعصبكم) في العصبية المحمودة عقلا وشرعا؛ لأنّ السبب في هذا التعصب مدعوم بالعقل والشرع لأن فيما يتعلق به العصبية غرض عقلائي أو شرعي، وقد سرد من موارد العصبية المحمودة طوائف ثلاث:

الأوّل: (لمكارم الخصال) والخصلة: الخلّة في الإنسان خيرا كانت أو شراً، والمكارم:

---

(١) في هـ. د: المعصية ـ م .
(٢) في هـ. ب: الشرفاء، وفي هـ ص : جمع ماجد وهو الشريف.
(٣) في هـ. ب جمع نجيد وهو الشجاع، وفي هـ. ص جمع نجيد وهو الشجاع وبمعناه نجد يضم ويكسر وتجمع أنجاد.
(٤) في هـ. ب: جمع يعسوب، وفي هـ ص : اليعاسيب جمع يعسوب، وهو الرئيس المتبوع.
(٥) في هـ. ب: المرغوبة فيها.
(٦) في هـ. ب: الأخلاق.
(٧) في هـ. ب الخطر: أمر عظيم.
(٨) في هـ ص: عممه والمراد به خلق وهو جواره فيهم لانه دين.
(٩) في ب: الذمار وفي هـ. د في نسخة الذمام، وفي ب: العهد. وفي هـ ص اطلقه والمراد به ذمامه فيهم وعهده لانه دين.
(١٠) في هـ. ب: رفض.
(١١) في هـ ص: هذا الكلام تعريض بذمهم وانهم لم يحفظوا جواره ولم يفو بذمامه ولم يطيعوه فيما أمرهم به من البر ولم يطرحوا ما يعلوهم من الكبر اذا ذكر لهم فضائله وخصائصه فانهم كانوا يتهمونه ويترامون بالأبصار.

ما توجب الكرامة، وهي الشرف.

الثانية: (ومحامد الأفعال) التي توجب الحمد.

الثالثة ـ (ومحاسن الأمور) التي توجب الحسن.

فان هذه الطوائف الثلاث تستحق التعصب لها؛ لانها خير في انفسها وتستلزم نشر الخير في المجتمع من أجل ما في هذه الطوائف من استحقاق التعصب حصل بها التفاضل بين الناس، وخص منهم الإمام بقوله:

(التي تفاضلت فيها المجداء والنجداء من بيوتات العرب ويعاسيب القبائل) والمجداء: الو المجد والشرف، والنجداء: الو النجدة والشجاعة، واليعسوب: رئيس القوم، واشار إلى ما ينبغي التعصب له على نحو العموم بقوله:

١ ـ (بالأخلاق الرغيبة) أي المرغوب فيها؛ لما فيها من الخير.

٢ ـ (والأحلام العظيمة) والاحلام: العقول والافكار العظيمة في علوها.

٣ ـ (والأخطار الجليلة) والاخطار: المراتب التي لها جلال معنوي.

٤ ـ (والآثار المحمودة) التي تخلف بعد الإنسان، فيترحم على موجدها؛ لما فيها من الخير العائد على المجتمع كالصدقات واعمال البر.

كما أشار إلى طائفة ممّا ينبغي التعصب له بالخصوص بقوله:

(فتعصبوا لخلال الحمد) وهي الخصال التي توجب الحمد، وهي:

أوّلاً: (من الحفظ للجوار) لمن يحتمي بالإنسان فراراً من الظلم.

ثانياً: (والوفاء بالذمام) وهو العهد من دون اخلال به.

ثالثاً: (والطاعة للبر) وهو كلّ عمل حسن.

رابعاً: (والمعصية للكبر) وهو التكبر، ونقيضها: التواضع.

خامساً: (والأخذ بالفضل) بالالتزام بالفضل على الاخرين.

سادساً: (والكف عن البغي) وهو الاعتداء مهما كان الموقف حرجا.

سابعاً: (والاعظام للقتل)؛ فإنّ تعظيم القتل يستلزم الاقلاع عن التفكير فيه.

ثامناً: (والانصاف للخلق) بعدم الحيف على من يتمكن عليه.

تاسعا (والكظم للغيظ) فيما يحصل موجبه؛ لوجه الله تعالى.

عاشرا (واجتناب الفساد في الأرض)؛ فإنّ كلّ المعاصي تستلزم الفساد في الارض

بالواسطة أو بدونها.

فان هذه النقاط العشر ممّا ينبغي التعصب لها؛ لانها هي الثوابت الاسلاميّة التي جاء الاسلام لتطبيقها في الحياة.

(٣٠ / ط - ١٩٢) القسم السابع ـ في الاعتبار في التاريخ للامم والمؤمنين:

وَٱحْذَرُوا مَا نَزَلَ بِالْأُمَمِ قَبْلَكُمْ مِنَ المَثُلاَتِ[(١)] بِسُوءِ ٱلْأَفْعَالِ وَذَمِيمِ ٱلْأَعْمَالِ. فَتَذَكَّرُوا فِى ٱلْخَيْرِ وَالشَّرِّ أَحْوَالَهُمْ. وَٱحْذَرُوا أَنْ تَكُونُوا أَمْثَالَهُمْ. فَإِذَا تَفَكَّرْتُمْ فِى تَفَاوُتِ حَالَيْهِمْ[(٢)]. فَالْزَمُوا كُلَّ أَمْرٍ لَزِمَتِ ٱلعِزَّةُ بِهِ حَالَهُمْ[(٣)]، وَزَاحَتِ[(٤)] ٱلْأَعْدَاءُ لَهُ عَنْهُمْ. وَمُدَّتِ ٱلْعَافِيَةُ فِيهِ[(٥)] عَلَيْهِمْ[(٦)] وَٱنْقَادَتِ النِّعْمَةُ لَهُ مَعَهُمْ. وَوَصَلَتِ ٱلْكَرَامَةُ عَلَيْهِ حَبْلَهُمْ. مِنَ ٱلاجْتِنَابِ لِلْفُرْقَةِ. وَٱللُّزُومِ لِلْأُلْفَةِ[(٧)]. وَالتَّحَاضِّ[(٨)] عَلَيْهَا وَالتَّوَاصِى بِهَا وَٱجْتَنِبُوا كُلَّ أَمْرٍ كَسَرَ فِقْرَتَهُمْ[(٩)]. وَأَوْهَنَ مُنَّتَهُمْ[(١٠)]. مِنْ تَضَاغُنِ[(١١)] ٱلْقُلُوبِ وَتَشَاحُنِ الصُّدُورِ وَتَدَابُرِ[(١٢)] ٱلنُّفُوسِ وَتَخَاذُلِ ٱلْأَيْدِي.

فان الافراد والامم جميعا لهم محسنات واخطاء، فينبغي لمن يدرس التاريخ ان ينظر إلى تاريخهم ويعتبر باعمالهم وآثارهم، فياخذ بما لهم من نقاط قوة، ويبحث عما فيهم من نقاط الضعف وحالات الضعف والقوة والاسباب الداعية إلى كلّ منها.

---

(١) في هـ ب و ص : أي العقوبات.

(٢) في هـ. ص في نسخة: في الاختلاف الكبير. وفي هـ. ب: حاليهم: السلامة وغير السلامة.

(٣) في هـ. د شأنهم ـ ض و ب و ح .

(٤) في هـ. ب: : أي زالت وفي هـ. ب الزيح: البعد، وفي هـ. ص: أي بعدت.

(٥) في أ و ص و ط: فيه، وفي ب: فيئه، وفي هـ. ب: أي جماعة، وفي هامش آخر: الفيء :الظل والغنيمة.

(٦) في ب و د: فيئه بهم، وفي هـ. د فيئه عليهم ـ ض و ف و ح.

(٧) في هـ. ص: في الكلام حث على لزوم سبب الألفة، وهو التمسك به وبآله، واجتناب سبب الفرقة وهو مخالفتهم، كما قال رسول الله صلى الله عليه وآله: ما ان تمسّكتم به لن تضلوا، وقال :أهل بيتي أمان لأُمتي من الاختلاف، ونحوهما.راجع البحار٢٢٦:٢،ح١٣و ٣٠٢:١٦.

(٨) في هـ. ب: من الحض وهو الحث وفي هـ ص: تفاعل من الحض فامرهم ان يحض بعضهم بعضاً عليها ويتواصوا.

(٩) في هـ. ب: عظم الظهر، وفي هـ ص: واحدة فقار الظهر، ويكنى به عمّا يؤثر شراً.

(١٠) في هـ. ب وص : قوتهم.

(١١) في هـ. ب: تحاقد.

(١٢) في هـ. ص: تدبر نفس كل منهم عن أخيه.

وقد أشار الامام إلى في مقاطع الى العبرة بتاريخ الامم والعبرة بالمؤمنين بالله في عهد النبي موسى، وبالعبرة بتاريخ الانبياء وأولادهم حتّى النبي محمّدﷺ.

تاريخ الامم:

وعن العبرة بتاريخ الامم الماضية أشار بقوله:

١ ـ (واحذروا ما نزل بالأمم قبلكم)؛ فإنّ لتاريخهم نقاط ضعف وقوة، ومن نقاط الضعف فيهم:

٢ ـ (من المثلات بسوء الأفعال وذميم الأعمال) والمثلات: العقوبات الالهية التي نزلت بهم من قوم لوط وغيرهم، بسبب الافعال الذميمة التي استحقوا بها العذاب.

٣ ـ(فتذكروا في الخير والشر أحوالهم) الموجبة للعقاب في كلّ حالاتهم من الخير أو الشر.

٤ ـ (واحذروا أن تكونوا أمثالهم) فتستحقوا العقوبة مثلهم.

والى نقاط القوّة أشار بقوله:

١ ـ (فإذا تفكرتم في تفاوت حاليهم) من الخير والشر والقوة والضعف.

٢ ـ (فالزموا كلّ أمر لزمت العزة به شأنهم) من عوامل القوة التي جعلتهم يتغلبون بها.

٣ ـ (وزاحت الأعداء له عنهم) حيث اثرت تلك القوة في ازاحة الأعداء عنهم من تطبيق العدالة في المجتمع وتكافل المجتمع معهم.

٤ ـ (ومدت العافية فيه عليهم) حيث ان تطبيق العدالة في المجتمع مثلا جعل العافية تمتد في تلك الامة الى زمن اطول من غيرهم.

٥ ـ (وانقادت النعمة له معهم) وبعامل القوّة اصحبت النعم للامة منقادة لهم.

٦ ـ(ووصلت الكرامة عليه حبلهم)؛ فإنّ حبل الكرامة لهم تكون موصلة بسبب عوامل القوة فيهم.

وخص من هذه العوامل الموجبة لكرامة تلك الامة على غيرها من الامم من نقاط، هي:

أوّلاً: (من الاجتناب للفرقة)؛ فإنّ الفرقة داء الادواء للسقوط في مهاوى الهلاك للافراد والامم؛ اذ لا يسود العدو إلّا بسياسة فرّق تسد.

ثانياً: (واللزوم للألفة) وهي وحدة الكلمة في المواقف.

ثالثا: (والتحاض عليها) فتكون وحدة الكلمة من الثوابت التي يحض عليها.

رابعاً: (والتواصي بها) بالوصية لكل فرد من افراد المجتمع، بالتاكيد على وحدة الكلمة.

وعن عوامل الضعف أشار بقوله:

٧ ـ (واجتنبوا كلّ أمر كسر فقرتهم)؛ فإنّ عوامل الضعف في كلّ امة تكسر الفقرة، وهي ما ينتظم به الامر، كالعمود الفقري في الجسم.

٨ ـ (وأوهن منتهم) والمنة: القوة، وهي عوامل كثيرة، خصّ منها بالذكر بقوله:

أوّلاً: (من تضاغن القلوب) باحتواء القلب على الحقد.

ثانياً: (وتشاحن الصدور) التباغض والعداء.

ثالثاً: (وتدابر النفوس) بالقطيعة بين الافراد.

رابعاً: (وتخاذل الأيدي) بعدم النصر لمن يستحقه.

فينبغي دراسة التاريخ لمعرفة كلّ نقاط الضعف والقوة لتجنّب ما اوجب الوهن منها للامم السالفة، ويؤخذ مع تطور الزمن بما يوجب القوة منها في هذا العصر.

(٣١/ط ـ ١٩٢) من تاريخ المؤمنين:

وَتَدَبَّرُوا أَحْوَالَ المَاضِينَ مِنَ المُؤْمِنِينَ قَبْلَكُمْ كَيْفَ كَانُوا فِى حَالِ الَّتمْحِيصِ(١) وَالبَلاَءِ(٢) أَلَمْ يَكُونُوا أَثْقَلَ الْخَلاَئِقِ أَعْبَاءً(٣) وَأَجْهَدَ الْعِبَادِ بَلاَءً وَأَضْيَقَ أَهْلِ الدُّنْيَا حَالاً. اتَّخَذَتْهُمُ الفَرَاعِنَةُ عَبِيداً فَسَامُوهُمْ سُوءَ(٤) العَذَابِ وَجَرَّعُوهُمُ المُرَارِ(٥) فَلَمْ تَبْرَحِ الْحَالُ بِهِمْ فِى ذُلِّ الْهَلَكَةِ وَقَهْرِ الغَلَبَةِ لاَ يَجِدُونَ حِيلَةً فِي امْتِنَاعٍ وَلاَ سَبِيلاً إِلَى دِفَاعٍ حَتَّى إِذَا رَأَى اللهُ(٦) سُبْحَانَهُ جِدَّ الصَّبْرِ مِنْهُمْ عَلَى الْأَذَى فِى مَحَبَّتِهِ وَالِاحْتِمَالَ لِلْمَكْرُوهِ مِنْ خَوْفِهِ جَعَلَ لَهُمْ مِنْ مَضَايِقِ الْبَلاَءِ فَرَجاً فَأَبْدَلَهُمُ الْعِزَّ مَكَانَ الذُّلِّ وَالْأَمْنَ مَكَانَ الْخَوْفِ، فَصَارُوا مُلُوكاً

---

(١) في هـ. ب: التمحيص: التخليص، وفي هـ. ص: التصفية لهم بالبلاء.

(٢) التمحيص الابتلاء والاختيار.

(٣) في هـ. ب: اثقالاً، وفي هـ. ص جمع عبء وهو الحمل الثقيل.

(٤) في ب: سوم، وفي هـ. ب في نسخة سوء.

(٥) في ص : جرع المرار، وفي هـ. د: جرع المرار ـ ش. . المرار ـ بضم ففتح ـ: شجر شديد المرارة تتقلص منه شفاه الابل اذا أكلته، وفي هـ. ص: شجر مرّ، وفي الأصل سم توسع فيه فاستعمل في حق من لقىٰ شدة.

(٦) في د زيادة: سبحانه.

حُكَّاماً، وَأَئِمَّةً أَعْلاَماً[١]، وَبَلَغَتِ الكَرَامَةُ مِنْ ٱللهِ لَهُمْ مَا لَمْ تَذْهَبِ[٢] الآمَالُ إِلَيْهِ بِهِمْ.

في تاريخ المؤمنين بالله من الاديان السالفة موارد للاعتبار كثيرة، تتكفلها كتب قصص الانبياء، وقد أشار الإمام إلى حالة بني اسرائيل في حالتي الضعف والقوّة ونتائج مواقفهم في الحالين فقال:

(وتدبروا أحوال الماضين من المؤمنين قبلكم كيف كانوا) في الحالتين: حالة الضعف والبلاء أي الامتحان والتمحيص، وهو الاختبار. وحالة الظفر والنصر.

وعن حالة الضعف عموما قال:

١ ـ (ألم يكونوا أثقل الخلائق أعباء؟) والعبئ: الثقل لما يتحملونه من انواع العذاب.

٢ ـ (وأجهد العباد بلاء) حيث اختبروا في ظلم فرعون وبالنتيجة كانوا:

٣ ـ(وأضيق أهل الدنيا حالا) لما عاشوا فيه من حياة الذل والضيق.

وأشار إلى خصوص انواع العذاب الذي ذاقوه بقوله:

٤ ـ (اتخذتهم الفراعنة عبيدا) فلا ذل اذل من العبودية للعدو.

٥ ـ (فساموهم سوء العذاب) والسوم: الالزام بما لا يطاق من ذبح الابناء للعدو.

٦ ـ (وجرعوهم المرار) والمرار: شجرة مرة تقطع الشفاه ذوقها، وهي اشارة إلى استخدام البنات.

وعن نتيجة هذا التعذيب المستمر قال:

٧ ـ(فلم تبرح الحال بهم في ذل الهلكة) حيث ان هذا الذل لا يؤدى إلّا الى الهلاك.

٨ ـ(وقهر الغلبة)؛ فإنّ الحكم الغالب لفرعون كان قاهرا عليهم.

٩ ـ(لا يجدون حيلة في امتناع) حيث لا وسيلة للامتناع عن الأوامر الظالمة.

١٠ ـ (ولا سبيلا إلى دفاع) مادام المؤمنين تحت هذه السياسة الظالمة، وحينما انقطعت الامال للمؤمنين به من الطرق العادية للنصر جاء النصر الالهي.

١١ ـ (حتى إذا رأى الله جد الصبر منهم على الأذى في محبته) حيث لم يتركوا مبدأ الايمان بالله بالرغم من شدة العذاب.

١٢ ـ(والاحتمال للمكروه من خوفه) حيث احتملوا انواع المكروه بسبب خوفهم من

(١) في هـ. ص :جمع علم، أي يهتدي بهم كما يهتدىٔ بالاعلام في المفازة.
(٢) في هـ. د: لم تبلغ ـ ب .

الله سبحانه.

وهذه الحالات الطبيعية في حالات الضعف لم تؤثر في مواقف المؤمنين بالنسبة إلى عقيدتهم وايمانهم بالله سبحانه، بل استمروا في ايمانهم حتّى اخر لحظة ممكنة في حياتهم، فأتاهم النصر من الله.

وعن حكمة النصر قال:

١ ـ(جعل لهم من مضايق البلاء فرجا) حيث قيض الله موسى لنصرهم من دار فرعون سراً.

٢ ـ (فأبدلهم العز مكان الذل)؛ فإنّ عز الحرية لا يعادلها عزّ.

٣ ـ(والأمن مكان الخوف) حيث لا قيمة للامن إلّا عند من يفقده.

٤ ـ (فصاروا ملوكا حكاما) بعد ان غرق فرعون في البحر هو وجنوده.

٥ ـ (وأئمة أعلاما) تقتدي بهم الامم الآخرين في الصمود والمقاومة.

٦ ـ (وبلغت الكرامة من الله لهم ما لم تبلغ الآمال إليه بهم) فان المؤمنين اصحبوا ذووا كرامة لم يكن لهم قط الامل بالوصول اليها، وهي كرامة الدنيا والاخرة، ففي الاخرة بالايمان وفي الدنيا بالحكم.

(٣٢ / ط ـ ١٩٢) اسباب النصر:

فَانْظُروا كَيْفَ كانوا حَيْثُ كَانَتِ الأمْلَاءُ[١] مُجْتَمِعَةً وَالْأَهْوَاءُ مُؤْتَلِفَةً[٢] وَالْقُلُوبُ مُعْتَدِلَةً وَالْأَيْدِى مُتَرَادِفَةً[٣]. وَالسُّيُوفُ مُتَنَاصِرَةً[٤]. وَالْبَصَائِرُ نَافِذَةً[٥]. وَالْعَزَائِمُ وَاجِدَةً[٦]. أَلَمْ يَكُونُوا أَرْبَاباً فِى أَقْطَارِ الْأَرَضِينَ وَمُلُوكاً عَلَى رِقَابِ العَالَمِينَ. فَانْظُرُوا[٧] إِلَى مَا صَارُوا إِلَيْهِ فِى آخِرِ أُمُورِهِمْ حِينَ وَقَعَتِ الفُرْقَةُ وَتَشَتَّتَتِ[٨] الأُلْفَةُ وَاخْتَلَفَتِ الكَلِمَةُ

(١) في هـ. ب: جمع ملأ. و في هـ. ص جمع ملأ جماعة الرؤساء.
(٢) في هـ. د: متفقة ـ ب.
(٣) في هـ. د: في حاشية م : مرادفة.
(٤) في هـ. ب: متعاونة وفي هـ. ب: متطابقاً.
(٥) في هـ. ص: يقال نفذت بصيرتي في هذا الأمر أي اجتمع همي وعزمي عليه ولم يبق عندي تردد فيه لعلمي وتحققي اياه.
(٦) في أ و ط و د: واحدة، ويحتمل أن يكون في ب: واحدة.
(٧) في ب: وانظروا.
(٨) في ص: وتشتت.

وَالأَفْئِدَةُ، وتَشَعَّبُوا[١] مُخْتَلِفِينَ وَتَفَرَّقُوا مُتَحَارِبِينَ[٢] قَدْ خَلَعَ اَللَّهُ عَنْهُمْ لِبَاسَ كَرَامَتِهِ وَسَلَبَهُمْ غَضَارَةَ نِعمَتِهِ[٣] وَبَقِيَ قَصَصُ[٤] أَخْبَارِهِمْ فِيكُمْ عِبَراً[٥] لِلْمُعتَبِرِين مِنْكُمْ.

وأشار إلى اسباب النصر للمؤمنين في مواقفهم ضد فرعون التي توجب الاعتبار بقوله:

(فانظروا كيف كانوا) بعد النصر بالاسباب بالتي توجب النصر لكل امة في مواقفها الصامدة حتّى النصر اشار اليها:

١ ـ (حيث كانت الاملاء مجتمعة) والاملاء: جمع ملأ، اقتباسا لوحدة كلمتهم.

٢ ـ (والأهواء متفقة) لوحدة اهدافهم.

٣ ـ (والقلوب معتدلة) لعدم تطرفهم في المواقف والسير على الخط المعتدل.

٤ ـ (والأيدي مترادفة) يتبع بعضها البعض بالتعاون بين انفسهم.

٥ ـ (والسيوف متناصرة) لنصر كلّ واحد الاخر بالسلاح.

٦ ـ (والبصائر نافذة) للرؤية الواضحة التي تمتعوا بها في المبادي والوسائل والاهداف.

٧ ـ (والعزائم واحدة) بوحدة الارادة في الحركة نحو الهدف.

فان هذه النقاط اسباب للنصر، واهمالها يسبب الخسران في الدنيا والاخره.

وعن اسباب الفشل أشار بقوله:

(فانظروا إلى ما صاروا إليه في آخر أمورهم) من الخسران بعد النصر بالاسباب التالية:

١ ـ (حين وقعت الفرقة) حيث افترقوا شيعا.

٢ ـ (وتشتتت الألفة)؛ فإنّ الالفة انقلبت إلى القطيعة.

٣ ـ (واختلفت الكلمة) من الاتحاد إلى الاختلاف.

٤ ـ (والأفئدة)؛ فإنّ اختلاف المواقف ظاهرا تدل على اختلافها في المبدأ.

٥ ـ (وتشعبوا مختلفين) كلّ شعبة لها رأيها واستقلالها.

٦ ـ (وتفرقوا متحازبين) فيما بينهم بعد ما كانوا صفا واحدا في الحرب مع عدوهم.

(١) في هـ. ص أي صاروا شعوباً ولم يبقوا جرثومة واحدة.
(٢) في أ و ب: متحازبين، وفي هـ. ب: متحازبين، من الحزب، وبالراء من الحرب .
(٣) غضارة النعمة: سعتها.
(٤) قصص الأخبار حكايتها وروايتها.
(٥) في هـ. د: عبرة ـ ض و ح .

وعن نتيجة هذا الاسباب، قال:

أوّلاً: (قد خلع الله عنهم لباس كرامته)؛ لأنّ الله انما اناط الكرامة بعوامل النصر التي اهمها وحدة الكلمة.

ثانياً: (وسلبهم غضارة نعمته)؛ فإنّ النعمة لا تبقى بعد الكفران بها، والغضارة: الطيب، وما يبقى منها لا يكون طيبا.

ثالثاً: (وبقي قصص أخبارهم فيكم عبرا للمعتبرين) حيث لا أثر لهم ولا لحكمهم سوى القصص والاخبار التي بها تكون العبرة لمن اراد الاعتبار، والله الواحد القهار.

(٣٣ / ط-١٩٢) القسم الثامن ـ في بيت النبوة من ولد اسماعيل واسحاق:

وَاعْتَبِرُوا[١] بِحَالِ وَلَدِ إِسْمَاعِيلَ وَبَنِي إِسْحقَ وَبَنِي إِسْرَائِيلَ:[٢]. فَمَا أَشَدَّ اعْتِدَالَ الْأَحْوَالِ[٣]. وَأَقْرَبَ اشْتِبَاهَ الْأَمْثَالِ.

استعرض الإمام عوامل القوّة والضعف في بيت النبوة من سلالة ابي الانبياء ابراهيم عليه السلام من مولد اسماعيل ابنه الاكبر، واسحاق ابنه الاصغر، ويعقوب بن اسحاق الملقب باسرائيل، وما فيهم من عوامل القوّة والضعف المشابهة لما في الامم المتقدمة، فانها جرت فيهم كما جرت فيمن قبلهم، وكذلك في كلّ البيوتات من بعدهم، فقال:

١ ـ (فاعتبروا بحال ولد إسماعيل) ابن ابراهيم من زوجته هاجر، وهو الابن الاكبر الذي هاجرت إلى مكة حيث الكعبة المشرفة، وتواضعت لأمر الله مع ما في ذلك من اخطار الغربة والوحدة والوحشة.

٢ ـ (وبني إسحاق) ابن ابراهيم الاخر من زوجته الاولى سارة، والتي بسبب كبرها هاجر ابراهيم إلى مكة المكرمة.

٣ ـ (وبني إسرائيل) وهو لقب مركب من كلمتين (القدرة) و (الله) واسمه يعقوب بن اسحاق بن ابراهيم، وله اثنى عشر ولداً، اكبرهم: شمعون، واصغرهم: يوسف، وأن يوسف بتواضعه لله وصل إلى منزلة رفيعة في الحكم، وان اخوته بكبرهم حاولوا قتله ولم يبق لهم ذكر إلّا للبراءة منهم؛ فإنّ دراسة تاريخ حياة هؤلاء تكشف عن عوامل القوّة والضعف

(١) في أ و ط و د: فاعتبروا، وفي هـ. ب: في نسخة: فاعتبروا.
(٢) لم ترد عليهم السلام في أ.
(٣) في هـ. ص: أي توازنها وتساويها.

التي هي سنة الله في الحياة الحاكمة عليهم، فامر عليه السلام بالاعتبار باحوالهم مشيراً إلى سببين:

٤ ـ الاول: (فما أشدّ اعتدال الأحوال) والاعتدال: هو التناسب في احوال هؤلاء مع من سبقهم من الامم.

٥ ـ الثاني: (وأقرب اشتباه الأمثال) والاشتباه: بمعنى المشابهة في الشمائل بين هؤلاء واولئك المتقدمين، من عوامل القوّة والضعف الحاكمة في احوالهم جميعا؛ فإنّ عوامل القوّة كانت مجتمعه في أبي الانبياء ابراهيم، وتمكن بها من مقاومة عبادة الاصنام في كلّ من فلسطين والعراق والحجاز، واما بنوه من بعده فلم يتمكنوا من تطبيق حكم الله على الارض كما فعل ابوهم وجدهم ، وذلك لعوامل الضعف المتواجدة فيهم حتّى ظهر النبيّ محمّد صلى الله عليه وآله من سلالته واستخدم عوامل القوة وتمكن من تطبيقها مرة اخرى.

وقد شرح الامام هذه الحقيقة في مرحلين قبل البعثة وبعدها .

(٣٥ / ط - ١٩٢) المرحلة الاولى ـ بيت النبوة قبل البعثة:

تَأَمَّلُوا أَمْرَهُمْ فِي حَالِ تَشَتُّتِهِمْ وَتَفَرُّقِهِمْ لَيَالِيَ(١) كَانَتِ الْأَكَاسِرَةُ وَالْقَيَاصِرَةُ أَرْبَاباً لَهُمْ يَحْتَازُونَهُمْ(٢) عَنْ رِيفِ(٣) الْآفَاقِ وَبَحْرِ(٤) الْعِرَاقِ، وَخُضْرَةِ الدُّنْيَا إِلَى مَنَابِتِ الشِّيحِ(٥) وَمَهَافِي(٦) الرِّيحِ وَنَكَدِ(٧) الْمَعَاشِ فَتَرَكُوهُمْ عَالَةً(٨) مَسَاكِينَ إِخْوَانَ دَبَرٍ وَوَبَرٍ(٩) أَذَلَّ الْأُمَمِ دَاراً وَأَجْدَبَهُمْ(١٠) قَرَاراً لَا يَأْوُونَ(١١) إِلَى جَنَاحِ(١٢) دَعْوَةٍ يَعْتَصِمُونَ بِهَا وَلَا إِلَى ظِلِّ أُلْفَةٍ يَعْتَمِدُونَ عَلَى عِزِّهَا فَالْأَحْوَالُ مُضْطَرِبَةٌ. وَالْأَيْدِي مُخْتَلِفَةٌ. وَالْكَثْرَةُ

(١) في هـ. ب: سميّ نهارهم وأيامهم ليالي لكثرة الفساد.
(٢) في هـ. ب: يجمعونهم، وفي هـ. ص: أي يبعدّونهم.
(٣) في هـ. ب و ص: أي خصب.
(٤) في هـ. ص: هو دجلة والفرات.
(٥) في هـ. ص: هي أرض العرب والشيح نبت في البادية طيب الرائحة.
(٦) في هـ. ب: في نسخة: ومهاب، وفي ص: ومهاب، وفي هـ ص: في نسخة: مهافي، و في هـ. ب: المهافي مساقط الريح، يريد به قربهم من الهوة وهو السقوط، وفي هـ. ص: حيث يهفو أي يخترق.
(٧) في هـ. ب: أي منغّص.
(٨) في هـ. ب: أي فقراء.
(٩) في ب: دَيْن و وُترٍ وفي هـ. ب في نسخة: دبر و وبر، وفي هـ. ب دين: مذلة، ووتر: حقد.
(١٠) الجدب: القحط.
(١١) في ب: لا يأوُون، وفي هـ. ب لا يأن.
(١٢) في هـ. ب، الجناح: الجانب.

مُتَفَرِّقَةٌ. فِي بَلَاءِ أَزْلٍ(١) وَأَطْبَاقِ(٢) جَهْلٍ. مِنْ بَنَاتٍ مَوْؤُودَةٍ(٣) وَأَصْنَامٍ مَعْبُودَةٍ. وَأَرْحَامٍ مَقْطُوعَةٍ. وَغَارَاتٍ مَشْنُونَةٍ(٤).

وعن عوامل الضعف المتمكنة في بيت النبوة قبل البعثة أشار إلى نقاط:

أوّلاً: ـ (تأملوا أمرهم) فانهم بحكم كونهم ورثة ابيهم ابراهيم عليه السلام كان عليهم الاستمرار على خطاه في الالتزام بالمبادئ التي أعلنها أبوهم وطبّقها في حياته حين ظفر في تطبيق رسالة الله على الارض ولكنهم:

ثانياً: ـ (في حال تشتتهم) والتشتت: التفرق، الذي هو من عوامل الضعف في كلّ الامم المتقدمة.

ثالثاً: (وتفرقهم) أي تفرقهم بسبب الخلافات العائلية بين بني اسماعيل وبني اسحاق بسبب الكبر الذي هو من عوامل الضعف في الامم المتقدمة، وايضا التفرق بين انفسهم كالتفرق بين ابناء اسحاق، الاثني عشر، ومحاولتهم قتل اخيهم الاصغر يوسف بسبب الحسد الذي هو من عوامل الضعف في الامم المتقدمة.

رابعاً: ـ (ليالي كانت الأكاسرة والقياصرة أربابا لهم)؛ فإنّ بيت النبوة بعد ان كانت تقاد بقيادة ابراهيم اصبح يقاد من قبل اعداء الرسالة الالهيّة المتمثلة في ذلك العصر بالاكاسرة وهم ملوك فارس، والقياصرة وهم ملوك الروم، واصبحوا اربابا لهم بعد ان كان لهم استقلالهم في الحكم على انفسهم، فاصبحوا محكومين بحكم غيرهم.

وما الطف كلام الإمام عليه السلام بالتعبير عن هذه الفترة بقوله: (ليالي) دون (ايام) كما هو المثل، وذلك لان هذه الحالة لبني بيت النبوة القائدة تعتبر ليالي ظلماء بعد ان كانت في عهد جدهم ابراهيم أيام العزّ والسيادة.

وإلى آثار التبعية لعوامل الضعف في بيت النبوة التي أهمها الكبر والحسد والفرقة أشار الى مواقف السلطة واثارها:

(٣٥ / ط - ١٩٢) السلطة الحاكمة:

(١) في هـ. ب و ص: أي ضيق.
(٢) في هـ. ص بفتح الهمزة جمع طبق أي جهل متراكم بعضه فوق بعض فان روى بكسر الهمزة فهو مصدر اطبق.
(٣) من وأد بنته اذا دفنها وهي حيّة.
(٤) في هـ. ب: مصبوبة.

اما السلطة الحاكمة، فقد اتبعت سياسة التجويع لبيت النبوة، بمنعهم من العصب الاقتصادي المقوم لحياتهم، والاستمتاع بالموارد الطبيعية في ارض الله، واشار إلى ذلك في نقاط:

الأوّل: (يحتازونهم عن ريف الآفاق)؛ فإنّ السلطة الحاكمة كانت تحتازهم، أي تبعدهم عن الريف وهي الارض الخصبة للزراعة، حيث فقد بيت النبوة الاستقلال، واصبح محكوماً بارادة السلطة الحاكمة، وبالنتيجة لم يبق لبيت النبوة الحرية بالانتفاع من الاراضي الخصبة كما كانت عليه في عهد ابراهيم، بل كان عليها أن ترضخ لاوامر السلطة الحاكمة التي لا تنفذ إلّا مصالحها ومنها سلب العصب الاقتصادي وهو الزراعة في الاراضي الخصبة لبيت النبوة.

الثاني: (وبحر العراق) والظاهر أنه يعني به نهري دجلة والفرات المعروفتان بعذوبةالماء، وان كانا نهرين فان بيت النبوة في فلسطين لهم البحر الابيض المتوسط وفي الحجاز البحر الاحمر، والماء فيها مالح، وانما عبر عن دجلة والفرات بالبحر مبالغة.

الثالث: (وخضرة الدنيا) وهي ما يفتقر اليها في الحياة استهلاكا واستمتاعا بالمناظر الطبيعية.

(إلى منابت الشيح) وهو نبت طبيعيّ صحراوي طيّب الرائحة، اخضر الزهر واحمره ينبت بارض العرب وهي الجزيرة العربية التي لا تتمتع بخصوبة الارض كما في ريف الشام ولا بالانهار العذبة كما في العراق.

الخامس: (ومهافي الريح) وهي ارض الصحراء العربيّة التي تهفوا وتهب فيها الرياح، من دون زرع أو ماء.

السادس: (ونكد المعاش) والنكد: الضيق والقلة؛ فإنّ المنع من الموارد الاقتصاديّة والطبيعية توجب ذلك، فان الحياة في الصحارى والفيافي لا يكون إلّا حياة ضيق؛ لقلة موارد الحياة الطبيعية فيها.

آثار السلطة:

وإلى أثار السياسة الحاكمة على بيت النبوة أشار الى حالتهم في ظل السلطة بقوله:

١ ـ (فتركوهم عالة) والعول: الاتكال والاستعانة والاعتماد، فهم يفتقرون إلى غيرهم في تأمين حاجاتهم.

٢ ـ (مساكين) والمسكنة: الفقر الذي لا يتمكن معه الاتنسان من تأمين قوت يومه مع شده الاحتياج حيث أنه لا شئ له.

٣ ـ (إخوان دبر) حيث لا صاحب لهم سوى الجمل الأدبر، والدبر: قرحة في ضهر الدابة لا يمكن استخدامها لذلك، فمثلهم بأنهم لاصاحب لهم سوى هذه الحيوانات التي لا يمكن الانتفاع منها.

٤ ـ (ووبر) وهو شعر الجمال، تستخدم لحاجات الرعاة، ففقدت بيت النبوة حضارتها بالحياة الصحراويّة القاسية.

٥ ـ (أذل الأمم دارا) حيث ان الحياة الصحراويّة لا حصن لها عن العدو، فيكون دارهم دار ذلّ عمليا.

٦ ـ (وأجدبهم قرارا) والجدب: خلو الارض من الزراعة كما هي طبيعة الارض الصحراويّة، فلا مستقر حينئذ لهم.

٧ ـ (لا يأوون إلى جناح دعوة يعتصمون بها) فقد فاتهم من اسباب القوّة وحدة الكلمة والرؤية الواضحة؛ فليس لهم مرجع يرجعون اليه كمبدأ يعتصمون به، بل يضمهم الفرقة.

٨ ـ (ولا إلى ظل ألفة يعتمدون على عزها) حيث ان طبيعة الارض الصحراوية ان لا يوجد فيها اشجار ذات ظلال ولا دور وعمار يكنّون فيها؛ فإنّ من عوامل القوّة الالفة التي توجب العز والسكون في ظل الراحة، وهي مفقودة في امة مهملة في الصحراء.

واشار الى الاسباب الموجبة لهذه الحالة، الى ما يرجع إلى عوامل الضعف في الامم السابقة بقوله:

أوّلاً: (فالأحوال مضطربة) تتبع سياسة السلطة الحاكمة؛ لاعتماد هذا البيت عليها، وهي تستخدمهم كما تريد بازاء عرض ما يفتقرون اليه من القوت، فتحسن احوالهم حسب ورود المعونة ويغلب عليها الحاجة بانقطاعها.

ثانياً: (والأيدي مختلفة)؛ فإنّ كلّ جماعة من بيت النبوة تعمل بالطريقة التي تراها من مصلحتها.

ثالثاً: (والكثرة متفرقة)؛ فإنّ بني ابراهيم على كثرتهم المتكونة من اولاد اسماعيل واسحاق متفرقين في انفسهم.

رابعاً: (في بلاء أزل) ونتيجة الفرقة الذي هو من اهم عوامل الضعف، ان بيت النبوّة

اصبح في بلاء شديد مستمر.

خامساً: (وإطباق جهل) بالفتح أي في طبقات الجهل والكبر، على ما ذكره الشارح ابن أبي الحديد (ت / ٦٥٦ هـ)، فقال ما نصّه: «في جهل مطبق تام بغفلة بيت النبوة عن عوامل الضعف التي أدت إلى هذه الحالة، ولا مخرج منها سوى عوامل القوّة التي استعملتها الامم من قبل».

وعن نتائج هذه الحالة أشار بقوله:

١ ـ (من بنات موؤدة) حيث كانت عرب الجاهلية تئد البنات خشية من العار، كما في شرح الشارح.

٢ ـ (وأصنام معبودة) حيث عمت الاصنام في المجتمع للعبادة بدلا عن العبادة للحق تعالى.

٣ ـ (وأرحام مقطوعة) حيث تعم المصلحة الشخصية على المصالح القبلية.

٤ ـ (وغارات مشنونة) حيث ينعدم القانون المانع عنها، فيسعى كلّ فرد لتأمين ما يحتاج اليه بوسيلة الغارات وسلب الثروات وقتل الارواح البريئة وسبي النساء والاولاد، حيث لا يوجد في اعتقادهم بدل سواها، والتاريخ شرح هذه النتائج بأحرف من دم.

(٣٦ / ط - ١٩٢) **المرحلة الثانية ـ بعد البعثة:**

فَانْظُرُوا إِلَى مَوَاقِعِ نِعَمِ ٱللهِ[1] عَلَيْهِمْ حِينَ بَعَثَ إِلَيْهِمْ رَسُولًا فَعَقَدَ[2] بِمِلَّتِهِ طَاعَتَهُمْ. وَجَمَعَ عَلَى دَعْوَتِهِ أُلْفَتَهُمْ. كَيْفَ نَشَرَتِ النِّعْمَةُ عَلَيْهِمْ جَنَاحَ كَرَامَتِهَا. وَأَسَالَتْ لَهُمْ جَدَاوِلَ[3] نَعِيمِهَا[4]. وَٱلْتَفَّتِ[5] المِلَّةُ بِهِمْ فِي عَوَائِدِ[6] بَرَكَتِهَا. فَأَصْبَحُوا فِي نِعْمَتِهَا غَرِقِينَ[7]. وَعَنْ خُضْرَةِ عَيْشِهَا فَكِهِينَ[8]. قَدْ تَرَبَّعَتِ[9] الْأُمُورُ بِهِمْ فِي ظِلِّ سُلْطَانٍ قَاهِرٍ.

(١) في ب زيادة: سبحانه.
(٢) في هـ. ص: أي كانت طاعتهم كالشيء المنتشر المحلول فعدها بملة محمّد ﷺ.
(٣) في هـ. ب: جمع جدول وهو النهر، وفي هـ. ص: جمع جدول: النهر.
(٤) في أ: نعمتها، وفي هـ د: نعمتها ـ ف وحاشية ن.
(٥) في هـ. ب: في نسخة: التقت، وفي هـ. ب: أي أصاب. هـ. ص: أي جمعتهم، يقال: التف الحبل بالحطب أي جمعه، والتف الحطب بالحبل أي اجتمع به، من الشرح.
(٦) في هـ. ب: العوائد المنافع، وفي هـ. ص جمع عائدة وهي النفع.
(٧) في هـ. ص: مبالغة في شمولها كما يغرق الناس بالمطر.
(٨) في ط: فاكهين، و في هـ. ص: أي أشرين، ويروى: «فاكهين» أي ناعمين.

وَآوَتْهُمُ[10] الْحَالُ إِلَى كَنَفِ[11] عِزٍّ غَالِبٍ. وَتَعَطَّفَتِ[12] الْأُمُورُ عَلَيْهِمْ فِي ذُرَى[13] مُلْكٍ ثَابِتٍ. فَهُمْ حُكَّامٌ عَلَى الْعَالَمِينَ. وَمُلُوكٌ فِي أَطْرَافِ الْأَرَضِينَ. يَمْلِكُونَ الْأُمُورَ عَلَى مَنْ كَانَ يَمْلِكُهَا عَلَيْهِمْ. وَيُمْضُونَ الْأَحْكَامَ فِيمَنْ كَانَ يُمْضِيهَا فِيهِمْ. لَا تُغْمَزُ[14] لَهُمْ قَنَاةٌ[15] وَلَا تُقْرَعُ لَهُمْ صَفَاةٌ.

وعن المرحلة الثانية لبيت النبوة بعد بعثة النبيّ محمّد ﷺ ذكر من عوامل القوة قوله:

أوّلاً: ـ (فانظروا إلى مواقع نعم الله عليهم)؛ فإنّ بيت النبوة التي كان يقاد من قبل غيرهم اصحبت تقود نفسها وغيرها بقيادة النبي (محمّد) الذي هو منهم، واجتمعت فيه عوامل القوة التي رفعت كلّ الامم من قبله، وتضاءلت عوامل الضعف التي أهلكت كلّ الامم، وكل ذلك مرتهن بمرحلة البعثة.

الثاني: (حين بعث إليهم رسولا) فكانت البعثة للنبي محمّد ﷺ حاملا رسالة الله سبحانه بتطبيقها على الارض على خطى جده ابراهيم عليه السلام، فكانت الرسالة المرجع الوحيد في توحيد المجتمع على أساس عوامل القوة.

الثالث: (فعقد بملته طاعتهم) والطاعة للقيادة من عوامل القوّة، وبقيادته وطاعة المؤمنين به تحقق لبيت النبوة شعب جديد يختلف في الحالات عن التي كانت من قبل البعثة.

الرابع: (وجمع على دعوته ألفتهم) والالفة من عوامل القوّة ويتحقق بالاتحاد على دعوة النبي محمّد.

آثار البعثة:

وإلى آثار هذه المرحلة أشار بقوله:

١ ـ (كيف نشرت النعمة عليهم جناح كرامتها) بعد الحاجة إلى الاستعانة بالسلطة

(٩) في هـ. ب: صار مربعاً، و في هـ. ص: أي تمكنت أو أقامت يقال ربع بالمكان: أقام به.
(١٠) في هـ. ب: جمعتهم.
(١١) في ص: كهف.
(١٢) هـ. ص: كناية عن السعادة والاقبال.
(١٣) في هـ. ب: أي عُلا، وفي هـ ص: جمع ذروة: أعلى الشيء.
(١٤) في هـ. ب: أي لا تقبض.
(١٥) هـ. ص: يكنىٰ به عن حال العز الذي لا يضام.

الحاكمة، فقد اصحبت النعمة لهم بالكرامة من دون استعانة، فعمت النعمة بالاعتماد على النفس والعمل على تحقيقها.

٢ ـ (وأسالت لهم جداول نعيمها) نتيجة للعمل الجاد من قبل المسلمين، كانت نعم الله عليهم باذلة كجداول الماء السائلة.

٣ ـ(والتفت الملة بهم في عوائد بركتها) حيث اصبح الشعب يلتف حول بيت النبوة، لما رأت عوائد البركات الحاصلة لها بسببهم.

٤ ـ (فأصبحوا في نعمتها غرقين)؛ فإنّ نعمة ملة الاسلام عمت الشعب جميعا بالعدالة والكرامة.

٥ ـ (وعن خضرة عيشها فكهين) أي متنعمين بالتمتع من مظاهر الطبيعية والعيش ومسك زمام امورهم بانفسهم.

وإلى الاسباب في هذه الاثار أشار بقوله:

أوّلاً: (قد تربعت الأمور بهم في ظل سلطان قاهر) والتربع كناية عن استقامة الامور بأنفسهم كاستقامة البناء على قوائمه الاربعة في ظل الاستقلال في اتباع القائد القاهر للاعداء.

ثانياً: (وآوتهم الحال إلى كنف عز غالب) حيث لم يرضخوا إلى حكم الاكاسرة والقياصرة، ومسكوا زمام امورهم بانفسهم، وجعلوا انفسهم في جانب العز الغالب بقيادة النبي محمّد على جانب الذل بقيادة الاعداء.

ثالثاً: (وتعطفت الأمور عليهم في ذرى ملك ثابت) والتعطف: الاقبال والسعادة في ذروة الرفعة، فان الشعب بقيادة بيت النبوة اصبح سعيدا في القمة من الملك الثابت والبناء على العدل والتواضع وغيرها من أسباب القوة، الاجتناب عن الظلم والكبر التى هي من عوامل الضعف.

والحقيقة التذي لا تنكر ان البعثة النبويّة غيّرت مجرى التاريخ، وجعلت القيادة بيد بيت النبوة الداعية الى تطبيق رساله الله على الارض بقيادة النبي محمّد صلى الله عليه وآله والتي استخدمت كلّ مقومات القوة، واجتنبت كلّ مقومات الضعف التي أسقطت الامم من قبل.

والى اهم نتائج ذلك أشار بقوله:

١ ـ (فهم حكام على العالمين) من مختلف الشعوب م عرب وغيرهم بعد ان كانوا محكومين.

٢ ـ (وملوك في أطراف الأرضين) يحكمون بحكم الله بعد ان كانوا منفردين في الصحراء العربية.

٣ ـ(يملكون الأمور على من كان يملكها عليهم) من الاكاسرة في العراق والقياصرة في الروم.

٤ ـ (ويمضون الأحكام فيمن كان يمضيها فيهم) من الامراء والحكام والقضاة، فيطبقون حكم القران عليهم دون احكامهم التي كانت نابعة من الاهواء.

٥ ـ (لا تغمز لهم قناة) وهي الرمح؛ لأنّ رماحهم على استعداد للجهاد، فلا تفتقر الى الغمز، وهو استعلام حالها لمعرفة صلاحها، حيث انهم قد استعملوا ذلك من قبل.

٦ ـ (ولا تقرع لهم صفاة) وهي الحجر القوي الذي لا يكسر، وهو مثل يضرب لمن لا يطمع فيه لقوته.

وذلك كلّه لاستجماع مقومات القوة في الاسلام عقيدة وشريعة، وتجنبها عوامل الضعف سلوكا وعملا.

والتاريخ يشهد بانه لم يظهر من بيت النبوة من تمكن من اقامة الحكم الالهي على وجه الارض سوى النبي محمّد صلى الله عليه وآله؛ فإنّ اليهود وان تمكنوا من احداث دولة اسرائيل عام ١٩٤٨، ولكنها ليست دولة دينيّة وان كانت تتعاطف معهم، بل هي دولة علمانية لا تطبق احكام دينهم، وهم اعداء الاسلام في العالم، يعادون من يحاول تسلم الحكم من المسلمين بشراسة لامثيل لها في التاريخ، سواء بالمباشرة أو بواسطة عملائهم في بلاد الاسلام، وقد عملت على افشال كلّ حركة اسلامية بعد الغاء الخلافة في تركيا عام ١٩٢٩ م، فلم يقم للمسلمين قائمة حتى عصرنا الحاضر، كالاخوان المسلمين في مصر، وفدائيان اسلام في ايران، والمهدي في السودان وغيرهم، والله ينصر من ينصره بالاقتداء بسيرة الرسول القائد صلى الله عليه وآله.

(٣٧ / ط ـ ١٩٢) القسم التاسع ـ المجتمع في عصر الإمام:

أَلَا وَإِنَّكُمْ قَدْ نَفَضْتُمْ(١) أَيْدِيَكُمْ عنْ(٢) حَبْلِ الطَّاعَةِ(٣) وَثَلَمْتُمْ حِصْنَ ٱللهِ(٤) المَضْرُوبَ

---

(١) في أ: نقضتم.

(٢) في ب و ط و د: من، وفي هـ. د: عن ـ ف و م.

عَلَيْكُمْ بِأَحْكَامِ الْجَاهِلِيَّةِ[٥] وَإِنَّ[٦] ٱللهَ سُبْحَانَهُ قَدِ ٱمْتَنَّ عَلَى جَمَاعَةِ هَذِهِ الْأُمَّةِ فِيما عَقَدَ بَيْنَهُمْ مِنْ حَبْلِ هَذِهِ الْأُلْفَةِ الَّتِي يَنتَقِلُونَ[٧] فِي ظِلِّهَا[٨]. وَيَأْوُونَ إِلَى كَنَفِها. بِـنِعْمَةٍ[٩] لَا يَعْرِفُ أَحَدٌ مِنَ المَخْلُوقِين لَهَا قِيمَةً لِأَنَّهَا أَرْجحُ مِنْ كُلِّ ثَمَنٍ وَأَجَلُّ مِنْ كُلِّ خَطَرٍ[١٠].

واستعرض الإمام عليه السلام في هذا القسم حالة المجتمع الاسلامي في عصره، مشيراً إلى بعض عوامل القوة التي أهملها هذا المجتمع، والى عوامل الضعف التي نخرت فيه، ونتائجها، ودوره القيادي في ذلك بتثقيفها وبالتاكيد على الوعي الاسلامي، وعمليا بالحروب التصحيحية التي قادها:

حالة المجتمع:

وعن حالة المجتمع في عصره قال مخاطبا الوجوه الحاضرة عنده:

١ ـ(ألا وإنكم قد نفضتم أيديكم من حبل الطاعة) للقيادة الاسلامية العليا بالرغم من الاعتقاد بها والمبايعة لها، ففي مرحلة العمل ليس التحرك على ما تأمر به القيادة، وهذا نفض عملي، كما ينفض الشيئ ليزول عنه ما لصق به من الغبار ونحوه؛ فإنّ من عوامل القوّة طاعة القيادة، فلم تفشل الامم المتقدمة في الوصول الى استقلالها إلّا بعصيان القيادة، وهؤلاء المخاطبون في نفس الحالة عمليا، وكانهم يرون الطاعة امراً لاحاجة اليها فنفضوها كما ينفض الإنسان الثوب لينفصل عنه ما علق به من الغبار.

٢ ـ(وثلمتم حصن الله المضروب عليكم) والثلمة: الجرح؛ فإنّ الطاعة حصن ضربه الله على المسلمين بقوله تعالى:﴿اطيعوا الله واطيعوا الرسول واولي الامر منكم﴾.[١١]

وهذا اعراض عن مقومات النصر.

---

(٣) في هـ ص: كلمة تقال في اطراح الشيء وتركه، وهي أبلغ من أن يقول: تركتم حبل الطاعة؛ لأن من يخلي الشيء من يده ثم ينفض يده منه يكون أشد تخلية له ممن لا ينفضها، بل يقتصر على تخليته فقط ؛لأن نفضها اشعار وايذان بشدة الاطراح والاعراض، من الشرح ١٣: ١٨٠.

(٤) في هـ. ب: أي حدود الله وأحكامه.

(٥) في هـ. ب: أي لا تفعلوا فعل الجاهلية.

(٦) في ط: فان.

(٧) في ب: يتقلبون، وفي هـ ب: ينقلبون.

(٨) في هـ. د: تتقلبون في طيّها ـ م، يتنقلون في ظلها ـ ش.

(٩) في هـ. ب: قوله تعالى: (فألّف بين قلوبهم).

(١٠) في هـ. ب: أمر عظيم.

(١١) النساء : ٥٩ .

٣ ـ(بأحكام الجاهلية) التي منها عدم الطاعة للقيادة، والتحرك حيث الاهواء والآراء والمنافع الشخصيّة بالتفرقة التي هي من مقومات الضعف والتي لا تنتج إلّا الفشل.

وأشار إلى السبب في ذلك من احكام الجاهلية بقوله:

٤ ـ(فإن الله سبحانه قد امتن على) المؤمنين برسالة الاسلام.

باحكام واوامر شرعية هي من مقومات النصر، وهي:

أوّلاً: (جماعة هذه الأمة) وليس افراد أو طائفة من الامة، بل عامتها وجماعتها؛ فإنّ الجماعة رحمة والفرقة عذاب.

ثانياً: (فيما عقد بينهم)؛ فإنّ اوامر الله سبحانه عقد ملزم بين الله والامة الاسلاميّة عامة، لا يمكن لاحد التخلف عنها، لما يستتبعه من العقاب في الدنيا والعذاب في الاخرة.

ثالثاً: (من حبل هذه الألفة) ولوحدة الكلمة التي هي من مقومات النصر وعوامل القوّة، ولا يحصل إلّا بالالتفات حول القائد.

وأشار إلى نتائج هذه الاوامر بقوله:

رابعاً: (التي ينتقلون في ظلها)؛ فإنّ الالفة والوحدة لها أثرها العام لجميع الامة وليس لطائفة خاصة منهم.

خامساً: (ويأوون إلى كنفها) حيث يستقرون في جانب الالفة إلى الحرمة والاستقلال الذي لا مأوى بدونها.

سادساً: (بنعمة لا يعرف أحد من المخلوقين لها قيمة) حيث أنّه لا قيمة لمن فقد الحرية والاستقلال .

واشار الى السبب في هذه الحقيقة بقوله:

سابعاً: (لأنها أرجح من كلّ ثمن)؛ فإنّ ما يحصل عليه دعاة التفرقة انما هو ثمن زهيد بالنسبة الى الحرية والاستقلال.

ثامناً: (وأجل من كلّ خطر) وهو الشرف؛ فإنّ ما يتصوره الإنسان من الشرف والمنزلة والعناوين الخيالية كلها تربط الإنسان بنوع من العبودية لتلك العناوين، فيصبح المنقاد اليها كما ينقاد العبد، والإنسان الملم الحر يكون طلقا من العبودية بكل مظاهرها من المادّة والماديات، ونعمة الحرية نعمة لا تقدر بثمن.

(٣٨/ط ـ ١٩٢) موارد النقض:

وَٱعْلَمُوا أَنَّكُمْ صِرْتُمْ بَعْدَ الهِجْرَةِ أَعْرَاباً[١] وَبَعْدَ المُوالَاةِ أَحْزَاباً[٢] مَا تَتَعَلَّقُونَ مِنَ الْإِسْلَامِ إِلَّا بِاسْمِهِ. وَلَا تَعْرِفُونَ مِنَ الْإِيمَانِ إِلَّا رَسْمَهُ.

تَقُولُونَ النَّارَ وَلَا الْعَارَ[٣] كَأَنَّكُمْ تُرِيدُونَ أَنْ تُكْفِئُوا[٤] الْإِسْلَامَ عَلَى وَجْهِهِ ٱنْتِهَاكاً لِحَرِيمِهِ وَنَقْضاً لِمِيثَاقِهِ الَّذِى وَضَعَهُ[٥] ٱللهُ لَكُمْ حَرَماً فِى أَرْضِهِ وَأَمْناً بَيْنَ خَلْقِهِ[٦]. وَإِنَّكُمْ إِنْ لَجَأْتُمْ إِلَى غَيْرِهِ حَارَبَكُمْ أَهْلُ الْكُفْرِ ثُمَّ لَا جَبْرَائِيلَ[٧] وَلَا مِيكَائِيلَ وَلَا مُهَاجِرِينَ[٨] وَلَا أَنْصَارَ[٩] يَنْصُرُونَكُمْ إِلاَّ المُقَارَعَةَ[١٠] بِالسَّيْفِ حَتَّى يَحْكُمَ ٱللهُ بَيْنَكُمْ.

وسرد الإمام المواقف التي تدل على النقض في الطائفة التي يخاطبهم فقال:

١ ـ (واعلموا أنكم صرتم بعد الهجرة أعرابا) والهجرة هي الهجرة إلى الله ورسوله، والالتزام بالمبادئ الاسلاميّة التي بشر بها، والاعراب: من يهاجر كذلك، وكان في بدء الاسلام الهجرة هي علامة الايمان بالرسالة، والتعرب بالخروج إلى الاعراب الذين رفضوا الهجرة.

ومن الثوابت الاسلامية حرمة التعرّب بعد الهجرة، وقد ذم الله سبحانه الاعراب بقوله: ﴿الاعراب اشد كفرا ونفاقا واجدر أن لا يعلموا حدود ما انزل الله على رسوله﴾.[١١]

ذلك قبل تقبلهم الاسلام كطريقة للحياة.

والإمام يصفهم بالاعراب لمواقفهم التي تطابق مواقف الاعراب بخرق الطاعة واتباع

---

(١) في هـ. ب: الاعراب أشد كفراً ونفاقاً.
(٢) في هـ. ب: أحزاباً: جمع حزب وهي الطائفة والجماعة. أي بعد المودة والهناء صرتم جماعة متفرقين، و في هـ. ص أي متحزبين على أهل الحق معادين لهم وهو اشعار بما يكون منهم بعده وكشف لحالهم الذي يصيرون اليه.
(٣) في هـ. ب: أي نقبل النار ولا نقبل العار.
(٤) في هـ. ب: ان تقلبوا وتكبّوا يقال كفأت الشيء لوجهه: أي قلبته.
(٥) في أ: وضع.
(٦) في هـ. ب: يعني الكعبة والحرم.
(٧) في ط و د: جبرائيل، وفي هـ. ب: أي لا جبرائيل لنصرتكم، وفي هـ. ص: الرواية المشهورة بالفتح اعراباً أو بناءً، وهو جار على التشبيه بالنكرة بتقدير: ثم لا ناصر، وقد روي بالرفع في الجميع.
(٨) في أ و د: مهاجرون.
(٩) في ب: أنصاراً، وفي د: انصارٌ.
(١٠) هـ. ب: من القرع وهو الدق.
(١١) التوبة: ٩٧.

المصالح الشخصيّة والقبليّة.

٢ ـ (وبعد الموالاة أحزابا) بالطاعة للقيادة كما امر الله سبحانه بالموالاة والتي هي من مقومات النصر، وقد استبدلوا ذلك بالتفرق في احزاب مختلفة، والفرقة من عوامل الضعف، وهي ليست من الاسلام في شيئ.

٤ ـ (ما تتعلقون من الاسلام إلّا باسمه)؛ فإنّ من عوامل القوّة العمل على ما يطابق الاعتقاد؛ فإذا خالف العمل للثوابت الاسلامية فيكون ذلك كاشفا عن عدم الاعتقاد الثابت، كما كانت عليه حالة الاعراب، وان كان اسم الاسلام صادقا كما يصدق في المنافق.

٥ ـ (ولا تعرفون من الايمان إلّا رسمه) والرسم: الاثر الباقي من الاطلال بعد الخراب، فالايمان الموجود انما هو ايمان عار عن العمل، فلا اثر له.

وهذه النقاط الخمس وصف عام لمواقف النقض، فيفتقر إلى دليل مادي، وقد أشار إلى دليل مادي يثبت هذه المواقف والوصف لها فقال:

٦ ـ (تقولون النار ولا العار)؛ فإنّ هذا المبدأ ليس اسلاميا، بل كان شعاراً جاهليا يستخدم للعصبية بين القبائل.

والاسلام لايرى العار إلّا مايخالف التقوى؛ فإنّ مخالفة التقوى يوجب النار.

ثم شرح الإمام هذه المقالة والدوافع لرفع هذا الشعار بقوله:

أوّلاً: (كأنكم تريدون أن تكفئوا الاسلام على وجهه)؛ فإنّ رفع الشعار المعارض للمبادئ الاسلاميّة قلب للمفاهيم الاسلامية، كما يكفئ الشيئ على وجهه، واكفاءالاناء: قلبه رأسا على عقب.

ثانياً: (انتهاكا لحريمه) بانتهاك ما حرمه الله سبحانه، ومنها عدم الطاعة للقيادة؛ فإنّ الله امر بالطاعة للقيادة ؛ لانها من عوامل القوّة وان انهاك ذلك انتهاك لما حرم الله من اهمال الطاعة.

ثالثاً: (ونقضا لميثاقه) حيث ان قبول الاسلام يستلزم العمل بكل لوازمه الشرعية التي هي ميثاق بين المسلم وربه: وعدم الالتزام بها نقض لها.

واشار إلى حقيقتين للميثاق الالهي الذي يؤثر نقضه على المجتمع ككلّ، وهي:

١ ـ (الذي وضعه الله لكم حرما في أرضه) فيجب احترام القانون الالهي في ارض الله.

٢ ـ (وأمنا بين خلقه) حيث انّه يوجب حصول الامن والاستقرار في المجتمع الاسلامي.

رابعاً: (وإنكم إن لجأتم إلى غيره حاربكم أهل الكفر) وحذر عن مغبّة النقض لميثاق الله من العواقب والآثار المشؤومة التي تترتب عليه من عوامل الضعف، كما هي الحال في كلّ الامم التي لا تؤدي واجباتها؛ حيث يتقوى العدو للقضاء عليكم.

واشار إلى عدم توقع النصر عند وجود عوامل الضعف التي منها اهمال الواجب بقوله:

خامساً: (ثم لا جبرائيل ولا ميكائيل ولا مهاجرون ولا أنصار ينصرونكم)؛ فإنّ النصر انما يكون بعد ان يكون هناك عوامل القوة في الإنسان نفسه، فلا يمكن النصر لمن هو عاجز في الحرب؛ فإنّ ذلك احياء وليس نصراً، ومن له القدرة يفتقر إلى النصر، والمفروض ان المخاطبين يتقاعسون عن طاعة القيادة، وفي مثل هذه الحالة لا يستحقون شيئا؛ لعدم العمل بما يجب عليهم، فيكون توقع النصر توقعا في غير محله.

سادساً: (إلّا المقارعة بالسيف حتّى يحكم الله بينكم) فان نتيجة اهمال الواجب العسكري وعدم طاعة القيادة ان يستولي العدو على ساحة الحرب بالسيف والقوة، ويكسب المعركة، وهذه هي سنة الله التي شرعها في الحياة.

وهذه النقاط تكشف بوضوح ان الموقف الناقض متناقض مع المبادئ الاسلامية الآمرة بأخذ مقومات النصر التي أكّد عليها الاسلام.

(٣٩ / ط ـ ١٩٢) **موارد الاعتبار:**

وَإِنَّ عِنْدَكُمُ ٱلْأَمْثَالَ[١] مِنْ بَأْسِ ٱللهِ وَقَوَارِعِهِ[٢] وَأَيَّامِهِ وَوَقَائِعِهِ[٣] فَلَا تَسْتَبْطِئُوا وَعِيدَهُ جَهْلًا بِأَخْذِهِ وَتَهَاوُناً بِبَطْشِهِ وَيَأْساً مِنْ بَأْسِهِ فَإِنَّ ٱللهَ سُبْحَانَهُ لَمْ يَلْعَنِ ٱلْقُرُونَ المَاضِيَ بَيْنَ أَيْدِيكُمْ إِلَّا لِتَرْكِهِمُ[٤] ٱلْأَمْرَ بِالْمَعْرُوفِ وَالنَّهْيَ عَنِ الْمُنكَرِ. فَلَعَنَ ٱللهُ السُّفَهَاءَ لِرُكُوبِ المَعَاصِي وَٱلحُلَمَاءَ[٥] لِتَرْكِ التَّنَاهِي[٦].

(١) في هـ. ب: الأمثال والنظائر، وفي هـ. ص هي قصص القرآن.
(٢) في هـ. ب: جمع قارعة وهي الداهية.
(٣) في هـ. ب: جمع واقعة.
(٤) في أ: لتركه.
(٥) في هـ. د: والحكماء ـ م و ل .
(٦) في هـ. د: النواهي ـ ب .

أَلَا وَقَدْ قَطَعْتُمْ قَيْدَ ٱلْإِسْلَامِ وَعَطَّلْتُمْ حُدُودَهُ وَأَمَتُّمْ[١] أَحْكَامَهُ.

وأشار الإمام إلى موارد الاعتبار من عوامل القوّة والضعف في الامم المستقدمة التي يجب الاعتبار بها في هذا الموقف من المجتمع الاسلامي، الذي يؤمن بقلبه ولا يعمل على مقتضى الايمان، فهو موقف متناقض. فان من يريد النصر لابد ان يستعد له فقال:

الأوّل: (وإن عندكم الأمثال) من الامم المتقدمة التي كانت لهم مواقف مماثلة لمواقفكم، وقد ذكره الله سبحانه في القران الكريم بقوله تعالى:﴿وضربنا لكم الامثال﴾ [٢]، وهي تتضمن:

(من بأس الله) من العذاب.

(وقوارعه) التي تقرع القلوب؛ لعظم وقعها.

(وأيامه) وهي ايام نصركم الذي قضى فيها على اعداء الدين.

(ووقائعه) وهي العقوبات التي أنزلها الله في العصاة.

ونتيجة هذه الامثال الاعتبار.

الثاني: (فلا تستبطئوا وعيده) في نقض عهد الله، قال تعالى:﴿ٱلَّذِينَ يَنْقُضُونَ عَهْدَ ٱللهِ مِنْ بَعْدِ مِيثَاقِهِ وَيَقْطَعُونَ مَا أَمَرَ ٱللهُ بِهِ أَنْ يُوصَلَ وَيُفْسِدُونَ فِي ٱلْأَرْضِ أُولَٰئِكَ هُمُ ٱلْخَاسِرُونَ﴾ [٣].

وإلى الاسباب الموجبة إلى هذا الاستبطاء أشار بقوله:

أوّلاً: (جهلا بأخذه) على ترك الواجب.

ثانياً: (وتهاونا ببطشه) للعقاب على الافعال.

ثالثاً: (ويأساً من بأسه) بسبب عدم المبادرة بالعقاب؛ فإنّ الله سبحانه يقدر العقاب لاسباب مجتمعة براها، ولا يعلم بها إلّا الله سبحانه، فإنّه تعالى لا ينزل العذاب بحسب توقع الناس، ويمهل الضالمين حتّى تنكشف حقائقهم لغيرهم كما هي معروفة لأنفسهم؛ فإنّ الوعيد حق وان لا يعلم وقته، قال تعالى:﴿ثم صدقناهم الوعد فانجيناهم ومن نشاء

(١) في هـ. ب: من الموت .
(٢) ابراهيم: ٤٥.
(٣) البقرة: ٢٧.

واهلكنا المسرفين﴾.[١]

(وعد الله لا يخلف الله وعده ولكن اكثر الناس لا يعلمون﴾.[٢]

الثالث: (ولم يلعن القرن الماضي بين ايديكم إلّا لتركهم الامر بالمعروف والنهي عن المنكر، فلعن الله السفهاء لركوب المعاصى والحكماء لترك التناهي).

مشيراً إلى قوله تعالى:﴿لعن الذين كفروا من بني اسرائيل على لسان داود وعيسى بن مريم ذلك بما عصوا وكانوا يعتدون﴾.[٣]

فان اللعن في هذه الاية عامة للجميع، بما فيهم السفهاء والحكماء، وقد شمل اللعن السفهاء الذين ارتكبوا المعاصي فاستحقوا اللعن باعمالهم، وكذلك استحق العلماء منهم اللعن بسبب ترك التناهي عن ذلك، والتناهي هو نهى البعض الاخر، وهو ترك الثابتة الاسلاميّة: الامر بالمعروف والنهي عن المنكر.

فان موقف النقض هو ترك لاحدى مقومات القوّة في الامة؛ فإنّ الامر بالمعروف والنهي عن المنكر في الاسلام مسؤولية جماعية؛ لما لها ولتركها من اثار مباشرة وغير مباشرة على المجتمع عامة.

وختم الإمام عليه السلام المقطع بالتاكيد على ان مواقف النقض هي معارضة لهذه المقومات، وانها مواقف تخاذل محكومة عليها، مشيرا بقوله:

الاول: (الا، وقد قطعتم قيد الاسلام) بعدم الطاعة للقيادة والرجوع إلى عصر الجاهلية.

الثاني: (وعطلتم حدوده) التي منها الامر بالمعروف والنهي عن المنكر.

الثالث: (وأمتّم احكامه) التي منها رفع شعار الجاهلية "النار ولا العار".

وكلّ واحدة منها تظهر في مواقف النق، التي ظهرت من هذه الطائفة المخاطبة في عصر الإمام عليه السلام.

(٤٠ / ط - ١٩٢) اداء المسؤولية:

أَلَا وَقَدْ أَمَرَنِى ٱللهُ بِقِتَالِ أَهْلِ ٱلْبَغْىِ وَٱلنَّكْثِ وَٱلْفَسَادِ فِى ٱلْأَرْضِ فَأَمَّا ٱلنَّاكِثُونَ[٤] فَقَدْ

(١) الأنبياء: ٩.
(٢) الروم: ٦.
(٣) المائدة: ٧٨.
(٤) في هـ. ب: طلحة والزبير.

قَاتَلْتُ وَأَمَّا ٱلْقَاسِطُونَ[١] فَقَدْ جَاهَدْتُ وَأَمَّا ٱلْمَارِقَةُ[٢] فَقَدْ دَوَّخْتُ[٣] وَأَمَّا شَيْطَانُ ٱلرَّدْهَةِ[٤] فَقَدْ كُفِيتُهُ بِصَعْقَةٍ[٥] سُمِعَتْ لَهَا وَجْبَةُ[٦] قَلْبِهِ وَرَجَّةُ[٧] صَدْرِهِ وَبَقِيَتْ[٨] بَقِيَّةٌ مِنْ أَهْلِ ٱلْبَغْيِ وَلَئِنْ أَذِنَ للهُ فِى ٱلْكَرَّةِ عَلَيْهِمْ لَأُدِيلَنَّ[٩] مِنْهُمْ إِلَّا مَا يَتَشَذَّرُ[١٠] فِى أَطْرَافِ ٱلْبِلَادِ[١١] تَشَذُّراً.

وأشار الإمام عليه السلام في المقطع الاخير إلى مسؤولياته القياديّة التي قام بها في دور القيادة، فقال:

١ ـ (ألا، وقد أمرني الله بقتال أهل البغي والنكث والفساد في الأرض) وهذه المواقف الثلاثة من مسؤوليات الإمام وقد واجهها، وهم:

أوّلاً: البغي، قال تعالى:﴿وَإِن طَائِفَتَانِ مِنَ ٱلْمُؤْمِنِينَ ٱقْتَتَلُوا فَأَصْلِحُوا بَيْنَهُمَا فَإِنْ بَغَتْ إِحْدَاهُمَا عَلَى ٱلْأُخْرَىٰ فَقَاتِلُوا ٱلَّتِي تَبْغِي حَتَّىٰ تَفِيءَ إِلَىٰ أَمْرِ ٱللَّهِ﴾[١٢].

ثانياً: الناكثون للبيعة، فإنّه نكث لمبايعة الله، قال تعالى:﴿ان الذين يبايعونك انما يبايعون الله﴾ [١٣]، فان ما جرى في حق الرسول جار في حق الوصي.

ثالثاً: الفساد في الارض، وهو الفساد الذي يؤثر في عامة المجتمع، قال تعالى:﴿إِنَّمَا

(١) هم الجائرون عن الحق، وفي هـ. ب: معاوية.
(٢) في هـ. ب: الخوارج.
(٣) في هـ. أ: ذللّت، وفي هـ. ب: أذللت .
(٤) في هـ. أ: شيطان الردهة، يريد الخارجي الذي يقال له: ذو الثدية. وفي هـ. ب: الردهة: الحفيرة في الجبل يجتمع فيها الماء اجتمع فيه الشياطين فبعث النبي صلى الله عليه وآله أمير المؤمنين فدمّرهم.
(٥) الصعقة: الغشية تصيب الانسان من الهول.
(٦) في هـ أ: خفقان، وفي هـ. ب: سقوط، وفي هـ. ب: الوجوب الغروب للشمس، والوجوب: الخفقان.
(٧) رجّة الصدر اهتزازه وارتعاده، وفي هـ. ب: صوّت.
(٨) في ب: وبقي، وفي هـ. ب، وفي نسخة وبقيت.
(٩) في هـ. ب: الادالة: اعطاء الدولة، والمراد انفي الدولة منهم وأُبيدهم، وفي هـ. ب: ولاذيلنّ، الاذالة: الاهانة، أي بقيت منهم جماعة.
(١٠) في هـ. ب: يتفرق.
(١١) في هـ. د في أطراف البلاد ـ ض ح ب، من أطراف البلاد ـ ن.
(١٢) الحجرات: ٩.
(١٣) الفتح: ١٠.

جَزَاءُ ٱلَّذِينَ يُحَارِبُونَ ٱللهَ وَرَسُولَهُ وَيَسْعَوْنَ فِي ٱلْأَرْضِ فَسَاداً أَن يُقَتَّلُوا﴾.[1]

٢ ـ (فأما الناكثون فقد قاتلت) والناكثون هم الذين عقدوا البيعة ثمّ نقضوها، مشيراً إلى اصحاب الجمل، عام ٣٦.

٣ ـ (وأما القاسطون فقد جاهدت) والقسط: العدول عن الحق، مشيرا إلى اصحاب معاوية في صفّين، عام ٣٧.

٤ ـ (وأما المارقة فقد دوّخت) والمروق: الخروج من الدين، والدوخة: الذلة والضعف مشيراً إلى اصحاب النهروان، عام ٣٧.

٥ ـ (وأما شيطان الردهة، فقد كفيته بصعقة سمعت لها وجبة قلبه ورجة صدره) الردهة: هي النقرة في الجبل،أو الصخر، والصعقة: الغشيان من الهول، والوجبة: الاضطراب من الخوف، والرجّة: الاهتزاز رعدةً.

ويشير ذلك إلى حالة الشيطان في نقره في الصخر، كفى الله شره بصعقة غشيه الهول على أثرها وخوف استولى على قلبه ورعدة استولى على صدره.

وفي المعنيّ به خلاف، والسياق يقتضي ان تكون الحادثة بعد حرب صفين، والله العالم.

٦ ـ (وبقيت بقية من أهل البغي) لم يتمكن الإمام من تنفيذ مسؤولية تجاههم أو لم يتمكن من القضاء عليهم لتواجدهم بين الجماعة التي لا ينفذون اوامره القيادية بدوافع جاهليّة.

ويظهر انّ الإمام أراد انذار هؤلاء بعزمه القاطع في تنفيذ كافة مسؤولياته القيادية حرفيّا بقوله:

(ولئن أذن الله في الكرة عليهم لأديلن منهم، إلّا ما يتشذر في أطراف البلاد تشذرا) الكرة: الحرب، والادالة منهم: جعل الدولة لغيرهم، والتشذّر: التفرقة.

والمسؤولية الاخيرة هي القضاء على المعارضة المسلحة لنظام الاسلام عندما تجتمع شروطها، ومنها: اعلان الحرب المسلحة في موقف المعارضة؛ فإنّ المسؤولية القياديّة تستوجب القضاء عليهم ميدانيّا في ساحة الحرب، حتّى لا تكون لها دولة، ويلتجئون الى

---

(١) المائدة : ٣٣.

وضع السلاح من ايديهم ويعيشون بسلام اينما كانوا من دون معارضة مسلحة.

قال ابن أبي الحديد في شرح نهج البلاغة، ما نصه:«قد ثبت عن النبيﷺ أنه قال: لهعليه السلام) ستقاتل بعدي الناكثين والقاسطين والمارقين (، فكان الناكثون أصحاب الجمل ، لأنهم نكثوا بيعتهعليه السلام ، وكان القاسطون أهل الشام بصفين ، وكان المارقون الخوارج في النهروان ، وفي الفرق الثلاث قال: الله تعالى:﴿فمن نكث فإنما ينكث على نفسه﴾[1] ، وقال:﴿واما القاسطون فكانوا لجهنم حطبا﴾ [2] ، وقال النبي ﷺ:«يخرج من ضئضئ هذا قوم يمرقون من الدين كما يمرق السهم من الرمية ، ينظر أحدكم في النصل فلا يجد شيئا ، فينظر في الفوق [3] ، فلا يجد شيئا ، سبق الفرث والدم» .

وهذا الخبر من اعلام نبوتهﷺ ومن اخباره المفصلة بالغيوب . واما شيطان الردهة ، فقد قال: قوم انه ذو الثدية صاحب النهروان ، ورووا في ذلك خبرا عن النبيﷺ ، وممن ذكر ذلك واختاره الجوهري صاحب الصحاح [4] وهؤلاء يقولون إنّ ذا الثدية لم يقتل بسيف ، ولكن الله رماه يوم النهروان بصاعقة ، واليها أشارعليه السلام بقوله:« الأبالسة المردة من أعوان عدو الله إبليس».[5]

(٤١ / ط ـ ١٩٢) القسم العاشر ـ خصائص الإمامعليه السلام:

أَنَا وَضَعْتُ[6] بِكَلَاكِلِ[7] ٱلْعَرَبِ وَكَسَرْتُ نَوَاجِمَ[8] قُرُونِ رَبِيعَةَ[9] وَمُضَرَ وَقَدْ عَلِمْتُمْ مَوْضِعِي مِنْ رَسُولِ ٱللهِ ﷺ[10] بِالْقَرَابَةِ ٱلْقَرِيبَةِ وَٱلْمَنْزِلَةِ ٱلْخَصِيصَةِ[11] وَضَعَنِي فِي

---

(١) سورة الفتح : ١٠).

(٢) سورة الجن : ١٥) .

(٣) الفوق : مشق رأس السهم حيث يقع الوتر .

(٤) الصحاح: ٢٢٣٢، وفيه : قال الخليل : الردهة : شبه أكمة كثيرة الحجارة . وفي الحديث أنهﷺ ذكر المقتول بالنهروان فقال: « شيطان الردهة» .

(٥) شرح نهج البلاغة ؛ ابن أبي الحديد ١٣ : ١٨٣ ـ ١٨٤.

(٦) في ط زيادة: في الصغر، وفي ه. د: أنا وضعت في الصغر ـ ض و ب .

(٧) في أ و ب: بكلكل، وفي ه. أ في نسخة: بكلاكل، وفي ه. ب :كلاكل جمع كلكل، وهو الصدر وعظماء العرب، وفي ه ص: الباء زائدة، والكلاكل الصدور، والمعنى: اني أذللتهم وصرعتهم الى الأرض.

(٨) في ه. ب: أي طوالع.

(٩) في ه. ب: قبيلة.

(١٠) في ب: وآله .

(١١) في ه. ب: الخاصة.

حِجْرِهِ[١] وَأَنَا وَلِيدٌ يَضُمُّنِى إِلَى صَدْرِهِ وَيَكْنُفُنِى الى فِرَاشِهِ[٢] وَيُمِسُّنِى جَسَدُهُ وَيُشِمُّنِي عَرْفَهُ[٣] وَكَانَ يَمْضُغُ ٱلشَّىْءَ ثُمَّ يُلْقِمُنِيهِ وَمَا وَجَدَ لِي كَذْبَةً فِى قَوْلٍ وَلَا خَطْلَةً[٤] فِى فِعْلٍ وَلَقَدْ قَرَنَ ٱللهُ[٥] بِهِ ﷺ مِنْ لَدُنْ[٦] كَانَ فَطِيماً أَعْظَمَ مَلَكٍ مِنْ مَلائِكَتِهِ يَسْلُكُ بِهِ طَـرِيقَ ٱلْمَكَارِمِ وَمَحَاسِنَ أَخْلَاقِ ٱلْعَالَمِ لَيْلَهُ وَنَهَارَهُ. وَلَقَدْ كُنْتُ أَتَّبِعُهُ ٱتِّبَاعَ ٱلْفَصِيلِ[٧] أَثَرَ أُمِّهِ يَرْفَعُ لِى فِى كُلِّ يَوْمٍ مِنْ أَخْلَاقِهِ عَلَماً[٨] وَيَأْمُرُنِى بِالاقْتِدَاءِ بِهِ وَلَقَدْ كَانَ يُجَاوِرُ فِى كُلِّ سَـنَةٍ بِحِرَاءَ[٩] فَأَرَاهُ وَلَا يَرَاهُ غَيْرِى وَلَمْ يَجْمَعْ بَيْتٌ وَاحِدٌ يَوْمَئِذٍ فِى ٱلْإِسْلَامِ غَيْرَ رَسُولِ ٱللّٰهِ ﷺ وَخَدِيجَةَ وَأَنَا ثَالِثُهُمَا. أَرَى نُورَ ٱلْوَحْيِ وَٱلرِّسَالَةِ وَأَشُمُّ رِيحَ ٱلنُّبُوَّةِ.

ويتضمن القسم العاشر خصائص الإمام الشخصيّة الذاتيّة ومواقفه الاسلامية في بداية الدعوة الاسلاميّة بما يظهر بوضوح الصلة الوثيقة لموقفه بين الرسول القائد والإمام في جميع مراحل الحياة حتّى وفاته ﷺ، ولو لم يكن للإمام عليه السلام أي فضيلة سوى هذه الصلة الوثيقة لكفاه فخرا وشرفا واستحقاقا للسير على خطاه في القيادة، وقد شـرحت كـتب التاريخ والسيرة تلك المواقف بما لا مزيد عليه، فنتكفي بما أشار اليه عليه السلام في المقام.

١ ـ (أنا وضعت في الصغر بكلاكل العرب) والكلّ: الصدر؛ فإنّ وجوه القوم يعتبرون كالصدور الدارعة لمقامهم عند قومهم من القبائل، وذلك في ساحات غزوات الرسـول القائد دفاعا عن الاسلام، وهذا في نفسه له موقف تقدير وحصول ذلك في الصغر اكـثر تقديرا؛ لرسوح الرؤية الواضحة في شخصية القائل.

٢ ـ (وكسرت نواجم قرون ربيعة ومضر) والنواجم: القرون الظاهرة، باعتبار ظهور هذه الشخصيات المحاربة كظهور القبيلتين.

٣ ـ (وقد علمتم موضعي من رسول الله ﷺ بالقرابة القريبة) حيث انّه ابن عـمه أبـي

(١) في هـ. ص: هذا شرح للمنزلة الخصيصة.
(٢) في ط و د: في هـ. د: الى فراشه ـ ب.
(٣) في هـ. ب: الطيب، وفي هـ. ص : العرف: الرائحة الطيبة.
(٤) في هـ. ص: هي الخطأ فيه وايقاعه على غير وجهه.
(٥) في ب زيادة: تعالىٰ.
(٦) في ط زيادة: ان، وفي هـ. د: من لدن ان ـ ض ح ب .
(٧) الفصيل ولد الناقة.
(٨) في هـ. د: في كل يوم علماً من أخلاقه ـ ش.
(٩) في هـ ب : بحراء جبل في مكة، بحِرَا وبحَرِاء يذكر ويؤنث ويصرف ولا يصرف.

طالب، فهو اقرب من غيره من الصحابة من المهاجرين والانصار في القربى .

٤ ـ (والمنزلة الخصيصة) حيث ان قربه المعنوي إلى الرسول القائد، الخاص به من جهة المصاهرة، فهو زوج ابنته الوحيدة، ومن تخرج من مدرسة النبوة.

واشار إلى امثلة تدل على هذه المنزلة الخصيصة فقال:

٥ ـ (وضعني في حجره وأنا ولد) كناية عن التربية منذ الصغر، وتكفله إياه كما يعامل الاب ولده.

٦ ـ (يضمني إلى صدره) معاملة الوالد لولده.

٧ ـ (ويكنفني إلى فراشه) بالمبيت عنده، كما يبيت الولد عند والده.

٨ ـ (ويمسني جسده) ملاعبا ومداعبا كالآباء لابنائهم.

٩ ـ (ويشمني عرفه) والعرف بالفتح: الرائحة، حيث كان النبي ﷺ يستعمل الطـيب كثيراً، ونتيجة لذلك تربيت على طيب الرائحة.

١٠ ـ (وكان يمضغ الشيء، ثمّ يلقمنيه) ليسيغ لي اكله من دون اعتراض.

١١ ـ (وما وجد لي كذبة في قول) في التعامل، حيث تربى على الصدق كثابتة اسلاميّة اصيلة.

١٢ ـ (ولا خطلة في فعل) والخطل: الخطأ غير المتعمد.

ثم أشار إلى خصيصة من خصائص الرسول القائد التي أثرت في حياته كلها بقوله:

(ولقد قرن الله به ﷺ) من لدن أن كان فطيما أعظم ملك من ملائكته يسلك به طريق المكارم ، ومحاسن أخلاق العالم ليله ونـهاره) فكـان الرسـول القـائد جـامعا لمكـارم ومحاسن الاخلاق.

١٣ ـ (ولقد كنت أتبعه اتباع الفصيل أثر أمه) الفصيل: ولد الناقة، وكان الإمام يـتبع الرسول القائد متابعة تامّة لا يحصل الانفكاك إلّا لضرورة قاهرة كما هي الحالة الطبيعة بين الوالد والولد، وهي في الناقة وولدها محسوسة.

وكان اتباع النبي ﷺ قد اكسبه طريق المكارم ومحاسن اخلاق العالم التي تـعلمها النبي ﷺ من اعظم الملائكة.

١٤ ـ (يرفع لي في كلّ يوم من أخلاقه علما) بالفتح أي آية من الآيات التي يستهدى بها في طريق الحياة، فكان الرسول القائد يتدرج في تربية الإمام بالدروس الاخـلاقيّة

يوما بعد يوم.

١٥ ـ (ويأمرني بالاقتداء به) كما امر كلّ المسلمين بالاخذ بسنته الرشيدة، ولكن خصّ الإمام بالاقتداء به فيما اختاره علما لغيره.

١٦ ـ (ولقد كان يجاور في كلّ سنة بحراء فأراه) وحراء: جبل كان يتحنث فيه الرسول ويعتزل المجتمع، وفيه نزل عليه الوحي باعلان الرسالة، وفي فترة التحنث هذه لم يره احد غيري.

١٧ ـ (ولا يراه غيري) حتّى زوجته خديجة عليها السلام، وربما لصعوبة تسلق الجبل، وقد صعدت اليه بشقّ الانفس أبان تشرفي الى الحج.

١٨ ـ (ولم يجمع بيت واحد يومئذ في الاسلام غير رسول الله ﷺ وخديجة وأنا ثالثهما) وهذا البيت هو بيت خديجة عليها السلام وهو الآن واقع في زقاق الصاغة، المتفرع من سوق الليل، خلف المسعى، بين سوق الليل ومحل ولادة الرسول ﷺ، زرنه عام ١٢٨٣، وقد حولته الحكومة إلى مدرسة لتحفيظ القران الكريم، كما حولت مولد الرسول ﷺ إلى مكتبة مكّة المكرمة العامة.

وعن مشاهداته في هذا البيت قال:

١٩ ـ (أرى نور الوحي والرسالة) التي تلقاها النبي ﷺ في هذا البيت، وفي ذلك صراحة واضحة بأن الوصي كان مصحوبا بالنور.

٢٠ ـ (وأشم ريح النبوة) وهذه مرتبة عالية في المعرفة لا يصل اليها سوى امام المتقين عليه السلام.

وهذه النقاط البالغة عشرين حقائق في حياة الإمام القائد، وقد اختص بها، ولم يشاركه فيها احد من الصحابة المهاجرين والانصار سواه، وهي مشاهدات وانطباعات شخصيّة من جانبه، لم يحصل أحد عليها، فلا بحث مع غيره حولها.

(٤٢ / ط - ١٩٢) حدثان بارزان:

وأشار الإمام إلى حدثين بارزين في حياته تختلفان عن خصائصه الشخصيّة بانه بحث حولهما مع الرسول القائد ﷺ، وهي من المعجزات وتخضع لما تخضع له من امور خارجة عن قدرة البشر، ويعجز عن تفسيرها الفكر المادي، وهما: الشيطان ومعجزة الشجرة.

اولاً: رنّة الشيطان:

قال عنها عليه السلام:

وَلَقَدْ سَمِعْتُ رَنَّةَ ٱلشَّيْطَانِ حِينَ نَزَلَ ٱلْوَحْيُ عَلَيْهِ ﷺ فَقُلْتُ :يَا رَسُولَ ٱللهِ مَا هَذِهِ ٱلرَّنَّةُ فَقَالَ هَذَا ٱلشَّيْطَانُ قَدْ أَيِسَ مِنْ عِبَادَتِهِ. إنَّكَ تَسْمَعُ مَا أَسْمَعُ وَتَرَى مَا أَرَى إِلَّا أَنَّكَ لَسْتَ بِنَبِيٍّ. وَإِنَّكَ لَوَزِيرٌ[1] وَإِنَّكَ لَعَلَى خَيْرٍ[2].

١ ـ (لقد سمعت رنة الشيطان حين نزل الوحي عليه ﷺ) وهذا من خصائصه، فلم يسمع ولم يدّع احد من الصحابة سماعها، والرنة: الصوت الحزين.

٢ ـ (فقلت يا رسول الله ما هذه الرنة ؟) وبهذا السؤال تختلف هذه الخصيصة عن غيرها من الخصائص المتقدمة.

٣ ـ (فقال: هذا الشيطان أيس من عبادته)؛ فإنّ سبب الرنة هو اليأس الذي اعترى الشيطان بظهور الاسلام، حيث المواقف الثابتة لمحاربة الشيطان في كلّ اساليبة واهدافه، في رسول اختاره الله لهذه المهمة الرساليّة الكبرى.

ثم شرح الرسول القائد ﷺ ما تفرضه هذه الحقيقة بنقاط.

أوّلاً: (إنك تسمع ما أسمع) من الرنة، وليس كلما اسمع من الوحي.

ثانياً: (وترى ما أرى) من النور أو الرؤية الواضحة في المبادئ والوسائل والأهداف.

ثالثاً: (إلّا أنك لست بنبي)؛ لأنّ النبوّة انما تكون باختيار الله سبحانه، ولا تكون الّا بسماع الوحي أو الرؤية لجميع الامور كلها.

رابعاً: (ولكنك وزير) والوزير لغة: المعاون، وانما استحق هذا اللقب من الرؤية الواضحة للاسلام مبدءاً ووسيلة وهدفاً بسبب تربيته في مدرسة النبوة حتّى وصل إلى هذه المرتبة العالية من المشاهدات والمسموعات، وهي تختلف عن الوحي والتحديث وان كانت عالية جداً فيستحق بذلك العون في تطبيق الاسلام مبدءاً ووسيلة وهدفا (وراجع المواد في المعجم).

ومن اجل ذلك ختم الرسول القائد ﷺ كلامه بقوله:

خامساً: (وإنك لعلى خير) لهذا التوفيق العظيم بالمرتبة الخاصة من الرؤية والمشاهدة

---

(١) في أ: ولكنك وزير، وفي هـ. ب: في نسخة: ولكنّك وزير.
(٢) في أ على خير، وفي هـ. ب: على خير ترجه.

التي لم تؤثر عن احد من الصحابة، وحتى زوجته خديجة الكبرى عليها السلام.

وعن معجزة الشجرة قال:

وَلَقَدْ كُنْتُ مَعَهُ ﷺ لَمَّا أَتَاهُ ٱلْمَلأُ مِنْ قُرَيْشٍ فَقَالُوا لَهُ يَا مُحَمَّدُ إِنَّكَ قَدِ ٱدَّعَيْتَ عَظِيماً لَمْ يَدَّعِهِ آبَاؤُكَ وَلَا أَحَدٌ مِنْ بَيْتِكَ[1] وَنَحْنُ نَسْأَلُكَ أَمْراً إِنْ أَنْتَ أَجَبْتَنَا[2] إِلَيْهِ وَأَرَيْتَنَاهُ عَلِمْنَا أَنَّكَ نَبِيٌّ وَرَسُولٌ، وَإِنْ لَمْ تَفْعَلْ عَلِمْنَا أَنَّكَ سَاحِرٌ كَذَّابٌ فَقَال لهم[3] ﷺ: وَمَا تَسْأَلُونَ؟ قَالُوا: تَدْعُو لَنَا هٰذِهِ ٱلشَّجَرَةَ حَتَّى تَنْقَلِعَ[4] بِعُرُوقِهَا وَتَقِفَ بَيْنَ يَدَيْكَ. فَقَالَ ﷺ: إِنَّ ٱللهَ عَلَى كُلِّ شَيْءٍ قَدِيرٌ، فَإِنْ فَعَلَ ٱللهُ ذٰلِكَ لَكُمْ[5] أَتُؤْمِنُونَ وَتَشْهَدُونَ بِالْحَقِّ؟ قَالُوا: نَعَمْ، قَالَ: فَإِنِّي سَأُرِيكُمْ مَا تَطْلُبُونَ، وَإِنِّي لَأَعْلَمُ أَنَّكُمْ لَا تَفِيئُونَ إِلَى خَيْرٍ[6]، وَإِنَّ فِيكُمْ مَنْ يُطْرَحُ فِي ٱلْقَلِيبِ[7]، وَمَنْ يُحَزِّبُ ٱلْأَحْزَابَ[8]. ثُمَّ قَالَ[9]: يَا أَيَّتُهَا ٱلشَّجَرَةُ إِنْ كُنْتِ تُؤْمِنِينَ بِاللهِ وَٱلْيَوْمِ ٱلْآخِرِ وَتَعْلَمِينَ أَنِّي رَسُولُ ٱللهِ فَانْقَلِعِي بِعُرُوقِكِ حَتَّى تَقِفِي بَيْنَ يَدَيَّ بِإِذْنِ ٱللهِ. فوالَّذِي[10] بَعَثَهُ بِالْحَقِّ[11] لَانْقَلَعَتْ بِعُرُوقِهَا وَجَاءَتْ وَلَهَا دَوِيٌّ[12] شَدِيدٌ وَقَصْفٌ[13] كَقَصْفِ أَجْنِحَةِ ٱلطَّيْرِ حَتَّى وَقَفَتْ بَيْنَ يَدَيْ رَسُولِ ٱللهِ ﷺ مُرَفْرِفَةً[14] وَأَلْقَتْ بِغُصْنِهَا ٱلْأَعْلَى عَلَى رَسُولِ ٱللهِ ﷺ وَبِبَعْضِ أَغْصَانِهَا عَلَى مَنْكِبِي وَكُنْتُ عَنْ[15] يَمِينِهِ ﷺ[16] فَلَمَّا نَظَرَ ٱلْقَوْمُ إِلَى ذٰلِكَ قَالُوا[17] عُلُوّاً وَٱسْتِكْبَاراً: فَمُرْهَا فَلْيَأْتِكَ نِصْفُهَا وَيَبْقَ نِصْفُهَا.

---

(١) في ص: أهل بيتك، وفي هـ. ب: أي قبيلتك.
(٢) في د. ان أنت أجبتنا، وفي هـ. د: إن أجبتنا ـ ش.
(٣) في ب زيادة: النبي. ولم ترد «لهم» في ط و د.
(٤) في أ: تتقلّع.
(٥) في ب: بكم ذلك وفي ط و د: لكم ذلك.
(٦) في هـ. ب: إلى إسلام.
(٧) في هـ. ب: أبو جهل.
(٨) في هـ. ب: أبو سفيان.
(٩) في ط و د زيادة: ﷺ.
(١٠) في ط: والذي.
(١١) في هـ. ب: نبياً.
(١٢) في هـ. ب: صوت.
(١٣) هـ. ب: صوت شديد.
(١٤) في هـ. ب: الرفرفة قرع الطير جناحه بعضها علىٰ بعض.
(١٥) في ص: علىٰ، وفي هـ. د: علىٰ ـ م.
(١٦) في ب: عليه السلام.
(١٧) في ب و ص: فقالوا.

فَأَمَرَهَا بِذٰلِكَ فَأَقْبَلَ إِلَيْهِ نِصْفُهَا كَأَعْجَبِ إِقْبَالٍ وَأَشَدِّهِ دَوِيّاً فَكَادَتْ تَلْتَفُّ بِرَسُولِ ٱللهِ ﷺ. فَقَالُوا كُفْراً وَعُتُوّاً: فَمُرْ هٰذَا ٱلنِّصْفَ فَلْيَرْجِعْ[1] إِلَى نِصْفِهِ كَمَا كَانَ، فَأَمَرَهُ ﷺ[2] فَرَجَعَ، فَقُلْتُ أَنَا: لَا إِلٰهَ إِلَّا ٱللهُ، إِنِّي[3] أَوَّلُ مُؤْمِنٍ بِكَ يَا رَسُولَ ٱللهِ وَأَوَّلُ مَنْ آمَنَ[4] بِأَنَّ ٱلشَّجَرَةَ فَعَلَتْ مَا فَعَلَتْ بِأَمْرِ ٱللهِ تَعَالَى تَصْدِيقاً لِنُبُوَّتِكَ[5] وَإِجْلَالاً لِكَلِمَتِكَ. فَقَالَ ٱلْقَوْمُ كُلُّهُمْ: بَلْ سَاحِرٌ كَذَّابٌ عَجِيبُ ٱلسِّحْرِ خَفِيفٌ فِيهِ وَهَلْ يُصَدِّقُكَ فِي أَمْرِكَ إِلَّا مِثْلُ هٰذَا يَعْنُونَنِي.

١ ـ (ولقد كنت معه ﷺ لما أتاه الملأ من قريش) للاحتجاج على دعوة النبوة.

٢ ـ (فقالوا له: يا محمّد إنك قد ادعيت عظيما لم يدّعه آباؤك ولا أحد من بيتك) أي القريبين منهم في مكة المكرمة.

٣ ـ (ونحن نسألك أمرا إن أجبتنا إليه وأريتناه علمنا أنك نبي ورسول، وإن لم تفعل علمنا أنك ساحر كذاب) وهذا طلب طبيعيّ للقناعة بدعوى النبوة والرسالة لمن لا يؤمن بها ويستحق الاجابة؛ فإنّ على مدعي النبوة اثبات الدعوى وللنافي نفيه.

٤ ـ (فقال ﷺ: وما تسألون؟).

(قالوا تدعو لنا هذه الشجرة حتّى تنقلع بعروقها وتقف بين يديك).

وهذا السؤال يبدوا صعبا، في حين انّه غير طبيعي؛ فإنّ صدق النبوة انما تكون بمحتواها وليس بالامور المادية، والمبادئ التي دعى اليها الاسلام هي مبادئ يجب التأمل فيها من حيث المحتوى والمصداقية، ولا يفتقر الى سوى الفكر الحر والتأمّل، من دون حاجة إلى شهادة شاهد.

والنبي ﷺ بحكم معرفته بالقوم وفشل اقناعهم بالفكر الحر، وامله في تحقيق رسالة الاسلام استجاب الى الطلب؛ لأنّه في مرحلة تفتقر إلى المعجزة الخارجة، كما هو الحال في حالات توجب المعجزات التي يعجز عنها البشر، والله على كلّ شئ قدير.

٥ ـ (فقال ﷺ: إن الله على كلّ شئ قدير؛ فإن فعل الله لكم ذلك أتؤمنون وتشهدون بالحق؟ قالوا: نعم).

---

(١) في هـ. د: فليرجع الله نصفه ـ ب.
(٢) في ط:
(٣) في أ و ب: فاني.
(٤) في ط: أقرّ، وفي هـ. د: أقر ـ ص و ح و ب.
(٥) في ط و د: بنبوّتك.

٦ ـ (قال فإني سأريكم ما تطلبون) باستخدام المعجزة بقدرة الله بالرغم من العلم بماضي القوم وحاضرهم ومستقبلهم، بارادة الله، واشار إلى ثلاثة امور له علم مسبق بها:

أوّلاً: (وإني لأعلم أنكم لا تفيئون إلى خير) والفيئ: الرجوع الى قول الحق.

ثانياً: (وإن فيكم من يطرح في القليب) وهو البئر؛ اخباراً عن مستقبل بعضهم ممن قتل في غزوة بدر من المشركين، وهم: أُميّة بن عبد شمس الاموي والوليد بن المغيرة الاموي وعتبة وأبي جهل.

ثالثاً: (ومن يحزب الأحزاب) مخبراً عن غزوة الاحزاب التي حصلت في العام الخامس للهجرة، وكان القادة المشتركين في تحزيب الاحزاب ابو سفيان الاموي وعكرمة بن أبي الجهل وصفوان ابن أُميّة وغيرهم، ويظهر تواجد هؤلاء جميعاً عند ظهور هذه المعجزة.

وعن المعجزة قال:

٧ ـ (ثم قالﷺ : يا أيتها الشجرة إن كنت تؤمنين بالله واليوم الآخر وتعلمين أني رسول الله فانقلعي بعروقك حتّى تقفي بين يديّ بإذن الله).

وكان الامام خلف النبيﷺ باذن من الله سبحانه القادر على كلّ شئ.

وعن مشاهدته للمعجزة قال:

٨ ـ (فوالذي بعثه بالحق، لانقلعت بعروقها وجاءت ولها دويّ شديد وقصف كقصف أجنحة الطير، ووقفت بين يدي رسول اللهﷺ مرفرفة، وألقت بغصنها الأعلى على رسول اللهﷺ، وببعض أغصانها على منكبي، وكنت عن يمينهﷺ).

والقصف: الصوت الهائل كصوت اجنحة الطير.

ومن ذلك يظهر تواجد الإمام في هذا المحفل عن يمين الرسول القائدﷺ ملتصقا به بحيث القيت بعض الاغصان على منكبهعليه السلام.

وعن ردود الفعل الأولى من القوم المشركين قال:

٩ ـ (فلما نظر القوم إلى ذلك قالوا – علوّا واستكبارا –: فمرها فليأتك نصفها ويبقى نصفها).

(فأمرها بذلك، فأقبل إليه نصفها كأعجب إقبال وأشدّه دويّا، فكادت تلتف برسول اللهﷺ).

ومن شدة الدوي يستكشف السرعة في هذا الاقبال، وعن ردة الفعل الثانية لمشركي العرب في هذا الموقف قال:

١٠ ـ (فقالوا – كفرا وعتوّا – فمر هذا النصف فليرجع إلى نصفه كما كان، فأمرهﷺ فرجع).

وعن ردة فعل الإمامعليه السلام:

١١ ـ (فقلت أنا : لا إله إلّا الله، فإني أول مؤمن بك يا رسول الله، وأول من أقر بأن الشجرة فعلت ما فعلت بأمر الله تعالى تصديقا بنبوتك وإجلالا لكلمتك).

١٢ ـ وعن ردّة فعل المشركين التالية للمرة الثالثة قال:

(فقال القوم كلهم : بل ساحر كذاب، عجيب السحر خفيف فيه).

(٤٣ / ط ـ ١٩٢) ختام الخطبة:

وَإِنِّى لَمِنْ قَوْمٍ لَا تَأْخُذُهُمْ فِى ٱللهِ لَوْمَةُ لَائِمٍ سِيَماهُمْ سِيماء ٱلصِّدِّيقِينَ وَكَلَامُهُمْ كَلَامُ ٱلْأَبْرَارِ عُمَّارُ ٱللَّيْلِ[١] وَمَنَارُ[٢] ٱلنَّهَارِ مُتَمَسِّكُونَ بِحَبْلِ ٱلْقُرْآنِ[٣]، يُحْيُونَ سُنَنَ ٱللهِ وَسُنَنَ رَسُولِهِ لَا يَسْتَكْبِرُونَ وَلَا يَعْلُونَ وَلَا يَغُلّونَ[٤] وَلَا يُفْسِدُونَ، قُلُوبُهُمْ فِي ٱلْجِنَانِ وَأَجْسَادُهُمْ فِى ٱلْعَمَلِ[٥].

وختم الخطبة بخصائص تستخلص من الاقسام العشرة في وصف القائد الاسلامي الذي يتمتع برؤية واضحة لعوامل القوة والضعف في تحركة التي تقدمت في تاريخ الامم والرسالة الاسلاميّة، التي بشر بها الرسول القائدﷺ وطبقها في حياته من المبادئ والوسائل والأهداف الاسلامية، وقد وصف الإمام نفسه بها لتواجد هذه الصفات فيه،

(١) في هـ. ب: عمّار الليل، أي طال لبثهم في صلاة الليل في الخضوع والخشوع، وهم كعبدالله بن العباس وحمزة وأبي عبيدة من أعمامه، وأخوانه عقيل وجعفر وغيرهم من أولادهم أولاد أمير المؤمنين، وأصحابه المقداد الكندي وأبو ذرّ وسلمان وغيرهم.

(٢) في هـ. ب: المنار: موضع النور والضياء.

(٣) في ب: بحبل الله القرآن، وفي هـ. د: بحبل الله القرآن ـ ش.

(٤) أي لا يخونون.

(٥) في أ بعد هذه الخطبة ما يلي: باب المختار من كتب أمير المؤمنينعليه السلام ورسائله الى أعدائه وامراء بلاده، ويدخل في ذلك ما اختير من عهوده الى عمّاله ووصاياه لأهله وأصحابه. من كتاب له الى أهل الكوفة عند مسيره من المدينة الى البصرة. ولم ترد في أ الخطب التي وردت في النسخ الأخرىٰ الى الجزء الثالث، وهو في الكتب، وفي هـ. د: هنا انتهى أبواب الخطب في ف و م و ن.

فقال مؤكداً:

١ ـ (وإنّي لمن قوم) ساروا في القيادة الاسلاميّة لتطبيق حكم الله على الارض من أبي الأنبياء ابراهيم، ثمّ اسماعيل إلى محمّدﷺ خاتم الانبياء، فهو منهم في النسب والسبب والرؤية الواضحة.

٢ ـ (لا تأخذهم في الله لومة لائم) من البشر؛ للرؤية الواضحة في المسؤوليات التي تحملها.

٣ ـ (سيماهم سيماء الصديقين)؛ فإنّ الرجل يعرف باصحابه والذين يعيش معهم.

٤ ـ (وكلامهم كلام الأبرار) الذين يعم برهم كلّ شئ في القول والعمل.

٥ ـ (عمار الليل) بكثرة العبادة فيها من التهجد والانقطاع إلى الله.

٦ ـ (ومنار النهار) بالعمل في سبيل الله كما تفرضه عليهم من مسؤولياتهم اسلاميّة.

٧ ـ (متمسكون بحبل القرآن) باعتباره القانون الاساسي للاسلام.

٨ ـ (يحيون سنن الله) سبحانه التي أوجبها على كلّ انبيائه ورسله.

٩ ـ (وسنن رسوله) التي حددها في حياته الشريفة حتّى وفاته.

١٠ ـ (لا يستكبرون)؛ لأنّ الكبر في رأس عوامل الضعف في كلّ امة.

١١ ـ (ولا يعلون)؛ لأنّ العلوّ من خصائص الله سبحانه ولا يشترك معه البشر فيه.

١٢ ـ (ولا يغلون) والغلّ: الحسد، وهو من عوامل الضعف التي توجب الخسران في الدنيا والعذاب في الاخرة.

١٣ ـ (ولا يفسدون) والفساد: ماله اثر في المجتمع وهو من عناصر الخسران.

١٤ ـ (قلوبهم في الجنان) بالرغبة اليها، وليس بالرغبة في الدنيا.

١٥ ـ (وأجسادهم في العمل) في الدنيا بأداء المسؤوليات الملقاه على عاتقهم في ب اية لحظة من لحظات الحياة.

وهذه النقاط هي التي تحدد المسؤوليات الاسلاميّة للقائد، ولا يهملها إلّا من ليست له رؤية واضحة للمبادئ والوسائل والأهداف الاسلاميّة؛ فإنّ كلّ امرئ ـ ككل امة ـ مرهون بعمله ﴿وان ليس للانسان إلّا ما سعي وان سعيه سوف يرى﴾.[1]

(١) النجم : ٣٩.

وهل يعرفك في امرك إلّا مثل هذا؟ (يعنوني).

والرواية الاخرى اوردتها في مسند نهج البلاغة، فليراجع.

ومن موارد الاعتبار: انّه ليس في النص تصريح بنوع الشجرة، ومن الطبيعي ان تكون شجرة النخل لكثرتها في الجزيرة العربية، ولو كان فلماذا لم يعبر عنها بـالنخلة؟ وربـما كانت شجرة اخرى، ولابد ان يكون لها من الطول حداً يبلغ كتف الإنسان الواقف، والدوي حين المجيئ يدل على سرعة تحركها.

ثالثاً: ان الامام بادر باعلان ايمانه بمعجزة الشجرة كما كان اعلن عن ايمانه قبل ذلك في بدء الدعوة؛ حيث تمت المعجزة المطلوبة من المشركين العرب، وهم بتكرار السؤال اثبتوا عدم ايمانهم بالمعجزة في اعلنوا انكارهم صراحة، فاعادو الاتهام بالسحر والكذب، وزادوا فيه تعجب الخفّة فيه.

رابعاً: ان التكرار للعمل اكثر من ثلاث لا فائدة فيه؛ فإنّ المؤمن بالشئ لا يؤمن بالشئ حتّى تظهر الحجة التي تساند الدعوى، وله في ذلك الحق كلّه، ولكن بعد اثبات المعجزة ثلاث مرات يجب التوقف عن الاحتجاج؛ اذ ليس بعد قيام الحجة إلّا العناد.

وبالاجمال، فهذه وغيرها من المعجزات من خوارق العادات التي لا يظهر حقائقها إلّا لمن خصه الله سبحانه بالرؤية والبصيرة، والله على كلّ شئ قدير.

وقد نقل الشارح (ت / ٦٥٦ هـ)، ما نصوصاً في النقاط التي أشار اليها الإمام بتفصيل لبيان الإمام والرسولﷺ وغيرها فـي شـرح النـهج، ج ١٣، صـص ٢٠١ ـ ٢١٢، ط / ١٩٦٣) نكتفي منها بالرواية الاخيرة منها لصغرها، قال الشارح ابن أبي الحـديد (ت / ٦٥٦ هـ)، ما نصّه: «وروى أبو جعفر الطبري ايضا في التاريخ أن رجلا قال لعلى عليه السلام يا امير المؤمنين ، بم ورثت ابن عمك دون عمك فقال على عليه السلام هاؤم ثلاث مرات ، حتى اشراب الناس ، ونشروا آذانهم ، ثم قال جمع رسول الله ﷺ بني عبد المطلب بمكة ، وهم رهطه كلهم ياكل الجذعة ، ويشرب الفرق ، فصنع مدا من طعام ، حتى اكلوا وشبعوا وبقى الطعام كما هو ، كانه لم يمس ، ثم دعا بغمر ، فشربوا ورووا ، وبقى الشراب كانه لم يشرب ، ثم قال يا بني عبد المطلب ، انى بعثت اليكم خاصة ، والى الناس عامة ، فايكم يبايعني على أن يكون اخى وصاحبى ، ووارثى فلم يقم إليه احد ، فقمت إليه ، وكنت من اصغر القوم ، فقال اجلس ، ثم قال ذلك ثلاث مرات ، كل ذلك اقوم إليه ، فيقول اجلس ، حتى كان في الثالثة ،

فضرب بيده على يدي، فعند ذلك ورثت ابن عمي دون عمي»[1]

[١٩٣]

ومن خطبة له عليه السلام:

يصف فيها المتقين

(ط - ١٩٣ / ١) وصف المتقين:

رُوِي أنّ صاحباً لأميرالمؤمنين عليه السلام يقال له همَّامُ كان رجلا عابداً.

من هو همام؟

وهمام، هو همام بن عبادة بن خيثم بن عائذ بن عبدالله بن موهنة بن منقد الثوري، ترجمة ترجمة السيد الامين (ت / ١٣٧١) في الأعيان بقوله:

«هو ابن اخ الربيع بن الخيثم، احد الزهاد الثمانية: قال الميرزا حسين النوري صاحب مستدركات الوسائل في حاشية رجال ابي علي ومن خطه نقلت: ذكر الكراجكي مسنداً عن يحيى بن أم الطويل قال: عرضت لي حاجة إلى اميرالمؤمنين عليه السلام فاستسعيت اليه جندب بن زهير والربيع بن خثيم وابي اخيه همام بن عبادة بن خثيم وكان من اصحاب البرانس قال: فاقبلنا معتمدين لقاء اميرالمؤمنين عليه السلام فالفيناه حتى خرج يوم الناس، فافضى ـ ونحن معه ـ إلى نفرٍ، إلى ان قال نوف: فاقبل جندب والربيع فقالا: ما سمة شيعتكم يا اميرالمؤمنين؟ فتثاقل عن جوابهما، فقام همام بن عبادة، فقال: (و ذكر الخبر المعروف بطوله).[2]

قال ابن حجر في تهذيب التهذيب بالرقم ٤٦٧، مانصه:« خ م قد ت س ق) البخاري ومسلم وأبي داود في القدر والترمذي والنسائي وابن ماجة:« الربيع بن خثيم [3] بن عائذ بن عبد الله بن موهب بن منقذ الثوري أبو يزيد الكوفي. روى عن النبي صلى الله عليه وآله مرسلا وعن ابن مسعود وأبي أيوب وامرأة من الأنصار وعمرو ابن ميمون وعبد الرحمن بن أبي ليلى وعنه ابنه عبد الله ومنذر الثوري والشعبي وهلال ابن يساف وإبراهيم النخعي وبكر بن

(١) شرح نهج البلاغة؛ لابن أبي الحديد ١٣: ٢١٢.
(٢) أعيان الشيعة ١٠: ٢٧١.
(٣) في التقريب: الربيع بن خثيم ـ بضم المعجمة وفتح المثلثة ـ، ولكن في الخلاصة بفتح المعجمة والمثلثة بينهما تحتانية ساكنة. أبو الحسن.

ماعز وغيرهم. قال: عمرو بن مرة عن الشعبي كان من معادن الصدق وقيل لابي وائل أيما أكبر أنت أو الربيع قال: أنا أكبر منه سنا وهو أكبر مني عقلا وقال: إسحاق بن منصور عن ابن معين لا يسأل عن مثله. قلت: وقال: ابن حبان في الثقات اخباره في الزهد والعبادة أشهر من أن يحتاج إلى الاغراق في ذكره. مات بعد قتل الحسين سنة (٦٣) وأرخه ابن قانع سنة (٦١) وقال: العجلي تابعي ثقة وكان خيارا وروى أحمد في الزهد عن ابن مسعود أنه كان يقول للربيع والله لو رآك رسول الله صلى الله عليه وآله لا حبك. وذكره المزي من غير عزو للزهد وزاد وما رأيتك إلّا ذكرت المخبتين. وقال: منذر والثوري شهد مع علي صفين وقال: الشعبي كان الربيع أشد أصحاب ابن مسعود ورعا وقال: علقمة بن مرثد انتهى الزهد إلى ثمانية فأما الربيع فذكر شيئا من حاله». [1]

قال الجلالي: ومن ذلك يظهر أنّ همام ورث الزهد والعبادة والتشيع من اسرته الموالية؛ فإنّ عمّه شهد مع علي صفّين، وحسب قول ابن حبان في الثقات:« اخباره في الزهد والعبادة اشهر من أن يحتاج إلى الاغراق في ذكرها»، فهي كانت مشهورة في عصر ابن حبان وان خفيت التفاصيل في عصرنا، وما اكثر ذلك من امثال!.

الوصف الاجمالي:

فقال له: يا أميرالمؤمنين: صفْ لي المُتَّقين حتّى كأنِّي أنظر إليهم، فَتَثَاقَلَ عليه السلام[2] عن جوابِهِ، ثم قال عليه السلام: يا همَّامُ اتق ٱللهَ وأحسن: فـ﴿إِنَّ ٱللَّهَ مَعَ ٱلَّذِينَ ٱتَّقَوْا وَّٱلَّذِينَ هُم مُّحْسِنُونَ﴾[3].

فلم يقنعْ هَمَّامٌ بهذا[4] القول حتى عزم عليه[5]، فحمِدَ ٱللهَ وأثنى عليه وصلّى على النبي صلى الله عليه وآله. ثم قال عليه السلام:

وقد اجمل الإمام عليه السلام في الجواب بكلمة جامعة مانعة، هي:(ياهمام، اتق الله واحسن)؛ فإنّ جميع تفاصيل صفات المتقين ترجع إلى هذين الاصلين.

الأوّل: تقوى الله، ففي ذلك التزام بالواجبات تجاه الخالق سبحانه.

(١) تهذيب التهذيب؛ لابن حجر ٣: ٢١٠.
(٢) لم يرد عليه السلام في ب.
(٣) النحل: ١٢٨.
(٤) في د: بذلك، و في هـ. د: بهذا ـ ض و ح و ب.
(٥) في هـ ب: أوجب، وفي هـ. ص: أي قال: عزمت عليك.

والثاني: الاحسان إلى عباد الله، وفي ذلك التزام بالمسؤولية تجاه خلق الله اجمعين، وأي عمل لا يرجع الى هذين الاصلين لا يكون من التقوى؛ لأنّ المفهوم اللغوي للمادّة كما ترجمته في تلخيص الذهب، هو الوقاية ممّا يحرف الإنسان عن انسانيته؛ فإنّ مقتضى طبيعة الانسان تحمل المسؤولية الانسانية واداء الدور الإنساني في الحياة، بأن يعيش حياة ذات هدف انساني تختلف عن سائر الحيوانات. وهذا الهدف الإنساني له جانبان بالنسبة إلى الخالق وبالنسبة إلى الخلق، فمن اتى بهما وقى نفسه من الهلاك في الدنيا والاخرة، دون من قصّر في مسؤولياته فيهما.

(٢/ط - ١٩٣) الرؤية الواضحة:

أَمَّا بَعْدُ؛ فَإِنَّ ٱللهَ سُبْحَانَهُ وَتَعَالَى خَلَقَ ٱلْخَلْقَ ـحِينَ[١] خَلَقَهُمْ ـ غَنِيّاً عَنْ طَاعَتِهِمْ آمِناً مِنْ مَعْصِيَتِهِمْ[٢]؛ لأَنَّهُ لَا تَضُرُّهُ مَعْصِيَةُ مَنْ عَصَاهُ، وَلَا تَنْفَعُهُ طَاعَةُ مَنْ أَطَاعَهُ، فَقَسَمَ بَيْنَهُمْ مَعَايِشَهُمْ[٣]، وَوَضَعَهُمْ مِن ٱلدُّنْيَا مَوَاضِعَهُمْ.

وقبل أن يشرح الإمام مواصفات المتقين بالتفصيل، أشار إلى ضرورة الرؤية الواضحة في الحياة من المبدأ الى المعاد من الجوانب العقائدية والاقتصادية والاجتماعية، فلكل جانب من هذه الجوانب مسؤوليات وواجبات يتمتع المتقون فيها برؤية واضحة في مسيرتهم الانسانية في الحياة.

اما الجانب العقائدي فهو الطاعة للكمال المطلق؛ فإنّ الله سبحانه (خلق الخلق حين خلقهم) من غير حاجة اليهم؛ لأنّه خلقهم (غنيا عن طاعتهم ، آمنا من معصيتهم) لعدم الحاجة اليهم، والحاجة: فقرٌ يناقض الكمال المطلق، وبالنتيجة (لأنّه لا تضره معصية من عصاه) بنظر العاصي (ولا تنفعه طاعة من أطاعه) بل تنفع المطيع نفسه.

فالمتقي يعيش في هذا الجو العقائدي الخالص.

اما الجانب الاقتصادي؛ فإنّ معاش العباد مقسمة عليهم حيث حاجاتهم في الاعمار والاعمال، فلا ياكل من ياكل اكثر ما يتمكن من أن ياكل؛ لأنّه سبحانه (قسم بينهم معيشتهم) فأوصل اليهم ما يفتقرون إليه في العيش مع التوجيه في تدبير ذلك بالعقل الذي

---

(١) في ب: حيث.

(٢) في ب : بمعصيتهم.

(٣) في هـ. د: معيشتهم ـ ب .

وهبهم الله.

وفي الجانب الاجتماعي، فإنّه ليس للانسان إلّا ما سعي وان سعيه سوف يرى، وحباهم القدرة بالعقل وحثهم على العمل (ووضعهم) في الحياة الاجتماعيّة (من الدنيا مواضعهم) اللائقة بهم حسب كفاآتهم العقليّة والجسميّة وطبتقهم الانسانية.

وهذه الجوانب الثلاث هي التي يدور عليه أي مجتمع انساني، ولا يشذ عنها طائفة إلّا من يحكمه شريعة الغاب الذي يأكل فيه القوي الضعيف.

والمتقون لهم الرؤية الواضحة للتعامل مع الحياة من هذه الجوانب الثلاث في حياتهم منذ عام التكليف وحتى الموت.

(٣/ط - ١٩٣) الوصف التفصيلي:

فَالمُتَّقُونَ فِيهَا هُمْ أَهْلُ ٱلْفَضَائِلِ، مَنْطِقُهُمْ الصَّوَابُ، وَمَلْبَسُهُمْ الاقْتِصَادُ[١]، وَمَشْيُهُم التَّوَاضُعُ.

غَضُّوا أَبْصَارَهُمُ عَمَّا حَرَّمَ ٱللهُ عَلَيْهِمْ، وَوَقَفُوا أَسْمَاعَهُمْ عَلَى ٱلْعِلْمِ النَّافِعِ لَهُمْ. نُزِّلَتْ[٢] أَنْفُسُهُمْ مِنْهُمْ فِى ٱلْبَلَاءِ، كَالَّذِى نُزِّلَتْ[٣] فِى ٱلرَّخَاءِ.

وَلَوْلَا[٤] ٱلْأَجَلُ ٱلَّذِى كَتَبَ ٱللهُ عَلَيْهِمْ[٥] لَمْ تَسْتَقِرَّ أَرْوَاحُهمْ فِى أجْسَادِهِمْ طَرْفَةَ عَيْنٍ، شَوْقاً إِلَى الثَّوَابِ، وَخَوْفاً مِنَ ٱلْعِقَابِ.

عَظُمَ ٱلْخَالِقُ فِى أَنْفُسِهِمْ فَصَغُرَ مَا دُونَهُ فِى أَعْيُنِهِمْ فَهُمْ وَٱلْجَنَّةُ[٦] كَمَنْ قَدْ رَآهَا فَهُمْ فِيهَا مُنَعَّمُونَ وَهُمْ وَالنَّارُ كَمَنْ قَدْ رَآهَا فَهُمْ فِيهَا مُعَذَّبُونَ قُلُوبُهُمْ مَحْزُونَةٌ وَشُرُورُهُمْ مَأْمُونَةٌ وَأَجْسَادُهُمْ نَحِيفَةٌ وَحَاجَاتُهُمْ خَفِيفَةٌ وَأَنْفُسُهُمْ عَفِيفَةٌ.

صَبَرُوا أَيَّاماً قَصِيرَةً أَعْقَبَتْهُمْ[٧] رَاحَةً طَوِيلَةً تِجَارَةٌ[٨] مُرْبِحَةٌ يَسَّرَهَا لَهُمْ رَبُّهُمْ. أَرَادَتْهُمُ

---

(١) أي ليس بالثمين جدّاً ولا بالحقير جدّاً.

(٢) في ب و ص و د: نزلت ـ في الموضعين.

(٣) المصدر نفسه .

(٤) في ب و ص: لولا بدون واو.

(٥) في د: لهم، وفي هـ. د: كتب الله عليهم ـ ض، كتب عليهم ـ ب .

(٦) في هـ ص: يروي بالنصب علي ان الواو بمعنىٰ مع وبالرفع بالعطف على الأصل.

(٧) في هـ. ب في نسخة الاصل: أورثتهم.

(٨) في هـ. ص: أي تجارتهم تجارة مربحة بحذف المبتدأ، ويروى تجارةً مربحةً بالنصب على انه مصدر محذوف الفعل . من الشرح .

الدُّنْيَا فَلَمْ[1] يُرِيدُوهَا وَأَسَرَتْهُمْ فَفَدَوْا[2] أَنْفُسَهُمْ مِنْهَا.

استعرض الامام في هذا المقطع (٢) من الصفات الذاتيّة للمتقين في نفس الإنسان سواءٌ كانت لها علامات يستدل بها أم لا، ولولا وجودها الذاتي لما ظهر الخير منهم، وهي:

١ ـ (هم أهل الفضائل) الفضيلة هي لغة: الدرجة الرفيعة من الفضل، وهو الاحسان ابتداءً، وهي طبيعية في بعض النفوس، وضدها: الرذيلة، وهي كذلك طبيعية، يتأصل كلّ منهما على اثر التكرار في العادات والمعاشرات، وكذلك يتأثر كلّ منهما بها، ولكن كلّ شئ يرجع إلى اصله، وكل اناء بالذي فيه ينضح.

والمتقون هم اصحاب الفضيلة بالطبع أو بالكسب، ويرتب عليها ما ياتي:

٢ ـ (منطقهم الصواب) وهو ضد الخطأ، فلا يتكلم المتقي إلّا فيما يستهدف من احقاق حق أو ازهاق باطل بعد التحري الكامل: فلا يكون كلامه هذراً حتّى يكون خطأً.

٣ ـ (وملبسهم الاقتصاد) وهو الاعتدال، وضده: الافراط، والمتقي لا يفرط في الملبس، بل يكتفي بماله الحاجة فيه، ممّا يرفعه عن الفقر ودون الاستعلاء بالغنى.

٤ ـ (ومشيهم التواضع) وهو التخاشع، وضده: التكبر؛ فإنّ الكبرياء في المشي لا يريد على حقيقة الإنسان شيئا، ويكشف عن بعده في معرفة نفسه.

٥ ـ (غضوا أبصارهم عما حرم الله عليهم)؛ فإنّ النظر إلى المحرمات استخدام للنظر بغير ما جعله الله له من النظر إلى ما يخدم به الاهداف الانسانية التي من اجلها خلق الانسان.

٦ ـ (ووقفوا أسماعهم على العلم النافع لهم)؛ فإنّ الله خلق السمع لاداء دوره في الحياة واستخدامه في غير ما خلق له ظلمٌ وانحرافٌ، بل يجب استخدامه في تحقيق الاهداف الانسانيّة وهي العلم النافع، دون غيره.

٧ ـ الاعتدال في المواقف في جميع الحالات التي تطرأ على الإنسان في الحياة، بأن (نزلت أنفسهم منهم في البلاء كالتي نزلت في الرخاء) فانفسهم معتدلة في تلك المواقف المتضادة.

٨ ـ (العمل بالواجب الاسلامي ممّا هو واجب يترتب عليه ثواب، وعلى تركه عقاب،

---

(١) في ب : ولم.

(٢) في هـ. ب في نسخة: ففادوا.

ولولا هذه الواجبات الإنسانية في الحياة لما كانت لهم في الحياة رغبة؛ فإنّ ارواحهم منساقة إلى الثواب المرتب على الواجب، وخائفة من العقاب، وفي نفس الوقت مؤمنة بدورها المسؤول في الحياة (لولا الأجل).

٩ ـ تعظيم الله سبحانه، بحيث (عظم الخالق في انفسهم فصغر ما دونه في اعينهم) وليس التعظيم بالكلام فقط، الذي يصدر من كلّ مسلم في الركوع والسجود، بل انهم يرون الماديات باسرها صغيرة وحقيرة بالنسبة الى عظمة الله سبحانه الحاكمة على الكون.

١٠ ـ (الرؤية الواضحة في الاعمال والنتائج (فهم) يعملون بالواجب ويعلمون بالنتيجة الايجابية التي هي (الجنة كمن قد رآها) بالفعل.

١١ ـ ونتيجة هذه الرؤية الواضحة انهم (فيها منعمون) في الدنيا؛ لأنّ حالتهم النفسية حالة الاطمئنان ﴿الا بذكر الله تطمئن القلوب﴾ وهي افضل نعمة في الدنيا.

١٢ ـ وكذلك لهم رؤية واضحة في النتائج السلبية المترتبة على ترك الواجب في الدنيا، وهي (النار كمن قد رآها) بالفعل.

١٣ ـ ونتيجة ذلك فهم (فيها معذبون) لو اقصروا عن اداء الواجب في الدنيا.

فان الرؤية الواضحة للاسباب والنتائج تولد في نفس المتقي حالة بين حالتي الخوف والرجاء المطلوبة في كلّ حركة يسير فيها الإنسان المسلم في حياته خطوة فخطوة، ولهذه الحالة مراتب مختلفة، اعلاها في الإنسان ما قال امر الموحدين:(لو كشف الغطاء ما ازددت يقيناً).

١٤ ـ (قلوبهم محزونة) والحزن: ناشئ من حالتي الخوف والرجاء، حيث لا امن منه سوى بالعمل الصالح الصادق.

١٥ ـ (وشرورهم مأمونة) بسبب هذه الحالة المتوسطة، فلا يمكن أن يصدر منهم شر.

١٦ ـ (وأجسادهم نحيفة)؛ فإنّ سمنة الجسد انما يكون من الاسراف في الاكل والراحة، والمتقي يبتعد عن ذلك؛ لاشتغاله بالواجب والمسؤولية.

١٧ ـ (وحاجاتهم خفيفة) فهم لا يتهالكون على المادة والماديات، بل يكتفون بما يكفيهم من الحاجات، فلا تكون إلّا خفيفة في الحمل والنقل والاستعمال.

١٨ ـ (وأنفسهم عفيفة) والعفة: الامتناع عما لا يحل شرعا أو لا يحل عرفا، والمتقي عفيف عنهما جميعا.

١٩ ـ الصبر، ومن طبيعة المتقين الصبر في كلّ الامور؛ لعلمهم بأن الصبر في الدنيا (أياما قصيرة) سواء على المكاره أو في العمل بالواجب، وسوف تعقبهم في الدنيا والاخرة (راحة طويلة) نفسية في الدنيا، والثواب الموعود في الاخرة.

٢٠ ـ وحياة المتقين هذه (تجارة مربحة) لتعقب الراحة النفسية في الدنيا والثواب في الاخرة، وهي تنبع من الالتزام بالهدى الالهي (يسرها لهم ربهم) وعملوا بها فربحوا؛ لانها تجارة تنجي من العذاب في الدارين.

٢١ ـ الزهد بالكفاف؛ فإنّ (الدنيا أرادتهم) لمعرفة طرق الوصول اليها، ولكنهم برؤيتهم الواضحة للاسباب والنتائج رفضوها (فلم يريدوها) علما، وليس قصورا للمعرفة.

٢٢ ـ التحرر عن المغريات؛ فإنّ حياة كلّ انسان في الدنيا أسير بما يحكمها من المادّة والماديات، والإنسان اسير لكثير من المغريات المادية والعناوين الخيالية فيها، وطبيعي أن لا يمكن الخلاص من الاسر إلّا بالفداء: وهو ما يعطى لاطلاق الاسير، والمتقون تخلصوا من اسر الماديات في الدنيا بالالتجاء الى الاعمال الصالحة بمتابعة منهاج منظم للحياة في الليل والنهار.

(٤/ط ـ ١٩٣) المنهاج اليومي:

أَمَّا اللَّيْلَ فَصَافُّونَ أَقْدَامَهَمْ تَالِينَ[١] لِأَجْزَاءِ الْقُرْآنِ يُرَتِّلُونَه[٢] تَرْتِيلًا. يَحْزُنُونَ[٣] بِهِ أَنْفُسَهُمْ وَيَسْتَثِيرُونَ[٤] بِهِ دَوَاءَ دَائِهِمْ[٥] فَإِذَا مَرُّوا بآيَةٍ فِيهَا تَشْوِيقٌ[٦] رَكَنُوا[٧] إِلَيهَا طَمَعاً وَتَطَلَّعَت[٨] نُفُوسُهُمْ إِلَيْهَا شَوْقاً وَظَنُّوا أَنَّهَا نُصْبُ أَعْيُنِهِمْ وَإِذَا مَرُّوا بآيَةٍ فِيهَا تَخْوِيفٌ أَصْغَوْا[٩] إِلَيْهَا مَسَامِعَ قُلُوبِهِمْ وَظَنُّوا أَنَّ زَفِيرَ جَهنَّمَ وَشَهِيقَهَا[١٠] فِي أُصُولِ آذَانِهِمْ فَهُمْ

(١) في ب: تالون، وفي هـ. د: تالون ـ ش.
(٢) في د: يرتلونها، وفي هـ ص في نسخة يرتلونها، وفي هـ. د ويرتلونها ـ ر، يرتلونه ـ ض ش و هامش م.
(٣) في ب: يحزّنون.
(٤) في هـ. ب: أي يهيّجون ويطلبون.
(٥) في هـ. ب: قال أبو عبيد جمع الداء أدواء وجمع الدواء أدوية وجمع الدواة دويّ.
(٦) في هـ. ب: التشويق: تهييج الأمنية.
(٧) في هـ. ب: اطمأنوا.
(٨) التطلع: الأمل والاحتساب.
(٩) في هـ. ب: مالوا به.
(١٠) الشديد من زفيرها.

حَانُونَ[١] عَلَى أَوْسَاطِهِمْ مُفْتَرِشُونَ لِجِبَاهِهِمْ وَأَكُفِّهِمْ وَرُكَبِهِمْ وَأَطْرَافِ أَقْدَامِهِمْ يَطلِبُونَ إِلَى اللهِ تَعَالَى فِي فَكَاكِ رِقَابِهِمْ.

والمنهاج اليومي للمتقين يستوعب حياتهم كلها من الليل والنهار من دون اضاعة لحظة منها فيما لا يعود نفعه على الإنسان والانسانية.

وقد أشار الإمام إلى المنهاج الليلي في نقاط:

١ ـ (أما الليل فصافون أقدامهم) اشارة إلى قيام الليل للصلاة، والصف: هو النظم طولا مستقيما، وذلك لصلاة الليل والتهجد على ما هو مشروح في الفقه، وراجع المادّة في المعجم.

٢ ـ (تالين لأجزاء القرآن) والتلاوة بالكسر: القراءة، وبالفتح: المتابعة، والمعنيان واردان حيث يقرأ المتقي في كلّ ليلة اجزاء متتابعة من القرآن من اولة إلى اخره.

٣ ـ (يرتلونه ترتيلا) والترتيل: دراسة القرآن بتامل وتدبر، وهو اقتباس من قوله تعالى: ﴿و رتل القرآن ترتيلا﴾، وقد قال الإمامعليه السلام في تفسيره: (بيّنه بياناً، ولا تهذه هذ الشعر، ولاتنثره نثر الرما، ولكن اقرعوا به قلوبكم القاسية، ولا يكن هم احدكم اخر السوره).

٤ ـ (يحزنون به أنفسهم)؛ فإنّ دراسة القرآن تحمّل المسؤولية، وهي تلازم الحزن في التقصد فيها.

٥ ـ (ويستثيرون به دواء دائهم)؛ فإنّ القرآن شفاء للقلب بالهداية، كما قال سبحانه (هدى للمتقين) فيكون القرآن المرجع في علاج المشاكل التي تواجه الإنسان المسلم في الحياة؛ لاحتوائه على الخطوط العامة في الهداية، وقد شرح كيفية الاستثارة بالقرآن حيث المواضع المطروحة فيه بنصوصها الحية.

٦ ـ التصوير الحي عند البشارة (فإذا مروا بآية فيها تشويق) يفكروا فيها من ثلاث زوايا هي:

أوّلاً: الاعتماد على البشرى (ركنوا إليها طمعا) لانها بشارة من منبع صادق، لا يخلف وعده.

(١) في هـ. ب: من الحنوة، أي التثني.

ثانياً: الشوق لتحصيلها (وتطلعت نفوسهم إليها شوقا) لانها الخيار المفضل.

ثالثاً: تصورها في الذهن (وظنوا أنها نصب أعينهم)؛ فإنّ كلّ ما هو آتٍ قريب لا محالة.

٧ ـ وكذلك عند الخوف (وإذا مروا بآية فيها تخويف) يكون لهم التصوير الحي من زوايا ثلاث، هي:

اولا: التركيز بالاصغاء بالسمع (أصغوا إليها) وذلك بالتدبر لمعانيها.

ثانياً: أن يكون الاحضار بالفكر (مسامع قلوبهم) وذلك بالتدبر في اسبابها ومسبباتها.

ثالثاً: التصوير الحي (وظنوا أن زفير جهنم وشهيقها في أصول آذانهم) والزفير: الصوت الناتج من توقّد النار، والشهيق: تردد البكاء؛ فإنّ للنار درجاتها في الشدة والضعف، حيث توجد اسبابها.

٨ ـ ومن حالات المتقين الركوع (فهم حانون على أوساطهم)، والحنو هو العطف، والوسط: ما بين الطرفين، كناية عن حالة الركوع التي فيها يكون الانسان حانيا كالعاطف على وسطه متوجها إلى الله سبحانه بالعبادة.

٩ ـ ومن حالة المتقين: السجود، فانهم (مفترشون لجباههم، وأكفهم وركبهم وأطراف أقدامهم) والافتراش: البسط على الارض، فان الساجد يستخدم المساجد السبعة في حال السجود، وهي: ١ و٢ و٣ ـ الجبهة والكفين، ٤ و ٥ ـ الركبتين، ٦ و ٧ ـ الابهامين، وبها يتم السجود حقيقة.

١٠ ـ رضا الله، فالمتقين في منهاجهم هذا (يطلبون إلى الله تعالى في فكاك رقابهم) من التقصير عن اداء واجباتهم ومسؤولياتهم.

وهذه النقاط العشر هي المنهاج الليلي الذي يلتزم به المتقون؛ استعداداً لمسؤولية النهار؛ فإنّ المتقي يبتدئ لمستقبله كل ليلة منهاج مدروس معتمداً على الله سبحانه.

(ط ـ ١٩٣ / ٥) منهاج النهار:

وَأَمَّا النَّهَارُ فَحُلَمَاءُ عُلَمَاءُ أَبْرَارٌ أَتْقِيَاءُ. قَدْ بَرَاهُمُ[١] ٱلْخَوْفُ بَرْيَ ٱلْقِدَاحِ يَنْظُرُ إِلَيْهِمُ النَّاظِرُ فَيَحْسَبُهُمْ مَرْضَى وَمَا بِالْقَوْمِ مِنْ مَرَضٍ وَيَقُولُ لَقَدْ خُولِطُوا[٢] وَلَقَدْ خَالَطَهُمْ أَمْرٌ عَظِيمٌ. لَا يَرْضَوْنَ مِنْ أَعْمَالِهِمُ ٱلْقَلِيلَ. وَلَا يَسْتَكْثِرُونَ ٱلْكَثِيرَ. فَهُمْ لِأَنْفُسِهِمْ مُتَّهِمُونَ. وَمِنْ

(١) في هـ. ب: من البري وهو النحت.
(٢) في هـ. ب: أي زال عقولهم.

أَعْمَالِهِمْ مُشْفِقُونَ.

ونتيجة للاستعداد المسبق في المنهاج الليلي يدخل في المتقون النهار بمنهاج واضح لاداء المسؤولية الملقاة على عاتقهم في النهار، وقد أشار الإمام عليه السلام إلى عشرة منها:

١ ـ الحلم (وأما النهار فحلماء) وابتدأ بفضيلة الحلم لدوره الكبير في كبح جماح القوّة الغضبية في الإنسان، والتي لا يمكن إلّا بالتقيد بالحلم، ولا يعرف حقيقها إلّا بقياسها بغيرها وهو الغضب.

٢ ـ البر (علماء أبرار) والبر بالكسر: الصدق والصلاح، فلا يخرج العمل الذي يقوم به المتقون عنهما.

٣ ـ الوقاية (أتقياء) لحذرهم من مخالفة المسؤولية بأي نحو كانت.

٤ ـ الخوف من القصور في المسؤولية (قد براهم الخوف بري القداح) البري: النحت، والقداح: السهام المستخدمة لاداء دورها المسؤول في الحرب؛ فإنّ من يستخدمها ينحتها نحتا يجعلها صالحة للاستخدام، كي يتحقق الغرض منها، والمتقون يستخدمون انفسهم في اداء المسؤولية الملقاه على عاتقهم بجد واخلاص حتى تصبح اجسامهم رقيقة برقة السهام المنحوتة؛ خوفا من القصور أو التقصير.

٥ ـ هدف الدعايات الكاذبة، وقد ذكر منها اثنين شائعين في المجتمع:

الاولى: المرض، حيث لا يمكن للمجتمع المادي أن يرى سببا لضعف الاجسام إلّا اسباب مادية، واشهرها المرض، وهم ليسوا كذلك؛ لأنّه (وما بالقوم من مرض)؛ فإنّ لكل مرض آثاره الخاصة به، وليست بهم شئ من تلك الاثار، وإلّا لظهرت في اجسامهم.

٦ ـ الثانية: الاختلاط الفكري، وبعد أن لم توثر الدعاية الأولى، لانكشاف انهم ليس بهم مرض، يأتي دور الدعاية الثانية الشائعة، وهي الرمي بالجنون من قبل من لا يوافقهم في الرأي والعقيدة، (ويقول: قد خولطوا) أي في تفكيرهم.

واشار الإمام إلى بطلان هذا الاتهام بأن الاختلاط ليس في الفكر كما يتوهم أصحاب الدعايات، بل لأنّه (ولقد خالطهم أمر عظيم) هو معرفة المسؤولية الانسانية الملقاة على عاتق كلّ انسان يميز نفسه عن سائر الحيوانات.

٧ ـ إتقان العمل، فالمتقون يتقنون العمل بغاية ما في وسعهم و (لا يرضون من أعمالهم القليل)؛ فإنّ الرضا بالقليل يكشف عن عدم حب اصل المسؤولية، بل يحاولون الاكثار

باتقان.

٨ ـ استقلال العمل، ومهما كان العمل كثيرا فإنّه لو قيس بالنسبة إلى نعم الله سبحانه تكون قليلة، فقد قال تعالى:﴿وان تعدوا نعمة الله لا تحصوها﴾.[1] فالمتقون (لا يستكثرون الكثير) لانّ استكثار العمل يكشف عن غرور في النفس، وفي حديث للصادق عليه السلام:«قال ابليس: اذ استمكنت من ابن آدم في ثلاث لم أُبال ما عمل، فإنّه غير مقبول: اذا استكثر عمله ونسي ذنبه ودخله العجب»؛ فإنّ استكثار العمل يوجب بطلان العمل بالعجب.

٩ ـ محاسبة النفس، والمتقون يحاسبون انفسهم قبل أن تحاسبوا، ويزنوها قبل أن يوزنوا، لأنهم (لأنفسهم متهمون) بالقصور في اداء الواجب أو التقصير، ولا يمكن معرفة ذلك إلّا بمحاسبة النفس في كلّ يوم كما يحاسب دخله اليومي.

١٠ ـ خلوص النيّة، ويظهر ذلك في أن المتقين (من أعمالهم مشفقون) والاشفاق: الحرص على الخير، والاشقاق من العمل: الخوف من القصور أو التقصير فيه كما هو المطلوب؛ حرصا على خلوص العمل من اية شائبة تضاد المسؤولية المطلوب ادائها كاملة.

وهذه النقاط العشر في المنهاج اليومي اهم ما يجب على المسلم في حياته اليومية، ولا يمكن للانسان تحقيقها كاملة إلّا بالاستعانة بالله سبحانه والدعاء بالتوفيق.

(٦/ط ـ ١٩٣) دعاء المتقين:

إِذَا زُكِّيَ أَحَدُهُمْ خَافَ مِمَّا يُقَالُ لَهُ فَيَقُولُ أَنَا أَعْلَمُ بِنَفْسِي مِنْ غَيْرِي. وَرَبِّي أَعْلَمُ مِنِّي بِنَفْسِي[2]. اَللَّهُمَّ لَا تُؤَاخِذْنِي بِمَا يَقُولُونَ وَاجْعَلْنِي أَفْضَلَ مِمَّا يَظُنُّونَ وَاغْفِرْلِي مَا لَا يَعْلَمُونَ.

وختم المنهاج اليومي بالدعاء؛ حيث أن من طبيعة الناس (التزكية) بالمدح بما يحب العامل ان يسمع، وهي على الاغلب كاذبة، يقصد بها التشجيع، وفي مثل هذه الحال يجب أن لا يغتر المتقي بها مهما كانت اسبابها، لانّ الإنسان على نفسه بصيرة (أنا أعلم بنفسي من غيري) ولان الله اعلم بالواقع دون سواه (وربي أعلم بي من نفسي) .

---

(١) ابراهيم: ٣٤.

(٢) في ط: وربي أعلم بي مني بنفسي .

وأكد في الدعاء اليومي على ثلاث نقاط ضرورية لعدم الاغترار بمدح الناس ، هي:

١ ـ عدم المسؤولية في كلام الناس (اللهم لا تؤاخذني بما يقولون) لمدحي بما يحب الإنسان ان يسمع.

٢ ـ الطموح لما هو افضل (واجعلني أفضل ممّا يظنون) بالعمل الصالح.

٣ ـ الاعتراف بالقصور أو التقصير (واغفر لي ما لا يعلمون) من التقصير المعمدالقصور لعدم تيسر اسباب العمل.

وهذا الاستغفار الحقيقي في التقصير وترك الاولى في القصور اولى، والله المستعان.

(٧/ط ـ ١٩٣) علامات المتقين:

فَمِنْ عَلَامَةِ أَحَدِهِمْ أَنَّكَ تَرَى لَهُ قُوَّةً فِي دِينٍ. وَحَزْماً فِي لِينٍ. وَإِيمَاناً فِي يَقِينٍ. وَحِرْصاً فِي عِلْمٍ وَعِلْماً فِي حِلْمٍ. وَقَصْداً فِي غِنًى وَخُشُوعاً فِي عِبَادَةٍ. وَتَجَمُّلاً[1] فِي فَاقَةٍ. وَصَبْراً فِي شِدَّةٍ. وَطَلَباً فِي حَلَالٍ وَنَشَاطاً فِي هُدًى وَتَحَرُّجاً عَنْ[2] طَمَعٍ يَعْمَلُ الْأَعْمَالَ الصَّالِحَةَ وَهُوَ عَلَى وَجَلٍ.

يُمْسِي وَهَمُّهُ الشُّكْرُ وَيُصْبِحُ وَهَمُّهُ الذِّكْرُ يَبِيتُ حَذِراً. وَيُصْبِحُ فَرِحاً، حَذِراً لِمَا حُذِّرَ مِنَ الْغَفْلَةِ. وَفَرِحاً بِمَا أَصَابَ مِنَ الْفَضْلِ وَالرَّحْمَةِ. إِنِ اسْتَصْعَبَتْ[3] عَلَيْهِ نَفْسُهُ فِيمَا تَكْرَهُ[4] لَمْ يُعْطِهَا سُؤْلَهَا فِيمَا تُحِبُّ.

قُرَّةُ عَيْنِهِ فِيمَا لَا يَزُولُ وَزَهَادَتُهُ فِيمَا لَا يَبْقَى. يَمْزَجُ[5] الْحِلْمَ بِالْعِلْمِ. وَالْقَوْلَ بِالْعَمَلِ. تَرَاهُ قَرِيباً أَمَلُهُ. قَلِيلاً زَلَلُهُ. خَاشِعاً قَلْبُهُ. قَانِعَةً نَفْسُهُ. مَنْزُوراً[6] أَكْلُهُ. سَهْلاً أَمْرُهُ. حَرِيزاً[7] دِينُهُ مَيِّتَةً شَهْوَتُهُ. مَكْظُوماً غَيْظُهُ. الْخَيْرُ مِنْهُ مَأْمُولٌ. وَالشَّرُّ مِنْهُ مَأْمُونٌ. إِنْ كَانَ فِي الْغَافِلِينَ كُتِبَ فِي الذَّاكِرِينَ. وَإِنْ كَانَ فِي الذَّاكِرِينَ لَمْ يُكْتَبْ مِنَ الْغَافِلِينَ.

يَعْفُو عَمَّنْ ظَلَمَهُ. وَيُعْطِي مَنْ حَرَمَهُ. وَيَصِلُ مَنْ قَطَعَهُ. بَعِيداً فُحْشُهُ. لَيِّناً قَوْلُهُ. غَائِباً

---

(١) في ص: وتحملاً.

(٢) في ب وفي هـ. ب في نسخة: عن.

(٣) في هـ. د: أستصعب ـ ب .

(٤) في ب: يكره.

(٥) في هـ. ب: يخلط.

(٦) في هـ. ب: قليلاً.

(٧) في هـ. ب: أي محرزاً ومحروزاً.

مُنْكَرُهُ. حَاضِراً مَعْرُوفُهُ. مُقْبِلاً خَيْرُهُ. مُدْبِراً شَرُّهُ.

فِي الزَّلَازِلِ وَقُورٌ[١] وَفِي المَكَارِهِ صَبُورٌ. وَفِي الرَّخَاءِ شَكُورٌ لَا يَحِيفُ عَلَى مَنْ يُبْغِضُ. وَلَا يَأْثَمُ فِيمَنْ يُحِبُّ يَعْتَرِفُ بِالْحَقِّ قَبْلَ أَنْ يُشْهَدَ عَلَيْهِ. لَا يَضِيعُ مَا ٱسْتُحْفِظَ. وَلَا يَنْسَى مَا ذُكِّرَ. وَلَا يُنَابِزُ بِالأَلْقَابِ وَلَا يُضَارُّ بِالجَارِ. وَلَا يَشْمَتُ بِالْمَصَائِبِ. وَلَا يَدْخُلُ فِي ٱلْبَاطِلِ وَلَا يَخْرُجُ مِنَ ٱلْحَقِّ.

إِنْ صَمَتَ لَمْ يَغُمَّهُ[٢] صَمْتُهُ. وَإِنْ ضَحِكَ لَمْ يَعْلُ صَوْتُهُ. وَإِنْ بُغِيَ عَلَيْهِ صَبَرَ حَتَّى يَكُونَ ٱللهُ هُوَ الَّذِي يَنْتَقِمُ لَهُ.

نَفْسُهُ مِنْهُ فِي عَنَاءٍ. وَالنَّاسُ مِنْهُ فِي رَاحَةٍ. أَتْعَبَ نَفْسَهُ لآخِرَتِهِ. وَأَرَاحَ النَّاسَ مِنْ نَفْسِهِ. بُعْدُهُ عَمَّنْ تَبَاعَدَ عَنْهُ زُهْدٌ وَنَزَاهَةٌ[٣]. وَدُنُوُّهُ مِمَّنْ دَنَا مِنْهُ لِينٌ وَرَحْمَةٌ. لَيْسَ تَبَاعُدُهُ بِكِبْرٍ[٤] وَعَظَمَةٍ وَلَا دُنُوُّهُ بِمَكْرٍ وَخَدِيعَةٍ[٥].

وبعدما أشار الإمام عليه السلام إلى صفات المتقين الذاتية اشار إلى العلامات الدالة على تلك الصفات، والمترشحة منها والمتلازمة معها؛ فإنّ حب الخير ـ مثلا ـ الذي هو صفة ذاتيّة تلازم عمل الخير، وعمل الخير يدل بدلالة الإنّ عليها.

١ ـ للمؤمن علامات، ولا يمكن للانسان الموصوف بصفة أن يخلوا من علامات تؤكد صحة الصفة من الآثار النابعة من الذات الموصوفة بتلك الصفة، والتقوى صفة، فمن اتصف بها لابدّ له من علامات تدل على ذلك .

وأشار الإمام الى هذه الحقيقة بقوله: (فمن علامة أحدهم) استخدم عليه السلام (من) التبعيضية؛ لأنّ العلامات لا تدخل تحت حصر؛ فإنّ الصفة الذاتيّة يترشح منها العلامات في كلّ الحالات من الولادة حتّى الوفاة، واكتفى عليه السلام بذكر بعضها:

٢ ـ (أنك ترى له قوة في دين) فلا يستخدم المتقي القوّة التي منحه الله خارجا عن حدود الدين، التي حددها الله سبحانه وفي ذلك العدل بينهما.

٣ ـ (وحزما في لين) الحزم: هو الشدة، واللين: ضد الخشونة، وهي تلازم الشدة عادة،

---

(١) في هـ. ب: رزين.
(٢) في هـ ب لم يغمه أي لم يظلم وجهه ونفسه ولم يغمه من الغم.
(٣) في هـ. ب كرم.
(٤) في ب : لكبر.
(٥) في هـ. د: وخدعة ـ ب .

والتعادل بينهما بالعدل، وهو ما يميز المتقي عن غيره.

٤ ـ الايمان في التقى؛ فإنّ للايمان مراتب، اضعفها ايمان العجائز، واقواها: المقرون بالتقوى بمراحله الثلاث، من علم اليقين وعين اليقين، وحق اليقين، على ما هو مشروح في علم السلوك.

٥ ـ الحرص في العلم، والحرص: شدة الرغبة في الشيء، والمتقي يرغب في العلوم بانواعها بلهفة وشوق؛ لان العلم نور، وبأي شئ تعلق زانه.

٦ ـ العلم في الحلم؛ فإنّ العلم اذ لم يقارنه الحلم لا ينتفع منه احد، وحتى نفس العالم؛ فإنّ فقدان الحلم يوجب تفرق طلاب الحقيقة عنه، ويبقى علمه غير نافع.

٧ ـ الاقتصاد في الغنى، فلا يبذر في حال الغنى؛ فإنّ ذلك يقوده إلى الفقر، بل يفتقر في الغنى تحسبا، وبذلك يأمن الفقر وبوائقه.

٨ ـ الخشوع والعبادة؛ فإنّ العبادة الفاقدة للخشوع فاقدة للروح، ليس لها سوى الظاهر.

٩ ـ التجمل في الفاقة، وهي الحاجة والفقر؛ فإنّ الحزن لا يغير من حالته شيئا، بل الامور مرهونة بأوقاتها، ففي حالة الفقر يتجمل المتقي وكأنّه لا يعيش في الفقر حتّى ينسبه الجاهل غنيّا من التعفف.

١٠ ـ الصبر في الشدة؛ لأنّ الجزع عند الشدة يزيدها جزعاً، فلابد من الصبر لمقاومة الجزع.

١١ ـ الطلب في الحلال، فكما أن المفروض كون المطلوب حلالا لابدّ وان يكون الواسطة في الطلب أيضا حلالا؛ لان الغاية لا تبرر الواسطة.

١٢ ـ النشاط في الهدي، بأن يكون الهداية مقرونة بالنشاط؛ فإنّ القلب العامر بالايمان يزيد الإنسان المتقي نشاطاً.

١٣ ـ التحرج عن الطمع في الامور المادية؛ فإنّ الطمع في الشيء يزداد كلما اقترب الإنسان اليه، والتحرج يبعده عنها وعن مستلزماتها المتوقعة.

١٤ ـ العمل مع الوجل من خوف القصور والتقصير في الاعمال الصالحة، فكيف بغيرها؟

١٥ ـ (يمسي وهمّه الشكر) وفي نهاية اليوم مهما كانت نتائج عمله لا يترك واجبه

الأوّل: وهو الشكر على نعمة التوفيق لأداء الواجب، ونعم الصحة والسلامة والحياة.

١٦ ـ ويبدأ نهاره وهو (يصبح وهمّه الذكر)؛ فإنّ بذكر الله تطمئن القلوب، وبالاطمئنان يتدرج الانسان في تحقيق مراده بخطوات واسعة.

١٧ ـ (يبيت حذرا)؛ لأنّه لا يعلم هل هذه البيتوتة هي الاخيرة في حياته، وانه هل يصبح سالماً أم لا.

١٨ ـ (ويصبح فرحا)؛ لأنّه في الصباح يعلم أن البيتوتة لم تكن الاخيرة، و أن له مجال أخر للعمل بما يجب عليه، وهذا مدعاة للفرح.

١٩ ـ (حذرا لما حذر من الغفلة) التي حذر منها في حياته؛ فإنّ الموت يأتي بغتة.

٢٠ ـ الفرح بالفضل والرحمة؛ فإنّ استمرار نعمة الحياة فضل من الله تعالى، ونعمة القدرة رحمة قد شملا حاله واصابه الفرح لذلك.

٢١ ـ ضبط النفس؛ فإنّ (استصعبت عليه نفسه)؛ بأن لا تطاوعه في مفترق الطريق، بين خيارين؛ ما يحث عليه الدين ممّا تكرهه النفس كعمل الخيرات، ففي مثل هذه الحالة يضبط المتقي نفسه، و(لم يعطها سؤلها فيما تحب) بل يعارضها باهمال الرغبات النفسية الامارة بالسوء.

٢٢ ـ الالتزام بالثوابت طائعاً: (قرة عينه فيما لا يزول) من الاعمال الصالحة التي يخلدها التاريخ.

٢٣ ـ الزهد (فيما لا يبقى) من المادة والماديات؛ لعلمه بانها زائلة عاجلا أم آجلا.

٢٤ ـ (يمزج الحلم بالعلم)؛ فإنّ لكل منها قوامه الخاص وامتزاجهما معاً نور على نور، وبه يتميّز المتقي من غيره.

٢٥ ـ ويمزج (القول بالعمل) ونتيجة امتزاجهما أن يكون منهما وحدة جديدة لا يمكن التفريق بينهما، فيكون قول المتقي مطابقاً لعمله من دون افتقار إلى توثيق.

٢٦ ـ قريب الامل، فلا يأمل شبه المستحيل، بل يأمل ما هو ممكن عادة وواقع في الظروف التي يعيش فيها.

٢٧ ـ قليل الزلل؛ فإنّ الإنسان محل السهو والزلل والخطأ والنسيان، ولوعيه الاسلامي عادة يقل زلله.

٢٨ ـ خاشع القلب؛ لأنّه عامر بذكر الله سبحانه، ولا شئ يستحق الخشوع سواه تعالى.

٢٩ ـ قانع النفس؛ فإنّ القناعة كنز لا يفنى، وبالقناعة تتحقق الراحة النفسية.

٣٠ ـ قليل الاكل ومنزور، والمنزور: القليل واليسير من الطعام ممّا يفتقر اليه جسمه، بأن لا يملأ بطنه ويجعله قبرا للحيوانات من كثرة الاكل.

٣١ ـ سهل الامر، فلا يتصعب في الامور بقيود وشرائط اعجازية أو صعبة المنال.

٣٢ ـ (حريزا دينه) أي قويا على متابعة أوامر الدين كالحرز الحصين.

٣٣ ـ ميت الشهوة وهي الرغبة النفسيّة من مباهج الحياة الزائفة؛ لأنّ المتقي يهتم با الحقائق الباقية دون الشهوات الفانية.

٣٤ ـ كاظم الغيظ، وهو شدة الغضب، والكظم: الحبس والامساك عند حصول هذه الحالة الجنونية.

٣٥ ـ (الخير منه مأمول) بمقتضى طبيعته النفسية السائرة على الثوابت الاسلاميّة.

٣٦ ـ (والشر منه مأمون) كذلك حسب تربيته بالثقافة الاسلامية.

٣٧ ـ من الذكرين لله تعالى ابداً أينما كان، وحتى لو كان في جمع الغافلين فهو في ذكر الله سبحانه، فانه (يكتب في الذاكرين) ويعد منهم وان لم يكن فيهم.

٣٨ ـ ليس من الغافلين قط ابداً؛ لأنّه يؤدي واجبه الديني المسؤول عنه اينما كان، فهو يذكر الله سبحانه دائما.

٣٩ ـ (يعفو عمن ظلمه) لقوله تعالى: ﴿وان تعفو خير لكم﴾.

٤٠ ـ (ويعطي من حرمه) سواءً كان من الارحام أم لا؛ فإنّ اعطاء من حرمه شكر على القدرة على ذلك.

٤١ ـ (ويصل من قطعه) كذلك؛ فإنّ الذين يقطعون ما امر الله به أن يوصل هم الخاسرون.

٤٢ ـ (بعيدا فحشه) وهو القبيح من القول، فلا يوجد في مفردات لغته اليومية شئ من ذلك.

٤٣ ـ (لينا قوله) اللين: ضد الخشونة، وخشونة القول لا تلازم الفحشاء؛ فإنّ نبرات الصوت في الخشونة عالية، والفحشاء صفة المعنى المنسوب إلى اللفظ.

٤٤ ـ (غائبا منكره) ولا يكون للمتقي مؤاخذة على عمل منكر؛ لمقاطعته كلّ نادٍ فيه المنكر.

٤٥ ـ (حاضرا معروفه) فهو انما يحضر في المجالس التي يعود فيها المعروف والخير.

٤٦ ـ (مقبلا خيره)؛ فإنّ اقباله على الشخص يكون اقبال الخير منه على الاخرين.

٤٧ ـ (مدبرا شره) حيث لا شرّ فيه، فالشر منه مامون فيكون مدبراً.

٤٨ ـ (في الزلازل وقور) والوقار: الاستقامة بدون أي اضطراب في الموقف، بل يسير على ما يجب أن يسير عليه.

٤٩ ـ (وفي المكاره صبور) لا تؤثر المكاره في نفسه تأثيرا يبعده عن الصبر حتّى الفرج.

٥٠ ـ (وفي الرخاء شكور)؛ فإنّ الرخاء يحصل من حالة الأمن في المجتمع، وذلك يقتضي الشكر، ولا يعرف قدرها إلّا عند فقدانها .

٥١ ـ (لا يحيف على من يبغض) والحيف: هو الظلم والجور، والمتقي لا يظلم من يبغضه، فاذا كان لمن يبغضه فضيلة لم يسترها لمكان البغض، وان ذكر مؤاخذته عليه لم يتعد حدود العدالة والحق.

٥٢ ـ (ولا يأثم فيمن يحب)؛ فإنّ الحب لا يعمي المتقي ولا يصمّه عن حدوده في الحب ولا يرتكب اثما بالكذب والخداع وما شابه لحماية من يحب.

٥٣ ـ (يعترف بالحق) وان كان على نفسه قبل يحضر إلى المحاكمة؛ لمعرفته بالحق (قبل أن يشهد عليه) من قبول الشهود لمصلحة المدعي؛ فإنّ في ذلك راحة نفسية له واستثمار للوقت لما ينفع به، وربما ضاع المال ايضا، وفي بالاعتراف بالحق ضمان لذلك كله.

٥٤ ـ (لا يضيع ما استحفظ)؛ فإنّ التفريط بالامانة خيانة، فانه لا يجب عليه القبول لحفظ الشئ أن لم يكن قادراً على الحفظ من البداية، وبعد القبول لا يجوز له التضييع قط .

٥٥ ـ (ولا ينسى ما ذكر) والمراد بالذكر: القرآن الكريم؛ فإنّ تعلمه من الثوابت الاسلامية، والمتقي يجعله نصب عينيه، ولا ينساه في حياته اليومية؛ اذ ليس الغرض من التعلم التعلم بدون عمل، بل تعلمه وذكره بأن لا ينساه في التطبيق العملي.

٥٦ ـ (ولا ينابز بالألقاب) والنبز: التعيير بالالفاظ القبيحة لقبا؛ لاظهار العيب فيمن لقب بها، دون ما فقد هذا القصد فيها.

٥٧ ـ (ولا يضار بالجار) أي لا يورد ضررا على جيرانه، وفي وصية الامام عليه السلام عن

النبي أنه قال: (مازال يوصيني بالجار حتى ظننّا انّه سيورثهم) كما سيأتي.

٥٨ ـ (ولا يشمت بالمصائب) التي ترد على اعدائه مثلا، والشمت: الفرح بالبلية؛ فإنّ البليّة كما وردت على غيره يمكن أن ترد عليه، ولا امان لأحد منها.

٥٩ ـ (ولا يدخل في الباطل) وهو ضياع الحق؛ فإنّ الدخول في الباطل خسران، فلا يضيع وقته به.

٦٠ ـ (ولا يخرج من الحق) الذي يجعله علم اليقين، بل يلتزم به في موارد الشبهة حتّى يتبين الخلاف.

٦١ ـ (إن صمت لم يغمه صمته)؛ فإنّ الهم والغم على الصمت يكشف عن عدم ايمانه بأن السكوت هو العمل المفضل في مجادلة الجاهلين ـ مثلا ـ بل يفرح بانه تقدم لواجبه الاسلامي.

٦٢ ـ (وإن ضحك لم يعل صوته)؛ فإنّ ضحك المؤمن التبسم، وكثرة الضحك يميت القلب؛ فإنّ الضحك في الامور غير المتوقعة امر طبيعي وغير اختياري، أن كان عاديا اوجب التبسم واعلى منه الضحك من غير صوت، واعلى منه القهقهة.

٦٢ ـ لا ينتقم المتقي حتى لو بغى عليه باغ (وإن بغي عليه) من قبل باغٍ ظالمٍ (صبر حتّى يكون الله هو الذي ينتقم له) من الظالم وهو احكم الحاكمين، كما يشهد له تاريخ الظلمة.

٦٤ ـ (نفسه منه في عناء) وتعب؛ لأنّه يجهدها في عمل الخير للاخرين.

٦٥ ـ (والناس منه في راحة) فإنّ المتقي لا يفكر في التخطيط للاخرين بالوقيعة بهم.

٦٦ ـ (أتعب نفسه لآخرته) لعلمه بأن الخلود انما هو في الاخرة والاعمال بنتائجها.

٦٧ ـ (وأراح الناس من نفسه) عن علم وقصد بأن راحة الناس عمل انساني تقتضيه الفطرة الاسلاميّة دون القلق.

٦٨ ـ (بعده عمن تباعد عنه زهد ونزاهة) وليس بعده عن غيره للاسباب الماديّة، بل للاسباب الروحية التي تعود إلى نفسه، وخص ما ذكر منها الزهد عن الماديات والنزاهة عن مساوئ المجالس مع من لا ينفع في دين أو نفسه أو المجتمع.

٦٩ ـ (ودنوه ممّن دنا منه لين ورحمة)؛ فإنّ السبب في القرب هو من الاسباب الروحية النابعة من الخصائص الذاتيّة للمتقين، وخص بالذكر اثنين، هما: اللين والرحمة، وقد

تظافرت الروايات في الحث عليهما في الحياة.

٧٠ ـ (ليس تباعده بكبر وعظمة) على من يبتعد عنه؛ لأنّ صفتي الكبر والعظمة منافيان طبيعة الفضيلة التي يتصف بها المتقون، ويستلزم ذلك أن يتقرب إلى من ابتعد عنه، وحيث تقتضي الضرورة إلى ذلك، مثل انقاذه المريض وما شابه.

٧١ ـ كما انّه ليس (دنوه) الى من يقترب منه (بمكر وخديعة) كما هي الحالة العامة في الإنسان المادي الذي لا يتحرك إلّا على اساس المصالح المادية ، ويتقرب إلى من يريد بالوسائل الماكرة لتحقيق مطامعه، ويستخدم كلّ ما يمكنه من الخداع للوصول إلى المآرب الماديّة، والمتقون يرفضونها للثابتة الاسلاميّة بأن الغاية لا تبرر الواسطة مهما كانت الغاية شريفة.

(٨ / ط - ١٩٣) الموعظة البالغة:

قالَ: فَصَعِقَ[١] هَمَّامٌ[٢] صَعْقَةً كَانَتْ نَفْسُهُ فيها[٣] فَقالَ أميرُ الْمُؤْمِنينَ عليه السلام. أَمَا وَٱللهِ لَقَدْ كُنْتُ أَخَافُهَا عَلَيْهِ.

ثُمَّ قالَ: هَكَذَا تَصْنَعُ الْمَوَاعِظُ ٱلْبَالِغَةُ بِأَهْلِهَا.

من الثابت أن لكل فعل رد فعل اما مساوٍ للاول أو اشد أو اخف، ولمعرفة الإمام الشخصيّة بهمام واسرته الموالية والمعروفة بالزهد كان يمتنع من استجابة طلبه، ويتغافل عن أن يصف المتقين على حقيقتهم، خشية رد الفعل الاشد، وما كان للإمام امام اصرار همام (وعزته) إلّا يقول الحقيقة، وفي هذا المقطع اشارة الى امور ثلاثة:

١ ـ طبيعة المواعظ؛ فإنّ فيها اداء رسالة ؛ للتاثير على تغيير الوضع الذي يعيش فيه المتعظ .

٢ ـ شرط التأثير، أن تكون المواعظ (بالغة) وبلوغها الحقيقة التي تصحب العمل، وكان الإمام مثالا عمليا في تطبيقها.

٣ ـ أن يكون المتعظ من (اهلها)؛ فإنّ الوعظ لمن لم يتهيأ للاتعاظ ضياع للوقت.

وقد اجتمعت هذه الامور بالنسبة إلى همام (فصعق همام صعقة كانت نفسه فيها) وكان

(١) في هـ ب : غشي عليه .
(٢) في هـ . د: فصعق همام رحمه الله ـ ش.
(٣) في هـ . ب: أي مات.

الإمام يخاف عليه من ردة الفعل الشديدة هذه.

ومقتضى السياق أن يكون قوله عليه السلام:(هكذا تصنع المواعظ البالغة بأهلها) اخباريّة من دون همزه الاستفهام؛ فان المواعظ الدينيّة الحقيقية المقرونة بالعمل، والصادرة من القلب، لابدّ وان تنفذ في القلوب وتؤثر أثرها المطلوب باختلاف الدرجات وتفاوت الاستعدادات، والله بيده أزمّة الامور.

(٩ / ط - ١٩٣) مثال المتقين:

فَقَالَ لَهُ قَائِلٌ[١] فَمَا بَالُكَ أنت يا أميرَ المؤمنينَ[٢] فَقالَ عليه السلام:

وَيْحَكَ، إنَّ لِكُلِّ أَجَلٍ وَقْتاً لَا يَعْدُوهُ، وَسَبَباً لَا يَتَجَاوَزُهُ، فَمَهْلاً لَا تَعُدْ لِمِثْلِهَا، فَإنَّمَا نَفَثَ الشَّيْطَانُ عَلَى لِسانِكَ!.

اعتراض وجواب:

كل انسان في الحياة يواجه من لا يفهم اهدافه الحقيقية، ولا يقدر المواقف التي يتخذها، وبالنتيجة يخطأ في فهم الاقوال التي تعرض عليه؛ لأنّه يقيسها بالمقاييس الشخصيّة، فالاعتراضات في الحقيقة تكشف عن شخصية المعترض اكثر من حقيقة الاعتراض، ومنها هذا الموقف، فاعترض القائل: (فما بالك يا أمير المؤمنين؟) وفي ذلك اعتراض على الإمام عليه السلام ممّن لا يقدّر حقيقة الوعظ، فكأنّه يقول: اذا كانت المواعظ البالغة تصنع هكذا فلماذا انت حيٌّ؟

وقام الإمام عليه السلام في جواب هذا الاعتراض بأمرين كدرس لكل من لا يقدر المواقف والاهداف.

الأوّل: دفع الاعتراض (إن لكل أجل وقتا لا يعدوه وسببا لا يتجاوزه) والموت والحياة بيد الله، قال سبحانه:(اذا جاء اجلهم لا يستقدمون ساعة ولا يستأخرون) ولهذا الاجل سبب لا يعلمه بالتحديد من حيث الزمان والمكان سوى الله (وما تدرى نفس بأي أرض تموت) ولا فرق في ذلك بين افراد البشر، همام أو الإمام أو غيره، وكان اجل همام كذلك، واجل الإمام بما يشابه ذلك حينما قال:«فزت ورب الكعبة».

الثاني: النهي عن المنكر باداء المسؤولية في هذا الظرف بالتوعية، كالاب القائد الذي

(١) في هـ . ب: القائل يعني به عبد الله بن الكوا.
(٢) لم ترد «صلوات الله عليه» في ص وفي د و ط: عليه السلام .

يسمع اعتراضات من لا خبرة له في الحياة من الاسرة كالاولاد والاقارب الصّغار الذين يعترضون على نصائحه بالرد والنقض والمناقشة والاخذ والرد، فيجب على الاب توجيههم بانهم ليسوا بالدرجة من الخبرة العلميّة والعمليّة للاعتراض؛ لأنّ هذا نوع من الانحراف المنكر الذي يجب النهيُ عنه، فقال عليه السلام: (فمهلا) في التسرع في الاعتراض (لا تعد لمثلها)؛ لانها تكشف عن جهل بالخصائص الاسلاميّة التي تتعلق بالموت والحياة؛ فإنّ امرها إلى الله وحده (فإنما نفث الشيطان على لسانك) والنفث: الرمي، فليس هذا الاعتراض سوى وسوسة شيطانية للتشكيك في الوعظ وتحوير المواقف، والله العاصم.

وفي هذه الخاتمة مثال المتقين المتشخص بشخص عليّ اميرالمؤمنين في اهم ما تقدم في المتقين من الوصف الاجمالي والرؤية الواضحة، والوصف التفصيلي لصفات المتقين ودعاء المتقين وعلامات المتقين.

اما الوصف الاجمالي، من تقوى الله والاحسان إلى عباد الله، فقد كان نفس جواب الإمام للمعترض من التقوى، ولولا التقوى لاستحق المعترض النهي عن الاعتراض على الناصح ؛ لوضوح النيّة التي هي الوعظ، وليس المقام مقام المجادلة، بل مقام العبرة، ولا يبقى في مثلها إلّا الاعتبار.

كما كان في بيان الجواب احسان اليه، لتطبيقه على المبادئ الاسلامية الاصيلة من العقيدة الثابتة في الموت والحياة، ولم يتركه على حاله من الجهالة، واحسن اليه بالتثقيف الاسلامي.

واما الرؤية الواضحة؛ فإنّ المعترض انما اعترض؛ لأنّه قاس الامور بالمقاييس المادية، دون المقاييس التي هي من تقدير الله سبحانه، فهو جاهل بها يجب أن يتعامل معه على هذا الاساس.

واما الوصف التفصيلي، فما يتعلق منها بالمقام وهو مقام اجابة الجاهل المغفّل:

- الاعتدال في الموقف بالجواب المقنع للمعترض.
- العمل بالواجب الاسلامي من نشر الثقافة الاسلاميّة.
- تعظيم الله سبحانه ببيان التقدير الالهي بالقضاء بالحياة والموت.
- الرؤية الواضحة في الاعتراض، وانها نابعة من وسوسة الشيطان على لسان المعترض.

- القلب الحزين على مصير هذا المغفل المعترض.
- (الامان من الشر) حيث لم يعاقب المعترض على التدخل فما لا يعنيه.
- الصبر على الاعتراض.
- واما علامات اليقين، فما يتعلق بالمقام منها:
- القوّة في الدين بالصمود على الموقف الحق في مواجهة الاعتراض الشيطاني.
- الحزم في لين، وكان حزمه في الجواب مع اللين، حيث لم يستخدم ما يستخدمه اصحاب الدنيا من العقاب على المعترضين عليهم.
- الايمان في اليقين، من دون أي شكّ أو تردد.
- الحرص في العلم، بالقيام بدور التثقيف للمعترض.
- العلم في الحلم، حيث لم يفكر قط في العقاب.
- الحذر من الغفلة عن الموت الذي يأتي بعينه.
- ضبط النفس من الانحراف عن واجب المسؤولية إلى الاعتراضات الشخصية.
- مزج الحلم بالعلم، بالحلم على الاعتراض، وفي نفس الوقت القيام بواجب التعليم.
- الخير منه مأمول، وهو في قمة القيادة؛ عملا بالواجب الاسلامي.
- الشر منه مأمون؛ لأنّ القيادة الاسلامية العليا لاتحرفه عن أداء الواجب الاسلامي.
- الذكر لله تعالى، بالتاكيد على مقدراته في الحياة والأجل.
- ليس من الغافلين حتّى في موقع القيادة العليا.
- غائب منكره، ولم يصدر منه بالنسبة إلى المعترض امر منكر.
- حاجز معروفة، حيث عطف على المعترض بامر معروف هو التثقيف.
- مقبل الخير، حيث قام بواجبه الاسلامي.
- مدبر الشر، حيث لم يعاقب المعترض.
- الصبر في المكاره؛ فإنّ الاعتراض غير مقبول للانسان، وقد صبر عليه لجهله.
- لم يضيع ما استحفظ من واجبات الامامة.
- لم ينس ما ذكر من الثوابت الاسلاميّة التي منها النهي عن المنكر.
- لم ينابز بالالقاب التي يستحقها المعترض، فلم يقل مثلا: «ايها الجاهل».
- الناس منه في راحة، ومنهم هذا المعترض.

ـ اتعب نفسه لاخرته، بتثقيف هذا الجاهل المعترض لله تعالى.

ـ اراح الناس من نفسه، حيث أمن المعترض من العقاب.

ـ لم يتكبر على المعترض بقطع اعتراضه أو اهمال الجواب.

ـ لم يدنوا الى المعترض بمكر أو خديعة، بل بكل صراحة اسلاميّة مطلوبة.

وكان موقف الإمام اميرالمؤمنين مع هذا المعترض مثال المتقين في مواقفهم تجاه من يقع فريسة للدعايات الشيطانية في الحياة.

[١٩٤]

ومن خطبة له ؑ يصف فيها المنافقين:

ويتضمن الحمد والسؤال والشهادة وصفات المنافقين.

نَحْمَدُهُ عَلَى مَا وَفَّقَ لَهُ(١) مِنَ الطَّاعَةِ وَذَادَ(٢) عَنْهُ مِنَ الْمَعصِيَةِ. وَنَسْأَلُهُ لِمِنَّتِهِ(٣) تَمَاماً وَبِحَبْلِهِ(٤) اعْتِصَاماً(٥).

مفتتح المختار من الخطبة يتضمن الحمد لله والسؤال منه تعالى، ثمّ الشهادة بالرسالة، ولم يذكر من متعلق الحمد سوى سببين فقط لرجوع جميع الاسباب الاخرى اليهما، فقال:

(نحمده على ما وفق له من الطاعة، وذاد عنه من المعصية) والذود: الحمى، فإنّ الطاعة والمعصية امران متنافيان لا يجتمعان، وبالتوفيق للطاعة والحمى عن المعصية يتكامل الإنسان ولا يحقق ذلك إلّا بالتكامل التام فيغني عن ذكر أي سبب آخر.

ثم عقب ذلك بأمرين اخرين يفتقر اليهما الإنسان حتى بعد مرحلة التكامل ؛ فإنّ الوصول إلى قمة الكمال على عظمته وعدم تيسره لكل احد لا يكفي حتّى يستمر كذلك على حالة التكامل، فقال:

(ونسأله لمنته تماماً، وبحبله اعتصاما) .

فان من تمام المنة بعد الوصول إلى الكمال أن يتمم بما وعد للطاعة من الآثار في الدنيا

---

(١) في هـ. ب: أي وفقنا للطاعة لهُ.
(٢) في هـ. ب: أي دفع .
(٣) في هـ. ب، وفي نسخة: بمنته، وفي هـ. د: لمننه ـ ف ن، وروي لمننه ـ ك، وفي هـ. ب: أي مع منته وفي هـ ب أيضاً: نسأله تماماً من نعمته أي يتم بمنته النعمة.
(٤) في ط : لحبله.
(٥) في هـ. ب: ونسأله اعتصاماً بحبله.

والاخرة، وذلك لا يمكن إلّا بالاستمرار في حالة التكامل معتصما بحبل الله تعالى من دون انقطاع، وإلّا لكان حاله حال ابليس، فيكون من المطرودين.

(ط ـ ١٩٤/١) **الشهادة بالرسالة:**

وَنَشْهَدُ أَنَّ مُحَمَّداً عَبْدُهُ وَرَسُولُهُ خَاضَ(١) إِلَى رِضْوَانِ(٢) اللهِ كُلَّ غَمْرَةٍ(٣) وَتَجَرَّعَ فِيهِ(٤) كُلَّ غُصَّةٍ وَقَدْ تَلَوَّنَ(٥) لَهُ الْأَدْنَوْنَ(٦) وَتَأَلَّبَ(٧) عَلَيْهِ الأَقْصَوْنَ وَخَلَعَتْ إِلَيْهِ الْعَرَبُ أَعِنَّتَهَا(٨). وَضَرَبَتْ لِمحَارَبَتِهِ(٩) بُطُونَ رَوَاحِلِهَا حَتَّى أَنْزَلَتْ بِسَاحَتِهِ(١٠) عَدَاوَتَهَا(١١) مِنْ أَبْعَدِ الدَّارِ(١٢) وَأَسْحَقِ(١٣) المَزَارِ.

ثم شهد بالشهادة للنبي محمّدﷺ بالعبودية والرسالة بقوله:

(ونشهد أن محمّدا عبده ورسوله) وسرد صفاته واحواله الموجبة لهذه الشهادة فقال:

١ ـ (خاض إلى رضوان الله كلّ غمرة) وهي الشدة في طريق ذات الشوكة.

٢ ـ (وتجرع فيه كلّ غصة) وهي الشجى في الحلق تناولها من معارضيه اعداء الرسالة.

٣ ـ (وقد تلون له الأدنون) وهم الاقربون في النسب والعشيرة والوطن في مكة المكرمة والتلون: التقلّب في المواقف ضده.

٤ ـ (وتألب عليه الأقصون) وهم الابعدون عنه نسباً ووطناً من اعداء الرسالة في كلّ مكان وصل اليه صوته.

---

(١) في هـ. ب: أي دخل.
(٢) في هـ. ب: أي رضا.
(٣) في هـ. ب: أي شدة، وفي هـ ص : هي في الأصل: ما اجتمع من الماء وتكاثف، ثم استعير لكل كثير حتىٰ من المعاني.
(٤) في هـ. ب: أي في الله.
(٥) في هـ. ب: أي تغيّر.
(٦) في هـ. ب: الأقرباء أبو جهل.
(٧) في هـ. ب: أي اتحد وتجمع عليه الأبعدون من قرابته.
(٨) في هـ. ب: جمع عنان.
(٩) في د: الى محاربته، لمحاربته ـ ب .
(١٠) في ص: ساحته.
(١١) في هـ ص في نسخة: عدواتها.
(١٢) في هـ. ب: أي من أقاصي البلاد.
(١٣) اسحق: أقصىٰ وأبعد .

٥ ـ (وخلعت إليه العرب أعنتها) والعنان: حبل اللجام للفرس، يتحكم به سيره، فاذا خلع اللجام كان مطلقا وفي السير مسرعا للحرب ضد النبيﷺ.

٦ ـ (وضربت لمحاربته بطون رواحلها)؛ فإنّ الناقة الراحلة اذا ضربت على بطونها اسرعت في السير، والعرب استخدمت كلّ قواها لمحاربة رسالة الاسلام.

٧ ـ (حتى أنزلت بساحته عداوتها من أبعد الدار وأسحق المزار).

وهؤلاء الاعداء جميعا اجتمعوا لمحاربة رسالة الاسلام وهم لاينتمون إلى مكة المكرمة التي هي دار النبيﷺ، بل إلى المدينة المنورة التي هي مهجر النبيّ، بل كلها جلها من القبائل العربية البعيدة من هاتين المدينتين، والقاصية عن المحل الذي يزوره الزوار الوافدين للحج، وهو بيت الله الحرام أو المدينة اتخذها النبيﷺ عاصمة له، حيث يزوره الوافدون.

وهذه الصفات والاحوال والمواقف منهﷺ ضد اعداء الاسلام مع قلة عدد المسلمين وكثرة الاعداء وخططهم يدل على انّه كان مؤيداً من قبل الله تعالى، فقد نصر الله رسالته وحقانيته؛ اذ لو كان بالمقاييس المادية في الحروب القبلية لما امكن المقاومة من جانبه، ولكان النصر لاعداء الاسلام المتحدين ضده.

(٢ / ط ـ ١٩٤) صفات المنافقين:

أوصِيكُمْ عِبَادَ ٱللهِ بِتَقْوَى ٱللهِ وَأُحَذِّرُكُمْ أَهْلَ ٱلنِّفَاقِ فَإِنَّهُمُ الضَّالُّونَ المُضِلُّونَ وَالزَّالُّونَ(١) الْمُزِلُّونَ(٢) يَتَلَوَّنُونَ أَلْوَاناً، وَيَفْتَنُّونَ ٱفْتِناناً(٣) وَيَعْمِدُونَكُمْ(٤) بِكُلِّ عِمَادٍ(٥) وَيَرْصُدُونَكُمْ(٦) بِكُلِّ مِرْصَادٍ. قُلُوبُهُمْ دَوِيَةٌ(٧). وَصِفَاحُهُمْ(٨) نَقِيَّةٌ. يَمْشُونَ ٱلْخَفَاءَ(٩).

---

(١) هـ. ب: من الزلل.
(٢) في هـ. ب: من الازلال وهو الزولٍ والانحراف من مكانه ومما هو عليه من الانقياد.
(٣) في ب :في نسخة: ويفتنون افتنانا، وفي هـ. ب: يفتنون، أي يبذرون أنواع الفتن المختلفة، والافتتان: الوقوع في الفتنة.
(٤) في هـ. ب: أي يقصدونكم بكل قصد، وفي هـ ص: يهدونكم ويقدحونكم.
(٥) في هـ. ص: ما يجعل به المصاب عميداً.
(٦) في هـ. ب: أي يرصدون أوقات، وفي هـ. ص: أي يتربصون بكم الدوائر.
(٧) في هـ. ب: من الداء الدوي، وفي هـ. ص: رواية ابن أبي الحديد: دوية بخفقان قال أي ذات داء قال ومن شدّد فليوافق نفيه.
(٨) في هـ. ب: الصفاح جمع صفيحة، وهي عرض بدنه وجسده، أي ما ظاهره طاهر وباطنه نجس، وفي هـ. ص: أي وجوههم.

وَيَدِبُّونَ الضَّرَاءَ(١). وَصْفُهُمْ دَوَاءٌ. وَقَوْلُهُمْ(٢) شِفَاءٌ. وَفِعْلُهُمُ ٱلدَّاءُ ٱلْعَيَاءُ(٣). حَسَدَةُ الرَّخَاءِ(٤) وَمُؤَكِّدُوا ٱلْبَلَاءِ وَمُقْنِطُوا الرَّجَاءِ لَهُمْ بِكُلِّ طَرِيقٍ صَرِيعٌ وَإِلَى كُلِّ قَلْبٍ شَفِيعٌ وَلِكُلِّ شَجْوٍ(٥) دُمُوعٌ. يَتَقَارَضُونَ(٦) الثَّنَاءَ(٧) وَيَتَرَاقَبُونَ ٱلْجَزَاء. إِنْ سَأَلُوا أَلْحَفُوا(٨) وَإِنْ عَذَلُوا كَشَفُوا(٩) وَإِنْ حَكَمُوا أَسْرَفُوا.

قَدْ أَعَدُّوا لِكُلِّ حَقٍّ بَاطِلاً(١٠). وَلِكُلِّ قَائِمٍ(١١) مَائِلاً(١٢). وَلِكُلِّ حَيٍّ(١٣) قَاتِلاً(١٤) وَلِكُلِّ بَابٍ مِفْتَاحاً وَلِكُلِّ لَيْلٍ مِصْبَاحاً. يَتَوَصَّلُونَ إِلَى الطَّمَعِ بِالْيَأْسِ لِيُقِيمُوا بِهِ أَسْوَاقَهُمْ وَيُنْفِقُوا بِهِ أَعْلَاقَهُمْ(١٥) يَقُولُونَ فَيُشَبِّهُونَ(١٦) وَيَصِفُونَ فَيُمَوِّهُونَ(١٧) قَدْ هَيَّئُوا(١٨) الطَّرِيقَ، وَأَضْلَعُوا(١٩)

---

(٩) في هـ. ب: خفي السير خفاء، وبرح الخفاء أي وضح الأمر.
(١) في هـ. ب: الضرّاء: الضرر، يعني فيما يوازي مشقة، وفي هـ. ص: هو شجر الوادي الملتف، يقال للرجل اذا حدث صاحبه هو: بدت له الضراء وتمسى له الحمر، قال بشر:

عطفنا لهم عطف الضروس من الملا   بشبهارة لا يمشي الضراء رقيبها

ذكره في الصحاح في معتل اللام، والهمزة منقلبة عن واو، وفي ديوان الارب في باب فعال بفتح الضاء، والضراء: شجر الحنظل اذا اصفر.

(٢) في ص: وقلوبهم.
(٣) العياء: الذي أعيى الأطباء ولا يمكن الشفاء منه.
(٤) في هـ. ب: الرخاء والسهولة.
(٥) الشجو: الحزن أي يبكون تصنّعاً متى أرادوا.
(٦) في هـ. د: يتفارضون ـ ش، وروي يتفارضون بالفاء ـ ر.
(٧) في هـ. ب: من القرص، وفي هـ. ص: أي يثني هذا على هذا فيجزيه هذا بثنائه فكأن الأول أقرض الآخر، وما أحسن ما أنشده ابن الاعرابي من الشعر القديم.

ذهب الرجال المقتدى بفعالهم   والمنكرون لكل أمر منكر
وبقيت في خلف يزين بعضهم   بعضاً ليستر معور عن معور

(٨) في هـ. ب: أي ألحّوا.
(٩) في هـ. ب: أي لاموا.
(١٠) في هـ. ص: يعارض به.
(١١) في هـ. ص: كل قولٍ ودليل.
(١٢) في هـ. ص أي عادلاً من الجواب.
(١٣) في هـ. ص أي الحق.
(١٤) في هـ. ص: أي شبهه يقتله.
(١٥) هـ. ب: انفق ضد الكساء في بيع المتاع، من النفاق وهو اتجار المتاع، يمنع سوق الرجل.
(١٦) في هـ. ص: أي يشبهون باطلهم بالحق.
(١٧) في هـ. ب: يموهون: من موّه الدرهم إذا طلاه.
(١٨) في ط: هوّنوا، وفي هـ. د: هونوا ـ ض ح، ب.

المَضِيقَ فَهُمْ لُمَّةُ[٢٠] الشَّيْطَانِ وَحُمَةُ[٢١] النِّيرَانِ: ﴿أُولَئِكَ حِزْبُ ٱلشَّيْطَانِ أَلَا إِنَّ حِزْبَ ٱلشَّيْطَانِ هُمُ ٱلْخَاسِرُونَ﴾[٢٢].

وسرد في الوصية صفات المنافقين الذين يجب الحذر منهم؛ لانهم في الدرجة الثانية في العداوة، وضررهم اقوى من الاعداء؛ حيث لا يمكن محاربتهم لاظهارهم الاسلام، فقال: (أوصيكم عباد الله بتقوى الله . وأحذركم أهل النفاق) وسرد من اوصافهم قوله:

١ ـ (فإنهم الضالون) في انفسهم، حيث أن طبيعة النفاق الضلال والانحراف عن الحق، والحق واضح لا يفتقر إلى غطاء النفاق.

٢ ـ (المضلون) لغيرهم بمواقفهم المتضاربة وباساليبهم في النفاق.

٣ ـ(والزالون) في انفسهم، والزلل: الخطأ غير المتعمد، حيث يظهرون الاسلام ويعتقدون أنّ النفاق لا يضر بالعقيدة.

٤ ـ (المزلون) لغيرهم بأن العقيدة لاتنافي العمل لمصلحة اعداء الاسلام من اجل المنافع المادية.

٥ ـ (يتلونون ألوانا)؛ فإنّ الجري وراء المصالح المادية يستلزم أن لا يكون لهم مبدأ ثابت في الحياة فيتلونون كما يريد اسيادهم لكي يحصلوا على مقاصدهم، ويصطبغون بأي لون يأمرهم به أسيادهم.

٦ ـ(ويفتنون أفتنانا) والفتنة: الامتحان؛ فإنّ في الخيار بين الالتزام بالمبدأ الذي يعتقد صحتها بالمصلحة المادية اعظم امتحان لكل انسان.

٧ ـ(ويعمدونكم بكل عماد) والعماد: اصل البناء الذي يقام عليه الشئ، ولولاه لانهدم البناء، والمنافقون يتقربون الى من يريدون الوقيعة به بتأمين ما يحتاج اليه حتّى يعتمد عليهم اعتماداً كليا، وهم في نفس الوقت:

٨ ـ (ويرصدونكم بكل مرصاد) والرصد: المراقبة، فهم في نفس الوقت الذي

---

(١٩) في هـ. ب: الضلع الاتساع والضلع الاعوجاج، المراد: انهم يهونون على الناس طرق السير معهم على أهوائهم، ثم بعد ان ينقادوا لهم يضلعون عليهم الطرق، أي يجعلونها معوجة يصعب تجاوزها فيهلكون.

(٢٠) في هـ. ب: اللمة: الجماعة.

(٢١) في هـ. ب: أي سم، وفي هـ ص بالتخفيف.

(٢٢) المجادلة: ١٩.

يساعدون الإنسان فانهم يدرسون كلّ حركاته وسكناته، مترصدين للوقت المناسب للقضاء على الإنسان قضاءً تاماً.

٩ ـ (قلوبهم دوية) والداء: المرض؛ لانها قلوب ميتة بمرض النفاق.

١٠ ـ (وصفاحهم نقية) والصفحة: ظاهر الوجه، فهي في ظاهرها تظهر البشاشة والود والمحبة والصدق: في حين أن قلوبهم على النقيض تماما.

١١ ـ (يمشون الخفاء) أي في الستر، فلا يعرف مسيرهم الناس.

١٢ ـ (ويدبون الضراء) والدب: مشية الحية، والضراء: شجر الوادي الملتفّ؛ فإنّ نموّه في نفسه وتكاثره في المنطقة المحيطة به مشيٌ غير محسوس، كما هي الحال في الحية.

١٣ ـ (وصفهم دواء) أن وصفتهم في الظاهر كانهم دواء وعلاج لما يفتقر اليه الإنسان في الحياة، على خلاف نواياهم.

١٤ ـ (وقولهم شفاء) في الظاهر؛ لأنّها تعالج بعض الحالات المستعصية للناس من حلول اقتصادية واجتماعية هم خلقوا مشاكلها أو ساعدوا بسلوكهم على استحفالها، ولم يعالجوها في وقتها.

١٥ ـ (وفعلهم الداء العياء) والعياء: الداء الذي يعيي الطبيب من شفائه؛ فإنّ حلولهم وان كانت ترفع مشكلة ولكنها توقع الانسان في مشاكل اخرى اكبر، ومنها سلب القدرة من الاستقلال في التفكير والعمل .

١٦ ـ (حسدة الرخاء) فانهم يحسدون الشعب المتمتع بالرخاء الاقتصادي، فيستهدفونه بالطرق الملتوية لا يقاعه في الديون.

١٧ ـ (ومؤكدوا البلاء) فيتقدمون ديونا تثقل كاهل المؤمن لتأمين ما يتصوره حلاً اقتصاديا، ولكن يزداد بذلك سوءً؛ حيث يتراكم عليه الديون ولا يتمكن من دفعها.

١٨ ـ (ومقنطوا الرجاء) ويسلبون الرجاء في كلّ المشاكل الاجتماعية والاقتصادية بالاعتماد على النفس، حتّى يضطر الإنسان للاعتماد عليهم.

١٩ ـ (لهم بكل طريق صريع) والدليل الواضح على مواقف النفاق التاريخ؛ فإنّ اعمالهم في كل طريق سلكوه أشباح الموت الحضاري والثقافي والاقتصادي للانسان والشعوب التي فتحوا لهم الطريق.

٢٠ ـ (وإلى كلّ قلب شفيع) حيث يستخدمون خيوطاً كثيرة للاتصال بمن يريدون

صيده من اقرب الناس وابعد الناس اليه حتّى يستولوا على قلبه.

٢١ ـ (ولكل شجو دموع) والشجو: الحزن، فإنّه يستتبع اثاره الطبيعية من الحزن على الاسلام للاغراض النابعة من النفاق.

٢٢ ـ (يتقارضون الثناء)؛ فإنّ هدف المنافق ليس إلّا الثناء، والتعامل مع أي انسان اخر يكون على هذا الاساس، فكانهم يقرضون الثناء ليستردوا الثناء من الشخص الذي اثنوا عليه من قبل، وليس الثناء لاستحقاق احد منهم ذلك.

٢٣ ـ (ويتراقبون الجزاء)؛ فإنّ كلّ واحد منهم يرتقب الجزاء على هذا الثناء ماديا أو بالعناوين الخيالية من أنواع التشجيع والشهادة العلمية من دون دليل يساند ذلك من انتاج أو عمل.

٢٤ ـ (إن سألوا ألحفوا) والإلحاف: المبالغة في السؤال إلى الحد الذي يعجز المسؤول ويستجيب، حتّى يتخلص من السائل.

٢٥ ـ (وإن عذلوا كشفوا) والعذل: اللوم؛ فإن كانوا في مقام اللوم، فانهم يكشفون العيوب الشخصية للانسان الذي يلومونه في كلّ شئ يتعلق به من المؤاخذة على سلوكه واهله وانتاجه وعرضه؛ فإن لم يجدوا شيئا لاموه على خلقته وراسةهواعضاء بدنه، ومن ذا الذي ترضى سجاياه كلها؟

٢٦ ـ (وإن حكموا أسرفوا) في استخدام اموال الدولة في امور لاتخدم الامة، مع أن المفروض في الحاكم العدل.

وعن وسائلهم قال بالنظريات المعارضة:

٢٧ ـ (قد أعدوا لكل حق باطلا) لمعارضة الحق حتى ينشغل الناس عنهم بالنظريات المعارضة.

٢٨ ـ (ولكل قائم مائلا) فترك البنيان القائم إلى بنيان اعوج، كناية عما لا ينفع المجتمع من موارد الاسراف في المال.

٢٩ ـ (ولكل حي قاتلا) من المرتزقة الذين اعدوهم لهذه المهمة فقط.

٣٠ ـ (ولكل باب مفتاحا) للوصول إلى مقاصدهم عند الافتقار اليها.

٣١ ـ (ولكل ليل مصباحا) فكل حادثة مظلمة استعدوا لها بما يحل المشكلة ظاهراً وان لم يحلها حقيقة.

٣٢ ـ (يتوصلون إلى الطمع باليأس)؛ فإنّ من وسائل المنافقين تأمين اطماعهم من الهيمنة اداريا أو عسكريا أو غيرها بخلق اليأس في نفوس الناس من أن يتمكنوا من ادارة انفسهم بانفسهم، أو الدفاع عن انفسهم وما شابه.

وعن السبب في ذلك قال:

٣٣ ـ (ليقيموا به أسواقهم)؛ فإنّ في حالة اليأس من النفس يتولد الحاجة إلى افكارهم وبضائعهم ومعداتهم، وبهذه الوسيله يصلون الى ما يطمعون به من الهيمنة.

٣٤ ـ (وينفقوا به أعلاقهم) والاعلاق: هي الاشياء النفيسة التي يتزين بها؛ فإنّه بدون اليأس من الاستغناء عنها لا يكون مجال لاستخدامها، والانفاق: التسويق، وبدونه يكون الكساد لهم والمتحصن بالقناعة لا يتأثر بها فيكتشف حقيقتهم.

٣٥ ـ (يقولون فيشبّهون) والنفاق يظهر في اقوالهم باختلاف الحقيقة مع ما يقولونه، حيث يشبهون الحق بالباطل في القول.

٣٦ ـ (ويصفون فيموهون) والتمويه: التزيين لكي تخفى الحقيقة به.

٣٧ ـ (قد هونوا الطريق) أي الحياة بالتمييع بالمادّة والماديات من مغريات الحياة حتّى تكون هيّنة.

٣٨ ـ (وأضلعوا المضيق) أي أمالوه، وجعلوه ظلعا معوجا حتّى لا يمكن السالك من الخروج من هذا المضيق.

٣٩ ـ (فهم لمة الشيطان) واللمة: الجماعة الذين ينفّذون خطط الشيطان، لسلبهم استقلالهم الفكري وتحريفهم في مختلف نواحي الحياة.

٤٠ ـ (وحمة النيران) والحمّة: سم العقرب بابرتها، كنى بها عن احراق النار، فهؤلاء هم جنود ابليس، واستشهد لذلك بقوله تعالى:(أولئك حزب الشيطان).

وهذه اربعون صفة كاملة يتصف بها المنافقون في كلّ عصر وزمان، ولا يخلو منهم أي مكان يوجد فيه الشيطان من شياطين والانس والجان.

وإلى نتيجة الحطوات الشيطانية في التاريخ اشار مقتبساً من قوله تعالى:﴿ألا إن حزب الشيطان هم الخاسرون﴾.[1]

---

(١) المجادلة: ١٩.

فان التاريخ يشهد بأن القوى المادية مهما عظمت، والوسائل الشيطانية مهما بلغت في القوة؛ فإنّ الإنسان المسلم المتقي سوف يتغلب عليها بالوعي والثبات.

[١٩٥]

ومن خطبة له ﷺ:

يحمد الله ويثني على نبيه ويعظ

اَلْحَمْدُ لِلّٰهِ أَظْهَرَ مِنْ آثَارِ سُلْطَانِهِ(١). وَجَلَالِ كِبْرِيَائِهِ مَا حَيَّرَ مُقَلَ الْعُيُونِ(٢) مِنْ عَجَائِبِ(٣) قُدْرَتِهِ وَرَدَعَ(٤) خَطَرَاتِ هَمَاهِمِ(٥) النُّفُوسِ عَنْ عِرْفَانِ كُنْهِ صِفَتِهِ(٦).

(١ / ط - ١٩٥) حمد الله:

يتضمن حمد الله والشهادتين وصفات الله الموجبة للنجاح في الحياة والتقوى صفاتها وآثارها.

افتتح المقطع بحمد الله تعالى واشار إلى الاسباب الموجبة للحمد بقوله:

١ ـ (الحمد لله الذي أظهر من آثار سلطانه) في الآفاق وفي الأنفس التي تشمل جميع المخلوقات، فإنّها آثار تدل على وجوده وسلطانه القاهر.

٢ ـ (وجلال كبريائه)؛ فإنّ كلّ موجود في السماء أو على الارض وما فيها ومن عليها مظاهر جلاله تعالى، والعظمة لا تليق إلّا به.

٣ ـ (ما حيّر مقل العيون) والمقلة: حدقة العين التي بها يصح النظر استعارة للبصيرة التي يستدل بها على المؤثر بالأثر.

٤ ـ (من عجائب قدرته) في الخلق؛ فإنّ المخلوقات كلها متكاملة بالنسبة إلى وجود انفسها.

٥ ـ (وردع خطرات هماهم النفوس عن عرفان كنه صفته) وهمم النفس الانسانية الوصول إلى حقيقة الاشياء بقدر الطاقة البشرية كما هو المشهور في تعريف الفلسفة،

---

(١) في هـ . ب: من آيات قدرته.
(٢) في ب مقل العقول. وفي هـ . ب أي العقول القوية والزكية.
(٣) في هـ . د: وروي من آيات ـ ر.
(٤) في هـ . ب: أي زجر.
(٥) هماهم النفوس همومها في طلب العلم، و في هـ . ب: جمع همه.
(٦) في هـ . ب: معرفة.

ولكن الله سبحانه سلبها القدرة على هذا العرفان بأي نحو كان حتّى بالخطرات والاحتمالات التصورية، فهي عاجزة عن معرفة كنه صفاته، فكيف بذاته؟

(٢ / ط - ١٩٥) الشهادتان:

وَأَشْهَدُ أَنْ لَا إِلٰهَ إِلَّا اللّٰهُ شَهَادَةَ إِيمَانٍ وَإِيقَانٍ وَإِخْلَاصٍ وَإِذْعَانٍ. وَأَشْهَدُ أَنَّ مُحَمَّداً عَبْدُهُ وَرَسُولُهُ. أَرْسَلَهُ وَأَعْلَامُ الْهُدَى دَارِسَةٌ. وَمَنَاهِجُ الدِّينِ طَامِسَةٌ(١). فَصَدَعَ(٢) بِالْحَقِّ. وَنَصَحَ لِلْخَلْقِ. وَهَدَى إِلَى الرُّشْدِ. وَأَمَرَ بِالْقَصْدِ(٣) ﷺ.

ثم ذكر الشهادتين متعقبة بأوصاف تخص كلّ منها.

وعن الشهادة الاولى قال:

ـ (وأشهد أن لا إله إلّا الله) شهادة موصوفة باربع خصائص ، هي:

أوّلاً: (شهادة إيمان) وهو مركب من ثلاثة: الاعتقاد بالجنان، والقول باللسان، والعمل بالاركان، وبنقصان أي جزء منها يكون الايمان ناقصا.

ثانياً: (وإيقان) وهو أعلى مراتب علم اليقين وحق اليقين وعين اليقين؛ فإنّ الجامع منها جميعا أن الاعتقاد ليس عن تقليد، بل عن معرفة وان تفاوتت مراتب المعرفة.

ثالثاً: (وإخلاص) وللخلوص مراتب من الرياء الى الشرك الخفي وما علاه.

رابعاً: (وإذعان) وهو الانقياد لما تقتضيه الشهادة في كلّ مراحل الحياة الاعتقادية والاجتماعية والاقتصادية والسياسية.

فان هذه النقاط الاربع لها مراتب، واعلاها ما هو المطلوب في سير التكامل للنفس الانسانية.

وعن الشهادة الثانية قال:

(وأشهد أن محمّدا عبده ورسوله) كما هي حقيقة الشهادة الثانية، ومن خصائصها قال:

١ ـ (أرسله وأعلام الهدى دارسة) وفي الفترة التي لم تطبق شريعة الله على الارض ، والدرس : انعدام الاثر.

٢ ـ (ومناهج الدين طامسة) والطمس: الخفض باهمالها؛ حيث أن التشريع بعد النبيّ

---

(١) من طمس أي انمحىٰ واندرس.
(٢) في هـ . ب: أي ظهر.
(٣) في هـ . ب: أي بالوسط.

عيسى كانت مكتوبة في المعابد والاديرة العامرة، ولكن الشريعة لا تطبق لا فيها ولا في غيرها.

وعن رسالة النبيّ محمّدﷺ قال:

٣ ـ(فصدع بالحق) والصدع: الشق؛ حيث قضى على الباطل باظهار الحق.

٤ ـ(ونصح للخلق) كما امره الله تعالى من واجب الرسالة الاسلامية.

٥ ـ(وهدى إلى الرشد) الذي به قوام الحياة في كلّ مجتمع.

٦ ـ(وأمر بالقصد) والقصد: الطريق المعتدل والصراط المستقيم في التوازن بين المادّة والروح.

وهذه الخصائص توجب الشهادة بالرسالة المحمدية.

(٣ / ط - ١٩٥) من صفات الله:

وَٱعْلَمُوا عِبَادَ ٱللهِ أَنَّهُ لَمْ يَخْلُقْكُمْ عَبَثاً. وَلَمْ يُرْسِلْكُمْ هَمَلًا[١]. عَلِمَ مَبْلَغَ نِعَمِهِ عَلَيْكُمْ. وَأَحْصَى إِحْسَانَهُ إِلَيْكُمْ. فَاسْتَفْتِحوهُ وَٱسْتَنْجِحُوهُ[٢] وَٱطْلُبُوا إِلَـيْهِ وَٱسْـتَمْنِحُوهُ[٣]. فَمَا قَطَعَكُمْ عَنْهُ حِجَابٌ وَلَا أُغْلِقَ عَنْكُمْ دُونَهُ بَابٌ. وَإِنَّهُ لَبِكُلِّ مَكَانٍ[٤]. وَفِي كُلِّ حِينٍ وَأَوَانٍ. وَمَعَ كُلِّ إِنْسٍ وَجَانٍّ. لَا يَثْلِمُهُ[٥] ٱلْعَطَاءُ[٦] وَلَا يُنَقِّصُهُ[٧] ٱلْحِبَاءُ وَلَا يَسْتَنْفِدُهُ سَـائِلٌ وَلَا يَسْتَقْصِيهِ[٨] نَائِلٌ وَلَا يَلْوِيهِ[٩] شَخْصٌ عَنْ شَخْصٍ وَلَا يُـلْهِيهِ صَـوْتٌ عَـنْ صَـوْتٍ وَلَا تَحْجُزُهُ[١٠] هِبَةٌ عَنْ سَلْبٍ. وَلَا يَشْغَلُهُ غَضَبٌ عَنْ رَحْمَةٍ وَلَا تُولِهُهُ[١١] رَحْمَةٌ عَنْ عِقَابٍ[١٢]

(١) في هـ. ب: أي مهملاً، وفي هـ. ص: هو ارسال الماشية من غير كافل ولا وازع.
(٢) أي اسألوه النجاح في أعمالكم. وفي هـ. ب: اظفروا.
(٣) في هـ. د: واستمنحوه ـ ر، وفي هـ. ب: طلب العطاء.
(٤) في هـ. ص: هذه العبارة لتمثيل الاحاطة.
(٥) هـ. ص: بالكسر، وهو في الأصل كسر جانب الاناء فـاستعير لكسـر الحـال واشـتهر حـتى استعمل فيمن لا حال له.
(٦) في هـ. ب: العطاء: الحباء.
(٧) في هـ. د: ولا يبغّضه ـ ب .
(٨) في هـ. د: ولا يستنقصه ـ م.
(٩) في هـ. ب: لا يميله من اماله من الميل.
(١٠) في ب: لا يحجزه و في هـ. ب: أي لا يشغله.
(١١) في هـ: يولهه وفي هـ ب المولـه الذي وله عقله، يقال وله موله اذا أرسل وذهب بلا رأي.
(١٢) في هـ. ص أي لا يكون رحمته رقة تحجزه عن عقاب مستحق العقاب، كما هو شأن رحمة المخلوق.

وَلَا يُجِنُّهُ ٱلْبُطُونُ[١] عَنِ ٱلظُّهُورِ[٢] وَلَا يَقْطَعُهُ ٱلظُّهُورُ عَنِ ٱلْبُطُونِ. قَرُبَ فَنَأَى وَعَلَا فَدَنَا وَظَهَرَ فَبَطَنَ وَبَطَنَ فَعَلَنَ[٣] وَدَانَ[٤] وَلَمْ يُدَنْ لَمْ يَذْرَإِ[٥] ٱلْخَلْقَ بِاحْتِيَالٍ[٦] وَلَا ٱسْـتَعَانَ بِهِمْ لِكَلَالٍ[٧].

وسرد صفات الله سبحانه التي توجب النجاة في الحياة روحيا وماديا بعد أن أشار إلى مقدمة في الحكمة من الخلق، فقال:

١ ـ (واعلموا عباد الله انّه لم يخلقكم عبثا) بل خلق لحكمةٍ وان كنا نجهل حـقيقتها ولكن نعلم انّه تعالى هو الحكيم العليم كما دلت على ذلك آثار خلقه.

٢ ـ(ولم يرسلكم هملا) وهو ما ترك واهمل، كما هي الحال في الحيوانات السائبة، بل أن الله سبحانه بعث الانبياء والرسل لهداية الخلق إلى الصراط المستقيم، وعلل ذلك بقوله:

٣ ـ(علم مبلغ نعمه عليكم) ممّا يفتقر اليه كلّ مخلوق من الرزق الذي يعيش عـليه ويحتاج اليه.

٤ ـ (وأحصى إحسانه إليكم) فجعل احسانه اليكم عدد الحصى كثرة حداً كـثيراً لا يحصيه سواه، ومن واجب الإنسان تجاه المنان قال:

أوّلاً: (فاستفتحوه) بطلب الفتح الالهي في الحياة بالرؤية الواضحة والنعمة الوافرة.

ثانياً: (واستنجحوه) بطلب النجاح في الحياة كما امر الله سبحانه.

ثالثاً: (واطلبوا إليه) وحده دون غيره، حيث أن غيره لا يعطي إلّا بثمن، والله المعطي بدون ثمنٍ أو منٍّ.

رابعاً: (واستمنحوه) والمنحة: العطاء بدون مقابل شئ مادي.

فان الاجابة على ذلك كلّه لا يكون إلّا ممّن لا يفتقر إلى احد، وهو الواحـد الأحـد سبحانه وتعالى.

(١) في هـ. ص : مصدر بطن .
(٢) في هـ. ص مصدر ظهر.
(٣) في هـ. ص قرب بعلمه فنأى بجلاله، وعلا بكبريائه فدنا برحمته، وظهر بدليل وجوده فبطن بعلم يعلم كنه ذاته.
(٤) دان: أي جازئ وحاسب ولم يحاسبه أحد، وفي هـ. ب :داينت الرجل، اذا عاملته وأقرضته.
(٥) في ص: ولم يذر. ذرأ أي خلق، و في هـ. د: روى ولم يدر ـ ر.
(٦) الاحتيال :النظر في العمل وطلب التمكن من ابرازه، ولا يكون إلّا من العجز.
(٧) في ب: ولا كلال، وفي هـ. ب: لا كلال له فيستعين.

ثم سرد صفات الله سبحانه التي توجب ذلك، فقال:

١ ـ (فما قطعكم عنه حجاب)؛ لأنّ صلة الإنسان المسلم بربه صلة مباشرة من دون واسطة حجاب.

٢ ـ (ولا أغلق عنكم دونه باب) للوصول اليه كما هو الحال في غيره.

٣ ـ (وإنه لبكل مكان) فلا يخلو منه مكان من السماوات والارضين.

٤ ـ (وفي كلّ حين وأوان) فلا يخلوا منه زمن من الماضي والحال والاستقبال.

٥ ـ (ومع كلّ إنس وجان) حاضر وشاهد لما خفي وظهر من المخلوقات.

٦ ـ (لا يثلمه العطاء) والثلمة: النقص في المقدار الموجود.

٧ ـ (ولا ينقصه الحباء) وهو العطاء بدون مقابل.

٨ ـ (ولا يستنفده سائل) والنفاد: فقدان الشئ بالفناء.

٩ ـ (ولا يستقصيه نائل)؛ فإنّ نواله الذي يعطيه لا غاية له.

١٠ ـ (ولا يلويه شخص عن شخص) واللوي: الميل والانحراف؛ لعلمه تعالى بهم جميعا.

١١ ـ (ولا يلهيه صوت عن صوت)؛ فإنّ الالتهاء عن الشئ عجزٌ، والله منزّه عنه.

١٢ ـ (ولا تحجزه هبة عن سلب)؛ فإنّ الهبة استحقاق، وسلب الهبة كذلك، والله قادر عليهما معا.

١٣ ـ (ولا يشغله غضب عن رحمة) لمن يستوجبها بتنفيذ ما يستحقه كلّ منهما؛ لقدرته التامة.

١٤ ـ (ولا يجنه البطون عن الظهور) والجنّ: الستر؛ فإنّ الذات مقارن لظهوره بالآثار الدالة عليه.

١٥ ـ (ولا يقطعه الظهور عن البطون)؛ فإنّ ظهوره بالآثار الدالة عليه مقارن لستر الذات المقدسة.

١٦ ـ (قرب فنأى) حيث انّه أقرب من حبل الوريد في الحضور، وابعد عن العقول في الحقيقة.

١٧ ـ (وعلا فدنا)؛ فإنّ علوه تعالى عن المحسوسات والمعرفة الحقيقة مقارن لدنوه بالقدرة عليها.

١٨ ـ (وظهر فبطن)؛ فإنّ ظهوره بظهور آثاره عين خفاء ذاته بخفاء حقيقته.

١٩ ـ (وبطن فعلن)؛ فإنّ وجوده المعلن للعقول مساوق لوجوده الباطن في الحقيقة.

٢٠ ـ (ودان ولم يدن) حيث انّه ديان يوم الدين، ويحاسب الناس ولا يحاسبة احد.

٢١ ـ (لم يذرأ الخلق باحتيال) الذرء: الخلق، والحيلة: الوسيلة، فالله خلق الخلق بارادته من دون وسيلة، بل قال له: كن، فكان.

٢٢ ـ (ولا استعان بهم لكلال) وهو التعب والملل؛ فإنّ المستعين انما يستعين بغيره بسبب التعب، والله على كل شئ قدير، وفعّال لما يريد.

وهذه النقاط كلها توجب التوجه إلى القادر المتعال في الحاجات؛ لأنّه لا سواه المجيب للدعوات وقاضي الحاجات، وهو على كلّ شئ قدير.

(٤ / ط ـ ١٩٥) التقوى وآثارها:

أُوصِيكُمْ عِبَادَ ٱللهِ بِتَقْوَى اللهِ فَإِنَّهَا الزِّمَامُ[١] وَٱلْقِوَامُ[٢] فَتَمَسَّكُوا بِوَثَائِقِهَا وَٱعْتَصِمُوا بِحَقَائِقِهَا تَؤُولْ[٣] بِكُمْ إِلَى أَكْنَانِ[٤] ٱلدَّعَةِ[٥] وَأَوْطَانِ ٱلسَّعَةِ وَمَعَاقِلِ[٦] ٱلْحِرْزِ وَمَنَازِلِ ٱلْعِزِّ فِى يَوْمٍ تَشْخَصُ فِيهِ ٱلْابْصَارُ وَتُظْلِمُ لَهُ ٱلْاقْطَارُ وَيُعَطَّلُ فِيهِ[٧] صُرُومُ[٨] ٱلْعِشَارِ[٩] وَيُنْفَخُ فِى الصُّورِ. فَتَزْهَقُ[١٠] كُلُّ مُهْجَةٍ وَتَبْكَمُ[١١] كُلُّ لَهْجَةٍ[١٢] وَتَذِلُّ ٱلشُّمُّ[١٣] الشَّوَامِخُ[١٤]

---

(١) في هـ. ص: أي يقودكم الى الخير الأبدي.

(٢) في هـ. ب: القوام ما يقوم به أمركم وفي هـ ص أي يقيم بها أمركم العجز.

(٣) في هـ: لتئول وفي هـ. ب: أي لترجع.

(٤) في هـ. ب: الأكنان جمع كن وهو المكان الخالي من الآفات.

(٥) في هـ. ب: الجنة.

(٦) في هـ. ب: المعقل: الملجأ.

(٧) في ب: وتعطل.

(٨) في هـ. ب: الصرمة جمع صرمة، وهي القطيعة من الابل، وفي هـ. ص: جمع صرم وصرمة، القطيعة من الابل نحو الثلاثين.

(٩) في هـ. ب: الحوامل عشرة أشهر، وفي هـ. ص: العشار النوق لها عشرة أشهر من يوم اللقاح، والكلام من قوله: ﴿واذا العشار عطلت﴾، وانما خصت بالذكر لأنها أعزّ أموال العرب اليها والمعنى يوم يذهل ذو المال عن ماله ولو كان نفيساً نحو ﴿يوم تذهل كلّ مرضعة عمّا أرضعت﴾، والله أعلم.

(١٠) في ص وتزهق، وفي هـ. ص في نسخة فتزهق، وفي هـ. ب: أي تزهق كل العقول، وفي هـ ص أي تهلك.

(١١) في هـ ص: أي تخرس.

(١٢) في هـ ص: أي فصاحة وذلاقة.

وَالصُّمُّ ٱلرَّوَاسِخُ[١٥]. فَيَصِيرُ صَلْدُهَا[١٦] سَرَاباً رَقْرَقاً[١٧] وَمَعْهَدُهَا[١٨] قَاعاً سَمْلَقاً[١٩] فَلَا شَفِيعٌ يَشْفَعُ[٢٠] وَلَا حَمِيمٌ يَنْفَعُ وَلَا مَعْذِرَةٌ تَدْفَعُ[٢١].

ومن التقوى وآثارها قال:

ـ (أوصيكم عباد الله بتقوى الله) وسرد من خصائصها امرين بقوله:

الأوّل: (فإنها الزمام) وهو الالة التي تستخدم لقيادة الفرس، وبالتقوى يتمكن الإنسان من قيادة النفس الانسانية في الحياة.

الثاني: (والقوام) وهو ما يتقوم به الشئ ويستقيم امره، حيث لا تستقيم الحياة إلّا بالتقوى لهدايتها إلى الطريق القويم في الحياة الشخصية والاجتماعية والاقتصادية والسياسية.

وعن نتيجة الاعتقاد بهاتين الحقيقتين قال:

أوّلاً: (فتمسكوا بوثائقها) الوثيقة: العروة التي يوجب التمسك بها الانقاذ من المهالك.

ثانياً: (واعتصموا بحقائقها)؛ فإنّ حقائق التقوى والحذر من المزالق يوجب العصمة في مزالق الحياة.

وإلى اثار التقوى في الحياة الاخرة بقوله:

١ ـ (تؤل بكم إلى أكنان الدعة) والكن: الستر، والدعة: الراحة.

٢ ـ (وأوطان السعة) الوطن: المكان الذي يسكن فيه، فإنّها وسيعه بالنسبة إلى الدنيا.

٣ ـ (ومعاقل الحرز) المعقل: الحصن، والحرز: الحفظ.

٤ ـ (ومنازل العز) حيث ينزل فيها المسافر.

---

(١٣) الشم: جمع أشم وهو الرفيع.

(١٤) الشوامخ: المتسامي في الارتفاع.

(١٥) في هـ. ب: الاحجار الثوابت.

(١٦) في هـ. ص: الصلد هو الصلب شديد الصلابة.

(١٧) في هـ. د: وروي سراباً رقراقا ـ ر، وفي هـ. ب: المضطرب، والرقراق: ما يتملق من مفارع السراب أي لمعانه.

(١٨) المعهد المحل الذي يعهد وجودها فيه، وفي هـ. ب: أي مكانها.

(١٩) في هـ. ص: أي مستويا.

(٢٠) في هـ. د: فلا شفيع ولا حميم ـ ب.

(٢١) في هـ. د: لا حميم ينفع ولا معذرة تدفع ـ ش.

وهذه الامور ممّا يفتقر اليه الإنسان في حياة الاخرة في يوم الحساب يوم القيامة.

وعن صفة يوم القيامة قال:

أوّلاً: (في يوم تشخص فيه الأبصار) اقتباس من سورة ابراهيم (٤٢) حيث لا يمكن للإنسان من أن يغمض عينيه لهول اليوم.

ثانياً: (وتظلم له الأقطار) حيث لا شمس ولا ضياء؛ لفساد الافلاك، فتعم الظلمة اقطار يوم القيامة.

ثالثاً: (ويعطل فيه صروم العشار) والصرم: القطعة من الشئ، والعشار: الضرائب التي تؤخذ في الدنيا، وفي يوم القيامة تعطل ذلك كله، ولا ينفع إلّا العمل الصالح.

رابعاً: (وينفخ في الصور) التي تقضي على كلّ حي في الوجود نفخة فلا يبقى إلّا وجه ربك ذو الجلال والاكرام.

وعن نتيجة هذه النفخة أشار بقوله:

١ ـ (فتزهق كلّ مهجة) وهي الوجه كناية عن وجود الموجودات، فلا يبقى على الارض ولا السماء وجه.

٢ ـ (وتبكم كلّ لهجة) وهي اللغة، فلا يبقى متكلم.

٣ ـ (وتدك الشم الشوامخ) الشم: الرفيع، والشامخ: الاكثر رفعة من الجبال.

٤ ـ (والصم الرواسخ) والصم: الصلب، والراسخ: الثابت من الجبال.

٥ ـ (فيصير صلدها سرابا رقرقا) والصلد: الحجر الذي لا منفذ فيه، والسراب: خيال الماء، والرقرق: الاضطراب والخفة؛ حيث تنقلب الجبال إلى صفات متضادة لما هي عليها الآن.

٦ ـ (ومعهدها قاعا سملقا) والمعهد: ما يعهد من الجبال من المواقع الصلبة، والقاع: الارض المنبسطة، والسملق: المستوي، فتنقلب قوتها إلى ضعف، كلّ ذلك من اثار النفخة في الصور القاضية على كل ما هو معمور.

وإلى حقيقة موقف يوم القيامة أشار بقوله:

أوّلاً: (فلا شفيع يشفع) لكثرة الانذار بهذا اليوم في الدنيا من الانبياء والرسل.

ثانياً: (ولا حميم يدفع) حيث أن كلّ نفس ملتهية بنفسها وهمومها.

ثالثاً: (ولا معذرة تنفع) لما سبق من الانذار؛ فإنّ يوم القيامة يوم الحساب وليس يوم

الانذار، ولا ساتر منها إلّا الواحد القهار.

[١٩٦]

ومن خطبة له عليه السلام:

بَعَثَهُ حِينَ لَا عَلَمٌ[١] قَائِمٌ وَلَا مَنَارٌ[٢] سَاطِعٌ[٣] ولا مَنْهَجٌ واضِحٌ.

(١/ط - ١٩٦) **التحذير من الدنيا:**

أُوصِيكُمْ عِبادَ ٱللهِ بِتَقْوَى ٱللهِ وأُحَذِّرُكُمُ ٱلدُّنْيا، فإِنَّها دَارُ شُخُوصٍ[٤] وَمَحَلَّةُ تَنْغِيصٍ[٥]. ساكِنُها ظاعِنٌ[٦]. وَقاطِنُها بائِنٌ[٧] تَمِيدُ[٨] بِأَهْلِهَا مَيدانَ[٩] السَّفِينَةِ، تَصفِقُهَا[١٠] العَوَاصِفُ فى لُجَجِ الْبِحَارِ فَمِنْهُمُ الْغَرِقُ الْوبِقُ[١١] وَمِنْهُمُ النَّاجِى على مُتُونِ[١٢] الأَمْوَاجِ، تَحْفِزُهُ[١٣] الرِّياحُ بِأَذْيالِها وَتَحْمِلُهُ على أَهْوَالِها فَمَا غَرِقَ مِنْها فَلَيْسَ بِمُسْتَدْرَكٍ وما نَجا مِنْها فَإِلَى مَهْلَكٍ.

اشار في مفتتح المقطع إلى ثلاث حقائق في فترة البعثة النبوة التي استوجبت بعثته صلى الله عليه وآله بقوله:

أوّلاً: (بعثه حين لا علم قائم)؛ فإنّ الفترة امتدت من بعد النبيّ عيسى حتّى بعثة النبيّ محمّد صلى الله عليه وآله حوالي خمسمئة عام، وليس من بيت النبوة الابراهمية من اليهود ولا النصارى من قام بالدعوة إلى دين الله، بل تقوقعت الدعوة على نفسها بعد انتصار الرومان على السيد المسيح.

---

(١) العلم والعلامة معروفان أي علامة الدين والعلم المراد به أي واجد لذلك.
(٢) في هـ. ب: المنار موضع النور أي نور الاسلام.
(٣) في هـ. ب: نور مرتفع.
(٤) في هـ. ب: أي دار.
(٥) أي محل نغص.
(٦) الظاعن: المغادر.
(٧) في هـ. ب: قطن بالمكان: أقام به.
(٨) في هـ. ب: أي تميل أهلها.
(٩) في هـ. ب: ميلان السفينة.
(١٠) في ط: تقصفها، وفي هـ. د: تقصفها ـ ض ح ب، وفي هـ. ب: أي تقلبها.
(١١) في هـ. ب: أي الهالك، وفي هـ ص : هو الهالك، ويقال: وبق وبوقا، وفيه رواية أُخرىٰ: وبق يوبق وبقا، ولغة ثالثة: وبق الرجل ـ بالكسر ـ يبق بالكسر أيضاً، من الشرح.
(١٢) في ط: بطون، وفي هـ. د: بطون ـ ض، ح، ب.
(١٣) في هـ. ب: الليل يحفز النهار أي يسوقه، وفي هـ. ص: أي تسوقه وتعجله.

ثانياً: (ولا منار ساطع) حيث انحصرت الدعوات الدينيّة في المعابد والاديرة، فلاتتعداها، واصبح الدين علاقة شخصية بين الإنسان وربه.

ثالثاً: (ولا منهج واضح)؛ فإنّ انحسار الدعوات الدينيّة من الساحة بسبب التقدم للرومان القياصرة واستيلائهم عليه، والفرس الاكاسرة في شعوبهم، والجزيرة العربية منقسمة بينهما في مواضع الثروة، ومهملة في غيرها.

ففي هذه الفترة التي أفل نجم دين الله كانت الدعوة اليه ضرورة قائمة، فبعث الله النبيّ محمّد صلى الله عليه وآله لحمل هذه الرسالة.

الاستعداد للآخرة:

عِبادَ ٱللهِ الآنَ فَاعْلَمُوا وَالأَلْسُنُ مُطْلَقَةٌ والأَبْدَانُ صَحِيحَةٌ والأَعْضاءُ لَدْنَةٌ[١] وَالْمُنْقَلَبُ فَسِيحٌ[٢] والْمجَالُ عَرِيضٌ قَبْلَ إِرْهاقِ[٣] الْفَوْتِ[٤] وَحُلُولِ الْمَوْتِ فَحَقِّقُوا[٥] عَلَيْكُمْ نُزُولَهُ وَلا تَنْتَظِرُوا قُدُومَهُ.

ثم اوصى عليه السلام بالتقوى والتحذير من الدنيا بقوله:

(أوصيكم عباد الله بتقوى الله . وأحذركم الدنيا) .

وسرد من الاسباب الداعية التي ألزمت التحذر من الدنيا بقوله:

١ ـ (فإنها دار شخوص) وهو الانتقال، وليست دار استقرار للانسان، فلا يخلد فيها احد.

٢ ـ (ومحلة تنغيص) والنغص: الكدورة، فالحياة فيها مكدرة تنقلب احوالها.

٣ ـ (ساكنها ظاعن) أي مرتحل عنها إلى دار الاخرة بالموت الذي لا يرحم احداً.

٤ ـ (وقاطنها بائن) حيث لابدّ وان ينتقل عنها آجلا أم عاجلا.

٥ ـ (تميد بأهلها ميدان السفينة) والميد: الاضطراب، فالساكن فيها كساكن السفينة حين تواجه العواصف.

٦ ـ (تقصفها العواصف في لجج البحار) والعصف: الريح الشديدة، واللجة: معظم الماء،

---

(١) في هـ. ب: لينة، وفي هـ. ص: أي رطبة.
(٢) هـ. ب: أي واسع.
(٣) في هـ. ب: اسراع، وفي هـ. ص: أي غشيان.
(٤) في هـ. ص: أي آتيانه.
(٥) أي اجعلوه حقيقة.

فهي حالة هلع لا يمكن وصفها إلّا بالمشاهدة، حيث ييأس الإنسان من اي شئ ولا يفكر إلّا في انقاذ حياته.

٧ ـ(فمنهم الغريق الوبق) وهو الهالك في البحر غرقا بسبب العواصف.

٨ ـ(ومنهم الناجي على بطون الأمواج تحفزه الرياح بأذيالها) والحفز: الدفع، فهو وان لم يكن غريقا لكنّ الامواج المتلاطمة تدفعه من جانب إلى آخر بسبب دفع الرياح من جانب إلى اخر، وليس للناجي في هذه الحالة من خيار قط، والسبب في ذلك أن:

٩ ـ(وتحمله على أهوالها) حيث أن في رفع الامواج يكون حملاً لهذا الناجي على الاهوال المرافقة معه.

وعن نتيجة هذه الحالة غير المستقرة أشار بقوله:

١٠ ـ(فما غرق منها فليس بمستدرك ، وما نجا منها فإلى مهلك) حيث أن الغارق في البحر لا يمكن استدراك حياته، حيث أن الغرق قضى عليه بالموت، والناجي بالحالة الموصوفة ليس باحسن من الغريق، فان هذه الحالة لو استمرت من دون انقاذ كما هو المتوقع فإنّها سوف تنتهي إلى هلاك هذا الناجي.

وهذه النقاط العشر كافية للوقاية والحذر من الدنيا وما فيها من المادة والماديات.

وبالنسبة الى الاستعداد للاخرة، قال:

والاستعداد للاخرة امر يتطلبه الحذر من الدنيا، واشار إلى ذلك بقوله:

١ ـ(عباد الله الآن فاعلموا)؛ فإنّ الدنيا دار عمل والاخرة دار جزاء، والعبارة في الطبعة المعتمدة: (فاعملوا) من مادة العلم، ولكن السياق يأباه، ويقتضي أن يكون من مادّة العمل، والله اعلم.

٢ ـ(والألسن مطلقة) الواو حالية، أي حالكون الانفس ليس لها قيد، فيمكن استخدامها في عمل الخير.

٣ ـ(والأبدان صحيحة) حيث يتمتع الإنسان في الدنيا بالصحة والعافية.

٤ ـ(والأعضاء لدنة) واللدن: اللين؛ لقابليتها في مباشرة العمل الصالح.

٥ ـ(والمنقلب فسيح) أي حال الحياة؛ حيث للانسان الفسحة للانقلاب من حالة الجهل إلى العلم ومن الضلال الى الهدى بالتوبة والانابة والعمل الصالح.

٦ ـ(والمجال عريض) حيث أن اعمال الخير لا تنحصر بعدد ضيق، فللانسان خياراته

المفضلة.

٧ ـ(قبل إرهاق الفوت) الرهق: العجلة، والفوت: انعدام الوقت بدنوّ الاجل بالاحتضار.

٨ ـ(وحلول الموت) الذي لا يسلم منه احد في الدنيا.

فإنّ هذه الحالات تستدعي أن يستعد للاخرة، وقد أشار إلى ذلك بقوله:

٩ ـ(فحققوا عليكم نزوله) بالعلم بأنه سوف يتحقق لا محالة، وسوف ينزل بكم اكيداً وان لم يعلم وقته.

١٠ ـ (ولا تنتظروا قدومه) وكأنه امر يستغرق وقتا يتطلب الانتظار المرافق للامل فليس هناك من يتأكد من الأمن والامان بحوادث الزمان، والله المستعان.

[١٩٧]

ومن خطبة له عليه السلام[١]:

وَلَقَدْ عَلِمَ ٱلْمسْتَحْفَظُونَ[٢] مِنْ أَصْحَابِ مُحَمَّدٍ صلى الله عليه وآله، أَنِّى لَمْ أَرُدّ عَلَى ٱللهِ وَلَا عَلَى رَسُولِهِ ساعَةً قَطُّ[٣]. وَلَقَدْ وَاسَيْتُهُ[٤] بِنَفْسِى فِى المَوَاطِنِ الَّتِى تَنْكُصُ[٥] فِيها الأبْطالُ، وَتَتَأخَّرُ الأَقْدَامُ[٦]، نَجْدَةً[٧] أَكَرَمَنِي ٱللهُ بِهَا[٨].

وَلَقَدْ قُبِضَ رَسُولُ ٱللهِ صلى الله عليه وآله وَإنَّ رَأَسَهُ لَعَلَى صَدْرِى، وَلَقَدْ[٩] سالَتْ نَفْسُهُ فِى كَفِّى، فَأَمْرَرْتُها عَلَى وَجْهِى. وَلَقَدْ وُلِّيتُ[١٠] غَسْلَهُ صلى الله عليه وآله وَالمَلَائِكَةُ أَعْوَانِى؛ فَضَجَّتِ الدَّارُ

---

(١) وردت هذه الخطبة في ص بعضها هنا وبعضها في آخر الشرح، على خلاف سيرة الكتاب فجعلناها بأجمعها هنا مشاكلة لسائر الخطب.

(٢) في هـ. ب: المستحفظون يعني العلماء الذين يطلب العلم منهم.

(٣) في هـ. ب: لم أرد أي ما رددت من الحق شيئاً على المسلمين والرسول غير مقبول. ويجوز أن يرد نفسه الى الباطل ساعة.

(٤) في هـ. ب في نسخة: آسيته. واسيته من المواساة وهي المساعدة وآسيته من الاسود وهو العلاج.

(٥) تنكص: أي تتراجع.

(٦) في هـ. ب: فكأنه عليه السلام أشار بذلك الى مواساته مع النبي صلى الله عليه وآله في يوم خيبر ويوم الخندق وغير ذلك.

(٧) في هـ. ب: شجاعة.

(٨) في هـ. ب: أكرمني، كأنه اشارة بذلك الى قوله تعالىٰ: ﴿وكفى الله المؤمنين القتال﴾ بعلي، وقوله: ﴿وفضّل الله المجاهدين على القاعدين﴾. الاحزاب :٣٣/ ٢٥ و النساء: ٤/ ٩٥.

(٩) في ب و ص: وقد، وفي هـ ص في نسخة: ولقد.

(١٠) في د: وَلِيت.

وَالأَفْنِيَةُ: مَلأٌ يَهْبِطُ، وَمَلأٌ يَعْرُجُ، وَمَا فَارَقَتْ سَمْعِي هَيْنَمَةٌ[١] مِنْهُمْ، يُصَلُّونَ عَلَيْهِ، حَتّى وَارَيْنَاهُ[٢] فِي ضَرِيحِهِ[٣]، فَمَنْ ذَا أَحَقُّ بِهِ مِنِّي حَيّاً وَمَيِّتاً!

فَانْفُذُوا عَلَى بَصائِرِكُمْ، وَلْتَصْدُقْ نِيَّاتُكُمْ فِي جِهادِ عَدُوِّكُمْ، فَوَ الَّذِي لَا إِلَهَ إِلَّا هُوَ إِنِّي لَعَلَى جادَّةِ الحَقِّ، وَإِنَّهُمْ لَعَلَى مَزَلَّةِ[٤] الْبَاطِلِ.

أَقُولُ مَا تَسْمَعُونَ، وَأَسْتَغْفِرُ اللهَ لِي وَلَكُمْ.

(١ / ط - ١٩٧) من خصائص الإمام:

يستعرض الإمام في هذا المقطع ثلاثة امور في سلسلة مترابطة هي من جملة خصائصه المستلزمة لأحقية الإمام بالخلافة، وان هذه الأحقية مستلزمة للجهاد ضد العدو، وختمها مؤكداً بالقسم بأنه على جادة الحق دون العدو، ومن ذلك يظهر أن الخطاب كان للجيش استعداداً للحرب.

وعن خصائصه قال:

(ولقد علم المستحفظون من أصحاب محمّد صلى الله عليه وآله) وهم الذين حفظوا تاريخ حياة الرسول الاعظم صلى الله عليه وآله في سيرته ورووا أحاديثة المروية في السيرة النبوية، فكأنّ السيرة النبوية امانة مودعة عند كل من يدرسها من الصحابة، وفيها الدروس والعبر لمن بعدهم من المسلمين، ثمّ سرد بعض الخصائص بقوله:

الأوّل: (أني لم أرد على الله ولا على رسوله ساعة قط) وهي لغة: اللحظة من الوقت، حيث آمن الإمام بالرسول القائد صلى الله عليه وآله صغيراً، واستمر على هذه حتّى آخر لحظة من حياة الرسول صلى الله عليه وآله .

الثانية: (ولقد واسيته بنفسي في المواطن التي تنكص فيها الأبطال وتتأخر فيها الأقدام نجدة أكرمني الله بها).

والنكص: التراجع، والنجدة: الشجاعة؛ فإنّ مواقفه الشجاعة في نصر الاسلام من المبيت على فراش الرسول صلى الله عليه وآله، ومن غزاوات الرسول في حنين واحد وغيرهما معروفة

(١) في هـ. ب: صوت خفي وفي هـ ص: الصوت الخفي وفي هـ. ب: صوتاً خفياً.
(٢) في هـ. ب: دفناه.
(٣) في هـ. ب: قبره.
(٤) المزلة مكان الزلل الموجب للسقوط والهلاك.

مشهودة (و راجع: موارد الاعتبار، عصر الخلافة عليه السلام).

الثالثة: (ولقد قبض رسول الله صلى الله عليه وآله وإن رأسه لعلى صدري) حيث كان اهل البيت بجانب النبي في تجهيزه وتكفينه، والمهاجرون والانصار في السقيفة بعيدين عنه في هذا الوقت.

الرابعة: (ولقد سالت نفسه في كفي فأمررتها على وجهي) فكان الإمام يقوم بواجبه تجاه النبي في هذه اللحظة الاخيرة من الحياة حتّى توفي صلى الله عليه وآله وأمرّ الامام يده على وجهه وربما ايذاناً بالوفاة.

الخامسة: (ولقد وليت غسله صلى الله عليه وآله والملائكة أعواني ، فضجت الدار والأفنية ملأ يهبط وملأ يعرج، وما فارقت سمعي هينمة منهم يصلون عليه حتّى واريناه في ضريحه)؛ فإنّ رهبة الموقف من ممات الرسول القائد هيمنت على الموقف، فكان الجميع في صمت تامّ عمّ المكان من اهل الدار والفناء، وهو الساحة امام الدار، فلا يسمع من الناس هينمة أي صوت خفي، والملأ من الملائكة تهبط من السماء وتعرج اليها، وهم يصلون عليه صلى الله عليه وآله فقط؛ للحزن المخيم على الجميع.

وعمّا تستلزمه هذه الخصائص قال:

(فمن ذا أحق به مني حيا وميتا ؟) فإنّه بهذه الخصائص المذكورة كان احق من غيره من المسلمين به في أداء الواجب الاسلامي تجاه النبيّ القائد، والتاريخ يشهد كما تشهد السيرة النبوية وحياة الإمام عليه السلام انّه لم يقم أحد بهذه الواجبات بالدرجة التي قام بها الإمام عليه السلام، وهذه العلة القريبة تجعله احق بالخلافة عنه ميتا، حيث أن هذه الخصائص تدل على سير ثابت على خطى النبيّ في الحياة والممات، والالتزام بتلك المبادئ والوسائل والاهداف التي جاء بها رسول الاسلام، فلا يكون غيره اعرف بها نظرياً، ولا اكثر منه تطبيقا عمليا في الماضي كما يشهد تاريخ حياته، فيكون هو الأحق من غيره.

فمن هذا المنطلق كثرت المساندة الشعبية للامة الاسلامية في مواقف الإمام، ولم تغب عن الذاكرة تلك المواقف المشرقة التي أعطت للرسالة الاسلامية النصر على اعدائها من المشركين في حياة الرسول ومن المنافقين معهم بعد ذلك على طول التاريخ.

وعما يستلزمه من الاحقية بالخلافة اشار إلى امرين:

الأوّل: (فانفذوا على بصائركم) برؤية واضحة للمبادئ والوسائل والاهداف

الاسلاميّة التي جاء الاسلام لتطبيقها.

الثاني: (ولتصدق نياتكم في جهاد عدوكم) لأنها حرب عقائدية اسلاميّة، وليست حربا سياسية لكسب مادي، والحرب العقائدية تتطلب النيّة الخالصة لله تعالى.

وذيل المقطع مؤكداً على أنه باعتباره القائد الاسلامي يتمتع بهذه الرؤية الواضحة في الموقف ويدعوا إلى الجهاد من هذا المنطلق.

مقسما بقوله: (فوالذي لا إله إلّا هو، إني لعلى جادة الحق، وإنهم لعلى مزلة الباطل)؛ فإنّ الحرب حرب بين الحق والباطل، وهما لا يجتمعان على طول الزمان، ولكل منهما اهل واصحاب وجنود وواجبات، وهما يختلفان في المبادئ والوسائل والاهداف.

وختم ذلك بقوله: (أقول ما تسمعون، وأستغفر الله لي ولكم).

حيث أن بذلك تمت الحجة على كلّ من سمع، فلا يكون له إلّا الخيار بين الحق والباطل، بصرنا الله الحق حقا لنتبعه والباطل باطلا لنجتنبه.

قال ابن أبي الحديد في شرح نهج البلاغة ما نصه:«والظاهر أنه يرمز في قولهعليه السلام:) لم أرد على الله، ولا على رسوله ساعة قط (إلى أمور وقعت من غيره، كما جرى يوم الحديبية عند سطر كتاب الصلح، فإن بعض الصحابة[1] أنكر ذلك، وقال: يا رسول الله، ألسنا المسلمين؟ قال: بلى، قال: أو ليسوا الكافرين؟ قال: بلى، قال: فكيف نعطي الدنية في ديننا! فقالصلى الله عليه وآله:) إنما أعمل بما أومر به (فقام فقال: لقوم من الصحابة: ألم يكن قد وعدنا بدخول مكة! وها نحن قد صددنا عنها ثم ننصرف بعد أن أعطينا الدنية في ديننا، والله لو أجد أعوانا لم أعط الدنية أبدا، فقال: أبو بكر لهذا القائل: ويحك! الزم غرزه[2]، فوالله إنه لرسول اللهصلى الله عليه وآله، وأن الله لا يضيعه. ثم قال: له: أقال: لك: إنه سيدخلها هذا العام؟ قال: لا، قال: فسيدخلها. فلما فتح النبيمكة، وأخذ مفاتيح الكعبة، دعاه فقال: هذا الذي وعدتم به.

واعلم أن هذا الخبر صحيح لا ريب فيه، والناس كلهم رووه، وليس عندي بقبيح ولا مستهجن أن يكون سؤال هذا الشخص لرسول اللهصلى الله عليه وآله عما سأله عنه على سبيل الاسترشاد، والتماس الطمأنينة النفس، فقد قال: الله تعالى لخليله إبراهيم:﴿أو لم تؤمن

(١) هو عمر بن الخطاب، وانظر سيرة ابن هشام ٣: ٣٣١، طبعة الحلبي.
(٢) الغرز في الأصل: ركاب كور الجمل، والكلام هنا على المجاز، أي أتبع قوله وفعله.

قال بلى ولكن ليطمئن قلبي﴾ [1]. وقد كانت الصحابة تراجع رسول اللهصلى الله عليه وآله في الأمور، وتسأله عما يستبهم عليها وتقول له: أهذا منك أم من الله؟ وقال له السعدان [2] رحمهما الله يوم الخندق، وقد عزم على مصالحة الأحزاب ببعض تمر المدينة: أهذا من الله أم رأى رأيته من نفسك؟ قال: بل من نفسي، قالا: لا، والله لا نعطيهم منها تمرة واحدة وأيدينا في مقابض سيوفنا!.

وقالت الأنصار له يوم بدر، وقد نزل بمنزل لم يستصلحوه: أنزلت هذا المنزل عن رأى رأيت أم بوحي أوحى إليك؟ قال: بل عن رأى رأيته، قالوا: إنه ليس لنا بمنزل، ارحل عنه فأنزل بموضع كذا. وأما قول أبي بكر له: الزم غرزه، فوالله إنه لرسول اللهصلى الله عليه وآله (فإنما هو تأكيد وتثبيت على عقيدته التي في قلبه، ولا يدل ذلك على الشك، فقد قال: الله تعالى لنبيه:﴿ولولا أن ثبتناك لقد كدت تركن إليهم شيئا قليلا﴾ [3]، وكل أحد لا يستغنى عن زيادة اليقين والطمأنينة، وقد كانت وقعت من هذا القائل أمور دون هذه القصة، كقوله: دعني أضرب عنق أبي سفيان. وقوله: دعني أضرب عنق عبد الله بن أبي، وقوله: دعني أضرب عنق حاطب بن أبي بلتعة. ونهى النبيصلى الله عليه وآله عن التسرع إلى ذلك، وجذبه ثوب رسول اللهصلى الله عليه وآله حين قام على جنازة ابن سلول يصلي. وقوله: كيف تستغفر لرأس المنافقين! وليس في ذلك جميعه ما يدل على وقوع القبيح منه، وإنما الرجل كان مطبوعا على الشدة والشراسة والخشونة، وكان يقول ما يقول على مقتضى السجية التي طبع عليها. وعلى أي حال كان، فلقد نال الاسلام بولايته وخلافته خيرا كثيرا.

قولهعليه السلام: « ولقد واسيته بنفسي »، يقال: واسيته وآسيته، وبالهمزة أفصح، وهذا مما اختصعليه السلام بفضيلته غير مدافع، ثبت معه يوم أحد وفر الناس، وثبت معه يوم حنين وفر الناس، وثبت تحت رايته يوم خيبر حتى فتحها وفر من كان بعث بها من قبله.

وروى المحدثون أن رسول اللهصلى الله عليه وآله لما ارتث [4] يوم أحد، قال الناس: قتل محمّد، رأته كتيبة من المشركين وهو صريع بين القتلى، إلّا أنه حي، فصمدت له. فقال لعليعليه السلام:

(١) سورة البقرة: ٢٦١.
(٢) هما سعد بن معاذ، وسعد بن عباده الأنصاريان.
(٣) سورة الإسراء: ٧٤.
(٤) ارتث: حمل من المعركة جريحا وفيه رمق.

اكفني هذه ، فحمل عليهاعليه السلام وقتل رئيسها ، ثم صمدت له كتيبة أخرى ، فقال: يا علي اكفني هذه ، فحمل عليها فهزمها ، وقتل رئيسها ، ثم صمدت له كتيبة ثالثة ، فكذلك ، فكان رسول الله صلى الله عليه وآله بعد ذلك يقول : قال: لي جبريل : يا محمّد إن هذه للمواساة ، فقلت : وما يمنعه وهو مني وأنا منه ! فقال: جبريل : وأنا منكما . وروى المحدثون أيضا أن المسلمين سمعوا ذلك اليوم صائحا من جهة السماء ينادي:« لا سيف إلّا ذو الفقار ولا فتى إلّا علي » ، فقال رسول الله صلى الله عليه وآله لمن حضره : «ألا تسمعون ! هذا صوت جبريل » .

وأما يوم حنين فثبت معه في نفر يسير من بني هاشم ، بعد أن ولى المسلمون الادبار ، وحامى عنه ، وقتل قوما من هوازن بين يديه ، حتى ثابت إليه الأنصار ، وانهزمت هوازن وغنمت أموالها . وأما يوم خيبر فقصته مشهورة».[1]

الى ان قال:« وقد اختلف الرواية في موته ، فأنكر عمر ذلك ، وقال: إنه لم يمت ، وإنه غاب وسيعود ، فثناه أبو بكر عن هذا القول ، وتلا عليه الآيات المتضمنة أنه سيموت ، فرجع إلى قوله . ثم اختلفوا في موضع دفنه ، فرأى قوم أن يدفنوه بمكة لأنها مسقط رأسه ، وقال: من قال: بل بالمدينة : ندفنه بالبقيع عند شهداء أحد . ثم اتفقوا على دفنه في البيت الذي قبض فيه ، وصلوا عليه أرسالا لا يؤمهم أحد . وقيل : أن علياعليه السلام أشار بذلك فقبلوه . وأنا أعجب من ذلك ، لان الصلاة عليه كانت بعد بيعة أبي بكر ، فما الذي منع من أن يتقدم أبو بكر فيصلى عليه إماما . وتنازعوا في تلحيده وتضريحه ، فأرسل العباس عمه إلى عبيدة بن الجراح – وكان يحفر لأهل مكة ويضرح [2] على عادتهم – رجلا ، وأرسل على رجلا إلى أبي طلحة الأنصاري – وكان يلحد لأهل المدينة على عادتهم – وقال: اللهم اختر لنبيك ، فجاء أبو طلحة فلحد له ، وأدخل في اللحد . وتنازعوا فيمن ينزل معه القبر ، فمنع عليعليه السلام الناس أن ينزلوا معه ، وقال: لا ينزل قبره غيري وغير العباس ، ثم أذن في نزول الفضل وأسامة بن زيد مولاهم ، ثم ضجت الأنصار ، وسألت أن ينزل منها رجل في قبره ، فأنزلوا أوس بن خولي – وكان بدريا . فأما الغسل فإن علياعليه السلام تولاه بيده ، وكان الفضل بن العباس يصب عليه الماء . وروى المحدثون عن عليعليه السلام ، أنه قال: ما قلبت منه عضوا إلّا وانقلب ، لا أجد له ثقلا ، كأن معي من يساعدني عليه ، وما ذلك إلّا الملائكة .

(١) شرح نهج البلاغة ؛ ابن أبي الحديد ١٠ : ١٨٠ ـ ١٨٢.
(٢) يضرح : أي يشق ويحفر له ضريحا .

وأما حديث الهينمة وسماع الصوت ، فقد رواه خلق كثير من المحدثين ، عن عليعليه السلام ، وتروى الشيعة أن علياعليه السلام عصب عيني الفضل بن العباس ، حين صب عليه الماء ، وأن رسول الله صلى الله عليه وآله أوصاه بذلك ، وقال: إنه لا يبصر عورتي أحد غيرك إلّا عمي .

قولهعليه السلام : «فمن ذا أحق به مني حيا وميتا!» ، انتصابهما على الحال من الضمير المجرور في « به » ، أي أي شخص أحق برسول الله صلى الله عليه وآله حال حياته وحال وفاته مني ! ومراده من هذا الكلام ، أنه أحق بالخلافة بعده وأحق الناس بالمنزلة منه حيث كان بتلك المنزلة منه في الدنيا ، وليس يجوز أن يكونا حالين من الضمير المجرور في) مني (لأنه لا يحسن أن يقول : أنا أحق به إذا كنت حيا من كل أحد ، وأحق به إذا كنت ميتا من كل أحد ، لان الميت لا يوصف بمثل ذلك ، ولأنه لا حال ثبتت له من الأحقية إذا كان حيا إلّا وهي ثابتة له إذا كان ميتا ، وإن كان الميت يوصف بالأحقية ، فلا فائدة في قوله :) وميتا (على هذا الفرض ، ولا يبقى في تقسيم الكلام إلى قسمين فائدة ، وأما إذا كان حالا من الضمير في) به (، فإنه لا يلزم من كونه أحق بالمنزلة الرفيعة من رسول الله صلى الله عليه آله وهو حي أن يكون أحق بالخلافة بعد وفاته ، أي ليس أحدهما يلزم الاخر ، فاحتاج إلى أن يبين أنه أحق بالرسول صلى الله عليه وآله من كل أحد إن كان الرسول حيا ، وإن كان ميتا ، ولم يستهجن أن يقسم الكلام إلى القسمين المذكورين».[1]

[١٩٨]

ومن خطبة له عليه السلام:

ينبه فيها على احاطة علم الله بالجزئيات، ثمّ يحث على التقوى، ويبين فضل الاسلام والقرآن:

تتضمن علم الباريً سبحانه والشهادة بالرسالة والتقوى وخصائصها، وطاعة الله وآثارها.

سرد في مطلع هذا المقطع علم الله سبحانه وعقبه بالشهادة بالرسالة ونبوة نبينا محمّدصلى الله عليه وآله وبعض صفاته.

(١/ط-١٩٨) احاطة علم الله بالجزئيات:

(١) شرح نهج البلاغة ؛ ابن أبي الحديد ١٠ : ١٨٤ ـ ١٨٦.

فعن علم الباري تعالى قال:

الحمد لله الذي[1] يَعْلَمُ عَجِيجَ[2] ٱلْوُحُوشِ فِى ٱلْـفَلَوَاتِ[3] وَمَـعَاصِىَ ٱلْـعِبَادِ فِـى ٱلْخَلَوَاتِ وَٱخْتِلَافَ النِّينَانِ[4] فِى ٱلْبِحَارِ ٱلْغَامِرَاتِ[5]. وَتَلاطُمَ المَاءِ بِالرِّيَاحِ ٱلْعَاصِفَاتِ. وَأَشْهَدُ أَنْ مُحَمَّداً نَجِيبُ ٱللهِ وسَفِيرُ[6] وَحْيِهِ وَرَسُولُ رَحْمَتِهِ.

١ ـ (يعلم عجيج الوحوش في الفلوات) والعجيج: رفع الصوت، اشـارة إلى احـاطة علمه تعالى بكل المخلوقات بما فيها الامور المهملة في الصـحراء، فـإنّ الفـلاة وهـي الارض الواسعة التي لا يسكنها إلّا ما اهمل من الحيوانات، فلا قيمة لها، فكيف بحيواناتها السائبة ثمّ باصواتها الكثيرة، فهذه الموجودات باعتبار أن لها وجود خارجي حقيقي يقع تحت علم الله تعالى.

٢ ـ (ومعاصي العباد في الخلوات) حيث أن مرتكب المعصية يتحاشى معرفة الناس بها، فيخلوا بها.

٣ ـ(واختلاف النينان في البحار الغامرات) والنون: هو الحوت الذي لا ينموا إلّا فـي البحار الكبار.

٤ ـ (وتلاطم الماء بالرياح العاصفات) التي تحدث الامواج في البحار.

فان هذه الموارد الاربعة من الجزئيات لاترتبط بحياة الإنسان عادة، ولا فائدة فـي معرفتها، ولكنها لا تخرج عن علمه تعالى الحكيم العليم.

وعن الشهادة بالرسالة ذكر خصالا ثلاث بقوله:

أوّلاً: (وأشهد أن محمّدا نجيب الله) حيث اختاره من سائر العباد.

ثانياً: (وسفير وحيه) لتلقى الوحي الالهي الثقيل على الإنسان عادة.

ثالثاً: (ورسول رحمته) لتبليغ رسالة الاسلام إلى العباد رحمة للعالمين.

وهذه الخصائص تلازم النبوة التي اختص ﷺ بخاتميتها.

---

(١) لم ترد «الحمد لله الذي» في ب و ط و د.
(٢) في هـ. ب: العج رفع الصوت وفي هـ. ص: تصويتها.
(٣) في هـ. ب: الفلاة يعني المفازة.
(٤) في هـ. ب: الحيتان.
(٥) في هـ. ب: الساترات.
(٦) في هـ. ب: السفير الذي يصلح بين القوم.

(٢ / ط - ١٩٨) التقوى وخصائصها:

أَمَّا بَعْدُ، فَأُوصِيكُمْ[1] بِتَقْوَى ٱللهِ ٱلَّذِى أَبْتَدَأَ خَلْقَكُمْ وَإِلَيْهِ يَكُونُ مَعَادُكُمْ وَبِـهِ نَـجَاحُ طِلْبَتِكُمْ وَإِلَيْهِ مُنْتَهَى رَغْبَتِكُمْ وَنَحْوَهُ قَصْدُ[2] سَبِيلِكُمْ وَإِلَيْهِ مَرَامِي[3] مَفْزَعِكُمْ. فَإِنَّ تَقْوَى ٱللهِ دَوَاءُ دَاءِ قُلُوبِكُمْ وَبَصَرُ عَمَى أَفْئِدَتِكُمْ وَشِفَاءُ مَرَضِ أَجْسَادِكُمْ وَصَلَاحُ فَسَادِ صُدُورِكُمْ وَطُهُورُ دَنَسِ أنفسكم وَجِلَاءُ غِشَاءِ[4] أَبْصارِكُمْ وَأَمْنُ فَـزَعِ جَأْشِكُـمْ[5] وَضِـيَاءُ سَـوَادِ ظُلْمَتِكُمْ.

اشار إلى موجبات التقوى بقوله:

١ ـ (أما بعد ، فإني أوصيكم بتقوى الله الذي ابتدأ خلقكم) فله تعالى المنة بالخلق، وذلك فضل يوجب التقوى والعمل على طبق اوامره وترك نواهيه.

٢ ـ (وإليه يكون معادكم) حيث يكون الحساب على الاعمال، فيجب الوقـاية مـن عذابه وعقابه.

٤ ـ(وبه نجاح طلبتكم) فلا يتحقق ما يريده الإنسان في حياته ممّا يطلب إلّا بارادته تعالى للحكمة التي يراها سبحانه.

٥ ـ (وإليه منتهى رغبتكم) وكل رغبة تنتهي اليه تعالى، فهو القاضي لحاجة الراغبين اليه.

٦ ـ(ونحوه قصد سبيلكم) وهو الطريق الواضح، ولا يكون إلّا إلى الله سبحانه.

٧ ـ (وإليه مرامي مفزعكم) فعند الفزع لا يتوجه الإنسان إلّا إلى بارئه، فهو المـلجأ والمفزع الذي يرومه البشر.

وهذه الصفات كلها توجب التقوى من الله الذي لا اله إلّا هو، وهو على كلّ شئ قدير.

وعن خصائص التقوى قال:

أوّلاً: ـ(فإن تقوى الله دواء داء قلوبكم) حيث تهتدى القلوب إلى واجباتها في الحياة، وبذلك يفترق الانسان عن سائر الحيوانات التي لا تعرف المسؤولية في الحياة.

---

(١) في هـ. د: فاني أوصيكم ـ ش.
(٢) في هـ. ب: جانبه .
(٣) مرمى المفزع ما يدفع اليه الخوف وهو الملجأ، و في هـ. ب: مطلب.
(٤) هـ. د: عشاء ـ ش ، ر .
(٥) الجأش: ما يضطرب في القلب عند الفزع وفي هـ. ب: قلبكم.

ثانياً: (وبصر عمى أفئدتكم)؛ لأنّ تقوى الله يعطي الرؤية الواضحة للامور في الحياة.

ثالثاً: (وشفاء مرض أجسادكم)؛ فإنّ من أثر التقوى المحافظة على الصحة العامة بشفاء الاجسام من الامراض، والوقاية منها، والوقاية خير من العلاج.

رابعاً: (وصلاح فساد صدوركم) باصلاح النوايا والمقاصد التي يحتفظ بها الإنسان في صدره، فلا يفكر إلّا إلى ما فيه الصلاح ويتجنب ما فيه الفساد بسبب تقوى الله.

خامساً: (وطهور دنس أنفسكم) والدنس: هي الامراض النفسية التي تختلج في ذهن الإنسان، ولا يكون ظهورها إلّا بتقوى الله.

سادساً: (وجلاء عشا أبصاركم)؛ لأنّ الرؤية للأمور تكون حقيقية وليست ظاهرية، وذلك بدراسة الاسباب والمسببات للاشياء المرئية.

سابعاً: (وأمن فزع جأشكم) والجأش: اضطراب القلب الموجب للفزع في الكلام والعمل، ولا يأمن ذلك إلّا بالتقوى (ألا بذكر الله تطمئن القلوب) .[1]

ثامناً: (وضياء سواد ظلمتكم)؛ فإنّ العيش بدون التقوى يكون غشاء في ظلمات الجهالة، ويتحرك الإنسان لمنافعه الشخصية كما تتحرك الحيوانات في تأمين ذلك من أي طريق حصل، وتقوى الله هو الذي يجعل للانسان كرامته للعمل بموجب ما تقتضيه الكرامة الانسانية.

(٣ / ط - ١٩٨) الطاعة وآثارها:

فَاجْعَلُوا طَاعَةَ ٱللهِ شِعَاراً دُونَ دِثارِكُمْ[2]. وَدَخِيلاً دَونَ شِعَارِكُمْ[3] وَلَطِيفاً بَيْنَ أَضْلَاعِكُمْ وَأَمِيراً فَوْقَ أُمُورِكُمْ وَمَنْهَلاً[4] لِحِينِ وردِكُمْ[5]. وَشَفِيعاً لِدَرَكِ[6] طَلِبَتِكُمْ[7]. وَجُنَّةً[8] لِيَوْمِ فَزَعِكُمْ وَمَصَابِيحَ لِبُطُونِ قُبُورِكُمْ وَسَكَناً[9] لِطُولِ وَحْشَتِكُمْ وَنَفَساً[10] لِكَرْبِ مَوَاطِنِكُمْ فَإِنَّ

(١) الرعد: ٢٨.
(٢) في هـ. ب: الدثارِ ما يكون من الانسان فوق الشعار.
(٣) في هـ. ب: شعاراً دون دثاركم أي غير دثاركم ودخيلاً تحت شعاركم.
(٤) في ب: منتهلاً، وفي هـ. ب: في نسخة: منهلاً. المنهل ما ترده الشاربة من الماء للشرب.
(٥) في ط و د: ورودكم. وفي هـ.ب: في نسخة: ورودكم .
(٦) في هـ. ب: في نسخة :لدرك، والدرك بالتحريك: اللحاق لِدَرِك.
(٧) الطِلبة بالكسر: المطلوب.
(٨) الجنة بالضم: الوقاية.
(٩) في هـ. ب: ما يسكن به الانسان، وفي هـ. ص :ما يسكن اليه انسه.

طَاعَةَ ٱللهِ حِرْزٌ مِنْ مَتَالِفَ[11] مُكْتَنِفَةٍ[12] وَمَخَاوِفَ مُتَوَقَّعَةٍ وَأُوَارِ[13] نِيرَانٍ مُوقَدَةٍ[14].

ومن لوازم التقوى طاعة الله سبحانه بما امر به في الحياة الاسلامية في القرآن الكريم وشرحها النبي الكريم في السنة المطهرة، وفي هذا المقطع اشارة إلى ضرورة الطاعة وآثارها، فقال:

١ ـ (فاجعلوا طاعة الله شعارا دون دثاركم) وهو ما يلصق بالبدن من الثوب، والدثار ما يكون فوق ذلك، فيكون الإنسان المسلم ملازما لطاعة الله في كلّ حركاته وسكناته.

٢ ـ (ودخيلا دون شعاركم) بأن يكون طاعة الله امراً قلبيا باطنيا كما هو في الظاهر .

٣ ـ (ولطيفا بين أضلاعكم) فتسري الطاعة من البدن الى الروح اللطيف فيشمل اللطف جميع اجزاء البدن، ولولاه لكان الجسم جامداً.

٤ ـ (وأميرا فوق أموركم) بحيث لا يصدرد امر من الامور من الإنسان إلّا وان يكون ممتثلا لطاعة الله سبحانه.

٥ ـ (ومنهلا لحين ورودكم) والمنهل: منبع الماء للشرب، فكلما يفتقر الإنسان في الحياة الى الماء، فانه لا يحيى إلّا بالطاعة لله.

٦ ـ (وشفيعا لدرك طلبتكم) الدرك: الوصول إلى الشئ؛ فإنّ ما يطلبه الإنسان لابدّ وان يكون بواسطة الطاعة لله، فإنّه لا يطاع بالواسطة التي هي معصية؛ فإنّ الغاية لا تبرر الوسيلة في الاسلام.

٧ ـ (وجنة ليوم فزعكم) والجنة: الترس الواقي في الحرب، وحيث أن الفزع يغلب في الحرب فلا بد له من جنّة، فلا يفزع المسلم المؤمن برسالتة اذا علم أن موقفه على حق، حيث يتحصّن بجنة الطاعة لله تعالى، هذا في الدنيا، والامر في الاخرة اوضح.

٨ ـ (ومصابيح لبطون قبوركم) حيث الوحشة التامة تستولي على كلّ انسان في القبر، فلا بد له من مصباح لحياته الجديدة، ولا يكونذلك إلّا بطاعة الله تعالى.

٩ ـ (وسكنا لطول وحشتكم) من نوائب الدهر الطويلة التي لا يخلو منها حياة

(١٠) في هـ. ب: ما ينفسِ به الانسان .
(١١) في هـ. ب: جمع مَتْلَفْ وهو المهلكة.
(١٢) في هـ. ب: محيطةٍ.
(١٣) في هـ. ب و ص: حرّ.
(١٤) ص: مستوقدة، وفي هـ ص في نسخة: متوقدة.

الإنسان، فيسكن الى الطاعات والعبادات.

١٠ ـ (ونفسا لكرب مواطنكم) في الدنيا، وفي الاخرة من المنازل المهولة التي توجب الكرب، وينفس عن ذلك الطاعة لله تعالى.

وهذه النقاط العيشر تلازم حقيقة الطاعة في الدنيا والاخرة.

وعن آثار الطاعة في الاخرة خاصة، قال:

(فإن طاعة الله حرز) من مشاهد الاخرة المروعة وهي امور:

أوّلاً: (من متألف مكتنفة) وهي ما تتلف الإنسان وتهلكه مما يحيط به في يوم الحساب.

ثانياً: (ومخاوف متوقعة) في المستقبل في يوم القيامة من أهوال الحساب الدقيق.

ثالثاً: (وأوار نيران موقدة) لمن لم يطع الله في حياته، والأوار: لهيب النار الذي هو وعيد الله، وهو حق لا مفر منه.

(٤/ط - ١٩٨) آثار التقوى:

فَمَنْ أَخَذَ بِالتَّقْوَى عَزَبَتْ[١] عَنْهُ الشَّدَائِدُ بَعْدَ دُنُوِّهَا وَٱحْلَوْلَتْ لَهُ ٱلْأُمُورُ بَعْدَ مَرَارَتِهَا[٢]. وَٱنْفَرَجَتْ عَنْهُ ٱلْأَمْوَاجُ بَعْدَ تَرَاكُمِهَا. وَأَسْهَلَتْ لَهُ الصِّعَابُ[٣] بَعْدَ إِنْصَابِهَا[٤] وَهَطَلَتْ[٥] عَلَيْهِ ٱلْكَرَامَةُ بَعْدَ قُحُوطِهَا. وَتَحَدَّبَتْ[٦] عَلَيْهِ الرَّحْمَةُ بَعْدَ نُفُورِهَا وَتَفَجَّرَتْ عَلَيْهِ النِّعَمُ بَعْدَ نُضُوبِهَا وَوَبِلَتْ[٧] عَلَيْهِ ٱلْبَرَكَةُ بَعْدَ إِرْذَاذِهَا[٨].

وعن آثار التقوى في الدنيا أشار بقوله:

١ ـ (فمن أخذ بالتقوى عزبت عنه الشدائد بعد دنوّها) ولا يخلو حياة الإنسان من الشدائد الروحية وغيرها، فعند حصولها ودنوّها إلى الإنسان تبعد عنه تلك الشدائد بالتقوى، حيث بتوجه إلى الله ويركز على رضاه دون سواه.

(١) في هـ. ب وص: بعدت.
(٢) في ص: مرارها.
(٣) في هـ. ب: جمع صعب.
(٤) في هـ. ص في نسخة إنصابها وفي هـ ب : إتعابها.
(٥) في هـ. ب: سالت.
(٦) في هـ. ب: شفقت، وفي هـ. ص تعطفت وحنت.
(٧) في هـ. ص الوابل المطر الكثير.
(٨) في هـ. ب: الرذاذ مطر صغير القطر، وفي هـ. ص: مطر قليل.

٢ ـ (واحلولت له الأمور بعد مرارتها) فالشدائد المريرة بالطبيعة تبدوا له وكأنّها امور لها حلاوة في الطعم؛ لانها سوف تسهل وتستساغ اذا كانت في سبيل الله.

٣ ـ (وانفرجت عنه الأمواج بعد تراكمها)؛ فإنّ التقوى تجعل الإنسان في قوة لمواجهتها مهما عظمت.

٤ ـ (وأسهلت له الصعاب بعد إنصابها) والنصب: التعب؛ فإنّ كلّ امر صعب يتعب الإنسان، ولكن الامور الصعبة تصبح سهلة في جنب الله.

٥ ـ (وهطلت عليه الكرامة بعد قحوطها) فعند التقوى يشعر الإنسان بكرامة الانسانية، في حين انّه يشعر بفقدانها عند فقدان التقوى.

٦ ـ (وتحدبت عليه الرحمة بعد نفورها) والحدب: العطف؛ فإنّ الرحمة تنعدم عند عدم وجود التقوى، والتقوى يوجب الرحمة الالهية.

٧ ـ (وتفجرت عليه النعم بعد نضوبها) والنضب: انجماد عين الماء، فيكون التقوى سببا لانفجارها بالماء بعد نضوبها.

٨ ـ (ووبلت عليه البركة بعد إرذاذها) والارذاذ: المطر القليل؛ فإنّ آثار التقوى على حياة الإنسان يكون عامة في النفس والسلوك والنتائج، فيتعامل المجتمع معه على اساس الثقة المتواجدة فيه بسبب تقوى الله.

(٥/ط - ١٩٨) والعبرة بالتقوى:

فَاتَّقُوا ٱللهَ ٱلَّذِي نَفَعَكُمْ بِمَوْعِظَتِهِ. وَوَعَظَكُمْ بِرِسَالَتِهِ. وَٱمْتَنَّ عَلَيْكُمْ بِنِعْمَتِهِ. فَعَبِّدُوا[١] أَنْفُسَكُمْ لِعِبَادَتِهِ وَٱخْرُجُوا إِلَيْهِ مِنْ حَقِّ طَاعَتِهِ.

وختم المقطع بالعبرة بالتقوى والاتعاظ بها في الحياة بقوله:

١ ـ (فاتقوا الله الذي نفعكم بموعظته) بالآيات الكثيرة الامرة بالتقوى.

٢ ـ (ووعظكم برسالته) حيث طبق الرسول التقوى في كلّ مراحل حياته في السيرة.

٣ ـ (وامتن عليكم بنعمته) العامة في الحياة والقدرة والاستعانة وغيرها من النعم.

وكل هذه النقاط تستوجب التقوى بأمرين:

الأوّل: (فعبّدوا أنفسكم لعبادته) فهي رأس العبادةواهمها اداء الفرائض.

(١) في هـ. ب: التعبيد أن تجعل نفسك ذلولاً خشوعاً، وأيضاً :التعبيد أن تجعلها مكرماً أي أصطفاه لخير خلقه ،وفي هـ. ص: أي ذللوا.

الثاني: (وأخرجوا إليه من حق طاعته)؛ فإنّ طاعته سبحانه حق يجب اداؤه بحقوقه وشروطه المشروحة في كتب العبادات، وبدونها لا يخرج الإنسان من حقوق الله تعالى.

(٦ / ط - ١٩٨) الاسلام، فضله خصائصه وآثاره:

ثُمَّ إِنَّ هَذَا الإِسْلَامَ دِينُ ٱللهِ الَّذِى ٱصْطَفَاهُ لِنَفْسِهِ. وَٱصْطَنَعَهُ[١] عَلَى عَـيْنِهِ. وَأَصْـفَاهُ خِيَرَةَ[٢] خَلْقِهِ. وَأَقَامَ دَعَائِمَهُ[٣] عَلَى مَـحَبَّتِهِ[٤]. أَذَلَّ الأَدْيَـانَ بِـعِزِّهِ[٥]. وَوَضَـعَ ٱلْـمِلَلَ بِرَفْعِهِ[٦]. وَأَهَانَ أَعْدَاءَهُ بِكَرَامَتِهِ. وَخَذَلَ[٧] مُحَادِّيهِ[٨] بِنَصْرِهِ[٩]. وَهَدَمَ أَرْكَانَ الضَّـلَالَةِ بِرُكْنِهِ. وَسَقَى مَنْ عَطِشَ مِنْ حِيَاضِهِ[١٠]. وَأَتْأَقَ[١١] ٱلْحِيَاضَ بِمَوَاتِحِهِ[١٢].

استعرض الإمام في هذا المقطع فضل الاسلام التي جعله الله للتمييز بين سائر الاديان في ذاته، وآثار تلك في الحياة باعتباره خاتمة الاديان السماوية الجامعة لكل ما يفتقر اليه الإنسان عقيدة وشريعة، وان كلّ ذلك نابع من رحمة الله سبحانه، حيث قال:

﴿اليوم اكملت لكم دينكم واتممت عليكم نعمتي ورضيت لكم الاسلام دينا﴾.[١٣]

وقد سرد هذه الخصائص بقوله:

(ثم إن هذا الاسلام دين الله) باعتباره خاتمة الاديان السماوية الحاوية لما تقدم عليها من الاديان من مقومات النصر والقوة في سيادة الحق وتطبيق حكم الله على الارض.

١ ـ (الذي اصطفاه لنفسه) حيث جعله خاتمة الطرق المؤدية إلى معرفة الله تعالى وشرائعه.

---

(١) في هـ. ب: أي حفظه لنفسه، وفي هـ ص: كلمه تقال لما اشتد الاهتمام به.
(٢) في هـ ص: الخيرة، المختار.
(٣) في هـ. ص: أي الايمان.
(٤) في هـ. ص: أي محبة الله.
(٥) في ط: بعزته، وفي هـ. د: بعزته ـ ص، ح، ب.
(٦) في هـ. د: لرفعه ـ ب.
(٧) في هـ. ب: في نسخة احتمالا: خبر.
(٨) في هـ. ب: معادية، وفي هـ ص: المناوئ.
(٩) في هـ. ب: في نسخة: بنصرته.
(١٠) في ص: حياظه.
(١١) في هـ. ب: ملأ، وفي هـ. ب الاتاق: ان تملأ الحوض من الماء، وفي هـ. ص: أملأ.
(١٢) في هـ. د: لمواتحه ـ ب. والمواتح جمع ماتح وهو نازع الماء من الحوض، وفي هـ. ب: المتح: نزح الماء.
(١٣) المائدة : ٣.

٢ ـ (واصطنعه على عينه) بأن اسسس أساسه المطبوع على حكمته وقدرته الحاكمة، وكأنّه الناظر لكل ما يفتقر اليه الإنسان في الحياة.

٣ ـ (وأصفاه خيرة خلقه) الاصطفاء: الايثار، فانه تعالى آثر الاسلام للمسلمين خاصة؛ لانهم خير خلقه كما وصفهم بقوله: ﴿كنتم خير امة اخرجت للناس تأمرون بالمعروف وتنهون عن المنكر﴾[١].

٤ ـ (وأقام دعائمه على محبته)؛ فإنّ الاصل الاصيل في الاسلام: الحب لله وفي الله.

٥ ـ (أذل الأديان بعزته)؛ فإنّ عزة الاسلام ونصره بتشريع الجهاد نسخ الاديان السابقة.

٦ ـ (ووضع الملل برفعه) حيث ارتفعت الملة الاسلامية على سائر الملل بتشريع ما تحتاج اليه الملة من مقومات النصر ومن عناصر القوّة بتشريعه المبادئ الروحية ومنها: الجهاد في سبيل الله.

٧ ـ (وأهان أعداءه بكرامته) نتيجة الالتزام بالتشريعات الاسلاميّة كانت الكرامة للاسلام والهون والخسران لاعدائه في المعركة التي شهدتها الجزيرة العربية بين الاسلام من جانب وبين الكفر من المشركين وغيرهم من جانب آخر.

٨ ـ (وخذل محاديه بنصره) والمحاد: الذي اعلن مخالفته بشدة، فانهم كانوا بسبب الاسلام مخذولين بنصر من الله.

٩ ـ (وهدم أركان الضلالة بركنه) والركن: المعتمد عليه الشيء؛ فإنّ الاعتماد في الاسلام على الله وحده، وبه هدم كلّ ما كان يعتمد عليه الضلالة.

١٠ ـ (وسقى من عطش من حياضه) والحوض: مجمع الماء؛ فإنّ الله جعل الاسلام منبعا اسلاميا يسقي العطاشى لمعرفة الطريق الذي يؤدى إلى تحقيق العدالة الالهيّة في المجتمع، وكان السقي لمادة المعرفة متوفرة لعامة الناس من دون تمييز طبقة عن اخرى، حيث قال: (وأتاق الحياض بمواتحه) والاتاق: الملء، والماتح: نازع الماء، أي ملأ عقول البشر بواسطة من ينزع الماء من هذه المنابع الاصيلة للمعرفة من العلماء والمفكرين في حقائق الاسلام.

---

(١) آل عمران : ١١٠.

وهذه النقاط العشر هي خصائص الاسلام الذاتية التي أودعها الله سبحانه فيه، واختاره للبشرية جمعاء طريقا للحياة الموجبة للسعادة في الدنيا والاخرة.

(٧/ط - ١٩٨) خصائص الاسلام:

ثُمَّ جَعَلَهُ لَا ٱنْفِصَامَ[١] لِعُرْوَتِهِ[٢]. وَلَا فَكَّ لِحَلْقَتِهِ. وَلَا ٱنْهِدَامَ لِأَسَاسِهِ. وَلَا زَوَالَ لِدَعَائِمِهِ. وَلَا ٱنْقِلَاعَ لِشَجَرَتِهِ. وَلَا ٱنْقِطَاعَ لِمُدَّتِهِ.

وَلَا عَفَاءَ[٣] لِشَرَائِعِهِ وَلَا جَذَّ[٤] لِفُرُوعِهِ وَلَا ضَنْكَ[٥] لِطُرُقِهِ وَلَا وُعُوثَةَ[٦] لِسُهُولَتِهِ وَلَا سَوَادَ لِوَضَحِهِ[٧]، وَلَا عِوَجَ لانْتِصَابِهِ وَلَا عَضَلَ[٨] فى عُودِهِ وَلَا وَعَثَ[٩] لِفَجِّهِ[١٠] وَلَا ٱنْطِفَاءُ لِمَصَابِيحِهِ وَلَا مَرَارَةَ لِحَلَاوَتِهِ .

وعن اثار الاسلام الملازمة التي أصبحت خصائص ذاتية جعلها الاه في الاسلام، قال:

١ ـ (ثم جعله لا انفصام لعروته)؛ لأنّ الاسلام هو العروة الوثقى التي لا انفصام لها؛ فإنّ دعاية الاعداء مهما قويت فانه لايمكنها قلع الايمان الكامن في القلوب.

٢ ـ (ولا فك لحلقته)؛ فإنّ الحلقة الدائرة للجماعة الاسلامية حلقة مستحكمة بالواجبات التي لا يمكن النفوذ فيها؛ لعدم قدرته على تحمل تلك الواجبات الشاقة على النفس، فيضطر للهرب منها، ويبقى الملتزم المعتقد اعتقادا كاملا بالاسلام يستهل في سبيله كافة المشكلات.

٣ ـ (ولا انهدام لأساسه) وان حصل الانحراف في السلوك من الافراد؛ فإنّ الاساس وهو الاعتقاد يبقى سالما في النفس، بسبب الاعتقاد الاسلامي الداعي إلى الحرية

---

(١) في هـ. ص: أي لا انكسار.
(٢) في هـ. ب: عروة الكور: الشيء يؤخذ بها حين ينقل.
(٣) العفاء: الدروس والانمحاء.
(٤) في ب: جزّ، وفي هـ. ب: قطع.
(٥) في هـ. ب الضنك: الضيق.
(٦) في هـ. ب: الأوعث: المكان السهل ذو الرمل يغيب فيه الرجل، ويشق على من يمشي فيه، لا وعوثة: أي لا صعوبة، وفي هـ. ب: الوعوثة ...، وفي السهولة يوجب مشقة المشي؛ لأن الأقدام تعث في الأرض. من الشرح.
(٧) الوضح : بياض الصبح.
(٨) في ط و د: عصل، وفي هـ ب العضل: الاعوجاج، والعصل الاعوجاج في صلابة.
(٩) في هـ. ب الوعت: الرمل.
(١٠) في هـ. ب: مسلك بعيد.

الفكرية.

٤ ـ (ولا زوال لدعائمه) الداعية إلى التوازن بين الروح والمادّة في كلّ تشريعاته.

٥ ـ (ولا انقلاع لشجرته) فإنّها شجرة طيبة مختارة من الله سبحانه، فيكون اصلها ثابتا لا ينقلع امام الحوادث والعواصف التي تواجه الإنسان في الحياة.

٦ ـ (ولا انقطاع لمدته)؛ فإنّ الحقيقة تبق حقيقة مهما طال الزمن ولا تتغير الحقائق بالزمن، فالحق يبقى حقا والباطل يبقى باطلا.

٧ ـ (ولا عفاء لشرائعه) والعفاء: الاندارس؛ لابتنائها على العدالة في النفس والمجتمع عامة من دون تفضيل طبيعيّ أو قومي أو عرقي وما شابه من الميول المادية.

٨ ـ (ولا جذّ لفروعه) والجذّ: القطع؛ فإنّ الآثار تتبع الاعمال، فيكون العمل ذات آثار مستمرة مادام العمل كذلك.

٩ ـ (ولا ضنك لطرقه) والضنك: الضيق، فإنّها طرق للنجاة موسعة بفتح باب التوبة للجميع.

١٠ ـ (ولا وعوثة لسهولته) والوعوثة: الكثرة في السهولة وخطورة تبطئ المسير في الارض السهلة.

١١ ـ (ولا سواد لوضحه) والوضح: البياض؛ فإنّ حقائقه واضحة لا شبهة فيها.

١٢ ـ (ولا عوج لانتصابه)؛ لأنّ ما اقامة بهدف الاستقامة يكون كذلك.

١٣ ـ (ولا عضل في عوده) والعضل: الالتواء فيما اعدّ للاستقامة، والعود: هو الخشب المعد للبناء وغيره، فان الاستقامة في ذلك امر ضروري؛ لاستخدامه للغرض المطلوب منه.

١٤ ـ (ولا وعث لفجه) والوعث: العسر، والفج: الطريق بين الجبلين، كناية عن سهولة التطبيق في احكام الاسلام.

١٥ ـ (ولا انطفاء لمصباحه) لانها مصابيح للهداية المستمدة من ارادة الله سبحانه الحاكمة على الكون بالعدل، ولا يمكن أن يتغير الحق عما هو عليه.

١٦ ـ (ولا مرارة لحلاوته) لخلوص المبادئ فيه خلوصا تاماً، فهي مبادئ حقيقية وليست قوانين وضعية لكسب الاراء واستخدامها للاغراض المادية.

وهذه النقاط الستة عشر تلازم الاسلام باعتباره حقيقة عملية، وليست مجرد نظريات

وعقائد فكرية مجردة عن العمل في المجتمع الذي يسوده، كما يشهد بذلك سيرة الرسول ﷺ في حياته.

(٨/ط - ١٩٨) آثار الاسلام في المجتمع:

فَهُوَ دَعَائِمُ أَسَاخَ[1] فِي ٱلْحَقِّ أَسْنَاخَهَا[2] وَثَبَّتْ لَهَا أساسَهَا[3] وَيَنَابِيعُ غَزُرَتْ[4] عُيُونُهَا وَمَصَابِيحُ شُبَّتْ نِيرَانُهَا وَمَنَارٌ ٱقْتَدَى بِهَا سُفَّارُهَا[5] وَأَعْلَامٌ قُصِدَ بِهَا فِجَاجُهَا وَمَنَاهِلُ رُوِيَ[6] بِهَا وُرَّادُهَا جَعَلَ ٱللهُ فِيهِ مُنْتَهَى رِضْوَانِهِ وَذِرْوَةَ دَعَائِمِهِ وَسَنَامَ[7] طَاعَتِهِ فَهُوَ عِنْدَ ٱللهِ وَثِيقُ الأرْكَانِ رَفِيعُ ٱلْبُنْيَانِ مُنِيرُ ٱلْبُرْهَانِ مُضِيءُ النِّيرَانِ عَزِيزُ السُّلطَانِ مُشْرِفُ المَنَارِ مُعْوِزُ[8] المَثَارِ[9] فَشَرِّفُوهُ وَٱتَّبِعُوهُ وَأَدُّوا إِلَيْهِ حَقَّهُ وَضَعُوهُ مَوَاضِعَهُ[10].

ان الاسلام اصبح حقيقة واقعة في التاريخ لا يمكن ازاحته من الوجود بالرغم من تكاثر الاسباب المعادية ضده؛ فإنّ الصحوة الفكرية التي أوجدها الاسلام في العقول اصبحت مثالا يحتذي بها احرار العام على اختلاف اديانهم ومذاهبهم وقومياتهم، والى ذلك أشار بقوله:

١ ـ (فهو دعائم أساخ في الحق أسناخها) السنخ: الاصل، واساخها: ادخلها حتّى تغيب؛ فإنّ الله سبحلنه عمق جذور دعائم الاسلام في التاريخ العام بحيث اصبح الاسلام

---

(١) في هـ. ب: أثبت، وفي هامش آخر: ساخت قواعده في الأرض، أي في الوحل، ومطرنا حتى اذا صارت الأرض سواخي، على فعالي: اذا كثر المطر، وفي هـ. ص: أي أدخل ومكّن.
(٢) في هـ. ب: الاسناخ جمع سنخ وهو الأصل وسناخها: أصلها، وفي هـ. ص : جمع سنخ: الأصل.
(٣) في هـ. ب: اساسها: أصلها، وفي هـ ص جمع أُسس، كسبب وأسباب والأُسس والأُس والأساس: أصل البناء.
(٤) هـ. ب: كثرت.
(٥) في هـ. ب: جمع سافر.
(٦) هـ. ب: رويت من الماء أروىٰ.
(٧) في هـ. ب: السنام البعير، وهو يريد به أصلهم.
(٨) في ط معوذ، وفي هـ. د: معور المثال، ومعون المثال ـ ز.
(٩) في هـ. د: المثال ـ م، ر، وفي هـ. ب في نسخة: المثال والمثار مصدر من ثار الغبار اذا هاج.. أي ان أحداً لا يمكنه إثارة هذا الدين لثباته، وفي هـ. ص: أي معجز الناس اثارته وازعاجه لقوته ومتانته. من الشرح.
(١٠) في هـ. د: مواضيعه ـ ب.

حقيقة واقعية لا يمكن اقلاعها من الحياة، وان أمكن تجميدها لقوة الدعايات وقتيا؛ فإنّ كلّ محاولة لطمس معالم الاسلام في الوجود يبوء بالفشل بعد فترة، لانكشاف زيفها في العمل والاثر.

٢ ـ (وثبت لها أساسها) لاعتماد الاسلام على الدعائم الراسخة، فلا يمكن محوه من الوجود.

٣ ـ (وينابيع غزرت عيونها) حيث اصبح فكرة الجهاد ـ مثلا ـ في سبيل الحصول على الحق فكرة عالمية بعد أن كانت الشعوب المستضعفة ترضخ للقوة المادية المسيطرة عليها عسكريا، وسارت على ذلك كلّ قوات التحرر في العالم.

٤ ـ (ومصابيح شبت نيرانها) لتضئ درب الحرية لمن اراد الحرية بالتحرير من عبودية المادة والماديات، فاصبح مصباحاً منيرا لطريق الحرية في الحياة.

٥ ـ (ومنار اقتدى بها سفارها) وهم الذين يسافرون على خطى ما يسطره من النور المضئ لهم الطريق في المنار في سلوك جادة النجاة في الحياة.

٦ ـ (وأعلام قصد بها فجاجها) وهي العلامات المنصوبة لهداية من يسير في الفجاج، وهي الطرق الملتوية، كما في الطرق الجبلية، فيفتقر الانسان إلى تلك الاعلام في طريق الحياة.

٧ ـ (ومناهل روي بها ورادها) والله سبحانه يروي من يريد اطفاء العطش إلى الحرية الفكرية والاستقلال في الحياة.

فان هذه النقاط تثبت أن الاسلام حقيقة واقعة لا يمكن ازالته من الوجود، بل يجب التعامل معه على هذا الاساس.

وإلى آثار هذه الخصائص في الحياة أشار ايضا بقوله:

أوّلاً: (جعل فيه منتهى رضوانه ، وذروة دعائمه ، وسنام طاعته)؛ فإنّ ارادة الله هي الحاكمة في القرار بجعل الاسلام حقيقة واقعة في الحياة لاسباب ثلاثة ، هي:

١ ـ (منتهى رضوانه) لكون الاسلام خاتمة الشرائع التي اختارها الله للبشرية.

٢ ـ (وذروة دعائمة) حيث جربت البشرية الاديان السابقة التي كانت من دعائم الله، وهذه اعلاها.

٣ ـ (وسنام طاعته)؛ فإنّ الاسلام صدر لطاعة الله، حيث شرع الجهاد الذي لا يكون

اغلى منه ثمناً في الطاعة.

وحيث اكمل الشريعة بالعقيدة والشريعة بالجهاد، كان منتهى رضوان الله تعالى من الاديان، لما يترتب عليها من الآثار في سلوك الانسان.

وفرّع على هذه الخصائص النتائج التالية:

أوّلاً: (فهو عند الله وثيق الاركان) فلا يتزعزع الاسلام بالعداء من أي مصدر كان.

ثانياً: (رفيع البنيان) حيث انّه رفع على غيره من المبادئ بالحقيقة والعقيدة والعمل.

ثالثاً: (منير البرهان) حيث أن حججه المعقولة تنير الاذهان.

رابعاً: (مضئ النيران)؛ فإنّ نور الاسلام لا ينطفئ بالعداوان، وان كان العدوان ناجحا لفترة قصيرة.

خامساً: (عزيز السلطان)؛ فإنّ سلطان الاسلام يلازم العقيدة والعمل وما شابه، ولذلك فانه لا يتزعزع.

سادساً: (مشرف المنار) لعلوّه على غيره، فيشرف على كلّ النواقص التي توجد في غيره؛ للكمال الذي جعله الله فيه عقيدة وشريعة.

سابعاً: (معوز المثار) العوذ: اللجوء، والاثارة: التسبب للهياج؛ فإنّ الاسلام بحقائقه الساطعة يلجئ الاعداء الذين يريدون الثورة في وجهه الى اللجوءاليه، فلا يتمكنون من القضاء عليه من اصوله وان تمكنوا من الغلبة في فروعه؛ فإنّ الاصول تبقى بذرة كامنة تنمو بفروع جديدة مؤمنة بالاسلام في المبادي والوسائل والاهداف وان طال الزمن الذي لا يخلو من محسن.

وعن الواجب الاسلامي تجاه الاسلام في كلّ عصر ومصر أشار إلى نقاط:

الأوّل: (فشرفوه) حيث انه منبع الشرف، وتشريفه بالدراسة والصيانة بما يتيسر للانسان، سواء في الافراد أو الجماعات في كلّ عصر ومصر.

الثاني: (واتبعوه) في العمل على الثوابت الاصلية التي أكد عليها الاسلام.

الثالث: (وأدوا إليه حقه) الذي هو التطبيق في الحياة تطبيقا كاملا.

الرابع: (وضعوه مواضعه) الذي وضعه الله فيها، وهو الصيانة عن تحريفه وتمييع مفاهيمه والتأكيد على الجانب الروحي المضاد للجانب المادي في الحياة.

فان الواجب الاسلامي يحتم على كلّ مسلم الالتزام بالاسلام بكامل مفاهيمه

العقائدية الروحية والاجتماعية والاقتصادية والسياسية كاملة، من دون فصل لاحدها عن الاخرى، وتطبيقها تطبيقا كاملا في حياة الإنسان من الولاده إلى الوفاة، في كل المبادي والوسائل والاهداف، وفي كل عصر ومصر حيث الظروف والاحوال، والله المستعان.

(٩ / ط - ١٩٨) **الرسول الاعظم:**

ثُمَّ إِنَّ ٱللهَ سُبْحَانَهُ بَعَثَ مُحَمَّداًﷺ بِالْحَقِّ حِينَ دَنَا مِنَ ٱلدُّنْيَا الانْقِطَاعُ وَأَقْبَلَ مِنَ الآخِرَةِ الإِطِّلَاعُ(١) وأظلمت بَهْجَتُهَا(٢) بَعْدَ إِشْرَاقٍ، وَقَامَتْ بِأَهْلِهَا عَلَى سَاقٍ(٣). وَخَشُنَ مِنْهَا مِهَادٌ(٤). وَأَزِفَ(٥) مِنْهَا يُقَادٌ(٦). فِى ٱنْقِطَاعٍ مِنْ مُدَّتِهَا. وَٱقْتِرَابٍ مِنْ أَشْرَاطِهَا(٧) وَتَصَرُّمٍ مِنْ أَهْلِهَا. وَٱنْفِصَامٍ(٨) مِنْ حَلْقَتِهَا. وَٱنْتِشَارٍ مِنْ سَبَبِهَا. وَعَفَاءٍ مِنْ أَعْلَامِهَا. وَتَكَشُّفٍ مِنْ عَوْرَاتِهَا. وَقِصَرٍ مِنْ طُولِهَا. جَعَلَهُ(٩) ٱللهُ بَلَاغاً لِرِسَالَتِهِ(١٠). وَكَرَامَةً لِأُمَّتِهِ. وَرَبِيعاً لِأَهْلِ زَمَانِهِ. وَرِفْعَةً لِأَعْوَانِهِ. وَشَرَفاً لِأَنْصَارِهِ.

يتضمن المقطع ضرورة البعثة النبوية في عصر النبيﷺ باعتباره عصر خاتمة الاديان، وان الدنيا وصلت الى نهاية الاديان واخرها باستقبال عهد جديد في الاديان هو عهد الرسول القائدﷺ، ومن هنا كانﷺ الخاتم لما سبق من الاديان، والفاتح لما استقبل من الزمان إلى نهاية الدنيا، فقال:

أوّلاً: ـ (ثم إن الله بعث محمّداﷺ بالحق) أي بابلاغ رسالة الحق تعالى إلى البشرية جمعاء.

ثانياً: ـ (حين دنا من الدنيا الانقطاع) عن ماضيها ونهاية الاديان السابقة والعادات

---

(١) في هـ. ب: الاطلاع الاشراف ليرى شيئاً، قال الله تعالىٰ ﴿فاطلع فرآه في سواء الجحيم﴾.
(٢) في هـ. ب البهجة: الحسن.
(٣) في هـ. ب: أي شده.
(٤) في هـ. ب: المهاد هي الأرض.
(٥) في هـ. ب: أي قرب.
(٦) في ص و ط و د: قياد.
(٧) في هـ. ب: أي علاماتها.
(٨) في هـ. ب: أي انكسار.
(٩) في هـ. ب: أي محمّدﷺ.
(١٠) في ص : لرسالاته.

الجاهلية التي حكمت المجتمع الانساني.

ثالثاً: (وأقبل من الآخرة الاطلاع) والاطلاع: هو النظرة إلى المستقبل وما سيكون بعد البعثة من آثار النبوة في الدنيا، ثمّ من بعد ذلك بعد فناء الدنيا في الاخرة ويوم القيامة، قال الشارح (ت / ٦٥٦ هـ)، ما نصّه:« اعتبر الانقطاع لنهاية الدنيا فعدد الاقوال من الامم كاليهود والنصارى والمجوس في مدة عمر الدنيا، وختمها بقوله: «وبالجملة هذا موضع غامض يجب السكوت عنه».[1] ولا يحضرني سائر الشروح لاستعلام الحال في معرفة حقيقة المقال، ولكن السياق يأبى ذلك؛ ضرورة أن الدنيا لم تنتهي ببعثة النبيّ محمّدﷺ، ولا تنتهي بالساعة التي لا يعلمها سوى الله، والظاهر أن المراد: أن بعثة النبيﷺ كانت بداية للنظرة المستقبلية لما بعد الحياة بالابلاغ المستند إلى ما اوحى اليهﷺ من اشراط الساعة، والله العالم.

فان الاطلاع على المستقبل انما هو استناداً إلى ما ابلغة الرسول الاعظم من مصير الدنيا واهلها من الموت والحياة والنشور والحساب، وهي امور:

١ ـ (وأظلمت بهجتها بعد إشراق)؛ فإنّ الدنيا تكون بهيجة المنظر بسبب اشراق الشمس، وبعد ان تتكور الشمس باختلال المسيرة الشمسيّة والكواكب، تظلم الدنيا، وهذه من اشراط الساعة التي أخبر بها القرآن الكريم، بقوله :(اذا الشمس كوّرت) في سورة الشمس، الآية الاولى وما بعدها.

٢ ـ (وقامت بأهلها على ساق) حيث البعث والنشور من القبور قياما ليوم الحساب.

٣ ـ(وخشن منها مهاد) والمهاد: الفراش، وخشونتها كناية عن عدم الراحة حينئذٍ.

٤ ـ (وأزف منها قياد) والازوف: القرب، والقياد: المصير إلى الزوال.

٥ ـ (واقتراب من أشراطها) وهي العلامات التي تؤذن بقرب الساعة ويوم القيامة.

٦ ـ (وتصرم من أهلها) والصرم: القطع، وهو حين ينقطع الإنسان عن اهله فيها، وتنقطع هي عنهم.

٧ ـ (وانفصام من حلقتها) والحلقة: هي الرابطة التي تجمع من حولها في الدائرة، وبانفصامها تختل الامور جميعها؛ لعدم مانع أو رادع.

---

(١) شرح النهج ١٠ : ١٩٨، ط / ١٩٦٠.

٨ ـ (وانتشار من سببها) حيث أن الاسباب الطبيعية التي أوجدها الله سبحانه لمسك النظام والارض تتبدد بالانتشار، فلا يكون هناك نظام طبيعي حاكم في الكون.

٩ ـ (وعفاء من أعلامها) وهي العلامات التي كانت تميّز الدنيا عن غيرها من الكواكب قبل فنائها.

١٠ ـ (وتكشف من عوراتها)؛ فإنّ عند النشور تظهر العيوب للدنيا عيانا، حيث كان اصحابها في الحياة يعتقدون خلودها.

١١ ـ (وقصر من طولها) فقد كان اهل الدنيا يعتبرون الدنيا تبقى لمدة طويلة وهم يتمتعون فيها، وعند النشور تظهر لهم قصر طول المدة فيها.

وهذه النظرة المستقبلية للدنيا لم تحصل إلّا بالبعثة النبوية، حيث أكد النبي على ذلك في ؤيات قرانية واحاديث نبوية كثيرة.

وختم المقطع باهداف البعثة النبوية التي تحققت ، وهي:

اولا: (جعله الله بلاغا لرسالته) حيث ابلغ النبيّ محمّدﷺ رسالة الله تعالى كاملة بمواصلة رسالة الانبياء من قبله، وبتطبيقها في حياته، والانذار بالمستقبل في فناء الدنيا واشراط الساعة وما بعدها في الاخرة.

ثانياً: (وكرامة لأمته) حيث اكرمهم بالمهناج العملي للحياة بالسنة النبوية التي طبقها في حياته.

ثالثاً: (وربيعا لأهل زمانه) حيث جعل المجتمع في عصره في أمن من الضلالة والجهالة التي عمت الامم جميعا.

رابعاً: (ورفعة لأعوانه) الذي ساعدوه في نصر حكم الله بالمسلمين الذين اعتقدوا برسالته ومن اهل الذمة الذين نصروه بعقد الذمة من دون اعلان للحرب.

خامساً: (وشرفا لأنصاره) من المسلمين وغيرهم جميعا، حيث بنصرهم تمكن الاسلام من تبليغ رسالته للعالم المعاصر آنذاك اجمع.

فان البعثة النبوية رافقت حقائق ثلاث:

الأوّل: ختم ما سبق من الاديان والعادات.

الثانية: فتح عهدا جديدا للامم جمعاء.

الثالثه: نظرة مستقبلية للاخرة واشراطها مما لم يسبق له مثيل.

(١٠ / ط ـ ١٩٨) القرآن الكريم ـ فضله وخصائصة وآثاره:

ثمَّ أَنْزَلَ عَلَيْهِ ٱلكِتَابَ نُوراً لَا تُطْفَأُ مَصَابِيحُهُ وَسِرَاجاً لَا يَخْبُو[١] تَوَقُّدُهُ وَبَحْراً لَا يُدْرَكُ قَعْرُهُ وَمِنْهَاجاً لَا يُضِلُّ نَهْجُهُ[٢] وَشُعَاعاً لَا يُظْلِمْ ضَوْءُهُ[٣]. وَفُرْقَاناً لَا يُخْمَدُ بُرْهَانُهُ. وَتِبْيَاناً[٤] لَا تُهْدَمُ أَرْكَانُهُ. وَشِفَاءً لَا تُخْشَى أَسْقَامُهُ، وَعِزًّا لَا تُهْزَمُ أَنْصَارُهُ، وَحَقّاً لَا تُخْذَلُ أَعْوَانُهُ.

والقرآن الكريم كما تقدم في الاسلام يشتركان في الفضل والخصائص والآثار في المجتمع حيث لا يمكن التفكيك بينهما؛ لأنّ القرآن هو القانون الاسلامي للاسلام كدين، فابتدأ الإمام بذكر فضل القرآن، ثمّ اتبعه بخصائصه الذاتية، ثمّ ذكر آثاره في المجتمع.

وفضل القرآن ينبع من اختيار الله سبحانه لهذا القرآن، فجعل فيه الصفات التي اختارها، فليس في القرآن إلّا ما اختاره للبشرية، وبذلك امتاز على غيره من الكتب السماوية باعتبار الخاتمية لها، وسردها بقوله:

١ ـ (ثم أنزل عليه الكتاب) كما انزل على غير الرسول ﷺ من الأنبياء الكتب من صحف ابراهيم وتوراة موسى وانجيل عيسى عليهم السلام من قبل.

٢ ـ (نورا لا تطفأ مصابيحه)؛ فإنّ نور القرآن مستمد من نور الله تعالى، فلا يطفأ مصابيح هذا النور المستمد من الوحي الالهي.

٣ ـ (وسراجا لا يخبو توقّده) كالسراج المادي؛ لأنّ سراج القرآن نابع من الوحي الالهي.

٤ ـ (وبحرا لا يدرك قعره)؛ فإنّ مواضيع القرآن كالبحار التي لها عمق باختلاف الطبقات في العمق الذي لا يدرك.

٥ ـ (ومنهاجا لا يضل نهجه)؛ لأنّه المنهاج الذي اختاره الله للحياة.

٦ ـ (وشعاعا لا يظلم ضوؤه)؛ فإنّ الاشعاع المادي يظلم بانتهاء مادته، وشعاع القرآن يستند إلى الوحي الالهي الذي لا نهاية له.

---

(١) أي لا يطفأ.
(٢) المنهاج الطريق الواسع والنهج والسلوك، أي ليس في سلوكه اختلال.
(٣) في ب: نوره، وفي هـ. ب في نسخة ضوءه.
(٤) في هـ. د: تبياناً ـ ح، ض، ب.

٧ ـ (وفرقانا لا يخمد برهانه) حيث يفرق القرآن بين الحق والباطل بالبرهان القاطع الذي يكون برهانا ابديا، فلا تخمد بمرور الزمن.

٨ ـ (وتبيانا لا تهدم أركانه)؛ لأنّ التبيان من الله سبحانه، ولعل في النسخة تصحيف عن البنيان، كما يقتضيه السياق؛ فإنّ تشابه الخط الكوفي من خلوء عن التنقيط ساعد على ذلك، فيكون المعنى وبنيانا على اركان اربعة كما هي العادة في كلّ بناء، ولانه من الله سبحانه فلا ينهدم اركانّه وقوائمه، والله العالم.

٩ ـ (وشفاء لا تخشي أسقامه)؛ فإنّ لكل دواء شافٍ عوارض جانبية فيسمى الدواء من جهة، وله اثر آخر من جهة اخرى، والقران شفاء العقول، فلا رد فعل له على العقل.

١٠ ـ (وعزا لا تهزم أنصاره)؛ فإنّ انصار العزيز كثيرون في الدنيا، واذا انقلب العزيز ذليلا انهزم الانصار أو قلوا أن لم ينعدموا.

١١ ـ (وحقا لا تخذل أعوانه)؛ لأنّ من نصر الحق عن حقيقة لا يتقاعس عن النصر، والله سبحانه اختار للقرآن الكريم هذه الصفات بارادته الازلية، فيكون هذا الفضل الالهي لا عديل له.

وحيث أن القرآن هو القانون الاساسي للاسلام فقد اشتركا في الصفات النورانية أيضا، فان القرآن (نور لاتطفأ مصابيحه) والاسلام كما تقدم (لا تطفأ مصابيحه).

(١١ / ط ـ ١٩٨) خصائص القرآن:

فَهُوَ مَعْدِنُ ٱلْإِيمَانِ وَبُحْبُوحَتُهُ[١] وَيَنَابِيعُ ٱلْعِلْمِ وَبُحُورُهُ وَرِيَاضُ[٢] ٱلْعَدْلِ وَغُدْرَانُهُ[٣] وَأَثَافِيُّ ٱلْإِسْلَامِ وَبُنْيَانُهُ وَأَوْدِيَةُ ٱلْحَقِّ وَغِيطَانُهُ[٤] وَبَحْرٌ لَا يَنْزِفُهُ الْمُسْتَنزِفُونَ[٥] وَعُيُونٌ لَا يُنْضِبُهَا[٦] المَاتِحُونَ[٧] وَمَنَاهِلُ لَا يُغِيضُهَا[٨] ٱلْوَارِدُونَ وَمَنَازِلُ لَا يَضِلُّ نَهْجَهَا[٩]

---

(١) بحبوحة المكان: وسطه.
(٢) الرياض جمع روضة وهي مستنقع الماء في رمل أو عشب.
(٣) جمع غدير وهو القطعة من الماء يغادرها السيل.
(٤) هـ. ب: الغائط المكان المطمئن من الأرض والجمع الغيطان.
(٥) في أ: : المترفون، وفي هـ. د: المنتزفون ـ ب، وفي هـ. ب الذين يطلبون النزف، النزف نزح الماء ونزف دمه اذا جرحته كلمة، السكران نزيف: لانه لا يبقى له عقل.
(٦) في هـ. ب: المنضوب عوز الماء.
(٧) في هـ. ب: الماتحون بالياء معاً.
(٨) في هـ. ب: لا ينغصها ح.

الْمُسَافِرُونَ وَأَعْلاَمٌ لاَ يَعْمَى عَنْهَا السَّائِرُونَ وَآكَامٌ[١٠] لاَ يَحُورُ[١١] عَنْهَا[١٢] ٱلْقَاصِدُونَ.

ونتيجة الفضل الالهي - كما في الاسلام كدين - يتواجد في القرآن الكريم كقانون اساسي في الاسلام باحتوائه على الحقائق الثابتة الذاتية.

١- (فهو معدن الإيمان وبحبوحته) والبحبوحة: وسط الشيء، فلا يكون المعدن إلّا صافيا زلالاً من ايّة شائبة مادية خارجة عن الايمان .

٢-(وينابيع العلم وبحوره)؛ فإنّ العلوم الالٰهيّة تنبع من القرآن الكريم كما هو مشروح في كتب العقيدة والكلام .

٣-(ورياض العدل وغدرانه) والروضة: مجمع الماء، والغدير: مجمع الماء النازل بسبب السيول، فان العدل يستنتج من كلّ اياته للتطبيق في المجتمع كافة من المسلمين وغيرهم .

٤-(وأثافي الاسلام وبنيانه) والاثافي: الحجر المستعمل لوضع القدر عليه للطبخ؛ فإنّ نضج الاسلام لايكون إلّا بالاعتماد على القرآن الكريم واياته في الاحكام عقيدة وشريعة.

٥-(وأودية الحق وغيطانه) والغوط: المطمئن من الارض؛ فإنّ القرآن منبع للحق في كلّ مظاهر الحياة العالية والواطئة التي لا يخلوا منها مجتمع قط .

٦-(وبحر لا ينزفه المستنزفون) والنزف: الافناء؛ فإنّ المادّة للقرآن الكريم هو الوحي الذي لاينضب مهما استعمل ولا يخلق قط .

٧-(وعيون لا ينضبها الماتحون) والماتح: الذي يأخذ الماء؛ فإنّ كثرة الأخذ والعمل به لايوجب القلة في المادّة؛ لانها من الوحي .

٨-(ومناهل لا يغيضها الواردون) والمنهل: منبع الماء للشرب، والوارد: الذي يرد فيها للشرب؛ فإنّ الانتفاع من مناهل القرآن لايكون سببا لنقصان الماء، لاستناده إلى الوحي.

٩-(ومنازل لا يضل نهجها المسافرون) الذين يحتاجون في السفر إلى مأوى ينزلون

(٩) في هـ. ب: طريقها.
(١٠) في هـ. ب: جمع اكمه، وفي هـ. ب في نسخة: وفجاجاً.
(١١) في ط: لا يجوز، وفي هـ لايجوز، وفي هـ. ب: لا يجور من جار يجور.
(١٢) في هـ. د: عنه ـ ل. أي عدل عن الطريق.

فيه لأخذ الراحة الجسدية، فالمعتقد الذي يتوجه إلى القرآن للانتفاع منه للراحة الروحية لا يضل طريقه قط؛ لماهيته النابع من الوحي المبين.

١٠-(وأعلام لا يعمى عنها السائرون) فإنّها مرتفعة وواضحة الدلالة .

١١-(وآكام لا يجوز عنهاالقاصدون) القاصد: السائر لمقصد، فلا يخطئ السائر؛ لأنّ الاكام وهي المواضع المرتفعة التي يتخذها علامة للطريق لايمكن الخطأ فيها، وحيث أن القرآن هو القانون الأساسي في الاسلام فهما يشتركان في الخصائص، ومنها قوله:(ينابيع غزرت عيونها) وفي القرآن (لاينضبها الماتحون) .

وهذه الخصائص للقرآن انما هي بسبب فضيلة الوحي التي خص الله سبحانه القرآن الكريم به .

($\frac{١٢}{ط - ١٩٨}$) آثار القرآن في المجتمع:

جَعَلَهُ ٱللهُ رِيّاً لِعَطَشِ ٱلْعُلَمَاءِ وَرَبِيعاً لِقُلُوبِ ٱلْفُقَهَاءِ، وَمَحَاجَّ[١] لِطُرُقِ الصُّلَحَاءِ وَدَوَاءً لَيْسَ بَعْدَهُ دَاءٌ وَنُوراً لَيْسَ مَعَهُ ظُلْمَةٌ وَحَبْلاً وَثِيقاً عُرْوَتُهُ وَمَعْقِلاً[٢] مَنِيعاً ذِرْوَتُهُ وَعِزًّا لِمَنْ تَوَلَّاهُ[٣] وَسِلْماً[٤] لِمَنْ دَخَلَهُ. وَهُدًى لِمَنْ ٱئْتَمَّ بِهِ. وَعُذْراً لِمَنِ ٱنْتَحلَهُ[٥] وَبُرهاناً لِمَن تَكَلَّمَ بِهِ وَشَاهِداً لِمَنْ خَاصَمَ بِهِ وَفَلْجاً[٦] لِمَنْ حَاجَّ بِهِ، وَحَامِلاً لِمَنْ حَمَلَهُ[٧] وَمَطِيَّةً لِمَنْ أَعْمَلَهُ وَآيَةً لِمَنْ تَوَسَّمَ[٨] وَجُنَّةً لِمَنِ ٱسْتَلْأَمَ[٩] وَعِلْماً لِمَنْ وَعَى[١٠] وَحَدِيثاً لِمَنْ رَوَى، وَحُكْماً لِمَنْ قَضَى.

وذكر آثار القرآن الكريم في المجتمع عامة وليس لطائفة كهنوتية خاصة، ينتفع منه كلّ حسب معرفته وحاجته، فان هذه الآثار انما هي بسبب الخصائص التي أوجدها الله

(١) في هـ. ب: المحجة الطريق الواضح.
(٢) في هـ. ب: ملجأ.
(٣) في هـ. ب: التولي: المحبة.
(٤) هـ. ب: السلم: الصلح وسلّما لمراده.
(٥) في هـ. ب: لمن ادعى.
(٦) في ص: فلحاً، وفي هـ. د: الفلج والفلح كلاهما روي ـ ر. وفي هـ. ب: ظفراً.
(٧) في ص: حمّله.
(٨) في هـ. ب: التوسم : الفراسة.
(٩) في هـ. ب: أي اتخذه لائمة وهي الدرع الواسع.
(١٠) في هـ. ب: أي حفظ.

للقرآن والفضيلة التي حباها للقرآن كقانون اساسي للاسلام.

وقد سرد الامام هذه الآثار بقوله:

١- (جعله الله ريا لعطش العلماء)؛ فإنّ اصحاب العلم والمعرفة ينتفعون من علوم القرآن في الآفاق والانفس، وبدراستها يقفون على حقائقها التي لاتناقض ما يدعو اليه العلم.

٢-(وربيعا لقلوب الفقهاء) الذين يفهمون الخصائص ويميزون الحصى من الجوهر، فتسكن القلوب عند تلاوة القرآن الكريم.

٣- (محاج لطرق الصلحاء) والمحجة: الطريق المسلوك؛ فإنّ القرآن طريق للصالحين للسلوك في الحياة.

٤- (ودواء ليس بعده داء)؛ فإنّ الداء يؤثر على الجسم بسبب التاثير على العقل، فاذا طاب التفكير فتكون هناك مناعة فكرية ضد الداء، والقرآن دواء لكل داء في التفكير المنحرف عن الحرية الفكرية.

٥- (ونورا ليس معه ظلمة) حيث أن الظلمة والاشتباه يكون في القوانين المادية التي تسنّ غالبا للمصالح المادية، والقرآن قانون الهيب ينوّر القلوب للهداية.

٦- (وحبلا وثيقا عروته) فانّ العروة الوثقى هي التي يجب الاستمساك بها للنجاة في الحياة ٧ ـ(ومعقلا منيعا ذروته) فان علوّ المعقل يمنع العدوّ من الاقتحام، والقرآن حصن منيع مرتفع يمنع من وساوس الشيطان، ويعرّف الإنسان كلّ المزالق التي يمكن أن يبتلي بها الإنسان.

٨- (وعزا لمن تولاه)؛ فإنّ تولي القانون الاساسي يوجب العز للامة التي تعترف بها، حيث توحد كلمة المجتمع .

٩- (وسلما لمن دخله) فتتوقف عنده الخلافات في المواقف التزاما بحكم الله .

١٠- (وهدى لمن ائتم به) بالتطبيق في الحياة الشخصية والاسرية والاجتماعية .

١١- (وعذرا لمن انتحله) بان جعله نحلة ورأس مال له في الحياة، فيكون مستندا اليه في مواقفة التي يتخذها في الحياة كلها.

١٢- (وبرهانا لمن تكلم به) لما فيه من الحقائق التي تساند المواقف الصائبة .

١٣- (وشاهدا لمن خاصم به) في مقام الاجتجاج؛ لما فيه من الامثال التاريخية

وقصص الحق .

١٤- (وفلجا لمن حاج به) والفلج: الظفر، فيكون المحتج بالقرآن ظافرا لاستناده إلى الوحي الالهي الذي لابنكر، باعتباره القانون الاساسي الاسلامي .

١٥- (وحاملا لمن حمله) فى الدنيا بالعمل به، فيكون حافظا له في الآخرة يحمله إلى النجاة من اهوال القيامة .

١٦- (ومطية لمن أعمله) والمطية: ما يركب عليه للنجاة بالوصول إلى المقصد في السفر وما شابه، فيكون من يطبق القرآن في الحياة مستخدما اياه للنجاة من الدنيا من مشاكلها المادية والروحية، وفي الآخرة من العذاب والعقاب.

١٧- (وآية لمن توسم) والتوسم: التفرس، اقتباسا من قوله تعالى:﴿ان في ذلك لايات للمتوسمين﴾.[1] فان دراسة التواريخ القرانية تنطبق على موارد الحياة في الدنيا، فيتفرس منها الانسان المستقبل، للمواقف المتماثلة بين الماضي والحاضر .

١٨- (وجنة لمن استلام) اى لبس لأمة الحرب، فيكون بالقرآن الكريم وقاية عن المشاكل الروحية والمادية، كما يكون الترس جنة، ولأمة الحرب جنة في ساحة الحرب .

١٩- (وعلما لمن وعى) ودرس القرن عن وعي للمبادئ والوسائل والاهداف التي يدعوا اليها .

٢٠- (وحديثا لمن روى) التاريخ، وموارد العبرة فيه بالنسبة الى الماضي في القرون الخالية.

٢١- (وحكما لمن قضى) استنادا الى حكم الله تعالى لتطبيقه على الارض في المجتمع بالعدل، وحيث أن القرآن هو القانون الاساسي الاسلامي، فانه يشترك مع الاسلام في الاثار، فتقدم في الاسلام انّه (سقي من عطش) وفى آثار القران (جعله الله ريا لعطش العلماء)؛ فإنّ للقرآن الكريم باعتباره القانون الاساسي الاسلامي من الآثار على المجتمع الذي يحكمه على المبادي والوسائل والاهداف التي بشر بها الاسلام وطبقها النبي في حياته.

[١٩٩]

(١) الحجر: ٧٥.

ومن كلام له عليه السلام كان يوصى به أصحابه:

ويتضمن الصلاة والزكاة واداء الامانة وعلم الله تعالى .

تَعَاهَدُوا أَمْرَ الصَّلاَةِ وَحَافِظُوا عَلَيْهَا وَاسْتَكْثِرُوا مِنْهَا وَتَقَرَّبُوا بِهَا فَإِنَّهَا كَانَتْ عَلَى الْمُؤْمِنِينَ كِتَاباً مَوْقُوتاً. أَلاَ تَسْمَعُونَ إِلَى جَوَابِ أَهْلِ النَّارِ حِينَ سُئِلُوا: ﴿مَا سَلَكَكُمْ فِي سَقَرَ * قَالُوا لَمْ نَكُ مِنَ الْمُصَلِّينَ﴾[1].

وَإِنَّهَا لَتَحُتُّ[2] الذُّنُوبَ حَتَّ الْوَرَقِ وَتُطْلِقُهَا إِطْلاَقَ الرِّبَقِ[3] وَشَبَّهَهَا رَسُولُ اللهِ ﷺ بِالحَمَّةِ[4] تَكُونُ عَلَى بَابِ الرَّجُلِ فَهُوَ يَغْتَسِلُ مِنْهَا فِي الْيَوْمِ وَاللَّيْلَةِ خَمْسَ مَرَّاتٍ فَمَا عَسَى أَنْ يَبْقَى عَلَيْهِ مِنَ الدَّرَنِ. وَقَدْ عَرَفَ حَقَّهَا رِجَالٌ مِنَ الْمُؤْمِنِينَ الَّذِينَ لاَ تَشْغَلُهُمْ[5] عَنْهَا زِينَةُ مَتَاعٍ وَلاَ قُرَّةُ عَيْنٍ مِنْ وَلَدٍ وَلاَ مَالٍ، يَقُولُ اللهُ سُبْحَانَهُ: ﴿رِجَالٌ لاَ تُلْهِيهِمْ تِجَارَةٌ وَلاَ بَيْعٌ عَنْ ذِكْرِ اللهِ وَإِقَامِ الصَّلاَةِ وَإِيتَاءِ الزَّكَاةِ﴾[6] وَكَانَ رَسُولُ اللهِ ﷺ نَصِباً[7] بِالصَّلاَةِ بَعْدَ التَّبْشِيرِ لَهُ بِالْجَنَّةِ لِقَوْلِ اللهِ سُبْحَانَهُ: ﴿وَأْمُرْ أَهْلَكَ بِالصَّلاَةِ وَاصْطَبِرْ[8] عَلَيْهَا﴾[9] فَكَانَ يَأْمُرُ بها[10] أَهْلَهُ وَيُصْبِرُ[11] عَلَيْها[12] نَفْسَهُ.

(ط - ١٩٩ / ١) من وصاياه لاصحابه:

استفتح الكلام بالصلاة والزكاة وهما مسؤوليتان متلازمتان، احدهما عبادية محضة والاخرى عبادية اقتصادية معا، ولا يمكن التفكيك بينهما في أداء السلوكية الاسلاميّة، ثمّ عقبهما باداء الامانة التي هي جزء من المسؤولية الاسلاميّة، وختمها بعلم الله تعالى في كلّ هذه المقاطع الثلاث في النيات والاعمال واثارها:

(١) المدثر: ٤٢ - ٤٣ .
(٢) في هـ. ب: تسقط .
(٣) الرّبق جمع ربقة وهو حبل فيه عرى تربط بها الأشياء، وفي هـ. ب: الاحبال.
(٤) هـ. ب: الحفيرة التي فيها الماء الحارّ.
(٥) في هـ: لا يشغلهم.
(٦) النور: ٣٧.
(٧) في هـ. ب: تعبا .
(٨) في هـ. ب: اصبر .
(٩) طه: ١٣٢ .
(١٠) لم ترد «بها» في ط.
(١١) في هـ. ب: يحبس .
(١٢) لم ترد «عليها» في ط.

وعن الصلاة قال:

١-(تعاهدوا أمر الصلاة) وذلك بالتقيد في امرها على أن تودى على الوجه المطلوب، فلا تصح عبادة فاقدة لروح العبادة، ولا يحصل ذلك إلّا بالتعاهد، كما يتعاهد الإنسان الشئ العزيز عليه؛ للتأكد من سلامته .

٢-(وحافظوا عليها) من اداء واجباتها المطلوبة في صحتها، كما هو مشروح في كتب الفقه .

٣-(واستكثروا منها) لانها صلة الإنسان بربه مباشرة، وكل انسان يفتقر إلى صلة روحية معنوية للتغلب على مشاكل الحياة.

٤-(وتقربوا بها) حيث أن الصلاة قربان كلّ تقي فيتقرب بها إلى الله سبحانه.

وقد سرد الإمام امورا تستوجب النقاط الاربع المتقدمة بقوله:

الاول: فإنها ﴿كانت على المؤمنين كتابا موقوتا﴾ كما قال تعالى[1]. والكتاب: بمعنى الفرض، لايمكن تركه على أي حال من في الاحوال حتى الاضطرار فانه يكون بالايماء والاشارة .

الثاني: (ألا تسمعون إلى جواب أهل النار حين سئلوا : ﴿ما سلككم في سقر ؟ قالوا لم نك من المصلين﴾ اشارة إلى الاية ٤٢ من سورة المدثر؛ فإنّ ترك الصلاة موجب لخول النار.

الثالث: (وإنها لتحت الذنوب حت الورق وتطلقها إطلاق الربق) والحت: سقوط الورق وقت الخريف، والربق: جمع الربقة، وهي الحبل؛ فإنّ المذنب يكون في حبل المعصية حتى يؤدي ما عليه، وطبيعيّ أنّ الذنوب تخيلف باختلاف متعاقاتها، فحقوق الناس لا تغفر إلّا بأداءها الى أصحابها، وغيرها كما هو مشروح في الفقه.

الرابع: (وشبهها رسول الله ﷺ بالحمة تكون على باب الرجل، فهو يغتسل منها في اليوم والليلة خمس مرات، فما عسى أن يبقى عليه من الدرن؟) والحمة: عين الماء الحار، والدرن: الوسخ؛ فإنّ الذنوب يغسل بالصلوات الخمس، وللتفصيل راجع المسند.

الخامس: (وقد عرف حقها رجال من المؤمنين الذين لا تشغلهم عنها زينة متاع ولا

(١) النساء : ١٠٣ .

قرة عين من ولد ولا مال . يقول الله سبحانه: ﴿رجال لا تلهيهم تجارة ولا بيع عن ذكر الله وإقام الصلاة وإيتاء الزكاة﴾[١]؛ فإنّ الاية الكريمة وصف المومنين بالوصف الذي يستلزم الاهتمام بالصلاة والزكاة اهتماما جادا مساوقا للحياة المادية التي يهتم بها الإنسان عادة، كالتجارة والبيع؛ فإنّ التوازن بين الروح والمادّة هدف اسلامي، وقد قام بـذلك عـمليا المؤمنون من الصحابة في عهد الرسول ﷺ.

السادس: (وكان رسول الله ﷺ نصبا بالصلاة بعد التبشير له بالجنة بقول الله سبحانه: ﴿وامر اهلك بالصلاة واصطبر عليها﴾[٢] فكان يأمر بها اهله وبصير علها نفسه) والنصب: التعب؛ فإنّ الرسول القائد سن الصبر على الصلاة بنفسه، واتعبها في ذلك وامر أهله بها كما امر الله سبحانه.

وفي هذه النقاط الست نجد أن القرآن الكريم الدستور الاسلامي الخالد والسنة النبوية الكريمة المفسرة لها، تؤكدان على الاهتمام بالصلاة تعاهدا وحفظا واستكثارا وتـقربا، جعلنا الله جميعا من المصلين، آمين.

(٢ / ط - ١٩٩) الزكاة وآثارها:

ثُمَّ إِنَّ الزَّكَاةَ جُعِلَتْ مَعَ الصَّلاَةِ قُرْبَاناً لِأَهْلِ ٱلْإِسْلاَمِ. فَمَنْ أَعْطَاهَا طَيِّبَ النَّفْسِ بِهَا فَإِنَّهَا تُجْعَلُ لَهُ كَفَّارَةً وَمِنَ النَّارِ حِجَازاً[٣] وَوِقَايَةً فَلاَ يُتْبِعَنَّهَا[٤] أَحَدٌ نَفْسَهُ وَلَا يُكْثِرَنَّ عَلَيْهَا لَهَفَهُ[٥] فَإِنَّ مَنْ أَعْطَاهَا غَيْرَ طَيِّبِ النَّفْسِ بِهَا يَرْجُو بِهَا مَا هُوَ أَفْضَلُ مِنْهَا فَهُوَ جَاهِلٌ بِالسُّنَّةِ[٦] مَغْبُونُ[٧] ٱلْأَجْرِ. ضَالُّ ٱلْعَمَلِ. طَوِيلُ النَّدَمِ.

اشار الإمام إلى أن الصلاة والزكاة مقترنان في الوجوب والآثار، فكما أن الصلاة قربان كلّ تقيّ، يتقرب بها إلى الله، فكذلك الزكاة، وهما مقرونان معا في هذا الأثر جعلتا من الله سبحانه؛ لأن يتقرب اهل الاسلام بهما، وكل منها مقترن بأمرين، هما: النيّة وقصد القربة

(١) النور: ٣٧.
(٢) طه: ١٣٢.
(٣) في هـ. ب: في نسخة: حجاباً، وفي هـ. د: حجاباً ـ هامش ن.
(٤) في ص: فلا يتبعها.
(٥) في هـ. ب: حسرته.
(٦) في ص: السنه .
(٧) في هـ. ب: منقوص.

بهما إلى الله، وحيث أن النيّة في الصلاة امر قلبي لايظهر، فلم يشر الامام اليها، وأما الزكاة فان النيّة قربة اليه يمكن اكتشافها من اثر طيب النفس لها والمنّ على الفقير، فشرحـها الإمام وقال:

١ - (ثم إن الزكاة جعلت مع الصلاة قربانا لأهل الاسلام) ولايمكن الفصل بينهما، وقد وردت هذه المقارنة في ايات كثيرة كقوله تـعالى: ﴿الذيـن يـقيمون الصـلوة ويـؤتون الزكاة﴾.[١] فلا يمكن فصل أحدهما عن الآخر، فان أحـدهما واجب عـبادي والاخـر واجب عبادي اقتصادي، ولا تكون العبادة مقبولة عند الله من دون النيّة الخالصة إلى الله تعالى .

ثم شرح امر النيّة في الزكاة بأن القياس فيها طيب النفس بها، وعـلى هـذا القـياس وعدمه تترتب الآثار .

وعن اثار طيب النفس قال:

٢ - (فمن أعطاها طيب النفس بها) فله الاثر المطلوب .

اولا: (تجعل له كفارة) تكفر عن ذنوبه .

ثانيا:(ومن النار حجازا ووقاية) حيث عجل واجبه، ثمّ أشار إلى ما يعرف به طيب النفس بقوله:

(فلا يتبعنها أحد نفسه) بذكر اداء هذا الواجب بعد ادائه بذكر ما اداه (و لايكثرن عليها لهفة) بانه قد خرج من ماله إلى الخاص ما استحقه الفقير؛ فإنّ المال مال الله ﴿وفي اموالهم حق معلوم للسائل والمحروم﴾.[٢] فالركاة حق لهم وليس منه للمعطى عليهم قط، فإنّه بهذه للهفة كشف عن عدم خلوص النيّة .

٣-(؛ فإنّ من أعطاها غير طيب النفس بها يرجو بها ما هو أفضل منها) بأن لم تكن له النيّة الخالصة قربة الى الله، فان الآثار لا تترتب على هذا الزكاة:

اولا: (فهو جاهل بالسنة) وهي الطريقة التي فرضت الزكاة بها ومن أجلها .

ثانيا: (مغبون الأجر) والغبن: النقص؛ لأنّه عمل ناقص عن خلوص النيّة .

ثالثا: (ضال العمل)؛ فإنّ عمل بغير هداية لتشريع الزكاة واهداف ذلك .

(١) المائدة : ٥٥.
(٢) المعارج : ٢٤.

رابعا: (طويل الندم) حيث أن الخسارة المادية لاتعوض لخروجها إلى من يستحقها، وحصول القرب المعنوي إلى الله لايحصل حيث فقدت النيّة الخالصة لله، فيبقى النـدم مستداما على الحالتين.

(٣/ط - ١٩٩) اداء الامانة:

ثُمَّ أَدَاءَ ٱلْأَمَانَةِ، فَقَدْ خَابَ مَنْ لَيْسَ مِنْ أَهْلِهَا إِنَّهَا عُرِضَتْ عَلَى السَّمَواتِ المَبْنِيَّةِ وَٱلْأَرَضِينَ المَدْحُوَّةِ[١] وَٱلْجِبَالِ ذَاتِ الطُّولِ والعرض المَنْصُوبَةِ، فَلاَ أَطْوَلَ وَلَا أَعْرَضَ وَلَا أَعْلَى وَلَا أَعْظَمَ مِنْهَا. وَلَوِ ٱمْتَنَعَ شَيْءُ بِطُولٍ أَوْ عَرْضٍ أَوْ قُوَّةٍ أَوْ عِزٍّ لامْتَنَعْنَ وَلَكِنْ أَشْفَقْنَ مِنَ ٱلْعُقُوبَةِ. وَعَقَلْنَ مَا جَهِلَ مَنْ هُوَ أَضْعَفُ مِنْهُنَّ[٢] وَهُوَ ٱلْإِنْسَانُ ﴿إِنَّهُ كَانَ ظَلُوماً جَهُولاً﴾[٣].

اشار الإمام ﷺ في هذا المقطع إلى قوله تعالى: ﴿انا عرضنا الامانة على السموات والارض والجبال فابين أن يحملنها وأشفقن منها وحملها الإنسان انّه كان ظلوما جهولا﴾.[٤]

وقد اختلف المفسرون في تفسيرها، راجع: اوضح البيان والمادّة في المعجم.

والسياق في كلام الإمام يقتضي أن المراد من الامانة: المسؤوليّة الاسلاميّة بالعمل بالواجبات وترك المحرمات، وهي من الثوابت الاسلاميّة في المبادئ والوسائل والاهداف، ومنها: الصلاة واالزكاة، فانهما مسؤولتيان على عاتق كل مسلم في الحياة، ومن أجل ذلك عقبهما بأداء الأمانة، والله اعلم، فقال ﷺ:

١ – (ثمّ أداء الأمانة)؛ فإنّها فريضة اسلاميّة يجب ادائها بحقها.

٢ – (فقد خاب من ليس من أهلها) بأن تحملها ثمّ لم يؤديها اهمالا بالواجب.

والى السبب في كون اداء الامانة فريضة اسلاميّة اشار الى أن الإنسان تحملها لجهله بعظم المسؤولية، وبذلك ظلم نفسه، لعظم المسؤولية في ذلك.

واستدل على عظم مسؤولية الامانة ما اعرض عن قبول هذه الامانة من مخلوقات الله،

(١) أي المبسوطة.
(٢) في هـ. ب: خلق الانسان ضعيفا.
(٣) الاحزاب : ٧٢.
(٤) الاحزاب :٧٢.

حيث كان لها الخيار في الرفض أو القبول، ولكن الإنسان لم يرفض ذلك، بل اختار القبول، وهذا جهل منه؛ لان سائر المخلوقات اللاتي رفضت العرض كانت اقوى من الإنسان، وهي:

اولا: (السماوات المبنية) وقوة البناء فيها بقوة تماسكها.

ثانيا: (والأرضين المدحوة) حيث بسطت بامتدادها على الماء.

ثالثاً: (والجبال ذات الطول المنصوبة) اوتادا للارض.

وعن صفة الجبال قال: (فلا أطول ولا أعرض ولا أعلى ولا أعظم منها) من الناجية المادية؛ فإنّ الصفات المذكورة موجبة للقبول، حيث انّه (ولو امتنع شئ بطول أو عرض أو قوة أو عز لامتنعن).

وهذه الاصناف الثلاثة من مخلوقات الله تعالى امتنعن من قبول الامانة بالرغم من قوتهن الظاهرة، ولكن علمهن بثقل الامانة دفعهن إلى الرفض، وهو السبب في ذلك، كما قال ﷺ:(ولكن أشفقن من العقوبة) بسبب ثقل الامانة (وعقلن ما جهل من هو أضعف منهن، وهو الإنسان).

وضعفه في كلّ تلك الصفات الجسمية وغيرها من الطول والعرض في الجبال، ومن القوة في الارض، والعز في السماء.

وإلى السبب في هذا القبول من الانسان أشار إلى امرين، هما:

الأوّل: الظلم للنفس بتحمله ما هو فوق طاقته.

الثاني: الجهل بالمسؤوليّة وعظمها.

(٤/ط - ١٩٩) علم الله تعالى:

إِنَّ ٱللهَ سُبْحَانَهُ وَتَعَالَى لَا يَخْفَى عَلَيْهِ مَا ٱلْعِبَادُ مُقْتَرِفُونَ[١] فِي لَيْلِهِمْ وَنَهَارِهِمْ لَطُفَ بِهِ[٢] خُبْراً[٣] وَأَحَاطَ بِهِ عِلْماً. أَعْضَاؤُكُمْ شُهُودُهُ. وَجَوَارِحُكُمْ جُنُودُهُ وَضَمَائِرُكُمْ عُيُونُهُ وَخَلَوَاتُكُمْ عِيَانُهُ.

وختم المقطع بالاشارة إلى حدود علم الله تعالى الواسع باعمال العباد بما فيه من

(١) في هـ. ب: مكتسبون.
(٢) في ص: بهم.
(٣) في هـ. ب: أمتحاناً.

نياتهم في الاعمال من حب النفس وعدمه، وان كان ثوابه وعقابه على الاعمال، ولكن النيات لها اثرها كما ان لها أثارها في نفس الإنسان ودرجات القبول، فقال:

١ - ﴿إنه كان ظلوما جهولا﴾ إن الله سبحانه وتعالى لا يخفى عليه ما العباد مقترفون في ليلهم ونهارهم) باكتسابهم الاعمال من صالح يوجب الثواب وطالح يوجب العقاب.

وعن حقيقة العلم قال:

٢ ـ (لطف به خبرا ، وأحاط به علما) وانّ علمه عين ذاته ويحيط بكل مخلوقاته، والاخير هو المعرفة كما قال تعالى:﴿لاتدركه الابصار وهو يدرك الابصار وهو اللطيف الخبير﴾[١] حيث وصف نفسه باللطف والخبرة.

والى سعة علمه أشار الى ما يشهد به الإنسان على نفسه، فقال:

اولا: (أعضاؤكم شهود) تشهد على الإنسان باعماله .

ثانيا: (وجوارحكم جنود) حيث أن قدرة الله تعالى نافذة فيها.

ثالثا: (وضمائركم عيونه) فانه الذي وهبها القدرة للابصار.

رابعا: (وخلواتكم عيانه) لعلمه بها وبما يحصل فيها.

فان الله بكلّ شيئ عليم، وهو على كلّ شيئ قدير؛ لأنّ صفاته عين ذاته تعالى .

[٢٠٠]

ومن كلام له عليه السلام:

وَٱللهِ مَا مُعَاوِيَةُ بِأَدْهَى[٢] مِنِّي وَلَكِنَّهُ يَغْدِرُ وَيَفْجُرُ. وَلَوْلَا كَرَاهِيَةُ ٱلْغَدْرِ لَكُنْتُ مِنْ أَدْهَى ٱلنَّاسِ وَلَكِنْ كُلُّ غُدَرَةٍ فُجَرَةٌ[٣] وَلِكلِّ[٤] فُجَرَةٍ كَفْرَةٌ وَلِكُلِّ غَادِرٍ لِوَاءٌ يُعْرَفُ بِهِ يَوْمَ ٱلْقِيَامَةِ. وَٱللهِ مَا أُسْتَغْفَلُ[٥] بِالمَكِيدَةِ[٦] وَلَا أُسْتَغْمَزُ[٧] بِالشَّدِيدَةِ.

---

(١) الانعام:١٠٣.
(٢) في هـ. ب: أي أكيس .
(٣) في هـ. د: ولكل فجرة كفرة ـ ب . وفي هـ. ص: ويروىٰ غُدَرة وفُجرَة بضم الأول وفتح الثاني على فعله وهو كثير الغدر والفجور، وكل ما كان على هذا البناء فهو للمفعول يقال رجل ضحكة أي يضحك وضحكه أي يضحك منه ومثله سخرة وسُبه.
(٤) في ط : وكل.
(٥) في هـ. ب: ما استغفل من الغفال أي ما أُوخذ بالغفل.
(٦) في ب: من المكيدة.
(٧) في هـ. ب: استفعال من الغمز.

(١ / ٢٠٠ ـ ط) في معاوية:

للاسلام سياسة واضحة معلنة بتطبيق حكم الله على الارض من عدالة السماء لاهل الارض عامة في المبادئ والوسائل والاهداف، وهكذا كانت سياسة رسول الله صلى الله عليه وآله في حياته، وسار على خطاه الامام، ويناقض ذلك سياسة أعداء الاسلام وقد استمر عليها مشركوا العرب والكفر العالمي في عصره من أكاسرة الفرس وقياصرة الروم، وعلى راسهم أبو سفيان بن حرب الاموي، ومن بعدهم حتى فترة معاوية بن أبي سفيان الاموي في عصر الإمام .

والإمام يشير إلى تناقض السياسة في المبادي التي يدعو إلى العدالة بتطبيق حكم الله على الارض، والمبادئ التي يجب أن تكون عادلة كذلك حيث لاتبرر الغاية الوسيلة في الاسلام.

وفي الاهداف، حيث ليس من اهداف الحكم الاسلامي الحكم الملوكي بالوراثة، كما كانت في الاكاسرة الفرس والقياصرة الروم، بل الحكم بالشورى الذي يكون بأغلبية الآراء من الشعب، ويتحمل الحاكم الاسلامي المسؤوليّة مادام هذا العقد قائما على اساس اسلامي.

ويظهر من السياق أن هناك من وصف معاوية بالدهاء في الحرب، مشيرا إلى أن الإمام ليس بهذا الوصف، والإمام رد على هذا الاتهام بأن المواقف الاسلاميّة تستلزم العمل على استخدام الوسائل المشروعة في الحرب؛ لأنّه الله لايطاع بالمعصية، والغاية لاتبرر الوسيلة، ومعاوية لا يلتزم بهذه الوسائل الاسلاميّة، وهو باعتبارة قائد اسلاميّ يلتزم بها، فقال مؤكدا موقفه بالقسم:

١ - (والله ما معاوية بأدهى مني) والدهاء: جودة الرأي، فانهما معا من مكة المكرمة والتربية في منطقة واحدة يجعل الاطراف على درجة واحدة من الدهاء وتكافؤ في معرفة الخطط التي يستخدمها كلّ منهما في مواجهة الاخر، وخاصة في الحرب، حيث يستعد كلّ منها لاستنفاذ جهده لمعرفة خطط العدو وافشالها، كما سبق في وقعة الخندق في عهد الرسول صلى الله عليه وآله .

٢ ـ (ولكنّه يغدر ويفجر) ولكن معاوية كثير الغدر والفجور، والغدر ـ لغة ـ الخيانة ونقض العهد، والفجور: الانحراف عن الحق بالكذب .

٣ ـ(ولولا كراهية الغدر لكنت من أدهى الناس) للـمعرفة الكـاملة بأسـاليب العـدو وخططه في الغدر، والتي عاصرها الامام من عهد والد معاوية في حروبه ضد النبي ﷺ واستخدمها ابنه معاوية مع تطور الزمن، ومنها: التحالف مع الحكام البيزنطيين واعطائم الجزية للتفرغ ضد الإمام علي عليه السلام كما تحالف ابو سفيان مع اليهود ضد النبيّ؛ وانـتصر الرسول القائد عليهم في وقعة الاحزاب.

وذكر الإمام اسبابا ثلاثة مترابطة في الامتناع عن استخدام الوسائل غير المشروعة اسلاميّا في الحرب بقوله:

اولا: (ولكن كلّ غدرة فجرة) حيث أن الغدر ـ وهو الخيانة ـ يستلزم الكذب تلازما صريحا لاينفكان، والاسلام يتبنى الصراحة في المواقف المبتنية على المبادئ والوسائل الاسلاميّة المشروعة .

ثالثا: (وكل فجرة كفرة . ولكل غادر لواء يعرف به يوم القيامة)؛ فإنّ الهدف من الحرب الاسلاميّة ليس النصر بأية وسيلة كانت، كما عليه العدو، بل النصر لابدّ وان يكون بالطرق المشروعة، والايمان هو الدافع الاساسي في الحرب العقائدية، والغـدر يكـون مـعصية لاوامر الله تعالى في ساحة الحرب، ويؤاخذ عليه في يوم القيامة.

وهذه النقاط الاساسيّة تمنع عن استخدام ايّة وسيلة غير مشروعة اسلاميا، ومواقف كلّ من عليّ ومعاوية في الحرب شاهد بأن عليا لم يحاول التوصل الى النصر باستخدام الوسائل غير المشروعة، وليس عن عجز، بل عن روية واضحة للاسلام حسب المـبدأ والوسيلة والهدف، حيث انّه لايستخدم اساليب العدو وخططه من المقابلة بالمثل فقال:

اولا: (والله ما أستغفل بالمكيدة) والكيد: المكر، بأن يمارس الإمام المكيدة بالمقابل.

ثانيا: (ولا أستغمز بالشديدة) والغـمز: الطـعن بـالضعف عـند الشـدائـد المـوجب للاستسلام بالضغوط الشديدة من جانب الاعداء بالوسائل المختلفة، للـتعامل بـالمثل ونكران المبادي والوسائل والاهداف الاسلاميّة، والجلوس على مسـاندة المـفاوضات الخاصة كما هو شأن السياسيين الذين يتعاملون على حساب المبادئ.

قال ابن أبي الحديد في شرح نهج البلاغة ما نصه:« سياسة علي وجريها على سياسة الرسول عليه السلام (واعلم أن قوما ممن لم يعرف حقيقة فضل أمير المؤمنين عليه السلام ، زعموا أن عمر كان أسوس منه ، وإن كان هو أعلم من عمر ، وصرح الرئيس أبو علي بن سينا بذلك في

الشفاء في الحكمة ، وكان شيخنا أبو الحسين يميل إلى هذا ، وقد عرض به في كتاب الغرر [1] ، ثم زعم أعداؤه ومباغضوه أن معاوية كان أسوس منه وأصح تدبيرا ، وقد سبق لنـا بحث قديم في هذا الكتاب في بيان حسن سياسة أمير المؤمنين عليه السلام وصـحة تـدبيره ، ونحن نذكر هاهنا ما لم نذكره هناك مما يليق بهذا الفصل الذي نحن في شرحه . اعلم أن السائس لا يتمكن من السياسة البالغة إلّا إذا كان يعمل برأيه ، وبما يرى فيه صلاح ملكه ، وتمهيد أمره ، وتوطيد قاعدته ، سواء وافق الشريعة أو لم يوافقها ، ومتى لم يعمل فـي السياسة والتدبير بموجب ما قلناه ، فبعيد أن ينتظم أمـره ، أو يسـتوثق حـاله ، وأمـير المؤمنين كان مقيدا بقيود الشريعة ، مدفوعا إلى اتباعها ورفض ما يصلح اعتماده من آراء الحرب والكيد والتدبير إذا لم يكن للشرع موافقا ، فلم تكن قاعدته في خلافته قاعدة غيره ممن لم يلتزم بذلك ، ولسنا بهذا القول زارين على عمر بن الخطاب ، ولا ناسبين إليه ما هو منزه عنه ، ولكنه كان مجتهدا يعمل بالقياس والاستحسان والمصالح المـرسلة ، ويرى تخصيص عمومات النص بالآراء وبالاستنباط من أصول تقتضي خلاف ما يقتضيه عموم النصوص ، ويكيد خصمه ، ويأمر أمراءه بالكيد والحيلة ، ويؤدب بالدرة والسوط من يتغلب على ظنه أنه يستوجب ذلك ، ويصفح عن آخرين قد اجترموا ما يستحقون به التأديب ، كل ذلك بقوة اجتهاده وما يؤديه إليه نظره ، ولم يكن أمير المؤمنين عليه السلام يرى ذلك ، وكان يقف مع النصوص والظواهر ، ولا يتعداها إلى الاجتهاد والأقيسة ، ويطبق أمور الدنيا على أمور الدين ، ويسوق الكل مساقا واحدا ، ولا يضيع ولا يرفع إلّا بالكتاب والنص ، فاختلفت طريقتاهما في الخلافة والسياسة ، وكان عمر مع ذلك شديد الغـلظة والسياسة ، وكان علي عليه السلام كثير الحلم والصفح والتجاوز ، فازدادت خـلافة ذاك قـوة ، وخلافة هذا لينا ، ولم يمن عمر بما منى به علي عليه السلام من فتنة عثمان ، التي أحوجته إلى مداراة أصحابه وجنده ومقاربتهم ، للاضطراب الواقع بطريق تلك الفتنة ، ثم تلا ذلك فتنة الجمل ، وفتنة صفين ثم فتنة النهروان ، وكل هذه الأمور مؤثرة في اضطراب أمر الوالي وانحلال معاقد ملكه ، ولم يتفق لعمر شئ من ذلك ، فشتان بين الخلافتين فيما يعود إلى

(١) هو كتاب الغرر لأبي الحسين البصري ، في أصول الكلام ، شرحه المؤلف ، وسماه «شـرح مشكلات الغرر» ، ذكره صاحب روضات الجنات .

انتظام المملكة وصحة تدبير الخلافة!».[1]

[٢٠١]

ومن كلام له عليه السلام:

أَيُّهَا النَّاسُ لَا تَسْتَوْحِشُوا[2] فِي طَرِيقِ الْهُدَى لِقِلَّةِ أَهْلِهِ فَإِنَّ النَّاسَ قَدِ اجْتَمَعُوا عَلَى مَائِدَةٍ[3] شِبَعُهَا قَصِيرٌ وَجُوعُهَا طَوِيلٌ.

أَيُّهَا النَّاسُ إِنَّمَا يَجْمَعُ النَّاسَ[4] الرِّضَى وَالسُّخْطُ وَإِنَّمَا عَقَرَ نَاقَةَ ثَمُودَ رَجُلٌ وَاحِدٌ فَعَمَّهُمُ[5] اللهُ[6] بِالْعَذَابِ لَمَّا عَمُّوهُ بِالرِّضَا فَقَالَ سُبْحَانَهُ: ﴿فَعَقَرُوهَا فَأَصْبَحُوا نَادِمِينَ﴾[7] فَمَا كَانَ إِلَّا أَنْ خَارَتْ[8] أَرْضُهُمْ بِالْخَسْفَةِ خُوَارَ السِّكَّةِ الْمُحْمَاةِ[9] فِي الْأَرْضِ الْخَوَّارَةِ[10].

أَيُّهَا النَّاسُ مَنْ سَلَكَ الطَّرِيقَ الْوَاضِحَ وَرَدَ الْمَاءَ وَمَنْ خَالَفَ وَقَعَ فِي التِّيهِ[11].

(ط - ٢٠١ / ١) اهمال المسؤولية:

يؤكد الاسلام على المسؤوليّة وعلى ما يترتب على اهمالها من الآثار العامة في المجتمع؛، فإنّ ارتكاب الجريمة بواسطة فرد خاص هو المسؤول بالمباشرة، ولابد أن ينفذ فيه العقاب للمباشرة، ولكن أثر الجرائم العامة تعم غيره ممّن رضي به ام لا، فمن يستخدم قنبلة يقتل بها جماعة، فان أثر ذلك لايختص بالقاتل نفسه، وكلما كانت الجريمة اكبر كان الاثر كذلك، والمسؤوليّة انما تتعلق بغيره لاهمالهم مسؤولياتهم بالتعاون والرضا مع من يرتكب الجريمة، ولذلك جاء:«ان العامل بالظلم والراضي به شركاء» وجاء:«ان الله حرم

(١) شرح نهج البلاغة ؛ ابن أبي الحديد ١٠ : ٢١٢ ـ ٢١٣.
(٢) في هـ . ب: من الوحشة وهي الوجل.
(٣) هـ . ب: المائدة يريد بها الدنيا، ويقال يريد بها معاوية.
(٤) أي يجمعهم في استحقاق العقاب.
(٥) هـ . ب: عم الشيء شمل الجماعة.
(٦) في ب زيادة تعالى.
(٧) هود : ٦٥ .
(٨) في هـ . ب: الخوار: صوت العجل والبقر.
(٩) السكة المحماة: حديدة المحراث اذا أحميت في النار، فتكون أسرع غوراً في الأرض.
(١٠) في هـ . ب: السهلة، والخور من الأرض المنخفض من السهل وأرض خوارة أي ضعيفة رخوة سهلة.
(١١) في هـ . ب: التحيّر.

الخمر وبائعها وحارسها»، فإنّ ذلك تعاون على الشيئ المحرم، والاثر الذي يترتب على العمل لايفرق فيه بين النيّة وغيرها في الخارج.

واستفتح الإمام المقطع بالتأكيد على أن المسؤولية الاسلاميّة تفرض التحرك بالرؤية الواضحة للمباديء والوسائل والاهداف، واذا تحققت هذه الرؤية فلا ينبغي الوحشة والخوف لعامل القلّة؛ فإنّ دعاة الاصلاح في أي مجتمع هم قلة من الناس، يعتبرون الطليعة الواعية الذين يقومون بمسؤولياتهم ويحققون آمال المجتمع.

واكد الإمام على حقائق ثلاث تلازم الحركة السائرة برؤية واضحة، فقال:

الحقيقة الاولى: الطليعة الداعية الى الاصلاح، فقال :(أيها الناس لا تستوحشوا في طريق الهدى لقلة اهله)؛ فإنّ الدعاة للاصلاح –كما يشهد التاريخ – هم القلة من اصحاب الوعي العارفين بالداء والدواء للاصلاح، ومن اجل ذلك جاء الذم في القرآن الكريم للكثرة الغافلة في ايات، منها: قوله تعالى: ﴿و اكثرهم الفاسقون﴾[1] و﴿ولكن اكثرهم لايعلمون﴾[2] ﴿ولكن اكثرهم يجهلون﴾[3] وغيرها، فلا تكون الكثرة معياراً لطريق الهدى، كمامدح الله القلة في ايات اخر، قال تعالى:﴿إلّا قليل﴾[4] و﴿وقليل من عبادي الشكور﴾[5] و﴿إلّا الذين امنوا وعملوا الصالحات وقليل ما هم﴾[6] .

ثم أشار إلى السبب في قلة دعاة الاصلاح وكثرة غيرهم بقوله:

(فان الناس قد اجتمعوا على مساندة شبعها قصير وجوعها طويل) فان السبب الحقيقي حسب المادّة والماديات في الدنيا حيث أنها مساندة يستفيدون منها ويستخدمونها لحاجاتهم الشخصية في حياتهم، وهذه الحاجات وان كانت تؤمّن لفترة مّا من الحياة، فإنّها قصيرة؛ لاستمرار لها، وهو الشبع إلى الابد فسرعان ما يتعقبها الجوع الذي يستمر، كما هو الحال في كلّ الماديات في الدنيا من الاموال والعناوين الخيالية التي ستزول بالفصل عنها عن استحقاق أو بدونها، ولو لم يكن فيها عبرة سوى زوالها لكانت

(١) آل عمران : ١١٠.
(٢) الانعام : ٣٧.
(٣) الانعام : ١١١.
(٤) هود : ٤٠.
(٥) سبأ: ١٣.
(٦) الانعام : ٣٧؟؟.

كافية للاعراض عنها، والله العاصم.

الحقيقة الثانية:

ان الرضا بالجريمة جريمة اخلاقية، فقال:﴿ ايها الناس انما يجمع الناس الرضى والسخط) فكما أن الراضي يفعل قوم يكون منهم، والساخط على فعل يكون خارجا من جماعتهم، فالمقياس الجامع في الوحدة الرضا والسخط على الافعال التي هي تطبيق للمبادئ المشتركة بينهم، فاذا قام احدهم بالجريمة ولم ينهه عنها غيره كان مهملاً للمسؤولية التي هي النهي عن المنكر، فيؤاخذ على اهمال المسؤولية، وان لم تكن هذه المسؤولية بدرجة المباشرة للجريمة.

وكذلك تكون حالات الحرب التي تشنّ من قبل الاعداء ويذهب فيها اناس لم يباشروا الحرب بأنفسهم ولكن برضاهم بموقف القائد المعتدي يشاركون المعتدي في الحرب.

مثال تاريخي:

وقد استشهد الإمام بمثل تاريخي من قوم ثمود، ونبيهم صالح عليه السلام والرسالة التي تحملها وعقاب الجريمة الذي عم المجتمع بصورة عامة.

فقال :(وإنما عقر ناقة ثمود رجل واحد فعمهم الله بالعذاب لما عموه بالرضا، فقال سبحانه : ﴿فعقروها فأصبحوا نادمين﴾).

وعن نتيجة العقاب قال: (فما كان إلّا أن خارت أرضهم بالخسفة خوار السكة المحماة في الأرض الخوارة) وقد تكررت الاشارة الى قصة ثمود في القرآن الكريم وسورة الاعراف وهود والحج وغيرها، واستشهد الإمام بسورة الشعراء، فقال:﴿ كَذَّبَتْ ثَمُودُ ٱلْمُرْسَلِينَ ○ إِذْ قَالَ لَهُمْ أَخُوهُمْ صَالِحٌ أَلَا تَتَّقُونَ ﴾[1] الى قوله: ﴿قَالُوا إِنَّمَا أَنتَ مِنَ ٱلْمُسَحَّرِينَ ○ مَا أَنتَ إِلَّا بَشَرٌ مِّثْلُنَا فَأْتِ بِآيَةٍ إِن كُنتَ مِنَ ٱلصَّادِقِينَ ○ قَالَ هَٰذِهِ نَاقَةٌ لَّهَا شِرْبٌ وَلَكُمْ شِرْبُ يَوْمٍ مَّعْلُومٍ ○ وَلَا تَمَسُّوهَا بِسُوءٍ فَيَأْخُذَكُمْ عَذَابُ يَوْمٍ عَظِيمٍ ○ فَعَقَرُوهَا فَأَصْبَحُوا نَادِمِينَ ○ فَأَخَذَهُمُ ٱلْعَذَابُ إِنَّ فِي ذَٰلِكَ لَآيَةً وَمَا كَانَ أَكْثَرُهُم مُّؤْمِنِينَ ﴾[2] حيث أن الدعوة كانت إلى تطبيق العدالة في كلّ خلق الله سبحانه بما فيها الناقة ليكون لها

---

(١) الشّعراء : ١٤٢.
(٢) الشّعراء : ١٥٣ ـ ١٥٨.

حصتها من الماء.

والخطاب لثمود عامة، وهم من ولد ثمود بن عائر بن ارم بن سام بن نوح، في منطقة قريبة من تبوك تسمى بمدائن صالح، نسبة إلى نبيهم صالح، والمرتكب للجريمة وهي قتل الناقة ظلما واحدٌ منهم: ولكن فعله كان مرضيّا للجميع فعمهم العقاب بالصيحة والزلزلة، حيث أن الارض خسفت بهم بسبب العصيان لامر الله تعالى.

وأشار إلى صفة الخسف بأنه كان مصحوبا بصوت الخور، الذي هو من اوصاف صوت الثور، وكذلك يحصل الصوت بالسكة وهي آلة الحرث المحماة بالنار اذا استعملت في الارض السهلة، وللدلالة على أن الصوت كان صوتا غير طبيعيّ كما هو الحال في الصاعقة.

الحقيقة الثالثة:

ان تحمل المسؤولية وادائها بالرغم من عدم الاستجابة لها فيما اذا تجمعت الاسباب الداعية الى ذلك، والشرائط الموجبة للنجاح تؤدى إلى النتيجة، فقال: (أيها الناس، من سلك الطريق الواضح ورد الماء ، ومن خالف وقع في التية).

فان اجتماع شرائط النصر يحتّم على الإنسان المسؤول العمل لتقدم نحوه، ولكل عمل نتيجة، فلا بد ـ أن اجتمعت الشرائط ـ أن يحصل على النتيجة والوصول إلى المقصد لمن يطلب الماء من الطرق المؤدية اليه، ومن لم يتحرك نحو ذلك لابدّ وان يظلّ تائهاً؛ فإنّه ليس للانسان إلّا ما سعى، وانّ سعيه سوف يرى، والله الموفّق.

قال ابن أبي الحديد في شرح نهج البلاغة ما نصه:« قصة صالح وثمود (قال: المفسرون : إن عادا لما أهلكت عمرت ثمود بلادها وخلفوهم في الأرض ، وكثروا وعمروا أعمارا طوالا ، حتى إن الرجل كان يبنى المسكن المحكم فينهدم في حياته ، فنحتوا البيوت في الجبال ، وكانوا في سعة ورخاء من العيش فعتوا على الله ، وأفسدوا في الأرض ، وعبدوا الأوثان ، فبعث الله إليهم صالحا ، وكانوا قوما عربا ، وصالح من أوسطهم نسبا ، فما آمن به إلّا قليل منهم مستضعفون ، فحذرهم وأنذرهم ، فسألوه آية ، فقال: أية آية تريدون ؟ قالوا: تخرج معنا إلى عيدنا – في يوم معلوم لهم من السنة – فتدعو إلهك وندعو إلهنا ، فإن استجيب لك اتبعناك ، وإن استجيب لنا اتبعتنا . قال: نعم ، فخرج معهم ، ودعوا أوثانهم ، وسألوها الاستجابة فلم تجب ، فقال: سيدهم جندع بن عمرو – وأشار إلى صخرة منفردة

في ناحية الجبل يسمونها الكاثبة : أخرج لنا في هذه الصخرة ناقة مخترجة جوفاء وبراء - والمخترجة : التي شاكلت البخت [١]. فإن فعلت صدقناك وأجبناك ، فأخذ عليهم المواثيق ، لئن فعلت ذلك لتؤمنن ولتصدقن ؟ قالوا : نعم ، فصلى ودعا ربه ، فتمخضت الصخرة تمخض النتوج بولدها ، فانصدعت عن ناقة عشراء [٢] جوفاء وبراء كما وصفوا ، لا يعلم ما بين جنبيها إلّا الله ، وعظماؤهم ينظرون . ثم نتجت ولدا مثلها في العظم ، فآمن به جندع ورهط من قومه ، ومنع أعقابهم ناس من رؤوسهم أن يؤمنوا ، فمكثت الناقة مع ولدها ترعى الشجر وتشرب الماء ، وكانت ترد غبا ، فإذا كان يومها وضعت رأسها في البئر ، فما ترفعه حتى تشرب كل ماء فيها ثم تتفجح ، فيحتلبون ما شاءوا حتى تمتلئ أوانيهم ، فيشربون ويدخرون فإذا وقع الحر تصيفت بظهر الوادي ، فتهرب منها أنعامهم ، فتهبط إلى بطنه ، وإذا وقع البرد تشتت ببطن الوادي فتهرب مواشيهم إلى ظهره ، فشق ذلك عليهم ، وزينت عقرها لهم امرأتان : عنيزة أم غنم وصدقة بنت المختار ، لما أضرت به من مواشيهما ، وكانتا كثيرتي المواشي ، فعقروها ، عقرها قدار الأحمر ، واقتسموا لحمها وطبخوه . فانطلق سقبها [٣] حتى رقى جبلا اسمه قارة ، فرغا ثلاثا ، وكان صالح قال: لهم : أدركوا الفصيل عسى أن يرفع عنكم العذاب ، فلم يقدروا عليه ، وانفجت الصخرة بعد رغائه فدخلها ، فقال: لهم صالح : تصبحون غدا ووجوهكم مصفرة وبعد غد وجوهكم محمرة ، واليوم الثالث وجوهكم مسودة ، ثم يغشاكم العذاب . فلما رأوا العلامات طلبوا أن يقتلوه ، فأنجاه الله سبحانه إلى أرض فلسطين ، فلما كان اليوم الرابع ، وارتفعت الضحوة ، تحنطوا بالصبر ، وتكفنوا بالأنطاع ، فأتتهم صيحة من السماء وخسف شديد وزلزال ، فتقطعت قلوبهم فهلكوا . وقد جاء في الحديث أن رسول الله ﷺ مر بالحجر في غزوة تبوك ، فقال: لأصحابه : لا يدخلن أحد منكم القرية ، ولا تشربوا من مائها ، ولا تدخلوا على هؤلاء المعذبين إلّا أن تمروا باكين أن يصيبكم مثل ما أصابهم . وروى المحدثون أن النبي ﷺ قال: لعلي عليه السلام : أتدري من أشقى الأولين ؟ قال: نعم ، عاقر ناقة صالح قال: أفتدري من أشقى الآخرين ؟ قال: الله ورسوله أعلم ، قال: من يضربك على هذه ، حتى

(١) البخت : الإبل الخراسانية .
(٢) العشراء من النوق : التي مضى لحملها عشرة أشهر أو ثمانية ، وجمعها عشار ، بكسر العين .
(٣) السقب : ولد الناقة ، خاص بالذكر .

تخضب هذه».[١]

[٢٠٢]

ومن كلام له عليه السلام:

روي [٢] أنّه قاله عند دفن سيدة النساء فاطمة صلّى الله عليهما[٣] كالمناجى بِه رسول آلله ﷺ عند قبرِهِ:

أَلسَّلَامُ عَلَيْكَ يا رَسُولَ ٱللهِ عَنِّي وَعَنِ ابْنَتِكَ النَّازِلَةِ فِي جِوَارِك وَالسَّرِيعَةِ ٱللَّحاقِ بِكَ. قَلَّ يا رَسُولَ ٱللهِ عَنْ صَفِيَّتِكَ صَبْرِي. وَرَقَّ عَنْها تَجَلّدِي[٤]. إِلّا أَنَّ لِي فِي التَّأَسِّي[٥] بِعَظِيمِ فُرْقَتِكَ وَفادِحِ[٦] مُصِيبَتِكَ مَوْضِعَ تَعَزٍّ[٧]. فَلَقَدْ وَسَّدْتُكَ[٨] فى مَلْحُودَةِ[٩] قَبْرِكَ. وَفاضَتْ بَيْنَ نَحْرِي وَصَدْرِي نَفْسُكَ[١٠]. فإِنَّا[١١] لِلهِ وَإِنَّا إِلَيْهِ رَاجِعُونَ. فَلَقَدِ اسْتُرْجِعَتِ[١٢] الْوَدِيعَةُ[١٣]. وَأُخِذَتِ الرَّهِينَةُ[١٤]. أَمَّا حُزْنِي فَسَرْمَدٌ. وَأَمَّا لَيْلِي فَمُسَهَّدٌ[١٥] إِلَى أَنْ يَخْتارَ ٱللهُ لِي[١٦] دارَكَ الَّتِي أَنْتَ بِهَا مُقِيمٌ[١٧] وَسَتُنَبِّئُكَ ٱبْنَتُكَ بِتَضافُرِ أُمَّتِكَ على هَضْمِها[١٨] فأَحْفِها[١٩] السُّؤَالَ وَأَسْتَخْبِرَها الحَالَ هَذَا وَلَمْ يَطُلِ الْعَهْدُ. ولمْ يَخْلُ مِنْكَ الذِّكْرُ. وَالسَّلَامُ عَلَيْكُما سَلَامَ مُوَدِّعٍ

(١) شرح نهج البلاغة ؛ ابن أبي الحديد ١٠ : ٢٦٢ ـ ٢٦٥.
(٢) في ب زيادة : عنه .
(٣) في ط عليهما السلام ، وفي هـ. ب: ثلاثة وتسعين يوماً بقيت بعد رسول الله ﷺ .
(٤) في هـ. ب: تصبّري.
(٥) العبارة في ب هكذا: ان في التأسي لي، وفي هـ. ب: في نسخة: ان لي في التأسي لي.
(٦) في هـ. ب: ثقيل.
(٧) في هـ. ب: تصبر.
(٨) في هـ. ب: من الوساد.
(٩) في هـ. ب: اللحد والملحودة واحد.
(١٠) في هـ. ب: روحك.
(١١) كذا في ط، وفي سائر النسخ: انا .
(١٢) في هـ. ب في نسخة : استوجعت .
(١٣) في هـ. ب: يعني به فاطمة عليها الصلاة والسلام.
(١٤) في هـ. ب: فاطمة.
(١٥) أي ينقضي بالسهاد وهو السهر.
(١٦) في ص: لي الله.
(١٧) في هـ. ب: أي الجنة.
(١٨) لم ترد «بتظافر امتك علىٰ هضمها» في ب و ص، وفي هـ. د: العبارة ساقطة من م و ف و ن و ل و ش، والهضم: الظلم.
(١٩) في هـ. ب: احف اي استقص، أي طالب الأقصى في السؤال.

لَا قالٍ[١] وَلَا سَئِمٍ[٢] فَإِنْ أَنْصَرِفْ فَلَا عَنْ مَلَالَةٍ. وَإِنْ أُقِمْ فَلَا عَنْ سُوءِ ظَنٍّ بِمَا وَعَدَ اللهُ الصَّابِرِينَ.

(ط ـ ٢٠٢ / ١) المرأة المسلمة المثالية:

عاصرت فاطمة الزهراء المحنة في عصر الرسالة، حيث ولدت في السنة الخامسة بعد النبوة، وتأثرت بهدى ابيها النبي القائد في كلّ السمات، فكانت اشبه الناس سمتا وقياما وقعوداً بابيها الرسولﷺ، وورثت حبّها لابيها من امها خديجة الكبرى نصيرة الاسلام، ودافعت عن ابيها في صغرها حينما ألقى المشركون العرب على راس النبيّ في الصلاة القاذورات، حتّى لقبها الرسول بأُمّ ابيها، وخصها بفضائل تضمنتها كتب التاريخ، فكانت الاولى التي تخرجت من مدرسة النبوة وسارت على نهج ابيها القائد، وسارّها في مرض موته بما لم يسار احداً من اصحابه واقربائه، فكانت موضع سرّه، والوحيدة من ولده، وشاء الله أن لاتبقى لابيها ذرية إلّا منها، واستمر منها نسلهﷺ، وكانت تتمتع بالرؤية الواضحة للمبادئ والوسائل والاهداف الاسلاميّة. (راجع موارد الاعتبار، والمادّة في المعجم).

فاذا تأمل الإنسان العمر الذي عاشته هذه المرأة المسلمة المثالية وقارن ذلك بمواقفها في ايام المحنة في مكة قبل النبوة، وفي المهجر بعدها، حتّى عهد الخلافة، والذي لم يستمر عمرها حتّى ماتت في الثامنة عشر من العمر، يجد فيها من الوعي الاسلامي للمبادئ والمواقف الاسلامية في الصمود والسير على خطى السنة النبوية الشريفة دروسا عظيمة لا قياس لها.

ومن اعرف من زوجها الامام بهذه الخصائص التي تميّزها عن غيرها؟ حيث قال حين دفنها:

١ ـ (السلام عليك يا رسول الله عني)؛ فإنّ الرسول هو المعزّى في هذه الوفاة دون غيره، فانه كان على علم بسرعة لحاقها به، حيث أن الرسول القائد اخبرها بذلك في مرض موته.

٢ ـ (وعن ابنتك النازلة في جوارك)؛ فإنّ مواقف الزوجين واحدة في الرؤية الواضحة

(١) في هـ. ب: مبغض.
(٢) ب: سائم و في هـ. ب: سئم.

للمبادئ والوسائل والاهداف الاسلامية، فهي قد نزلت في جوار ابيها دفناً كما حققته في مزارات اهل البيت، فراجع. وسواءً في الحياة أو الممات فهي على نفس الرؤية.

٣ ـ (والسريعة اللحاق بك) حيث لم يدم حياتها بعد ابيها سوى شهور، وقد اخبرها بذلك كما في رواية البخاري، قال: «ان النبيّ دعا فاطمة في شكواه الذي قبض فيه، فبكت، ولما اسر اليها بشئ فضحكت، فسألتها عائشة عن بكائها، ثمّ ضحكها فقالت: سارني انّه يقبض في مرضه هذا فبكيت، ثمّ سارني اني اول اهل بيته اتبعه فضحكت» وكان الأمر كما اخبرﷺ، حيث أنها توفيت في ٣ جمادى الثانية نفس عام وفاة الرسول القائد، وكيف هذا الفراق على من عاش معها كلّ الحياة بحلوها ومرّها؟ وهو يعلم انّه لا يوازيها امرأة في الحياة قط، انها فاجعة لن تعوّض قط، فقال في ذلك:

٤ ـ (قلّ يا رسول الله عن صفيتك صبري) فكيف يمكن الصبر على مثال الوفاء والصدق في الحياة الزوجية بكل معنى لمبادي الزواج في الاسلام، وهي صفيّة النبي القائد وخريجة مدرسة النبوة؟!.

٥ ـ (ورق عنها تجلدي) والتجلّد: محاولة القوّة واحتمال الفجيعة، وهي في الموت عامة تستلزم الرضا بأمر الله وقدره، ولكن لموت العزيز اثره في القلب والنفس.

٦ ـ (إلّا أن لي في التأسي بعظيم فرقتك) باعتبارك المربي لها والمعلم في سلوكها (وفادح مصيبتك) الثقيلة (موضع تعزٍّ) أي عزاء للصبر على فقدان القائد (فلقد وسّدتك في ملحودة قبرك) الموضع المعد للدفن من القبر (وفاضت بين نحري وصدري نفسك) لقرب الإمام من النبيّ ﷺ في مرض الموت (فإنا لله وإنا إليه راجعون) من هذه الفرقة بين القائدﷺ والإمامعليه السلام عملا بما امر الله سبحانه من القول عند المصيبة.

فلا عزاء على فقدان الزوجة المثالية في الاسلام إلّا بالعزاء بابيها عليه الصلاة والسلام.

وإلى واقع الحال اشار بقوله:

٧ ـ (فلقد استرجعت الوديعة) ومن ذلك يظهر أن النبي القائد ربما استخدم هذه اللفظة أو ما يؤدي معناها عند زواجها بالإمام.

٨ ـ (وأخذت الرهينة) وان السيدة فاطمة(ره) كانت كالرهينة امانة في عنق الإمام في الاحتفاظ بها وحقوقها وعامة حالها كما هي الحال في كلّ من يقدم على الزواج، وخاصة

لمقامها الطاهر في الاسلام.

وعن نتيجة هذا الفراق على شخص الإمام قال:

٨ ـ (أما حزني فسرمد) أي دائم مادام الحياة مستمرة؛ للذكريات عن هـذه الحـياة الزوجية الاسلامية التي كانت متمثلة بشخص سيدة النساء فاطمة الزهراء.

٩ ـ(وأما ليلي فمسهد) والسهاد: السهر لغلبة الحزن المانعة من النوم، وكلما كان الحزن اعمق كان السهاد اكثر، حتّى يتصل الليل بالنهار. ولكن بالنسبةإلى شخص الإمام فاشار بقوله:

١٠ ـ(إلى أن يختار الله لي داركَ التي أنت بها مقيم) بالموت، حيث أن هذه الذكريات لا يمكن نسيانها قط؛ لما فيها من مظاهر الوفاء الصادق للمبادئ والوسائل والاهـداف الاسلامية التي عاشها كلّ واحد منهما.

وعن الحوادث التي جرت عليها بعد وفاة النبيّ أشار بقوله:

١١ ـ(وستنبئك ابنتك بتضافر أمتك على هضمها) اشارة إلى مصادرة فدك منها (راجع المادّة في المعجم).

١٢ ـ(فأحفها السؤال واستخبرها الحال) والاحفاء: الاستقصاء، فإنّها باعتبار انها بنت الرسول لا تريد الشكوى التي توجع قلب الرسول، فلا يمكن الوصول إلى تظلمها بالسؤال المتكرر حتّى تتكلم بالحقائق.

ثم أشار إلى ما يزيد هذا الموقت حزنا تسابق الاحداث في ذلك فقال:

١٣ ـ(هذا ولم يطل العهد . ولم يخل منك الذكر)؛ فإنّ العهد النبوي لم يمض عليه سنة بعد، ولم ينس المسلمون ذكريات النبيﷺ في كلّ مجلس، فكيف أن ابنته الوحيدة هضم حقها في هذا العهد القريب؟ والله وحده هو الحسيب.

وعن واجبه في هذه الحالة الثانية قال:

١٤ ـ(والسلام عليكما) لوحدتكما في المبادي والوسائل والاهداف الاسلاميّة.

١٥ ـ(سلام مودع) يودّي واجبه الاسلامي بالرغم من الاحزان القاسية، وهذا الواجب هو:

أوّلاً: (سلام مودع) مؤمن بمسؤولياته الاسلامية في حالة الموت.

ثانياً: (لا قالٍ) وهو المبغض؛ فإنّ ارادة الله سبحانه هي الحاكمة والامام راضٍ بقضائه.

ثالثاً: (ولا سئمٍ) والسأم: الملل من طول المدة الزمنيّة من العمل؛ فإنّ العمل المفروض في هذه الحالة السلام والوداع، كما امر الله ورسوله في مواقع الدفن.

رابعاً: (وإن أقم فلا عن سوء ظنٍّ بما وعـد الله الصـابرين) بـل بـما يـوجبه الواجب الاسلامي من تكريم الاموات بعد الموت بقرائة الدعوات والقرآن وزيارة الاموات عبرة بقصر الحياة وعظم المسؤوليات، والله البصير في كلّ الحالات.

[٢٠٣]

ومن كلام له عليه السلام:

أَيُّهَا النَّاسُ إِنَّما الدُّنْيَا دَارُ مَجَازٍ وَالآخِرَةُ دَارُ قَرَارٍ فَخُذُوا مِنْ مَمَرِّكُمْ لِمَقَرِّكُمْ وَلَا تَهْتِكُوا أَسْتارَكُمْ عِنْدَ مَنْ يَعْلَمُ أَسْرَارَكُمْ وَأَخْرِجُوا مِنَ ٱلدُّنْيَا قُلُوبَكُمْ مِنْ قَبْلِ أَنْ تَخْرُجَ مِنْهَا أَبْدَانُكُمْ فَفِيهَا ٱخْتُبِرْتُمْ وَلِغَيْرِهَا خُلِقْتُمْ إِنَّ الْمَرْءَ إِذَا هَلَكَ قَالَ النَّاسُ مَا تَرَكَ وَقَالَتِ ٱلْمَلَائِكَةُ مَا قَدَّمَ لِلّهِ آباؤُكُمْ فَقَدِّمُوا بَعْضاً يَكُنْ لَكُمْ[1] وَلَا تُخْلِّفُوا[2] كُلًّا[3] فَيَكُونُ[4] عَلَيْكُمْ.

(١/ط ـ ٢٠٣) في التزهيد من الدنيا والترغيب في الاخرة:

يتضمن هذا المقطع من خصائص الدنيا التي لا ينكرها احد في الحياة والعلم بـهذه الحقيقة يستلزم الاستعداد لما تتطلبه هذه الحقيقة من الالتزامات، فقالعليه السلام:

١ ـ(أيها الناس) على اختلاف الطبقات والامم والافراد والشعوب.

٢ ـ(إنما الدنيا دار مجاز) فالحقيقة التي لا تنكر أن كلّ انسان في هذه الدنيا يجوزها ولا يستقر فيها خالداً مهما عاش طويلا، فانه لم يخلد في الحياة أحد قط، فـلابد مـن الاستعداد لما بعد هذه المرحلة.

٣ ـ(والآخرة دار قرار) وهذه حقيقة للمؤمن بالرسالة وينكرها غيرهم للجهالة بـها، وليس انكاراً بأن بعد مرحلة الدنيا مرحلة اخرى، وهذه المرحلة المتعقبة هي الاخرة في الدنيا؛ فإنّ ما يسعى في سبيله اصحاب الدنيا من الآثار الفخمة كالاهرام، ليس إلّا لهذه المرحلة الاخروية في الدنيا؛ لمعرفة آثارهم في التاريخ، وان كان يختلف المؤمن عـن

(١) في ب زيادة: فرضاً، وفي هـ. د: يكن لكم فرضاً ـ م ل وهامش ن و ش.
(٢) في هـ. د: ولا تتركوا، وفي الهامش: ولا تخلفوا ـ م.
(٣) في هـ. د: كَلّاً أي ثقلاً.
(٤) في هـ. د: فيكون فرضاً عليكم ـ ح.

غيره بأن الآثار المادية ليست قيمتها إلّا بالمادّة، وان الاهم منها هي الآثار الانسانية كما قال تعالى:﴿تلك الدار الاخرة نجعلها للذين لايريدون علواً في الارض ولا فساداً﴾.(١) وهذه الحقيقة تقتضي الاستعداد لها.

وأشار إلى ثلاث نقاط اساسية في الاستعداد للاخرة بقوله:

أوّلاً: (فخذوا من ممركم لمقركم)؛ فإنّ الاستعداد يستوجب الاخذ بما تجب في الدنيا من ادارة المسؤوليات التي تنتج في النهاية التي هي المقر.

ثانياً: (ولا تهتكوا أستاركم عند من يعلم أسراركم) وهو الله سبحانه، حيث أن الحقائق تظهر في النهاية، وتظهر الاسباب التي حفّزت العاملين إلى اتخاذ المواقف التي اتخذوها في الحياة ونتائجها.

ثالثاً: (وأخرجوا من الدنيا قلوبكم من قبل أن تخرج منها أبدانكم)؛ فإنّ تعلق القلب بالدنيا وحب شهواتها تعمي البصيرة من النظر إلى عواقب الامور، وبعد أن يخرج الإنسان من الدنيا بالموت وتظهر الحقائق لا طريق له إلى إصلاح ما فسد.

وعن السبب الداعي إلى هذا الاستعداد قال:

(ففيها اختبر تم ، ولغيرها خلقتم)؛ فإنّ الدنيا دار اختبار وامتحان، وليس للخلود فيها، اذ الخلود لا يكون إلّا بعدها، وهذا السبب يدعوا إلى العمل والاستثمار لما بعد الدنيا.

ثم اتى بمثل واضح يؤيد كلّ موقف في الحياة، فقال:

(إن المرء إذا هلك قال الناس: ما ترك) حيث أنهم من اهل الدنيا.

(وقالت الملائكة: ما قدم) حيث انهم من اهل الخلود في الاخرة.

وعن نتيجة هذه الحقيقة وحقائق الدنيا قال:

أوّلاً: (لله آباؤكم) فكما انكم تنتسبون إلى ابائكم؛ فإنّ ابائكم جميعا لله، وهو الحاكم بين الناس جميعا بالموت، فحالهم وحالكم سواءً في المسير والمصير.

ثانياً: (فقدموا بعضا يكن لكم قرضا)؛ فإنّ الاعمال الصالحة المقدمة في الدنيا تكون كالقرض الراجع الى صاحبه بحلول مدة الاجل في الدنيا، وفي الاخرة بالموت.

ثالثاً: (ولا تخلفوا كلا فيكون عليكم) حيث أن من يخلف كلّ المال لورثته ولا ينفق

---

(١) القصص: ٨٣.

شيئا منه في سبيل الله في الحياة يكون في المال من الفرائض التي لم يودّ حقها، ويضع المسؤولية على هذا الذي يخلف المال، ولا يعلم فيما سوف يصرف من بعده، وربما بذّر فيه ورثته وصرفوه بما لا يرضى به نفسه، ولا عتب إلّا على نفسه، والله العالم.

[٢٠٤]

ومن كلام له عليه السلام كان كثيراً مّا ينادي به أصحابه:

تَجَهَّزُوا رَحِمَكُمُ ٱللهُ فَقَدْ نُودِيَ فِيكُمْ بِالرَّحِيلِ وَأَقِلُّوا ٱلْعُرْجَةَ(١) عَلَى الدُّنْيَا وَٱنْـقَلِبُوا بِصَالِحِ مَا بِحَضْرَتِكُمْ مِنَ الزَّادِ فإِنَّ أَمامَكُمْ عَقَبَةً كَئُوداً(٢) وَمَنَازِلَ مَخُوفَةً مَهُولَةً(٣) لَا بُدَّ مِنَ ٱلْوُرُودِ عَلَيْهَا وَٱلْوُقُوفِ عِنْدَهَا وَٱعْلَمُوا أَنَّ مَلاَحِظَ(٤) المَنِيَّةِ نَحْوَكُمْ دَانِبَةٌ(٥) وَكأَنَّكُمْ بِمَخَالِبِهَا(٦) وَقَدْ نَشِبَتْ(٧) فِيكُمْ وَقَدْ دَهَمَتْكُمْ(٨) منهَا(٩) مُفْظِعاتُ(١٠) الأُمُورِ وَمُعْضِلاَتُ(١١) المَحْذُورِ، فَقَطِّعُوا عَلاَئِقَ الدُّنْيَا، وَٱسْتَظْهِرُوا بِزَادِ التَّقْوَى.

وقدْ مضَى شيءٌ منْ هَذا الْكلاَمِ فِيما تَقدَّمَ بِخِلاَفِ(١٢) هذِهِ الرِّوَايَةِ.

(١ / ط - ٢٠٤) في الاستعداد للمستقبل:

يتضمن المقطع البحث على الاستعداد للمستقبل لما بعد الحياة، فقال:

---

(١) في هـ. ب: التعريج وهو المقام، وفي هـ. ص: هي الالتفات الى المحل وحب البقاء فيه.

(٢) في د: كؤودا، وفي هـ. ب: يقال تاكدني الأمر: صعب، والعقبة الكؤود: الصعبة، وفي هـ. ب: أي شاقة.

(٣) في هـ. ب: مخوفة، شاقة.

(٤) في هـ. ص: شبه المنيّة بسبع مفترس والناس فرانسه فلا يزال يلاحظهم طمعاً، ولما شبهها بالأسد أثبت لها ماله من الآلة التي اقتدر بها على فعله وكأنه عنى بها أسباب الموت، والله أعلم.

(٥) في ص و د: دائبة، وفي هـ. ب في نسخة: دائبة، وفي هـ. د: دانية ـ ن م ك ر.

(٦) في هـ. ب: جمع مخلب، وفي هـ. ص :المخلب للسبع بمنزلة الظفر للانسان.

(٧) في هـ. ب: علقت.

(٨) في هـ. ب: هاجمتكم، والداهية سميت بذلك لاظلامها.

(٩) في د: فيها.

(١٠) في هـ. ص: الفضيع ما جاوز الحد الشديد.

(١١) في ب: مضلعات، وفي هـ. ب: من الضلع. وفي هـ. د: معضلات ـ ض. وفي هـ. ب: معضلات أي مشكلات. وفي هـ. ص: معضلات، اعضل الأمر اذا صعب وتعذر دفعه وفي نسخة شرح ابن أبي الحديد :مضلعات ،قال :أي الخطوب التي تجعل الانسان ضالعاً أي معوجاً، والماضي ضلع بالكسر يضلع ضلعا، قال: ومن رواها بالظاء أراد الخطوب التي تجعل الانسان ظالعاً أي يغمز في مشيه؛ لثقلها عليه، والماضي ظلع بالفتح، انتهىٰ من الشرح ١١:٦.

(١٢) في ط : يخالف.

١ ـ (تجهزوا رحمكم الله) والجهاز: ما يفتقر اليه المسافر من لوازم السفر.

٢ ـ (فقد نودي فيكم بالرحيل)؛ فإنّ السبب قد يوجب الاستعداد بالجهاز، حيث قد حصل النداء بالرحيل والسفر بسبب الموت الذي لا ينكره احد.

٣ ـ (وأقلوا العرجة على الدنيا) والعرجة: الاقامة على الشيء، والتثاقل في الانتقال كالاعرج الذي لا يتمكن من المشي العادي؛ فإنّ ذلك يوجب طول الامل الذي لا يمكن الحصول عليه لكل انسان.

٤ ـ (وانقلبوا بصالح ما بحضرتكم من الزاد) والانقلاب: الانصراف بعد تأمين ما يفتقر اليه؛ فإنّ ما لدى الإنسان في الحاضر من الزاد الذي يعيش عليه يكفي في تأمين الحاجة، والزيادة من الزاد انما يكون فساداً للزاد أو للمتزود بكثرة الاكل المضر بالصحة.

وإلى الاسباب الداعية إلى هذا الاستعداد أشار بقوله:

أوّلاً: (فإن أمامكم عقبة كؤودا) والكؤود: الصعب في المواقف من الحساب واثاره.

ثانياً: (ومنازل مخوفة مهولة) من اللحد في القبر والوقوف في يوم القيامة عند الجسر قبل الحساب، فإنّها منازل متعددة ينتقل الميت فيها من منزل الى آخر، من حالات الاحتضار، ثمّ البرزخ في القبر وبين القبر والحشر، ثمّ ما بعد الحشر إلى يوم الحساب.

ثالثاً: (لا بد من الورود عليها والوقوف عندها) حيث انها مسير ومصير كلّ الخلائق اجمعين.

وإلى أن كلّ آتٍ قريب أشار بقوله:

١ ـ (واعلموا أن ملاحظ المنيّة نحوكم دانية) والملاحظ: مواضع النظر، والمنية: الموت، والدنو: القرب، فان الموت آتٍ لا محالة، وكل اتٍ قريب، فكان الموت يلاحظ الإنسان بنظرته متقدماً نحوه للتقرب اليه خطوة فخطوة.

٢ ـ (وكأنكم بمخالبها وقد نشبت فيكم)؛ فإنّ كلّ لحظة من عمر الإنسان بقدمه نحو الموت، ويقترب الموت من الإنسان حتّى يعلق مخالب الموت بالانسان كالحيوان المفترس المتربص والمتقدم نحو فريسته حتى يأخذها بمخالبه.

٣ ـ (وقد دهمتكم فيها مفظعات الأمور ومعضلات المحذور) الدهمة: السواد؛ فإنّ المنيّة تسود من تتعلق به بالوسائل غير المتوقعة، وهي الامور الفضيعة لشناعتها في أنفسها كالامراض المزمنة، وكذلك بالامور المعضلة التي يتحذر الانسان منالوقوع فيها

كالحوادث والكوارث بسبب الاهمال وعدم اليقظة للاسباب الموجبة لها وآثارها السيئة على الإنسان في الحياة وبعد الممات.

فان الموقف تجاة هذه الحالة تتطلب الاستعداد فقال:

(فقطعوا علائق الدنيا ، واستظهروا بزاد التقوى) حيث لا يمكن التغلب على ذلك إلّا بالاستعداد التام، وهو قطع العلائق الدنيوية أي ما يعتمد على الدنيا للدنيا فقط، بأن لا يكون الدنيا غاية للحياة ولا يكون ذلك إلّا بالاستظهار أي النظر على الدنيا باعتبارها الوسيلة للحياة والاكتفاء فيها بالتقوى التي هي مقياس الحياة الفاضلة في الدنيا والاخرة.

[٢٠٥]

ومن كلام له عليه السلام كلّم به طلحة والزبير بعد بيعته بالخلافة، وقد عتبا عليه[١] من ترك مشورتهما والاستعانة فى الأمور بهما[٢]:

لَقَدْ نَقَمْتُما[٣] يَسِيراً، وَأَرْجَأْتُمَا[٤] كَثِيراً[٥]. أَلَا تُخْبِرَانِي أَيُّ شَيْءٍ لَكُما[٦] فِيهِ حَقٌّ دَفَعْتُكُما عَنْهُ! أو أَيُّ[٧] قَسْمٍ ٱسْتَأْثَرْتُ عَلَيْكُما بِهِ! أَوْ أَيُّ حَقٍّ رَفَعَهُ[٨] إِلَيَّ أَحَدٌ مِنَ الْمُسْلِمِينَ ضَعُفْتُ عَنْهُ، أَمْ جَهِلْتُهُ، أَمْ أَخْطَأْتُ بَابَهُ![٩]

($\frac{١}{ط - ٢٠٥}$) مواقف النقد ومسؤولية الخلافة:

وتتضمن تحليل مواقف النقد ومسؤولية الخلافة ومسؤولية الامة

كلم به طلحة والزبير بعد بيعته بالخلافة وقد عتبا من ترك مشورتهما والاستعانة في الأمور بهما.

استفتح الإمام المقطع بتحليل النقد الموجه اليه من قبل طلحة والزبير عاتبين على

(١) لم ترد عليه في ص.
(٢) في هـ. ب: بعدما فعلا من الغدر والعظمة هو عتابهما على المؤمن لانه ترك مشاورتهما والاستعانة بهما.
(٣) في هـ. ب: أنكرتما، وفي هـ. ص: نقم بالفتح نقم هذه الفصيحاء وجاء نقم بالكسر ينقم بالفتح، انتهى من الشرح .
(٤) في هـ. ب و ص: أخرتما.
(٥) في هـ. ص: يعني الطاعة والوفاء بالبيعة.
(٦) في ط و د: زيادة كان.
(٧) في ص: وأي وفي ط و د: أم أي .
(٨) في ب: دفعه، وفي هـ. ب: في نسخة رفعه.
(٩) في هـ. ب: أي وجهه.

ترك المشورة معهما فقال:

(لقد نقمتما يسيرا وأرجأتما كثيرا) النقمة: العتب، والارجاء: التاخير، مشيراً إلى أن هذه النقمة انما هي بداية امور اخرى كثيرة يتبعها، فليست إلّا بداية المعارضة التي تستفحل بمرور الزمن، فتكثر النقود المتفرعة على هذا النقد؛ فإنّ ترك المشورة في هذا يستلزم ترك المشورة في امور اخرى، فهل كان عليّ على حق في ترك المشورة معهما؟

وبالنسبة الى مواقف النقد نظر اليها نظر التحليل بنظرة واقعية، وقسمها إلى مواقف خمسة، لكي يتعرف على ما يوجب فيها المشورة، فاذا انتفت هذه المواقف، فلا يكون موجب للمشورة. واشار إلى مواقف النقد المتقدرة وهي:

النقد الأوّل: دفع الحق.

١ ـ (ألا تخبراني أي شئ لكما فيه حق دفعتكما عنه؟)؛ فإنّ النقد اذا كان لحق اضيع من الناقد كان له المطالبة بحقه، وهذا ما لم يدعه احد منهم؛ لانهما بايعا كسائر المسلمين.

النقد الثاني:الاستثار (الاستبداد).

٢ ـ (وأي قسم استأثرت عليكما به؟) واشار الى الاستئثار في القسم، والقسم : ما يقسم من بيت المال المسلمين، فلم يحدد لهما سهم من بيت المال في حين البيعة حتّى ينتقد بانه استبد بذلك، ولم يعطهما ما لهما من القسمة المفروضة.

النقد الثالث: الضعف.

٣ ـ(أم أي حق رفعه إليّ أحد من المسلمين ضعفت عنه؟) فلم يكن منه ضعف في أداء المسؤوليات تجاة المسلمين، حيث لم يطالب احد منهم ذلك، وكل من طلحة والزبير لم يدعيا النيابة عن المسلمين في هذا النقد.

النقد الرابع: الجهل.

٤ ـ (أم جهلته؟) من حقوق المسلمين حتّى ينقد بالجهل بها فيه، ولم ينقد في جهل مسؤولياته بل كان يشاورة كبار الصحابة فيما لا يعلمون.

النقد الخامس: الخطأ.

٥ ـ(أم أخطأت بابه؟) بتوجيه النقد بالخطأ في المواقف، وهذا ايضا لم يحصل من احد من قبل.

والسبب في انتقاء كلّ هذه الاحتمالات المتصورة أن البيعة قد انقضت ولم يوجه احد

من المسلمين بما فيهم كلّ من طلحة والزبير نقدا بدفع الحق أو الاستئثار أو الضعف أو الجهل أو الخطأ، حيث لم تمر فترة طويلة حتّى توجه هذه الاتهامات، فلا يكون سبب للمشورة معهما خاصة، ولا من غيرهما عامة حتى يظهرا ما يوجب ذلك، والمفروض عدمها كما يظهر من الاسئلة الموجه اليهما من دون جواب منهما.

(٢/ط ـ ٢٠٥) مسؤولية الخلافة:

وَٱللهِ مَا كَانَتْ لِي فِي ٱلْخِلاَفَةِ رَغْبَةٌ، وَلاَ فِي ٱلْوِلاَيَةِ إِرْبَةٌ(١)؛ وَلَكِنَّكُمْ دَعَوْتُمُونِي إِلَيْهَا، وَحَمَلْتُمُونِي عَلَيْهَا، فَلَمَّا أَفْضَتْ(٢) إِلَيَّ نَظَرْتُ إِلَى كِتَابِ ٱللهِ وَمَا وَضَعَ لَنَا، وَأَمَرَنَا بِالْحُكْمِ بِهِ فَاتَّبَعْتُهُ، وَمَا ٱسْتَنَّ(٣) ٱلنَّبِيُّ صلى الله عليه وآله فَاقْتَدَيْتُهُ. فَلَمْ أَحْتَجْ إِلَى رَأْيِكُمَا، وَلاَ رَأْيِ غَيْرِكُمَا، وَلاَ وَقَعَ(٤) حُكْمٌ جَهِلْتُهُ فَأَسْتَشِيرَكُمَا وَإِخْوَانِي مِنَ الْمُسْلِمِينَ(٥). وَلَوْ كَانَ ذَلِكَ لَمْ أَرْغَبْ عَنْكُمَا وَلاَ عَنْ غَيْرِكُمَا.

وَأَمَّا(٦) مَا ذَكَرْتُمَا مِنْ أَمْرِ ٱلْأُسْوَةِ(٧)، فَإِنَّ ذَلِكَ أَمْرٌ لَمْ أَحْكُمْ أَنَا فِيهِ بِرَأْيِي، وَلاَ وَلِيتُهُ(٨) هَوًى(٩) مِنِّي، بَلْ وَجَدْتُ أَنَا وَأَنْتُمَا مَا جَاءَ بِهِ رَسُولُ ٱللهِ صلى الله عليه وآله قَدْ فُرِغَ مِنْهُ، فَلَمْ أَحْتَجْ إِلَيْكُمَا فِيمَا قَدْ فَرَغَ ٱللهُ مِنْ قَسْمِهِ(١٠)، وَأَمْضَى فِيهِ حُكْمَهُ. فَلَيْسَ لَكُمَا وَٱللهِ عِنْدِي وَلاَ لِغَيْرِكُمَا فِي هَذَا عُتْبَى(١١).

أَخَذَ ٱللهُ بِقُلُوبِنَا وَقُلُوبِكُمْ إِلَى ٱلْحَقِّ، وَأَلْهَمَنَا وَإِيَّاكُمُ الصَّبْرَ!

(١) في هـ. ب: حاجة، وفي هـ. ص بكسر الهمزة بمعنى الارب وهي الحاجة.
(٢) في هـ. ب: بلغت.
(٣) في ب: استسن.
(٤) في ب و ص: ولم يقع.
(٥) في د: واخواني المسلمين و في هـ. د: واخواني من المسلمين ـ ش.
(٦) في ص: فأما.
(٧) في هـ. ب: الاقتداء، والاسوة: قدوة يقتدى به، والايتمام هو الاتباع، يريد عليه السلام القياس، فقال: لم أحكم بقرابتي ولا وليته بهوى نفسي، بل وجدت ما جاء به رسول الله صلى الله عليه وآله، ووجدت في كل مسألة نصاً من فعل النبي صلى الله عليه وآله. وفي هـ. ص: قال في الشرح: ثم تكلّم في معنى التفضيل في العطاء فقال: اني عملت بسنة رسول الله صلى الله عليه وآله في ذلك، وصدق عليه السلام؛ فان رسول الله صلى الله عليه وآله ساوى بين الناس في العطاء، وهو مذهب أبي بكر. انتهىٰ
(٨) هـ. ب: التولية: الولاية والاقبال والادبار.
(٩) في هـ. د: وروي بهوى مني ـ ر.
(١٠) في هـ. ب: تقديره.
(١١) في هـ. ص: أي رضى أي لست أرضيكما بارتكاب ما لا يحل لي من ارتكابه. شرح.

ثم أشار إلى موقفه من الخلافة ومسؤولياتها الاساسية بقوله:

(والله ما كانت لي في الخلافة رغبة ، ولا في الولاية إربة) والاربة: الغرض (ولكنكم دعوتموني إليها وحملتموني عليها) كما هو مشروح في بيعة الإمام. (راجع موارد الاعتبار، عصر الخلفاء).

وعن سبب قبوله الخلافة أشار إلى المسؤوليات التي لابدّ للخلافة من تحقيقها كيلا تفقد الخلافة معناها من الخلافة النبوية، فان الخلافة من دون تطبيق تلك المسؤوليات تكون فاقدة للمقومات الاربع للخلافة النبوية، فقال:

المسؤولية الاولى ـ العمل بكتاب الله.

قال: (فلما أفضت إلي نظرت إلى كتاب الله وما وضع لنا وأمرنا بالحكم به فاتبعته)؛ فإنّ القرآن يعتبر القانون الاساسي الاسلامي الذي هو المرجع الاعلى للخلافة، ويجب تطبيقه في كل مجالات الحياة العبادية والاجتماعية والاقتصادية والسياسية.

المسؤولية الثانية ـ العمل بالسنة النبوية:

قال: (وما استسن النبيﷺ فاقتديته)؛ فإنّ السنة النبوية هي شرح لمواد القانون الاسلامي، والصلة بين هذين الاصلين: الكتاب والسنة صلة التشريع والتطبيق، فلا يمكن الاستغناء عنها بحال.

وبعد وضوح الحال فيما لا يفتقر إلى راي اخر في التشريع والتطبيق قال: (فلم أحتج في ذلك إلى رأيكما ولا رأي غيركما)؛ لأنّ آراء الاخرين أن كانت موافقة للكتاب والسنة فيكون الاعتماد عليهما دون الاراء الاخر، وان كانت معارضة لهما فهي مردودة راساً.

المسؤولية الثالثة ـ الشورى.

فقال: (ولا وقع حكم جهلته فأستشيركما وإخواني المسلمين ، ولو كان ذلك لم أرغب عنكما ولا عن غيركما)؛ فإنّ الشورى اصل اسلامي في التطبيق لحكم القانون الاساسي فيما اذا كان مجهولا، ومع وضوح الدلالة يجب التطبيق من دون تامل أو حاجة إلى الشورى، فلا معنى للشورى في اقامة الصلاة والفرائض الاسلامية الواضحة.

واما لو كان الحكم مجهولا افتقر إلى الشورى في معرفة الوجه الشرعي فيه، وذلك لا يختص تطبيقه بفرد خاص، بل كل من له علاقة في رفع الجهالة من المسلمين بما فيهم كلّ من طلحة والزبير، والمفروض أن ذلك لم يكن.

المسؤولية الرابعة ـ المساواة في العطاء (الاسوة).

قال: (وأما ما ذكرتما من أمر الأسوة؛ فإنّ ذلك أمر لم أحكم أنا فيه برأيي ولا وليته هوى مني . بل وجدت أنا وأنتما ما جاء به رسول اللهﷺ قد فرغ منه) فالمتبع في امر العطاء اتباع سنة الرسول القائدﷺ، حيث انّه ساوى في العطاء من حقوق المسلمين بين المسلمين ـ ما عدى المؤلفة قلوبهم من الكفار ـ فلابد من السير على سنة الرسول من دون تفضيل؛ لان كلا من طلحة والزبير من المسلمين، وليسوا من الكفار أو من المؤلفة قلوبهم.

فهذ امر قد فرغ منه، أي كمل حكمه في عهد الرسولﷺ.

وبناء على كتاب الله وسنة الرسولﷺ (فلم أحتج إليكما فيما فرغ الله من قسمه وأمضى فيه حكمه، فليس لكما والله عندي ولا لغيركما في هذا عتبى) والعتبى: المؤاخذة والنقد، ومنها التسوية في العطاء؛ لأنّه ما يقتضيه حكم الله وسنة الرسولﷺ القائدﷺ.

وختم ذلك بالدعاء قائلا: (أخذ الله بقلوبنا وقلوبكم إلى الحق ، وألهمنا وإياكم الصبر) .

(٣ / ط - ٢٠٥) مسؤولية الامة:

ثُمَّ قالﷺ : رَحِمَ ٱللهُ رَجلًا رَأَى حَقّاً فَأَعَانَ عَلَيْهِ ، أَوْ رَأَى جَوْراً فَرَدَّهُ ، وَكَانَ عَوْناً بِالْحَقِّ عَلَى صَاحِبِهِ .

وختم الإمام المقطع مشيراً إلى مسؤولية الأمّة في المواقف التي يظهر فيها الحق من الباطل، فهي مسؤولية العمل بما يقتضيه الواجب الاسلامي من كلّ فرد من افراد المجتمع الاسلامي، كما امر الله به، وهو امران:

الأوّل: عون الحق.

فقال: (رحم الله امرأ رأى حقا فأعان عليه) أي على العمل به ونصر الحق.

الثاني: رد الجور:

فقال: (أو رأى جورا فردة وكان عونا بالحق على صاحبه)؛ فإنّ رد الجور في نفسه عون للحق.

كما امر بذلك القرآن والسنة في نصوص كثيرة، وذلك من اظهر موارد الأمر بالمعروف والنهي عن المنكر.

قال الشارح ابن أبي الحديد (ت / ٦٥٦ هـ)، ما نصّه:«ثم أقسم انه لم يكن له في الخلافة رغبة ولا إربة بكسر الهمزة وهي الحاجة وصدق فهكذا نقل أصحاب التواريخ

وأرباب علم السير كلهم وروى الطبري في التاريخ ورواه غيره أيضا أن الناس غشوة وتكاثروا عليه يطلبون مبايعته وهو يأبى ذلك ويقول دعوني والتمسوا غيري فانا مستقبلون أمرا له وجوه وألوان لا تثبت عليه العقول ولا تقوم له القلوب قالوا ننشدك الله إلّا ترى الفتنة إلّا ترى إلى ما حدث في الاسلام إلّا تخاف الله فقال: قد أجبتكم لما أرى منكم واعلموا انى إن أجبتكم ركبت بكم ما اعلم وإن تركتموني فإنما انا كأحدكم بل انا أسمعكم وأطوعكم لمن وليتموه امركم إليه فقالوا ما نحن بمفارقيك حتى نبايعك قال: إن كان لا بد من ذلك ففي المسجد فان بيعتي لا تكون خفيا ولا تكونعن رضا المسلمين وفي ملا وجماعة فقام والناس حوله فدخل المسجد وانثال عليه المسلمون فبايعوه وفيهم طلحة والزبير . قلت: قوله:« إن بيعتي لا تكون خفيا ولا تكون إلّا في المسجد بمحضر من جمهور الناس » يشابه قوله بعد وفاة رسول الله ﷺ للعباس لما سامه مد يده للبيعة، فقال: «إني أحب أن أصحر بها[1] وأكره أن أبايع من وراء رتاج».[2]

قال الشارح ابن أبي الحديد (ت / ٦٥٦ هـ)، ما نصّه:«ثم نرجع إلى الحديث الأول فنقول: إن طلحة والزبير لما آيسا من جهة علي عليه السلام ومن حصول الدنيا من قبله قلبا له ظهر المجن فكاشفاه وعاتباه قبل المفارقة عتابا لاذعا روى شيخنا أبو عثمان قال: أرسل طلحة والزبير إلى علي عليه السلام قبل خروجهما إلى مكة مع محمّد بن طلحة وقالا لا تقل له " يا أمير المؤمنين " ولكن قل له " يا أبا الحسن " لقد فال فيك رأينا وخاب ظننا أصلحنا لك الامر ووطدنا لك الامرة وأجلبنا على عثمان حتى قتل فلما طلبك الناس لأمرهم أسرعنا إليك وبايعناك وقدنا إليك أعناق العرب ووطئ المهاجرون والأنصار أعقابنا في بيعتك حتى إذا ملكت عنانك استبددت برأيك عنا ورفضتنا رفض التريكة [3] وأذلتنا إذالة [4] الإماء وملكت امرك الأشتر وحكيم بن جبله وغيرهما من الاعراب ونزاع الأمصار فكنا فيما رجوناه منك وأملناه من ناحيتك كما قال الأول:

فكنت كمهريق الذي في سقائه ... لرقراق آل فوق رابية صلد

(١) أصحر : من قولهم : أصحر الامر وبه ، إذا أظهره .
(٢) شرح نهج البلاغة ؛ ابن أبي الحديد ١١ : ٩.
(٣) التريكة : التي تترك فلا يتزوجها أحد .
(٤) الإذالة: الإهانة.

فلما جاء محمّد بن طلحة أبلغه ذاك فقال: اذهب إليهما فقل لهما فما الذي يرضيكما فذهب وجاءه فقال: إنهما يقولان ول أحدنا البصرة والاخر الكوفة فقال: لاها الله اذن يحلم الأديم ويستشري الفساد وتنتقض على البلاد من أقطارها والله فقال: إني لا آمنهما وهما عندي بالمدينة فكيف آمنهما وقد وليتهما العراقين اذهب إليهما فقل أيها الشيخان احذرا من سطوة الله ونقمته ولا تبغيا للمسلمين غائلة وكيدا وقد سمعتما قول الله تعالى:﴿تلك الدار الآخرة نجعلها للذين لا يريدون علوا في الأرض ولا فسادا والعاقبة للمتقين﴾ [1] فقام محمّد بن طلحة فأتاهما ولم يعد إليه وتأخرا عنه أياما ثم جاءاه فاستأذناه في الخروج إلى مكة للعمرة فأذن لهما بعد أن أحلفهما إلّا ينقضا بيعته ولا يغدرا به ولا يشقا عصا المسلمين ولا يوقعا الفرقة بينهم وأن يعودا بعد العمرة إلى بيوتهما بالمدينة فحلفا على ذلك كله ثم خرجا ففعلا ما فعلا».[2]

[٢٠٦]

ومن كلامله عليه السلام وقد سمع قوما من أصحابه يسبون أهل الشام أيام حربهم بصفين :

إِنِّى[3] أَكْرَهُ لَكُمْ أَنْ تَكُونُوا سَبَّابِينَ، وَلَكِنَّكُمْ لَوْ وَصَفْتُمْ أَعْمَالَهُمْ، وَذَكَرْتُمْ حَالَهُمْ، كَانَ أَصْوَبَ فِى ٱلْقَوْلِ، وَأَبْلَغَ فِى ٱلْعُذْرِ، وَقُلْتُمْ مَكَانَ سَبِّكُم إِيَّاهُمْ:

ٱللَّهُمَّ ٱحْقِنْ دِمَاءَنَا وَدِمَاءَهُمْ، وَأَصْلِحْ ذَاتَ بَيْنِنَا وَبَيْنِهِمْ، وَٱهْدِهِمْ مِنْ ضَلَالَتِهِمْ، حَتَّى يَعْرِفَ ٱلْحَقَّ مَنْ جَهِلَهُ، وَيَرْعَوِىَ[4] عَنِ ٱلْغَيِّ وَٱلْعُدْوَانِ مَنْ لَهِجَ[5] بِهِ!

(١ / ط ـ ٢٠٦) سب أهل الشام:

يؤكد الإمام عليه السلام على أن الحرب الاسلامية يجب أن تستخدم الوسائل الاسلامية لتحقيق اهدافها، قال: فلا يجوز استخدام الوسيلة التي هي غير اسلامية لتحقيق اهدافها، فإنّه لا يطاع الله من حيث يعصى، والغاية لا تبرر الواسطة في الاسلام.

ومن الوسائل التي استخدمها بعض الاصحاب في الحرب بصفين كان السب، وهو

(١) سورة القصص ٨٣.
(٢) شرح نهج البلاغة ؛ ابن أبي الحديد ١١ : ١٥ ـ ١٧.
(٣) في ب: انني و في هـ. ب في نسخة: اني .
(٤) في هـ. ب: الارعواء: النزوع عن الغي والرجوع عن الخطأ. يكف ارعوىٰ عن القبيح رجع.
(٥) أي ولع به وحرص عليه. وفي هـ. ب: حرص.

شتم العدو بما يكره، ولم يذكر نصه تنزهاً، والمتعارف في عصرنا اطلاق "الكلب" أو "ابن الكلب" لتنزيل العدو منزلة الحيوانات الشنيعة في الصفات.

ونهى الإمام عن السب وذكر البديل الاسلامي لذلك فقال:

١ ـ (إني أكره لكم أن تكونوا سبابين) والكراهة ـ لغة ـ اعم من الحرمة والكراهة في المصطلح، قال تعالى:﴿لاتسبوا الذين يدعون من دون الله فيسبوا الله عدواً بغير علم﴾.[1]

فان لكل فعل رد فعل مماثل أو اشد، والشر يدعوا إلى الشر، وقال الرسولﷺ:« سباب المؤمن فسوق، وقتاله كفر»؛ فإذا قامت الحرب ضد البغاة المسلمين وكان لها مبرراتها فلا يجوز استخدام الوسائل غير الاسلامية، ومنها: السب، وان جاز اللعن، وهو الطرد من رحمة الله، قال تعالى:﴿والذين ينقضون عهد الله من بعد ميثاقه ويقطعون ما امر الله به أن يوصل ويفسدون في الارض اولئك لهم اللعنه ولهم سوء الدار﴾.[2]

البديل الاسلامي:

وأشار الإمام إلى البديل الاسلامي وهو الواسطة المشروعة اسلامياً في خطاب العدو، وقد لخصه في نقاط:

اولا: (لو وصفتم أعمالهم وذكرتم حالهم) وذلك ببيان الحقائق في المواقف والاسباب الداعية اليها، ونتائجها حتى يكون جيش العدو على بصيرة من الامر؛ فإنّ جيش العدو غالبا يكون مسيّراً بالدعايات الكاذبة وبيان الحقائق يظهر حقيقة المحارب في احياء الحق أو الباطل عن رؤية وقناعة شخصية، من دون تأثير الدعايات الباطلة.

ثانياً: (كان أصوب في القول)؛ لأنّه بيان للحجة، فلا يكون رد الفعل من الجانب الاخر إلّا بالمعاملة بالمثل من الحجة، واذا لم يكن له حجة يتبين خطأ موقفه.

ثالثاً: (وأبلغ في العذر) حيث انه بعد بيان الحجة لا يبقى عذر من الجيش المغفل، فلا يمكن دعوى الجهل بعد الاعذار.

رابعا: (وقلتم مكان سبكم إياهم) دعاءً قد يوجب الهداية لهم، ويتضمن نص الدعاء المواد التالية:

١ ـ (اللهم احقن دماءنا ودماءهم) لوحدة الكلمة بالرجوع إلى كتاب الله وسنة الرسول.

---

(١) الانعام :١٠٨.
(٢) الرعد :٢٥.

٢ ـ (وأصلح ذات بيننا وبينهم) بدل الحرب، لما لها من الآثار المشؤمة في المجتمع الاسلامي.

٣ ـ(واهدهم من ضلالتهم) في مساندة دعاة الحكم الوراثي في الاسلام عوضا عن نظام الشورى؛ فإنّ بهذه المواد الثلاث في الدعاء تتضح الحقائق للجيش المغفل، كما قال: (حتى يعرف الحق من جهله ويرعوي عن الغي والعدوان من لهج بـه) والارعـواء: الرجوع الى الحق .

وبعد هذا الموقف من استخدام الوسيلة الاسلامية بالحجة والدعاء يكون جيش العدو على معرفة، وله الخيار في مساندة الحق أو الباطل، ويتحمل نتائج مواقفه، والله العاصم.

[٢٠٧]

ومن كلامله ﷺ فى بعض أيام صِفِّين، وقد رأى الحسن ابنه٧ يتسرّع[1] إلى الحرب:

اَمْلِكُوا[2] عَنِّي هَذَا اَلْغُلَامَ لَا يَهُدَّنِي[3]؛ فَإِنَّنِي أَنْفَسُ[4] بِهَذَيْنِ ـيَعْنِي اَلْحَسَن وَالحُسَيْنَ عليهما السلام ـعَلَى المَوْتِ لِئَلاَّ يَنْقَطِعَ بِهِمَا نَسْلُ رَسُولِ اَللهﷺ .

قَالَ الرَّضِيُّ أَبُو الحَسَن؛[5]:

قَوْله ﷺ: «اَمْلِكُوا عَنِّي هَذَا اَلْغُلَامَ» من أَعْلَى اَلْكَلَام وَأَفْصَحه .

(١ / ط ـ ٢٠٧) اوامر قيادية:

للقيادة في اية حرب جماعة من المحاربين يحافظون عليها؛ لانها قوام النصر، ومنها: تأتي الاوامر القيادية بعد القرار الذي يظن فيه النصر على العدو، ومن أجل ذلك يكون موقع القيادة في قلب الجيش، ويحيط بـه القـوات مـن المـقدمة والمـؤخرة والمـيمنة والميسرة، وتتحرك ضد العدو بخطوات مدروسة.

والسياق يتضمن أن الإمام وجه الكلام إلى هذه الجماعة التي تحافظ على القائد؛ لما راى من أن الجيش يتسرع إلى الحرب لمصلحة اعلى من هذا القرار، بقوله:

---

(١) في هـ. ب: سرع جذلا.
(٢) في هـ. ب: امسكوا يقال كنا في أملاك فلان أي ملكنا دابته أو امرأته أو فرسه أو غير ذلك.
(٣) في هـ. ب: لا يكسرني.
(٤) في هـ. ب أي ابخل وفي هـ. ص: أي أضيق وأبخل.
(٥) من ط .

١ ـ(املكوا عني هذا الغلام لا يهدني) ولهد: الهدم، أي امسكوه، لئلا يسرع إلى الحرب نيابة عني؛ فإنّ من مسؤولية القائد أن يفوّت على العدو اهدافه، ومن اهداف العدو القضاء على بيت النبوة؛ لئلا يبقى له اثر في التاريخ، ومن مسؤولية الإمام تفويت ذلك ما امكنه، فهو في حالة الحرب ينظر إلى ما بعدها من الاثار.

وعن السبب في هذا القرار، قال:

٢ ـ(فإنني أنفس بهذين ـ يعني: الحسن والحسين عليهما السلام ـ على الموت) والنفس: البخل؛ فإنّ الحرب ساحة قتال، والعدو يهدف القضاء على رموز جيش الإمام بالدرجة الاولى حتّى يتضعضع روحية الجيش، ويستهدف الحسن باعتباره من رموز الحرب القائمة؛ فإنّ هدم روحية الاب بالقضاء على ابنه امر طبيعي، ولم يبخل بذلك الإمام حيث اشتركوا جميعا في الحرب، ولكن المسؤولية من البقاء على رموز اهل البيت توجب النظر الابعد، واشار عليه السلام بأن السبب ليس امراً شخصيا يتعلق بعلاقه الاب بولده، بل لما هو ابعد من ذلك، فقال:

٣ ـ(لئلا ينقطع بهما نسل رسول الله صلى الله عليه وآله) وهذا هو الهدف الذي يحاول العدو تنفيذه ما امكنه، فلابد من تفويت ذلك على العدو.

[٢٠٨]

ومن كلامله عليه السلام قاله لما اضطرب عليه أصحابه فى أمر الحكومة:

أَيُّهَا النَّاسُ، إِنَّهُ لَمْ يَزَلْ أَمْرِي مَعَكُمْ عَلَى مَا أُحِبُّ، حَتَّى نَهِكَتْكُمُ[1] ٱلْحَرْبُ، وَقَدْ وَٱللهِ أَخَذَتْ مِنْكُمْ وَتَرَكَتْ[2]، وَهِيَ لِعَدُوِّكُمْ أَنْهَكُ.

لَقَدْ كُنْتُ أَمْسِ أَمِيراً، فَأَصْبَحْتُ ٱلْيَوْمَ مَأْمُوراً، وَكُنْتُ أَمْسِ نَاهِياً، فأَصْبَحْتُ ٱلْيَوْمَ مَنْهِيّاً. وَقَدْ أَحْبَبْتُمُ ٱلْبَقَاءَ؛ وَلَيْسَ لِي أَنْ أَحْمِلَكُمْ عَلَى مَا تَكْرَهُونَ!

(١/ ط ـ ٢٠٨) امر الحكومة:

ان نجاح أية حرب انما يتوقف على القيادة الرشيدة والجيش المنفذ لقرار القيادة، وان اي خلل في هذين الموقفين سوف يؤدي إلى الخسارة عاجلا أم آجلا، كما يشهد بذلك

(١) في هـ. ب: أضعفكم.

(٢) في هـ. ب: أثرت فيكم وأخذت منكم الشجاعة، أو أن شدة الحرب أخذت منكم فتركتكم.

تاريخ الحروب في العالم.

والحرب الاسلامية العقائدية مبتنٍ على اعتقاد الجيش المحارب مشروعية الحرب وارادتها في مواصلة الحرب، وسياق الكلام يعطي أن الجيش من جانب الإمام كان لا يزال على اعتقاده بمشروعية الحرب، ولكن لم يكن يعتقد بالنجاح في الحرب على اثر الدعايات من جانب العدو برفع المصاحف والدعوة الى التحكيم، وربما كان ذلك من عمل المندسين في صفوف الإمام من جانب العدو؛ لاداء هذا الدور، ومهما كانت الاسباب فان قائد الجيش امام خيارين:

الأوّل: الحكم الديكتاتوري بسوق الجيش إلى الحرب على رغم ارادة الجيش، وهذا مرفوض من حيث المبدأ؛ لان المفروض أن الجيش عقائدي ويتحرك على اساس المبادي الاسلاميّة المشار له فيها لمن يعتقد بها.

الثاني: النزول عند رغبة الجيش المحارب، حيث لا يمكن اسلاميا فرض الحرب عليهم من دون رغبتهم، ولو امكن ذلك لما انتج إلّا الفرار من ساحة الحرب.

فاحتار الإمام الاخير وفقا للمبادي الاسلامية، فقال عليه السلام:

١ ـ(أيها الناس) مخاطبا جيشه الذي لا يرغب في مواصلة الحرب ضد العدو.

٢ ـ(إنه لم يزل أمري معكم على ما أحب) للتلاحم بين القائد والجيش في الحرب العقائدية.

٣ ـ(حتى نهكتكم الحرب) والنهك: الضعف، وطبيعيّ انّه لا يمكن مواصلة الحرب من موقع الضعف، واقر الإمام هذه الحقيقة، بقوله: (وقد والله أخذت منكم وتركت) كما هي طبيعة الحرب من القضاء على البعض بالفناء دون الجميع، ولكن هذه الحقيقة انما هي في الجانبين، ولذلك قال :(وهي لعدوكم أنهك) حيث انّه رفع شعار السلم وروح الشعار يدل على ضعفه، فلولا ذلك لما رفعه.

القرار في الموقف.

والقرار الحكيم في الموقف يتوقف على دراسة الحالة التي معهما يمكن مواصلة الحرب، وكانت الحالة على البعض، فقد وصفها بقوله:

١ ـ(لقد كنت أمس أميرا) حيث أن الاوامر القيادية كانت تصدر من قبل أمير الجيش.

٢ ـ(فأصبحت اليوم مأمورا) حيث أن الجيش يريد فرض رأيه على القائد.

٣ ـ(وكنت أمس ناهيا) عن التوقف عن الحرب.

٤ ـ (فأصبحت اليوم منهيا) عن مواصلة الحرب.

وعن الاسباب الداعية إلى هذه الحالة اكتفى بأصلها، فقال:

٥ ـ (وقد أحببتم البقاء) وعدم مواصلة الحرب، وفي حالة كهذة لا يمكن سوق الجيش العقائدي إلى ما لا يحب.

وعن سياسة الإمام الواضحة والصريحة كسياسة النبي ﷺ في جيش تبوك، قال:

٦ ـ (وليس لي أن أحملكم على ما تكرهون)؛ لأنّه أمر مرفوض مبدائيا اسلاميا، فلا مصير سوى القرار بعدم مواصلة الحرب.

قال الشارح ابن أبي الحديد (ت / ٦٥٦ هـ)، ما نصّه:«فاما قوله:(كنت أمس أميرا فأصبحت اليوم مأمورا) فقد قدمنا شرح حالهم من قبل وأن أهل العراق لما رفع عمرو بن العاص ومن معه المصاحف على وجه المكيدة حين أحس بالعطب وعلو كلمة أهل الحق الزموا أمير المؤمنين عليه السلام بوضع أوزار الحرب وكف الأيدي عن القتال وكانوا في ذلك على أقسام فمنهم من دخلت عليه الشبهة برفع المصاحف وغلب على ظنه أن أهل الشام لم يفعلوا ذلك خدعة وحيلة بل حقا ودعاء إلى الدين وموجب الكتاب فرأى أن الاستسلام للحجة أولى من الاصرار على الحرب. ومنهم من كان قد مل الحرب وآثر السلم فلما رأى شبهة ما يسوغ التعلق بها في رفض المحاربة وحب العافية أخلد إليهم. ومنهم من كان يبغض عليا عليه السلام بباطنه ويطيعه بظاهره كما يطيع كثير من الناس السلطان في الظاهر ويبغضه بقلبه فلما وجدوا طريقا إلى خذلانه وترك نصرته أسرعوا نحوها فاجتمع جمهور عسكره عليه وطالبوه بالكف وترك القتال فامتنع امتناع عالم بالمكيدة وقال: لهم انها حيلة وخديعة وأني أعرف بالقوم منكم انهم ليسوا بأصحاب قرآن ولا دين قد صحبتهم وعرفتهم صغيرا وكبيرا فعرفت منهم الاعراض عن الدين والركون إلى الدنيا فلا تراعوا برفع المصاحف وصمموا على الحرب وقد ملكتموهم فلم يبق منهم إلّا حشاشة ضعيفة وذماء قليل فأبوا عليه وألحوا وأصروا على القعود والخذلان وأمروه بالانفاذ إلى المحاربين من أصحابه وعليهم الأشتر أن يأمرهم بالرجوع وتهددوه إن لم يفعل باسلامه إلى معاوية فأرسل إلى الأشتر يأمره بالرجوع وترك الحرب فأبى عليه فقال: كيف ارجع وقد لاحت أمارات الظفر فقولوا له) ليمهلني ساعة واحدة (ولم يكن علم صورة الحال

كيف قد وقعت فلما عاد إليه الرسول بذلك غضبوا ونفروا وشغبوا وقالوا أنفذت إلى الأشتر سرا وباطنا تأمره بالتصميم وتنهاه عن الكف وإن لم تعده الساعة وإلّا قتلناك كما قتلنا عثمان فرجعت الرسل إلى الأشتر فقالوا له ا تحب أن تظفر بمكانك وأمير المؤمنين قد سل عليه خمسون الف سيف. فقال: ما الخبر قال: إن الجيش بأسره قد أحدق به وهو قاعد بينهم على الأرض تحته نطع وهو مطرق والبارقة تلمع على رأسه يقولون لئن لم تعد الأشتر قتلناك قال: ويحكم فما سبب ذلك قالوا رفع المصاحب قال: والله لقد ظننت حين رايتها رفعت انها ستوقع فرقة وفتنة. ثم كر راجعا على عقبيه فوجد أمير المؤمنين عليه السلام تحت الخطر قد ردده أصحابه بين أمرين يسلموه إلى معاوية أو يقتلوه ولا ناصر له منهم إلّا ولداه وابن عمه ونفر قليل لا يبلغون عشرة فلما رآهم الأشتر سبهم وشتمهم وقال: ويحكم أبعد الظفر والنصر صب عليكم الخذلان والفرقة يا ضعاف الأحلام يا أشباه النساء يا سفهاء العقول فشتموه وسبوه وقهروه وقالوا المصاحف المصاحف والرجوع إليها لا نرى غير ذلك فأجاب أمير المؤمنين عليه السلام إلى التحكيم دفعا للمحذور الأعظم بارتكاب المحظور الأضعف فلذلك قال: كنت أميرا فأصبحت مأمورا وكنت ناهيا فصرت منهيا. وقد سبق من شرح حال التحكيم وما جرى فيه ما يغنى عن اعادته».[1]

[٢٠٩]

ومن كلامله عليه السلام بالبصرة، وقد دخل على العلاء بن زياد الحارثيّ؛ وهو من أصحابه يعوده فلما رأى سعة داره قال:

مَا كُنْتَ تَصْنَعُ بِسَعَةِ هَذِهِ الدَّارِ فى الدُّنْيَا، أما أَنْتَ[2] إِلَيْهَا فى الآخِرَةِ كُنْتَ أَحْوَجَ! وَبَلَى إنْ شِئْتَ بَلَغْتَ بِهَا الآخِرَةَ: تَقْرِي[3] فِيهَا الضَّيْفَ، وَتَصِلُ فِيهَا الرَّحِمَ، وَتُطْلِعُ[4] مِنْهَا اَلْحُقُوقَ مَطَالِعهَا[5]، فَإِذاً[6] أَنْتَ قَدْ بَلَغْتَ بِهَا الآخِرَةَ!

(ط ـ ٢٠٩ / ١) مما قاله في البصرة:

(١) شرح نهج البلاغة ؛ ابن أبي الحديد ١١ : ٢٩ ـ ٣١.
(٢) في ب و د: أنت وليس فيها «و» وهي في هـ. د: اما أنت اليها ـ ح و ب.
(٣) في هـ. ب: تطعم.
(٤) في هـ. ب: تخرج يقال: اطلع النحل ما خرج طلعا.
(٥) في هـ. ب: مواضعها.
(٦) هـ. ب: اذا هنا للمفاجأة.

وقد دخل على العلاء بن زياد الحارثي وهو من أصحابه يعوده، فلما رأى سعة دارة قال

تتضمن الاشارة الى أن العمل في الدنيا للاخرة، ونعم الدنيا لاهلها ومسؤولية الإمام في الدنيا.

اشار الإمام إلى أن الدنيا هي مرحلة العمل للاخرة، فللدنيا مسؤولياتها فمن ادى مسؤولياته المطلوبة كانت الدنيا له باستحقاق؛ لأنّه ادى واجبه الاسلامي في الدنيا، والاسلام لا يدعو إلى التخلي عن الدنيا ونعيمها، وانما يدعوا إلى الحقوق والمسؤوليات المطلوب اداؤها في الدنيا، فاذا أداها كان زاهدا سواءً في ذلك الغني والفقير، وعليه فليس الزهد بالتخلي عن الدنيا كما هو المفهوم المغلوط، بل الزهد هو الزهد عن الدنيا من طريق غير مشروع اسلاميا، والنهي عن حب الدنيا انما هو عن حب الدنيا للدنيا من دون رعاية للحقوق المفروضة على الإنسان في طريق تحصيلها، فقال الإمام للحارثي:

١ ـ (ما كنت تصنع بسعة هذه الدار في الدنيا . أما أنت إليها في الآخرة كنت أحوج)؛ فإنّ الدنيا زائلة، والاخرة خالدة، وطبيعيّ أن ينظر الإنسان إلى ما يحتاج اليه في دار الخلود وليس في المنازل التي يسكنها في السفر الى هذه الغابة التي هي مراحل زمنيّة تنتهي امرها، والذي يهمه الدنيا للدنيا يسعي في ذلك من دون اهتمام بالغاية ومتطلباتها.

٢ ـ(وبلى إن شئت بلغت بها الآخرة) بأن ينظر إلى السعة في الدار والنعمة التي أنعم الله عليك من الغنى فتؤدي حقوقها حالكونك تتمتع بها، فاذا يكون مرحله للعمل نحو الاخرة، وقد اشار إلى بعض الحقوق بقوله:

اولا ـ (تقري فيها الضيف)؛ فإنّ الضيافة من الاداب الاجتماعية في الاسلام، وهو الشيئ أسسها ابو الأنبياء ابراهيمعليه السلام من دون تمييز بين الطبقات من الفقراء وغيرهم .

ثانياً: (وتصل فيها الرحم) من الاقرباء، فان ذلك واجب اسلامي تجاه الاسرة.

ثالثاً: (وتطلع منها الحقوق مطالعها) باخراج الحقوق الشرعية المفروضة في الاموال، والاطلاع: الاظهار باعطاء كلّ ذي حق حقه، وبعد هذه الحقوق الشرعية تكون الدنيا خالصة لمن ملكها، لانه صاحبها حينئذ.

٣ ـ(فإذا أنت قد بلغت بها الآخرة) واعتبرت الدنيا مرحلة من مراحل العمل للاخرة، وليس الدنيا للدنيا فقط.

(٢/ط ـ ٢٠٩) نعيم الدنيا:

فَقَالَ لَهُ ٱلْعَلاَءِ: يَا أَمِيرَ الْمُؤْمِنِينَ، أَشْكُو إِلَيْكَ أَخِي عاصمَ بنَ زِيَادٍ.

قال: وماله؟

قال: لَبِسَ ٱلْعَبَاءَ[١]، وَتَخَلّى مِنَ الدنْيَا.

قال: عَلَيَّ بِهِ. فلما جاءَ قال: يَا عُدَيّ[٢] نَفْسِهِ! لَقَدِ ٱسْتَهَامَ[٣] بِكَ ٱلْخَبِيثُ! أَمَّا رَحِمْتَ أَهْلَكَ وَوَلَدَكَ! أَتَرَى ٱللهَ أَحَلَّ لَكَ الطَّيِّبَاتِ، وَهُوَ يَكْرَهُ أَنْ تَأْخُذَهَا! أَنْتَ أَهْوَنُ[٤] عَلَى ٱللهِ مِنْ ذَلِكَ!

المفهوم المغلوظ العام أن الزهد في الدنيا يعني: التخلي عن الدنيا بالهيئة والاعراض عن نعيم الدنيا، ومن هؤلاء: عاصم بن زياد الحارثي الذي (لبس العبادة وتخلى عن الدنيا) ويظهر من هذا الوصف أن طائفة استخدموا شعار الرهبنة، وهي اللباس الخاص الذي يميزهم عن غيرهم من افراد المجتمع لينقطعوا الى العبادة، كما هي الحالة المستمرة عند الرهبان.

وقد شرح الإمام انّه لارهبانية في الاسلام، كما قال النبيّ القائدصلى الله عليه وآله، وذلك؛ لأنّ الاسلام يتضمن احكام شرعية يستوجب حاجة المجتمع ككل، ولا تمييز لطبقة من المجتمع على الاقتصار على جانب واحد منها، والاحكام فيها العبادات التي هي علاقة الإنسان بربه، ولكنها في نفس الوقت علاقات اجتماعية، فتقام الصلاة جماعة والحج باجتماع المسلمين في المواقف، كما أن فيها العلاقات الفردية، وكذلك الزكاة فهي فريضة عبادية اقتصادية لا تنفك عن القيادة من التقرب بها واسعاد الفقراء ورفع حاجاتهم المادية، والامر بالمعروف والنهي عن المنكر فريضة عبادية اجتماعية مفعمة بالمسؤولية تجاة المجتمع الاسلامي على كلّ الافراد، وليس لجهة معينة،قد يتسرب فيها عوامل التنافس والفساد الاداري الذي هو من مستلزمات أي عمل اداري، وهكذا غيرها من المبادئ الاسلامية، اذا تامل في اثارها على النفس والمجتمع.

(١) في د: العباءة، وفي هـ. ص: العباء جمع عباءة مهموزاً وقد لا يهمز وهو الكساء.
(٢) في هـ. ب: تصغير العدو.
(٣) استهام.
(٤) في هـ. ب: من الهون.

وعليه يكون الاعتقاد بأن الزهد هو التخلي عن الدنيا تحت شعار خاص، انحراف عن الاهداف الاسلاميّة التي من اجلها شرع للاسلام، وختاره الله للانام.

وقد استدل الإمام على ذلك بقوله:

١ ـ (يا عدي نفسه) وهذا تصغير لكلمة العدو؛ فإنّ العدو يعادي غيره، وهذا يعادي نفسه بما لا يستحق العداء، حيث أن الله سبحانه اكرم الإنسان بالعقل، فاهماله عداوة وغباوة.

٢ ـ (لقد استهام بك الخبيث) مشيرا إلى الشيطان، حيث أن الموقف يستلزم العمل بالاسلام في جميع احكامه بالنسبة إلى النفس وغيره، والتفريق بين طائفة من الاحكام وهي العبادات والتخلي عن غيرها من الاحكام الاجتماعية والاقتصادية هو ايمان بالبعض وكفر بالبعض الاخر، وهذا التفريق ليس من الاسلام، بل من الكفار الذين وصفهم الله تعالى بقوله:(يقولون نؤمن ببعض ونكفر ببعض ويريدون أن يتخذوا بين ذلك سبيلا)[١] والاسلام هو مجموع الاحكام ولا يمكن التفريق بينها.

وكلّ احكامه واجبة على حد سواءً من الصلاة والعبادات المحضة والزكاة العبادية الاقتصادية، وصلة الرحم العبادية الاجتماعية، والجهاد العبادية السياسية، وهكذا. ولا يمكن التفريق بينها لمن اجتمعت فيه الشرائط، ومنها ما احله الله لجميع العباد.

٣ ـ(أترى الله أحل لك الطيبات وهو يكره أن تأخذها؟) مستنداً إلى قوله تعالى:﴿قل من حرم زينة الله التي أخرج لعباده والطيبات من الرزق؟﴾ [٢]؛ فإنّ الاحكام والمبادئ الاسلاميّة لا تفرق بينها، والزهد بمعنى التخلى عن الدنيا يستلزم تحريم ما احل الله من الطيبات بالاعراض عنها، وهذا مرفوض من منطق الاسلام.

٤ ـ (أنت أهون على الله من ذلك) باتخاذ الموقف الذي يعارض تشريع الاسلام بتحريم الحلال وتحليل الحرام؛ كما يستلزم المفهوم المغلوط في الزهد من ذلك، والله العاصم.

(٣/ط ـ ٢٠٩) من مسؤوليات الإمام:

(١) الانبياء: ١٥.
(٢) الاعراف: ٣٢.

قال: يَا أمير المؤمنين، هَذَا أَنْتَ في خُشُونَةِ[١] مَلْبَسِكَ، وَجُشُوبَةِ[٢] مأكَلِكَ!

قَـالَ: وَيْحَكَ إِنِّـي لَسْتُ كَأَنْتَ، إِنَّ ٱللهَ تَـعَالَى فَـرَضَ عَـلَى أَئِـمَّةِ ٱلْـعَدلِ[٣] أَنْ يُقَدِّرُوا[٤] أَنْفُسَهُمْ بِضَعَفَةِ النَّاسِ، كَيْلَا يَتَبَيَّغَ[٥] بِالْفَقِيرِ فَقْرُهُ!

المسؤولية الاولى: حرية التعايش بين القائد والحاضرين، فقد أبدى عاصم الحارثي ما يلاحظه من كلام الإمام الذي لا يتطابق مع موقفه، وهذه الملاحظة منه تشير إلى الحرية والصراحة بين الإمام كقائد وبين اصحابه، كأنّه احدٌ منهم، ويتسم مجالسهم بالصراحة في القول من دون حجاب أو خوف؛ فإنّ ابداء هذه الملاحظة السلبية تجاة الإمام نفسه تطبيق لمسؤوليات الإمام القائد التي أكد عليها الاسلام في قوانينه الادارية والسياسية من الشورى، وطبقها الرسول القائد في حياته حتّى وفاته بين الصحابة، فقال عاصم ـ ويبدو انه معترض ـ:

(قال: يا أمير المؤمنين هذا أنت في خشونة ملبسك وجشوبة مأكلك) والجشوبة: يعني الطعام الذي لا ادام معه. ويتلخص الاعتراض بأن كلما ذكره الامام من امر الطيبات تنطبق عليه وعلى غيره من المسلمين، فلما امر بتطبيقها على غيره من المسلمين واخذ الإمام على نفسه التقشف في الحياة؟، وهذا من الإمام تفريق لاحكام الله تعالى بين الناس، حيث أخذ بالتقشف من الطيبات في حياته الخاصة، ومنع من التقشف غيره من الناس؟

والإمام من جانبه لم يستنكر هذا الاعتراض، كما لم ينكرها لانها حقيقة كما هي مدروسة في حياته، وانما أشار إلى السبب الداعي الى ذلك.

المسؤولية الثانية:

للقائد الاسلامي المساواة بين طبقات المجتمع الاسلامي بالتلاحم مع كافة طبقات الشعب الذي يحكمه، ولا يمكن ذلك إلّا بالنزول إلى مستوى اضعف الطبقات، والمساواة معهم في مستوى حياتهم، فقال الإمام:

(١) في هـ ب و ص: الخشن ضد اللين.
(٢) في هـ. ب: الطعام الجشب هو الذي لا ادام له، وفي هـ. ص: أي غلظة، فهو ما يؤكل لدفع الجوع لا للذة.
(٣) في ط و د: الحق، وفي هـ و ص في نسخة: الحق.
(٤) في هـ. ص: أي يشبهوا ويمثلوا.
(٥) في هـ. ب: يتهيّج.

١ ـ (ويحك) وهي كلمة استنكار تطلق تنبيها على الجهل بالاسباب الداعية للمواقف الصائبة.

٢ ـ (إني لست كأنت)؛ فإنّ الاحكام والمبادئ الاسلامية عامة مطلوبة من جميع افراد المجتمع الاسلامي، لكن هناك مسؤوليات خاصة للقائد الاسلامي التي لا يشترك فيها عامة الناس بحكم القيادة التي تقلدها، ثمّ أشار الى احدى هذه المسؤوليات بقوله:

٣ ـ (إن الله فرض على أئمة العدل أن يقدروا أنفسهم بضعفة الناس) والتقدير يعني: رعاية الموقف بحسب ما يعيش اضعف الناس في المجتمع.

وإلى سبب هذه المسؤولية الالاهيّة لُملقاة على القائد قال:

٤ ـ (كيلا يتبيّغ بالفقير فقره) والتبيّغ: الهيجان والغلبة؛ فإنّ من الطبيعي أن يستأنس الإنسان إلى من هو في طبقته في لجنس واللون والثقافة والحياة المادية، من دون ترفع، والإمام العادل يجب أن يشارك الشعب في الامال والالام، وليس في أي شعب أشدّ من الفقر المادي، فانه كاد ان يكون كفرا، فيجب على الإمام أن يشارك الفقير في حياته الاقتصادية التي يعيشها لكن لكي يتحسس بالامه ويسعى في رفعها.

وهذه المسؤولية خاصة بالقائد؛ لأنّه المسؤول عن جميع افراد الشعب الذي يحكمه باختلاف طبقاتهم الاجتماعية.

قال الشارح ابن أبي الحديد (ت / ٦٥٦ هـ)، ما نصّه:«فما قام عليﷺ حتى نزع عاصم العباء ولبس ملاءة . والربيع بن زياد هو الذي افتتح بعض خراسان وفيه قال: عمر دلوني على رجل إذا كان في القوم أميرا فكأنه ليس بأمير وإذا كان في القوم ليس بأمير فكأنه الأمير بعينه وكان خيرا متواضعا وهو صاحب الوقعة مع عمر لما أحضر العمال فتوحش له الربيع وتقشف واكل معه الجشب من الطعام فأقره على عمله وصرف الباقين وقد ذكرنا هذه الحكاية فيما تقدم . وكتب زياد بن أبيه إلى الربيع بن زياد وهو على قطعة من خراسان إن أمير المؤمنين معاوية كتب إلى يأمرك أن تحرز الصفراء والبيضاء وتقسم الخرثى [١] وما أشبهه على أهل الحرب فقال: له الربيع فقال: إني وجدت كتاب الله قبل كتاب أمير المؤمنين ثم نادى في الناس أن اغدوا على غنائمكم فاخذ الخمس وقسم

(١) الخرثى : أردأ المتاع .

الباقي على المسلمين ثم دعا الله أن يميته فما جمع حتى مات . وهو الربيع بن زياد بن انس بن ديان بن قطر بن زياد بن الحارث بن مالك بن ربيعة بن كعب بن مالك بن كعب بن الحارث بن عمرو بن وعلة بن خالد بن مالك بن أدد . واما العلاء بن زياد الذي ذكره الرضىﷺ فلا أعرفه لعل غيري يعرفه».[١]

[٢١٠]

ومن كلامه ﷺ وقد سأله سائل عن أحاديث البدع ، وعما في أيدي الناس من اختلاف الخبر ، فقالﷺ :

(١/ط ـ ٢١٠) أصناف الحديث:

تتضمن اصناف الحديث واصناف رواته من المنافقين والمتوهمين والمنتبهين والعارفين والمخاطبين وغيرهم.

وهذا المقطع من رواية كاملة يرويها بالاسناد عن الكليني (ت /٣٢٨) في باب اختلاف الحديث من كتاب الكافي، عن علي بن ابراهيم بن هاشم، عن ابيه، عن حماد بن عيسى، عن ابراهيم بن عمر اليماني، عن ابان بن أبي عياش، عن سليم بن قيس الهلالي، قال: قلت لاميرالمؤمنين اني سمعت في سلمان والمقداد وابو ذر شيئا من تفسير القرآن واحاديث عن نبي الله ﷺ غير ما في ايدي الناس، ثمّ سمعت منك تصديق ما سمعته ورايت في ايدي الناس اشياء كثيرة من تفسير القرآن ومن الاحاديث عن نبي الله ﷺ انتم تخالفونهم، فهاؤلاء يزعمون أن ذلك كله باطل، افترى الناس يكذبون على رسول الله ﷺ متعمدين، ويفسرون القرآن بآرائهم؟

قال: فاقبل عليّ فقال: قد سألت فافهم الجواب، أن في أيدي الناس حقا وباطلا..الخ اخرة وذكرته في المسند، فراجع.

وقد نبه الشيخ عبدالله المامقاني (ت /١٣٥١) ألى أن هذا هو المصدر لنهج البلاغة، فقال بعد نقل الخبر ما لفظه: «وقد ذكر شطرا من هذا الحديث بعينه السيد الرضي في نهج البلاغة حتّى سأل السائل عن احاديث البدع وعمافي أيدي الناس من اختلاف الخبر، وذكر الحديث من عند قوله: (إن في أيدي الناس حقا وباطلا) الى حد قوله: (و كان لا يمر

(١) شرح نهج البلاغة ؛ ابن أبي الحديد ١١ : ٣٦ ـ ٣٧.

بي من ذلك شيْ إلّا سألت عنه وحفظت) مع تفاوت غير مخلّ بالمعنى.(١)

وقد ذكرت الفوارق بين روايات النهج والكافي وكتاب سليم الهلالي في المسند، فراجع.

(٢/ط-٢١٠) أصناف الحديث:

إنَّ فِي أَيْدِي النَّاسِ حَقًّا وَبَاطِلاً، وَصِدْقاً وَكَذِباً، وَنَاسِخاً وَمَنْسُوخاً، وَعَامّاً وَخَاصّاً، وَمُحْكَماً وَمُتَشَابِهاً(٢)، وَحِفْظاً وَوَهَماً(٣).

وَلَقَدْ كُذِبَ عَلَى رسُول اللهِ ﷺ عَلَى عَهْدِهِ، حَتَّى قَامَ خَطِيباً، فَقَالَ: «مَنْ كَذَبَ عَلَيَّ مُتَعَمِّداً فَلْيَتَبَوَّأْ مَقْعَدَهُ مِنَ النَّارِ».

واما اصناف الحديث المتصورة باعتبار الدواعي على روايته فهي تتبع الدواعي للراوي التي دفعته لنقل الرواية الخاصة، حيث لا يكون الرواية إلّا لسبب معقول، كاسناد حقيقة يغفل عنها واثبات البطلان لفكرة مبتدعة وماشابه ممّا يقتضيه الوعظ والارشاد، وقد سردها الامام في اثنى عشر صنفا بقوله:

١ ـ (ان في أيدي الناس حقا) ممّا لا شبهة فيه من الاحاديث النبوية التي توافق نصوص القرآن الكريم المتواترة بين المسلمين.

٢ ـ (و باطلا) وهي الاحاديث التي تناقض القرآن الكريم والمبادئ الاسلاميّة الثابتة في العقيدة والشريعة باجماع المسلمين.

٣ ـ (وصدقا) فيما اذا كان الراوي لها صدوقا في نفسه، فيجتنب الكذب في اقواله ومنها الحديث المزبور.

٤ ـ (وكذبا) فيما اذا كان الهدف من رواية الحديث مساندة بدعة فيضع الحديث كذلك.

٥ ـ (وناسخا) لما تقدمه من الاحاديث التي تقدمت على هذا الحديث من حيث الزمن.

(١) راجع: مقباس الهداية ص ٢٧ طبعة النجف ١٣٥٢.
(٢) في هـ. ص: وهذا دليل على وقوعهما في السنة كما في الكتاب.
(٣) في هـ. ص: الهاء مفتوحة مصدر وهمت بالكسر أو وهم أي غلطت وسهوت وقد روي وهما، بالتسكين وهو مصدر وهمت بالفتح اسم اذا ذهب وهمك الى شيء وأنت تريد غيره والمعنى متقارب، انتهى من الشرح.

٦ ـ (ومنسوخا) كالاحاديث التي صدرت في بدء البعثة؛ فإنّ الاحاديث في البعثة قد نسخ بعضها.

٧ ـ (وعاما) يشمل جميع الموارد بنحو العموم الاستغراقي أو المجموعي.

٨ ـ (وخاصا) يكون محققا للعموم المتقدم عليه.

٩ ـ (ومحكما) لصراحة النص في المادة بما لا يكون مجالا للشك.

١٠ ـ (ومتشابها) للاحتمالات الطارئة في دلالة النص.

١١ ـ (وحفظا) ممّا كان الراوي اتقن حفظ الحديث نصاً باللفظ من دون زيادة أو نقصان أو تفسير.

١٢ ـ (ووهما) ممّا نقل بالمعنى حسبما فهمه الراوي، وقد لا يكون ما فهمه هو الصحيح، لشهادة القرائن عليه وخاصة اذا كان من الغرباء الذين لا يعرفون ما يتعارف عليه أهل المنطقة منالمجازات والاستعارات المستحدثد في لهجاتهم فيتوهم المجاز حقيقة.

وأشار إلى السبب في تعدد هذه الاصناف بالحديث المنقول عن النبي بقوله:

(ولقد كذب على رسول الله ﷺ على عهده حتّى قام خطيبا فقال: «من كذب علي متعمدا فليتبوأ مقعدة من النار») فإنّه اذا صح تحقق الكذب في عصره عليه ـ كما هو المتواتر ـ فالاحتمالات الاخرى ايضا تكون واردة بما فيها هذه الاصناف المذكورة، وقد شرحها علماء الدراية وأوسعهم الشيخ عبدالله المامقاني (ت/١٣٥١) في مصباح الهداية، ط/١٣٥٢، كما اشرت إلى أهمها في دراية الحديث، فراجع.

(٣/ط-٢١٠) أصناف الرواة ـ المنافقون:

وَإِنَّمَا أَتَاكَ بِالْحَدِيثِ أَرْبَعَةُ رِجَالٍ، لَيْسَ لَهُمْ خَامِسٌ:

رَجُلٌ مُنَافِقٌ مُظْهِرٌ لِلْإِيمَانِ، مُتَصَنِّعٌ بِالْإِسْلَامِ، لَا يَتَأَثَّمُ وَلَا يَتَحَرَّجُ(١)، يَكْذِبُ عَلَى رَسُولِ اللهِ ﷺ مُتَعَمِّداً، فَلَوْ عَلِمَ النَّاسُ أَنَّهُ مُنَافِقٌ كَاذِبٌ لَمْ يَقْبَلُوا مِنْهُ، وَلَمْ يُصَدِّقُوا قَوْلَهُ، وَلٰكِنَّهُمْ قَالُوا: صَاحِبُ رَسُولِ اللهِ ﷺ، رَآهُ(٢) وَسَمِعَ مِنْهُ(٣)، وَلَقِفَ عَنْهُ(٤)؛ فَيَأْخُذُونَ

(١) في هـ. ب: أي لا يرىٰ اثماً ولا حرجاً، وفي هـ. ص: والتأثم الكف عن موجب الاثم والتحرج الكف عن موجب الحرج.
(٢) في هـ. د: رأىٰ ـ ب.

بقَوْلِهِ، وَقَدْ أَخْبَرَكَ ٱللهُ عَنِ المُنَافِقِينَ بِمَا أَخْبَرَكَ، وَوَصَفَهُمْ بِمَا وَصَفَهُمْ بِهِ لَكَ، ثُمَّ بَقُوا بَعْدَهُ[٥]. فَتَقَرَّبُوا إِلَى أَئِمَّةِ الضَّلاَلَةِ[٦]، وَالدُّعَاةِ إِلَى النَّارِ بِالزُّورِ وَٱلْبُهْتَانِ، فَوَلَّوهُمْ ٱلْأَعْمَالَ، وَجَعَلُوهُمْ حُكَّاماً[٧] عَلَى رِقَابِ النَّاسِ، فَأَكَلُوا بِهِمُ الدُّنْيَا، وَإِنَّمَا النَّاسُ مَعَ المُلُوكِ وَالدُّنْيَا، إلاَّ مَنْ عَصَمَ ٱللهُ. فَهَذَا أَحَدُ ٱلْأَرْبَعَةِ[٨].

ووصف الاقسام الخمسة من الرواة، وهم: المنافقون والمتوهمون، والمشتبهون، والصادقون بما فيهم الموجهون والحافظون.

القسم الأوّل: المنافقون:

فان المنافقين يشاركون المشركين في الدعاية ضد الاسلام والنبي الكريم، فقام المشركون بالحملات الدعائية ضد الاسلام من الخارج والمنافقون بوضع الاحاديث ضد في الاسلام من الداخل لهدف واحد هو تشويه مفاهيم الاسلام بأية وسيلة ممكنة، وكشف عن اوصاف المنافقين بقوله:

١ ـ (رجل منافق مظهر للإيمان، متصنع بالاسلام) كما هي طبيعة النفاق باتصافه بالوجهين، فهو لا يعتقد بالاسلام ويظهره ويبطن الكفر ويخفيه، وطبيعيّ أن هذا:

٢ ـ (لا يتأثم ولا يتحرّج، يكذب على رسول الله ﷺ متعمدا) فإنّه بحكم النفاق لا يرى في الكذب على الرسول القائد اثما؛ لعدم ايمانه بالثوابت الاسلامية من الصدق، فلا يكون الكذب له حرجا قط.

٣ ـ (فلو علم الناس انّه منافقٌ كاذبٌ لم يقبلوا منه ولم يصدقوا قوله) لعلم الناس بأن الدافع له على هذه الرواية النفاق، فتسقط روايته عن الحجية راساً.

٤ ـ (ولكنهم قالوا: صاحب رسول الله ﷺ، رأى وسمع منه، ولقف عنه، فيأخذون بقوله) فان المنافقين الذين انزل الله فيهم سورة كاملة في القرآن الكريم كلهم كانوا من

(٣) في ب: به وفي هـ. ب: في نسخة منه.
(٤) أي تناول وأخذ عنه.
(٥) في هـ في ب و ص و د زيادة ﷺ وفي هـ. ب: بعد النبي.
(٦) في ص: الضلال.
(٧) لم ترد «حكاماً» في ب و ص و د و في هـ. ب: حاكماً علىٰ رقاب الناس، وفي هـ. د: وجعلوهم حكّاماً ـ ض ح ب.
(٨) في هـ. د: فهو أحد الأربعة ـ ب.

صحابة الرسول، والحجية تستلزم عادة خصال ثلاث هي الرؤية لوجهه الكريم، والسماع منه، واللقف عنه، وهو الاخذ منه، كما هو الشان في ايّة صحبة، فتستر المنافق بعنوان الصحبة للكذب على الرسول ﷺ يؤثر نقله في المجتمع الذي لا يعرف الدواعي.

وحيث لاحاجة إلى شرح احوال المنافقين ومواقفهم ضد النبي ﷺ في المدينة لم يذكرها بالتفصيل، لانها مشروحة في السيرة النبوية (وراجع المادة في المعجم).

واشار إلى ذلك بقوله:

٥ ـ (وقد أخبرك الله عن المنافقين بما أخبرك، ووصفهم بما وصفهم به لك) مشيرا إلى سورة المنافقين الخاصة بهم، والوصف الكامل لهم فيها وفي غيرها، راجع سورة المافقين رقم ٦٣ (و أوضح البيان).

٦ ـ (ثم بقوا بعده عليه وآله السلام، فتقربوا إلى أئمة الضلالة والدعاة إلى النار بالزور والبهتان) كما هي طبيعة النفاق، فكانت الاحاديث الموضوعة تساعد مواقف اولئك الظلمة، وعن الثمن لوضع الاحاديث أشار بقوله:

٧ ـ (فولوهم الأعمال وجعلوهم حكاما على رقاب الناس) بسبب التقرب اليهم بالاحاديث الموضوعة الكاذبة.

وعن نتيجة الصلة بين وضع الحديث وتولي الاعمال قال:

٨ ـ (وأكلوا بهم الدنيا)؛ فإنّ هذه الصلة اتاحت للمنافقين ما تربصوا له وخططوا له، وهو الوصول إلى اهدافهم في الدنيا.

وعن السبب في شيوع الاحاديث الموضوعة بين المسلمين أشار بقوله:

٩ ـ (وإنما الناس مع الملوك والدنيا) حيث أن بيدهم الوسائل السمعية والقنوات التي منها تستقي العامة المعلومات، كما هو الحال في عصرنا من قنوات الاذاعة والتلفاز.

١٠ ـ (إلّا من عصم الله) وهم القلة في كلّ عصر ومصر؛ لانها التي لا تتأثر بالدعايات من الاذاعات، وتحاول فهم الحقيقة من طرقها المشروعة، وطبيعيّ أن يفتشوا عن منابع الاخبار ليميزوا بين صحيحها وسقيما، وعن احوال الرواة ليعرفوا مدى تاثرهم بالدعايات، ويتعرفوا على الدوافع بين رواياتهم ومناصبهم، والصلة بينهما وبين ما يرون من اجلها، وهي علميّة شاقة لا يكون إلّا في القليل من الناس الذين عصمهم الله من الانزلاق، وهم قلة في كلّ عصر ومصر.

وهذه النقاط العشر تظهر مواقف النفاق، وانما قد ذكرها لكثرة الدواعي اليه من اعداء النبي ﷺ، فقال: (فهو أحد الأربعة) التي يجب الاعراض عنها، ويبقى الخامس هو الطريق الوثيق.

(٤ / ط - ٢١٠) المتوهمون:

وَرَجُلٌ سَمِعَ مِنْ رَسُولِ ٱللهِ[1] شَيْئاً لَمْ يَحْفَظْهُ عَلَى وَجْهِهِ، فَوَهِمَ[2] فِيهِ، وَلَمْ يَتَعَمَّدْ كَذِباً، فَهُوَ فِي يَدَيْهِ، يَرْوِيهِ[3] وَيَعْمَلُ بِهِ، وَيَقُولُ: أَنَا سَمِعْتُهُ مِنْ رَسُولِ ٱللهِ ﷺ، فَلَوْ عَلِمَ الْمُسْلِمُونَ أَنَّهُ وَهِمَ فِيهِ لَمْ يَقْبَلُوهُ مِنْهُ[4]، وَلَوْ عَلِمَ هُوَ أَنَّهُ كَذَلِكَ لَرَفَضَهُ.

والقسم الثاني من الرواة الذين يجب الإعراض عنهم وصفهم بقوله:

١ ـ (ورجل سمع من رسول الله شيئا لم يحفظه على وجهه) بحسن نيّة وليس كالمنافقين المتعمدين.

٢ ـ (فوهم فيه) والوهم هو الخطأ في الفهم من دون تعمد.

٣ ـ (ولم يتعمد كذبا) كما كانت الحالة للمنافقين المتعمدين للكذب على الرسول ﷺ، وعن نتيجة الوهم في العمل قال:

٤ ـ (فهو في يديه ويرويه ويعمل به ويقول: أنا سمعته من رسول الله ﷺ) فالرواي بيديه الحديث النبوي وهو صادق في كلّ مواقفه وان كان واهما للخطأ في الفهم، حيث يفهم من الحديث من منظاره الخاص ويفسره كما فهمه، وقد فاته التاكد في فهم المعنى من السؤال من النبي ﷺ، ولكن للوهم اثره الفتاك في عمل نفسه وعمل غيره، والى ذلك أشار بقوله:

٥ ـ (فلو علم المسلمون انّه وهم فيه لم يقبلوه منه، ولو علم هو انّه كذلك لرفضه) وحيث المسلمين ولا هو يعلم بالوهم، فهم يستمرون على العمل المبتني على الخطأ في الفهم، ولم يشر إلى اسباب الخطأ في الفهم؛ فإنّها كثيرة، واهمها: خفاء القرائن الحالية والمقالية والاستعمالات المجازية التي أعدت حقيقة، فرب حامل فقه إلى من هو أفقه منه

(١) في ب و ض زيادة ﷺ.
(٢) أي غلط وأخطأ.
(٣) في ط: ويرويه، وفي هـ. د: ويرويه ـ ض ح ب.
(٤) في هـ. د: لم يقبلوا منه ـ ض ب ل.

يعرف مواضع الوهم بالدراسة الموضوعية الحرة.

(٥ / ط - ٢١٠) المشتبهون:

وَرَجُلٌ ثَالِثٌ، سَمِعَ مِنْ رَسُولِ ٱللهِ ﷺ شَيْئاً، يَأْمُرُ بِهِ، ثُمَّ[1] نَهَى عَنْهُ، وَهُوَ لَا يَعْلَمُ[2]، اَوْ سَمِعَهُ يَنْهَى عَنْ شَيْءٍ ثُمَّ أَمَرَ بِهِ وَهُوَ لَا يَعْلَمُ[3]، فَحَفِظَ الْمَنْسُوخَ وَلَمْ يَحْفَظِ النَّاسِخَ، فَلَوْ عَلِمَ[4] أَنَّهُ مَنْسُوخٌ لَرَفَضَهُ، وَلَوْ عَلِمَ الْمُسْلِمُونَ إِذْ سَمِعُوهُ مِنْهُ أَنَّهُ مَنْسُوخٌ لَرَفَضُوهُ.

القسم الثالث: المشتبهون الذين سمعوا شطراً من الحديث النبوي فاخذوا به من دون تفصّ عن الحديث كاملا؛ لاختلاف مواقع الحديث وظروفه التي دعت إلى الحكم، والى ذلك أشار بقوله:

١ ـ (ورجل ثالث سمع من رسول الله ﷺ شيئا يأمر به، ثمّ نهى عنه وهو لا يعلم)؛ فإنّ الحديث الأوّل: منسوخ بالحديث الثاني، فعلم بالمنسوخ من دون علم بالناسخ.

٢ ـ (أو سمعه ينهى عن شيء، ثمّ أمر به وهو لا يعلم)؛ فإنّ الأمر المتأخر يكشف عن نسخ النهي السابق، وقد تكفل علماء اصول الفقه شرح هذه المباحث في مباحث النسخ والاوامر والنواهي، وراجع: مباني الاصول.

٣ ـ (فحفظ المنسوخ ولم يحفظ الناسخ) ونتيجة لعدم الحفظ للحديث الجامع من الناسخ والمنسوخ اثر حديثه في الموقف من الانحراف.

وعن نتيجة ذلك وان حديث الاشتباه ليس متعمداً قال:

٤ ـ (فلو علم انّه منسوخ لرفضه)؛ لأنّه مشتبه غير متعمد، وكذلك غيره.

٥ ـ (ولو علم المسلمون إذ سمعوه منه انّه منسوخ لرفضوه) لعلمهم لمبدأ الاسناد فيه، ومن أجل ذلك كان دور الفقهاء في دراسة بحوث النسخ عظيما، ومع الاسف انّه في عصرنا لم يبحث فيها علماء الاصول المتاخرين عن الشيخ الانصاري (ت / ١٢٨٠) معتقدين انّه من المباحث القرآنية، وليتهم درسوا الدراسات القرآنية في الحوزة، فلم يكن هذا ولا ذاك، وان أشاروا الى مواضع الحاجة اليها في الفقه، ووضع فيه القدماء وخاصة

(١) في ط: ثم انه، وفي هـ. د: ثم انه ـ ض، ح.
(٢) في هـ. ب: أي وهو لا يعلم نهيه.
(٣) في هـ. ب: أي وهو لا يعلم انه أمر به.
(٤) في ب و ص د: فلو يعلم، وفي هـ د: فلو علم ـ ض ح ب.

الشيخ الطوسي (ت / ٤٦٠) في العدة، وقد تبعته في مباني الاصول، فراجع.

(٦ / ط ـ ٢١٠) الصادقون الموجهون:

وَآخَرُ رَابِعٌ[١]، لَمْ يَكْذِبْ عَلَى ٱللهِ وَلَا عَلَى رَسُولِهِ، مُبْغِضٌ لِلْكَذِبِ خَوْفاً مِنَ ٱللهِ[٢]، وَتَعْظِيماً لِرَسُولِ ٱللهِ ﷺ، وَلَمْ يَهِمْ[٣]، بَلْ حَفِظَ مَا سَمِعَ عَلَى وَجْهِهِ، فَجَاءَ بِهِ عَلَى سَمْعِهِ[٤]، لَمْ يَزِدْ فِيهِ وَلَمْ يَنْقُصْ مِنْهُ، فَهُوَ[٥] حَفِظَ النَّاسِخَ فَعَمِلَ بِهِ، وَحَفِظَ المَنْسُوخَ فَجَنَّبَ عَنْهُ[٦]، وَعَرَفَ ٱلْخَاصَّ وَٱلْعَامَّ، فَوَضَعَ كُلَّ شَيْءٍ مَوضِعَهُ، وعرف المتشابه ومحكمه[٧].

والقسم الرابع: الصادقون الموجهون، فهم في النقل صادقون ولكن في النطبيق خاطئون، حيث يوجهون المعنى إلى غير ما هو المقصود بحسن نية، وهذا القسم يكثر كلما بعد العهد من عصر الرسالة؛ فإنّ القرائن الحالية والمقالية تخفى تدريجيا بتطور الزمن حتّى يفتقر إلى جهد جهيد لدراسة النصوص دراسة موضوعية لرواتها والمتابعات لها والشواهد الدالة عليها، وغيرها ممّا هو مشروح في دراية الحديث، فراجع.

١ ـ (وآخر رابع لم يكذب على الله ولا على رسوله) فنقل الحديث لفظا كما وصل اليه نصا.

٢ ـ (مبغض للكذب؛ خوفا من الله وتعظيما لرسول الله ﷺ) كما هو المفروض على كلّ مسلم من الرواة وغيرهم.

٣ ـ (ولم يهم) أي لم يتلبس بالوهم، كما هو الحال في القسم الثاني.

وإلى الاسباب الموجبة لعد هذا القسم رابعاً، وليس من القسم الثاني، اشار بقوله:

---

(١) في هـ ص قال ابن الجوزي في كتابه ذخيرة الصابرين وانما دلّ بهذا علىٰ نفسه انتهىٰ، وفي أمالي أحمد بن عيسىٰ مارسمه قال سمعت أبا الطاهر العلوي يذكر قال إذا سمعت حديثين وثبتا عندي حديث عن النبي ﷺ وحديث من علي أخذت بالحديث الذي من علي لأنه كان أعلم الناس بآخر ما كان عليه النبي ﷺ.

(٢) في ب و ص و د: خوفاً لله، وفي هـ. د: خوفاً من الله ـ ض ح ب.

(٣) في هـ. ب: من الوهم.

(٤) د: علىٰ ما سمعه، وفي هـ. د: علىٰ سمعه ص ح ب ش.

(٥) لم ترد «فهو» في ب و د.

(٦) في هـ. ب: أي أخذ عنه جانباً.

(٧) العبارة في ط هكذا: والمحكم ومتشابه فوضع كل شيء موضعه.

أوّلاً: (بل حفظ ما سمع على وجهه) من دون زيادة أو نقصان من التفسير الشخصي.

ثانياً: (فجاء به على ما سمعه) لفظا بلفظ في النص.

ثالثاً: (لم يزد فيه ولم ينقص منه) للتوضيح والتفسير، كما هو الحال في القسم الثاني.

رابعاً: (فحفظ الناسخ فعمل به، وحفظ المنسوخ فجنّب عنه) بالاعراض عنه (وعرف الخاص والعام فوضع كلّ شئ موضعه)، فمن ناحية الصدق فله المحل الارفع، ولكن ينقصه الخطأ في التطبيق.

(٧ / ط ـ ٢١٠) الخطأ في التطبيق:

وَقَدْ كَانَ يَكُونُ مِنْ رَسُولِ ٱللهِ ﷺ ٱلْكَلَامُ لَهُ وَجْهَانِ، فَكَلَامٌ خَاصٌّ، وَكَلَامٌ عَامٌّ، فَيَسْمَعُهُ مَنْ لَا يَعْرِفُ مَا عَنَى ٱللهُ[١] بِهِ، وَلَا مَا عَنَى[٢] رَسُولُ ٱللهِ ﷺ، فَيَحْمِلُهُ السَّامِعُ، وَيُوَجِّهُهُ عَلَى غَيْرِ مَعْرِفَةٍ بِمَعْنَاهُ، وَمَا قَصَدَ بِهِ، وَمَا خَرَجَ مِنْ أَجْلِهِ[٣].

وإلى مشكلة الخطأ في التطبيق من هذا القسم الرابع من الرواة أشار بقوله:

١ ـ (وقد كان يكون من رسول الله ﷺ الكلام له وجهان: فكلام خاص وكلام عام، فيسمعه من لا يعرف ما عنى الله به ولا ما عني رسول الله ﷺ) فان لكل مقام مقال، ويكون للفظ أكثر من معنى واحد، فان للالفاظ معاني وبطون، وكان الرسول القائد يكلم الناس على قدر عقولهم، فيفهم كل من الكلام وجهاً خاصاً يتحمله اللفظ، وبسبب تعدد المعاني يفقد السامع المعنى الصحيح الذي عناه النبي ﷺ فيطبقه على المعنى الذي لم يقصده النبي ﷺ.

وعن نتيجة الخطأ في التطبيق قال:

١ ـ (فَيَحْمِلُهُ السَّامِعُ) كما سمعه، ومن هذه الجهة فهو صادق في نقل الحديث النبوي لفظاً.

٢ ـ ولكن (وَيُوَجِّهُهُ عَلَى غَيْرِ مَعْرِفَةٍ بِمَعْنَاهُ، وَمَا قَصَدَ بِهِ، وَمَا خَرَجَ مِنْ أَجْلِهِ) حيث يطبقه خطأً على موارد اخر تختلف عن المورد الذي استعمله النبي فيه.

---

(١) في ط و د زيادة سبحانه، وفي هـ. د: ما عنى الله به ـ ش.

(٢) في ب و ص زيادة به.

(٣) في هـ. ب: أي ما خرج من سببه، أي يسأل رسول الله وأشفعهم منه القوم اذا طلع عليهم وفي هـ. ص: بالهمز الطالع على القوم من غيرهم.

وعن اسباب الخطأ في التطبيق قال:

أوّلا: (على غير معرفة بمعناه) من المعاني المتعددة الذي عناه النبي ﷺ في مقام التكلم.

ثانيا: (وما قصد به) من الهدف الذي قال ذلك الكلام.

ثالثا: (وما خرج من أجله) من السبب الذي دعاه إلى ذلك الكلام.

فان هذه الاسباب لو اجتمعت وعرفت في وقت الخطاب لما وقع السامع في الخطأ، ولكن عدم العلم بها يوجب الخطأ في تطبيقه على موارد لا تجتمع فيه هذه العناصر.

فيكون خطأ في التطبيق، وليس من القسم الثاني الذي هو سوء فهم للمعنى، بل خطأ في تطبيق اللفظ الدال على المعاني المتعددة على احدها.

قال الشارح ابن أبي الحديد (ت / ٦٥٦ هـ)، ما نصّه: «واما قوله عليه السلام : وقد كان يكون من رسول الله ﷺ الكلام له وجهان) :

فهذا داخل في القسم الثاني وغير خارج عنه ولكنه كالنوع من الجنس لان الوهم والغلط جنس تحته أنواع.

واعلم أن أمير المؤمنين عليه السلام كان مخصوصا من دون الصحابة رضوان الله عليهم بخلوات كان يخلو بها مع رسول الله ﷺ لا يطلع أحد من الناس على ما يدور بينهما وكان كثير السؤال للنبي ﷺ عن معاني القرآن وعن معاني كلامه ﷺ وإذا لم يسال ابتداه النبي ﷺ بالتعليم والتثقيف ولم يكن أحد من أصحاب النبي ﷺ كذلك بل كانوا أقساما فمنهم من يهابه أن يسأله وهم الذين يحبون أن يجئ الاعرابي أو الطارئ فيسأله وهم يسمعون ومنهم من كان بليدا بعيد الفهم قليل الهمة في النظر والبحث ومنهم من كان مشغولا عن طلب العلم وفهم المعاني اما بعبادة أو دنيا ومنهم المقلد يرى أن فرضه السكوت وترك السؤال ومنهم المبغض الشانئ الذي ليس للدين عنده من الموقع ما يضيع وقته وزمانه بالسؤال عن دقائقه وغوامضه وانضاف إلى الامر الخاص بعلي عليه السلام ذكاؤه وفطنته وطهارة طينته وإشراق نفسه وضوءها وإذا كان المحل قابلا متهيئا كان الفاعل المؤثر موجودا والموانع مرتفعة حصل الأثر على أتم ما يمكن فلذلك كان علي عليه السلام - كما قال: الحسن - البصري رباني هذه الأمة وذا فضلها ولذا تسميه الفلاسفة امام الأئمة

وحكيم العرب».[1]

قال الجلالي: ما ذكره من أن هذا داخل في القسم وغير خارج عنه سوء فهم؛ فإنّ هذا هو من القسم االرابع لا محالة، وليس من القسم الثاني؛ لأنّ القسم الثاني في الوهم في الفهم، وهذا ليس منه، بل هو خطأ في التطبيق، والله العالم.

(٨ / ٢١٠ - ط) القسم الخامس ـ الحافظون:

وَلَيْسَ كُلُّ أَصْحَابِ رسول ٱللهِ ﷺ مَنْ[2] كَانَ يَسْأَلُهُ، وَيَسْتَفْهِمُهُ، حَتَّى إِنْ[3] كَانُوا لَيُحِبُّونَ أَنْ يَجِيءَ ٱلْأَعْرَابِيُّ أَوَ الطَّارِيءُ[4]، فَيَسْأَلَهُ عليه السلام[5]، حَتَّى يَسْمَعُوا[6]، وَكَانَ لَا يَمُرُّ بِي مِنْ ذَلِكَ شَيْءٌ إِلاَّ سَأَلْتُهُ عَنْهُ، وَحَفِظْتُهُ.

فَهَذِهِ وُجوهُ مَا عَلَيْهِ النَّاسُ فِي ٱخْتِلاَفِهِمْ وَعِلَلِهِمْ[7] فِي رِوَايَاتِهِمْ.

والقسم الخامس والاخير هم الحافظون، والحفظ هو الوعي الكامل للشئ بكل ما يتعلق به، كما أوضحت المادة في شرح الاربعين النبوية، فراجع.

والحفظ بهذا المعنى لا يتيسر إلّا لمن تفرغ للشئ تفرغاً كاملا، وليس السماع سماعاً عابراً فيخفى على السامع كثير من الاعتبارات في القرائن الحالية والمقالية، والمعرفة بالاسباب والمسباب ومعارضى الكلام حيث مفضات المقام من الخصائص المعروفة عن السائل و دوافعه في المقال، وما اكثرها.

ولذلك اشار الى نقاط ثلاث في خصوص الحديث النبوي، لها اهميتها القصوى في فهم كلامه ﷺ، فقال:

أوّلاً: (وليس كلّ أصحاب رسول الله ﷺ من كان يسأله ويستفهمه)؛ فإنّ من السائلين من كان يسأل للتعجيز كما هو حال المنافقين وما اكثر ما سألوه من الايات على صدق النبوة، فحينما اتى بها انكروها، واتهموه بالسحر والكذب، وليس كلهم سألوه طالبين

---

(١) شرح نهج البلاغة ؛ ابن أبي الحديد ١١ : ٤٧ ـ ٤٨.
(٢) لم ترد «من» في د، وفي هـ. د: من كان ـ ص ح ب .
(٣) في هـ. ص: ان مخففة من الثقيلة ولذلك جاء اللام في الخبر عن الشرح.
(٤) في ط: والطارئ.
(٥) في هـ. ب: «فيسأله» عائد الى النبي.
(٦) في هـ. ص: وذلك لأنهم لما نهوا عن السؤال عن أشياء هابوا ولم يكن لأكثرهم جودة تميز بين ما يحسن السؤال عنه وما لا، كما كان لعلي عليه السلام.
(٧) في هـ. ص: روى بالرفع مطلقاً على وجوه وروي بالجر عطفاً على اختلافهم.

الفهم، وان كان فيهم من كان يسأل لذلك.

ثانياً: (حتى أنهم كانوا ليحبون أن يجيئ الأعرابي والطارئ فيسأله عليه السلام حتّى يسمعوا) واستدل على أن موقف البعض كان السؤال المجرد عن الاستفهام حقيقة، انهم كان يحبون مشاهدة الحديث بين النبي صلى الله عليه وآله وبين من يزوره من الاعراب، وهم عرب البادية الذين لا يعرفون العادات الاجتماعية في المدينة، وكذلك الطارئ وهو الغريب من غير العرب من الزوار والوفود الذين وفدوا على النبي صلى الله عليه وآله في المناسبات المختلفة، كرسل من قبل غيرهم؛ فإنّ المتجمهرين لسماع ما يجرى من الحديث بين الرسول القائد وهؤلاء الاعراب والغرباء، كانوا مندفعين بدافع حب الاستطلاع لمعرفة الحوادث، ولم يكن لهم التركيز على الحفظ في النقل كما هو المطلوب كما يقتضيه طبيعة الموقف.

ثالثاً: (وكان لا يمر بي من ذلك شيئ إلّا سألت عنه وحفظته)؛ فإنّ القلة من الاصحاب من كان يهتم بالحفظ بالمعنى المطلوب، وكان الإمام عليه السلام كما يصف نفسه منهم فكان يهتم بهذا الجانب من الحديث النبوي اهتماما بالغا، وراجع الكلام عن الامالي في فهرس التراث، ويدل على ذلك مواقفه حيث لم يخرج من داره بعد وفاة الرسول صلى الله عليه وآله حتى جمع القرآن، ولعله تفسير القرآن (وراجع: دراسة حول القرآن). والله المستعان.

وملخص الكلام: أن هذا امر طبيعيّ في محافظة اهل البيت على آثار جدهم، وتسلسلت مواقف علي عليه السلام بالنسبة إلى سنة النبيّ صلى الله عليه وآله في سلسلة اهل البيت عليهم السلام، ومما اروى في الباب بالاسناد عن الصفار (ت /٢٦٠) قال: حدثنا احمد بن محمّد، عن الحسن بن محبوب، عن أبي حمزة الثمالي، عن جابر، قال ابو جعفر عليه السلام: «يا جابر، والله لو كنا نحدث الناس أو حدثناهم برأينا لكنا من الهالكين، ولكنا نحدثهم بآثار عندنا من رسول الله صلى الله عليه وآله نتوارثها كابر عن كابر، نكنزها كما يكنز هؤلاء ذهبهم وفضتهم».[1]

ثم لخص الكلام بقوله:

(فهذه وجوه ما عليه الناس في اختلافهم وعللهم في رواياتهم)، ومن الطبيعي أن يكون اخر الوجوه أولى بالاتباع، والله الموفق.

[٢١١]

(١) بصائر الدرجات: ٣٠٠.

ومن خطبة له عليه السلام في عجيب صنعة الكون:

فَكَانَ[١] مِنَ اقْتِدَارِ[٢] جَبَرُوتِهِ[٣]. وَبَدِيعِ[٤] لَطَائِفِ[٥] صَنْعَتِهِ أَنْ جَعَلَ مِنْ مَاءِ الْيَمِّ[٦] الزَّاخِرِ[٧]. الْمُتَرَاكِمِ الْمُتَقَاصِفِ[٨] يَبَساً[٩] جَامِداً. ثُمَّ فَطَرَ مِنْهُ أَطْبَاقاً فَفَتَقَهَا سَبْعَ سَمَوَاتٍ[١٠] بَعْدَ ارْتِتَاقِهَا فَاسْتَمْسَكَتْ بِأَمْرِهِ. وَقَامَتْ عَلَى حَدِّهِ[١١].

(١ / ط - ٢١١) في عجيب صنعة الخلق:

فى الخلق وآثارة الموجبة لتسبيح الذات المقدسة.

اشار إلى أن خلق المخلوقات يدل على صفات الذات للخالق وعدمها، بقوله:

١ ـ (وكان من اقتدار جبروته) وهي عظمته تعالى الحاكمة على كلّ شيئ.

٢ ـ (وبديع لطائف صنعته) من المخلوقات المتصفة باللطف البديع في النظم والتدبير.

٣ ـ (أن جعل من ماء البحر) خلقا جديدا هو الارض، واشار إلى قانون السببية في الخلق بأن الماء المتكون على الارض اتصف بصفات ثلاث، هي:

أوّلاً: (الزاخر) وهو الامتلاء لكثرته.

ثانياً: (المتراكم) وهو اجتماع البعض على البعض الاخر بالتوالي.

ثالثاً: (المتقاصف) والقصف: ضرب البعض بالبعض على اثر التلاطم.

فان هذه الصفات كانت اسبابا ليكون الارض من زبد البحر ولولاها لما تكون زبد البحر ولا امكن امتدادها إلى دحو الارض على ثلامين السنين والاعوام.

وقد وصف الارض بقوله:

١ ـ (يبسا) لما في سطح الارض من اليبوسة التي تضاد رطوبة الماء.

(١) في ط و د: وكان مراجعة في هـ. د: فكان ـ ش.
(٢) في هـ. ب: الاقتدار: أن يصير قادراً.
(٣) في هـ. ب: جبروت: وجبورته أي كبره.
(٤) في د: ببديع.
(٥) في ص: ولطيف وفي هـ. ص: وبديع لطائف.
(٦) في ط و د: البحر، وفي هـ. ب: اليم.
(٧) في هـ. ب: الزاخر: الكثيف و كثير الموج المرتفع.
(٨) في هـ. ب: القصف الكسر، قصفت الريح الماء في البحر.
(٩) في هـ. ص: بالتحريك المكان يكون رطباً ثم ييبس.
(١٠) في هـ. ص المراد بالسموات هنا الأرضون كما يوضّحه تمام الكلام.
(١١) في ط و د زيادة: وأرسى أرضاً.

٢ ـ (جامدا) بعد يبس الارض بالدحو والانبساط.

ومن خلق السماوات اوصافها قال:

١ ـ (ثم فطر منه أطباقا) بسبب المادة البخارية التي تكونت في الارض طبقات تعلو الارض.

٢ ـ (ففتقها سبع سماوات بعد ارتتاقها) والرتق: الاتصال؛ فإنّ تلك المواد البخارية في بداية تكونها كانت متصلة، ففصل سبحانه فيها، فجعلها طبقات منفصلة بعضها عن بعض، وربما تكون السبع كناية عن كثرتها كما هو الثابت من كثرة طبقات السماوات.

٣ ـ (فاستمسك بأمره) تعالى الحاكم على الكون فاصبحت بالرغم من تعددها مستمسكة بعضها بالاخر في نظام.

٤ ـ (وقامت على حده) الذي حدده الله سبحانه من النظام والتاثير في الكون.

(٢ / ط ـ ٢١١) خلق الارض:

وأرسى ارضاً **يَحْمِلُهَا ٱلْأَخْضَرُ**[١] **الْمُثْعَنْجِرُ**[٢] **وَٱلْقَمْقَامُ**[٣] **المُسَخَّرُ قَدْ ذَلَّ لِأَمْرِهِ، وَأَذْعَنَ لِهَيْبَتِهِ، وَوَقَفَ ٱلْجَارِي مِنْهُ لِخَشْيَتِهِ، وَجَبَلَ**[٤] **جَلَامِيدَهَا**[٥] **وَنُشُوزَ**[٦] **مُتُونِهَا وَأَطْوَادَهَا**[٧] **فَأَرْسَاهَا**[٨] **فِي مَرَاسِيهَا وَأَلْزَمَهَا**[٩] **قَرَارَتَهَا**[١٠] **فَمَضَتْ رُؤُوسُهَا فِي ٱلْهَوَاءِ، وَرَسَتْ**[١١] **أُصُولُهَا فِي المَاءِ فَأَنْهَدَ**[١٢] **جِبَالَهَا عَنْ سُهُولِهَا، وأَسَاخَ**[١٣] **قَوَاعِدَهَا فِي مُتُونِ أَقْطَارِهَا**[١٤] **وَمَوَاضِعَ**

(١) في هـ. ب: البحر.
(٢) في هـ. ب: المصبوب، الثعنجر: الانصباب، وفي هـ. ص: هو السائل، ثعنجرت الدم وغيره واثعنجر، أي صببته فانصب.
(٣) في هـ. ب: : البحر وهو المراد به هنا البحر وكأنه جنس لكل عظيم.
(٤) في هـ. ب: خلق.
(٥) في هـ. ب: احجارها، وفي هـ. ص جمع جلمود وهو الصخر.
(٦) في هـ. ب: النشز، المراد به المرتفع، والنشز: الارتفاع بمعناه، وفي هـ. ص جمع نشز وهو المرتفع.
(٧) هـ. ب: جمع طود.
(٨) في هـ. ب: أثبتها.
(٩) في ط: وألزمها.
(١٠) في ص: قراراتها، وفي هـ. ص: جمع قرارة، وفي شرح ابن أبي الحديد: قرارها، والمراد به موضع استقرارها.
(١١) ب: رسمت، وفي هـ. ب: في نسخة ورست. تثبتت.
(١٢) في هـ ب و ص: أي جمع، وفي هـ. ب انهد: انهض.

أَنْصَابِهَا[١٥]**، وَأَشْهَقَ**[١٦] **قِلَالَهَا**[١٧]**، وَأَطَالَ أَنْشَازَهَا**[١٨]**، وَجَعَلَهَا لِلْأَرْضِ عِمَاداً، وَأَرَّزَهَا**[١٩] **فِيهَا أَوْتَاداً، فَسَكَنَتْ على حَرَكَتِهَا مِنْ أَنْ تَمِيدَ**[٢٠] **بِأَهْلِهَا أَوْ تَسِيخَ**[٢١] **بِحِمْلِهَا أَوْ تَزُولَ عَنْ مَوَاضِعِهَا**[٢٢] .

ثم عاد إلى وصف الارض فقال:

(وأرسى أرضا) والرسو: الثبات والرسوخ، واشار إلى صفاتها بقوله:

١ ـ (يحملها الأخضر) والاخضر تعبير عن الماء لرطوبته التي هي خضرتها أو لونها. (المثعنجر) وهو صفة الكثرة للماء، باعتبار احتواء الماء لاكثر الكرة الارضية.

٢ ـ (والقمقام المسخر) والقمقام: هو البحر، فإنّه مسخر بامر الله تعالى النافذ في الكون بالاسباب والمسببات الطبيعيّة التي أودع الله فيها، مع قدرته العليا في تحريكه بارادته وهو على كلّ شئ قدير.

٣ ـ (قد ذل لأمره)؛ فإنّ المخلوق وان اودع الله فيه من القوى والاسباب الطبيعيّة التي تسيره حسب نظام محدد له، فإنّه ذليل تعلوه قدرة الله سبحانه بسبب هذه الاسباب الطبيعية والنظام الذي اودعه فيها بالاعجاز، فتتحرك وفق النظام الطبيعي المحدد لها.

٤ ـ (وأذعن لهيبته)؛ فإنّ جلال الله سبحانه يحكم في الكون عامة.

٥ ـ (ووقف الجاري منه لخشيته)؛ فإنّ الوقوف عادة تلازم الخشية.

وعن اثار الجبال والسهول قال:

٦ ـ (وجبل جلاميدها) والجملود: الصخر، وتتكون منها الجبال.

(١٣) في هـ. ب: أثبت .
(١٤) في هـ. ب: جوانبها.
(١٥) في هـ. ب: جمع نصب، وفي هـ. ص: هي الأجسام المنصوبة، الواحدة نصب بضم النون والصاد .
(١٦) في ط: فَأَشْهَقَ، وفي هـ. ب: رفع وأعلىٰ.
(١٧) قله الحبل أعلاه والمراد جعلها شاهقة اي بعيدة الارتفاع.
(١٨) أي مد متونها المرتفعة في جوانب الأرض، وفي هـ. ب: جمع نشز.
(١٩) في ط و د: وأرّزها، وفي هـ. ب في نسخة: وأرز فيها، وفي هـ. د: روي ارزها، وروي: ارز فيها ـ ر، وفي هـ. ب و ص: ارزها: أثبتها.
(٢٠) أي تضطرب وتتزلزل بهم.
(٢١) في هـ. ب: أي تنخسف، وساخ وخسف بمعنى واحد.
(٢٢) في ص و د: موضعها، وفي هـ. د: مواضعها ـ ض، ح، ب.

٧ـ(ونشوز متونها) والمتن: الشي الصلب، والنشز: المرتفع منه.

٨ـ(وأطوادها) والطود: الجبل المرتفع.

٩ـ(فأرساها في مراسيها) وهي مواضع الرسوخ التي تثبت الشيء بحيث لا يتحرك.

١٠ـ(وألزمها قرارتها) بأن استقر فلا يتحرك.

١١ـ(فمضت رؤوسها في الهواء) حيث ترتفع رؤوس الجبال بـاعلى مـا يـتصوره الانسان.

١٢ـ(ورست أصولها في الماء) خارقه سطح الارض كالوتد الذي يمسك الشيء.

١٣ـ(فأنهد جبالها عن سهولها) والنهد: الفصل، فاصحبت الجبال منفصلة عن سائر بقاع الارض السهلة.

١٤ـ(وأساخ قواعدها في متون أقطارها ومواضع أنصابها) وانه غيب قواعد الجبال في الارض، فانّ السوخ: الدخول، واصحبت الجبال في المواضع الصـالحة كـالعلامات يستدل بها.

١٥ـ(فأشهق قلالها) والقلة: اعلى الشيء، والشهق: البعد، فاصحبت قلال الجبال بعيدة.

١١٦ـ(وأطال أنشازها) ونشز المتن الصلب؛ فإنّ متون الجبال الصلبة مرتفعة طويلة.

١٧ـ(وجعلها للأرض عمادا)؛ فإنّ ثقلها يوجب التوازن في الارض المسطحة السهلة.

١٨ـ(وأرّزها فيها أوتادا) والارز: الثبات، فكانت الجبال كالاوتاد للارض.

١٩ـ(فسكنت على حركتها) وفي ذلك دلالة واضحة على حركة الارض بالرغم من سكونها المحسوس الذي اكتشفه العلم، وأصبح من المسلّمات اليوم.

٢٠ـ والى الحكمة في خلق الجبال على الارض المسطحة المتحركة قال:

أوّلاً: (من أن تميد بأهلها) والميد: الاضطراب.

ثانياً: (أو تسيخ بحملها) والسيخ: الغوص في الماء المحيط بالارض.

ثالثاً: (أو تزول عن مواضعها) بسبب عدم الثقل المانع عن الزوال.

و كلّ واحدة من هذه الخصائص الطبيعيّة تفتقر الى دراسة خاصّة.

(٣ / ط - ٢١١) سبحان الله:

فَسُبْحَانَ مَنْ أَمْسَكَهَا بَعْدَ مَوَجَانِ مِيَاهِهَا، وَأَجْمَدَهَا بَعْدَ رُطُوبَةِ أَكْنَافِهَا، فَجَعَلَهَا لِخَلْقِهِ

مِهَاداً[١]، وَبَسَطَهَا لَهُمْ فِرَاشاً فَوْقَ بَحْرٍ لُجِّيّ[٢] رَاكِدٍ[٣] لَا يَجْرِي، وَقَائِمٍ[٤] لَا يَسْرِي، تُكَرْكِرُهُ[٥] الرِّيَاحُ ٱلْعَوَاصِفُ[٦]، وَتَمْخَضُهُ[٧] ٱلْغَمَامُ الذَّوَارِفُ[٨] ﴿إِنَّ فِى ذَٰلِكَ لَعِبْرَةً لِمَنْ يَخْشَىٰ﴾[٩].

فان آثار الخلق في الكون عامة كلّ واحدة منها توجب التسبيح لله سبحانه وتقديسه؛ لما فيها من الدلالة على عظم قدرته؛ لأنّه تعالى متصف بالقدرة المطلقة لاسواه.

١ـ(فسبحان من أمسكها بـعد مـوجان مـياهها)؛ فـإنّ طـبيعة المـياة وامـواجـها: الاضطراب.

٢ـ(وأجمدها بعد رطوبة أكنافها) والكنف: الجانب؛ فإنّ طبيعة الرطوبة ليس الجماد. والانتقال من هذه الصفات المتضادة إلى اضدادها لا يمكن إلّا لله سبحانه.

٣ـ(فجعلها لخلقه مهادا) يمكن لهم السكن كالمهد الذي هيأه سـبحانه لهـم، وهـو اقتباس من قوله تعالى:﴿الذي جعل لكم الارض مهادا﴾.[١٠]

٤ـ(وبسطها لهم فراشا) الذي من طبيعة ألأ الانبساط لراحة للانسان، اقتباساً من قوله تعالى:﴿الذي جعل لكم الارض فراشاً﴾.[١١]

٥ـ(وقائم لا يسري) والسريان: الجريان من دون ضبط، بخلاف القائم.

٦ـ(تكركره الرياح العواصف) الكركرة: تصريف الرياح السحاب، ومنه التكرير.

٧ـ(وتمخضه الغمام الذوارف) الذرف: اسالة الدمع؛ فإنّ تقاطر المـطر مـن الغـمام والسحاب نتيجة تفاعل الاسباب الطبيعيّة التي أودع الله فيها.

---

(١) المهاد: الفرش وما يهبأ لنوم الصبي.
(٢) في هـ. ب: كثير، واللجة صب الماء أكثر من البحر.
(٣) في هـ. ب: راكد، صفة البحر.
(٤) في هـ. ب قائم صفة الجبّار.
(٥) في ب: يكركره، وفي هـ. ب: يحركه، وفي هـ. ب: الكركرة تـصريف الريـاح السـحاب اذا جمعنه .
(٦) في هـ. د: القواصف ـع.
(٧) في هـ ب: المخضة، المخض تحريك اللبن لاخراج زبده.
(٨) من ذرف الدمع اذا سال، و في هـ. ب: السائلات.
(٩) النازعات: ٢٦.
(١٠) النبأ: ٦ .
(١١) البقرة : ٢٣ .

فان هذه الامور كلها توجب التسبيح لله سبحانه؛ فإنّ فيها العبرة لمن اراد الاعتبار كما قال تعالى:﴿إن في ذلك لعبرة لمن يخشى﴾.[1]

[٢١٢]

ومن خطبة له عليه السلام:

ٱللَّهُمَّ[2] أَيُّمَا عَبْدٍ مِنْ عِبَادِكَ سَمِعَ مَقَالَتَنَا ٱلْعَادِلَةَ غَيْرَ الجَائِرَةِ وَالمُصْلِحَةَ فِى الدِّينِ وَٱلدُّنْيَا غَيْرَ المُفْسِدَةِ[3] فَأَبَى بَعْدَ سَمْعِهِ لَهَا إِلَّا النكُوصَ[4] عَنْ نُصْرَتِكَ وَٱلْإِبْطَاءِ عَنْ إِعْزَازِ دِينِكَ فَإِنَّا نَسْتَشْهِدُكَ عَلَيْهِ يا أَكْبَرَ الشَّاهِدِينَ شَهَادَةً[5] وَنَسْتَشْهِدُ عَلَيْهِ جَمِيعَ مَنْ[6] أَسْكَنْتَهُ أَرْضَكَ وَسَمَوَاتِكَ[7] ثُمَّ أَنْتَ بَعْدَهُ[8] الْمُغْنِي عَنْ نَصْرِهِ وَالآخِذُ لَهُ بِذَنْبِهِ.

(ط ـ ٢١٢/١) كان يستنهض بها أصحابه إلى جهاد أهل الشام في زمانه:

تتضمن الواجب الاسلامي مقوماته واهدافه وآثاره.

الواجب الاسلامي ـ ككلّ واجب في الحياة ـ له مقومات واهداف، وللواجب الاسلامي في المعركة ضد العدو للحكم الاسلامي كذلك مقومات واهداف، أشار اليها الإمام في هذا الدعاء ما مشيرا إلى مقومات الواجب في الدفاع عن الدين والوطن بقوله:

١ ـ (اللهم أيما عبد من عبادك) سواءً كان في صفوف الجيش الموالي من المنافقين أو في صفوف الجيش المعادي؛ فإنّه يعلم أن الهدف من الحرب الاسلامية نقاط ثلاثة رئيسية ، هي:

أوّلاً: (سمع مقالتنا) فإنّه يجب ابلاغ صوت الاسلام إلى الجميع بدون استثناء، حسب الامكان.

(١) النازعات: ٢٦ .

(٢) في هـ. ص هذا الدعاء على الذين قعدوا عن القتال معه ولاسيما القدوة منهم فان مفسده قعودهم أكبر لأنهم قعدوا واقعدوا بقعودهم من اقتدى بهم.

(٣) في ط و د والمصلحة غير المفسدة في الدين والدنيا، وفي هـ. د: والمصلحة في الدين والدنيا غير المفسدة ـ شي.

(٤) أي الرجوع على الأعقاب.

(٥) في ط بأكبر وفي هـ. ط وهو النبي صلى الله عليه وآله أو القرآن، وفي هـ. ص انتصب على التمييز.

(٦) في د: ما.

(٧) الى هنا ورد في ب، والظاهر وجود سقط هنا ، فان الخطبة ٢١١ و ٢١٢ لم تردا في ب.

(٨) في د: بعد.

ثانياً: (غير الجائرة)؛ فإنّ صوت الحق لا جور ولا انحراف فيه عن المبادي الاسلاميّة.

ثالثاً: (والمصلحة) لدعوتنا إلى ما فيه مصلحة الاسلام والمسلمين.

رابعاً: (غير المفسدة)؛ فإنّ الدعوة إلى المصلحة العليا لا مفسدة فيها إلّا على الاعداء.

خامساً: (فى الدين) من المصالح الدينيّة التي تقام عليه بالحرب العقائدية لنصر الاسلام.

سادساً: (والدنيا) من كلّ ما فيه مصلحة المسلمين في حياتهم الخاصة والعامة؛ فإنّ هذه الاهداف الاسلاميّة الدينيّة هي المقالة التي يساندها الإمام، وبها يكون ارتفاع صوت الاسلام.

و أشار إلى الواجب الديني وهو اتمام الحجة بقوله:

(فأبى بعد سمعه لها) فلا تتم الحجة إلّا بعد وصول صوت الحق اليه بأي الطرق المتيسرة.

٢ ـ (إلّا النكوص عن نصرتك)؛ فإنّ الاباء عن الحق مسؤولية يتحملها الرافض، ويتحمل اثار ذلك بسبب:

٣ ـ (والإبطاء عن إعزاز دينك) الذي لا يتحقق إلّا بالجهاد والحرب على الاعداء.

وإلى اثار هذا الرفض أشار بقوله:

١ ـ (فإنا نستشهدك عليه) فيكون الرافض للواجب الديني في نصرة الحق مسؤولا عن التبعات التي تتعقب الحرب لا محالة، من اثرها في النفوس وويلات الحرب التي لابدّ منها في أية مواجهة.

٢ ـ (بأكبر الشاهدين شهادة) حيث أن الله سبحانه ناظر إلى المواقف للطرفين وعالم بنيات الجانبين.

٣ ـ (ونستشهد عليه جميع من أسكنته أرضك وسماواتك) حيث أن آثار الحرب لا تنحصر في طائفة خاصة من المتحاربين، بل تمتد إلى غيرهم من المواطنين على الارض من المسلمين وغير المسلمين.

٤ ـ (ثم أنت بعد) أي انت الشاهد بعد شهادة المخلوقين، قال تعالى: (قل أي شئ أكبر

شهادة قل الله)[1]

(المغني عن نصرة والآخذ له بذنبه)؛ فإنّ المسؤولية يتحملها العدو برفضه قبول الحق عناداً وعتواً بحكمه العادل، ونعم الحكم الله.

[٢١٣]

ومن خطبة له عليه السلام :

اَلْحَمْدُ لِلّهِ اَلْعَلِيِّ عَنْ شَبَهِ[2] المَخْلُوقِينَ، اَلْغَالِبِ لِمَقَالِ اَلْوَاصِفِينَ، الظَّاهِرِ بِعَجَائِبِ تَدْبِيرِهِ لِلنَّاظِرِينَ، الْبَاطِنِ[3] بِجَلاَلَةِ[4] عِزَّتِهِ عَنْ فِكْرِ الْمُتَوَهِّمِينَ، اَلْعَالِمِ بِلاَ اكْتِسَابٍ وَلاَ اَزْدِيَادٍ وَلاَ عِلْمٍ مُسْتَفَادٍ، المُقَدِّرِ لجَمِيعِ الأُمُورِ بِلَا رَوِيَّةٍ وَلَا ضَمِيرٍ، الَّذِي لَا تَغْشَاهُ الظُّلَمُ. وَلَا يَسْتَضِيءُ بِالأَنْوَارِ وَلَا يَرْهَقُهُ[5] لَيْلٌ وَلَا يَجْرِي عَلَيْهِ نَهَارٌ، لَيْسَ إِدْرَاكُهُ بِالأَبْصَارِ[6]، وَلَا عِلْمُهُ بِالْإِخْبَارِ[7]

($\frac{١}{ط - ٢١٣}$) في تمجيد الله وتعظيمه:

وتتضمن صفات الذات المقدسة واثار البعثة النبوية.

واستفتح المقطع بالحمد وعقبه بصفات الذات المقدسة الموجبة لذلك بقوله:

١ ـ (الحمد لله العلي عن شبه المخلوقين)؛ لأنّه واجب الوجود لذاته، فليس غيره يتصف بذلك.

٢ ـ (الغالب لمقال الواصفين)؛ فإنّ الواصف مهما كان دقيقا يكون عاجزا عن وصف حكمة الله تعالى في الآثار فيعجز الواصف عن معرفته تعالى، فيكون غالبا على كلّ مقال للوصف.

٣ ـ(الظاهر بعجائب تدبيرة للناظرين)؛ فإنّ ظهور وجود الله انما هو بظهور اثاره في التدبير للنظام الحاكم على الكون بعجائب التدبير المودعة في كلّ نظام، وليست هذه

---

(١) الانعام: ١٩.
(٢) الشَبَه: المشابهة.
(٣) في ه. د: والباطن ـ ض ح ب .
(٤) كذا في ص، وفي ط : بجلال.
(٥) في ه. ص: أي لا يغشاه .
(٦) في ه. ص: مصدر أبصر.
(٧) في ه. د: بالاختيار ـ م، وروي بالاختبار ـ ك ر. وفي ه. ص : مصدر أخبر.

الآثار خافية بل هي ظاهرة للناظرين.

٤ ـ(الباطن بجلال عزته عن فكر المتوهمين) فبالرغم من ظهور الآثار وظهور الحكمة فيها والنظام الحاكم عليها، فإنّ حقيقة الذات المقدسة خفيّة عن تصور المتوهمين من الفلاسفة والمتكلمين بسبب جلال عزته الحاكمة على الكون.

٥ ـ (العالم بلا اكتساب ولا ازدياد)؛ فإنّ العلم غير الذات، فلا يقاس بالعلم في الماديات التي تكون بالكسب، حتّى يرتفع الجهل ويختلف زيادة ونقصاناً بسبب الازمان في حالات الانسان.

٦ ـ (ولا علم مستفاد) كما هو الشأن في المخلوقات التي تستفيد العلم بالتجربة في الحياة، فإنّها لا علم لها إلّا عن طريق الاكتساب، والله سبحانه علمه ذاتي غير مكتسب.

٧ ـ (المقدر لجميع الأمور) فالتقدير عامل شامل لكل ما في الوجود وما يفتقر اليه الوجود في الوجود واثاره.

٨ ـ (بلا رؤية ولا ضمير) والرؤية: الفكر، والضمير: ما يطويه الإنسان في قلبه من دون لفظ، والله سبحانه غنيّ عنهما بذاته.

٩ ـ (الذي لا تغشاة الظلم)؛ لأنّه نور السموات والارض، ويكتسب كلّ شئ نوره منه تعالى.

١٠ ـ (ولا يستضئ بالأنوار) حيث لا حاجة للنور إلى النور، ونتيجة ذلك انه:

١١ ـ (ولا يرهقه ليل) والرهق: الغشيان، كما هي الحالة الطبيعيّة للمخلوقات، حيث انّه لا يتصف بالزمان ولا المكان.

١٢ ـ (ولا يجري عليه نهار)؛ فإنّ النهار كالليل يطرآن على الاشياء بسبب الزمان والمكان، والله منزّه عنهما.

١٣ ـ (ليس إدراكه بالأبصار) لانها محدودة بالمادة والماديات، ولا تصل إلى القدرة للنظر إلى ما وراء المواد والطبيعة.

١٤ ـ (ولا علمه بالأخبار) أي ليس علمه تعالى حاصلا بالاخبار من الاخرين؛ لأنّ علمه ذاتي، فلا يفتقر الى اخبار مخبر.

وهذه الصفات الاربعة عشر للذات المقدسة تنبئ عن عدم التشابه بين الخالق والمخلوق، وتوجب الحمد لمن تفرد بها، وهو الله سبحانه وتعالى.

منها فى ذكر النبى ﷺ[١] أَرْسَلَهُ بِالضِّيَاءِ وَقَدَّمَهُ فِى الاصْطِفَاءِ[٢] فَرَتَقَ بِهِ[٣] المَفَاتِقَ وَسَاوَرَ[٤] بِهِ المُغَالِبَ. وَذَلَّلَ بِهِ الصُّعُوبَةَ وَسَهَّلَ بِهِ الْحُزُونَةَ[٥] حَتى سَرَّحَ[٦] الضَّلاَلَ عَنْ يَمِينٍ وَشِمَالٍ.

(٢ / ط - ٢١٣) **آثار البعثة النبوية:**

منها في ذكر النبي ﷺ:

ثم سرد من اثار البعثة النبوية فقال:

١ ـ (أرسله بالضياء) وهو نور الحق والاسلام الذي يهدى الانام في حياتهم عامة.

٢ ـ (وقدمه في الاصطفاء) حيث اصطفاه من بين الناس، ومن امة دون سائر الامم، مع سائر الامم كانت اكثر ثقافة وحضارة، ولعل السر في ذلك أن النبيّ محمّد ﷺ لو كان قد بعث في امة متحضرة كالفرس والروم والهند واليونان لكانت الحضارات المتقدمة تحتوي الاسلام وتصيغه بصفة تلك الحضارة، وكانت الحضارات الاخرى ترفض الاسلام من دون دراسة لمفاهيمه على اساس رفض الحضارة المنتسبة اليها، وشاء الله أن يبعث النبيّ محمّد ﷺ في امة ليس لها ايّة صبغة حضارية لكي يظهر حقيقة الاسلام، ولا يصطبغ بأية صبغة سوى صبغة الله تعالى، وكان كما اراد، فبالرغم من كثرة دعاوي اعداء الاسلام لم يتمكن احد منهم تبني هذا الاتهام، والله العالم.

وعن اثار هذا الضياء والنور قال:

٣ ـ (فرتق به المفاتق) والفتق: الشق، والرتق: السد باصلاح ذلك، فكان الاسلام اصلاحاً لكل المفاسد الحاكمة في المجتمع في العقيدة والسلوك الفردي والاجتماعي.

٤ ـ (وساور به المغالب) والسورة: الوثبة، حيث كان الاسلام وثبة ضد المفاسد الحاكمة في المجتمع، وبها غلب المغالب عليها.

---

(١) في هـ. ص في نسخة: زيادة وعلى آله وسلم.
(٢) في هـ. ص: قال في صحاح الجوهري، وصفوة الشيء خالصته، ومحمّد ﷺ صفوة الله تعالى من خلقه ومصطفاه، عن أبي عبيد، يقال له: صفوة مالي، وصِفوة مالي وصُفوة مالي، فاذا نزعوا الهاء قالوا له: صَفو مالي بالفتح لا غير.
(٣) أي سد به، والمفاتق مواضع الفتق كالفساد بين الناس.
(٤) في هـ. ص: واثب مغالبه.
(٥) الحزونة: ضد السهولة.
(٦) أي فرّق.

٥ ـ (وذلل به الصعوبة) في الحياة التي كان يعاني منه المجتمع.

٦ ـ (وسهل به الحزونة) وهي الغلظة من الحياة التي كانت حاكمة على المجتمع.

وعن نتيجة هذه البعثة النبوية قال:

٧ ـ (حتى سرح الضلال عن يمين وشمال) فلم يبق للضلال اثر في الحياة، وطبق حكم الله سبحانه على الارض ولم تقم لعبادة الاصنام قائمة.

[٢١٤]

ومن خطبة له عليه السلام:

وَأَشْهَدُ أَنَّهُ عَدْلٌ عَدَلَ، وَحَكَمٌ فَصَلَ، وَأَشْهَدُ أَنَّ مُحَمَّداً عَبْدُهُ وَرَسُولُهُ، وَسَيِّدُ عِبَادِهِ، كُلَّمَا نَسَخَ ٱللهُ ٱلْخَلْقَ فِرْقَتَيْنِ جَعَلَهُ فِى خَيْرِهِمَا، لَمْ يُسْهِمْ فِيهِ عَاهِرٌ[١]، وَلَا ضَرَبَ فِيهِ فَاجِرٌ.

(١ / ط - ٢١٤) **يصف جوهر الرسول، ويصف العلماء، ويعظ بالتقوى:**

ذكر في هذا المقطع الشهادة بأربعة من صفات الباري سبحانه بقوله:

قال الشارح ابن أبي الحديد (ت / ٦٥٦ هـ)، ما نصّه: «الضمير في انّه يرجع إلى القضاء والقدر المذكور في صدر الخطبة ولم يذكره الرضي».[٢]

أوّلاً: (وأشهد انّه عدل) في ذاته؛ لأنّ العدل من صفات الذات المقدسة.

ثانياً: (عدل) في الخلق في حكمه وقضائه ونظامه وبنائه، ممّا يفتقر اليه كلّ مخلوق من مخلوقاته في نفسه، وما يرتبط به من نظام سائر المخلوقات المتاثرة به.

ثالثاً: (وحكم) أي حاكم على جميع المخلوقات بقدرته العليا، فلا يخرج عن حكمه شيء، بل يجري كلّ شئ بقضائه وقدره.

رابعاً: (فصل) حيث فرق في حكمه بين الحق والباطل على مقتضى الحكمة في حكمه، ونتيجة هذا الحكم أن يكون للحق دولة وللباطل جولة.

وعن الشهادة الثانية قال:

(وأشهد أن محمّدا عبده ورسوله) وفي هذين يشترك النبي ﷺ مع جميع الأنبياء

---

(١) من يأتي الحرمات.
(٢) شرح النهج ١١ :٦٦، ط/ ١٩٦١.

والرسل من قبله، ولكنّه يمتاز عنهم بخصائص أشار اليها بقوله:

أوّلاً: (وسيد عباده) فقد روى عنهﷺ قوله:«انا سيد ولد آدم ولا فخر» حيث انّه الرسول الخاتم لكل الرسل من قبله، والى السبب في هذه السيادة أشار بقوله:

ثانياً: الاصطفاء (كلما نسخ الله الخلق فرقتين جعله في خيرهما) والنسخ: النقل في الاصلاب بالتناسل، كما في حديث الاصطفاء، فاصطفاه ﷺ من بني هاشم، وهم من قريش، وهم من كنانة، وهم من مضر، وهم من ولد اسماعيل، وهم من ولد ابراهيم.

ثالثاً: (لم يسهم فيه عاهر) من النساء.

رابعاً: (ولا ضرب فيه فاجر) من الرجال، بل كان نسبه الشريف طاهرا مطهرا من ادناس الجاهلية، فهو طهر طاهر مطهّر لم تنجسه الجاهلية بانجاساها ولم تلبسه من مدلهمات ثيابها، وراجع النسب في السيرة في موارد الاعتبار للتفصيل.

(٢ / ط - ٢١٤) طاعة الله وآثارها:

أَلَا وَإِنَّ ٱللهَ سُبْحَانَهُ قَدْ جَعَلَ لِلْخَيْرِ أَهْلاً، وَلِلْحَقِّ دَعَائِمَ، وَلِلطَّاعَةِ عِصَماً[١]، وَإِنَّ لَكُمْ عِنْدَ كُلِّ طَاعَةٍ عَوْناً مِنَ ٱللهِ سُبْحَانَهُ[٢]، يَقُولُ عَلَى ٱلْأَلْسِنَةِ؛ وَيُثَبِّتُ[٣] بِهِ[٤] ٱلْأَفْئِدَةَ؛ فِيهِ كفَاءٌ[٥] لِمُكْتَفٍ، وَشِفَاءٌ لِمُشْتَفٍ.

ثم عقب ذلك من قضاء الله تعالى وقدره في الحكم والآثار بقوله:

(ألا وإن الله قد جعل) بالقضاء والقدر، واشار إلى نقاط:

الأوّل: (قد جعل للخير أهلا) حيث فصل بين الخير والشر، فكان لكل منهما اهل.

الثاني:(وللحق دعائم) اوضحها بواسطة الانبياء والرسل والكتب.

الثالث: (وللطاعة عصما) والعصمة: ما يعتصم به للنجاة.

ففي هذه النقاط الثلاث يظهر عدل الله سبحانه وحكمه وفضله، حيث جعل المقاييس

(١) في هـ. ص: عصماً جمع عصمة وهو ما يعتصم به أي يمتنع ان يريدعليه السلام ان طاعة من أمر الله بطاعته عصمه من الضلال.

(٢) في هـ. ص: أي ان المطيعين لمن أمر الله بطاعته يمدهم الله بالطاعة، فهوعليه السلام يرغّبهم في الطاعة والانقياد لمن جعله الله قدوة ومرجعاً واخبر ان الحق معه وقائم به. انتهى.

(٣) في هـ. د: ويثْبِت ـ ض، ح.

(٤) لم ترد به في ص.

(٥) في ص: فيه كفاء.

للخير والشر معلومة الدعائم، واضحة الطرق للوصول إلى ما يريده الإنسان باختياره من الخير أو الشر، فيكون من اهل ما يختاره لنفسه بنفسه.

وحيث أن الله سبحانه قد اختار للبشر الطاعة، لما يعود عليه من آثارها على البشرية، أشار اليها بقوله:

(وإن لكم عند كلّ طاعة) للاوامر الالٰهيّة بالفعل والنواهي بالترك، آثاراً هي:

١ ـ (عونا من الله سبحانه يقول على الألسنة) بأن الله سبحانه يعين الإنسان بالقول الذي يجريه على لسانه، فانه وهبه القدرة على النطق بارادته، وهو القادر على أن يعينه بذلك ايضاً.

٢ ـ (ويثبت الأفئدة) على الاستمرار فيما يعتقده، وعدم الانحراف اشارة إلى قوله تعالى:﴿يثبت الله الذين امنوا بالقول الثابت﴾.[١]

٣ ـ(فيه كفاء لمكتف)؛ فإنّ في عون الله سبحانه كفاية لمن يقتنع به ومن لا يقتنع به لا يكفيه شيئ من الماديات التي لا تكون عونها إلّا لمصالح تزول بعطب الالة المادية بمرور الزمان وتطور الالات.

٤ ـ (وشفاء لمشتف) حيث أن عون الله سحبانه يشفي القلوب والعقول للرؤية الواضحة للاسباب والمسببات، فيتخذ الإنسان مواقف صحيحة في الحياة.

(٣ / ط - ٢١٤) صفة العلماء:

وَٱعْلَمُوا أَنَّ عِبَادَ ٱللهِ الْمُسْتَحْفَظِينَ عِلْمَهُ، يَصُونُونَ مَصُونَهُ، وَيُفَجِّرُونَ عُيُونَهُ؛ يَتَوَاصَلُونَ بِالْوِلَايَةِ، وَيَتَلَاقَوْنَ بِالْمَحَبَّةِ، وَيَتَسَاقَوْنَ بِكأْسٍ رَوِيَّةٍ، وَيَصْدُرُون بريَّةٍ[٢]. لَا تَشُوبُهُمُ الرِّيبَةُ، وَلَا تُسْرِعُ فِيهِمُ ٱلْغِيبَةُ؛ عَلَى ذَٰلِكَ عَقَدَ خَلْقَهُمْ وَأَخْلَاقَهُمْ، فَعَلَيْهِ يَتَحَابُّونَ، وَبِهِ يَتَوَاصَلُونَ، فكانوا كَتَفَاضُلِ ٱلْبَذْرِ يُنْتَقَى، فَيُؤخَذُ مِنْهُ وَيُلْقَى، قَدْ مَيَّزَهُ التَّخْلِيصُ، وَهَذَّبَهُ التَّمْحِيصُ.

والعلماء كغيرهم من طبقات المجتمع، لهم صفات تليق بهم، ومن لم يتصف بها منهم لا يتحقق الوصف فيه واقعا وان اتصف به ظاهراً، وسرد من الصفات قوله:

(١) ابراهيم: ٢٧.

(٢) في هـ. ص: بفتح الراء: الارتواء والاعتراف ذكره في الصحاح، وبكسر الراء هيئة المرتوي أي حاله المحتملة له بالارتواء فيكون وزنها فعله. انتهىٰ.

(واعلموا أن عباد الله المستحفظين علمه) بصيغة الفاعل أي الذين يحافظون على العلم بدراسته نظريا وتطبيقه عمليا.

فان هذه الطبقة من العلماء لهم الصفات التالية:

١ ـ (يصونون مصونه)؛ فإنّ من العلوم ما لا ينبغي بذله إلّا لاهله، وكان رسول الله ﷺ يكلم الناس على قدر عقولهم؛ فإنّ العلم لمن لم يكن له استعداد لحمله تحميل له بما لا يطيق، فلا بد من صون العلم إلّا عن اهله.

٢ ـ (ويفجرون عيونه) لمن هو اهله من دون تحفظ بالصيانة، فإنّه حينئذ لابدّ من نشر العلم كما تنفتح عيون المعرفة لمن يطلب الماء، وهل الماء إلّا لذلك.

٣ ـ(يتواصلون بالولاية) أي الحب الالهي الحقيقي الذي لا يكون إلّا بالحق، ولا ينقلب عن الايمان، قال الشارح ابن أبي الحديد (ت / ٦٥٦ هـ)، ما نصّه: «واعلم أن الكلام في العرفان لما ياخذة اهل الملّة الاسلامية إلّا عن هذا الرجل، ولعمري لقد بلغ منه اقصى الغايات واسعد النهايات».[1]

٤ ـ (ويتلاقون بالمحبة) وإلى هذا الحب الالهي الايماني أشار ابن العربي (ت /٦٣٧) بقوله:

ادين بدين الحب أنّى توجّهت ركائبه فالحبّ ديني وايماني

٥ ـ (ويتساقون بكأس روية) وهو كأس المعرفة، فانهم يسقي كلّ واحد منهم الاخر ثمار العلم ونتائج المعرفة التي حصل عليها بالتجربة والدراسة، ورواء الكاس انما هو بسبب كونها احدث التجارب.

٦ ـ(ويصدرون برية) والصدور: الخروج من موضع الماء، والرية: زوال العطش على اثر المعرفة التي بها تنقع الغلة.

٧ ـ(لا تشوبهم الريبة) وهي الشك؛ لانها نتيجة المعرفة الروحية التي لا تشوبها المادة والماديات التي في شأنها ايجاد الريب والشك في المصلحة في ذلك لمن يقوم بها.

٨ ـ (لا تسرع فيهم الغيبة) فإنّها عادة انما تكون بسبب المصالح المادية التي تدفع الإنسان لعمل ما، والعلماء المستحفظون يعملون ما يقومون به قربة إلى الله تعالى.

---

(١) شرح النهج ١١: ٧٢، ط /١٩٦٠.

٩ ـ (على ذلك عقد خلقهم وأخلاقهم)؛ فإنّ هذه الآثار ليست تصنّعاً بل ذاتية لهم؛ لانها طبيعية في خلقهم، وطبيعي أن يترتب على الطبيعة آثارها في اخلاقهم وافعالهم.

١٠ ـ (فعليه يتحابون)؛ فإنّ الحبّ الالهي نابع عن هذا العقد الذي عقده الله لهم في الخلق.

١١ ـ (وبه يتواصلون) وصلاتهم الاجتماعية ليست بالمظاهر المادية والعناوين الخيالية، بل درجة التزامهم وعملهم على مقتضى عقدهم.

وختم هذه الصفات في العلماء بالاشارة إلى ظهور الطيب في خلقهم بقوله:

١٢ ـ (فكانوا كتفاضل البذر ينتقى) فهم مختارون لفضل طينتهم، كما ينتقى البذر الطيب الصالح للزراعة (فيؤخذ منه ويلقى) ففي دور الانتقاء يحفظ بالجيد من البذر ويلقى ما لا يكون صالحا للزراعة.

وعن نتيجة هذا الانتقاء قال: (قد ميزة التخليص) من غيرها من البذور كما يخلص الذهب من الاحجار العالقة بها (وهذبه التمحيص) بسبب الانتقاء والامتحان لما يصلح مما لا يصلح.

وهذه الصفات تميز طبيعة العلماء العاملين عن غيرهم، جعلنا الله منهم، آمين.

(ط ـ ٢١٤ / ٤) موارد الاتعاظ:

فَلْيَقْبَلِ ٱمْرُؤٌ كَرَامَةً بِقَبُولِهَا، وَلْيَحْذَرْ قَارِعَةً قَبْلَ حُلُولِهَا، وَلْيَنْظُرِ ٱمْرُؤٌ فِى قَصِيرِ أَيَّامِهِ وَقَلِيلِ مُقَامِهِ فِى مَنْزِلٍ، حَتَّى يَسْتَبْدِلَ بِهِ مَنْزِلاً؛ فَلْيَصْنَعْ لِمُتَحَوَّلِهِ[1]، وَمَعَارِفِ مُنْتَقَلِهِ[2].

فَطُوبَى لِذِي قَلْبٍ سَلِيمٍ، أَطَاعَ مَنْ يَهْدِيهِ[3]، وَتَجَنَّبَ مَنْ يُرْدِيهِ، وَأَصَابَ سَبِيلَ[4] السَّلَامَةِ بِبَصَرِ مَنْ بَصَّرَهُ، وَطَاعَةِ هَادٍ أَمَرَهُ، وَبَادَرَ ٱلْهُدَى قَبْلَ أَنْ تُغْلَقَ أَبْوَابُهُ[5]، وَتُقَطَّعَ أَسْبَابُهُ. وَٱسْتَفْتَحَ[6] التَّوْبَةَ، وَأَمَاطَ[7] ٱلْحَوْبَةَ[8]، فَقَدْ أُقِيمَ عَلَى الطَّرِيقِ[9]، وَهُدِيَ نَهْجَ

---

(١) المتحول: ما يتحوّل اليه.
(٢) معارف المنتقل: المواضع التي يعرف الانتقال اليها.
(٣) في هـ. ص: إشارة الى نفسه عليه السلام وأئمة الدين من ولده تمت من شرح ابن ميثم.
(٤) في ص: سبل.
(٥) في هـ ص استعار لفظ الأبواب له ولأئمة الدين الذين من قبله. انتهى من شرح ابن ميثم.
(٦) هـ ص أي طلب فتح بابها.
(٧) في هـ. ص: أزال.
(٨) في هـ. ص: الحوب والحوبة: الاثم.

السَّبِيلِ.

وعقب ذلك بمواد الاتعاظ بصفات العلماء المستحفظين، وهي:

١ ـ (فليقبل امرؤ كرامة بقبولها)؛ فإنّ قبول تلك الصفات يوجب الكرامة للانسان.

٢ ـ (وليحذر قارعة قبل حلولها) عبّر عن الموت بالقارعة؛ لحصوله فجاءة في العلم بذلك يوجب الحذر منها.

٣ ـ (ولينظر امرؤ في قصير أيامه، وقليل مقامه في منزل حتّى يستبدل به منزلا)؛ فإنّ المقارنة بين الحيان وما بعده يفيد أن الحياة في الدنيا لها صفات، هي.

أوّلاً: (قصر الإقامة) لقصر ايام الدنيا بالنسبة الى الاخرة.

ثانياً: (قليل المقام) بالنسبة إلى الخلود في الاخرة.

ثالثاً: (في منزل) وهو موضع نزول المسافر لفترة معينة، ينتقل منه إلى منزل اخر، حتّى يصل إلى الوطن.

وهذه الصفات الثلاث توجب الاستعداد للمرحلة المقبلة، واشار منها إلى امرين:

٤ ـ (فليصنع لمتحوله ومعارف منتقله) والمتحول: المنزل الجديد الذي يتحول اليه، والمنتقل: المكان الذي يصل اليه؛ فإنّ المسافر يستعد بصنع ما يجب صنعه للمنزل الجديد، وما يعرف من محل الانتقال ولا يسافر إلّا عن هدف واضح.

وإلى نتيجة الاتعاظ بهذه الموارد أشار بقوله:

١ ـ (فطوبى لذي قلب سليم) من ادران الغفلة، وبسبب ذلك قام بواجباته لها.

٢ ـ (أطاع من يهديه) وهو الله سبحانه الذي لا يريد سوى ما فيه صلاح الانسان.

٣ ـ (وتجنب من يرديه) وهو الشيطان ووساوسه في صدور الناس.

٤ ـ (وأصاب سبيل السلامة ببصر من بصره)؛ فإنّ الله ارسل الأنبياء والرسل فقاموا بالارشاد إلى سبل السلامة، ويبصرونهم واجباتهم في الحياة.

٥ ـ (وطاعة هاد أمره) بالاهتداء لمن هدى إلى امر الله تعالى.

٦ ـ (وبادر الهدى قبل أن تغلق أبوابه وتقطع أسبابه) بالموت.

٧ ـ (واستفتح التوبة) الى الله في الحياة قبل الموت.

---

(٩) في هـ. د: على طريق ـ ب.

٨ ـ (وأماط الحوبة) وهي الاثم، والاماطة: التنحية عن طريق النجاة في الآخرة.

والى الاسباب الموجب لهذه النتيجة اشار بقوله:

٩ ـ (فقد أقيم على الطريق) حيث أن الله شرح ما يفتقر اليه الإنسان في الحياة، وحفظها العلماء وكانت حياتهم موارد للاتعاظ لغيرهم.

١٠ ـ (وهدى نهج السبيل) من الله سبحانه بواسطة الرسل وحفظ العلماء، نسأل الله أن يلهمنا الهدى.

[٢١٥]

ومن دعاء كان يدعو به عليه السلام كثيرا:

اَلْحَمْدُ لِلهِ اَلَّذِي لَمْ يُصْبِحْ بِي مَيِّتاً وَلَا سَقِيماً[١] وَلَا مَضْرُوباً[٢] عَلَى عُرُوقِي بِسُوءٍ[٣] وَلَا مَأْخُوذاً بِأَسْوَإِ عَمَلِي وَلَا مَقْطُوعاً دَابِرِي وَلَا مُرْتَدًّا عَنْ دِينِي وَلَا مُنْكِراً لِرَبِّي وَلَا مُسْتَوْحِشاً مِنْ إِيمَانِي وَلا مُلْتَبِساً[٤] عَقْلِي وَلَا مُعَذَّباً بِعَذَابِ اَلْأُمَمِ مِنْ قَبْلِي أَصْبَحْتُ عَبْداً مَمْلُوكاً ظَالِماً لِنَفْسِي لَكَ اَلْحُجَّةُ عَلَيَّ وَلَا حُجَّةَ لِي، لا[٥] أَسْتَطِيعُ أَنْ آخُذَ إِلَّا مَا أَعْطَيْتَنِي وَلَا أَتَّقِيَ إلاَّ مَا وَقَيْتَنِي.

(١/ط ـ ٢١٥) كان يدعو به كثيراً:

استفتح المقطع بالحمد لله وصفاته الموجبة للحمد يظهر أنها من أدعية الصباح، فقال:

١ ـ (الحمد الله الذي لم يصبح بي ميّتا)؛ فإنّ الموت لا وقت له، والقيام في الصباح من النوم يشابه في الحالات النشور بعد الموت في كلّ صباح حياة يوم جديد يوجب الحمد لله تعالى.

٢ ـ (ولا سقيما) بالامراض الجسدية التي يبتلي بها الناس عامة.

٣ ـ (ولا مضروبا على عروقي بسوء) والعروق: الاعضاء التي تشكل جسم الانسان؛ فإنّ سلامتها في نفسها قد يكون مع سلامة ظاهرها، وقد يختلف، قال الشارح ابن أبي

---

(١) في هـ. ص: أي لم يدخلني في الصباح كائناً على أحد الحالات.
(٢) في هـ. د: ولا مضربا ـ ب.
(٣) في هـ. ص قال في الشرح: أي برص، ويحتمل أن يريد به عموم السوء من كلّ ما يسوءه.
(٤) ولا ملتبساً ـ ب، روي متلبساً ـ ر.
(٥) في ط : ولا.

الحديد (ت / ٦٥٦ هـ)، ما نصّه: «والعرب تعبر عن المرض بالسوء».[١] فالمرضى نقص ظاهري مع انّه ليس تقصا حقيقيا في الجسم، بل لون ضرب على الجسم كسائر الالوان.

٤ ـ (ولا مأخوذا بأسوأ عملي) بالعقاب على الذنوب التي هي أعمال شنيعة تستحق العقاب، ويمهل الله الإنسان لاعطاء فرصة التوبة.

٥ ـ (ولا مقطوعا دابري) كناية عن انقطاع النسل بالاولاد.

٦ ـ (ولا مرتدا عن ديني) الذي به أنقذني الله من الضلال والتيه الفكري.

٧ ـ (ولا منكرا لربي) الذي يوجب جمود الفكر على الماديات فقط.

٨ ـ (ولا مستوحشا من إيماني) بما يوجب الالتزام بالقانون من ضبط النفس عن الشهوات والرغبات.

٩ ـ (ولا ملتبسا عقلي) والالتباس: الاختلاط بالهجر والجنون.

١٠ ـ (ولا معذبا بعذاب الأمم من قبلي) من الصاعقة والخسف وغيرهما؛ فإنّ كلّ واحدة من هذه النقاط العشر توجب الحمد لله تعالى.

وإلى قصور الإنسان عن اداء الحمد لله على حقيقة ، أشار بقوله:

أوّلاً: (أصبحت عبدا مملوكا) لما يحكم الله سبحانه عليّ من الموت والحياة.

ثانياً: (ظالما لنفسي) بالقصور عن اداء الحمد على حقيقته لله لكثرة فضل الله تعالى عليّ.

ثالثاً: (لك الحجة علي ولا حجة لي)؛ فإنّ الحمد لا يوازي النعم قط.

رابعاً: (لا أستطيع أن آخذ إلّا ما أعطيتني) من القدرة على الحمد لما انعمت عليّ.

خامساً: (ولا أتقي إلّا ما وقيتني) منه من الموت والاسقام وغيرهما.

حيث أن الله سبحانه خلق الإنسان ووفّر له كلّ ما يفتقر اليه في الحياة من النعم التي لا تعد ولا تحصى، واقلها نعمة الحياة، ولم يؤد الإنسان حقه بالنسبة اليها، فمهما اتى بالحمد فهو حمد قاصر، والله هو الناصر.

(١ / ط - ٢١٥) **دعاء الاستعاذة:**

ٱللَّهُمَّ إِنِّي أَعُوذُ بِكَ أَنْ أَفْتَقِرَ فِي غِنَاكَ أَوْ أَضِلَّ فِي هُدَاكَ أَوْ أُضَامَ فِي سُلْطَانِكَ[٢] أَوْ

---

(١) شرح النهج ١١ : ٨٥.

(٢) في هـ. ص: شبّه الغنى والهدى والسلطان في سعتهن وشمولهن بالظرف المحيط بمظروفه

أُضْطَهَدَ[١] وَٱلأَمْرُ لَكَ.

ٱللهُمَّ ٱجْعَلْ نَفْسِى أَوَّلَ كَرِيمةٍ تَنْتَزِعُهَا مِنْ كَرَائِمِى وَأَوَّلَ وَدِيعَةٍ تَرْتَجِعُهَا مِنْ وَدَائِعِ نِعَمِكَ عِنْدِي[٢].

ٱللَّهُمَّ إِنَّا نَعُوذُ بِكَ أَنْ نَذْهَبَ عَنْ قَوْلِكَ، أَوْ أَنْ نُفْتَتَنَ[٣] عَنْ دِينِكَ. أَوْ تَتابَعَ[٤] بِنا أَهْوَاؤُنَا دُونَ ٱلْهُدَى الذِى جاءَ مِنْ عِنْدِكَ.

وختم المقطع بدعاء الاستعاذة من مشاكل الحياة التي يواجهها كلّ انسان فقال:

ـ (اللهم إني أعوذ بك)؛ فإنّ الاستعاذة لجوء إلى الله سبحانه لما بيده وحده من القدرة على تغيير الحال دون سواه، حيث لا ملجأ غيره .

وذكر من موارد الاستعاذة قسمين، الأوّل، بقوله:

١ ـ (أن أفتقر في غناك) بأن ينقطع الغناء المعنوي المستمد من الايمان بالله، فيصبح فقراً الى المادة والماديات.

٢ ـ (أو أضل في هداك) بالانحراف عن طريق الهداية الروحية، إلى العبودية للمادّة والماديات.

٣ ـ (أو أضام في سلطانك) والظيم: الظلم بالذلة بأي سبب كان، مما يوجب الذل لغيرك، ولك السلطان القاهر المانع من الظلم.

٤ ـ (أو أُضطهد والأمر لك)؛ فإنّ الاضطهاد من غير الله امر واقع تحت قدرة الله؛ فإنّ

فاستعمل من العبارة ما يفيد الاحاطة.

(١) هـ. ص: الظاء بدل من ياء الافتعال، واصل الفعل: ضهد فلان فهو ضهيد أي قهر وفلان ضهد لقهره كل أحد.

(٢) في هـ. ص: هذه دعوة النبي صلى الله عليه وآله وهي قوله: اللّهم متعنا باسماعنا وأبصارنا واجعله الوارث منا. أي لا تجعل موتنا متأخراً عن بقية اخواننا، وكان علي بن الحسين عليه السلام يقول في دعائه: اللّهم احفظ سمعي وبصري الى انتهاء أجلي، وفسروا قوله عليه السلام واجعله الوارث منا، فقالوا: الضمير يرجع الى الامتاع.

فان قلت: كيف ينفي الامتاع بالسمع والبصر بعد خروج الروح، قلت : هذا توسع في الكلام، والمراد: لا تبلنا بالعمى ولا بالصمم فنكون أحياء في الصورة ولسنا بأحياء في المعنى؛ لأن من يعدمهما لا خير له في الحياة، فجملته على ان طلب بقائهما بعد ذهاب بصر النفس ايذاناً واشعاراً بحبه الّا يبتلي بفقدهما، انتهى من شرح ابن أبي الحديد ١١:٨٧.

(٣) في هـ. د: أو نفتن ـ ب، روي نفتتن ـ ل ر .

(٤) في ط: تتابع، وفي د: تتايع، وفي هـ. د: روي في الأصل: تتابع ـ ر، وفي هـ. ص: هو التهافت في الشر واللجاج، ولا تستعمل إلّا في مثل ذلك.

الأمر لك، وهو على كلّ شيئ قدير.

ثم أشار ـ في جملة معترضة ـ إلى أن الظيم أو الاضطهاد اذا كان من الله فالموت اولى منه، فقال (اللهم اجعل نفسي أول كريمة تنتزعها من كرائمي ، وأول وديعة ترتجعها من ودائع نعمك عندي)، وذلك لأنّ الضيم من الله يستلزم عدم القيام بالوظائف الالهيّة وقصور النفس بادائها على الوجه المطلوب، فحينئذ يكون الموت اولى من الحياة التي لا يمكن اداء الواجبات فيها، فان الحياة وديعة كريمة مما اكرم الله الانسان بها في الدنيا لاجل اداء الإنسان دوره المسؤول في الحياة، وعند عدم الامكان لأداء هذه الواجبات يكون الموت كريمة، فاذا كان الضيم من الله للقصور في اداء الواجبات فيكون الحياة اول كريمة تنتزع من الإنسان، فلا يستحق للضيم بسبب القصور أو التقصير في الواجبات.

وقال: (واول وديعة ترتجعها من ودائع نعمك عندي) فالنفس الانسانية لله الذي وهبها للانسان، وله أن يأخذها، فاذا لم يتمكن الإنسان من اداء وظائف هذه الوديعة والمحافظة عليها وما يستلزم منها، فلتكن اول وديعة مستردة، والله العالم.

ثم استمرﷺ في سرد القسم الثاني من موارد الاستعاذة بقوله:

٥ ـ (اللهم إنا نعوذ بك أن نذهب عن قولك) والذهاب عن الشيئ: الاعراض عنه، وذلك باهمال اقواله تعالى في المبادي الاسلاميّة التي أكد عليها في القرآن الكريم.

٦ ـ (أو نفتتن عن دينك) والفتنة : الانحراف وارتكاب المحرمات.

٧ ـ (أو تتابع بنا أهواؤنا) بكثرة متابعة الهوى وتكاثرها.

والى السبب من موارد الاستعاذة اشار بقوله:

(دون الهدى الذي جاء من عندك)؛ فإنّ الهدف من حياة المسلم اداء دوره الاسلامي فيها، فاذا لم يتمكن من ذلك، فان حياته لنفسه تكون كحياة سائر الحيوانات التي همّها علفها.

وهذه الموارد السبع تستوجب الاستعاذة منها بالله تعالى، والله العالم.

[٢١٦]

ومن خطبة لهﷺ خطبها بصفين:

أَمَّا بَعْدُ فَقَدْ جَعَلَ ٱللهُ سُبْحَانَهُ لِي عَلَيْكُمْ حَقًّا بِوِلَايَةِ أَمْرِكُمْ(١) وَلَكُمْ عَلَيَّ مِنَ ٱلْحَقِّ مِثْلُ الَّذِي لِي عَلَيْكُمْ. فَالْحَقُّ(٢) أَوْسَعُ الأَشْيَاءِ فِي التَّوَاصُفِ(٣) وَأَضْيَقُهَا فِي التَّنَاصُفِ(٤). لَا يَجْرِي(٥) لأَحَدٍ إِلاَّ جَرَى عَلَيْهِ وَلَا يَجْرِي عَلَيْهِ إِلاَّ جَرَى لَهُ(٦) وَلَوْ كَانَ لأَحَدٍ أَنْ يَجْرِيَ لَهُ وَلَا يَجْرِيَ عَلَيْهِ لَكَانَ ذَلِكَ خَالِصاً لِلّهِ سُبْحَانَهُ دُونَ خَلْقِهِ لِقُدْرَتِهِ عَلَى عِبَادِهِ وَلِعَدْلِهِ فِي كُلِّ مَا جَرَتْ(٧) عَلَيْهِ صُرُوفُ قَضَائِهِ وَلَكِنَّهُ جَعَلَ حَقَّهُ عَلَى ٱلْعِبَادِ أَنْ يُطِيعُوهُ وَجَعَلَ جَزَاءَهُمْ عَلَيْهِ مُضَاعَفَةَ(٨) الثَّوَابِ تَفَضُّلاً مِنْهُ وتَوَسُّعاً بِمَا هُوَ مِنَ المَزِيدِ أَهْلُهُ.

(٢ / ط ـ ٢١٥) **حقوق الدوله اسلامية:**

تتضمن حقوق الحكومة وحقوق الوالي والرعية، واهمال الحقوق وآثاره، وحقوق الله والناس، وموقف الإمام منها.

استعرض مفتتح المقطع من الخطبة بخصائص حقوق الحكومة في الاسلام، فقال:

١ ـ عن حق الوالي: (أما بعد، فقد جعل الله لي عليكم حقا بولاية أمركم)؛ فإنّ الولاية التي هي الحكومة الاسلامية جعله الله سبحانه للوالي المسلم الذي يقود الامة، وهو حق شرعي له.

وعن حق الأمّة قال:

٢ ـ (ولكم علي من الحق مثل الذي لي عليكم)؛ فإنّ حق الشعب المولّى عليه حقٌ شامل لحق الوالي المسلم، وهذا ناشئ عن عقد اجتماعي بين كلّ من القائد والقاعدة على اساس متناسب، وبعد انعقاد العقد هذا يكون ملزماً للجانبين العمل على ما يتطلبه، ولا يمكن فسخ العقد إلّا بالاسباب الموجبة له من الانحراف عن الكتاب والسنة، كما هو الشأن في كلّ العقود في المجتمع.

(١) في هـ. ب: يعني قوله تعالىٰ: ﴿أطيعوا الله﴾ الى آخره.
(٢) في ب و ط والحق و في هـ. ص في نسخة: والحق.
(٣) في هـ. ب: أي في الوصف سهل أن يوصف اما في العمل صعب ان يعمل به.
(٤) في هـ. ب: من الانصاف .
(٥) في هـ. ب في نسخة: لا يجري، من جرى بالقلم.
(٦) في هـ. ب لا يجري الحق لأحد ولنفعه إلّا جرى عليه أو يضره، أي الحق جار على العباد مع النفع والضرّ.
(٧) في ص : جرىٰ .
(٨) في هـ. ص: ما باب اضافة مصدر الصفة الى الموصوف أي الثواب مضاعفاً.

ثم أشار إلى حقيقة الحق بين النظرية والتطبيق فقال:

٣ ـ (فالحق أوسع الأشياء في التواصف وأضيقها في التناصف) والنصف: الانصاف؛ فإنّ وجوب الحق في الوصف النظري لا يختلف فيه اثنان، ولكن في مرحلة التطبيق يقع الخلاف، فكل يرى أن الحق في جانبه، وحتى اعتى الظالمين يوجه مواقف ظلمه بانه على حق في تيسير الامور، وكل منهم يبرر مواقفه بالمبررات القانونية حسب فهمه.

واشار إلى مهمة الحق بقوله:

٤ ـ (لا يجري لأحد إلّا جرى عليه ، ولا يجري عليه إلّا جـرى له)؛ فـإنّ مـقتضى التناصف في الحقوق أن يتحمل كلّ جانب ما يجب عليه، فمن القائد العمل بواجـبات القيادة الاسلاميّة على الكتاب والسنة، وعلى القاعدة كذلك، فيكون حق الوالي جاريا له في اصدار الاوامر القيادية وفي نفس الوقت يكون حق الرعية على الوالي ألالتزام فيها بالكتاب والسنة، فيكون الحق له وعليه في جانب، وكذلك بالنسبة الى القاعدة، فلها الحق بتنفيذ الاوامر القيادية مادامت تطابق مصلحة الكتاب والسـنة، دون مـا اذا انـحرفت، فللقاعدة حق لها وعليها كذلك.

واشار إلى أن الاستبداد بالحق في جانب واحد مرفوض اسلاميا بقوله:

٥ ـ (ولو كان لأحد أن يجري له ولا يجري عليه) الحق، بأن يكون الحـق له دائـما (لكان ذلك خالصا لله سبحانه دون خلقه)؛ فإنّ الاستبداد بالحق لا مسوّغ له في للاسلام قط، بل الحقوق بين القائد والقاعدة متناصفة.

والسبب في ذلك: أن الحق المطلق انما يكون لله تعالى وحده، وذكره بقوله: (لكان ذلك خالصا لله سبحانه دون خلقه).

كما ذكر لذلك سببين:

الأوّل: (لقدرته على عباده) وان قدرته تامة والخلق ليس لهم القدرة التامة، وبالنتيجة فحيث ان القائد ايضا ليس له القدرة التامة على الشعب، فيفتقر إلى التناصف في الحقوق، والله سبحانه قادر على كلّ شئ فلا يفتقر إلى شئ.

الثاني:(ولعدله في كلّ ما جرت عليه صروف قضائه) والصـرف: الشـيوع؛ فـإنّ الله سبحانه عادل في كلّ ما يفعل من انواع القضاء وعدله الشامل تامٌ دون الخلق، وليس لهم العدل التام، وبالنتيجة فحيث أن القائد ليس له العدل التام في حكم الشعب، فيفتقر إلى

التناصف في الحقوق لضمان هذ العدل في المجتمع.

ثم أشار الى أن الله سبحانه لم يستخدم هذا الحق المطلق الذي لنفسه، بل جعل لنفسه حقا واحدا هو حق العبادة، فقال:

(ولكنّه جعل حقه على العباد أن يطيعوه) فقط.

والى لوازم هذا الحق الالهي أشار بقوله :(وجعل جزاءهم عليه مضاعفة الثواب تفضلا منه) مع أن الحق لا يستلزم الثواب، فكيف بالمضاعفة؟، وذلك (وتوسعا بما هو من المزيد أهله)؛ فإنّ التفضيل من الذات المقدسة ﴿والله يضاعف لمن يشاء والله واسع عليم﴾.(١)

وهذه النقاط الخمس من خصائص الحقوق في الحكومة الاسلامية تبتني على العقد الاجتماعي بين الوالي والرعية، استنادا إلى الكتاب والسنّة.

(٣ / ط ـ ٢١٥) حقوق القائد والشعب:

ثُمَّ جَعَلَ سُبْحَانَهُ مِن حُقُوقِهِ حُقُوقاً ٱفْتَرَضَهَا لِبَعْضِ ٱلنَّاسِ عَلَى بَعْضٍ فَجَعَلَهَا تَتَكَافَأُ(٢) فِي وُجُوهِهَا(٣) وَيُوجِبُ بَعْضُهَا بَعْضاً. وَلَا يُسْتَوْجَبُ بَعضُهَا إِلَّا بِبَعْضٍ .

ثم شرح عليه السلام حقوق الوالي والرعية فقال:

١ ـ (ثم جعل سبحانه من حقوقه)؛ فإنّ حقوق الله سبحانه بعد العبادة حقوق الدولة الاسلامية التي بها نظام المجتمع الاسلامي، وعن خصائص هذه الحقوق قال:

٢ ـ (حقوقا افترضها لبعض الناس على بعض) فهي حقوق خاصة لبعض الناس؛ لما فيهم من المسؤوليات وليست للجميع؛ لأنّ الجميع لا يشتركون في هذه المسؤوليات.

٣ ـ(فجعلها تتكافأ في وجوهها) والتكافؤ: التساوي، فهذه الحقوق وان كانت لبعض الناس فإنّها تساوى الحقوق التي للبعض الاخر؛ حيث يتناصف كلّ منها الحقوق، فتصبح الحقوق متساوية.

٤ ـ (ويوجب بعضها بعضا) حيث أن الالتزام بالحقوق من جـانب البـعض يـوجب الالتزام على الجانب الاخر بما عليه من المسؤوليات وكذلك العكس؛ فإنّ نتيجة العـقد هي بين الطرفين.

---

(١) البقرة: ٢٦١.
(٢) في هـ. ب و ص: أي تتساوىٰ .
(٣) في هـ. ب: في نسخة وجومها.

٥ ـ (ولا يستوجب بعضها إلّا ببعض) فيكون العقد الاجتماعي منفسخا فيما اذا أخل أحد الجانبين بمسؤولياته، فلا يكون بعض الحقوق من جانب إلّا بالتزام الجانب الاخر بها.

(٤ / ط ـ ٢١٥) الفريضة الاسلامية:

وَأَعْظَمُ مَا ٱفْتَرَضَ سُبْحَانَهُ مِنْ تِلْكَ ٱلْحُقُوقِ حَقُّ ٱلْوَالِي عَلَى ٱلرَّعِيَّةِ وَحَقُّ ٱلرَّعِيَّةِ عَلَى ٱلْوَالِي. فَرِيضَةٌ فَرَضَهَا ٱللهُ سُبْحَانَهُ لِكُلٍّ عَلَى كُلٍّ فَجَعَلَهَا نِظَاماً[١] لِأُلْفَتِهِمْ وَعِزًّا لِدِينِهِمْ.

وذكر أن حقوق الحكومة الاسلاميّة فريضة الْهيّة بقوله:

(وأعظم ما افترض سبحانه من تلك الحقوق حق الوالي على الرعية، وحق الرعية على الوالي . فريضة فرضها الله سبحانه لكلّ على كلّ) وكون هذه الطريقة السياسية في النظام اعظم ما افترض الله سبحانه بسبب أن تطبيق سائر الفرائض في المجتمع منوط بها، وذكر من خصائص هذه الفريضة العظمى الموجبة اليها بقوله:

أوّلاً: (فجعلها نظاما لألفتهم) اي جمعهم بوحدة الهية؛ فإنّ الأمّة لا تجمعها حكومة لا يمكنها الحياة بين الامم الاخرى التي تستخدم قواها لاستعمارها وضمها إلى معسكرها بكل الوسائل المادية المتيسرة لها.

ثانياً: (وعزا لدينهم)؛ فإنّ العزة والسيادة للدين ينطبق بشريعة سيد المرسليين على الناس اجمعين، وهذا لا يمكن إلّا بوسيلة الحكومة التي تعتقد بها، لكـي تـتمكن مـن تنفيذها، واي حكم لا يؤمن بها لابدّ وان يحرف المبادي الدينيّة ويميّعها.

(٥ / ط ـ ٢١٥) الدولة الرشيدة:

فَلَيْسَتْ تَصْلُحُ[٢] ٱلرَّعِيَّةُ إِلَّا بِصَلَاحِ ٱلْوُلَاةِ وَلَا تَصْلُحُ[٣] ٱلْوُلَاةُ إِلَّا بِاسْتِقَامَةِ ٱلرَّعِيَّةِ. فَإِذَا أَدَّتِ ٱلرَّعِيَّةُ إِلَى ٱلْوَالِي حقَّهُ وَأَدَّى ٱلْوَالِي إِلَيْهَا حَقَّهَا[٤] عَزَّ ٱلْـحَقُّ بَـيْنَهُمْ وَقَـامَتْ مَنَاهِجُ[٥] ٱلدِّينِ وَٱعْتَدَلَتْ مَعَالِمُ ٱلْعَدْلِ وَجَرَتْ عَلَى أَذْلَالِهَا[٦] ٱلسُّنَنُ فَصَلَحَ بِذَلِكَ ٱلزَّمَانُ

(١) في هـ. ب: معقداً .
(٢) في ب: يصلح.
(٣) في هـ. ب: جمع.
(٤) في هـ. د: أدى الوالي اليها حقها ـ ض ف ح.
(٥) جمع المنهج، وهو الطريق معناه طرق مسلوكة.
(٦) في هـ. ب: جمع ذلول وفي هـ ص: أي جرت ذلك سائرة في طريقها لا تشمس ولا تعدل عن

وَطُمِعَ فِى بَقَاءِ ٱلدَّوْلَةِ وَيَئِسَتْ مَطَامِعُ ٱلْأَعْدَاءِ.

ان الدولة الرشيدة تتقوم بالتلاحم بين القيادة والشعب، ولا يتحقق ذلك إلّا بأداء كلّ منهما المسؤولية المفروضة اسلاميا عليه بالعقد الاجتماعي الاسلامي بينهما، فهي تتحقق من جانبين:

وأشار إلى أن اداء الحقوق الحكومية من الجانبين بقوله:

(فليست تصلح الرعية إلّا بصلاح الولاة) من جانب الرعية كما (ولا تصلح الولاة إلّا باستقامة الرعية).

فان نتيجة العقد الاجتماعي التلاحم بين الحكومة والشعب، وفي هذه الحالة تكون المصلحة في الجانبين، واهمها اثرا هو التنفيذ، فيكون قرار الشعب هو القـرار المـصيري بالنصر أو التخاذل.

والى آثار هذا التلاحم والالتزام بالعقد الاجتماعي من الجانبين أشار بقوله:

موقف الشعب.

(فإذا أدت الرعية إلى الوالي حقه) بتنفيذ الاوامر القيادية في السلم والحرب (وادى الوالي إليها حقها) بتطبيق العدالة في المجتمع حصلت الآثار التالية:

١ ـ (عز الحق بينهم)؛ لأنّ عزة الحكومة عزة للشعب كـلّه، وكـذلك عـزة الشـعب اقتصاديا واجتماعيا قوة للحكومة، والقوة المتلاحمة بينهما قوة للحق الذي يحكمهم.

٢ ـ (وقامت مناهج الدين) وهي الطريق الذي تدعو اليه، حيث يؤدي كلّ واحد منهما مسؤولياته.

٣ ـ (واعتدلت معالم العدل) حيث لا يمكن الحكم بالاستبداد والظلم في المجتمع.

٤ ـ (وجرت على أذلالها السنن) واذلال الطريق: بتطبيق السـنن التـي شـرعها الله سبحانه وطبقها الرسول ﷺ في حياته.

٥ ـ (فصلح بذلك الزمان) الذي يعيش فيه الإنسان منعما بالعدالة السائدة.

٦ ـ (وطمع في بقاء الدولة) واستمرارها، حيث انها تسير على اسس ثابتة تدعو إلى البقاء.

منهجها.

٧ ـ (ويئست مطامع الأعداء) حيث لا يمكنهم النفوذ في المجتمع الاسلامي المتلاحم مع القيادة الرشيدة.

هذه الآثار لا يمكن الحصول عليها من دون مساندة الشعب بالقيام بمسؤولياته .

(٦/ط ـ ٢١٥) الآثار العكسية:

وَإِذَا غَلَبَتِ ٱلرَّعِيَّةُ وَالِيَها أَوْ أَجْحَفَ ٱلْوَالِي بِرَعِيَّتِهِ. ٱخْتَلَفَتْ هُنَالِكَ(١) ٱلْكَلِمَةُ. وَظَهَرَتْ مَعَالِمُ ٱلْجَوْرِ. وَكَثُرَ ٱلْإِدْغَالُ(٢) فِي ٱلدِّينِ. وَتُرِكَتْ مَحَاجُّ(٣) ٱلسُّنَنِ. فَعُمِلَ بِالْهَوَى. وَعُطِّلَتِ ٱلْأَحْكَامُ. وَكَثُرَتْ عِلَلُ ٱلنُّفُوسِ. فَلَا يُسْتَوْحَشُ لِعَظِيمِ حِقٍّ عُطِّلَ. وَلَا لِعَظِيمِ بَاطِلٍ فُعِلَ. فَهُنَالِكَ تَذِلُّ ٱلْأَبْرَارُ وَتَعِزُّ ٱلْأَشْرَارُ وَتَعْظُمُ تَبِعَاتُ(٤) ٱللهِ عِنْدَ ٱلْعِبَادِ .

وأشار إلى الآثار العكسية فيما اذا كانت مواقف الشعب التخاذل بقوله:

(وإذا غلبت الرعية واليها ، وأجحف الوالي برعيته) بالتخاذل في تطبيق أوامر القيادة من جانب الشعب والظلم من جانب القائد؛ فإنّه بذلك ينخرق العقد الاجتماعي الاسلامي ويترتب عليه آثار عكسية كالاتي:

١ ـ (اختلفت هنالك الكلمة) وهي اولى علامات الفشل في أية علاقة ثنائية أو اكثر، كالزواج في الرابطة الروحية، والمعاملات في العلاقات التجارية، والدولة في العلاقات السياسية.

٢ ـ (وظهرت معالم الجور) بالتحدي ضد الجانب الاخر وعدم الانقياد للاوامر القيادية واستخدام القائد القوة ضد الشعب، وهكذا كلّ ظلم يدعوا إلى ظلم اخر.

٣ ـ (وكثر الأدغال في الدين) وهو الفساد بالبدع المستخدمة التي تحرف المفاهيم الدينيّة حتّى يكون بدون مصداقية.

٤ ـ (وتركت محاج السنن) والمحجة: الطرق الواضحة التي تقام عليها سنن الشريعة المطهرة.

٥ ـ (فعمل بالهوى) فيقوم كلّ جانب بما يمليه هوى النفس بالمظاهرات من الشعب،

---

(١) في ب هناك.
(٢) في هـ. د: وكثرت الادغال ـ حاشية ن ، وفي هـ. ب: الدغل الفساد، والادغال جمع الدغل.
(٣) في هـ. ب: المحجة الطريق الواضح .
(٤) في هـ. ب: التبعات: الذنوبات.

وقمع المظاهرات بالقوة، مع علم الجانبين بعدم الفائدة فيها.

٦ ـ (وعطلت الأحكام) حيث لا يمكن تنفيذها إلّا بالقوة التي لا تزيدها إلّا قسوة.

٧ ـ (وكثرت علل النفوس) وهي الامراض النفسية، لانحرافها عن خلوص النيّة لله.

٨ ـ (فلا يستوحش لعظيم حق عطل) فيكون ضياع الحقوق امرا عاديا في المجتمع .

٩ ـ (ولا لعظيم باطل فعل) لعدم الاعتقاد بالقدرة على مقاومته.

١٠ ـ والى نتيجة هذا الوضع غير المرغوب فيه، أشار إلى ثلاثة امور واقعية هي:

أوّلاً: (فهنالك تذل الأبرار) فيصبحون اذلاء تحت رحمة حكم الهوى الحاكم في المجتمع.

ثانياً: (وتعز الأشرار) حيث يخشاهم المستضعفون خوفا من ظلمهم.

ثالثاً: (وتعظم تبعات الله عند العباد) والتبعات: هي المحرمات والمظالم حيث تزداد في غياب الحكومة العادلة، ويستولي شريعة الغاب على المجتمع، فيأكل القوي الضعيف.

وهذه النتائج العكسية لا تتحقق إلّا فيما اذا انخرق العقد الاجتماعي الاسلامي بين القائد والقاعدة، كما هو المشاهد في عصرنا في اكثر الدول الاسلاميّة.

(٧/ط ـ ٢١٥) النصيحة والتعاون:

فَعَلَيْكُمْ بِالتَّنَاصُحِ فِي ذَلِكَ وَحُسْنِ ٱلتَّعَاوُنِ عَلَيْهِ فَلَيْسَ أَحَدٌ وَإِنْ ٱشْتَدَّ عَلَى رِضَى ٱللهِ حِرْصُهُ وَطَالَ فِي ٱلْعَمَلِ ٱجْتِهَادُهُ بِبَالِغٍ حَقِيقَةَ مَا ٱللهُ أَهْلُهُ مِنَ ٱلطَّاعَةِ لَهُ وَلَكِنْ(١) مِنْ وَاجِبِ حُقُوقِ ٱللهِ عَلَى الْعِبَادِ ٱلنَّصِيحَةُ(٢) بِمَبْلَغِ جُهْدِهِمْ وَٱلتَّعَاوُنُ عَلَى إِقَامَةِ ٱلْحَقِّ بَيْنَهُمْ وَلَيْسَ ٱمْرُؤٌ وَإِنْ عَظُمَتْ فِي ٱلْحَقِّ مَنْزِلَتُهُ وَتَقَدَّمَتْ فِي ٱلدِّينِ فَضِيلَتُهُ بِفَوْقِ(٣) أَنْ يُعَانَ عَلَى مَا حَمَّلَهُ اللهُ مِنْ حَقِّهِ(٤) وَلَا ٱمْرُؤٌ وَإِنْ صَغَّرَتْهُ ٱلنُّفُوسُ(٥) وَٱقْتَحَمَتْهُ(٦) ٱلْعُيُونُ بِدُونِ(٧) أَنْ

---

(١) في هـ. ب: ولكن خفيف النون .
(٢) في ط: عباده .
(٣) في د: بفوق.
(٤) في هـ. ب: الفوق العلو، يفوق أي لا يعان كذا يقال.
(٥) في هـ. ب: أي وان كان صغير القدر عند الناس ليس بأدنى الفريقين هو على الحق أو يعان له على الحق .
(٦) في هـ. ب: أي اقتحمته العيون في الحقارة والصغارة.
(٧) في هـ. ب: يقال هو أدون، ذلك أي أقرب منه.

يُعِينَ عَلَى ذَلِكَ و(١)يُعَانَ عَلَيْهِ.

وختم هذا المقطع بالنصيحة والتعاون عليى حق طاعة الله من الجانبين: القائد والشعب، وذلك بدراسة الاوضاع الحالية والوقاية من المفاسد المستقبلية، وتنفيذ حق الطاعة لله تعالى.

١ ـ (فعليكم بالتناصح في ذلك) من الحقوق المفروضة على كلّ جانب من القائد والشعب والعمل بمقتضاهما.

٢ ـ (وحسن التعاون عليه) فالحق المسؤول عنه لكل واحد من الجانبين لا تثمر إلّا بالتعاون؛ لأنّ التعاون طاعة لله سبحانه، وحق الطاعة فرض على جميع المسلمين من القائد والشعب.

ثم أشار إلى أن حق طاعة الله يدعوا إلى النصيحة والتعاون فقال:

٣ ـ(فليس أحد) مهما كان، سواءً القائد أو افراد الشعب (وإن اشتد على رضا الله حرصه وطال في العمل اجتهاده ببالغ حقيقة ما الله أهله من الطاعة له).

وحيث لا يمكن للانسان ـ ايا كان ـ من اداء حق الطاعة كاملة فلا بد من اداء ما امر به ممّا هو ممكن بالفعل، وخص بالذكر النصيحة والتعاون بقوله:

٤ ـ (ولكن من واجب حقوق الله على العباد النصيحة بمبلغ جهدهم، والتعاون على إقامة الحق بينهم) بالتساوي والتناصح كما تقتضيه الحقوق في كلّ مجالات الحياة الاجتماعية كالصحة والزواج والتجارة، ومنها في المقام حقوق الدولة والشعب.

وختم ذلك بالاشارة إلى ضرورة التعاون لقوله:

٥ ـ (وليس امرؤ وإن عظمت في الحق منزلته، وتقدمت في الدين فضيلته بفوق أن يعان على ما حمله الله من حقه، ولا امرؤ وإن صغرته النفوس واقتحمته العيون بدون أن يعين على ذلك أو يعان عليه) فان الإنسان خلق ضعيفا، فهو يفتقر إلى التعاون في كل مراحل حياته، ولولا التعاون بين الاباء والامهات لما كان له وجود في الحياة، ولا يمكن لأيّ انسان مهما كان عظيما في المنزل والدين، ومهما كان صغيرا في المجتمع إلّا وله حاجة إلى التعاون مع سائر افراد المجتمع حتى يعيش حياته العادلة، فكيف بادارة

(١) في ص: أو.

الدولة؟

فلا تتحقق نجاح ايّة دولة إلّا بالتلاحم بين القيادة والقاعدة، والله الموفق.

(٨ / ٢١٥ ـ ط) عظمة حق الله:

فأجابه عليه السلام رجل من أصحابه بكلام طويل يكثر فيه الثناء عليه ويذكر سمعه وطاعته له، فقال عليه السلام:

انَّ مِنْ حَقِّ مَنْ عَظُمَ جَلاَلُ اللهِ فى نَفْسِهِ وجَلَّ مَوْضِعُهُ مِنْ قَلْبِهِ أنْ يَصْغُرَ عِنْدَهُ لِعِظَمِ ذَلِكَ كُلُّ ما سِوَاهُ وإنَّ أحَقَّ مَنْ كانَ كَذَلِكَ لِمَنْ(١) عَظُمَتْ نِعْمَةُ اللهِ عَلَيْهِ ولُطْفُ إحْسانِهِ إلَيْهِ فإنَّهُ لَمْ تَعْظُمْ(٢) نِعْمَةُ اللهِ على أحَدٍ إلاَّ ازْدادَ حَقُّ اللهِ عليْهِ عِظَماً.

كل قائد لأيّة أمّة فانه يلتف حوله ناس يكثرون الثناء عليه، سواءً عن استحقاق أم لا، والمخلصون لا يقومون بشيً من ذلك بالقول، بل بالعمل والطاعة، ولم يخل حياة الإمام من هذين الطائفتين، واستعمل الإمام مناسبة الثناء بالاشارة إلى من يستحقه حقا وهو الله سبحانه لعظمة حق الله على العباد، فقال:

(إن من حق من عظم جلال الله في نفسه، وجل موضعه من قلبه أن يصغر عنده لعظم ذلك كلّ ما سواه) فان التعظيم لابدّ منه لمن يستحقه، وبعد ملاحظة جلال الله في قلب الإنسان لا يبقى مجال سوى الاعتراف بصغر النفس وعظمة الله تعالى سبحانه، وبسبب هذه الحقيقة صغر كلّ ما سوى الله في الوجود، حيث أن عظمة الله حاكمة على كلّ ما في الوجود.

ثم أشار إلى المقياس في عظمة الإنسان انما هو بالنسبة إلى النعم العظيمة التي يوليه الله تعالى، فقال:

(وإن أحق من كان كذلك) معترفا بعظمة الله وصغر ما سواه هو (لمن عظمت نعمة الله عليه ولطف إحسانه إليه) لمعرفة عظمة الله، فإنّها اعظم نعمة والطف احسان يتنعم بها الإنسان، ويرى الامور رؤية واضحة ويعيش حياة وديعة، وبنفس الدرجة والرؤية الواقعية يكون صاحب المعرفة صغيرا في نفسه، فلا يتعاظم.

والى بسبب ذلك أشار بقوله:

(١) في د: من وفي هـ. د: لمن ـ ض ح ب ل ش.
(٢) في ب : يعظم.

(فإنه لم تعظم نعمة الله على أحد إلّا ازداد حق الله عليه عظما) وكلما ازداد حق الله على الإنسان ازداد اعترافاً وشكراً وصغراً في نفسه تجاه نعم الله التي لا تـحصى؛ فـإنّ العظمة لله وحده ولا يوصف ما عداه، فكل ما سواه صغير في نفسه، وكلما زادت انعم الله عليه كانت معرفته وشكره اكثر ونفسه اصغر، فلا معنى للتعظيم لغير الله تعالى.

(٩/ط - ٢١٥) ثناء الناس:

وإِنْ مِنْ أَسْخَفْ[1] حالاَتِ الوُلاَتِ عِنْدَ صالِحِ النَّاسِ أَنْ يُظَنَّ بِهِمْ حُبُّ الفَخْرِ ويُوضَعَ أَمْرُهُمْ على الكِبْرِ وقَدْ كَرِهْتُ أَنْ يَكُونَ جالَ[2] في ظَنِّكُمْ أَنِّي أُحِبُّ الإِطْرَاءَ[3] واسْتِماعَ الثَّناءِ.

من الحالات المتعارفة من الناس في الثناء الذي يعدونه مجاملات، وهي على الاغلب معروفة عند الجميع، فالمثني يعرف كذب نفسه حيث لا يثنى إلّا امام الإنسان، والرجل أيضا يعرف الغرض من هذا الثناء انه ليس لله، ولو كان لله لعمل بالاهداف من دون ثناء بالقول، فثناء الناس إلى المجاملة اقرب الى الخديعة، ولا ينخدع بها إلّا من يعتمد على الناس دون من يستعيذ برب الناس.

ثم اشار(ع) إلى الحالات المتعارفة من الثناء على الولاة بـاعتبارهم فـي مـناصبهم الحساسة واغراضها، فقال:

(وإن من أسخف حالات الولاة عند صالح الناس أن يظن بهم حب الفـخر ويـوضع أمرهم على الكبر) فان من السخافة، وهي قلّة العقل، خفاء الاسباب الداعية إلى هذا الثناء عند الصالحين من الولاة، وهو اللقاء بما يحب أن يسمع؛ فإنّ الهدف من هذا الثناء لايخلو من امرين:

الأوّل: (حب الفخر) والصالح من الناس لايرغب ذلك.

الثاني: (الكبر) والصالح يتجنبه؛ لأنّه يؤدي واجبه.

وهما حالتان موجودتان عند الولاة، ولكن هذه حالات شخصية؛ لانها لا تستمر إلى الابد فهما مرهونتان بالمصالح التي تحكم حياة الذي يثني، وسرعان ما تنقلب بانقلاب

(١) في هـ. ب: أذل، واسخف أي أخف وأرذل من الجولان.
(٢) في هـ. ب: دار.
(٣) هـ. ب: الاطراء أي المدح.

الاحوال؛ فإنّ الصالحين من الولاة لا يغترون بها قط، وان يسكتوا عـنها تـرفقا؛ لعـلهم باسباب الثناء ونتائجه.

وقد أبدى الإمام كرهه من هذه العادة المنبغوضة بقوله:

(وقد كرهت أن يكون حالي في ظنكم أني أحب الاطراء واستماع الثناء) فاقدمت إلى الثناء والاطراء حسب العادة المتبعة في المجتمع؛ فإنّ الإمام اسـتغل المـوقف لتـهذيب الاصحاب في التخلي عن هذه العادة.

(١٠/ط - ٢١٥) موقف الإمام:

ولَسْتُ بِحَمْدِ اللهِ كَذَلِكَ، ولَوْ كُنْتُ أُحِبُّ أَنْ يُقالَ ذَلِكَ لَتَرَكْتُهُ[1] انْحِطَاطاً[2] للهِ سُبْحانَهُ عَنْ تَأَوّلِ[3] ما هُوَ أَحَقُّ بِهِ مِنَ العَظَمَةِ والكِبْرِياءِ. ورُبَّما اسْتَحْلَى[4] النَّاسُ الثَّـناءَ بَـعْدَ البَلاَءِ[5].

ثم شرح الإمام موقفه من الثناء والنهي عنه والسبب في رفض ذلك، وعن موقف الإمام نفسه قال:

أوّلاً: ـ (ولست بحمد الله كذلك) ممّن يحب الاطراء واستماع الثناء.

ثانياً: ـ (ولو كنت أحب أن يقال ذلك لتركته انحطاطا لله سبحانه عن تناول ما هو أحق به من العظمة والكبرياء)؛ فإنّ الثناء عن استحقاق نعمة من نعم الله تعالى، والاعتقاد بـه اعتقاد بعظمة الله، وقد تقدم منه(ع) بأن من عظمت نعمة الله عليه لابدّ وان يكون اصغر في نفسه من غيره، وكلما زادت النعمة عظمة زادت النفس صغرا.

ثالثاً: (وربما استحلى الناس الثناء بعد البلاء) وذلك توجيه لما قام به الرجل من الثناء، اذ ربما يكون الثناء منه حلواً في اعتقاده بعد أن يمر الإنسان بالبلاء ويمتحن في مواقفه، فوجد هذا الرجل ام الموقف يستوجب ذلك، وذلك أمر شخصي يعود اليه، ولا يتأثر القائد باثباته، كما لا يتأثر بعتاب غيره، ولا يأخذ المؤمنين بالرسالة الاسلامية لومة لائم.

(١١/ط - ٢١٥) رفض الثناء:

(١) في هـ. د: لكرهته ـ م، لتركته ـ هامش م.
(٢) في هـ. ب: نزولا.
(٣) في ب و ط: تناول.
(٤) في هـ. ب: من الحلاوة.
(٥) في هـ. ب: بعد المشقة على فعل حسن.

فَلاَ تُثْنُوا[١] عَلَيَّ بِجَمِيلِ ثَنَاءٍ لِإِخْرَاجِي نَفْسِي إِلى اللهِ وإِلَيْكُمْ مِنَ البَقِيَّةِ[٢] فى حُقُوقٍ لَمْ أَفْرُغْ مِنْ أَدَائِها وفَرَائِضَ لابُدَّ مِنْ إِمْضائِها فَـلاَ تُكَـلِّمُونِى بِـمَا تُكَـلَّمُ بِـهِ الجَـبَابِرَةُ ولا تَتَحَفَّظُوا[٣] مِنى[٤] بِمَا يُتَحَفَّظُ بِهِ عِنْدَ أَهْـلِ البَـادِرَةِ[٥] ولا تُـخَالِطُونِى بِـالمُصَانَعَةِ[٦] ولا تَظُنُّوا بيَ اسْتِثْقَالاً لِحَقٍّ[٧] قيل لِى ولا الْتِمَاسَ إِعظَامٍ لِنَفْسِي.

وعن رفضه للثناء قال ناهيا عن سلسلة من النقاط المتعارفة عند الولاة ، فقال:

١ ـ (فلا تثنوا عليّ بجميل ثناء) فإنّه امر قيادي شخصي، و في السبب في هذ النهي قال: (لإخراجي نفسي إلى الله وإليكم من التقية في حقوق لم أفرغ من أدائها وفرائض لا بد من إمضائها)؛ فإنّ السبب فيما يقوم به الإمام هو اداء المسؤولية الملقاة على عاتقه، وهي على نوعين:

الأوّل: حقوق الله، بتطبيق حكم الله على الارض (لاخراج نفسى إلى الله سبحانه).

الثاني: حقوق الشعب (واليكم) بتحقيق العدالة والمساواة في المجتمع الاسلامي، ولا يمكن الخروج من هذه الحقوق إلّا بالتقية) أي الوقاية بأداء المسؤوليات مـن الحـقوق والفرائض والواجبات تجاه الله والشعب.

٢ ـ (فلا تكلموني بما تكلم به الجـبابرة) مـن الخـطاب بـالفاظ الجـلالة والعـظمة والسلطنة.

٣ ـ(ولا تتحفظوا مني بما يتحفظ به عند أهل البادرة) وهي الغضب، الذي يندر فجأة عند سماع ما لا يرضي فيسخط المتكلم من الكلام العفوي أو الكـلام الذي لا يـرضي الوالي.

٤ ـ (ولا تخالطوني بالمصانعة) وهي المجاملة في الكلام من دون صراحة.

٥ ـ (ولا تظنوا بي استثقالاً في حق قيل لي) بأن تتصورون أن الحق عليّ ثقيل اذا كان

---

(١) في ب: ولا تثنوا.
(٢) في د: التقية، وفي هـ . د: البقية ـ ع ض.
(٣) في هـ . ب: التحفظ حفظ نفسه وما عليه نفسه من الخصال.
(٤) في هـ د: لم ترد «مني» في ح.
(٥) في هـ . ب: أي من تخشى بوادره.
(٦) في هـ . ب: الرشوة.
(٧) في ط و د: في حق، وفي هـ د: لحق ـ ش.

حقا، فيتحقق بالتمهيد بالتدريج حتّى ينتهي الى سماع النبأ المفجع؛ فإنّ هذا شأن ضعاف النفوس في الحياة.

٦ ـ (ولا التماس إعظام لنفسي) بأن تتصورون أني التمس واطلب التعظيم لنفسي وان رفضي لهذه في الحقيقة طلب لها، كما هو شأن اصحاب المجاملات في الحـياة، وانـما يطلب الإمام الصراحة في كلّ الاحوال.

(١٢/ ٢١٥ ـ ط) سبب الرفض:

فَإِنَّهُ مَنِ اسْتَثْقَلَ الحَقَّ أَنْ يُقَالَ لَهُ أَوْ الْعَدْلَ أَنْ يُعرَضَ عَلَيْهِ كانَ العَـمَلُ بِـهِمَا عـلَيْهِ أَثْقَلَ[١]. فَلَا تَكُفُّوا[٢] عَنْ مَقَالَةٍ بِحَقٍّ أَوْ مَشُورَةٍ بِعَدْلٍ[٣]. فَإِنِّي لَسْتُ فِي نَفْسِي بِفَوْقِ أَنْ أُخْطِىءَ وَلَا آمَنُ مِنْ ذٰلِكَ مِنْ فِعْلِي إِلاَّ أَنْ يَكْفِيَ اللهُ مِنْ نَفْسِي مَا هُوَ أَمْلَكُ بِهِ مِنِّي. فَإِنَّما أَنَا وَأَنْتُم عَبِيدٌ مَمْلُوكُونَ لِرَبٍّ لا رَبَّ غَيْرُهُ. يَمْلِكُ مِنَّا ما لا نَمْلِكُ مِنْ أَنْفُسِنَا وَأَخْرَجَنَا مِمَّا كُنا فِيهِ[٤] إِلى مَا صَلَحْنَا عَلَيْهِ. فَأَبْدَلَنَا بَعْدَ الضَّلاَلَةِ بِالْهُدَى. وَأَعْطَانَا الْبَصِيرَةَ بَعْدَ الْعَمَى.

وفي سبب الرفض قال:

الأوّل: (فإنه من استثقل الحق أن يقال له أو العدل أن يعرض عليه كان العمل بهما أثقل عليه) وهذا الاستثقال انما يكون لصعاف النفوس، لا الشخصيات القوية التي هي مستعدة لمواجهة الواقع مهما كانت الظروف والاحوال.

(فلا تكفوا عن مقالة بحق أو مشورة بعدل) في كلّ الحالات؛ فإنّ الكف عن ذلك اهمال للواجب، وهو الأمر بالمعروف والنهي عن المنكر، وهو اصل اسلامي لاينبغي اهماله.

الثاني: (فإني لست في نفسي بفوق أن أخطئ)؛ فـإنّ طـبيعة الإنسـان مـحل السـهو والنسيان (ولا آمن ذلك من فعلي)؛ فإنّ كلّ فعل من أي انسان يحتمل الخطأ والصواب (إلا أن يكفي الله من نفسي ما هو أملك به مني) بأن يعصم الله سبحانه الإنسان عند المزالق، وهو على كلّ شئ قدير.

الثالث: (فإنما أنا وأنتم عبيد مملوكون لرب لا رب غيره) ومعنى العبودية: الاعتراف

---

(١) في ط و د: أثقل عليه.
(٢) في هـ . د: ولا تكفوا إنائي ـ ف .
(٣) في ب: العدل.
(٤) في هـ . ب: أي الجاهلية.

بالثناء له تعالى دون غيره؛ فإنّ ذات واجب الوجود المستجمع لجميع صفات الكمال يستحق الثناء دون غيره؛ لأنّه الرب لا سواه، ثمّ أشار إلى ما يستلزم الربوبية من الصفات، وهي:

أوّلاً: (يملك منّا ما لا نملك من أنفسنا) فله القدرة التامة بالحياة والموت.

ثانياً: (وأخرجنا ممّا كنا فيه إلى ما صلحنا عليه) من حالات الضعف إلى القوّة ممّا يصلح حال المجتمع.

ثالثاً: (فأبدلنا بعد الضلالة بالهدى) فخرجنا من الجاهلية إلى الاسلام.

رابعاً: (وأعطانا البصيرة بعد العمى) البصيرة: الرؤية الواضحة للمبادئ والوسائل والاهداف الاسلامية.

وهذه النقاط توجب رفض الثناء ـ أياً كان ـ إلّا لله سبحانه تعالى.

[٢١٧]

ومن كلام له عليه السلام:

ٱللَّهُمَّ إِنِّي أَسْتَعْدِيكَ(١) عَلَى قُرَيْشٍ وَمَنْ أَعَانَهُمْ(٢)؛ فَإِنَّهُمْ قَدْ قَطَعُوا رَحِمِي؛ وَأَكْفَئُوا(٣) إِنَائِي، وَأَجْمَعُوا عَلَى مُنَازَعَتِي حَقّاً(٤) كُنْتُ أَوْلَى بِهِ مِنْ غَيْرِي، وَقَالُوا: أَلَا إِنَّ فِي ٱلْحَقِّ أَنْ تَأْخُذَهُ(٥)، وَفِي ٱلْحَقِّ أَنْ تُمْنَعَهُ(٦). فَاصْبِرْ مَغْمُوماً(٧)، أَوْ مُتْ مُتَأَسِّفاً.

(١) في هـ. ب: اطلب الاعانة منك، وفي هـ. ص: أي اطلبك ان تعديني على من ظلمي أي تنتقم منه، من الشرح.
(٢) في هـ. د: عبارة «ومن أعانهم» ساقطة من م ف ن ل ش.
(٣) في ب: وكفؤوا، وفي هـ. د: وكفئوا ـ ش، وفي هـ. ب: واكفأوا: أي قلّبوا.
في هـ.ص: يعني رحمه من رسول الله صلى الله عليه وآله؛ وذلك انهم عطلوا حكمه الذي عناه الله في قوله:(وأولوا الأرحام بعضهم أولى ببعض في كتاب الله)؛ فانهم نفوا تلك الرحم بإضاعة اللبن من الاناء. تمت من الشرح ١١:١١٠، وفيه اشارة الى انهم اضاعوا حقّاً ثابتاً مستقراً موعى في وعاء، ومثله ما روي عنه وعن زيد بن علي وغيرهما من الأئمة عليهم السلام واكفأت بانيتنا وحملت الناس على رقابنا، انتهى.
(٤) في ص: أمراً.
(٥) في هـ. د: وبخط الرضي كان بالتاء، وروي بالنون ـ ر، أن نأخذه ـ ن.
(٦) في هـ. ص: يعني انهم قلّبوا حقيقة الأمر مجاحدة ومصالفة، فجعلوا الباطل حقّاً والحق باطلاً وهذا المعنى مصرح به في كلام عمر واتباعه.
(٧) في هـ. ب: من الغم.

فَنَظَرْتُ فَإِذَا لَيْسَ لِي رَافِدٌ(١)، وَلَا ذَابٌّ(٢) وَلَا مُسَاعِدٌ(٣)، إِلّا أَهْلَ بَيْتِي؛ فَضَنَنْتُ(٤) بِهِمْ عَنِ ٱلْمَنِيَّةِ، فَأَغْضَيْتُ عَلَى ٱلْقَذَى، وَجَرِعْتُ رِيقِي عَلَى الشَّجَا(٥)، وَصَبَرْتُ مِنْ كَظْمِ ٱلْغَيْظِ عَلَى أَمَرَّ(٦) مِنَ ٱلْعَلْقَمِ(٧)، وَآلَمَ لِلْقَلْبِ مِنْ وَخْزِ(٨) الشِّفَارِ(٩).

قَالَ الرَّضِيّ؛(١٠): وَقَدْ مَضَى هذا ٱلْكلامُ فى أَثْنَاءِ خُطْبَةٍ مُتَقَدِّمَةٍ، إِلّا أَنِّى ذَكَرْتُهُ(١١) هاهنالا خْتلَافِ الرِّوَايَتَيْن.

وهذا في التظلم والتشكي من قريش. قال الجلالي: وهي من الخطبة ٣٦ و ١٧٠ فراجع)

(١/ط - ٢١٧) الدعاء على قريش:

يتضمن هذا المقطع الدعاء على قريش واسبابه وموقفهم المعادي، ورد فعل الإمام، فقال: (اللهم إني أستعديك على قريش ومن اعانهم) والاستعداء: الاستعانة على العدو، والامام ـ كما يظهر من الدعاء ـ لم يجد معينا يعرف حقيقة الاسباب في العداء سوى الله سبحانه، ولم يصرح بالمراد بمن اعانهم، حيث أن الساحة العربية كانت بزعامتهم في الحرب، وقد يكون المراد القبائل التي استخدمت من قبلهم، أو الاعداء غير المسلمين الذين اعانوا على ذلك، كما ظهرت في دفع معاوية الجزية للبيزنطيين للتفرغ إلى محاربة الإمام، والله اعلم، (راجع موارد الاعتبار) والى اسباب هذا الاستعداء أشار بقوله:

أوّلاً: (فإنهم قد قطعوا رحمي)؛ فإنّ الرحم يجمع بين الإمام وقريش، وليس جامع الرحم بيني وبين غيرهم، سواء العرب أو غير المسلمين من البيزنطيين.

ثانياً: (وأكفأوا إنائي) أي قلبوا الاناء بما فيه من اللبن؛ ليصبح فارغاً بسبب العداء،

(١) في هـ. ب و ص: أي معين.
(٢) في هـ. ب: أي دافع.
(٣) في هـ. ب: أي ناصر.
(٤) في هـ ب و ص: بخلت.
(٥) في هـ. ب: الكمد.
(٦) في هـ. ب: تقديره على أمر أمرّ.
(٧) العلقم: شجر مرّ يضرب به المثل.
(٨) في ب و ص: حزّ.
(٩) في هـ. ب: جمع الشفرة: السكين.
(١٠) لم ترد قال «رحمه الله» في د.
(١١) في د: كررته.

وهذا مثل يضرب لمن يضيع الحق من صاحبه.

ثالثاً: (وأجمعوا على منازعتي حقا كنت أولى به من غيري)؛ فإنّ العزم على هذه المنازعة ضد خلافة الإمام عليّ لم يحصل من قبل في الحروب ضد إلى الاسلام؛ فإنّه كان في مشركي قريش من يتعاطف مع رسالة الاسلام، وهذا ما لم يحصل في عصر الإمام من مسلمي قريش.

وعن موقف قريش المعادي قال:

(وقالوا: ألا إن في الحق أن تأخذه وفي الحق أن تمنعه، فاصبر مغموما، أو مت متأسفا)

وهذا المنطق يظهر من مواقف طلحة والزبير ومعاوية.

والمقال المذكور يتضمن نقاطاً:

أوّلاً: أن امر الخلافة، لك الحق في أن تأخذه بالقوة.

ثانياً: أن في الحق ايضا أن تمنع منه بالقوة.

ثالثاً: أن لا تاخذ الحق بالقوة بل تصبر على ما جرى مغموما بضياع الحق.

رابعا: أن لا تصبر وتفسح المجال للمعارضة، التي تؤدي الى ان تموت اسفاً.

وهذه النقاط تبتعد عن حقيقة اسلاميّة صرح بها القرآن بقوله: ﴿وامرهم شورى بينهم﴾ (١)؛ اذ ليس امرهم من امر الخلافة فيكون يكون منوطاً بالقوة وليس بالشورى التي أمر الله بها؟

ويؤكد هذه المقالة مواقف كلّ من طلحة والزبير ومعاوية في حروب الجمل وصفين كما هو معروف من خروجهم على الإمام.

وعن موقف الإمام نفسه كرد فعل لمواقف العداء، قال:

أوّلاً: (فنظرت فإذا ليس لي رافد ولا ذابّ ولا مساعد إلّا أهل بيتي) والرافد: المعين، والذاب: المدافع، فكان الإمام وحيداً بين اهل بيته القريبين منه من الهاشميين، وهذه الحالة تقتضي أن يكون هذا المقطع ما قبل الحرب الاهلية، والله علم.

ثانياً: (فضننت بهم عن المنية) حيث أن استخدام القوّة في الوصول إلى الحق في مثل هذه الحالة لا يتوقع فيها النصر، بل الاستئصال لجميع اهل البيت، وبذلك ينقطع صوت

(١) الشورى: ٣٨.

اهل البيت إلى الابد.

وعن نتائج هذا القرار الشخصي، قال:

١ ـ (فأغضيت على القذى) وهو ما يصيب العين، وغض الطرف: اهمال الشئ.

٢ ـ (وجرعت ريقي على الشجى) وهو ما يعترض في الحلق عند الاكل، والتجرع: الابتلاع، وهذه الحالة تصاحب الشدة غالباً.

٣ ـ(وصبرت من كظم الغيظ على أمر من العلقم) من مرارة الطعم الذي لا يصبر عليه بحال.

٤ ـ (وآلم للقلب من حز الشفار) والشفرة: حدة السيف، والوخز: الطعن الخفيف، والصبر على هذه الحالات التي لا تتحمل عادة كان واجباً اسلامياً للمحافظة على صوت الاسلام الذي يحمله اهل البيت، واعلانه عند الظروف الحساسة.

قال الشارح ابن أبي الحديد (ت / ٦٥٦ هـ)، ما نصّه: «واعلم أن هذا الكلام قد نقل عن أمير المؤمنين عليه السلام ما يناسبه ويجرى مجراه ولم يؤرخ الوقت الذي قاله فيه ولا الحال التي عناها به وأصحابنا يحملون ذلك على أنه عليه السلام قاله عقيب الشورى وبيعه عثمان فإنه ليس يرتاب أحد من أصحابنا على أنه تظلم وتألم حينئذ. ويكره أكثر أصحابنا حمل أمثال هذا الكلام على التألم من يوم السقيفة. ولقائل أن يقول لهم ا تقولون إن بيعة عثمان لم تكن صحيحة فيقولون لا فيقال: لهم فعلى ماذا تحملون كلامه عليه السلام مع تعظيمكم له وتصديقكم لأقواله فيقولون نحمل ذلك على تألمه وتظلمه منهم إذا تركوا الأولى والأفضل فيقال: لهم فلا تكرهوا قول من يقول من الشيعة وغيرهم إن هذا الكلام وأمثاله صدر عنه عقيب السقيفة وحملوه على أنه تألم وتظلم من كونهم تركوا الأولى والأفضل فإنكم لستم تنكرون انه كان الأفضل والأحق بالامر بل تعترفون بذلك وتقولون ساغت امامه غيره وصحت لمانع كان فيه عليه السلام وهو ما غلب على ظنون العاقدين للامر من أن العرب لا تطيعه فإنه يخاف من فتنة عظيمة تحدث إن ولى الخلافة لأسباب يذكرونها ويعدونها وقد روى كثير من المحدثين انه عقيب يوم السقيفة تألم وتظلم واستنجد واستصرخ حيث ساموه الحضور والبيعة وانه قال: وهو يشير إلى القبر: ﴿يا بن أم إن القوم استضعفوني وكادوا

يقتلونني﴾ [١] وانه قال: وا جعفراه ولا جعفر لي اليوم وا حمزتاه ولا حمزة لي اليوم. وقد ذكرنا من هذا المعنى جملة صالحة فيما تقدم وكل ذلك محمول عندنا على أنه طلب الامر من جهة الفضل والقرابة وليس بدال عندنا على وجود النص لأنه لو كان هناك نص لكان أقل كلفة وأسهل طريقا وأيسر لما يريد تناولا أن يقول يا هؤلاء إن العهد لم يطل وإن رسول الله ﷺ امركم بطاعتي واستخلفني عليكم بعده ولم يقع منه ﷺ بعد ما علمتموه ونص ينسخ ذلك ولا يرفعه فما الموجب لتركي والعدول عني. فان قالت الامامية كان يخاف القتل لو ذكر ذلك قيل لهم فهلا يخاف القتل وهو يعتل ويدفع ليبايع وهو يمتنع ويستصرخ تارة بقبر رسول الله وتارة بعمه حمزة وأخيه جعفر – وهما ميتان – وتارة بالأنصار وتارة ببني عبد مناف ويجمع الجموع في داره ويبث الرسل والدعاة ليلا ونهارا إلى الناس يذكرهم فضله وقرابته ويقول للمهاجرين خصمتم الأنصار بكونكم أقرب إلى رسول الله ﷺ وانا أخصمكم بما خصمتم به الأنصار لان القرابة أن كانت هي المعتبرة فانا أقرب منكم. وهلا خاف من هذا الامتناع ومن هذا الاحتجاج ومن الخلوة في داره بأصحابه ومن تنفير الناس عن البيعة التي عقدت حينئذ لمن عقدت له. وكل هذا إذا تأمله المنصف علم أن الشيعة أصابت في أمر وأخطأت في أمر اما الامر الذي أصابت فيه فقولها انه امتنع وتلكأ وأراد الامر لنفسه واما الامر الذي أخطأت فيه فقولها انه كان منصوصا عليه نصا جليا بالخلافة تعلمه الصحابة كلها أو أكثرها وإن ذلك النص خولف طلبا للرئاسة الدنيوية وإيثارا للعاجلة وإن حال المخالفين للنص لا تعدو أحد أمرين اما الكفر أو الفسق فان قرائن الأحوال وأماراتها لا تدل على ذلك وإنما تدل وتشهد بخلافة وهذا يقتضى أن أمير المؤمنين عليه السلام كان في مبدأ الامر يظن أن العقد لغيرة كان عن غير نظر في المصلحة وانه لم يقصد به إلّا صرف الامر عنه والاستئثار عليه فظهر منه ما ظهر من الامتناع والعقود في بيته إلى أن صح عنده وثبت في نفسه انهم أصابوا فيما فعلوه وانهم لم يميلوا إلى هوى ولا أرادوا الدنيا وإنما فعلوا الأصلح في ظنونهم لأنه رأى من بغض الناس له وانحرافهم عنه وميلهم عليه وثوران الأحقاد التي كانت في أنفسهم واحتدام النيران التي كانت في قلوبهم وتذكروا التراث التي وتراهم فيما قبل بها والدماء التي سفكها منهم وأرقها.

(١) سورة الأعراف: ١٥٠.

وتعلل طائفة أخرى منهم للعدول عنه بصغر سنه واستهجانهم تقديم الشباب على الكهول والشيوخ. وتعلل طائفة أخرى منهم بكراهية الجمع بين النبوة والخلافة في بيت واحد فيجفخون[١] على الناس كما قاله من قاله واستصعاب قوم منهم شكيمته وخوفهم تعديه وشدته وعلمهم بأنه لا يداجي ولا يحابي ولا يراقب ولا يجامل في الدين وأن الخلافة تحتاج إلى من يجتهد برأيه ويعمل بموجب استصلاحه وانحراف قوم آخرين عنه للحسد الذي كان عندهم له في حياة رسول الله ﷺ لشدة اختصاصه له وتعظيمه إياه وما قال: فيه فأكثر من النصوص الدالة على رفعه شانه وعلو مكانه وما اختص به من مصاهرته وإخوته ونحو ذلك من أحواله معه وتنكر قوم آخرين له لنسبتهم إليه العجب والتيه كما زعموا واحتقاره العرب واستصغاره الناس كما عددوه عليه وإن كانوا عندنا كاذبين ولكنه قول قيل وامر ذكر وحال نسبت إليه وأعانهم عليها ما كان يصدر عنه من أقوال توهم مثل هذا نحو قوله: « فانا صنائع ربنا والناس بعد صنائع لنا » وما صح به عنده أن الامر لم يكن ليستقيم له يوما واحدا ولا ينتظم ولا يستمر وانه لو ولى الامر لفتقت العرب عليه فتقا يكون فيه استئصال شافة الاسلام وهدم أركانه فأذعن بالبيعة وجنح إلى الطاعة وامسك عن طلب الامرة وإن كان على مضض ورمض. وقد روى عنه عليه السلام أن فاطمة عليها السلام حرضته يوما على النهوض والوثوب فسمع صوت المؤذن "اشهد أن محمّدا رسول الله" فقال لها: أيسرك زوال هذا النداء من الأرض؟ قالت: لا، قال: فإنه ما أقول لك.

وهذا المذهب هو أقصد المذاهب وأصحها واليه يذهب أصحابنا المتأخرون من البغداديين وبه يقول. واعلم أن حال علي عليه السلام في هذا المعنى أشهر من أن يحتاج في الدلالة عليها إلى الإسهاب والاطناب فقد رأيت انتقاض العرب عليه من أقطارها حين بويع بالخلافة بعد وفاة رسول الله ﷺ بخمس وعشرين سنة وفي دون هذه المدة تنسى الأحقاد وتموت التراث وتبرد الأكباد الحامية وتسلو القلوب الواجدة ويعدم قرن من الناس ويوجد قرن ولا يبقى من أرباب تلك الشحناء والبغضاء إلّا الأقل فكانت حاله بعد هذه المدة الطويلة مع قريش كأنها حاله لو أفضت الخلافة إليه يوم وفاة ابن عمه ﷺ من اظهار ما في النفوس وهيجان ما في القلوب حتى إن الاخلاف من قريش والاحداث

(١) فيجحفون : يفخرون ويتكبرون.

والفتيان الذين لم يشهدوا وقائعه وفتكاته في أسلافهم وآبائهم فعلوا به ما لو كانت الأسلاف احياء لقصرت عن فعله وتقاعست عن بلوغ شأوه فكيف كانت تكون حاله لو جلس على منبر الخلافة وسيفه بعد يقطر دما من مهج العرب لا سيما قريش الذين بهم كان ينبغي – لو دهمه خطب – أن يعتضد وعليهم كان يجب أن يعتمد اذن كانت تدرس اعلام الملة وتنعفي رسوم الشريعة وتعود الجاهلية الجهلاء على حالها ويفسد ما أصلحه رسول الله ﷺ في ثلاث وعشرين سنه في شهر واحد فكان من عناية الله تعالى بهذا الدين أن الهم الصحابة ما فعلوه :﴿والله متم نوره ولو كره المشركون﴾ ».(١)

[٢١٨]

ومن خطبة له ﷺ في ذِكْرِ السَّائِرِينَ إلى البَصْرَةِ لِحَرْبِهِ:

فقَدِمُوا على عُمَّالِي وخُزَّانِ بيْتِ مَالِ المُسْلِمينَ الذِي في يَدِيّ وَعلى أَهْلِ مِصْرَ كُلُّهُمْ في طَاعتِي وعلى بَيْعَتي فَشَتَّتُوا كَلِمَتَهُمْ وأَفْسَدُوا عليَّ جَماعَتَهُمْ وَوَثَبُوا على شِيعَتِي. فقَتَلُوا طَائِفَةً منهُمْ غَدْراً وطائِفَةٌ مِنْهُمْ عَضُّوا على أَسْيافِهِمْ فَضارَبُوا بِهَا حتى لقُوا اللهَ صَادِقِينَ.

(١/ ط ـ ٢١٨) في ذكر السائرين إلى البصرة لحربه ﷺ:

يشير الإمام إلى موجبات الحرب في وقعة الجمل عام ٣٦ بقيادة كلّ من طلحة والزبير وسردها كالاتي:

١ ـ (فقدموا) على الحكومة الشرعية القائمة في البصرة بالاستيلاء عليها بالقوة، وكانت الحكومة متشكلة ممن نصبهم الإمام واعطاهم المسؤوليات الادارية الواجبة عليه، فقال: (عمالي وخزّان بيت المسلمين الذي في يدي، وعلى اهل مصر كلهم في طاعتي وعلى بيعتي) فاصحبت ادارة الحكومة الاسلامية المدارة من قبل الإمام هدفا للاطاحة بها، فهم بهذا القدوم الجماعي دخلوا في جماعة البغاة على الإمام الشرعي .

٢ ـ (فشتتوا كلمتهم) يخلق جماعات موالية لهم، وبقاء جماعات موالية للإمام، ولم يكن الحال كذلك من قبل .

٣ ـ (وافسدوا عليّ جماعتهم) نتيجة لتشتيت الكلمة فتحولت الجماعة إلى الفرقة.

(١) شرح نهج البلاغة ؛ ابن أبي الحديد ١١ : ١١٠ ـ ١١٥.

٤ ـ (ووثبوا على شيعتي فقتلوا طائفة منهم غدراً) وهم حراس بيت المال بالاستيلاء على بيت المال.

٥ ـ (وطائفة عضو على أسيافهم) وهم من قاوم في الحرب ضد اعداء عليّ، ولم يلقوا السلام، بل اخذوا سيوفهم كما يعض الإنسان على اسنانه فقاوموا حتّى قتلوا في ساحة الحرب.

وهذه الاسباب تدين الطائفة القادمة بالبغي، فاوجب الحرب ضدهم، وقد حدد الله سبحانه في القرآن الكريم حكم البغاة بقوله: ﴿وَإِن طَآئِفَتَانِ مِنَ ٱلْمُؤْمِنِينَ ٱقْتَتَلُوا فَأَصْلِحُوا بَيْنَهُمَا فَإِنْ بَغَتْ إِحْدَاهُمَا عَلَى ٱلْأُخْرَىٰ فَقَاتِلُوا ٱلَّتِي تَبْغِي حَتَّىٰ تَفِيٓءَ إِلَىٰٓ أَمْرِ ٱللَّهِ﴾.(١)

[٢١٩]

ومن كلام له ﷺ لما مرّ بطلحة وعبدالرحمن بن عتّاب بن أسيد(٢) وهما قتيلان يوم الجمل:

لَقَدْ أَصْبَحَ أَبُو مُحَمَّدٍ(٣) بِهَذَا المَكَانِ غَرِيباً. أَمَا وَٱللهِ لَقَدْ كُنْتُ أَكْرَهُ أَنْ تَكُونَ قُرَيْشُ قَتْلَى تَحْتَ بُطُونِ الْكَوَاكِبِ(٤). أَدْرَكْتُ وَتْرِي(٥) مِنْ بَنِي عَبْدِ مَنَافٍ، وَأَفْلَتَتْنِي أَعْيَانُ(٦) بَنِي جُمَحٍ(٧) لَقَدْ أَتْلَعُوا(٨) أَعْنَاقَهُمْ إِلَى أَمْرٍ لَمْ يَكُونُوا أَهْلَهُ(٩) فَوُقِصُوا(١٠) دُونَهُ.

(١/ ط ـ ٢١٥) لما مر بطلحة بن عبدالله وعبدالرحمن بن عتاب:

لما مر بطلحة بن عبدالله وعبدالرحمن بن عتاب بن اسيد وهما قتيلان يوم الجمل:

(١) الحجرات: ٩.
(٢) في هـ . ص بن أبي العيص بن أُميّة بن عبد شمس، وهذا هو الذي حملت العقاب كفه يوم الجمل وفيها خاتمه وألقتها باليمامة فعرفت باليمامة وعلم أهل اليمامة بالوقعة انتهى من الشرح.
(٣) في هـ . ب: أبو محمّد كنية طلحة.
(٤) في هـ . ب: أي تحت السماء.
(٥) في هـ . ب: الوتر: الثار، وفي هـ . ب: حقدي.
(٦) في ط: أعيار، وفي هـ . ص بالنون يعني رؤساؤهم وسادتهم، ويروى أعيار بالراء أي حميرهم، انتهى من الشرح ، وفي هـ . د: في حاشية ن و ف أعنان، وفي ح: أعيار، وفي ل: أعيار.
(٧) في هـ . ب: جمع قبيلة، وفي هـ . ص بطن من قريش.
(٨) هـ . ب: أي مدّو، هـ . ص: أي رفعوا قريش.
(٩) في هـ . ص: أي الخلافة، وفيه دليل على ان عموم قريش ليس أهل الامامة.
(١٠) وقصوا: أي كسرت أعناقهم وفي هـ . ص: أي دقّت أعناقهم.

كان الإمام ـ كما يكشف تاريخ حياته ـ يحارب اعداء الاسلام بشجاعة لاعلاء كلمة الاسلام، وهذا الهدف يجعل محاربة المعارضة الاسلاميّة – مهما كانت الموجبات لها – امراً غير مطلوب له، لانه حرب ضد المسلمين وليس ضد المشركين، ومن هذا المنطلق اظهر الإمام كراهيته للقتل لقريش بعد اسلامهم في شيخوخته بعد ان كان يحارب مشركي قريش وغيرهم من الكفار في شبابه، وفي هذا الموقف وقف على جسديهما شخصيا بدافع الاستطلاع عن الموقف، وهم: طلحة بن عبيد الله التيمي وعبد الرحمن بن عتاب الاموي، فقال:

١ ـ (لقد اصبح ابو محمّد) وهو كنية طلحة بن عبيد الله بن عثمان بن عمرو بن كعب بن معد بن تيم (بهذا المكان غريباً) حيث أنه قتل في حرب الجمل بالبصرة في العراق، ولا يزال موقعه معروفا، وهو بعيد عن موطنه المدينة.

٢ ـ (اما والله لقد كنت اكره أن تكون قريش قتلى تحت بطون الكواكب)؛ فإنّ اسلامها كان مانعا لها عن القتل وخاصة القتل في الغربة بعيدا عن الوطن (وتحت بطون الكواكب) حيث لا يعلوها ستر سوى السماء.

والى السبب الداعي إلى القتل أشار بقوله:

٣ ـ (ادركت وترى من بني عبد مناف) الوتر: الثأر، ولم يعلم بالضبط المراد بذلك، ولعله يقصد بني أُميّة من نسل عبد شمس بن عبد مناف الذين خططوا لهذه الحرب الاهلية وشاركوا فيها، ومنهم المروان بن الحكم الاموي الذي رمى طلحة بسهم فقتله، واعلن عن ذلك.

واشار الإمام إلى أن القضاء على البغاة كان ثاراً من اولئك الذين اججوا نار الحرب وخلقوا الفتنة في الدين؛ فإنّ ذلك ثأر الذين قتلوا في المعركة من اصحاب الإمام وقد تقدم ذكرهم في الخطبة ١٦٨، ولعل هذه جزء منها، والله العالم.

٤ ـ (وأفلتتني اعيان بني جمح) وهم القوم من اصحاب الجمل، هربوا بعد ان خسرت المعركة من جانبهم، وقد عددهم الشارح (ت /٦٠٦)، منهم: عبدالله الطويل بن صفوان بن أُميّة.

٥ ـ (لقد اتلعوا اعناقهم إلى امر لم يكونوا اهله فوقصوا دونه) والتلع: مد العنق لتناول شيئ، والوقص: الكسر، فان هؤلاء المشاركين في

ـ حرب الجمل ضد الامام بالخروج عليه انما مدّوا أعناقهم الى أمر الخلافة التي لم تجتمع فيهم شروطها من الشورى، فانكسرت اعناقهم في سبيل ما ليس لهم.

قال الشارح ابن أبي الحديد (ت / ٦٥٦ هـ)، ما نصّه:

[عبد الرحمن بن عتاب بن أسيد]

هو عبد الرحمن بن عتاب بن أسيد بن أبي العيص بن أُميّة بن عبد شمس ليس بصحابي ولكنه من التابعين وأبوه عتاب بن أسيد بن أبي العيص بن أُميّة بن عبد شمس من مسلمة الفتح ولما خرج رسول الله ﷺ من مكة إلى حنين استعمله عليها فلم يزل أميرها حتى قبض رسول الله ﷺ وبقى على حاله خلافه أبي بكر الصديق ومات هو وأبو بكر في يوم واحد لم يعلم أحدهما بموت الاخر وعبد الرحمن هذا هو الذي قال: أمير المؤمنين فيه وقد مر به قتيلا يوم الجمل لهفي عليك يعسوب قريش هذا فتى الفتيان هذا اللباب المحض من بني عبد مناف شفيت نفسي وقتلت معشري إلى الله أشكو عجري وبجري فقال: له قائل لشد ما أطريت الفتى يا أمير المؤمنين منذ اليوم قال: إنه قام عنى وعنه نسوة لم يقمن عنك وعبد الرحمن هذا هو الذي احتملت العقاب كفه يوم الجمل وفيها خاتمه فألقتها باليمامة فعرفت بخاتمه وعلم أهل اليمامة بالوقعة».(١)

الى ان قال:

[بنو جمح]

واعلم أنه ﷺ اخرج هذا الكلام مخرج الذم لمن حضر الجمل مع عائشة زوجة النبي ﷺ من بني جمح فقال: « وأفلتتني أعيار بني جمح » جمع عير وهو الحمار وقد كان معها منهم يوم الجمل جماعة هربوا ولم يقتل منهم إلّا اثنان فممن هرب ونجا بنفسه عبد الله الطويل بن صفوان بن أُميّة بن خلف بن وهب بن حذافة ابن جمح وكان شريفا وابن شريف وعاش حتى قتل مع ابن الزبير بمكة. ومنهم يحيى بن حكيم بن صفوان بن أُميّة بن خلف عاش حتى استعمله عمرو بن سعيد الأشدق على مكة لما جمع له بين مكة والمدينة فأقام عمرو بالمدينة ويحيى بمكة. ومنهم عامر بن مسعود بن أُميّة بن خلف كان يسمى دحروجة الجعل لقصره وسواده وعاش حتى ولاه زياد صدقات بكر بن وائل

(١) شرح نهج البلاغة؛ ابن أبي الحديد ١١ : ١٢٣ ـ ١٢٤.

وولاه عبد الله بن الزبير بن العوام الكوفة . ومنهم أيوب بن حبيب بن علقمة بن ربيعة بن الأعور بن أهيب بن حذافة بن جمح عاش حتى قتل بقديد قتلته الخوارج . فهؤلاء الذين أعرف حضورهم الجمل مع عائشة من بني جمح وقتل من بني جمح مع عائشة عبد الرحمن بن وهب بن أسيد بن خلف بن وهب بن حذافة بن جمح وعبد الله ابن ربيعة بن دراج العنبس بن وهبان بن وهب بن حذافة بن جمح لا أعرف انه قتل من بني جمح ذلك اليوم غيرهما فان صحت الرواية) وأفلتني أعيان بني جمح (بالنون فالمراد رؤساءهم وساداتهم».[1]

[٢٢٠]

ومن كلام له عليه السلام في وصف السالك الطريق إلى الله سبحانه:

قَدْ أَحْيَا عَقْلَهُ وَأَمَاتَ نَفْسَهُ[2] حَتَّى دَقَّ[3] جَلِيلُهُ وَلَطُفَ غَلِيظُهُ[4] وَبَرَقَ لَهُ لَامِعٌ[5] كَثِيرُ ٱلْبَرْقِ فَأَبَانَ لَهُ الطَّرِيقَ وَسَلَكَ بِهِ ٱلسَّبِيلَ وَتَدَافَعَتْهُ ٱلْأَبْوَابُ إِلَى بَابِ السَّلَامَةِ وَدَارِ ٱلْإِقَامَةِ وَثَبَتَتْ رِجْلَاهُ بِطُمَأْنِينَةِ بَدَنِهِ فِي قَرَارِ ٱلْأَمْنِ وَالرَّاحَةِ بِمَا ٱسْتَعْمَلَ قَلْبَهُ وَأَرْضَى رَبَّهُ .

(١/ط - ٢٢٠) التكامل في الاسلام:

سرد الإمام عليه السلام مدارج الكمال في الاسلام والصفات التي ينبغي لطالب التكامل الاتصاف بها وعدها بقوله:

١ ـ (وقد احيا عقله) بالتفكير الحر الذي به يكون حياة العقل .

٢ ـ (وامات نفسه)؛ لأنّ النفس امارة بالسوء إلّا مارحم ربي، وشهواتها لاتنتهي حتى يتحقق فيه أمور ثلاثة:

اولا ـ (حتى دق جليله)؛ فإنّ اماته النفس لابد وان تؤثر في جسم الإنسان حتى يصير الجسم الجليل أي العظيم دقيقا، إي صغيراً، واولى درجات ذلك تقليل الاكل .

ثانيا ـ (و لطف غليظه) من غير اعضاء الجسم الظاهرة، وربما الصفات الاخلاقية من

---

(١) شرح نهج البلاغة ؛ ابن أبي الحديد ١١ : ١٢٥.
(٢) في هـ. ص: أي شهوته.
(٣) في هـ. ص: نحف بدنه.
(٤) في هـ. ص أي صفت خلائقه.
(٥) في هـ. ب في نسخة : معه لامع، وفي هـ ص هو اللطف وهو النور الذي عناه الله بقوله:(مثل نوره) وقوله:(ومن لم يجعل الله له نوراً فماله من نور) النور: ٢٤ /٤٠.

الشدة إلى الضعف بسبب قلة الاكل؛ فإنّ لكثرة الاكل اثارا على الروح أيضا.

ثالثا ـ (وبرق له لامع كثير البرق)؛ فإنّه حينئذٍ تظهر الحقائق له، ويكون له رؤية واضحة في المسير نحو التكامل.

وعن هذه الرؤية الواضحة؛ قال:

١ ـ (فبان له الطرائق) لوضوح الطريق فلا يبقى له مانع من السير في طريق التكامل .

٢ ـ (وسلك به السبيل)؛ بأن سار عليه صراطا مستقيما .

٣ ـ (وتدافعته الابواب)؛ فإنّ كلّ مرحلة من مراحل التكامل باب الى مرحلة متقدمة منها حتى يصل الى اخر المراحل .

٤ ـ (الى باب السلامة) من المادّة والماديات؛ فإنّ كلّ مرحلة قبل الوصول اليها مرحلة كمال، وبعد التجاوز عنها تعد مرحلة نقص، وفي حال الحركة مرحلة التكامل .

٥ ـ (ودار الاقامة) هي المرحلة العالية من مراحل الكمال الذي يقيم فيه الإنسان.

وعن نتيجة التكامل قال: (وثبتت رجلاه بطمأنينة بدنه في قرار الامن والراحة بما استعمل قلبه وارضى به ربه)؛ لأنّ فائدة التكامل الإنساني تعود على الإنسان نفسه بالاستقرار الروحي والامن النفسي والراحة من المشاكل المادية بسبب السلوك في رضى الله تعالى .

[٢٢١]

ومن كلام له عليه السلام[1] بعد تلاوته : ﴿أَلْهَاكُمُ التَّكَاثُرُ * حتَّى زُرْتُمُ المَقَابِرَ﴾[2].

(١/ط - ٢٢١) التكاثر حتّى القبر:

يعتبر هذا الكلام تفسيرا من الإمام لآيتين من سورة التكاثر رقم ١٠٣ في الحياة، والتكاثر بالمال والاولاد والعناوين حتى الموت، وبيان صفات الاموات ومصيرهم بسبب حقيقة الموت الموت والمراحل الثلاثة قبل الموت، وهي الحياة والمرض والاحتضار .

(٢/ط - ٢٢١) من خصائص القبور:

---

(١) وردت في نسخة من هنا الكلام رقم ٢٣٩ بدون شرح وحيث ان النسخ الأُخرىٰ اتفقت على كونها آخر ما اختير من خطبه عليه السلام وضعناه هنا وفي ط زيادة: قاله.
(٢) وفي هـ. ب: زور أو زيارة على النصب.

يا لَهُ[(١)] مَرَاماً[(٢)] ما أبْعَدَهُ. وَزَوْراً[(٣)] ما أغْفَلَهُ. وَخَطَراً ما أفْظَعَهُ[(٤)].

استفتح المقطع بذكر خصائص القبر فقال:

اولا: (يا له مراما ما أبعده) المرام: المقصود؛ فإنّ القبر هي المقصد لكل انسان يعيش في الحياة، وهو في حال الحياة مقصد بعيد لايتصوره الإنسان قريبا لحبه للحياة، والتهائه بمغرياته من المال والاولاد وما شابه.

ثانيا: (وزورا ما اغفله) اي الزائر الذي يغفل عن هذا المزار الذي لا بد وأن يزوره.

ثالثاً :(و خطراً ما افظعه) والخطر: الهلاك؛ فإنّ خطر الموت لا عاصم منه.

(٣ / ط - ٢٢١) حالات الزوار:

لَقَدِ اسْتَخْلَوْا[(٥)] مِنْهُمْ أيَّ مُدَّكِرٍ وَتَنَاوَشُوهُمْ[(٦)] مِنْ مَكانٍ بَعِيدٍ أبِمَصَارِعِ آبائِهِمْ من البلى يَفْخَرُونَ[(٧)]. أمْ بِعَدِيدِ الْهَلْكَى يَتَكاثَرُونَ. يَرْتَجِعُونَ[(٨)] مِنْهُمْ أجْسَاداً خَوَتْ[(٩)] وَحَرَكَاتٍ سَكَنَتْ.

١ ـ (لقد استخلوا منهم اي مدكر)؛ فإنّ الزوار للقبور يجدونها قبورا عامرة بالالواح التي تنبئ عن مقام الميت وصورته وماشابه احياءً لذكراه، ولكن لا يعتبرون بانّها موارد للاعتبار، فكانهم وجدوا القبور خالية من اي مذكر مع أنها بأنفسها مذكرات.

٢ ـ (وتناشوهم من مكان بعيد) والتناوش: التداول، حيث انهم يتحدثون مع صاحب القبر وكأنّه جالس فيما بينهم كما كان في الحياة، ولكنهم في الحقيقة يتناولوهم من مكان بعيد عن الواقع؛ فإنّ الواقع بالتذكير بانهم ذهبوا وابتعدوا بالموت من الانسان، فلا فائدة في

(١) في هـ. ب: أعياله ما أبعده.
(٢) انتصب «مراما» على التمييز أي ذكره القصد الافتخار بهم مقصد بعيد، وفي هـ. د: يا مراماً ـ ن، ف، وفي هـ. ب: أي مطلباً منصوب على التمييز كقوله :يالها نعمة، أي ما أبعده من مرام.
(٣) في هـ ص: الزوّر الزائرون أي غفلوا عمّا يقتضيه ذكرهم وهو الاعتبار والاتعاظ.
(٤) في هـ. ب: أي ما أشكله.
(٥) في ب: استحلوا وفي هـ. ب في نسخة: استخلو وفي هـ. ب: من الحلاوة، وفي هـ. ص استحلوا ويقال استخْليٰ بالخاء معجمة: ذكر أموراً خالية. من الشرح.
(٦) في هـ. ب و ص: أي تناولوهم.
(٧) في هـ. ب في نسخة: يفتخرون.
(٨) هـ. ص أي يذكرونهم فكان ذكرهم ارتجاعاً أي طلباً لرجوعهم لأنهم يذكرونهم على وجه التكاثر بهم وكأنهم يبرزونهم في عدادهم.
(٩) في هـ. ب: سقطت، وفي هـ. ص: أي حوت وتساقطت.

الحديث معهم والتناول إلّا بالتذكر بأن مصير الإنسان سيكون مثل مصيرهم، ويستعد لذلك المصير.

٣ ـ (افبمصارع آبائهم يفخرون) حيث يعددون الاوصاف الحميدة للميت، وربما كانوا يتحلون بها في الحياة.

٤ ـ (ام بعديد الهلكى يتكاثرون) حيث أن كلّ فرد له من الاقارب الاموات عدداً كثيراً يصعب تعدادهم من طرف الاباء والامهات.

٥ ـ (يرتجعون منهم اجساداً خوت) فهم ينادون الميت طالبين رجوعهم إلى الحياة لكي يشاهدوا امورا لم يكونوا يتوقعونها من الناس بالنسبة إلى أقربائهم، مع انهم اصبحوا أجسادا ساقطة على الارض كما يخوي البناء بسبب عدم الروح فيها، والخواء ضد الحركة، لانها (حركات سكنت) بالموت والى الابد.

وعن الواجب من هذه الزيارة اشار:

(٤ / ط - ٢٢١) واجب الزيارة:

وَلأَنْ يَكُونُوا عِبَراً أَحَقُّ مِنْ أَنْ يَكُونُوا مُفْتَخَراً وَلأَنْ يَهْبِطُوا بِهِمْ جَنَابَ ذِلَّةٍ أَحْجَى[(١)] مِن أَنْ يَقُومُوا بِهِمْ مَقَامَ عِزَّةٍ لَقَدْ نَظَرُوا إِلَيْهِمْ بِأَبْصَارِ ٱلْعَشْوَةِ[(٢)] وَضَرَبَوا[(٣)] مِنْهُمْ فِى غَمْرَةِ جَهَالَةٍ[(٤)]. أوّلاً: (ولأن يكونوا عبراً أحق من أن يكونوا مفخراً)؛ لأنّ الفخر بالذي مضى فخرٌ زائلٌ، والعبرة بالعمل لتصحيح الاخطاء.

ثانياً: (ولأن يهبطوا بهم جناب ذله احجى من أن يقوموا بهم مقام عزة)؛ فإنّ الاعتراف بالحقيقة اولى؛ فانهم في حالة ذلة بالموت، والعقل والحجى يتطلب الاعتراف بذلك بدلا عن دعوى العزة للميت الذي هو بالفعل ذليل بالموت.

ثالثاً: (لقد نظروا اليهم بابصار العشوة) والعشوة: ضعف الباصرة حيث أن الزوار يسردون نعوت الفخر وكانهم لايرون ذلته بالموت.

رابعا: (وضربوا منهم في غمرة جهالة) بالخوض في فضائلهم ونعوتهم التي ليست إلّا

(١) في هـ. ب: أحرىٰ وأجدر وفي هـ. ص أي أجدر وأولىٰ.
(٢) في هـ. ص: أي بأبصار غلب عليها العشاء، والمراد بها أبصار القلوب غير المستبصرة.
(٣) هـ. ص: أي خاضوا وسجو.
(٤) في هـ. ص: أي في مجرىٰ جهالة، وفي هـ. د: لم ترد جهالة في م ف.

جهالة بواقع الحال، وان أصبحت في الماضي.

فالواجب في مثل هذه الحال الاعتبار بالمسير والمآل.

(٥/ط - ٢٢١) لسان الحال:

وَلَوْ ٱسْتَنْطَقُوا عَنْهُمْ عَرَصَاتِ تِلْكَ ٱلدِّيَارِ ٱلخَاوِيَةِ[١] وَٱلرُّبُوعِ[٢] ٱلْـخَالِيَةِ لَـقَالَتْ[٣] ذَهَبُوا فِي ٱلْارْضِ ضُلَّالاً[٤] وَذَهَـبْتُمْ فِـى أَعْـقَابِهِمْ جُـهَّالاً. تَـطَأُونَ فِـي[٥] هَـامِهِمْ[٦] وَتَسْتَنْبِتُونَ[٧] فِي أَجْسَادِهِمْ وَتَرْتَعُونَ[٨] فِيما لَفَظُوا وَتَسْكُنُونَ فِيما خَرَّبُوا وَإِنَّمَا ٱلْأَيَّـامُ بَيْنَكُمْ وَبَيْنَهُمْ بَوَاكٍ[٩] وَنَوَائِحُ عَلَيْكُمْ.

وعن لسان حال الاموات قال:

١ ـ (ولو استنطقوا عنهم عرصات تلك الديار الخاوية والربوع الخالية) بأن سأل الزوار والاموات ما الحالة في القبور المهدمة والمساكن الخالية بعد الموت، لكان الجواب بلسان الحال:

٢ ـ (لقالت: ذهبوا في الارض ضلالاً)؛ فإنّ الاموات في كلّ طبقة من الزمان يجيبون على السؤال بانهم ذهبوا من الحياة حالكونهم كانوا في الاضاليل عن طريق الاعتبار بالموت.

واما عن حالة الاحياء فيقول الاموات بلسان الحال:

اولاً: (ذهبتم في اعقابهم جهالاً) تجهلون أن الموت سيحلقكم كما لحقهم.

ثانياً: (تطوون في هامهم) وهو الرأس، فتطوون الارض من بعدهم خلف رؤوسهم كما ذهبوا.

---

(١) في هـ. ص: الخاوية: المتساقطة.
(٢) في ب والرسوم، وفي هـ. د: والرسوم ـ ش.
(٣) في هـ. د: لقالوا ـ ش.
(٤) في هـ. ب: ذهبت في الأرض جهالاً.
(٥) لم ترد «في» في ب.
(٦) جمع هامة: أعلى الرأس.
(٧) في ب و ط: تستنبتون، وفي هـ. ب: طلب النبت : تزرعون وفي هـ ص: يروى تستنتون ـ بالنون.
(٨) أي تتنعمون.
(٩) في هـ. ب: جمع باكية.

ثالثاً: (وتستنبتون في اجسادهم) أي تزرعون في الارض التي تتضمن ما تفسخ من اجسادهم على مر العصور.

رابعاً: (وترتعون فيما لفظوا) فتتنعمون بما هم تركوا في الدنيا من المال وغيره.

خامساً: (وتسكنون فيما خربوا) من الدور والقبور التي أعدوها لانفسهم.

سادساً: (وانما الايام بينكم وبينهم بواك ونوائح عليكم)؛ فإنّ الفرق بين الاموات والاحياء ليس إلّا الفارق الزمني الذي ستكون الايام باكية عليكم كما بكت على من قبلكم وتنوح كما ناحت على من سبقكم، فان لسان الحال للاموات يدعوا إلى الاعتبار بهذه الحالات.

(٦/ط - ٢٢١) صفات الاموات:

ثم عدد صفات الاموات الذين سبقوا إلى القبور بقوله:

أُولَئِكُمْ[١] سَلَفُ غَايَتِكُمْ[٢]. وَفُرَّاطُ[٣] مناهِلِكُم ٱلَّـذِينَ كَـانَتْ لَـهُمْ مَـقَاوِمُ[٤] ٱلْـعِزِّ وَحَلَبَاتُ[٥] ٱلْفَخْرِ مُلُوكاً وَسُوَقاً[٦].

١ ـ (اولئكم سلف غايتكم) اي سبقوكم إلى الغاية التي بها تكون نهاية الحياة، وهي الموت.

٢ ـ (وفراط مناهلكم) المنهل: منبع الماء، والفارط: المتقدم لتحديده؛ فإنّ الاموات تقدموا لما تنتهلون منه.

٣ ـ (الذين كانت لهم مقاوم العز) فانهم كانوا معزيزين بالمقام والجاه، ولا أقل من عز الحياة.

٤ ـ (وحلبات الفخر) والحلبة: مورد المسابقة في انواع الفخر، كلّ حسب اختصاصه.

٥ ـ (ملوكا وسوقا) أي رعية؛ فإنّ لكل منهم في الحياة الدنيا امور كانوا يتفاخرون بها

---

(١) في د: أولئك، وفي هـ. د اولئكم ض ح ب ش.
(٢) سلف الغاية: السابق اليها.
(٣) في هـ. ب: الفراط: السوابق.
(٤) في هـ. ب: المقاوم جمع مقام، وفي هـ. ص: جمع مقوم، وهو في أصلها: الخشبة التي يمسكها الحراث، أي ما به يقوم العز وينتصب، انتهى من الشرح ١١: ١٤٩.
(٥) هـ. ص: جمع حلبة وهي جماعة خيل السباق.
(٦) في هـ. ب: جمع سوقة وهي الرعية.

مع اصحابهم المتنافسين معهم .

(٧ / ط - ٢٢١) وفي القبر:

سَلَكُوا فِي بُطُونِ ٱلْبَرْزَخِ(١) سَبِيلًا(٢) سُلِّطَتِ ٱلْأَرْضُ عَلَيْهِمْ فِيهِ. فَأَكَلَتْ مِنْ لُحُومِهِمْ وَشَرِبَتْ مِنْ دِمَائِهِمْ. فَأَصْبَحُوا فِي فَجَوَاتِ(٣) قُبُورِهِمْ جَمَاداً لَا يَنْمُونَ(٤). وَضِمَاراً(٥) لَا يُوجَدُونَ لَا يُفْزِعُهُمْ وُرُودُ ٱلْأَهْوَالِ وَلَا يَحْزُنُهُمْ تَنَكُّرُ ٱلْأَحْوَالِ وَلَا يَحْفِلونَ(٦) بِالرَّوَاجِفِ(٧) وَلَا يَأْذَنُونَ(٨) لِلْقَوَاصِفِ غُيَّباً لَا يُنْتَظَرُونَ وَشُهُوداً لَا يَحْضُرُونَ.

١ ـ (سلكوا في بطون البرزخ) وهو الفاصلة بين الموت والنشور، وبطونه: درجاته من القبر ومابعده، حيث انهم جميعاً سلكوا في نفس الطريق .

٢ ـ (سبيلا سلطت الارض عليهم فيه) فاصبحوا جميعاً مقهورين تحت الارض .

٣ ـ (فاكلت من لحومهم) حتى تفسخت وانقلبت ترابا.

٤ ـ (وشربت من دمائهم) حتى لم يبق لها اثراً اليوم .

٥ ـ (فاصبحوا في فجوات قبورهم جمادا لاينمون) فليس لاجسادهم نموّ، بل انقلبوا خامدين .

٦ ـ (وضماراً لايوجدون) فهم غير ظاهرين في الوجود فكأنهم لم يوجدوا.

٧ ـ (لايفزعهم ورود الاهوال) لانهم جثث هامدة .

٨ ـ (ولا يحزنهم تنكر الاحوال) لعدم تأثرهم بها قط .

٩ ـ (ولا يحفلون بالرواجف) والراجفة: الزلزلة .

١٠ ـ (غيباً لاينتظرون) فليس من ينتظر قدومهم بعد الغيبة .

١١ ـ (وشهودا لا يحضرون)؛ فـإنّ ارواحـهم تشـهد الزوار، ولكـنهم لا يـحضرون

(١) في هـ. ب: القبر، وفي هـ ص: المقبرة.
(٢) في هـ. ص: أي طريقاً الى الآخرة.
(٣) في هـ. ب: متسعات و في هـ ص: جمع فجوة وهي المقبرة المتسعة.
(٤) في هـ. ب: من النمو، وهي الزيادة، وفي هـ.د: لا يتمنّون ـ ر.
(٥) في هـ. ب الضمار كل ما لم تكن على ثقة من وجوده، وفي هـ ص: هـو مـا لا يـرجىٰ ولا يتحقق لخفائه.
(٦) في هـ. ب: أي لا يبالون، و في هـ ص: أي لا يكترثون، وفي هـ. د: ولا يحلفون ـ ع.
(٧) في هـ. ب: من الرجفة.
(٨) في هـ. ب و ص: لا يسمعون.

بالاجساد .

(٨ / ط - ٢٢١) مقابلة حالات الدنيا:

وعن مقابلة حالات الدنيا، قال :

وَإِنَّمَا كَانُوا جَمِيعاً فَتَشَتَّتُوا وَأُلَافاً فَافْتَرَقُوا(١). وَمَا عَنْ طُولِ عَهْدِهِمْ وَلَا بُعْدِ مَحَلِّهِمْ عَمِيَتْ أَخْبَارُهُمْ وَصَمَّتْ دِيَارُهُمْ وَلَكِنَّهُمْ سُقُوا كَأْساً بَدَّلَتْهُمْ بِالنُّطْقِ خَرَساً وَبِالسَّمْعِ صَمَماً وَبِالْحَرَكَاتِ سُكُوناً فَكَأَنَّهُمْ فِي ٱرْتِجَالِ(٢) ٱلصِّفَةِ صَرْعَى سُبَاتٍ(٣). جِيرَانٌ لَا يَتَأَنَّسُونَ. وَأَحِبَّاءُ(٤) لَا يَتَزَاوَرُونَ(٥). بَلِيَتْ بَيْنَهُمْ عُرَى(٦) التَّعَارُفِ وَٱنْقَطَعَتْ مِنْهُمْ أَسْبَابُ ٱلْإِخَاءِ. فَكُلُّهُمْ وَحِيدٌ وَهُمْ جَمِيعٌ وَبِجَانِبِ ٱلْهَجْرِ وَهُمْ أَخِلَّاءُ. لَا يَتَعَارَفُونَ لِلَيْلٍ صَبَاحاً وَلَا لِنَهَارٍ مَسَاءً. أَيُّ ٱلْجَدِيدَيْنِ(٧) ظَعَنُوا فِيهِ كَانَ عَلَيْهِمْ سَرْمَداً(٨).

١ ـ (وانما كانوا جميعا فتشتتوا) فان اجتماعهم في الدنيا تشتت بالموت .

٢ ـ (وأُلّافا فافترقوا) والائتلاف قد انتهى بالفرقة .

٣ ـ (و ما عن طول عهدهم ولا بعد محلهم عميت اخبارهم وصمت ديارهم) والصمت: الخرس؛ فإنّ السبب في الجهل باخبارهم ليس طول العهد وبعد المحل، بل انما هو:

٤ ـ (ولكنهم سقوا كاسا بدلتهم بالنطق خرسا، وبالسمع صمما، وبالحركات سكونا) فكأس الموت أخرسهم من النطق، واصم آذانهم من السماع وبدل حركاتهم سكوناً.

٥ ـ (فكانهم في ارتجال الصفة) اي اذا وصف حالهم من دون تأمل ارتجالاً يصفهم بالصفات التالية:

أوّلاً: (صرعى) فهم كالقتلى الصرعى في المعركة.

ثانيا: (سبات) كالنائم .

(١) أُلّافا: جمع أليف، أي مؤتلف مع غيره، وفي هـ. ب: جمع إلف.
(٢) في هـ. ص: أي الاتيان بها على غير تروّ وتأمل.
(٣) في هـ. ب: النوم، وفي هـ. ص السبات النوم.
(٤) في هـ. ص: جمع حبيب وفي هـ. د: أحياء ـ ل ر.
(٥) في هـ. ب: من الزيارة.
(٦) في هـ. ب: جمع سبب، وفي هـ ص : جمع عروة.
(٧) في هـ. ص: هما الليل والنهار.
(٨) في هـ. ص أي انهم لعدم شعورهم بتبدّل الأزمان بمنزلة من استمر عليه الوقت الذي انـتقل منه لعدم الشعور بالتقضي والتبدل.

ثالثا: (جيران لا يتانسون) بالرغم من قرب الجوار في القبور.

رابعاً: (احياء لا يتزاورون) مع قرب المسافة.

وعن السبب في عدم الزيارة قال:

١ ـ (بليت بينهم عرى التعارف)؛ فإنّ حبل التعارف بينهم فنى بالموت.

٢ ـ (وانقطعت منهم اسباب الاخاء) الموجبة للتزاور.

٣ ـ (فكلهم وحيد وهم جميع)؛ فإنّ الجمع خال من اسباب الاجتماع.

٤ ـ (وبجانب الهجر وهم اخلاء)؛ فإنّ الاخاء الموجب اللتزاور اصبح مهجورا على الزمن من الصباح والمساء فانّ:

٦ ـ (اي الجديدين ظعنوا فيه كان عليهم سرمداً) والجديدان هما الليل والنهار؛ فإنّ احوال الدنيا كلها بالنسبة الى الاموات سواء.

(٩ / ط - ٢٢١) حالتا الموت والحياة:

شَاهَدُوا[١] مِنْ أَخْطَارِ[٢] دَارِهِمْ أَفْظَعَ[٣] مِمَّا خَافُوا وَرَأَوْا مِنْ آيَاتِهَا أَعْظَمَ مِمَّا قَدَّرُوا[٤]. فَكِلْتَا[٥] ٱلْغَايَتَيْنِ مُدَّتْ لَهُمْ إِلَى مَبَاءَةٍ[٦] فَاتَتْ[٧] مَبَالِغَ ٱلْخَوْفِ[٨] وَالرَّجَاءِ. فَلَوْ كَانُوا يَنْطِقُونَ بِهَا لَعَيُّوا بِصِفَةِ مَا شَاهَدُوا وَمَا عَايَنُوا.

وإلى المقارنة بين حالتي الحياة والموت أشار بقوله:

١ ـ (شاهدوا من اخطار دارهم افظع ممّا خافوا)؛ فإنّ الإنسان بطبعه يهوّن امر الشئ الذي لم يره، فظنوا الانذار من الانبياء والرسل امراً مبالغا فيه، وبعد الموت رأوا الحقائق افظع ممّا كانوا يتصورونه.

٢ ـ (وراوا من آياتها اعظم ممّا قدروا) لان التقدير منهم كان بالمقاييس الدنيوية المادية، وفي ما بعد الموت كانت روحية، وهي اعظم من الماديات.

---

(١) في هـ. ب: رأوا.
(٢) في هـ. ب: من المخاطرة.
(٣) في ب: أفظع، هـ ص في نسخة: أفضع، وفي هـ. ب: أصعب.
(٤) في هـ. ب: من التقدير.
(٥) في ب و ط: فكلا وفي هـ.د: فكلا ـ ش.
(٦) في هـ ص: في نسخة مباءات.
(٧) في هـ. ب: من الفوت.
(٨) في هـ. د: الفوت ـ م ف.

٣ ـ (فكلتا الغايتين مدت لهم إلى مباءة، فاتت مبالغ الخوف والرجاء) والغايتان: الخوف الفضيع والتقدير العظيم كانتا عظيمتين في الامتداد إلى المنزل الحقيقي الذي تبوّؤا فيه يفوق بالغ الخوف والرجاء الذي تصوروه في الدنيا.

٤ ـ (فلو كانوا ينطقون بها لعيوا بصفة ما شاهدوا وما عاينوا)؛ فإنّ هول الحقائق تجعل الإنسان في عيٍّ عن النطق والبيان.

وهاتان الحالتان المتماثلتان للحياة والموت تخرج عن حد الوصف المادي.

(١٠ / ط - ٢٢١) موعظة الاموات:

وَلَئِنْ عَمِيَتْ[١] آثَارُهُمْ وَٱنْقَطَعَتْ أَخْبَارُهُمْ لَقَدْ رَجَعَتْ فِيهِمْ أَبْصَارُ ٱلْعِبَرِ وَسَمِعَتْ عَنْهُمْ آذَانُ ٱلْعُقُولِ وَتَكَلَّمُوا مِنْ غَيْرِ جِهَاتِ النُّطْقِ. فَقَالُوا كَلِحَتِ[٢] ٱلْوُجُوهُ النَّوَاضِرُ، وَخَوَتِ[٣] ٱلْأَجْسَامُ النَّوَاعِمُ. وَلَبِسْنَا أَهْدَامَ[٤] ٱلْبِلَى وَتَكَاءَدَنَا[٥] ضِيقُ المَضْجَعِ. وَتَوَارَثْنَا ٱلْوَحْشَةَ[٦]. وَتَهَكَّمَتْ[٧] عَلَيْنَا الرُّبُوعُ الصُّمُوتُ فَانْمَحَتْ[٨] مَحَاسِنُ أَجْسَادِنَا. وَتَنَكَّرَتْ[٩] مَعَارِفُ صُوَرِنَا. وَطَالَتْ فِى مَسَاكِنِ ٱلْوَحْشَةِ إِقَامَتُنَا. وَلَمْ نَجِدْ مِنْ كَرْبٍ فَرَجاً. وَلَا مِنْ[١٠] ضِيقٍ مُتَّسَعاً.

وإلى موعظة الاموات أشار بقوله:

١ ـ (ولئن عميت آثارهم) بالموت فانتهت آثار الحياة منهم.

٢ ـ (وانقطعت اخبارهم) المحسوسة من اهليهم.

٣ ـ (ولقد رجعت فيهم ابصار العبر) ممّا يوجب الاعتبار لغيرهم من الاحياء.

---

(١) في ب: درست وفي هـ. ب في نسخة: عميت.
(٢) في هـ. ب: تغيّرت، وفي هـ. ص: عبست وكشرت.
(٣) أي تهدمت بنيتها وتفرقت أعضاؤها وفي هـ. ب: خليت.
(٤) في هـ. ب و ص: جمع هدم وهو الثوب البالي.
(٥) في هـ ص: أي تشق علينا.
(٦) في هـ ص: أي استوحش الآخر بعد الأول.
(٧) في هـ. ب: من التهدم، وفي هـ ص نسخة ابن أبي الحديد: تهدمت، قال في الشرح: يقال تهدم فلان على فلان غيضاً، اذا اشتد غضبه. ويجوز أن يكون: تهدمت أي تساقطت، وروي: تهكمت بالكاف، وهو كقولهم: تهدمت بالتفسيرين.
(٨) في ب: فامحت، وفي هـ. ب: فانمحيت بمعنى واحد.
(٩) في هـ ص: صارت منكرة.
(١٠) في هـ. د: ومن ـ م ن ف.

٤ ـ(وسمعت عنهم آذان العقول) التي تسمع من دون حاسة الاذن.

٥ ـ(وتكلموا من غير جهات النطق) التي ينطق باللسان المادي، وكان العبرة والوعظ من الاموات (لقالوا):

اولا: (كلحت الوجوه النواضر) والكلح: العبوس؛ فإنّ نضرتها تغيرت الى العبوس.

ثانياً: (وحوت الاجسام النواعم) لفقدان الروح فاصبحت كالبنيان المنهدم.

ثالثا: (ولبسنا اهدام البلى) والهدم: الثوب البالي.

رابعا:(وتكأدّنا ضيق المضجع) والتكأد: المشقة في القبر.

خامسا(وتوارثنا الوحشة) بالانقطاع عن الاهل والاولاد.

سادساً: (وتهلمت علينا الربوع الصموت) والتكهم: التساقط، والربع: المنزل؛ فإنّ القبور تنهدم على اصحابها بصمت لايجلب انتباه احد، حيث لايكون عند القبور احد عادة ليسمع صوت الهدم.

سابعاً: (فانمحت محاسن اجسادنا) التي كانت توصف في الحياة بالجمال وبشاشة المنظر والرشاقة والفتوّة.

ثامناً: (وتنكرت معارف صورنا) لانها ذبلت عن الحالة والصور المشاهدة في الحياة.

تاسعاً: (وطالت في مساكن الوحشة اقامتنا) حيث لا نعلم وقت الحشر منها.

عاشرا: (ولم نجد من كربٍ فرجاً ولا من ضيقٍ متسعاً) بل أن ضيق القبر يزداد بتوارد الاموات في القبور، واستيلاء الرمال عليها في الفلوات.

وهذه النقاط العشر من موعظة الاموات بلسان الحال كافية لمن يزور قبورهم أن يعتبروا بهم ويستعدوا لآخرتهم.

(١١ / ط ـ ٢٢١) تصوّر الاموات:

فَلَوْ مَثَّلْتَهُمْ[١] بِعَقْلِكَ أَوْ كُشِفَ عَنْهُمْ مَحْجُوبُ ٱلْغِطَاءِ لَكَ وَقَدِ ٱرْتَسَخَتْ[٢] أَسْمَاعُهُمْ بِالْهَوَامِّ فَاسْتَكَّتْ[٣]. وَاكْتَحَلَتْ أَبْصَارُهُمْ بِالتُّرَابِ فَخَسَفَتْ[٤]. وتَقَطَّعَتِ ٱلْأَلْسِنَةُ[٥] فِي

(١) في هـ. ب: صورتهم.
(٢) في هـ. ب: نضبت.
(٣) في هـ. ب: صمت.
(٤) في هـ ص: أي غارت وذهبت في الرأس.
(٥) في ب ص و : الألسن وفي هـ. ب: في نسخة الألسنة.

أَفْوَاهِهِمْ بَعْدَ ذَلَاقَتِهَا[١]. وَهَمَدَتِ[٢] ٱلْقُلُوبُ فِى صُدُورِهِمْ بَعْدَ يَقَظَتِهَا. وَعَاثَ[٣] فِي كُلِّ جَارِحَةٍ مِنْهُمْ جَدِيدُ بِلَى سَمَّجَهاً[٤] وَسَهَّلَ طُرُقِ ٱلْآفَةِ إِلَيْهَا مُسْتَسْلِمَاتٌ فَلاَ أَيْدٍ تَدْفَعُ. وَلَا قُلُوبٌ تَجْزَعُ. لَرَأَيْتَ أَشْجَانَ قُلُوبٍ وَأَقْذَاءَ[٥] عُيُونٍ. لَهُمْ مِن كُلِّ[٦] فَظَاعَةٍ[٧] صِفَةُ حَالٍ لَا تَنْتَقِلُ. وَغَمْرَةٌ لَا تِنْجَلِي.

وعن تصور الحالة التي يعيشها الاموات في عالمها قال:

١ ـ(فلو مثلهم بعقلك) بالتصور لحالهم بعد الموت في القبر.

٢ ـ(او كشف عنهم محجوب الغطاء لك) بأن ترى الروح بالعين الباصرة.

٣ ـ(وقد ارتسخت اسماعهم بالهوام فاستكت) والرسخ: النقصان، والهامة: الدود، حيث يتسلط الدود على جسم الإنسان فيقوم بتفسيخ اعضائه عضوا عضوا، ومنها: الاذن التي يقضي عليه الحشرات، فتستك، اي تصمت عن السماع.

٤ ـ(واكتحلت ابصارهم بالتراب فخسفت) على اثر التراب القاضي عليها وكأنّها فقئت.

٥ ـ(وتقطعت الالسنة في افواههم بعد ذلاقتها) والذلاقة: حدة النطق.

٦ ـ(وهمدت القلوب في صدورهم بعد يقظتها) حيث لاتعي العقول شيئا قط.

٧ ـ(وعاث في كلّ جارحة منهم جديد بلى سمجها) والسمج: القبح؛ فإنّ كلّ جارحة تفسد بمايطرأ عليها من الفساد الذي يجعله في منظر قبيح.

٨ ـ(وسهل طرق الافة اليها مستسلمات) فإنّ الاعضاء حينئذ تستسلم لكل الافات والادواء عليها، لانها لايمكنها من الدفاع المعتاد في الدنيا، اى باليد والحال (فلا ايد تدفع) عن الافات، واما الجزع بالقلب (و) الحال (لا قلوب تجزع) فليس لها سوى الاستسلام التام.

(١) في هـ. ب: حدتها.
(٢) في هـ. ب: سكتت وماتت و في هـ. ص: أي سكنت عن حركتها بالأفكار.
(٣) في هـ. ب: فسد، وفي هـ ص: أي أفسدها.
(٤) في هـ. ب: قبحها.
(٥) في هـ. ب: جمع قذاة.
(٦) في هـ. د: في كل ـ ف ن ح ض.
(٧) في هـ. ب: مضل.

وإلى نتيجة هذا التصور للاموات قال:

اولا: (لرايت اشجان قلوب) لان القلوب لاهم لها سوى الهم والغم.

ثانيا: (وافذاء عيون) حيث أنها مصابه بما يؤذيها.

ثالثا: (لهم في كلّ فظاعه صفة حال لا تنقل) لاستمرار الحالة التيهم فيها فلا انتقال إلى اخرى غيرها.

رابعا: (وغمرة لاتنجلى) والغمرة: الشدة التي تستمر الى ما لانهاية له حتى الحشر، وهذا التصور الهائل لمصير الاموات يجعل الانسان الزائر للقبور على استعداد لتغيير المواقف الخاطئة في الحياة.

مراحل الحياة:

اشار إلى المراحل التي يمر بها الإنسان في الحياة، من الصحة والمرض والموت.

(١٢ / ط - ٢٢١) حالة الصحة:

وَكَمْ[١] أَكَلَتِ الأَرْضُ مِنْ عَزِيزِ جَسَدٍ وَأنِيقِ لَوْنٍ كَانَ فِى الدُّنْيَا غَذِىَّ تَرَفٍ وَرَبِيبَ شَرَفٍ[٢]. يَتَعَلَّلُ بِالسُّرُورِ في سَاعَةِ حُزْنِهِ وَيَفْزَعُ إلَى السَّلْوَةِ إنْ مُصِيبَةٌ نَزَلَتْ بِهِ ضَنّاً[٣] بِغَضَارَةِ[٤] عَيْشِهِ، وَشَحَاحَةً بِلَهْوِهِ وَلَعِبِهِ.

ثم أشار إلى المراحل التي يمر بها الانسان عادة إلى الموت، وهي الصحة والمرض والموت الصحة:

وعن الحياة قال:

١ـ (فكم اكلت الارض من عزيز جسد) فبالرغم من كون الميت عزيزاً، فان الإنسان يتركه إلى الارض مرغما.

٢ـ (وأنيق لون) والانيق: الحسن الذي يبدو فيه الطراوة والحسن والجمال.

٣ـ (كان في الدنيا غذي ترف) المترف بالنعمة.

---

(١) في ط : فكم.

(٢) في هـ. ب: بمعني موتق أو عجيب، وغدي: مغدوّ وربيب : مربوب، وفي هـ ص: عزير بالمعجمة ثم المهملة أي طري ناعم والاتيق الموتق المعجب وعزي ترف أي عدي بالترف وهو المتنعم المطغىٔ وربيب شرف أي قد ربّي في الشرف والعز وألفه.

(٣) في هـ. ب و ص: أي بخلاً.

(٤) في هـ. ص: أي نعمته ولينه.

٤ـ (و ربيب شرف) المتربى في حجر الشرف والعزة.

٥ـ (يتعلل بالسرور في ساعة حزنه) بأن يتشاغل به لكي ينسى الحزن.

٦ـ (ويفرغ إلى السلوة ان مصيبة نزلت به) والتسلي بطيب خاطره.

٧ـ (ضناً بغضارة عيشه) وانما يلتجأ الى السلوة لولا يتكدر صفو عيشه الطيب، فيلهي نفسه بالسلوة.

٨ـ (و شحاحه بلهوه ولعبه) حيث يبخل بها من أن تتنغص حالاته بغيرها من الحزن والمصيبة، وما أكثر اصحاب الترف في الدنيا الذين يقضون اوقات حياتهم باللهو واللعب، وخاصة الشباب ظلنين الخلود في الحياة!.

(١٣ / ط - ٢٢١) حالة المرض:

فَبَيْنَا[١] هُوَ يَضْحَكُ إلى الدُّنْيَا وَتَضْحَكُ إلَيْهِ[٢] فِي ظِلِّ عَيْشٍ غَفُولٍ[٣] إذْ وَطِئَ الدَّهْرُ بِهِ حَسَكَهُ[٤] ونَقَضَتِ الأَيَّامُ قُوَاهُ[٥] وَنَظَرَتْ إلَيْهِ الْحُتُوفُ مِنْ كَثَبٍ[٦] فَخَالَطَهُ بَثٌّ[٧] لَا يَعْرِفُهُ وَنَجِيٌّ[٨] هَمٍّ مَا[٩] كَانَ يَجِدُهُ. وَتَوَلَّدَتْ فِيهِ فَتَرَاتُ عِلَلٍ آنَسَ مَا كانَ بِصِحَّتِهِ[١٠]. فَفَزِعَ إلَى مَا كانَ عَوَّدَهُ[١١] الأَطِبَّاءُ مِنْ تَسْكِينِ الحَارِّ بِالْقَارِّ[١٢] وَتَحْرِيكِ الْبَارِدِ بِالحَارِّ فلَمْ يُطْفِىءْ بِبَارِدٍ إلّا ثَوَّرَ[١٣] حَرَارَةً وَلَا حَرَّكَ بِحَارٍّ إلّا هَيَّجَ بُرُودَةً وَلَا اعْتَدَلَ[١٤] بِمُمَازِجٍ[١٥] لِتَلْكَ

---

(١) في د: فبينما وفي هـ د: فبينا ـ ش.

(٢) في هـ. د: وتضحك إليه ـ ش.

(٣) في هـ. ب: مبالغة في الغافل، وفي هـ ص: كناية عن السرور وتأتي الشهوات وحصول الامنيات فكأن الدنيا تضاحكه والعيش الغفول: الذي قد أمن فيه المصيبات، فكأنه غافل عن شأن الدهر، وهو التقلّب.

(٤) في هـ. ب: شوكته، وفي هـ ص أي عثر به، وهم يشبهون الدهر بالمركب، ومن عليه بالراكب، ويصفون الدهر بالعنود والجموح ونحوهما من صفات المركب، والله أعلم.

(٥) القوة مرة من مرائر الحبل.

(٦) في هـ. ب و ص: عن قرب.

(٧) في هـ. ب: حزن.

(٨) هـ. ب: أنس الى الحزن، هـ ص: المناجي هو المشاور.

(٩) في هـ. ب: نافية.

(١٠) في هـ. ص: منتصب على الحال من ضمير فيه، أي في وقت هو فيه أكثر انساً بصحته.

(١١) هـ. ب: اتخذه عادة.

(١٢) القار: البارد.

(١٣) في هـ. ب: إلّا هيّج.

(١٤) في هـ. ص: أي طلب الاعتدال.

الطَّبَايِعِ إلّا أَمَدَّ مِنْهَا كُلَّ ذَاتِ دَاءٍ حَتَّى فَتَرَ مُعلله[16] وَذَهَلَ مُمَرِّضُهُ، وَتَعَايَا أَهْلُهُ بِصِفَةِ دَائِهِ. وَخَرِسُوا عَنْ جَوَابِ السَّائِلِينَ عَنْهُ. وَتَنَازَعُوا[17] دُونَهُ شَجِيَّ خَبَرٍ يَكْتُمُونَهُ[18]. فَقَائِلٌ هُوَ لِمَا بِهِ[19] وَمُمَنٍّ لَهُمْ إِيَابَ[20] عافِيَتِهِ وَمُصَبِّرٌ لَهُمْ عَلَى فَقْدِهِ. يُذَكِّرُهُمْ أَسَى[21] المَاضِينَ مِنْ قَبْلِهِ.

وعن حالة المرض اشار بقوله:

(فبينا هو يضحك إلى الدنيا وتضحك اليه) ومن مظاهر الضحك المتبادل بين الدنـيا واصحابها واظهار مصاديقها:

(في ظل عيش غفول) فهو يعيش غافلا بحالة العيش الناعم بالصحة عن عـوارض المرض، أشار بقوله:

١ ـ (اذ وطئ الدهر به حسكه) والحسك: نبت ذو شوك، مؤلم الوخز.

فان المرض يؤلم الإنسان في الحياة كالحسكة .

٢ ـ (ونقضت الايام قواه) بالانتقال من مرحلة الشباب إلى الشيخوخة .

٣ ـ (ونظرت اليه الحتوف من كثب) وهو الموت، وكأنّه على استعداد لقبض روحـه فيب الوقت المحدد له .

٤ ـ (فخالطه بثٌّ لا يعرفه) والبث: الحزن بسبب تفاقم المرض في جسمه.

٥ ـ (ونجيّ همّ ما كان يجده) بخفاء، كأنّه يناجيه سرا .

٦ ـ (وتولدت فيه فترات علل) واسقام واعراض .

٧ ـ (آنس ما كان بصحته) والحال انه كان انسا في الصحة ففاجئته الامراض .

٨ ـ (ففزع إلى ما كان عوّده الاطباء) علاجاً لمرضه الذي المّ به، وهي عادة تتكون من ادوية (من تسكين الحار بالقار) وهو البارد ليضاد اثر الحرارة (وتحريك البارد بالحار)

(١٥) في هـ. ص أي بمناسب لها في المزاج.
(١٦) المعلل: الممرض.
(١٧) في هـ ص: أي خاضوا وتناقلوا بينهم من دونه خبراً ذا شـجىٍ، أي يشـجيهم ويـبكيهم، أو يغصهم من الشجىٰ، الذي بمعنىٰ الغصة.
(١٨) في هـ. ص: أي يكتمونه منه.
(١٩) في هـ. ب: بمعنىٰ يموت بهذا المرض.
(٢٠) في هـ. ب: رجوع.
(٢١) في هـ. ص: جمع اسوة وهي ما يتأسىٰ به الانسان أي يتمثل به ويذهب به حزنه.

فلم تؤثر البرودة في الجسم .

٩ ـ (فلم يطفئ ببارد إلّا ثور حرارة) فلم يؤثر الدواء اثره، بل يزيد البارد حرارة الحار (ولا حرك بحار الّا هيج برودة) فيزيد الحار البرودة على النقيض ممّا هو مطلوب فـي الدواء، وهو الصحة حينئذٍ (ولا اعتدل بممازج لتلك الطبائع إلّا أمدّ منها كلّ ذات داء)؛ فإنّ المطلوب من الدواء هو اعتدال المزاج به في حين لا ينفع منه شئ .

١٠ ـ (حتى فتر معلله) وهو الطبيب الذي يباشر العلاج لرفع علة المرض .

١١ ـ (وذهل ممرضه) الذي يباشر مريضه ليحسن صحته والشفاء من مرضه .

١٢ ـ (وتعايا اهله بصفة دائه) حيث اعيى المرض كلا من الطبيب والممرّض والاهل، فلا يعرفون لمرضه علاجا .

١٣ ـ (وخرسوا عن جواب السائلين عنه) حيث لا يعرفون جوابا للسؤال عن اسباب مرضه وطرق شفائه منها .

١٤ ـ (وتنازعوا دونه شجيّ خبر يكتمونه) حيث يحاول كلّ الاقرباء والممرضين من اخفاء حقيقة حال مرضه أو أيّ خبر قد يحزنه في حالته.

وعن مظاهر التنازع اشار بقوله:

اولا: (فقائل يقول: هو لما به) اي انّه على نفس الحال الذي كان، من دون اي تعد إلى احسن أو أسوء .

ثانيا: (وممّن لهم اياب عافيته) وقائل قال لهم: انّه يتمنى ان يرجع الى حال الصحة المفقودة .

ثالثا: (ومصبر لهم على فقده) وقائل ثالث يهون عليهم الحالة بأن الصحة المـفقودة لاترجع، فعليهم بالصبر على فقد المريض تدريجيا بالموت، مستسهلاً للحالات المشابهة التي يفضل فيها الموت وهو (يذكرهم) بالصبر (أسى الماضين من قبله) اسوة بمن تقدم عليه بالموت.

(١٤ / ط - ٢٢١) حالة الاحتضار:

فَبَيْنَا[1] هُوَ كَذَلِكَ عَلَى جَنَاحٍ[2] مِنْ فِرَاقِ الدُّنْيَا؛ وَتَرْكِ الأَحِبَّةِ؛ إذْ عَرَضَ لَهُ عَارِضٌ

(١) في د: فبينما، وفي هـ. د: فبينا ـ ش.
(٢) في هـ. ص: أي على سرعة من فراق الدنيا كأنه راكب جناحاه.

مِنْ غُصَصِهِ، فَتَحَيَّرَتْ نَوَافِذُ فِطْنَتِهِ، وَيَبِسَتْ رُطُوبَةُ لِسَانِهِ.

فَكَمْ مِنْ مُهِمٍّ مِنْ جَوَابِهِ عَرَفَهُ فَعَيَّ عَنْ رَدِّهِ! وَدُعاءٍ مُؤْلِمٍ بِقَلْبِهِ سَمِعَهُ فَتَصَامَّ عَنْهُ! مِنْ كَبِيرٍ كانَ يُعَظِّمُهُ، أَوْ صَغِيرٍ كانَ يَرْحَمُهُ.

وَإِنَّ لِلْمَوْتِ لَغَمَرَاتٍ هِيَ أَفْظَعُ مِنْ أَنْ تُسْتَغْرَقَ بِصِفَةٍ، أو تَعْتَدِلَ[1] عَلَى عُقُولِ[2] أَهْلِ الدُّنْيَا.

وفي حال الاحتضار قال:

١ ـ (فبينا هو كذالك على جناح من فراق الدنيا وترك الأحبة) بسبب عوارض الامراض وغيرها.

٢ ـ (اذ عرض له عارض من غصصه) لا يكون تحت اختياره ولا الطبيب ومن حوله؛ لانه عارض الاحتضار الذي لا دواء له، ونتيجة ذلك انّه:

٣ـ(فتحيرت نوافذ فطنته)و آرائه النافذة بسبب الفطنة والفكر والذهن .

٤ ـ (ويبست رطوبة لسانه) لتوقفه عن النطق .

٥ ـ (فكم من مهم من جوابه عرفه فعي عن رده)؛ فإنّ العجز عن الرد ليس لعدم الفهم للسؤال، ولا العجز عن معرفة الجواب، بل للعجز عن النطق .

٦ ـ (و دعاء مؤلم بقلبه سمعه فتصام عنه)؛ فإنّ الدعاء والنداء المؤلم لقلبه من الاحباب، والدعاء: النداء.

٧ ـ (من كبير كان يعظمه) بالنداء.

٨ ـ (او صغير كان يرحمه) في الدعاء .

وهذه الحالات كلها تعترض الإنسان عند النزع في مراحل متفاوتة زمنا ومختلفة شدة وضعفا؛ حيث أنها:

٩ ـ (وانّ للموت لغمرات هي افظع من أن تسغرق بصفة) والغمرة: الشدة التي لايمكن وصفها.

١٠ ـ (او تعتدل على عقول اهل الدنيا)؛ لانها غمرات روحية شديدة لا يمكن أن تقايس بالمقاييس المادية التي يقيس اهل الدنيا بها امورهم.

---

(١) في ب: يعتدل.
(٢) في هـ. د: قلوب ـ ع.

وهذه النقاط العشرة تستعرض حالة الاحتضار والنزع التي هي من اصعب الحالات على الإنسان في طريقه الى الموت، عصمنا الله من غمرات الموت، آمين رب العالمين .

[٢٢٢]

ومن كلام له عليه السلام قاله عند تلاوته: ﴿يُسَبِّحُ لَهُ فِيهَا بِالْغُدُوِّ وَالْآصَالِ[1] رِجَالٌ لَا تُلْهِيهِمْ تِجَارَةٌ وَلَا بَيْعٌ عَنْ ذِكْرِ اللَّهِ﴾[2]

(١/ط ـ ٢٢٢) خصائص ذكر الله:

يتضمن المقطع خصائص الذكر وحقيقته واثاره واهله، وتصور الذاكرين وحالاتهم والعبرة منهم

قاله عند تلاوته: (يسبح له فيها بالغدو والاصال رجال لا تلهيهم تجارة ولا بيع عن ذكر الله).[3] وهذا تفسير في اروع صوره الفنيّة للاية الكريمة.

(٢/ط ـ ٢٢٢) حقيقة الذكر:

إِنَّ اللَّهَ سُبْحَانَهُ وَتَعَالَى جَعَلَ الذِّكْرَ[4] جِلَاءً[5] لِلْقُلُوبِ[6] تَسْمَعُ[7] بِهِ بَعْدَ الْوَقْرَةِ[8]، وَتُبْصِرُ بِهِ بَعْدَ الْعَشْوَةِ[9]، وَتَنْقَادُ بِهِ بعد الْمُعَانَدَةِ. وَمَا بَرِحَ لِلَّهِ ـ عَزَّتْ آلَاؤُهُ[10]، فِي الْبُرْهَةِ[11] بَعْدَ الْبُرْهَةِ، وَفِي أَزْمَانِ الْفَتَرَاتِ[12] ـ عِبَادٌ نَاجَاهُمْ[13] فِي فِكْرِهِمْ، وَكَلَّمَهُمْ فِي ذَاتِ[14] عُقُولِهِمْ، فَاسْتَصْبَحُوا بِنُورِ يَقَظَةٍ فِي الْأَسْمَاعِ وَالْأَبْصَارِ[15] وَالْأَفْئِدَةِ، يُذَكِّرُونَ[16]

---

(١) لم ترد «يسبح له فيها بالغدو والآصال» في د.
(٢) النور: ٣٦، ٣٧.
(٣) النور: ٣٧.
(٤) في هـ. ب: أي القرآن.
(٥) في هـ. ص: أي يجلىٰ به كما يجلى السيف بالصقال.
(٦) في هـ. د: جلاء القلوب ـ ب.
(٧) في هـ. ب: تسمع القلوب بالقرآن.
(٨) في هـ. ص: هي ثقل السمع.
(٩) في هـ. ص بفتح العين من العشاء.
(١٠) في هـ. ص: أي عظمت وكبرت.
(١١) في هـ. ب: قطعة من الزمان، وفي هـ. ص مدة يفصل بينها وبين نظيرتها مدة.
(١٢) في هـ. ب: ما بين الرسول الى الرسول، وفي هـ. ص الفترة انقطاع الوحي.
(١٣) في هـ. ب: فاعل ناجىٰ الله تعالىٰ.
(١٤) في هـ. ب: أسرار.

بِأَيَّامِ ٱللهِ، وَيُخَوِّفُونَ[١٧] مَقَامَهُ، بِمَنْزِلَةِ ٱلْأَدِلَّةِ فِي ٱلْفَلَوَاتِ[١٨]. مَنْ أَخَذَ ٱلْقَصْدَ حَمِدُوا إِلَيْهِ طَرِيقَهُ، وَبَشَّرُوهُ بِالنَّجَاةِ، وَمَنْ أَخَذَ يَمِيناً وَشِمَالاً[١٩] ذَمُّوا إِلَيْهِ الطَّرِيقَ، وَحَذَّرُوهُ مِنَ ٱلْهَلَكَةِ، فكَانُوا[٢٠] كَذَلِك مَصَابِيحَ تِلْكَ ٱلظُّلُمَاتِ، وَأَدِلَّةَ تِلْكَ ٱلشُّبُهَاتِ.

وعن حقيقة الذكر قال:

(ان الله سبحانه وتعالى جعل الذكر) للذات المقدسة وصفاته الجلالية والكمالية.

١ ـ (جلاء للقلوب) الجلاء: ازالة الادران من الشئ حتى يصبح صقيلا كما كان في اصله.

٢ ـ (نسخ به بعد الوفرة) وهي ثقل السامعة، فيكون الذكر دواء لهذا المرض العارض على القلب.

٣ ـ (وتبصر به بعد العشوة) وهي ضعف الباصرة، فيصبح الانسان ذا رؤية واضحة.

٤ ـ (وتنقاد به بعد المعاندة) والعناد: الانكار من دون دليل واضع.

وهذه الفاظ تعبر عن حقيقة ذكر الله، فمن يذكر الله باللسان ويفقد هذه النقاط يفقد حقيقة الذكر.

وعن الدعاة الى الذكر في التاريخ الإنساني قال:

(وما برح لله عزت آلآؤه في البرهة بعد البرهة وفي ازمان الفترات) فان الله تعالى وفي كلّ فترة من الزمن منذ خلق الإنسان ولايزال كذلك يقيض جمعا يذكرون البشر بذكر الله تعالى، سواءً الانبياء والرسل والصالحون من المؤمنين السائرين على طريقهم.

وسرد من صفات هؤلاء الدعاة بقوله:

١ ـ (عباد ناجاهم في فكرهم) والمناجاة: الكلام الخاص، وذلك اما بالوحي في الانبياء والرسل، أو بالالهام كما في عباده الصالحين بالالقاء في روعهم.

٢ ـ (وكلمهم في ذات عقولهم) بما يحملهم المسؤولية الالٰهيّة والدعوة إلى ذكر الله

---

(١٥) في هـ. د: في الأبصار والأسماع ـ ض، ب.
(١٦) في هـ. ب: يذكرون الناس.
(١٧) في ب: ويحرفون.
(١٨) في هـ. د: القلوب ـ حاشية ن.
(١٩) في هـ. ص أي عدل عن جادة الطريق.
(٢٠) في ط و د: وكانوا.

تعالى.

٣ ـ (فاستصبحوا بنور يقظة في الابصار والاسماع والافئدة) حيث أن الارادة الالٰهيّة مستولٍ على هؤلاء الدعاة فتتنور بالنور الالهي ويقظة المسؤولية التي يتحملونها حيث يؤدي كلّ عضو من جسمهم مسؤوليتها من الناظرة والسامعة والقلب.

٤ ـ (يذكرون بايام الله) ومسؤوليتهم هو التذكير بايام الله تعالى، وهي الايام التي فيها الارادة الالٰهيّة في تاريخ الإنسان في الامم السابقة من عاد وثمود وغيرهما؛ حيث استحقوا عذاب الله تعالى بمعاصيهم لاوامره تعالى.

٥ ـ (ويخوفون مقامه) وهو الموقف الالهي تجاه الانحراف المتعمد المتكرر من العصاة كالامم السالفة.

٦ ـ (بمنزلة الادلة في الفلوات) والفلاة: الارض القفر، فان السائر فيها يحتاج إلى دليل، وهولاء دعاة الانسان في الفترة التي تشبه الفلاة في الصفات.

وعن اصناف الناس تجاه الدعاة قال:

٧ ـ (من اخذ القصد) وهو الطريق الواضح، فهؤلاء طائفة يستجيبون للدعوة الحق ويسلكون الطرق الواضح الذي ذكرهم الدعاة بها.

وعن واجب الدعاء اليهم، قال:

اولاً: (حمدوا اليه طريقه) حيث انّه يقوم بما يجب عليه في الحياة.

ثانياً: (وبشروه بالنجاة) كنتيجة التزامه بمسؤولياته في الدنيا والآخرة.

٨ ـ (ومن اخذ يمينا وشمالا) منهم بالانحراف عن الطريق الواضح سواءً بالميل الى اليمين أو الشمال؛ فإنّ واجب الدعاة:

أوّلاً: (ذموا اليه الطريق) بالتثقيف حتّى يصبح ذا رؤية واضحة في مسيرته.

ثانيا: (وحذروه من الهلكة) التي هي النتيجة المحتومة لمسيرته الضالة.

وعن الدعاة في اداء رسالتهم قال:

٩ ـ (وكانوا كذلك مصابيح تلك الظلمات) لهدايتهم الذين يبحثون عن المصباح الفكري الروحي في الحياة.

١٠ ـ (وادلة تلك الشبهات) حيث ادوا واجباتهم بالدلالة إلى الطريق الواضح للنجاة.

وهذه النقاط العشر هي من خصائص الدعاة إلى ذكر الله، سواء فيهم الانبياء والرسل

ومن سار على خطاهم من عباد الله الصالحين، جعلنا الله منهم، امين.

(٣ / ط - ٢٢٢) اهل الذكر :

وَإِنَّ لِلذِّكْرِ لَأَهْلاً اتخَذُوهُ مِنَ ٱلدُّنْيَا بَدَلاً، فَلَمْ تَشْغَلْهُمْ تجارَةٌ وَلَا بَيْعٌ عَنْهُ[1]، يَقْطَعُونَ بِهِ أَيَّامَ ٱلْحَيَاةِ، وَيَهْتِفُونَ[2] بِالزَّواجِرِ عَنْ مَحَارِمِ ٱللهِ، فِي أَسْمَاعِ ٱلْغَافِلِينَ، وَيَأْمُرُون بِالْقِسْطِ وَيَأْتَمِرُونَ[3] بِهِ، وَيَنْهَوْنَ عَنِ الْمُنكَرِ وَيَتَنَاهَوْنَ عَنْهُ، فَكَأَنَّهَا[4] قَطَعُوا ٱلدُّنْيَا إِلَى ٱلْآخِرَةِ وَهُمْ فِيهَا، فَشَاهَدُوا مَا وَرَاءَ ذَلِكَ، وَكَأَنَّمَا[5] اطَّلَعُوا غُيُوبَ الْبَرْزَخِ[6] فِي طُولِ الإِقَامَةِ فِيهِ، وَحَقَّقَتِ الْقِيَامَةُ عَلَيْهِمْ عِدَاتِهَا[7]، فَكَشَفُوا غِطَاءَ ذَلِكَ لِأَهْلِ الدُّنْيَا، حَتَّى كَأَنَّهُمْ يَرَوْنَ مَا لَا يَرَى النَّاسُ، وَيَسْمَعُونَ مَا لَا يَسْمَعُونَ.

وعن اهل الذكر الذين يستجيبون للدعوة ويذكرون الله تعالى قال:

(وان للذكر لأهلا)؛ فإنّ الاستجابة للدعوة قد يكون باللسان فقط، واهل الذكر انما يستجيبون للدعوة بدافع القناعة الفكرية، والتي توقد في حياتهم اليوميّة في الخصائص التالية:

١ ـ (اخذوه من الدنيا بدلا) حيث أن اهل الذكر يجعلون الذكر بديلا لمغريات الحياة في الدنيا، فلا يتركون واجباتهم بسببها .

٢ ـ (فلم تشغلهم تجارة ولا بيع عنه)؛ فإنّ الاشتغال بالتجارة ـ فيما اذا تعارض مع الذكر ـ بالاعراض عن الذكر يستلزم اهمالا للذكر، وتقديم التجارة والبيع عليه، وهذا يعني انهم اهل تجارة وبيع وليسوا اهل الذكر، وفي ذلك اشارة إلى قوله تعالى:﴿رجال لاتلهيهم تجارة ولا بيع عن ذكر الله﴾.[8]

٣ ـ (يقطعون به ايام الحياة) حيث يستولي عليهم ذكر الله في كلّ الحالات .

٤ ـ (ويهتفون بالزواجر عن محارم الله في اسماع الغافلين)؛ فإنّ ذكر الله يستلزم القيام

(١) في ص: عن ذكر الله.
(٢) في هـ. ب: يصيحون من ها هنا هاتف.
(٣) في هـ. ب: يفعلون ما يامرون غيرهم.
(٤) في ط فكأنهم.
(٥) في ط و د : فكأنما.
(٦) في هـ. ب: القبور، وفي هـ. ص هو ما بعد الموت من مكان أو زمان (انتهى من شرح ابن ميثم).
(٧) في هـ. ب: جمع عدة، وهي الوعد، وفي هـ. د: عند عذابها ـ م.
(٨) النور : ٣٧.

بالامر بالمعروف والنهي عن المنكر، وهو يستلزم الهتاف والصياح بما يزجر ويمنع عن محارم الله حتّى ينتبه الغافلون .

٥ ـ (ويأمرون بالقسط) وهو العدل في الحياة بالنسبة الى النفس والاسرة والمجتمع (و ياتمرون به) فليس امرهم لغيرهم مختلفاً عن امرهم لانفسهم .

٦ ـ (وينهون عن المنكر ويتناهون عنه) وهم حينئذٍ يعملون بواجبهم من النهي والعمل على مقتضى النهي.

٧ ـ (فكانما قطعوا الدنيا الى الآخرة وهم فيها، فشاهدوا ما وراء ذلك)؛ فإنّ هذه الحالة من اداء المسؤولية حالة من يعرف النتائج وينظر إلى النهاية وهو في البداية .

٨ ـ (فكانما اطلعوا غيوب اهل البرزخ في طول الاقامة فيه) والبرزخ: الحالة المتوسطة بين الموت والحشر، فان مواقف الدعاة في الدنيا مواقف المطلع على مايستلزمه حالات البرزخ وطول الاقامة فيها الى الحشر .

٩ ـ (وحققت القيامة عليهم عداتها) وكان الدعاة إلى ذكر الله ينظرون إلى الوعد الذي يتحقق بتحقق يوم القيامة للحساب .

١٠ ـ (فكشفوا غطاء ذلك لاهل الدنيا حتّى كانهم يرون ما لا يرى الناس ويسمعون ما لا يسمعون) فان دور الدعاة إلى ذكر الله هو الكشف عن الحقائق اللتي وعد الله بها، حتّى لا يبقى اهل الدنيا في غطاء وينظرون الى المستقبل برؤية واضحة، فكأن الدعاة يرون ما لا يراه الناس من المستقبل، ويسمعون ما لايسمعه الاخرون من الاثار المترتبة على اعمال الدنيا.

وهذه الحقائق لاهل الذكر تميزهم عن غيرهم ممّن يذكر الله باللسان ولايعمل على مقتضى الذكر، فهو الى الغافل أقرب منه الى الذاكر.

(٣ / ط - ٢٢٢) تصوّر الذاكرين:

فَلَوْ مَثَّلْتَهُمْ[1] لِعَقْلِكَ[2] فِي مَقَاوِمِهِم[3] الَمحْمُودَةِ، وَمَجَالِسِهِم المَشْهُودَةِ، وَقَدْ نَشَرُوا دَوَاوِينَ أَعْمَالِهِمْ، وَفَرَغُوا لِمحَاسَبَةِ أَنْفُسِهمْ عَلَى كُلِّ صَغِيرَةٍ وَكَبِيرَةٍ؛ أُمِرُوا بِهَا

(١) في هـ. ب: صورتهم.
(٢) في هـ. د: بعقلك ـ ف.
(٣) في هـ. ب: مقامهم.

فَقَصَّرُوا[١] عَنْهَا، أَوْ نُهُوا[٢] عَنْهَا فَفَرَّطُوا فِيهَا؛ وَحَمَّلُوا ثِقَلَ أَوْزَارِهِمِ ظُهُورَهُمْ، فَضَعُفُوا عَنِ الاسْتِقْلَالِ بِهَا؛ فَنَشَجُوا نَشِيجاً[٣]، وَتَجَاوَبُوا[٤] نَحِيباً[٥]، يَعِجُّونَ[٦] إِلَى رَبِّهِمْ مِنْ مَقَامِ نَدَمٍ وَاعْتِرَافٍ.

وذكر الإمام صورة تخييلية للذكرين، فقال:

(فلو مثلتهم بعقلك) بأن تتصورهم وكأنك تشاهدهم بالباصرة.

١ ـ (في مقاومهم المحمودة) والمقام: الحالة التي هم عليها المتصفة بالحمد؛ لأدائهم واجباتهم المطلوبة منهم.

٢ ـ (ومجالسهم المشهودة) حسيا في الحال.

٣ ـ (وقد نشروا دواوين اعمالهم) والديوان: سجل الاعمال.

٤ ـ (وفرغوا لمحاسبة انفسهم) في اداء مسؤولياتهم في الدنيا واعمالهم (على كلّ صغيرة وكبيرة امروا بها فقصروا عنها أو نهوا عنها ففرطوا فيها) من الاعمال؛ فإنّها بالنسبة إلى المسؤولية ليست صغيرة، فهم يحاسبون انفسهم قبل أن يحاسبوا؛ فإنّ الذاكر لا يرجئ المحاسبة إلى الآخرة، بل يحاسب نفسه قبل أن يحاسب، حتّى يقف على اخطائه بنفسه ويقوم بتعديلها قبل أن يحاسب أو يعاقب على الاهمال.

٥ ـ (وحملوا ثقل اوزارهم ظهورهم) وبالنسبة إلى الخطأ فتحملوا اثاره، وهي:

أوّلاً: (فضعفوا عن الاستقلال بها) انها مسؤولية غير مؤداة، ولا يمكن أن يتحمل الإنسان بنفسه أثارها.

ثانيا: (فنشجوا نشيجا) والنشيج: البكاء المعترض في الحلق.

ثالثا: (وتجاوبوا نحيبا) والنحيب: اشد انواع البكاء.

رابعا: (يعجون إلى ربهم من مقام ندم واعتراف) والعج: رفع الصوت، وكل ذلك اعترافا منهم بالخطأ في اداء مسؤولية الذكر.

---

(١) في هـ. د: ففرطوا ـ ب.
(٢) في هـ. ب في نسخة: ونهوا.
(٣) في هـ. ب: بكو بكاءً شديداً.
(٤) في هـ. ب: من التجاوب.
(٥) في هـ. ب: نينا، وفي هـ. د: وروي تجاوبوا نجيا ـ ك.
(٦) في هـ. ب: يصرخون.

وهذا التصور للذاكرين يستلزم حالتهم الاتية:

(٤ / ط - ٢٢٢) حالة الذاكرين:

لَرَأَيْتَ أَعْلَامَ هُدًى، وَمَصَابِيحَ دُجًى، قَدْ حَفَّتْ بِهِمُ المَلَائِكَةُ؛ وَتَنَزَّلَتْ عَلَيْهِم السَّكِينَةُ، وَفُتِحَتْ لَهُمْ أَبْوَابُ السَّمَاءِ، وَأُعِدَّتْ لَهُمْ مَقَاعِدُ ٱلْكَرَامَاتِ، فِي مَقَامٍ[١] اطَّلَعَ ٱللهُ عَلَيْهِمْ فِيهِ، فَرَضِيَ[٢] سَعْيَهُمْ، وَحَمِدَ مَقَامَهُمْ.

يَتَنَسَّمُونَ[٣] بِدُعَائِهِ رَوْحَ التَّجَاوُزِ[٤]، رَهَائِنُ[٥] فَاقَةٍ إِلَى فَضْلِهِ، وَأُسَارَى ذِلَّةٍ لِعَظَمَتِهِ، جَرَحَ طُولُ الأَسَى[٦] قُلُوبَهُمْ، وَطُولُ الْبُكَاءِ عُيُونَهُمْ.

لِكُلِّ بَابِ رَغْبَةٍ إِلَى ٱللهِ مِنْهُمْ يَدٌ قَارِعَةٌ، يَسْأَلُونَ مَنْ لَا تَضِيقُ لَدَيْهِ[٧] المَنَادِحُ[٨]، وَلَا يَخِيبُ عَلَيْهِ الرَّاغِبُونَ.

فَحَاسِبْ نَفْسَكَ لِنَفْسِكَ؛ فَإِنَّ غَيْرَهَا مِنَ الْأَنْفُسِ لَهَا حَسِيبٌ[٩] غَيْرُكَ.

١ ـ (لرايت اعلام هدى)؛ فإنّ الصور المتقدمة توجب أن يكون اصحابها اعلاما في الحياة يهتدي بهم الناس في المواقف.

٢ ـ (ومصابيح دجى)؛ فإنّ صورة الذاكرين تنبئ عن حقيقتهم التي هي مواقف تنير الظلمات في حياة الإنسان.

٣ ـ (قد حفت بهم الملائكه) لصالح اعمالهم ومواقفهم وحذرهم في محاسبة انفسهم.

٤ ـ (ونزلت عليهم السكينة) والمعنوية التي يهبها الله لمن يشاء (راجع المادة في المعجم).

٥ ـ (وفتحت لهم ابواب السماء) باستجابة ادعيتهم التي لا يمنعها مانع.

---

(١) في ط: مقعد، و في هـ. ب: في نسخة مقعد، وفي هـ. د: مقعد ـ ن ف م ح.
(٢) في هـ. ب: أي رضي الله.
(٣) في هـ. ب: من النسيم.
(٤) في هـ. ب: أي راحة التجاوز عن ذنوبهم.
(٥) في هـ. ب: أي هم رهائن فاقه جمع رهن.
(٦) في هـ. ب و ص: حزن.
(٧) في ص: عليه وفي هـ ص في نسخة: لديه.
(٨) في هـ. ب: السعة و في هـ ص: المنادح جمع مندوحة، وهي في الأصل: الفضاء المتسع بين الجبلين.
(٩) في هـ. ب: محاسب.

٦ ـ (واعدت لهم مقاعد الكرامات في مقعد اطلع الله عليهم فيه) اشارة إلى قوله تعالى:(ان المتقين في جنات ونهر في مقعد صدق عند مليك مقتدر)[1].

وعن نتيجة اعمالهم قال:

٧ ـ (فرضى سعيهم) حيث انهم عملوا بما امروا به، وأدوا مسؤولياتهم.

٨ ـ (وحمد مقامهم) حيث استحقوها بأعمالهم في الدنيا.

٩ ـ (يتنسمون بدعاء روح التجاوز) فهم في هذه الحالة يدعون الله سبحانه، وبواسطة هذا الدعاء كأنهم يتنسمون النسيم الطيب الذي يحمل روح التجاوز من الله سبحانه لما حصل لهم من تقصير في أداء مسؤولياتهم.

١٠ ـ (رهائن فاقه الى فضله) تعالى ؛ حيث يحتاجون إلى فضله في كلّ الحالات، في الحياة وبعد الممات ؛ لانهم (اسارى ذلة لعظمته) التي تعم الحياة وما بعدها.

١١ ـ (خرج طول الاسى قلوبهم)؛ فإنّ ذكر الله مستول على قلوبهم، فيحزنون من التقصير فيه

١٢ ـ (وطول البكاء عيونهم) خشية من العقاب.

١٣ ـ (لكل باب رغبة إلى الله منهم يد قارعة) فلا يهملون أي مجال لعمل للخير، بأي نوع حصل، بل يقومون بكلّ ما بوسعهم في ذكر الله من اية حركة ممكنة، وفي كلّ الحالات.

١٤ ـ (يسألون من لاتضيق لديه المنادح، ولا يخيب عليه الراغبون) والمندوحة: الفسحة من الشيء، فان الذاكر ليس له هدف سوى رضا الله سبحانه، وهو يسأله وحده ـ دون سواه ـ؛ لأنّه الذي يفعل ما يشاء وبيده الفسحة من كل شئ ولايخيب من رجاه.

وكل الحالات التي يتصف بها الذاكرون في الاخرة؛ نتيجة لما كانوا يقومون به في الدنيا من ذكر الله تعالى.

وختم المقطع بأهم ما يستلزم ذكر الله تعالى وهو محاسبة النفس فقال:

(فحاسب نفسك لنفسك؛ فإنّ غيرها من الانفس لها حسيب غيرك).

فان الذاكرين انما وصلوا إلى ما وصلوا اليه في الآخرة بسبب ما قاموا به في الدنيا من

---

(١) القمر: ٥٥.

ذكر الله تعالى، واهمها: محاسبة النفس.

[٢٢٣]

ومن كلامله ﷺ قاله عند تلاوته: ﴿يَا أَيُّهَا ٱلْإِنْسَانُ مَا غَرَّكَ بِرَبِّكَ ٱلْكَرِيمِ﴾[1]:

(١ / ط ـ ٢٢٣) الغرور بالله :

وتفسير الآية: (يا ايها الإنسان ما غرك بربك الكريم).[2] يتضمن الغرور وموجباته ومعالجته وحقيقة الحال، والسعداء بالدنيا والعبرة.

حقيقة السؤال:

أَدْحَضُ مَسْؤُولٍ حُجَّةً وَأَقْطَعُ مُغْتَرٍّ[3] مَعْذِرَةً لَقَدْ أَبْرَحَ[4] جَهَالَةً بِنَفْسِهِ.

يَا أَيُّهَا ٱلْإِنْسَانُ مَا جَرَّأَكَ عَلَى ذَنْبِكَ وَمَا غَرَّكَ بِرَبِّكَ وَمَا آنَسَكَ بِهَلَكَةِ نَفْسِكَ.

الغرور ـ لغةً ـ: الغفلة، والسؤال: استفهام؛ حيث لا موجب للغفلة عن الله تعالى في حين انّه كرمه مستولي على الإنسان في كلّ مراحل حياته من حين مولده حتى وفاته، ولو لم يكن شيئ سوى العقل الذي يستخدمه في تصرفاته في الحياة لكان كافيا في اليقظة إلى معرفة الخالق واثاره ومعرفة المنعم عليه نعم الحياة التى لا تنحصر في ضبط أو عدّ، فكيف يمكن للعاقل الغرور بالله الذي رباه صغيرا واكرم عليه في كلّ مراحل حياته بالقدرة والبصيرة الاستطاعة لما يفتقر اليه في الحياة وطرق تأمينها لنفسه؟ فاذا كان قد اهدى اليه هدية فانه يسأل عن المهدي والسبب الداعي الى الهدية وقيمتها واثرها وما يتطلب ويستوجب عليه في مقابلها، فكيف يغفل عمن أهدى اليه العقل والصحة والسلامة والقدرة؛ لأن يسير في الحياة كانسان مسؤول، وليس كحيوان همه علفه، إنها حقا غفلة وغرور لايغتفر.

وقد وصف الإمام هذا الاستفهام بقوله:

(ادحض مسؤول حجة)؛ فإنّ قول الله سبحانه: (ماغرك بربك الكريم) سؤال من الله

---

(١) سورة، وفي هـ. ب: السائل هاهنا ـ الله تعالى؛ لأنه يقول: ما غرك يا انسان.

(٢) الانفطار: ٦.

(٣) في هـ. ب: مغرور.

(٤) في هـ. ب: أزال، وفي هـ. ب: أي الى البرح وهو الأمر العظيم.

تعالى من الإنسان الذي هو مسؤول، وان هذا السؤال يبطل ما قد يحتج به الانسان؛ لأنّ الإنسان ادحض مسؤول؛ لأنّه حجة يقدمها لموقف والحجه الداحظة باطلة.

بيان ذلك: أن المنكر لوجود الله تعالى والغافل عنه له حجج باطلة اهمها:

اولا: الجهل بالمبدأ؛ فإنّ الفلاسفة الملحدين منهم انكرو الله بسبب عدم امكان العلم به عن طريق الحس، فيرجع كلّ استدلالهم إلى الانكار بسبب الجهل.

ثانياً: انّ عامة الناس ـ وفيهم المؤمنون ـ يغفلون عن الله تعالى في حياتهم متعللين بمغريات الحياة في الدنيا.

والإمام في هذا المقطع يشير إلى أن الجهل ليس سببا للانكار بعد وجود الاثار، وان الغفلة عن الشيئ لا يرفع اثار الشيئ ان كان موجوداً، وان مغريات الحياة على كثرتها لاتمنع الإنسان عن عن تدبير حاجاته الشخصية اليوميّة، فكيف يغفل عن السبب الذي اوجد القدرة له في تلك الحاجات الشخصية؟ فليس للغافل عن الله سبحانه حـجه إلّا وهـي محدوضة، والتفصيل في علم الكلام.

وقد اشار الإمام في تفسير قوله تعالى:(ما غرك بربك الكريم) بقوله:

١ ـ (أدحض مسؤول حجة)؛ لأنّ السؤال يبطل حجة المغرور المسؤول حيث لاحجة في قوله.

٢ ـ (وانقطع مغتر معذرة)؛ لأنّ المسؤول يرفع اىى عذر يعتذر به الإنسان كالاغترار بالدنيا ووسواس الشيطان.

٣ ـ (ولقد ابرح جهاله بنفسه) البرح: وضوح الامر؛ فإنّ السؤال اظهر جهالة المسؤول بنفسه ودوره في الحياة.

فان السؤال سؤال توبيخ مخاطبا للانسان بقوله:

اولا: (يا ايها الانسان) باعتبارك انسان له العقل والفكر ممّا يتميز به عن غيره مـن الحيوانات.

ثانيا: (ما جرأك على ذنبك) بالغفلة عن واجبات الفكر والنظر في الحياة.

ثالثا: (وما غرك بربك الكريم) الذي رباك وانت جنين في الرحم حتى ولدت وسرت في الحياة باستقلال.

رابعا: (وما انسك بهلكه نفسك) حيث أن الغفلة عن الله سبحانه ينتهي بك إلى هلاك

النفس في الدنيا والآخرة.

وهذه اسئلة موبّخة للانسان على مواقف الغفلة عن الله سبحانه واوامره ونواهيه وما يتعقبها في الحياة من اثار وفي الاخرة من حساب وعقاب.

(٢ / ط ـ ٢٢٣) موجبات الغرور:

أَمَا مِنْ دَائِكَ بُلُولٌ(١) أَمْ لَيْسَ مِنْ نَوْمِكَ يَقَظَةٌ أَمَا تَرْحَمُ مِـنْ نَـفْسِكَ مَـا تَـرْحَمُ مِـنْ غَيْرِهَا(٢). فَلَرُبَّمَا(٣) تَرَى الضَّاحِيَ(٤) لحَرِّ(٥) الشَّمْسِ فَتُظِلُّهُ أَوْ تَرَى المُبْتَلَى بِأَلَمٍ يُمِضُّ(٦) جَسَدَهُ فَتَبْكِي رَحْمَةً لَهُ فَمَا صَبَّرَكَ(٧) عَلَى دَائِكَ وَجَلَّدَكَ عَلَى مُصَابِكَ(٨) وَعَـزَّاكَ عَـنِ ٱلْبُكَاءِ عَلَى نَفْسِكَ وَهِيَ أَعَزُّ ٱلْأَنْفُسِ عَلَيْكَ. وَكَيْفَ لَا(٩) يُوقِظُكَ خَوْفُ بَيَاتِ نِقْمَةٍ وَقَـدْ تَوَرَّطْتَ بِمعَاصِيهِ مَدَارِجَ(١٠) سَطَوَاتِهِ(١١).

وأشار إلى موجبات الغرور والغفلة عن الله تعالى بثلاث أمور رئيسية، هي: الداء والنوم وعدم الرحمة:

١ ـ (اما من دائك بلول) البلول: الهزال؛ فإنّ الداء الموجب للغرور هو اما داء الجهل أو داء الدنيا ومغرياتها، ولكل داء دواء يوجب شفاؤه أو نقصان اثره.

٢ ـ (ام ليس من نومتك يقظة)؛ فإنّ كلّ نوم لابد وان يتم باليقظة منها، والنوم الموجب للغرور بالله لابدّ وان يكون له نهاية.

٣ ـ (اما ترحم من نفسك ما ترحم من غيرك) أن عدم الرحمة يكون موجبا للغرور كما هو الحال في سياسة الظالمين.

وهذا لاينبطق مع الإنسان نفسه، فإنّه يرحم نفسه على اقل الفروض، وكما قد يرحم

(١) في هـ. ب: صحه، وفي هـ ص: يقال بل الرجل وابل من دائه: أي شفي.
(٢) في ط و د: غيرك.
(٣) في ط: فربما.
(٤) في ط: من حرّ، هـ ص: أي البارز بحرّه.
(٥) لم ترد «لحر» في ص، وفي ط و د: من حرّ، وفي هـ. د: لحرّ ـ ش.
(٦) في هـ. ب: يمض جسده: يولم جسده، وفي هـ. ص: يقال داء ممض أي مؤلم.
(٧) في هـ. د: فما أصبرك ـ حاشية م.
(٨) في ط و د: بمصابك، وفي هـ. د: مصائبك ـ م ش وحاشية ن، على مصائبك ـ ل.
(٩) في هـ. د: لم ترد «لا» في ف.
(١٠) في هـ. ص: جمع مدرجة بمعنى الطريق والمسلك.
(١١) في هـ. ب: حملاته.

غيره فهو اولى بالرحمة من غيره.

وهذه الامور الثلاث موجبة للغفلة في الحياة، فكما أن الإنسان يتحول فيها من الجهل الى العلم، ومن النوم الى اليقظة، ومن عدم الرحمة إلى الرحمة في التفكير والتحول والعمل، فكذلك يستلزم كلّ ذلك بالنسبة الى الله سبحانه؛ فإنّ اثاره تعالى تدل عليه كما هو مشروح في غير موضع، ودرجة الغفلد لابدّ وان يتنازل أو ينعدم مع العلمبتلك الاثار على النفس، ومن يرحم غيره لابدّ وان يرحم نفسه من الخطر المحتمل .

٤ ـ (فلربما ترى الضاحي من حرّ الشمس فتظله أو يرى المبتلى بألم يمض جسدة فيبكي رحمة له) والضاحي: من يكون في ضحى النهار، حيث يشتد حرارة الشمس .

٥ ـ (فما صبّرك على دائك، وجلّدك على مصابك، وعزّاك عن البكاء على نفسك وهي اعز الانفس عليك؟)؛ فإنّ عدم الصبر على داء غيرك، وعدم الجلد على مصاب غيرك، مواساة لهم يوجب العزاء والتسلية على نفس الإنسان المبتلى بالداء والمصاب الذي ابتلى به غيره.

٦ ـ (وكيف لا يوقظك خوف بيات نقمة) وهي العقوبة المفاجئة، في حين انك تستعد لأي خطر محتمل في الحياة، لتأمين ما يفتقر اليه وقاية من ذلك (وقد تورطت بمعاصيه بمدارج سطواته؟) تلك المعاصي المنهي عنها خطوة خطوة؛ فإنّ هذا الخطر الالهي الذي انذر به الانبياء والرسل ايضا خطر ـ وعلى اقل الفروض ـ فلماذا لايكون الاستعداد له بالعمل الصالح ايضا ؟! فلماذا يكون غافلا عن الخطر الالهي ولا تكون غافلا عن الخطر الدنيوي ؟! وكلاهما في احتمال الوقوع سواء.

وهذه النقاط فيب الاسئله توجب الاستعداد وعدم الغفلة في الحياة، سواء بالنسبة الى الاخطار الدنيوية أو الاخطار الالهيّة؛ لانها جميعا اخطار محتملة، والخطر المحتمل يجب الاستعداد له.

(٣/ط ـ ٢٢٣) معالجة الغرور:

فَتَدَاوَ(١) مِنْ دَاءِ ٱلْفَتْرَةِ فِى قَلْبِكَ بِعَزِيمَةٍ(٢) وَمِنْ كَرَى ٱلْغَفْلَةِ فِى نَاظِرِكَ بِيَقَظَةٍ فَكُنْ(٣)

(١) في هـ. ب: من التداوي.
(٢) هـ. ب: بعزم.
(٣) في ب و ط و د: وكن.

لِلّٰهِ مُطِيعاً. وَبِذِكْرِهِ آنِساً. وَتَمَثَّلْ(١) فِى حَالِ تَوَلِّيكَ عَنْهُ إِقْبَالَهُ عَلَيْكَ يَدْعُوكَ إِلَى عَفْوِهِ وَيَتَغَمَّدُكَ(٢) بِفَضْلِهِ(٣) وَأَنْتَ مُتَوَلٍّ عَنْهُ إِلَى غَيْرِهِ.

وعن معالجة الغرور قال:

١ ـ (فتداو من داء الفترة في قلبك بعزيمة)؛ فإنّ لكل داء دواء، ودواء الفترة اي الضعف الروحي في القلب بالعزيمه والجد.

٢ ـ (ومن كرى الغفلة في ناظرك بيقظة) والكرى: النوم؛ فإنّ النوم لاعلاج له إلّا اليقظة منها والتحول من حالتها الى حالة جديدة .

٣ ـ (وكن لله مطيعا)؛ فإنّ العمل بما امر الله سبحانه يكون نتيجة اليقظة في القلب.

٤ ـ (وبذكرة آنسا)؛ فإنّ ذكر الله سبحانه يحيي القلوب .

٥ ـ (وتمثل في حال توليك عنه إقباله عليك)؛ لأنّ الله سبحانه ارحم الراحمين، ومن عطف رحمته انّه:

٦ ـ (يدعوك إلى عفوه ويتغمدك بفضله وأنت متولٍ عنه إلى غيره)؛ لأنّ باب التوبة والغفران مفتوح في كل الحالات قبل الممات.

(٤/ط ـ ٢٢٣) آثار ترفع الجهل:

فَتَعَالَى مِنْ قَوِيٍّ مَا أَكْرَمَهُ(٤) وَتَوَاضَعْتَ مِنْ ضَعِيفٍ مَا أَجْرَأَكَ عَلَى مَعْصِيَتِهِ وَأَنْتَ فِى كَنَفِ سِتْرِهِ مُقِيمٌ وَفِى سَعَةِ فَضْلِهِ مُتَقَلِّبٌ. فَلَمْ يَمْنَعْكَ فَضْلَهُ. وَلَمْ يَهْتِكْ عَنْكَ سِتْرَهُ. بَلْ لَمْ تَخْلُ مِنْ لُطْفِهِ مَطْرَفَ(٥) عَيْنٍ فِى نِعْمَةٍ يُحْدِثُهَا لَكَ أَوْ سَيِّئَةٍ يَسْتُرُهَا عَلَيْكَ. أَوْ بَلِيَّةٍ يَصْرِفُهَا عَنْكَ. فَمَا ظَنُّكَ بِهِ لَوْ أَطَعْتَهُ. وَٱيْمُ ٱللهِ لَوْ أَنَّ هٰذِهِ ٱلصِّفَةَ كَانَتْ فِى مُتَّفِقَيْنِ فِى ٱلْقُوَّةِ. مُتَوَازِيَيْنِ(٦) فِى ٱلْقُدْرَةِ لَكُنْتَ أَوَّلَ حَاكِمٍ عَلَى نَفْسِكَ بِذَمِيمِ ٱلْأَخْلَاقِ وَمَسَاوِى ٱلْأَعْمَالِ.

وإلى الحجة الباطلة الاولى التي يفتقر اليها في الغرور بالله والغفلة عنه تعالى، وهي

(١) في هـ. ص: أي ابرز مقالاً وصورة في خيالك.
(٢) في هـ. ب و ص: أي يسترك.
(٣) في هـ. د: ويتغمدك الله بفضله.
(٤) في ب: ما أحكمه، وفي هـ. ب: في نسخة: ما أكرمه، وفي هـ. د: ما أحلمه ـ ل ش و هامش م.
(٥) في هـ. ب: أي طرفة عين، وفي هـ. ص : أي وقت طرف عين.
(٦) في هـ. ب: أي متشابهين، وفي هـ. ص: أي متساويين متقابلين، وروى متوازنين أي متعادلين، وفي هـ د: متوازنين ـ ض ن ب م.

الجهل، اشار ﷺ بأن اثار الحكمة لله تعالى في الانفس والآفاق تنفي هذا الجهل حيث ان الآثار توجب العلم بمؤثر لها، وهي تتسلسل حتى تنتهي الى علة العلل وهو الله سبحانه، على ما هو مشروح في غير موضع وفي علم الكلام.

وأشار الى موجبات الطاعة بقوله:

١ ـ (فتعالى من قويّ ما اكرمه) على العباد حيث اغرقهم بالرحمة وهم يتولون عنه بالجهالة ومغريات الدنيا، وكرمه تعالى يوجب الطاعة .

٢ ـ (وتواضعت من ضعيف ما أجرأك على معصيته وأنت في كنف ستره مقيم ، وفي سعة فضله متقلب) فان المعصية مع ضعف العاصي وقدرة الله جرأة عليه تعالى يستحق العقوبة، ولكنّه تعالى لم يقطع رحمته، واستمرار رحمته يوجب الطاعة .

٣ ـ (فلم يمنعك فضله) واستمرار الفضل يوجب الطاعة .

٤ ـ (ولم يهتك عنك ستره) والستر من الله على العيوب يوجب الطاعة .

٥ ـ (بل لم تخل من لطفه مطرف عين) حيث تستمر نعم الله في كل الحالات، وعد منها:

اولا:(في نعمة يحدثها لك) واقلها نعمة الحياة والقدرة على النفس .

ثانيا: (أو سيئة يسترها عليك)؛ لأنّه ستار العيوب .

ثالثا: (أو بلية يصرفها عنك) ممّا لا يعلم الانسان؛ فإنّ البلايا الحاصلة في غيره تحكي عن امكان وقوعها فيه .

فهذه الامور توجب الطاعة .

(فما ظنك به لو أطعته)؛ فإنّ الطاعة تستوجب زيادة النعم من الله تعالى.

والى نتيجة التأمل في نعم الله تعالى اشار موكداً:

(وأيم الله، لو أن هذه الصفة كانت في متفقين في القوّة ، متوازيين في القدرة لكنت أول حاكم على نفسك بذميم الأخلاق ومساوي الأعمال) فان الصفة المذكورة في نعم الله تعالى من سعة الفضل واستمراره والستر على السيئات مع البليات، لو حصلت من انسان اخر مثلك بالنسبة اليه لكنت مدينا له بالشكر، ولهجا بالحمد على مواقفه، فكيف يمكن معرفة هذه الاثار العظيمة من الله للانسان في الانفس والافاق، ومع ذلك يكون الإنسان غافلا مغترا باية كريمة؟؛ فإنّ اثار الكرم والرحمة من الله سبحانه يوجب عدم الغفلة عنه

تعالى في كلّ الحركات والسكنات في الحياة. ولايكون الجهل حجة لكثرة الآثار ووضوح دلالتها على المؤثر لها، وعلة العلل فيها، وهو الله سبحانه.

($\frac{٥}{ط ـ ٢٢٣}$) مغريات الدنيا:

وَحَقّاً أَقُولُ: مَا الدُّنْيَا غَرَّتْكَ وَلَكِنْ بِهَا ٱغْتَرَرْتَ وَلَقَدْ كَاشَفَتْكَ ٱلْعِظَاتُ[1] وَآذَنَتْكَ[2] عَلَى سَوَاءٍ[3]. وَلَهِيَ بِمَا تَعِدُكَ مِنْ نُزُولِ ٱلْبَلاَءِ بِجِسْمِكَ وَالنَّقْصِ فِي قُوَّتِكَ أَصْدَقُ وَأَوْفَى مِنْ أَنْ تَكْذِبَكَ أَوْ تَغُرَّكَ. وَلَرُبَّ نَاصِحٍ لَهَا عِنْدَكَ مُتَّهَمٌ وَصَادِقٍ مِنْ خَبَرِهَا مُكَذَّبٌ. وَلَئِنْ تَعَرَّفْتَهَا فِي الدِّيَارِ ٱلْخَاوِيَةِ وَٱلرُّبُوعِ ٱلْخَالِيَةِ لَتَجِدَنَّهَا مِنْ حُسْنِ تَذْكِيرِكَ وَبَلاَغِ مَوْعِظَتِكَ، بِمَحَلَّةِ[4] الشَّفِيقِ عَلَيْكَ وَالشَّحِيحِ بِكَ وَلَنِعْمَ دَارُ مَنْ لَمْ يَرْضَ بِهَا دَاراً وَمَحَلُّ مَنْ لَمْ يُوَطِّنْهَا مَحَلًّا.

والحجة الباطلة الثانية التي يستند اليها عامة الناس في الغرور بالله والغفلة عنه تعالى، هي الانزلاق في مغريات الدنيا، وأشار بأن وجود المغريات في أنفسها لا يوجب الانحراف، وانما يتحقق الانحراف بارادة الإنسان للانحراف، فانها لن تؤثر في كلّ البشر من العقلاء والصلحاء، وان اغتر بالانحراف بعض الناس، فالمغرور من مسؤولية الإنسان، ومغريات الدنيا ليست سوى ادوات يستخدمها الإنسان بنفسه وارادته، فقال ﷺ:

١ ـ (وحقا أقول) مؤكداً على أن الدنيا لا تغر أحدا كالحية التي لاتقتل احدا إلّا من اقترب منها، وكذلك حال الدنيا، فانها لا تؤثر في احد إلّا من اغتر بها.

٢ ـ (ما الدنيا غرتك ولكن بها اغتررت) بارادتك لها وسعيك اليها، وسرد من الادلة على أن الدنيا لها مواقف العظة والعبرة بقوله:

٣ ـ (ولقد كاشفتك العظات) من أخبار من اغتر بالدنيا ومغرياتها وعاقبتهم.

٤ ـ (وآذنتك على سواء) والاذان: الاعلام، والسواء: العدل؛ فإنّ الدنيا اخبرتك بعدل وصدق بمالك منها وما عليك، فاخترت ما عليك منها بدل أن تأخذ بمالك فيها، فلا لوم على الدنيا، بل اللوم عليك بسوء اختيارك .

---

(١) في هـ. د: العظات ـ ع، جمع عظة، وهي الوعظ، وفي هـ. ص: بالنصب على تقدير بالعظات محذف الجار، وبالرفع على الفاعلية.

(٢) في هـ. ص: أي أعلمتك.

(٣) في هـ. ص: أي عدل.

(٤) في هـ. ب: بمنزلة.

٥ ـ (ولهي بما تعدك من نزول البلاء بجسمك والنقص في قوتك أصدق وأوفى من أن تكذبك أو تغرك) فالدنيا بما فعلت بمن قبلك وبك، وعدت لكل انسان اموراً لا يخلو منها حياة اي انسان، وأهمها:

أوّلاً: البلاء بالجسم بالامراض الطارئة.

ثانياً: النقص في القوة بالتقدم في العمر.

وليس في هذا كذب أو غرور، فلماذا لم تعتبر من الدنيا في هذا، وانزلقت الى مغرياتها؟

٦ ـ (ولرب ناصح لها عندك متهم، وصادق من خبرها مكذب)؛ فإنّ من نصح لك بعدم الاغترار بمغريات الدنيا كان متهما عندك بانه جاهل أو غافل، وكذلك من صدق في كلامه معك في اخبار الدنيا في الماضي من عبدة المادة والماديات والعناوين الخيالية كان مكذبا من طرفك ووصمته بالكذاب.

٧ ـ (ولئن تعرفتها في الديار الخاوية والربوع الخالية لتجدنها من حسن تذكيرك وبلاغ موعظتك بمحلة الشفيق عليك والشحيح بك)؛ فإنّ معرفة حقيقة الدنيا وتعاملها مع الناس قبلك في الديار التي انهدمت بمرور الزمن والمساكن التي جليت من اصحابها بالموت يوجب العلم بأن الدنيا ليست مغرية، بل هي المذكرة والمبلغة والواعظة كالشفيق والإنسان المحبب الذي لا يريد أن تقع في مزبلة التاريخ مثل من تقدم عليك في الحياة.

٨ ـ (ولنعم دار من لم يرض بها دارا، ومحل من لم يوطنها محلا)؛ فإنّ نتيجة الغرّة بالدنيا وتواريخ من تقدم عليها منها أن لا تجد لانسان في الدنيا دارا للخلود، وان لا يستوطنها أحد وطنا ابديا، بل يودي واجبه فيها حسب ما هو مفروض عليه، ويتركها طاهر الضمير نقيّ الثوب عند الله والناس، ويدخل التاريخ من ابوابه.

وهذه النقاط تستوجب عدم الغفلة عن الله تعالى واوامره، والاجتناب عن الغرور باللوم على الدنيا، بل الاتعاظ بها للاستعداد بالعمل بالمسؤوليات في الحياة، للحصول على النتائج المرضية في الاخرة بعد الممات.

(٦ / ط ـ ٢٢٣) السعداء بالدنيا:

وَإنَّ السُّعَدَاءَ بَالدُّنْيَا غَداً[١] هُمُ الْهَارِبُونَ مِنْهَا الْيَوْمَ[٢].

إذَا رَجَفَتِ الرَّاجِفَةُ وَحَقَّتْ بِجَلَائِلِهَا[٣] الْقِيَامَةُ وَلَحِقَ بِكُلِّ مَنْسَكٍ أَهْلُهُ وَبِكُلِّ مَعْبُودٍ عَبَدَتُهُ وَبِكُلِّ مُطاعٍ أَهْلُ طَاعَتِهِ فَلَمْ يُجْرِ[٤] فِى عَدْلِهِ وَقِسْطِهِ[٥] يَوْمَئِذٍ خَرْقُ بَصَرٍ فِى الْهَواءِ وَلَا هَمْسُ قَدَمٍ فى الأَرْضِ إلاَّ بِحَقِّهِ. فَكَمْ حُجَّةٍ يَوْمَ ذَاكَ دَاحِضَةٌ. وَعَلَائِقِ عُذْرٍ مُنْقَطِعَةٌ فَتَحَرَّ مِنْ أمْرِكَ مَا يَقُومُ بِهِ عُذْرُكَ وَتَثْبُتُ بِهِ حُجَّتُكَ. وَخُذْ مَا يَبْقَى لَكَ مِمَّا لاَ تَبْقَى لَهُ وَتَيَسَّرْ لِسَفَرِكَ وَشِمْ[٦] بَرْقَ النَّجَاةِ. وَارْحَلْ مَطايَا التَّشْمِيرِ[٧].

فان نتيجة الاعمال في الدنيا لمن اتعظ بمواعظ الدنيا فاصبح سعيدا في الآخرة، وقد وصفهم الإمام بقوله:

١ ـ (وإن السعداء بالدنيا) الذين سعدوا بسبب الدنيا ولم يزلقوا.

٢ ـ (غدا هم الهاربون منها اليوم) بالاعراض عن مغرياتها في الدنيا حتى ينتفعوا بذلك غدا يوم المعاد.

٣ ـ (إذا رجفت الراجفة) أي النفخة التي بها تموت كلّ الاحياء وربما بسبب تصادم الكرات السماوية.

٤ ـ (وحقت بجلائلها القيامة) وتحققت باهوال الراجفة يوم القيامة.

٥ ـ (ولحق بكل منسك أهله) والمنسك: العباده؛ فإنّ يوم القيامة يجمع اصحاب كل دين مع قادتهم، اشارة الى قوله تعالى:(لكل جعلنا منسكا).[٨]

٦ ـ (وبكل معبود عبدته) من الاصنام في الحياة.

٧ ـ (وبكل مطاع أهل طاعته) من قادهم في الحياة وكان لهم اماما ﴿يوم ندعوا كلّ اناس بامهم﴾.[٩]

---

(١) في هـ. ص: أي في الآخرة.
(٢) في هـ. ص: أي في الدنيا.
(٣) في ب ظاهراً: لجلائلها، وفي هـ. ص: هي الأمور الجليلة.
(٤) في هـ. ب: أي تمل، وفي هـ.د: فلم يجز ـ ف، فلم يحز بالزاي والراء ـ ف.
(٥) لم ترد «وقسطه» في ط، وفي هـ. د: لم ترد «وقسطه» في ب.
(٦) في هـ. ص: شام البرق: نظر اليه نظر راغب طامع.
(٧) في هـ. ب: التشمير: الجد.
(٨) الانفال: ٥٨.
(٩) الاسراء: ٧٦.

وعن نتيجة هذا اليوم قال:

٨ ـ(فلم يجز في عدله وقسطه يومئذ خرق بصر في الهواء ولا همس قدم في الأرض إلّا بحقه) حيث انّه يوم الحساب العادل؛ فإنّه قال: (لا ظلم اليوم ان الله سريع الحساب).(١)

٩ ـ(فكم حجة يوم ذاك داحضة ، وعلائق عذر منقطعة) حيث ينقطع في يوم الحساب وهو يوم عرض نتائج الامتحان كل الحجج والاعذار، قال تعالى: ﴿يوم لاينفع الظالمون معذرتهم ولاهم يستعتبون﴾.(٢) لانهم على علم بانهم ظلموا انفسهم فلا يستعتبعون إلّا انفسهم على اعمالهم.

٧ ـ(وختم المقطع بالعدة بالدنيا بقوله:

(فتحر من أمرك ما يقوم به عذرك وتثبت به حجتك) وليس الجهل عذراً كما أن مغريات الدنيا ليست عذراً، وليس الحجة لك إلّا بالعمل بمقتضى المسؤوليات .

وقد حددها الامام بقوله:

أولا: (وخذ ما يبقى لك ممّا لا تبقى له)؛ فإنّ النتائج تبقى لك، والدنيا لاتبقى لك .

ثانياً: (وتيسر لسفرك) الى الآخرة بالاستعداد لها بالعمل .

ثالثا:(وشم برق النجاة)؛ فإنّ لطرق النجاة انوار لامعة كالبرق، والنظر اليها واتباعها يوصل إلى النجاة .

رابعا: (وارحل مطايا التشمير) التشمير: الجد، والمطية: ما يمتطى كآلة للحمل والرحيل في السفر؛ فإنّ السفر الى الاخرة يستدعي الجد في ذلك؛ فإنّ الاهمال لأي شئ يفتقر اليه السفر يوجب الخلل في الطريق، والله العالم.

[٢٢٤]

ومن كلام له عليه السلام:

(١ / ط ـ ٢٢٤) **التبرؤ من الظلم:**

ويتضمن تقييم الظلم باعتباره مرفوضا اساساً في الثوابت الاسلاميّة، ومشيرا إلى انواع الانزلاق اليه مستنداً الى تجربتين في حياته مع اخيه عقيل، ومع صاحب الهدية وما يقتضيه الموقف الاسلامي.

(١) غافر : ١٧.
(٢) الروم : ٥٧ .

نظرة إلى الظلم:

وَٱللهِ لَأَنْ أَبِيتَ عَلَى حسَكِ السَّعْدَانِ(١) مُسَهَّداً(٢)، وأُجَرَّ(٣) في الأغْلالِ مُصَفَّداً، أَحَبُّ إلَيَّ مِنْ أَلْقَى ٱللهَ وَرَسُولَهُ يَوْمَ الْقِيامَةِ ظالِماً لِبَعْضِ الْعِبَادِ، وَغاصِباً لِشَيْءٍ مِنَ الحُطَامِ، وَكَيْفَ أَظْلِمُ أَحَداً لِنَفْسٍ يُسْرِعُ إلَى الْبِلَى قُفُولُها، وَيَطُولُ فِي الثَّرَى حُلُولُهَا!

الظلم من وجهة نظر الإمام ـ قال مؤكدا بالقسم:

١ ـ (والله لأن أبيت على حسك السعدان مسهدا) وحسك السعدان: نبت ذو أشواك، والسهد: النوم .

والإمام يؤكد على أن السهر بالنوم على الاشواك التي تكثر حول نبت السعدان .

٢ ـ (وأجر في الأغلال مصفدا) الصفد: القيد الذي يصنع من الاغلال لتقييد الاسير خوفا من الهرب؛ فإنّ في الجر في السلاسل المعدة للاسير عذاب جسمي وروحي .

٣ ـ(أحب إليّ من أن ألقى الله ورسوله يوم القيامة ظالما لبعض العباد ، وغاصبا لشئ من الحطام) اي متاع الدنيا.

فان التعذيب الجسمي بالاشواك والاغلال هو دون التعذيب الذي هو عقاب الظلم، ومن اظهر مظاهر الظلم غصب الناس مالهم في الدنيا.

واستفهم متعجبا عن الاسباب التي يستخدمها الناس في الظلم قائلا:

٤ ـ(وكيف أظلم احداً)؛ فإنّ حرمة الظلم من الثوابت الاسلاميّة التي لا تتغير، وما اكثر التنديد له في القرآن الكريم: (راجع المادّة في المعجم) وكفاه اثراً أن الله لا يغفل عنه، قال تعالى:(ولا تحسبنّ الله غافلا عمّا يعمل الظالمون).(٤)

والى آثار الظلم في الدنيا قال:

٥ ـ(وكيف أظلم أحدا لنفس يسرع إلى البلى قفولها، ويطول في الثرى حلولها)؛ فإنّ الاسباب الداعية الى الظلم في الدنيا ترجع إلى نفس الاسباب التي لابدّ وان ترجع إلى الفساد بعد حلولها في ثرى القبر حتى تتلاشى وتصبح دوداً فترابا.

(١) في هـ. ب: السعدان: جنس من الشوك، وفي هـ ص هو نبت له شوك يقال له حسك السعدان وحسكة السعدان ويشبه به حلمة الثدي.
(٢) في هـ. ب: ما معناه: ساهراً.
(٣) في ط أو أُجر.
(٤) ابراهيم : ٤٢.

ولايستخدم الظلم إلّا من جهل الثوابت الاسلاميّة نظريا، وجهل اثار الظلم في الدنيا حيث لايتمتع بها الظالم كما قال تعالى: (ولا تحسبنّ الله غافلا عمّا يعمل الظالمون).[1]

(٢/ط - ٢٢٤) تجربة عقيل:

وَاللهِ لَقَدْ رَأَيْتُ عَقِيلًا وَقَدْ أَمْلَقَ[2] حَتَّى اسْتَماحَنِي[3] مِنْ بُرِّكُمْ صاعاً، وَرَأَيْتُ صِبْيَانَهُ[4] شُعْثَ الشُّعُورِ، غُبْرَ[5] الأَلْوَانِ مِنْ فَقْرِهِمْ، كَأَنَّما سُوِّدَتْ وُجُوهُهُمْ بِالْعِظْلِمِ[6]، وَعاوَدَنِي مُؤَكِّداً، وَكَرَّرَ عَلَيَّ الْقَوْلَ مُرَدِّداً، فَأَصْغَيْتُ إِلَيْهِ سَمْعِي، فَظَنَّ أَنِّي أَبِيعُهُ دِينِي، وَأَتَّبِعُ قِيَادَهُ[7] مُفَارِقاً طَرِيقَتِي[8]، فَأَحْمَيْتُ لَهُ حَدِيدَةً، ثُمَّ أَدْنَيْتُهَا مِنْ جِسْمِهِ لِيَعْتَبِرَ بِهَا، فَضَجَّ ضَجِيجَ ذِي دَنَفٍ مِنْ أَلَمِهَا، وكادَ أَنْ يَحْتَرِقَ[9] مِنْ مَيْسَمِهَا، فَقُلْتُ لَهُ: ثَكِلَتْكَ الثَّوَاكِلُ يا عَقِيلُ! أَتَئِنُّ مِنْ حَدِيدَةٍ أَحْمَاهَا إِنْسَانُهَا لِلَعِبِهِ، وَتَجُرُّنِي إِلَى نَارٍ سَجَرَهَا جَبَّارُهَا لِغَضَبِهِ! أَتَئِنُّ مِنَ الأَذَى وَلاَ أَئِنُّ مِنْ لَظَى!

وأشار الإمام إلى تجربة حية كانت بيته وبين اخيه عقيل ابن طالب، وتؤكد على رؤية الإمام الواضحة في تقييم الظلم، وانه يعم كلّ مراحل الحياة، ومنها: الحكم حيث قال تعالى:﴿ومن لم يحكم بما انزل الله فاولئك هم الظالمون﴾.[10] وقال مؤكدا: يشرح الحالة وموقف المسؤولية والامتحان:

فعن الحالة قال:

(والله لقد رأيت عقيلا وقد أملق حتّى استماحني من بركم صاعا ، ورأيت صبيانه شعث الشعور، غبر الألوان من فقرهم، كأنما سودت وجوههم بالعظلم ، وعاودني مؤكدا وكرر علي القول مرددا) والاملاق: شدة الفقر، والاستماحة: الاستعطاء، والبر ـ بالفتح ـ

(١) ابراهيم : ٤٢.
(٢) في هـ. ص: أيّ افتقر.
(٣) في هـ. ص: أي طلب المنح وهو الاعطاء.
(٤) في ب زيادة: غرثىٰ .
(٥) لم ترد «الشعور غبر» في ب و ض و د، وفي هـ. د شعث الشعور غبر الألوان ـ ض ح ب.
(٦) في هـ. ب: الوسمة، وفي هـ ص: صبغ أسود.
(٧) في هـ. ب: انقياده.
(٨) في د: طريقي، وفي هـ. د: طريقتي ـ ض ح ب، وفي هـ. ب: في نسخة: طريقي.
(٩) في هـ. ب: في نسخة: يحرق.
(١٠) المائدة : ٤٥.

القمح، والشعث :الوسخ من الشعر، والغبرة: لون الغبار، والعظلم: لون السواد، والصاع: اربعة امداد، وهذه الصفات توجب الرقة والعطف على من يتصف بها، فكيف اذا كان قريبا في النسب كالاخ عقيل؟ الذي يطلب براً زيادة على غيره من الاصحاب لقرب النسب، وهو موكد للطلب ويردد القول؟

وعن الموقف المسؤول قال:

(فأصغيت إليه سمعي فظن أني أبيعه ديني وأتبع قياده مفارقا طريقي) وقام الإمام بواجبه القيادي وهو السماع والاصغاء بكامل الاهتمام على ما يعرضه صاحب الحاجة. وقد ظن الاخ ان واقع الحال وطريقة السؤال بالتأكيد وترديد القول أوجب العطف عليه، كما هو الحال في مثل هذه الاحوال .

ولكن الإمام رفض الطلب بماله من الطريقة التي يراها مسؤولية قيادية في العطاء على السواء، وما يرى من أن تفضيل الاخ بصاع من بر انما هو ظلم؛ حيث انّه يستلزم التنكر للمبدأ الذي هو العدالة في العطاء، وهو بيع دين القائد لرابطة النسب، بمفارقة الطريقة العادلة في العطاء .

وعن الامتحان للعبرة قال:

(فأحميت له حديدة، ثمّ أدنيتها من جسمه ليعتبر بها، فضج ضجيج ذي دنف من ألمها، وكاد أن يحترق من ميسمها . فقلت له: ثكلتك الثواكل يا عقيل، أتئن من حديدة أحماها إنسانها للعبه ، وتجرني إلى نار سجرها جبارها لغضبه . أتئن من الأذى ولا أئن من لظى؟).

الدنف: المريض، والميسم: الة الكي، والثكل: الموت، والثواكل جمع ثاكل : المرأة التي تفقد ولدها، واللعب: المزح وعدم الجد، ولظى: لهيب جهنم.

وفي هذه التجربة العائلية استخدم الامام ما ينبه على عاقبة الظلم في الآخرة من وعيد النار من الله القاهر الجبار لمن يتعدى مسؤولياته الدينية، والامام في مسؤوليته القياديّة يجب عليه العدل في كلّ شئ، ومنها: العطاء، والتفضيل لرابطة النسب يوجب من الله الغضب، ويظهر ان الإمام لم ينجح في اقناع اخيه بالثوابت النظرية حتّى جعله يتحسس بالروئة الواضحة التي يتمتع بها الإمام عليه السلام من عدم تفضيل اخيه بالعطاء، والالتزام بذلك مع جميع المحتاجين على حد سواء.

(٣/ط - ٢٢٤) تجربة الهدية:

وَأَعْجَبُ مِنْ ذَلِكَ طَارِقٌ[١] طَرَقَنَا بِمَلْفُوفَةٍ فِي وِعَائِها، وَمَعْجُونَةٍ شَنِئْتُهَا[٢]؛ كَأَنَّمَا عُجِنَتْ بِرِيقِ حَيَّةٍ أَوْ قَيْئِهَا: فَقُلْتُ: أَصِلَةٌ أَمْ زَكَاةٌ أَمْ صَدَقَةٌ؟ فَذَلْكَ مُحَرَّمٌ عَلَيْنَا أَهْلَ ٱلْبَيْتِ! فَقَالَ: لَاذَا وَلَا ذَاكَ؛ وَلَكِنَّهَا هَدِيَّةٌ. فَقُلْتُ: هَبِلَتْكَ ٱلْهَبُولُ! أَعَنْ دِينِ ٱللهِ أَتَيْتَنِي لِتَخْدَعَنِي! أَمُخْتَبِطٌ[٣] أَمْ ذُو جِنَّةٍ[٤] أُمْ تَهْجُرُ[٥]!.

ثمّ أشار الإمام عليه السلام إلى تجربة ثانية توجب الانزلاق عن المسؤولية والوقوع من شرك الظلم، وهي الهدية، فقال:

(وأعجب من ذلك طارق طرقنا بملفوفة في وعائها، ومعجونة شنئتها، كأنما عجنت بريق حية أو قيئها، فقلت: أصلة أم زكاة أم صدقة، فذلك محرم علينا أهل البيت. فقال: لا ذا ولا ذاك، ولكنها هدية. فقلت: هبلتك الهبول، أعن دين الله أتيتني لتخدعني، أمختبط أنت أم ذو جنة أم تهجر؟)

والمعجونة: ما يخلط من انواع الحلويات، والشناءة: البغض والنفرة، والصلة: العطية من دون أجرللوصول الى غرض خاص في الدنيا، والهدية: ما يقدم اكراماً لا لغرض سوى الاكرام، والهبول: المراة التي لايبقى لها ولد، والمختبط: صاحب داء الصرع لغلبة الاخلاط السوداوية عليه، والجنة: الجنون، والهجر: الهذيان، قال الشارح ابن أبي الحديد (ت / ٦٥٦ هـ)، ما نصّه:«قوله: بملفوفة في وعائها، كان أهدى له الأشعث بن قيس نوعا من الحلواء تأنق فيه وكان عليه السلام يبغض الأشعث لان الأشعث كان يبغضه وظن الأشعث انه يستميله بالمهاداة لغرض دنيوي كان في نفس الأشعث وكان أمير المؤمنين عليه السلام يفطن لذلك ويعلمه ولذلك رد هدية الأشعث ولولا ذلك لقبلها لان النبي صلى الله عليه وآله قبل الهدية وقد قبل علي عليه السلام هدايا جماعة من أصحابه ودعاه بعض من كان يأنس إليه إلى حلواء عملها يوم نوروز فاكل وقال: لم عملت هذا فقال: لأنه يوم نوروز فضحك وقال: نورزوا لنا في كل يوم إن استطعتم. وكان عليه السلام من لطافة الأخلاق وسجاحة الشيم على قاعدة عجيبة جميلة

(١) في هـ. ص قيل هو الأشعث، وكان عليه السلام يبغضه ويعرف خبث طويته، أهدى اليه حلوى قد تأنق فيه على طبق مغطى.
(٢) في هـ. ب: ابغضها.
(٣) في هـ. ص: أي مصروع.
(٤) في هـ. ص: أي أبك مس من الشيطان.
(٥) في هـ. ص: أي تقول غير الصواب لعارض مرض أو مجانه وسخرية.

ولكنه كان ينفر عن قوم كان يعلم من حالهم الشنان له وعمن يحاول إن يصانعه بذلك عن مال المسلمين وهيهات حتى يلين لضرس الماضغ الحجر».[١]

(٣ / ط ـ ٢٢٤) تجربة الهدية:

هذه التجربة عبر عنها الإمام بإنّها اعجب من تجربة اخيه عقيل، وذلك لان الاشعث بن قيس الكندي كان من اعداء الإمام المعروفين بالعداء، ومع هذا العداء السافر اتى بالهدية التي هي للاكرام، وطبيعي انه لا يقدم العدو هدية لعدوه، ومن اجل ذلك وصفها الامام بأوصاف توجب النفرة؛ فإنّ الملفوفة كانت معجونة من مواد الحلوى المستطاب أكلها، وقال الإمام عنها :(ومعجونة شنئتها، كأنما عجنت بريق حية أو قيئها)؛ فإنّ هذه الحلوى يكرهها الإمام ويراها معجونة من مواد سامة هي ريق الحية السامة أو قيئها التي تخرج من البطن إلى الفم، وفتطرح عند اضطراب النفس، وطبيعي أن ما بهذا الوصف لايمكن الانتفاع به، والإمام عمل بمسؤوليته الاسلاميّة، فسأل عليه السلام عن السبب من هذه الهدية وقال سائلا:

١ ـ (أصلة أم زكاة أم صدقة، فذلك محرم علينا أهل البيت) فالصلة: ما يدفع للوصول إلى شئ اخر في الدنيا، وقبولها ينافي المسؤولية التي تقتضي العدالة في الحكم من دون قبول اي صلة؛ بل لما يقتضيه العدالة الاسلاميّة .

٢ ـ (فقال: لا ذا ولا ذاك، ولكنها هدية) وطبيعي أن الهدية مقبولة في الاسلام، ولم يرد النبيّ صلى الله عليه وآله قط هدية، ولكن الإمام رفضها هنا؛ لأنّ الهدية لاتكون من العدو، والرجل كان ممن يجاهر بعدائه للإمام، وبين الامام السبب في الرفض معللا:

٣ ـ (أعن دين الله أتيتني لتخدعني) حيث أن الدين يأمر بقبول الهدية، واشار الى أن هذه الخديعة لا تنطلي عليه مع الجهر بالعداء، بل يعبر عن عقلية المهدي نفسه باحدى الصفات:

اولاً: (الخبط) .

ثانياً :(الجنون) .

ثالثاً :(الهجر).

(١) شرح نهج البلاغة ؛ ابن أبي الحديد ١١ : ٢٤٧ ـ ٢٤٨.

(ط - ٥ / ٢٢٤) **الموقف الثابت:**

وَٱللهِ لَوْ أُعْطِيتُ ٱلْأَقَالِيمَ ٱلسَّبْعَةَ بِمَا تَحْتَ أَفْلاَكِهَا، عَلَى أَنْ أَعْصِيَ ٱللهَ فِي نَمْلَةٍ أَسْلُبُهَا جُلْبَ[١] شَعِيرَةٍ مَا فَعَلْتُهُ؛ وَإِنَّ[٢] دُنْيَاكُمْ عِنْدِي لَأَهْوَنُ مِنْ وَرَقَةٍ فِي فَمِ جَرَادَةٍ تَقْضَمُهَا. مَا لِعَلِيٍّ وَلِنَعِيمٍ يَفْنَى؛ وَلَذَّةٍ لَا تَبْقَى! نَعُوذُ بِاللهِ مِنْ سُبَاتِ ٱلْعَقْلِ، وَقُبْحِ ٱلزَّلَلِ، وَبِهِ نَسْتَعِينُ.

وختم الإمام المقطع باشارة إلى موقفه الثابت بالالتزام بالمسؤولية على حدودها الاسلاميّة، فقال مؤكدا:

١ - (والله لو أعطيت الأقاليم السبعة بما تحت أفلاكها) وهي أقاليم الكون عامة، ولعلها السماوات السبع في السماء وما فيها من الافلاك ومابينها من المخلوقات.

٢ - (على أن أعصي الله في نملة أسلبها جلب شعيرة ما فعلت) فالجلب: القشر؛ فإنّ لكل من في الوجود حقوقه حتى النمل.

٣ - (وإن دنياكم عندي لاهون من ورقة في فم جرادة تقضمها) والقضم: القطع بالاسنان؛ فإنّ ورقة الشجر المقضومة لاقيمة لها، والدنيا عند عليّ اهون منها.

(ما لعلي ونعيم يفنى ولذّة لا تبقى ؟) فان الرؤية الواضحة للمبادئ والوسائل والاهداف الاسلاميّة تمنع من أن يقع الإنسان في مزالق الظلم.

وختم المقطع بقوله:

٥ - (نعوذ بالله من سبات العقل وقبح الزلل وبه نستعين) مشيرا إلى أن الاسباب الداعية إلى الظلم في الحكم تعود إلى سببين رئيسيين هما:

أوّلاً: سبات العقل، والسبات: هو النوم بعد المعرفة للاسباب التي توجب الظلم والاثار التي تترتب على الظلم.

ثانياً: وقبح الزلل، وهو الخطأ ممن يتحمل المسؤولية؛ فإنّ ذلك قبيح وخطأ غير متعمد.

والامران يوجبان اليقظة من الوقوع فيها لمن يتحمل المسؤولية؛ فإنّه كما عظمت المسؤولية عظمت الآثار المترتبة عليها، والله هو المستعان.

---

(١) في هـ. ص بضم الجيم: قشر الشعيرة.
(٢) في ص: فإن.

قال الشارح ابن أبي الحديد (ت / ٦٥٦ هـ)، ما نصّه:

[نبذ من اخبار عقيل بن أبي طالب]

وعقيل هو عقيل بن أبي طالب عليه السلام بن عبد المطلب بن هاشم بن عبد مناف أخو أمير المؤمنين عليه السلام لامه وأبيه وكان بنو أبي طالب أربعة طالب وهو أسن من عقيل بعشر سنين وعقيل وهو أسن من جعفر بعشر سنين وجعفر وهو أسن من علي بعشر سنين وعلي وهو أصغرهم سنا وأعظمهم قدرا بل وأعظم الناس بعد ابن عمه قدرا . وكان أبو طالب يحب عقيلا أكثر من حبه سائر بنيه فلذلك قال: للنبيوللعباس حين أتياه لا ليقتسما بنيه عام المحل فيخففا عنه ثقلهم:«دعوا لي عقيلا وخذوا من شئتم » فاخذ العباس جعفرا واخذ محمّد صلى الله عليه وآله عليا وكان عقيل يكنى أبا يزيد قال له رسول الله صلى الله عليه وآله:« يا أبا يزيد انى أحبك حبين حبا لقرابتك منى وحبا لما كنت اعلم من حب عمى إياك . اخرج عقيل إلى بدر مكرها كما اخرج العباس فأسر وفدى وعاد إلى مكة ثم اقبل مسلما مهاجرا قبل الحديبية وشهد غزاة مؤتة مع أخيه جعفر عليه السلام وتوفى في خلافة معاوية في سنة خمسين وعمره ست وتسعون سنة . وله دار بالمدينة معروفة وخرج إلى العراق ثم إلى الشام ثم عاد إلى المدينة ولم يشهد مع أخيه أمير المؤمنين عليه السلام شيئا من حروبه أيام خلافته وعرض نفسه وولده عليه فأعفاه ولم يكلفه حضور الحرب . وكان انسب قريش وأعلمهم بأيامها وكان مبغضا إليهم لأنه كان يعد مساوئهم، وكانت له طنفسة تطرح في مسجد رسول الله صلى الله عليه وآله فيصلى عليها ويجتمع إليه الناس في علم النسب وأيام العرب وكان حينئذ قد ذهب بصره وكان أسرع الناس جوابا وأشدهم عارضه . كان يقال: إن في قريش أربعة يتحاكم إليهم في علم النسب وأيام قريش ويرجع إلى قولهم عقيل بن أبي طالب ومخرمة بن نوفل الزهري وأبو الجهم بن حذيفة العدوي وحويط بن عبد العزى العامري . واختلف الناس في عقيل هل التحق بمعاوية وأمير المؤمنين حي فقال: قوم نعم ورووا أن معاوية قال: يوما وعقيل عنده هذا أبو زيد لولا علمه فقال: إني خير له من أخيه لما أقام عندنا وتركه فقال: عقيل أخي خير لي في ديني وأنت خير لي في دنياي وقد آثرت دنياي أسأل الله خاتمة خير . وقال: قوم انه لم يعد إلى معاوية إلّا بعد وفاة أمير المؤمنين عليه السلام واستدلوا على ذلك بالكتاب الذي كتبه إليه في آخر خلافته والجواب الذي أجابه عليه السلام و قد ذكرناه فيما تقدم وسيأتي ذكره أيضا في باب كتبه عليه السلام وهذا القول هو الأظهر عندي

وروى المدائني قال: قال: معاوية يوما يوما لعقيل بن أبي طالب هل من حاجة فأقضيها لك قال: نعم جارية عرضت على وأبى أصحابها أن يبيعوها إلّا بأربعين ألفا فأحب معاوية أن يمازحه فقال: وما تصنع بجارية قيمتها أربعون ألفا وأنت أعمى تجتزئ بجارية قيمتها خمسون درهما قال: أرجو أن أطأها فتلد لي غلاما إذا أغضبته يضرب عنقك بالسيف فضحك معاوية وقال: مازحناك يا أبا يزيد وامر فابتيعت له الجارية التي أولد منها مسلما فلما أتت على مسلم ثماني عشرة سنة - وقد مات عقيل أبوه - قال: لمعاوية يا أمير المؤمنين إن لي أرضا بمكان كذا من المدينة وأني أعطيت بها مائة الف وقد أحببت أن أبيعك إياها فادفع إلى ثمنها فامر معاوية بقبض الأرض ودفع الثمن إليه . فبلغ ذلك الحسين عليه السلام فكتب إلى معاوية اما بعد فإنك غررت غلاما من بني هاشم فابتعت منه أرضا لا يملكها فاقبض من الغلام ما دفعته إليه واردد إلينا أرضنا . فبعث معاوية إلى مسلم فأخبره ذلك وأقرأه كتاب الحسين عليه السلام وقال: أردد علينا مالنا وخذ أرضك فإنك بعت ما لا تملك فقال: مسلم اما دون أن اضرب رأسك بالسيف فلا فاستلقى معاوية ضاحكا يضرب برجليه فقال: يا بني هذا والله كلام قاله لي أبوك حين ابتعت له أمك . ثم كتب إلى الحسين فقال: إني قد رددت عليكم الأرض وسوغت مسلما ما اخذ فقال: الحسين عليه السلام أبيتم يا آل أبي سفيان إلّا كرما .

وقال معاوية لعقيل يا أبا يزيد أين يكون عمك أبو لهب اليوم قال: إذا دخلت جهنم فاطلبه تجده مضاجعا لعمتك أم جميل بنت حرب بن أُميّة . وقالت له زوجته ابنه عتبه بن ربيعة يا بني هاشم لا يحبكم قلبي ابدا ابن عمى أين أخي كان أعناقهم أباريق الفضة ترى آنافهم الماء قبل شفاههم قال: إذا دخلت جهنم فخذي على شمالك .

سال معاوية عقيلا عن قصة الحديدة المحماة المذكورة فبكى وقال: انا أحدثك يا معاوية عنه ثم أحدثك عما سالت نزل بالحسين ابنه ضيف فاستسلف درهما اشترى به خبزا واحتاج إلى الادام فطلب من قنبر خادمهم أن يفتح له زقا من زقاق عسل جاءتهم من اليمن فاخذ منه رطلا فلما طلبها عليه السلام ليقسمها قال: يا قنبر أظن أنه حدث بهذا الزق حدث فأخبره فغضب عليه السلام وقال: على بحسين فرفع عليه الدرة فقال: بحق عمى جعفر - وكان إذا سئل بحق جعفر سكن - فقاله ما حملك أن اخذت منه قبل القسمة قال: إن لنا فيه حقا فإذا أعطيناه رددناه قال: فداك أبوك وإن كان لك فيه حق فليس لك أن تنتفع بحقك

قبل أن ينتفع المسلمون بحقوقهم اما لولا فقال: إني رأيت رسول الله صلى الله عليه وآله يقبل ثنيتك لأوجعتك ضربا ثم دفع إلى قنبر درهما كان مصرورا في ردائه وقال: اشتر به خير عسل تقدر عليه قال: عقيل والله لكأني انظر إلى يدي على وهي على فم الزق وقنبر يقلب العسل فيه ثم شده وجعل يبكى ويقول اللهم اغفر لحسين فإنه لم يعلم . فقال: معاوية ذكرت من لا ينكر فضله رحم الله أبا حسن فلقد سبق من كان قبله وأعجز من يأتي بعده هلم حديث الحديدة . قال: نعم أقويت وأصابتني مخمصة شديدة فسألته فلم تند صفاته فجمعت صبياني وجئته بهم والبؤس والضر ظاهران عليهم فقال: أئتني عشية لأدفع إليك شيئا فجئته يقودني أحد ولدى فأمره بالتنحي ثم قال: إلّا فدونك فأوهيت حريصا - قد غلبني الجشع أظنها صرة - فوضعت يدي على حديدة تلتهب نارا فلما قبضتها نبذتها وخرت كما يخور الثور تحت يد جازره فقال: لي تكلتك أمك هذا من حديدة أوقدت لها نار الدنيا فكيف بك وبي غدا إن سلكنا في سلاسل جهنم ثم قرأ: ﴿إذ الأغلال في أعناقهم والسلاسل يسحبون﴾ [1] . ثم قال: ليس لك عندي فوق حقك الذي فرضه الله لك إلّا ما ترى فانصرف إلى أهلك . فجعل معاوية يتعجب ويقول هيهات هيهات عقمت النساء أن يلدن مثله». [2]

[٢١٥]

ومن دعاء له عليه السلام :

وهو يلتجيء إلى الله أن يغنيه.

ٱللهمَّ[3] صُنْ[4] وجهي بِالْيَسارِ وَلَا تَبْذُلْ[5] جَاهِي بِالإِقْتَارِ[6]، فأَسْتَرْزِقَ[7] طَالِبِي رِزْقِكَ[8] وَأَسْتَعْطِفَ شِرَارَ خَلْقِكَ. وَأَبْتَلِي[9] بِحَمْدِ مَنْ أَعْطَانِي، وَٱفْتَنَ[10] بِذَمِّ مَنْ مَنَعَنِي.

---

(١) سورة غافر: ٧١.

(٢) شرح نهج البلاغة ؛ ابن أبي الحديد ١١ : ٢٥٠ ـ ٢٥٤.

(٣) في هـ. ص: الدعاء بصيغة الأمر.

(٤) صيانة الوجه: حفظه من التعرّض للسؤال.

(٥) في هـ. د : ولا تبتذل ـ ك وحاشية م ولا تبذل ـ ر.

(٦) الاقتار: الفقر.

(٧) في هـ. ص: منصوب لأنه جواب الأمر والنهي.

(٨) في ب: رفدك. وفي هـ. ب: في نسخة: رزقك.

(٩) في ص فابتلى، وفي هـ. ص في نسخة: وابتلى.

وَأَنْتَ مِنْ وَرَاءِ ذَلِكَ كلِّهِ[11] وَلِيُّ الإِعْطَاءِ وَالمَنْعِ، إِنَّكَ عَلَى كُلِّ شَيْءٍ قَدِيرٌ.

(١ / ط ـ ٢٢٥) دعاء الصيانة:

يتضمن الدعاء صيانة الوجه وحفظه من الذل والحاجة الى الناس، وقد ورد هذا الدعاءفي الصحيفة السجادية ضمن دعاء مكارم الاخلاق، فراجع.

وقد أشار عليه السلام إلى امرين متلازمين هما:

أوّلاً: صيانة الوجه باليسار، وهو السعة مادياً.

ثانيا: الذل بالافتقار، وهو الفقر حيث يستلزم بذل الوجه وعدم حفظه بالسؤال من الاخرين لما يفتقر اليه الإنسان في حياته.

ولا يتحقق شيئ من ذلك إلّا بارادة الله سبحانه بتيسير اسباب الصيانة، ولو لم تتحقق الصيانة ـ نعوذ بالله ـ؛ فإنّه سيفتقر الإنسان إلى الناس، واشار إلى ما يستلزم ذلك بقوله:

١ ـ (فأسترزق طالبي رزقك) فانهم يحتاجون إلى الله سبحانه، وحصلوا على ما حصلوا بارادة الله الذي امرهم بالعمل حتى حصل ما حصل.

٢ ـ (وأستعطف شرار خلقك)، فان الشرير لاعطف له، فكيف يستعطفه الانسان؟

٣ ـ (وابتلى بحمد من أعطاني) والابتلاء: الامتحان؛ لأنّ من واجبات المسلم الشكر، والعطية مهما كانت اسبابها وظروفها تستلزم الشكر والحمد، والحمد حقيقة لايكون إلّا لله تعالى دون الخلق.

٤ ـ (وأفتتن بذم من منعني ، وأنت من وراء ذلك كلّه ولي الإعطاء والمنع إنك على كلّ شئ قدير) كما جاء في أكثر من آية منها ما في سورة البقرة: ٢٠، فان قدرة الله الواسعة يمكنها تغيير الحال بتيسير اسبابه وتبديل حالة الاقتار إلى اليسار، والله سبحانه مقلب القلوب والابصار.

[٢١٦]

(١٠) في ب: فافتتن وفي د: افتتن. وفي هـ. ص: روي مبنياً للفاعل وللمفعول.

(١١) في هـ. ص: مثل يقال للمحيط بالأمر القاهر له القادر منه على ما يشاء كما يقال للملك العظيم هو من وراء وزرائه وكتابه، لا يعتبر إلّا ذاك حقيقة الجهة، وكما قال تعالىٰ: ﴿والله من ورائهم محيط﴾ وأصله ان لسانق الماشية يكون محيطاً بها ببصره ويده ومن ثم يقال لمن ملك: ساق ويسوق الناس بعصاه، والله أعلم، وحاصله ان هذا اللفظ صار مثالاً علماً لمعنى الاحاطة والاستيلاء كما قال تعالىٰ:(من ورائه جهنم)ابراهيم: ١٤/١٦، والله أعلم.

ومن خطبة له عليه السلام:

يتضمن وصف الدنيا والعبرة بالتاريخ ووحدة المصير للناس اجمعين.

(١ / ط ـ ٢٢٦) في خصائص الدنيا والتنفير من الدنيا:

دَارٌ بِالْبَلاَءِ مَحْفُوفَةٌ. وَبِالْغَدْرِ مَعْروفَةٌ. لا تَدُومُ أَحْوَالُهَا. وَلَا تَسْلَمُ[1] نُزَّالُهَا[2] أَحْوَالٌ مُخْتَلِفَةٌ وَتَارَاتٌ[3] مُتَصَرِّفَةٌ. الْعَيْشُ فِيهَا مَذْمُومٌ. وَالأَمَانُ مِنْهَا[4] مَعْدُومٌ. وَإِنَّمَا أَهْلُها فِيهَا أَغْرَاضٌ مُسْتَهْدِفَةٌ[5] تَرْمِيهِمْ[6] بِسِهَامِهَا وَتُفْنِيهِمْ بِحِمَامِهَا[7].

استهل المقطع بحقائق الدنيا المعروفة لكل انسان ذي بصيرة، وهي:

١ ـ (دار بالبلاء محفوفة) من كلّ جانب، فهل هناك من سلم من البلاء الدنيا؟

٢ ـ (وبالغدر معروفة) فمن الذي سلم من غدرها من الانبياء والصالحين والملوك والسلاطين والناس اجمعين؟

٣ ـ (لا تدوم أحوالها) فهي في تقلب دائم بالفرح والحزن والعلو والتفضيل وغيرها.

٤ ـ (ولا يسلم نزالها) على خلاف المتوقع من النزول في الدار، وذلك للحصول على السلامة في فترة النزول؛ فإنّ الدنيا دار لا سلامة للنازل فيها؛ لتوارد الهموم والغموم فيها.

وعن حالات الدنيا قال:

٥ ـ (أحوال مختلفة) من الفرح والترح والسرور والحلاوة والمرارة وغيرها .

٦ ـ (وتارات متصرفة) بتصريف الفصول الاربعة، من الربيع والخريف والصيف والشتاء.

٧ ـ (العيش فيها مذموم)؛ لأنّه لا يسقر على حالة واحدة حتّى يمكن بناء المستقبل، بل كلما تقدم العيش فيها زادت اسباب الذم بالكبر فى العمر وتوارد الامراض .

٨ ـ (والأمان فيها معدوم) فلا يأمن الإنسان مستقبله مهما اوتي من قدرة وعلم؛ فإنّ

(١) في ط: لا يسلم.

(٢) جمع نازل.

(٣) في هـ. ب: جمع تارة أي مرّات، و في هـ. ص جمع تارة بمعنىٰ مرّة.

(٤) في ص: فيها. وفي هـ. د: فيها ـ ب ل .

(٥) هـ. ص: بكسر الدال بمعنى منتصبة مهيئة لأن يرمىٰ، ويفتح الدال على المفعولية أي مقصودة بالرمي.

(٦) في هـ. ب: أي الدنيا.

(٧) في هـ. ب: أي موتها.

الموت يأتي بغتة والصديق ينقلب عدوا.

٩ ـ (وإنما أهلها فيها أغراض مستهدفة) فيقعون هدفا للسهام التي توجه اليهم من نواحي مختلفة، من الامراض والخيانات والسرقات وغيرها .

١٠ ـ(ترميهم بسهامها وتفنيهم بحمامها)؛ فإنّ السهام متوجهة إلى أهل الدنيا بالحمام، وهو الموت.

وهذه النقاط من خصائص الدنيا التي لا تتغير لمن تأمّل فيها وتبصّر.

(٢ / ط ـ ٢٢٦) العبرة بالتاريخ:

وَٱعْلَمُوا عِبَادَ ٱللهِ أَنَّكُمْ وَمَا أَنْتُمْ فِيهِ مِنْ هَذِهِ ٱلدُّنْيَا عَلَى سَبِيلِ مَنْ قَدْ مَضَى قَبْلَكُمْ مِمَّنْ كَانَ أَطْوَلَ مِنْكُمْ أَعْمَاراً. وَأَعْمَرَ دِيَارًا. وَأَبْعَدَ آثاراً[١]. أَصْبَحَتْ أَصْوَاتُهُمْ هَامِدَةً[٢]. وَرِيَاحُهُمْ رَاكِدَةً[٣] وَأَجْسَادُهُمْ بَالِيَةً. وَدِيَارُهُمْ خَالِيَةً. وآثارُهُمْ عافِيَةً[٤]. فاسْتَبْدَلُوا بِالْقُصُورِ الْمُشَيَّدَةِ[٥]. وَالنَّمارِقِ[٦] المُمَهَّدَةِ[٧] الصُّخُورَ وَالأَحْجَارَ الْمُسَنَّدَةَ[٨] وَالْقُبُورَ اللَّاطِئَةَ[٩] المُلْحَدَةَ[١٠]. الَّتِي قَدْ بُنِيَ بالخَرَابِ[١١] فِنَاؤُهَا[١٢]. وَشُيِّدَ بِالتُّرَابِ بِنَاؤُهَا. فَمَحَلُّهَا مُقْتَرِبٌ. وساكِنُهَا مُغْتَرِبٌ[١٣]. بَيْنَ أَهْلِ مَحَلَّةٍ مُوحِشِينَ[١٤]. وَأَهْلِ فَرَاغٍ مُتَشَاغِلِينَ لَا يَسْتأْنِسُونَ بِالأَوْطانِ. وَلَا يَتَوَاصَلُونَ تَوَاصُلَ الْجِيرَانِ. عَلَى مَا بَيْنَهُمْ مِنْ قُرْبِ الجِوَارِ وَدُنُوِّ

---

(١) في هـ . ب: أي أعمالاً.
(٢) في هـ . ب و ص: أي ساكتة استعارة من قولهم: ماء راكد، وفي هـ . ص: كناية عن سكون الحركات.
(٣) هـ . ب: ساكنة.
(٤) في هـ . ب: مندرسة.
(٥) في هـ . ب: العالية، وفي هـ . ص: أي المؤكدة البناء، والشيد: الجص مما يراد تقويته يبنى به فصار التشييد عبارة عن التقوية لذلك.
(٦) هـ . ب: جمع النمرقة.
(٧) في هـ . ب: المفترشة.
(٨) في هـ . ب: من الاسناد وهو الاعتماد.
(٩) في هـ . ب: أي اللاصقة.
(١٠) في هـ . ب: أي جعل له اللحد.
(١١) في ط على الخراب.
(١٢) في هـ . ب: يعني القبر قريب وساكنها غريب.
(١٣) في هـ . ب: أهل القبور موحشين أي لا انس بينهم.
(١٤) في هـ . ب: بأعمالهم في الدنيا.

الدَّار. وَكَيْفَ يَكُونُ بَيْنَهُمْ تَزَاوُرٌ[١] وَقَدْ طَحَنَهُمْ بِكَلْكَلِهِ[٢] الْبِلَى[٣]. وَأَكَلَتْهُمُ[٤] الْجَنَادِلُ[٥] وَالثَّرَى.

وأشار إلى ضرورة العبرة بالتاريخ في هذه الدنيا للعمل بما يجب على الإنسان فيها، فقال:

(وأعلموا عباد الله أنكم وما أنتم فيه من هذه الدنيا على سبيل من قد مضى قبلكم) فانهم عاشوا في الدنيا كما تعيشون باختلاف الزمان، وخص منهم جماعة يفوقون حياة الإنسان اليوم، وهم:

اولا:(ممّن كان أطول منكم أعمارا) ويذكر المؤرخون ان العمالقة كانوا طوال الجسم وكبار العمر، ولاحاجة الى التدليل لذلك؛ فإنّ الامم السابقة بحكم عدم تلوث البيئة كانوا في وقاية عن الامراض الشائعة في عصرنا، الموجبة لقصر العمر؛ فإنّ الجيل المتقدم على عصرنا كانوا اطول اعماراً منا غالبا.

ثانيا:(وأعمر ديارا) وهي مساكنهم التي عمروها للسكنى، ويدل على ذلك انواع الصخور التي جابوها وجعلوها بيوتا للسكنى، ولاتزال منها بيوت قائمة كالبتراء في الاردن ومدائن صالح في الجزيرة العربية وغيرها من البلاد في أنحاء العالم .

ثالثا:(وأبعد آثارا) حيث خلفت الامم من الحضارات التي بادت ولكن بعض اثارها باقية لحد اليوم (عام ١٣٨٦) ومنها: الطاق المعروف بطاق كسرى في منطقة سلمان باك في المدائن ـ بغداد، والاهرام التي شيدها الفراعنة في مصر، وغيرها، وسيكون مصير ناطحات السحاب في عصرنا مصيرها.

وعن مصير هؤلاء الذين عمروا هذه الآثار قال:

١ ـ (أصبحت أصواتهم هامدة) اي ساكتة بعد أن كانت عالية مرتفعة على أصوات الحضارات المنافسة لها.

٢ ـ(ورياحهم راكدة)؛ فإنّ حركتهم التي كانت كالريح في التاريخ سارت ثم ركدت

---

(١) في هـ . ب: زيارة.
(٢) في هـ . ص: الكلكلة هو الصدر وهو هنا استعارة.
(٣) في هـ . ب: فاعل طحنهم البلى كلكلة اخبار قبل الذكر.
(٤) هـ . ص: أي أفنتهم وهو هنا استعارة أيضاً.
(٥) في هـ . ب: الأحجار.

وانقطعت.

٣ ـ (وأجسادهم بالية) انقرضت بالفناء والبلى بعد الحياة .

٤ ـ (وديارهم خالية) منهم، فلا يسكنون فيها، بل لا يسكنها احد من بعدهم .

٥ ـ (وآثارهم عافية) اي مندرسة قد فقدت رونقها الذي كان في عصرهم، فهي بالرغم من وجودها فكأنّها مندرسة لا ينتفع بها.

وأشار إلى أن هذه اصحاب هذه الآثار كان مصيرهم الى ثلاث مراحل:

الى ثلاث مراحل

في المرحلة الأولى: كانوا في الحياة:

(بالقصور المشيدة والنمارق الممهدة) والنمارق: الوسائد، والممهدة : المنضدة بانتظام، فإنّ كلّ حضارة لها ادارة خاصة، وتتبع نظاما خاصا في المقاعد وادوات الاكل والجلوس وللباس والزينة ، يختلف عن النظام المتبع لحضارة اخرى، وكل ذلك يـبيد بـاستبدال حضارة اخرى لها نظامها الخاص .

وفي المرحلة الثانية: كانوا أصحاب القبور:

(الصخور والأحجار المسندة ، والقبور اللاطئة الملحدة) فاصبحوا في قبور وأحجار يسند بعضها البعض وقبورا متلاصقة لحداً يوضع فيه الميت، وهي على الاغلب لها نوع من البنيان والتعريف بالميت وسنه وآثاره.

وهذه المرحلة ايضا كسابقتها ليست مرحلة مستقرة، بل تحولت الى مرحلة اخرى .

وفي المرحلة الثالثة:

وهي مرحلة خراب هذه القبور ايضا، وقد شرحها بقوله:

(التي قد بني بالخراب فناؤها) والفناء: الساحة التي تكون أمام الدار .

(وشيد بالتراب بناؤها) والبناء المسند بالتراب معرض للهدم اكثر واسرع من البـناء المشيد بالصخور.

وفي هذا العام ١٣٨٦ زرت الكاظمية ومن بعدها إلى سلمان باك، فوجدت في صحن الطاق اعرابيا بيده القانون يضرب عليه ويستعطي بهذه الطريقة، فجلست عنده وسألتـه عن مسكنه، وما يعرف عن تاريخ الطاق، و غير ذلك، فقال: انه ولد في المنطقة، وان كثيرا من البيوت المبنيّة بالقرب من الطاق مبنيّة بالآجرّة المقلوعة مـن الطـاق، فـإنّه افـضل

استحكاما ويمكن قلعه واستخدامه من دون حاجه إلى الطابوق المعد في السوق، والذي يكون بازاء ثمن ولا يكون بهذا الاستحكام، وهذا مجاني وبلا عوض وافضل بكثير، والله اعلم بمصير أهرامات مصر وغيرها من الآثار.

وعن احوال اصحاب الحضارات في قبورهم صفات متضادة، هي:

١ ـ (بين أهل محلة موحشين)؛ فإنّ الوحشة في القبر لامثيل لها، والزائـر للـمقبرة يستوحش حتّى من خيال الاموات، ولو صاح صائح فيها يظنه صياح الاموات، ويحاول الهرب خشية أن يطلب ويصبح احدهم بعد أن جاء ليزور قـبورهم، والمـحلة تـوجب الاستئناس، ولكن محلة الاموات موحشة.

٢ ـ (وأهل فراغ متشاغلين) فان الاشتغال بامر يستلزم عدم الفراغ، ولكنهم مع الفراغ متشاغلون بهمومهم .

٣ ـ (لا يستأنسون بالأوطان) مع أن حب الوطن من الايمان، ويستأنس بوطنه كـلّ انسان.

٤ ـ (ولا يتواصلون تواصل الجيران) حيث أن الجوار عند الموت لا أثر له، بالرغم من وجود مقتضيات التزاور، وهي:

اولا:(من قرب الجوار) لانها محلة واحدة .

ثانيا:(ودنو الدار) لالتصاق القبور بعضها ببعض.

٥ ـ (وكيف يكون بينهم تزاور وقد طحنهم بكلكله البلى، وأكلتهم الجنادل والثرى) الكلكل: الصدر، والبلى: الفناء، والجندل: الحجارة، والثرى: التراب؛ فإنّ هذه المـرحـلة التي يمر بها الانسان منذ قديم الازمان إلى هذه الايام توجب العبرة من الدنيا.

(٧ / ط ـ ٢٢٦) وحدة المصير:

وَكأَنْ قَدْ صِرْتُمْ إِلَى ما صَارُوا إِلَيْهِ وَارْتَهَنَكُمْ ذٰلِكَ ٱلْمَضْجِعُ. وَضَمَّكُمْ ذٰلِكَ الْمُسْتَوْدَعُ. فَكَيْفَ بِكُمْ لَوْ تَنَاهَتْ[1] بِكُمُ الْأُمُورُ وَبُعْثِرَتْ[2] الْقُبُورُ. (هُنَالِكَ[3] تَبْلُو كُلُّ نَفْسٍ مَا أَسْلَفَتْ

(١) أي وصلت الى الغاية.
(٢) في هـ. ب: اثيرت.
(٣) في ص: فهنالك، وفي هـ. ص في نسخة هنالك.

وَرُدُّوا إِلَى ٱللهِ مَوْلَاهُمُ ٱلْحَقِّ وَضَلَّ عَنْهُمْ ما كَانُوا يَفْتَرُونَ)[١].

العبرة بالدنيا يوجب وحدة المصير؛ فإنّ الامام أشار الى وحدة المصير وقال:

١ ـ (وكأن قد صرتم إلى ما صاروا اليه)؛ فإنّ الموت لا يرحم احدا.

٢ ـ (وارتهنكم ذلك المضجع) فكأنكم رهائن حتّى حلول اجل الرهينة.

٣ ـ (وضمكم ذلك المستودع) وهو القبر الذي يودع فيه جسد الميت .

٤ ـ (فكيف بكم لو تناهت بكم الامور)؛ بأن اوصلتكم الى النهاية الحتميّة لكلّ انسان .

٥ ـ (وبعثرت القبور) بفسادها وانهدامها، وحشر الاجساد منها؛ فإنّ وحدة المصير يوجب الاعتبار للاستعداد للاخرة بعد الموت والبرزخ والحشر ليوم الحساب .

وختم المقطع بقوله تعالى:﴿هنالك تبلو كلّ نفس ما أسلفت وردوا إلى الله مولاهم الحق وضل عنهم ما كانوا يفترون﴾.[٢]

[٢٢٧]

ومن دعاء له عليه السلام :

دعاء الدلالة والهداية:

(١/ط ـ ٢٢٧) حالة اللجوء:

يتضمن هذا المقطع حالة اللجوء الى الله تعالى ودعاء الدلالة والهداية الالهية.

يلجأ فيه إلى الله ليهديه إلى الرشاد

ٱللهمَّ إِنَّكَ آنَسُ ٱلآنِسِينَ لأَوْلِيَائِكَ[٣]. وَأَحْضَرُهُمْ بِالْكِفَايَةِ[٤] لِلْمُتَوكِّلِينَ عَلَيْكَ. تُشَاهِدُهُمْ[٥] فِى سَرَائِرِهِمْ. وَتَطَّلِعُ عَلَيْهِمْ فِى ضَمَائِرِهِمْ وَتَعْلَمُ مَبْلَغَ بَصَائِرِهِمْ[٦]. فَأَسْرَارُهُمْ لَكَ[٧] مَكْشُوفَةٌ[٨] وَقُلُوبُهُمْ إِلَيْكَ مَلْهُوفَةٌ[٩] إِنْ أَوْحَشَتْهُمُ ٱلْغُرْبَةُ آنَسَهُمْ ذِكْرُكَ وَإِنْ صُبَّتْ

(١) يونس : ٣٠.
(٢) يونس : ٣٠ .
(٣) في هـ . ص: تقدير الكلام انك لأوليائك آنس من يؤنس به، كما تقول أنت لي أصدق الأصدقاء، والآنسين جمع آنس فهو بمعنى النسبة فاعرف ذلك، والله أعلم.
(٤) في هـ . ص: أي أبلغهم احضاراً لكفاية المتوكلين عليه وأقومهم بذلك.
(٥) هـ . ب: تراهم.
(٦) في هـ . ب: جمع بصر وبصيرة بمعنيين.
(٧) في ب: لديك.
(٨) هـ . ب: أي ظاهرة.

عَلَيْهِمُ المَصَائِبُ لَجَأوا إِلَى ٱلإِسْتِجَارَةِ[١٠] بِكَ عِلْماً بِأَنَّ أَزِمَّةَ ٱلْأُمُورِ بِيَدِكَ. وَمَصَادِرَهَا عَنْ قَضَائِكَ .

وإلى حالة اللجوء أشار بقوله:

١ ـ (اللهم إنك آنس الآنسين لأوليائك)؛ فإنّ الولي لايلجأ إلّا إلى الله في حاجاته ولا انس له إلّا به دون غيره، فان استأنس بشيء من مخلوقاته فهو يرجع بالانس إلى خالقه على الصفة التي يوجب الانس.

٢ ـ (وأحضرهم بالكفاية للمتوكلين عليك)؛ فإنّ كلّ صاحب كفاية انما يستكفي بالله، فاعطاهم مايكيفهم مما قد يزول عنهم، والله عين الجود والكرم، وانه الحاضر بالذات في كلّ الحالات .

٣ ـ (تشاهدهم في سرائرهم)؛ لأنّه تعالى هو ﴿يعلم السر واخفى﴾.[١١]

٤ ـ (وتطلع عليهم في ضمائرهم) ممّا يصفوه في ضميرهم المستتر عن الخلق .

٥ ـ (وتعلم مبلغ بصائرهم)؛ فإنّ بصائرهم لها غايات لا يمكن أن يتجاوزها البصيرة للانسان، والله سبحانه اعلم بمنتهى ذلك.

والى ما يستلزم هذه الصفات الالهيّة أشار بقوله:

أوّلاً: (فأسرارهم لك مكشوفة) لايخفى عليك ما هي حقائقها.

ثانيا(وقلوبهم إليك ملهوفة) واللهف: شدة الشوق .

ثالثاً: (إن أوحشتهم الغربة آنسهم ذكرك) فهم بذكره تعاليل مستأنسين في الغربة .

رابعا:(وإن صبت عليهم المصائب لجأوا إلى الاستجارة بك) حيث لاملجأ سواك .

خامسا:(علما بأن أزمة الأمور بيدك ، ومصادرها عن قضائك)؛ فإنّ قضاءه سبحانه هو النافذ، وهو القادر على تغيير الامور بقدرته العليا، وهذه حالة اللجوء إلى الله سبحانه حيث تنقطع الاسباب المادية عن الوصول الى المطلوب .

(٢/ط ـ ٢٢٧) طلب الدلالة والهداية من الله:

(٩) في هـ . ب: من اللهف وهو التحسّر، وفي هـ . ص: أي صارت مستغيثة.
(١٠) في هـ . ب: الاعاذة.
(١١) طه : ٧.

أللهمَّ فإنْ فَهِهْتُ[١] عَنْ مَسْأَلَتِي. أوْ عَمِهتُ[٢] عَنْ طِلْبَتِي. فَدُلَّنِي عَلَى مَصَالِحِي. وَخُذْ بِقَلْبِي إلَى مَرَاشِدِي. فَلَيْسَ ذَلِكَ بِنُكْرٍ[٣] مِنْ هِدايَاتِكَ. وَلَا بِبِدْعٍ[٤] مِنْ كِفَايَاتِكَ.
أللهمَّ أحْمِلْنِي عَلَى عَفْوِكَ وَلَا تَحْمِلْنِي عَلَى عَدْلِكَ.

ويتضمن هذا الدعاء اللجأ الخالص إلى الله تعالى في المسألة بالتأكيد على النقاط التالية:

١ ـ (اللهم إن فههت عن مسألتي) والفهه: العجز عن البيان؛ لعظم المصيبة.
٢ ـ (أو عميت عن طلبتي) بسبب عدم المعرفة بما هو الاصلح والانسب بحالي.
٣ ـ (فدلني على مصالحي) لانك اعرف بمصلحتي في العاجل والآجل دون غيرك.
٤ ـ (وخذ بقلبي إلى مراشدي) من المواضع التي يكون فيها رشدي.

واشار إلى سببين موجبين لهذا الدعاء هما:

اولا:(فليس ذلك بنكر من هداياتك) في اكثر هداياتك للطالبين.

ثانياً: (ولا ببدع من كفاياتك) في اكثر كفاياتك لحاجة المحتاجين، فليس اي منها منكر أو جديد، بل هما من فضل الله الذي يتفضل على من يشاء بما يشاء.

وختم الدعاء بما هو من لوازم الدلالة والهداية بقوله:

٥ ـ (اللهم احملني على عفوك ولا تحملني على عدلك)؛ فإنّ مقتضى عدله الحساب الدقيق، ومقتضى عفوه الرحمة التي هو بها حقيق، وهو نعم المولى ونعم النصير في الهداية للمسير والانتقال إلى المصير.

[٢٢٨]

ومن كلام له عليه السلام:

(ط ـ ٢٢٨ / ١) يريد به بعض اصحابه:

(١) في هـ. ب: أي عجزت، وفي هـ. ص: بالكسر أي عييت.
(٢) في د: عميت، وفي هـ. د: عمهت م ل وحاشية ن، وفي هـ. ب: حيّرت، وفي هـ. ص: العمه البرود ويروي عميت.
(٣) في هـ. ص: هو العجب.
(٤) في هـ. ب: بديع، وفي هـ. ص: هو المبتدع.

لِلّهِ بِلَادُ[١] فُلَانٍ، فَقَدْ[٢] قَوَّمَ الأَوَدَ[٣]. ودَاوَى الْعَمَدَ[٤]. أقَامَ[٥] السُّنَّةَ وخَلَّفَ[٦] الْفِتْنَةَ[٧]. ذَهَبَ نَقِيَّ الثَّوْبِ[٨]. قَلِيلَ العَيْبِ. أصَابَ خَيْرَهَا[٩] وسَبَقَ شَرَّها. أدَّى إلَى اللهِ طَاعَتَهُ واتَّقَاهُ بحَقِّهِ. رَحَلَ وتَرَكَهُمْ[١٠] في طُرُقٍ[١١] مُتَشَعِّبَةٍ[١٢] لا يهْتَدِي فِيها الضَّالُّ ولا يَسْتَيْقِنُ المُهْتَدِي.

هذا المقطع نعي؛ وفاءً لشخصية اسلاميّة قيادية بأوصاف عالية، وليس في النص تصريح بالاسم، وعن محتوى الكلام المختار انّه (بعض اصحابه) من دون تسمية ايضاً، قال الشارح (ت ٦٠٦/):«وجدت النسخة التي بخط الرضي أبي الحسن جامع نهج البلاغة وتحت فلان "عمر"».[١٣]

والاوصاف التي يذكرها مثالية في القائد المسلم قد استهلها بالنعي بقوله:

(لله بلاء فلان) البلاء: الامتحان والفتنة، اي لله ما صنع، اي في سبيل الله، وفي نسخة ابن أبي الحديد جاءت هذه الحكمة (لله بلاد فلان) قال شارحاً:« العرب تقول لله بلاد فلان، ولله در فلان ولله درء فلان، ولله بارى فلان، ولله فاتح فلان، والمراد بالاول: لله البلاء التي أنشأته وانبته، وبالثاني: الثدى الذي ارضعه، وبالثالث: لله المجلس الذي ربي فيه، وبالرابع: لله النائحة التي تنوح عليه وتندبه ماذا تعهد من محاسنه».[١٤]

وقد سرد من اسباب النعي في ثلاث عشرة مادّة كالاتي:

١ ـ (فقد قوّم الأود) وهو العوج في سيرته الشخصية باعتباره شخصية قيادية في

(١) في ص: بلاء، وفي هـ. ب في نسخة: بلاد، والبلاء الصنع.
(٢) في د: فلقد، وفي هـ. د: فقد ـ ض ب.
(٣) في هـ. ب و ص: العوج.
(٤) في هـ. ب: جراحك العمدة، وفي هـ. ص: هو انشداخ السقام.
(٥) في ط و د: وأقام، وفي هـ. د: أقام ـ ش.
(٦) في هـ. ب: أي ترك.
(٧) في ط: خلف الفتنة وأقام السنة، وفي هـ. د: خلف الفتنة ـ ب.
(٨) في هـ. ب: أي انه لم يذنب.
(٩) في هـ. ب: الهاء عائد الى الدنيا علمنا ضرورة من ذكرها.
(١٠) في هـ. ب: أي أهل الدنيا.
(١١) في ص: طرقات، وفي هـ. ص في نسخة: طرق.
(١٢) في هـ. ب: بفتح العين وكسرها والكسر اليق بالصواب.
(١٣) شرح النهج ١٢: ٣.
(١٤) شرح النهج ١٢: ٣، ط/ ١٩٦١.

الاسلام.

٢ ـ(وداوى العمد) وهو الجرح في سنام البعير على اثر العلة التي حصلت في جسمه، فقد قام هذا القائد بالدواء لهذا المرض.

٣ ـ(وأقام السنة) وهي الطريقة الواضحة والمعني بها سنة رسول الله ﷺ ؛ حيث طبقها في حياته.

٤ ـ(وخلف الفتنة)؛ فإنّ بموته حصلت فتنة وامتحان في المجتمع الاسلامي الذي فقد قيادته.

٥ ـ(ذهب نقي الثوب) كناية عن عدم تلوثه بالادران المادية التي تطرأ على الثوب.

٦ ـ(قليل العيب) فهو لم يكن معصوما، فكانت عليه مؤاخذات ادارية ولكن هذه العيوب كانت قليلة بالنسبة الى خدماته الاسلاميّة.

٧ ـ(أصاب خيرها) أي خير الولاية على المسلمين؛ قال الشارح ابن أبي الحديد (ت / ٦٥٦ هـ):«أي خير الولاية، وجاء بضميرها ولم يجر ذكرها لعادة العرب في امثال ذلك كقوله تعالى: ﴿حتّى تورات بالحجاب﴾».[1]

٨ ـ (وسبق شرها) اي شر الولاية؛ فإنّ الحكم بطبيعته يستلزم نوعاً من الشر ولو من غير تعمد للحاكم، فان لمن ينفذ الحكم ـ وحتى الحكم الاسلامي ـ لا يخلوا من نزعات شخصية وقبلية قد ينفذها في فترة الحكم، ومن اجل ذلك تبرّأ الرسول القائد ممّا فعله خالد في قتل بعض الآمنين من الصحابة كما في السيرة النبوية الطاهرة.

٩ ـ(ادى إلى الله طاعته) في اداء واجبه القيادي، وتحقيق مسؤوليته الادارية.

١٠ ـ(واتقاة بحقه) باداء حقه تعالى، والقيام بما امر به.

١١ ـ(رحل وتركهم في طرق متشعبة)؛ فإنّ بموته ترك الامة الاسلاميّة على مختلف طرق، والشعب: المتبائن، فلم يخلف له وصية لشخصية قيادية واحدة تمنع من الاختلاف والتباين من بين افراد الشعب المسلم.

واشار إلى أن نتيجة هذه الحقيقة سواءً كانت مقصودة ام لا فهي حالة:

١٢ ـ اولا:(لا يهتدي فيها الضال)؛ فإنّ الطرق المتشعبة بطبيعتها تشعبها لايكون فيها

(١) شرح النهج ١٢: ٦.

هدى ؛ اذ يكون الإنسان على طرق لايدري في اي اتجاه يجب أن يسير.

ثانيا:(ولا يستيقن المهتدي)؛ فإنّ المهتدي العارف بطرق الحق من هذه الطرق المتشعبة يعلم بالحق، فليس في ضنك من الهداية، ولكن للعلم مراتب من علم اليقين وحق اليقين وعين اليقين، وحيث ان هذا القائد المتوفى لم يعين احدى هذه الطرق المتشعبة بعينه، يكون المهتدي عالماً بغير يقين، فيخالجه الشك في علمه، ويسأل نفسه: لماذا لم يعين هذا القائد طريق الحق الذي يعرفه هو؟ و اين الطريق الحق الذي يعرفه المهتدي.

وبالاجمال: النعي لهذه الشخصية القيادية نعي من قلب ناعٍ واعٍ لسيرة من ينعى بما له من الحسنات الكثيرة والمؤاخذات القليلة، فلم يكن النعي ثناء عاطراً خالياً من النقد الظاهر لمن يتأمّل السيرة الشخصية بمجموعها، وليس بالتركيز على نقطة واحدة من تاريخ حياته.

تاريخ النعي:

وقال الشارح ابن أبي الحديد (ت / ٦٥٦ هـ):« وسبق شرها اي مات أو قتل قبل الاحداث والاختلاط الذي جرى بين المسلمين».[1]

قال الجلالي: وهذا يستلزم أن يكون النعي بعد مقتل الخليفة الثالث عثمان عام (٣٥) للهجرة، والنعي بهذه الفاصله الزمنيّة اي بعد اربعة وعشرين عاماً بعيد جداً، فيكون بمناسبة ذكر الخليفة الثاني (ت/ ١١هـ) في مناسبة ما غير مذكورة. فما ذكره (ره) من الشرح بعيد أن يكون النعي للخليفة الثاني، ويقرب أن يكون لغيره من الاصحاب، والله اعلم بالصواب، ولكنّه (ره) أصرّ على أن النعي له، لا لغيره.

قال الشارح ابن أبي الحديد (ت / ٦٥٦ هـ)، ما نصّه:«وقد وجدت النسخة التي بخط الرضي أبي الحسن جامع نهج البلاغة: وتحت فلان « عمر»ـ حدثني بذلك فخار بن معد الموسوي الأودي الشاعر، وسألت عنه النقيب أبا جعفر يحيى ابن أبي زيد العلوي، فقال: لي : هو عمر ، فقلت له أيثني عليه أمير المؤمنين؈ هذا الثناء ؟ فقال: نعم اما الامامية

(١) شرح النهج ١٢: ٦، ط / ١٩٦١.

فيقولون : إن ذلك من التقية واستصلاح أصحابه واما الصالحيون من الزيدية[١] فيقولون : انه اثنى عليه حق الثناء ، ولم يضع المدح إلّا في موضعه ونصابه . واما الجارودية[٢] من الزيدية فيقولون : انه كلام قاله في أمر عثمان أخرجه مخرج الذم له ، والتنقص لأعماله ، كما يمدح الان الأمير الميت في أيام الأمير الحي بعده ، فيكون ذلك تعريضا به . فقلت له إلّا انه لا يجوز التعريض والاستزادة للحاضر بمدح الماضي ، إلّا إذا كان ذلك المدح صدقا لا يخالطه ريب ولا شبهة . فإذا اعترف أمير المؤمنين بأنه أقام السنة وذهب نقى الثوب ، قليل العيب ، وانه أدى إلى الله طاعته واتقاه بحقه فهذا غاية ما يكون من المدح وفيه ابطال قول من طعن على عثمان بن عفان . فلم يجبني بشئ وقال: هو ما قلت لك . فاما الراوندي فإنه قال: في الشرح انه‌ﷺ مدح بعض أصحابه بحسن السيرة وأن الفتنة هي التي وقعت بعد رسول الله‌ﷺ من الاختيار والإثرة . وهذا بعيد لان لفظ أمير المؤمنين يشعر اشعارا ظاهرا بأنه يمدح واليا ذا رعية وسيرة إلّا تراه كيف يقول (فلقد قوم الأود وداوى العمد وأقام السنة وخلف الفتنة (وكيف يقول) أصاب خيرها وسبق شرها (وكيف يقول) أدى إلى الله طاعته (وكيف يقول) رحل وتركهم في طرق متشعبة .

وهذا الضمير وهو الهاء والميم في قوله‌ﷺ) وتركهم (هل يصح أن يعود إلّا إلى الرعايا وهل يسوغ أن يقال: هذا الكلام لسوقه من عرض الناس وكل من مات قبل وفاة النبي‌ﷺ كان سوقه لا سلطان له فلا يصح أن يحمل هذا الكلام على إرادة أحد من الذين قتلوا أو ماتوا قبل وفاة النبي‌ﷺ كعثمان بن مظعون أو مصعب بن عمير أو حمزة بن عبد المطلب أو عبيدة بن الحارث وغيرهم من الناس والتأويلات الباردة الغثة لا تعجبني على أن أبا جعفر محمّد بن جرير الطبري قد صرح أو كاد يصرح بان المعنى بهذا الكلام عمر قال: الطبري لما مات عمر بكته النساء فقالت إحدى نوادبه وا حزناه على عمر حزنا انتشر حتى ملا البشرب وقالت ابنه أبي حثمة: وا عمراه، أقام الأود وأبرأ العمد وأمات الفتن وأحيا السنن خرج نقى الثوب بريئا من العيب .

---

(١) الصالحيون من الزيدية : أصحاب الحسن بن صالح، وانظر آرائهم في الملل والنحل للشهرستاني : ١٤٣ .

(٢) الجارودية من الزيدية أصحاب أبي الجارود زياد بن أبي زياد. الملل والنحل للشهرستاني: ١٤٠.

قال: الطبري فروى صالح بن كيسان عن المغيرة بن شعبة قال: لما دفن عمر اتيت عليا‌ﷺ وانا أحب أن اسمع منه في عمر شيئا فخرج ينفض رأسه ولحيته وقد اغتسل وهو ملتحف بثوب لا يشك أن الامر يصير إليه فقال: رحم الله ابن الخطاب لقد صدقت ابنة أبي حثمة) ذهب بخيرها ونجا من شرها (اما والله ما قالت ولكن قولت.

وهذا كما ترى يقوى الظن أن المراد والمعنى بالكلام إنما هو عمر بن الخطاب».[١]

وخصص الشارح ابن أبي الحديد (ت / ٦٥٦ هـ)(ره) جزأً كاملاً لسيرة عمر بعد هذه الخطبة، كما خصص فصلا في ذكر ما طعن به ممّا ذكره القاضي عبد الجبار المعتزلي (ت / ٤٥١) في المغني، وما أجاب عنها الشريف المرتضى علي بن الحسين (ت / ٤٣٦ هـ) في الشافي في الصفحات: ١٩٥ ـ ٢٨٩ من المجلد ١٢، ط / ١٩٦١، فراجع .

[٢٢٩]

ومن كلامه‌ﷺ فى وصف بيعته بالخلافة وقد تقدم مثله بألفاظ مختلفة .

قال الجلالي: راجع الخطبة ٥٣ و ٩٠ و ١٣٧.

(١ / ط ـ ٢٢٩) الموقف من البيعة ووصف بيعته بالخلافة:

وَبَسَطْتُمْ يَدِى فَكَفَفْتُهَا. وَمَدَدْتُمُوهَا فَقَبَضْتُهَا. ثُمَّ تَدَاكَكْتُمْ[٢] عَلَيَّ تَدَاكَّ ٱلإِبِلِ ٱلْهِيمِ[٣] عَلَى حِيَاضِهَا يَوْمَ وِرْدِهَا[٤] حَتَّى ٱنْقَطَعَتِ النَّعْلُ[٥] وَسَقَطَ الرِّدَاءُ وَوُطِىءَ الضَّعِيفُ وَبَلَغَ مِنْ سُرُورِ النَّاسِ بِبَيْعَتِهِمْ إِيَّاىَ أَنِ ٱبْتَهَجَ[٦] بِهَا الصَّغِيرُ وَهَدَجَ[٧] إِلَيْهَا ٱلْكَبِيرُ وَتَحَامَلَ[٨] نَحْوَهَا ٱلْعَلِيلُ وَحَسَرَتْ[٩] إِلَيْهَا ٱلْكَعَابُ[١٠] .

---

(١) شرح نهج البلاغة ؛ ابن أبي الحديد ١٢ : ٣ ـ ٥.

(٢) في هـ . ب: تراحمتم، وفي هـ . ص: التداك: الزحام الشديد.

(٣) الهيم: العطاش.

(٤) في ب و ط : وردها، وفي هـ . د: وردها ـ ل ش ح وحاشية ن، وفي هـ . ب: في نسخة: ورودها.

(٥) في هـ . د: النعال ـ م.

(٦) في هـ . ب: أي انه ابتهج.

(٧) في هـ . ب: من الدبيب لضعفه، وفي هـ . ص: مشى مشياً ضعيفاً.

(٨) في ص: نحا، وفي هـ . ص: تحامل، وفي هـ . ب: حمل نفسه مع جماعة من المرضى وجاء الي.

(٩) في هـ . ب: أي كشفت النساء الشبان .

يستطرد الإمام في موقفه عليه السلام من البيعة عام ٣٥ بعد الخليفة عثمان، قبل انعقادها، والسبب في قبولها، واثارها.

وعن الموقف أشار بقوله عليه السلام:

١ ـ (وبسطتم يدي فكففتها) فالحالتان مختلفان، فالبسط من الناس: طلب للبيعة، والكف من الإمام: امتناع عنهاحتى تنعقد علها آراء الاغلبية من دون تسرع .

٢ ـ (ومددتموها فقبضتها) فهما كذلك حالتان مختلفتان، ومدها من جانب الراغبين للتسرع في انعقاد البيعة، والقبض من الإمام للتأكد من اجتماع الاغلبية عليها.

وعن السبب من قبول البيعة قال عليه السلام:

(ثمّ تداككتم عليّ تداك الإبل الهيم على حياضها يوم ورودها) والتداك: التزاحم، والهيم: العطشان من الابل العطاش حيث تتزاحم عند الماء للشرب، وهكذا كانت حالة المبايعين في بيعة الإمام.

وعن صفة هذا الرأي الجماعي قال عليه السلام:

أوّلاً: (حتّى انقطعت النعل) .

ثانيا: (وسقط الرداء) .

ثالثا: (ووطئ الضعيف).

فان هذه الحالات تعبر عن رأي جماعي جماهيري، وليس مجلس بيعة خاصة تخدم مصالح خاصة تدار من قبل أشخاص معدودين، وفي مثل هذه الدعوة الجماهيرية الى البيعة الجماهرية لايمكن التخلص من المسؤولية ، بل يجب على من يتواجد فيه المؤهلات المطلوبة قبولها والعمل على طبقها، وهذا ما فعله الإمام.

وعن الاثار المشاهدة في هذه البيعة قال:

١ ـ (وبلغ من سرور الناس ببيعتهم إياي) بحكم انها بيعة جماهيرية تختلف عن كلّ انواع البيعات التي تقدمت، من البيعة يوم السقيفة للخليفة الاول، حيث كان بالمناشدة بين المهاجرين والانصار.

ومن البيعة للخليفة الثاني؛ حيث كانت بالوصية من ابي بكر وحده، من دون مشاركة

(١٠) في هـ . د: وحسرت عن ساقها الكعاب، جمع كاعب، وفي هـ . ص: الجارية قد نهد ضرعها فهي تتخفّر وتتستر.

احد.

ومن البيعة للخليفة الثالث، حيث كان باجتماع ستة.

في حين أن بيعه الناس للإمام كانت بيعة عامة جماهيرية.

واشار الى امثلة لسرور الناس على اختلاف طبقاتهم بقوله:

اولا:(أن ابتهج بها الصغير) فإنّه وجد في هذه البيعة دوراً جديدا .

ثانيا:(وهدج إليها الكبير) والهدج: المشي على ضعف؛ فإنّ الشيخ الكبير اشترك في هذه البيعة على ضعفه وبالرغم من شيخوخته .

ثالثا: (وتحامل نحوها العليل) وهو صاحب العلة والمرض، فانه حمل نفسه على المشاركة في هذه البيعة بالرغم من كونه مريضا.

رابعا:(وحسرت إليها الكعاب) والحسرة: الكشف، والكعاب: السحاب؛ فإنّ البيعة كانت مكشوفة للعامة، حيث امتنع الإمام عن البيعة الخاصة التي لايشترك فيه الاغلبية من الجميع المجتمع الاسلامي.

وعلى هذه النقاط الاربع كانت مواقفه عليه السلام في حربه وسلمه، ولم يقرر فيها قراراً شخصيا، بل بمشاركة الاغلبية؛ فإنّ الامور الادارية رابطة عقد بين الحاكم الاسلامي باعتباره القائد، وبين القاعدة باعتبارها الرعية، ولايمكن لأيّة ادارة حكومية أن تنجح من دون مساندة الاغلبية في ذلك المجتمع إلّا أن يكون حكماً دكتاتوريا فيكون بالغلبة، وهذا مرفوض اساساً في الاسلام ؛ لان الحكم يبتني على الشورى حيث قال تعالى: ﴿وامرهم شورى بينهم﴾.[١]

وبعد أن تنعقد البيعة بشروطها تكون ملزمة للجانبين.

[٢٣٠]

ومن خطبة له عليه السلام :

تتضمن حقيقة التقوى والعمل، وخصائص الموت والاستعداد للاخرة، وخصائص الدنيا وحقيقة الزهاد.

(١) الشورى :٣٨ .

(ط - ٢٣٠ / ١) **في حقيقته التقوى:**

فَإِنَّ تَقْوَى ٱللهِ مِفْتَاحُ سَدَادٍ[١]. وَذَخِيرَةُ مَعَادٍ. وَعِتْقٌ مِنْ كُلِّ مَلَكَةٍ وَنَجَاةٌ مِنْ كُلِّ هَلَكَةٍ[٢]. بِهَا يَنْجَحُ الطَّالِبُ وَيَنْجُو ٱلْهَارِبُ وَتُنَالُ الرَّغَائِبُ[٣] .

وإلى حقيقة التقوى أشار بقوله:

١ ـ (فإن تقوى الله مفتاح سداد)؛ فإنّ الوقاية عن الخطر مفتاح الصائب من القرار بالقول أو العمل في الحياة .

٢ ـ (وذخيرة معاد) حيث يكون بالتقوى العمل في الدنيا ذخراً ليوم المعاد .

٣ ـ (وعتق من كلّ ملكة) وهي كلّ ما يملك الإنسان ويمنعه من الحرية في التفكير والعمل، ومنها: الذنوب.

٤ ـ (ونجاة من كلّ هلكة) حيث أن التقوى يقي الإنسان عن الهلاك في الدنيا والآخرة.

والى آثار التقوى أشار بقوله:

اولا: (بها ينجح الطالب) لأي شئ كان في الحياة؛ فإنّ الوقاية عن الاخطار المحتملة تقيه من مثبطات النجاح .

ثانيا: (وينجو الهارب) من العقوبات التي تستلزم المخالفات؛ فإنّ بالتقوى يتوقى الإنسان منها، فيكون بها نجاحه .

ثالثا: (وتنال الرغائب) وهي ما يرغب فيه الإنسان في الحياة من الاهداف التي يريد تحقيقها، فبالتقوى يقي نفسه من الاخطار المانعة عنها والمعوقة لها.

فبالتقوى واثارها يتحقيق السعادة والاستقامة في الحياة .

(ط - ٢٣٠ / ٢) **فضل العمل:**

فَاعْمَلُوا وَٱلْعَمَلُ يُرْفَعُ وَٱلتَّوْبَةُ تَنْفَعُ، وَٱلدُّعَاءُ يُسْمَعُ وَٱلْحَالُ هَادِئَةٌ[٤] وَٱلْأَقْلَامُ جَارِيَةٌ

---

(١) في هـ . ص: سداد قيل هو بفتح السين وكسرها بمعنى واحد، وقيل السداد بالفتح الرشاد وبالكسر السّد، والله أعلم.

(٢) في هـ . د: عبارة «وعتق من كل ملكة ونجاة من كل هلكة» ساقطة من ف ن .

(٣) في هـ . ب: جمع الرغيبة وهي الرغبة له.

(٤) في هـ . ب: أي ساكنة، من قولهم: هدأ الناس وهم هادئون، اذا سكنوا، وفي هـ . ص: أي ساكنة.

وَبَادِرُوا بِالْأَعْمَالِ عُمْراً نَاكِساً[١] وَ[٢] مَرَضاً حَابِساً[٣] أَوْ مَوْتاً خَالِساً[٤] .

وإلى فضل العمل أشار بقوله:

(فاعملوا) فإنّه لا ينفع القول بدون عمل على طبق ذلك في الحالات التالية:

١ ـ(والعمل يرفع) والواو حالية، اي في الوقت الذي يرفع فيه العمل، وهو وقت الدنيا.

٢ ـ (والتوبة تنفع)؛ فإنّ التوبة لا تنفع عند الموت .

٣ ـ(والدعاء يسمع)؛ فإنّ الله هو السميع العليم لاستجابة الدعاء في الدنيا، حيث أنها موضع العمل والتوبة والدعاء، دون الاخرة.

واكد على ذلك بقوله:

٤ ـ (والحال هادئة) في هذه الحالة التي هي الدنيا يكون الهدوء، على العكس من الآخرة التي يكون فيها الاضطراب من خوف الحساب.

٥ ـ(والأقلام جارية) وهذه الحالة التي تكون الاقلام بقبول التوبة جارية تكتب بواسطة الملائكة، على العكس من حال الآخرة حيث انّه لا مجال لكتابة الاعمال، لانه يوم نتائج الاعمال.

ثمّ أشار إلى وجوب المبادرة الى العمل في الدنيا بقوله:

(وبادروا بالأعمال) لاسباب ثلاث، هي:

اولا: (عمرا ناكسا) اشارة إلى قوله تعالى:﴿ومن نعمره ننكّسه في الخلق﴾[٥]؛ فإنّ العمر يتقدم بالانسان الى النقصان، فالقوى يضعف في العمل.

ثانيا: (أو مرضا حابسا)؛ فإنّ العوارض التي تعرض حياة الإنسان كالمرض يمنعه عن العمل.

ثالثا: (أو موتا خالسا) والخلس: المفاجئة؛ فإنّ بالموت ينقطع الإنسان عن العمل.

وهذه الحقائق يوجب العمل في الدنيا استعداداً للاخرة .

---

(١) في هـ . ب: أي ناقصاً، و في هـ . ص من قوله تعالى: ﴿ومن نعمّره ننكّسه في الخلق﴾ يس : ٣٦ / ٦٨.

(٢) في د: أو.

(٣) في هـ . ص: أي يمنع من العمل.

(٤) في هـ . ب و ص: أي مختبطاً.

(٥) يس : ٦٨.

(ط - ٣ / ٢٣٠) من خصائص الموت :

فَإِنَّ المَوْتَ هَادِمُ[١] لَذَّاتِكُمْ، وَمُكَدِّرُ[٢] شَهَوَاتِكُمْ وَمُبَاعِدُ طِيَّاتِكُمْ[٣] زَائِرٌ غَيْرُ مَحْبُوبٍ وَقِرْنٌ غَيْرُ مَغْلُوبٍ، وَوَاتِرٌ[٤] غَيْرُ مَطْلُوبٍ، قَدْ أَعْلَقَتْكُمْ[٥] حَبَائِلُهُ، وَتَكَنَّفَتْكُمْ[٦] غَوَائِلُهُ[٧]، وَأَقْصَدَتْكُمْ مَعَابِلُهُ[٨]، وَعَظُمَتْ فِيكُمْ سَطْوَتُهُ. وَتَتَابَعَتْ[٩] عَلَيْكُمْ[١٠] عَدْوَتُهُ وَقَلَّتْ عَنْكُمْ نَبْوَتُهُ[١١]. فَيُوشِكُ[١٢] أَنْ تَغْشَاكُمْ دَوَاجِي[١٣] ظُلله، وَٱحْتِدَامُ[١٤] عِللِهِ، وَحَنَادِسُ[١٥] غَمَرَاتِهِ[١٦]. وَغَوَاشِي[١٧] سَكَرَاتِهِ. وَأَلِيمُ إِرْهَاقِهِ[١٨]. وَدُجُوُّ[١٩] إِطْبَاقِهِ[٢٠]. وَخُشُوبَةُ[٢١] مَذَاقِهِ[٢٢]. فَكَأَنْ قَدْ أَتَاكُمْ بَغْتَةً فَأَسْكَتَ نَجِيُّكُمْ[٢٣]

(١) في ض: هاذم ، وفي هـ. ص الهدم بالمعجمة: القطع.
(٢) في هـ. ب: منغص .
(٣) في هـ. ب: منازلكم، وفي هـ. ص: الطية بالكسر منزل المسافر.
(٤) في هـ. ب: حاقد، وفي هـ. ص الواتر القاتل، والوتر: الذحل .
(٥) في هـ. ص اعلقتكم أي جعلتكم متعلقين فيها، ويروى علقت بغير همز أي تشبثت والحبائل جمع حبالة: المصيدة.
(٦) في هـ. ب: تكنف اجتمع، وفي هـ. ص أي أحاطت بكم.
(٧) في هـ. ب: جمع غائلة وهي الفساد.
(٨) هـ. ب: المعبل السهم والمعابل جمع، هـ. ص المعابل جمع معبله وهي سهم عريض والمراد سهامه واقصدتكم: أصابتكم فأثرت.
(٩) في هـ. ب: بالباء أيضاً وبالياء هنا أليق.
(١٠) في هـ. ب: تعديه .
(١١) في هـ. ب: وثبته، وفي هـ. ص؛ مصدر نبا السيف، وينبو اذا لم يؤثر في الضرب.
(١٢) في هـ. ص: أي يسرع .
(١٣) في هـ. ب: جمع الداجية، وهي الظلمة، وفي هـ ص وهي ما اطبق.
(١٤) في هـ. ب: اضطراب، وفي هـ. ص: اضطرام واشتداد.
(١٥) في هـ. ب: ظلمات، وفي هـ. ب: الحندس : الظلمة.
(١٦) في هـ. ب: شدائد.
(١٧) في هـ. ب: جمع غاشية.
(١٨) في د : ازهاقه و في هـ. د: ارهاقه ح ب ش وازهاق بالزاي والراء ـ ن، وفي هـ ص مصدر أرهق: أي اعجل. وغشى ويروى : ازهاقه بالزاي.
(١٩) في هـ. د: ودجو، بالحاء ـ ك ر.
(٢٠) في هـ. ب: أي ظلمة أطباقه، جمع طبق.
(٢١) في هـ. ص: جشوبة يروى بالجيم والباء، بمعنى غلظ الأكل وربما يروى خشونة بالخاء والنون، ضد الليونة.
(٢٢) في هـ. ب: من الذوق.
(٢٣) في هـ. ص النجي المتناجون وقد يكون من النجوىٰ.

وَفَرَّقَ نَدِيَّكُمْ[١]. وَعَفَى آثَارَكُمْ. وَعَطَّلَ دِيَارَكُمْ. وَبَعَثَ وُرَّاثَكُمْ، يَقْتَسِمُونَ تُرَاثَكُمْ. بَيْنَ حَمِيمٍ خَاصٍّ لَمْ يَنْفَعْ. وَقَرِيبٍ مَحْزُونٍ لَمْ[٢] يَمْنَعْ. وَآخَرَ شَامِتٍ لَمْ يَجْزَعْ.

وأشار إلى خصائص الموت فقال عن خصائص الموت في نفسه:

١ ـ (فإنّ الموت هادم لذاتكم) فلا تكون اللذة في الحياة خالدة .

٢ ـ (ومكدر شهواتكم) وهي الرغبات في الحياة، فلا تتم الرغبات لاحد بالموت القاهر.

٣ ـ (ومباعد طياتكم) والطية: المسافة التي يقطعها المسافر؛ فإنّ الموت يجعلها مسافة بعيدة بين الموت والحياة، فيبتعد الإنسان عن اهدافه التي يريد تحقيقها في الحياة .

٤ ـ (زائر غير محبوب) فلا يحبه احد قط، والداعي على نفسه بذلك كاذب؛ اذ لو كان صادقا لكان ميتاً.

٥ ـ (وقرن غير مغلوب) والقرن: الكفؤ الذي يغالب في ساحة الحرب، ولكنّ الموت هو الغالب دائما.

٦ ـ (وواتر غير مطلوب) والواتر: القاتل الذي لا يمكن المقاصة منه .

وعن خصائص الموت في وسائله قال:

٧ ـ (قد أعلقتكم حبائله) التي تستعمل للتعليق بما يراد صيده.

٨ ـ (وتكنفتكم غوائله) التكنف: الاحاطة، والغائلة: المصيبة الكبرى من دلائل الموت كالمرض والسقم.

٩ ـ (وأقصدتكم معابله) القصد: الاصابة، والمعبلة: النبل الذي يستخدم للاصابة.

١٠ ـ (وعظمت فيكم سطوته) بالقضاء على كلّ من كان معكم .

١١ ـ (وتتابعت عليكم عدوته) وهي الكرة بعد الكرة .

١٢ ـ (وقلت عنكم نبوته) وهي الخطأ والعثرة .

وعن خصائص الموت في اثاره في نفسه، قال:

١ ـ (فيوشك أن تغشاكم دواجي ظلله) والغشيان: الاحاطة، والداجية: الظلمة، والظلل: السحاب، فللموت اثار ظلمة تحيط بالإنسان احاطة تامة.

(١) في هـ. ب: أي فرق محفلكم، وفي هـ. ص: الندى مجتمع القوم.
(٢) في ص: لا، وفي هـ. ص في نسخة: لم.

٢ ـ (واحتدام علله) والاحتدام: الشدة، والعلل: الامراض .

٣ ـ (وحنادس غمراته) والحندس: الظلمة الشديدة، والغمرة: شدة الكراهة.

٤ ـ (وغواشي سكراته) والسكرة: حالة النزع، وغشيانها: الاستيلاء على الإنسان .

٥ ـ (وأليم إرهاقه) والارهاق: الشر المؤلم .

٦ ـ (ودجو إطباقه) والدجو: الظلام، والاطباق: الاحاطة التامة.

٧ ـ (وجشوبة مذاقه) والجشب: ما لايستساغ طعمه.

وعن آثار الموت في المجتمع قال:

١ ـ (فكأن قد أتاكم بغتة) من دون سابق انذار.

٢ ـ (فأسكت نجيكم) الذي هو في حالة النجوى والحديث سراً .

٣ ـ (وفرق نديكم)الذي يجتمع في النادي للشورى .

٤ ـ (وعفى آثاركم) بمحو مالكم من الآثار في الحياة .

٥ ـ (وعطل دياركم) التي هي عامرة باهلها فتعطل بالموت .

٦ ـ (وبعث وراثكم)؛ فإنّ الموت الذي يفني الميت في نفس الوقت يحيي وارثه؛ فإنّ الوارث لايمكن أن يكون وارثا إلّا بعد موت مورثه .

٧ ـ (يقتسمون تراثكم) وهو الارث الذي ورثه هؤلاء الوراث، والوراث على ثلاثة اصناف:

اولا:(بين حميم خاص لم ينفع) فهو صديق حميم في الحياة، ولكن لا يمكنه عمل شئ بعد الوفاة.

ثانيا:(وقريب محزون لم يمنع) فهو بحكم القرابة محزون على الميت ولكن لا يمكنه عمل شئ بعد الموت .

ثالثا:(وآخر شامت لم يجزع) فهو بحكم عداوته لايجزع من موت هذا، وفي نفس الوقت يأخذ ميرثه شامتاً.

وهذه الخصائص للموت في نفسه، ووسائله، واثاره في نفسه وفي غيره، يدعوا الى الاستعداد للاخرة .

(ط ـ ٢٣٠/٤) الاستعداد للاخرة:

فَعَلَيْكُمْ بِالْجَدِّ وَالاِجْتِهَادِ. وَٱلتَّأَهُّبِ وَالأَسْتِعْدَادِ. وَٱلتَّزَوُّدِ فِى مَنْزِلِ الزَّادِ. وَلَا تَغُرَّنَّكُمُ

الدُّنْيا(١) كَمَا غَرَّتْ مَنْ كَانَ قَبْلَكُمْ مِنَ ٱلْأُمَمِ ٱلْمَاضِيَةِ وَٱلْقُرُونِ ٱلْخَالِيَةِ ٱلَّذِينَ ٱحْتَلَبُوا دِرَّتَهَا(٢) وَأَصَابُوا غِرَّتَهَا(٣) وَأَفْنَوْا عِدَّتِهَا(٤) وَأَخْلَقُوا جِدَّتِهَا(٥). أَصْبَحَتْ مَسَاكِنُهُمْ أَجْدَاثاً(٦) وَأَمْوَالُهُمْ مِيرَاثاً لَا يَعْرِفُونَ مَنْ أَتَاهُمْ وَلَا يَحْفِلُونَ(٧) مَنْ بَكَاهُمْ وَلَا يُجِيبُونَ مَنْ دَعَاهُمْ فاحْذَرُوا الدُّنْيَا فَإِنَّهَا غَدَّارَةٌ(٨) غَرَّارَةٌ خَدُوعٌ مُعْطِيَةٌ مَنُوعٌ مُلْبِسَةٌ نَزُوعٌ لَا يَدُومُ رَخَاؤُهَا وَلَا يَنْقَضِى عَنَاؤُهَا وَلَا يَرْكُدُ بَلَاؤُهَا.

وعن الاستعداد للاخرة قال:

١ ـ (فعليكم بالجد والاجتهاد) والجد في الارادة الاستعداد والاجتهاد بالعمل على طبقها.

٢ ـ (والتأهب والاستعداد) ولعل التأهب مرحلة متقدمة على الاستعداد .

٣ ـ (والتزود في منزل الزاد) فكل منزل يفتقر الى الزاد مما يفتقر الإنسان اليه .

٤ ـ (ولا تغرنكم الحياة الدنيا كما غرت من كان قبلكم من الأمم الماضية والقرون الخالية) فإنّها كانت في غفلة عن مسؤولياتها للاخرة، وأكبت على الماديات فقط.

والى أمثلة الغرور في الامم السالفة أشار إلى :

اولا:(الذين احتلبوا درّتها) والدرّة: اللبن،كناية عن المنافع المادية للدنيا، فاهتموا بها كما يهتم الراعي باحتلاب اللبن من الناقة .

ثانياً: (وأصابوا غرتها) والغرّة: الغفلة، ولم يعتبروا بها وغفلوا عن الآخرة .

ثالثا:(وأفنوا عدتها) والعدة: ما فيها من وسائل الحياة المادية .

رابعا: (وأخلقوا جدتها) والجدة: ما يستجد من الشئ، فجعلوها خلقة بالية.

وعن نتيجة ذلك حسب مايتوهمه الماديون للموت:

١ ـ (أصبحت مساكنهم أجداثا) والجدث: القبر، حيث نزلوا اليه من دون اختيار منهم.

---

(١) في ط: الحياة الدنيا، وفي هـ. د. الحياة الدنيا ـ ض ح ب .
(٢) في هـ. ب: أي الدنيا.
(٣) في هـ. ب: أي غفلتها، وجاءت هذه الفقرة في ص بعد: وأخلقوا حدتها.
(٤) في هـ. ب: عددها.
(٥) أي جعلوا جديدها خلقاً قديماً بطول أعمارهم .
(٦) الأجداث: القبور.
(٧) في هـ. ب: أي لا يبالون.
(٨) في غير ط : غرارة، وفي هـ. د: فانها غدارة غرارة ـ ض ح ب .

٢ ـ (وأموالهم ميراثا) يتقاسمه غيرهم، تركوه لهم لاينتفعون منه شيئا.

٣ ـ(لا يعرفون من أتاهم) لانهم اجساد فاقدة للروح .

٤ ـ (ولا يحفلون من بكاهم) اي لايهتمون ببكاء الباكين؛ لأنّ البكاء لاينفعهم ولا يضرهم.

٥ ـ (ولايجيبون من دعاهم) كما كانوا يجيبون في الدنيا لحل مشاكلهم.

وهذه النتائج الخمس كما يفهمه الماديون ثابتة للاجساد المجردة عن الروح، وهذا هو المفهوم من لفظ الميت، ولكن هذه النتائج ليست للروح المجردة عن الجسد، فإنّها اصبحت حرة بالموت من قيود الجسد، وليس مسكنها القبور.

ويعرف من يقصد زيارة القبور أنه يزور الاجساد وهي لاتحفل بالبكاء ولاتجيب الدعاء؛ لانها عاجزة عن ذلك كلّه بحكم طبيعتها التي لا يعلمها إلّا الله سبحانه، ونعم ما قال الشيخ الرئيس (ت / ٤٢٨) في القصيدة العينية

هبطت اليك من المحل الارفع	ورقاء ذات تعزّز وتمنع

إلى قوله:

انعم برد جواب ما أنا فاحص	عنه فنار العلم ذات توقّد

وقد ختم الامام خصائص الدنيا فقال:

(فاحذروا الدنيا)؛ لأنّ الاستعداد للاخرة يستلزم الابتعاد عن مغريات الدنيا، وعدها بقوله:

١ ـ(فإنها غدارة ، غرارة، خدوع) بالجمع بين صفات الغدر والغرور والخدعة .

والغدر: عدم الوفاء .

والغرور: الاغفال .

والخدعة: المكر .

٢ ـ(معطية منوع) فهي تعطي من جهة، ولكنها تمنع بالموت من جهة اخرى.

٣ ـ(ملبسة نزوع) فهي تلبس الإنسان شيئا ولكنها في نفس الوقت تنزعه .

٤ ـ (لا يدوم رخاؤها)؛ فإنّ الرخاء يستمر مادام الإنسان في الصحة والسلام، لكنه ينقلب الى الضد بالسقم والمرض والشيخوخة.

٥ ـ(ولا ينقضي عناؤها) وهو المشقة التي تلازم الحياة في العمل فيها.

٦ ـ(ولا يركد بلاؤها) والركود: التوقف بالسكون؛ فإنّ بلايا الدنيا مستمرة مادامت الحياة .

منها فى صفة الزهّاد:

(٥ / ط ـ ٢٣٠) صفة الزهاد:

كَانُوا قَوْماً مِنْ أَهْلِ ٱلدُّنْيَا[١] وَلَيْسُوا مِنْ أَهْلِهَا[٢] فَكَانُوا فِيهَا كَمَنْ لَيْسَ مِنْهَا عَمِلُوا فِيهَا بِمَا يُبْصِرُونَ وَبَادَرُوا فِيهَا مَا يَحْذَرُونَ تَقَلَّبُ أَبْدَانُهُمْ بَيْنَ ظَهْرَانَـيْ[٣] أَهْـلِ ٱلْآخِـرَةِ[٤]. يَرَوْنَ[٥] أَهْلَ الدُّنْيَا يُعَظِّمُونَ مَوْتَ أَجْسَادِهِمْ وَهُمْ أَشَدُّ إِعْظَاماً لِمَوْتِ قُلُوبِ أَحْيَائِهِمْ.

وعن وصف الزهاد قال:

١ ـ (كانوا قوما من أهل الدنيا وليسوا من أهلها، فكانوا فيها كمن ليس منها) فهم يعيشون في الدنيا ولكن لايعرفون بها، ونتيجة ذلك انهم يعيشون وكأنهم ليسوا من الناس الذين ينبهرون بها وبمباهجها .

٢ ـ(عملوا فيها بما يبصرون) فلا تكون اعمالهم في الدنيا إلّا ما يرونه واضحاً، وعملوا ما هو الصالح وتركوا ما هو غير الصالح .

٣ ـ(وبادروا فيها ما يحذرون) فانهم يبادرون إلى ما يحذرون منه وهو الموت بالسبق إلى الاعمال الصالحة التي تنفع للموت ماداموا هم في الدنيا، ولم يؤخروا واجباتهم تجاه الموت إلى ما بعد الموت .

٤ ـ (تقلب أبدانهم بين ظهراني أهل الآخرة) فهم يحضرون مجالس اهل الآخرة، فتكون ابدانهم واجسادهم بين اولئك وليس في مجالس الذين تغرهم الدنيا بمظاهرها .

٥ ـ (يرون أهل الدنيا يعظمون موت أجسادهم) فانهم يشاهدون مواقف اهل الدنيا وانهم يعظمون موت اجسادهم لوقوعهم في مغريات الحياة ويتخذون من ذلك درسا لانفسهم .

---

(١) في هـ. ص: لوجودهم فيها.

(٢) في هـ. ص: أي المؤثرين لها المريدين لها.

(٣) في هـ. ص: ظهراني بفتح النون ولا يجوز كسرها، والمعنى في وسطهم من الشرح.

(٤) في هـ. ص: أي انهم لإيقانهم بما بعد الموت واهتمامهم به صاروا كمن لاقاه كما قال في كلامه الآخر السابق كانما قطعوا الدنيا الى الآخرة.

(٥) في ط: ويرون.

(وهم أشدّ إعظاما لموت قلوب أحيائهم)؛ فإنّ نتيجة الدرس انهم يصبحوا اشد إعظاما لموت القلوب في الاجساد وهي حية.

وبالاجمال فان حال الزهاد حال اهل الآخرة، وهو على النقيض من حال اهل الدنيا؛ فإنّ اهل الدنيا يهتمون بالاجساد،، واهل الآخرة بالقلوب ويرى احدهم الموت بالجسد والاخر بالروح.

وهذه النقاط الخمس من صفة الزهاد يحث على العمل باحياء القلوب في الدنيا: والله الموفق.

[٢٣١]

ومن خطبة له عليه السلام خطبها بذي قار[١] وهو متوجّه إلى البصرة، ذكرها الواقديّ في كتاب الجمل :

فَصَدَعَ[٢] بِمَا أُمِرَ[٣] وَبَلَّغَ رِسَالاتِ[٤] رَبِّهِ فَلَمَّ[٥] ٱللهُ بِهِ الصَّدْعَ وَرَتَقَ بِهِ ٱلْفَتْقَ وَأَلَّفَ بِهِ[٦] بَيْنَ ذَوِى ٱلْأَرْحَامِ بَعْدَ ٱلْعَدَاوَةِ ٱلْوَاغِرَةِ[٧] فِي الصُّدُورِ، وَالضَّغَائِنِ ٱلْقَادِحَةِ[٨] فِي ٱلْقُلُوبِ.

(١/ ط - ٢٣١) من خصائص الرسول صلى الله عليه وآله :

يتضمن هذا المقطع بعض خصائص الرسول صلى الله عليه وآله ، وهي:

١ - (فصدع بما أمر به) والصدع: الشق، كناية عن اعلان الاسلام كما امر به تعالى .

٢ - (وبلغ رسالات ربه) كما هو المطلوب من تحمل مسؤولية الرسالة.

وعن نتيجة هذه الرسالة قال:

اولا:(فلمّ الله به الصدع) الذي كان في المجتمع من الانشقاق بعبادة الاوثان والاعراض عن التوحيد، وهو موجب للشق في وحدة الكلمة في المجتمع بعقيدة

---

(١) في هـ ص موضع قريب من البصرة ومنها كانت وقعة العرب مع الفرس قبل الاسلام.
(٢) أي جهر.
(٣) في ط أمر به، وفي هـ. ب: يعني النبي صلى الله عليه وآله.
(٤) في د: رسالة، وفي هـ. د: رسالات ض ح ب .
(٥) في هـ. ب: جمع .
(٦) لم ترد «به» في د، وفي هـ. د: وألّف به الشمل بين - ض ح ب، وألّف به بين - ش.
(٧) في هـ. ب: الحاصلة، وفي هـ. ض ذات الوغرة وهي شدة الحر.
(٨) في هـ. ص كأنها تقدح منها النار، تمت من الشرح.

التوحيد .

ثانيا:(ورتق به الفتق) حتّى اصبح الشق الحاصل في المجتمع امراً واحداً بوحدة الكلمة في العقيدة كما في اخباره بما يصلح المجتمع، كالثوب الذي يقوم الخياط بفتقه وقصه ثم رتقه وخياطته بما يناسب حال من يلبس الثوب .

ثالثا:(وألف به ذوي الأرحام بعد العداوة الواغرة في الصدور ، والضغائن القادحة في القلوب)؛ فإنّ المجتمع الاسلاميّ الابراهيمى ازاح كلّ الاسباب الداعية الى الشرك من العداوة الواغرة، وهي التي تدخل في الصدور مختبئة ويظهر اثارها فجأة، والضغينة: الحقد التي تقدح كالنار مشتعلة في القلوب .

وبعد ازاحة هذه الامراض الاجتماعية كان النبيّ صلى الله عليه وآله سببا الاهيا لايجاد المجتمع الاسلامي الجامع بين افراد المجتمع بروابط اجتماعية اسلاميّة جديدة تبتني على صلة الارحام وغيرها من مقومات المجتمع الاسلامي.

[٢٣٢]

ومن كلام له عليه السلام كلم به عبدالله بن زمعة[١] وهو من شيعته، وذلك أنه قدم عليه في خلافته[٢] يطلب منه مالا فقال عليه السلام :

إِنَّ هَذَا المَالَ لَيْسَ لِى وَلَا لَكَ، وَإِنَّمَا هُوَ فَيْءُ الْمُسْلِمِينَ وَجَلْبُ[٣] أَسْيَافِهِمْ فَإِنْ شَرِكْتَهُمْ فِى حَرْبِهِمْ كَانَ لكَ مِثْلُ حَظِّهِمْ وَإِلَّا فَجَنَاةُ[٤] أَيْدِيهِمْ لَا تَكُونُ لِغَيْرِ أَفْوَاهِهِمْ.

(١/ ط - ٢٣٢) فيء المسلمين:

كانت سياسة الإمام المالية تتبع السيرة النبوية حرفيا، ومن ذلك التسوية في العطاء من بيت مال المسلمين لكل المسلمين من دون تفضيل طبقي أو عرقي أو ما شابه من

---

(١) في هـ. ص: بفتح الميم بن الأسود بن المطلب بن أسد بن عبد العزىٰ بن قصي، وكان عند الله شيعة لعلي عليه السلام ومن أصحابه، ومن ولد عبد الله هذا أبو البختري القاضي، وهو وهب بن وهب بن وهب بن كثير بن عبد الله بن زمعة، كان قاضي الرشيد هارون بن محمّد بن المهدي، وكان منحرفا عن علي عليه السلام ، وهو أفتى الرشيد ببطلان الأمان الذي كتبه ليحيى بن عبد الله بن الحسن بن الحسن بن علي بن أبي طالب عليهم السلام ، وأخذه بيده فمزّقه. من الشرح ١٣: ١١.
(٢) هـ. ب: أي في أيام خلافته.
(٣) في هـ. ص: أي ما جلبته وساقته البهم.
(٤) في هـ. ب: من الجني من الثمرة، وفي هـ. ص هي ما تجتنىٰ من ثمر الشجر، وهذه استعارة واضحة.

الفروق، ومن هذا المنطلق يقول الإمام:

١ ـ (إن هذا المال ليس لي ولا لك)؛ لأنّه ليس ارثا لاحد منا حتّى يكون الحق شخصيا لأيّ منها، وانما القائد عليه المسؤولية بأنّ يقوم بالواجب الاسلامي فيه.

٢ ـ (وإنما هو فئ للمسلمين وجلب أسيافهم) والفئ لبيت مال المسلمين الذي يجب أن يصرف في مصلحة الاسلام والمسلمين من دون تمييز، ويتحمل مسؤولية ذلك قائد المسلمين، والجلب: هو المال المجلوب في الحرب غنيمة وفيئا، والفئ: ما يؤخذ من دار الحرب من دون قتال من القوة العسكرية بسبب جلب اسيافهم.

وعن الواجب الاسلامي في الفئ قال:

اولا:(فإنّ شركتهم في حربهم كان لك مثل حظهم) فيكون الفئ غنيمة الحرب ويقسم بين المشاركين في الحرب خاصة.

ثانيا:(وإلّا فجناة أيديهم لا تكون لغير أفواههم)؛ لأنّ الفئ لايكون إلّا للمشارك في الحرب، وأما غير المشارك فلا حق له فيه؛ لأنّ الفئ جني: اي ثمرة جهده الحربي، فلا يمكن أن يكون لغيره، وللتفصيل في هذا البحث يرجع الى المادة في المعجم.

قال الشارح ابن أبي الحديد (ت / ٦٥٦هـ)، ما نصّه:

[عبد الله بن زمعة ونسبه]

هو عبد الله بن زمعة، بفتح الميم، لا كما ذكره الراوندي، وهو عبد الله بن زمعة بن الأسود بن المطلب بن أسد بن عبد العزى بن قصي. كان الأسود من المستهزئين الذين كفى الله رسوله أمرهم بالموت والقتل، وابنه زمعة ابن الأسود، قتل يوم بدر كافرا، وكان يدعى زاد الركب، وقتل أخوه عقيل بن الأسود أيضا كافرا يوم بدر، وقتل الحارث بن زمعة أيضا يوم بدر كافرا، والأسود هو الذي سمع امرأة تبكي على بعير تضله بمكة بعد يوم بدر، فقال:

أتبكي أن يضل لها بعير ... ويمنعها من النوم الهجود
ولا تبكي على بدر ولكن ... على بدر تقاصرت الجدود
إلّا قد ساد بعدهم أناس ... ولولا يوم بدر لم يسودوا

وكان عبد الله بن زمعة شيعة لعلي عليه السلام ومن أصحابه، ومن ولد عبد الله هذا أبو البختري القاضي، وهو وهب بن وهب بن كبير بن عبد الله بن زمعة، قاضي الرشيد هارون بن

محمّد المهدى، وكان منحرفا عن علي عليه السلام، وهو الذي أفتى الرشيد ببطلان الأمان الذي كتبه ليحيى بن عبد الله بن الحسن بن الحسن بن علي بن أبي طالب عليه السلام، واخذه بيده فمزقه. وقال: أُميّة بن أبي الصلت يرثى قتلى بدر، ويذكر زمعة بن الأسود: عين بكى لنوفل ولعمرو، ثم لا تبخلي على زمعة نوفل بن خويلد من بني أسد بن عبد العزى، ويعرف بابن العدوية، قتله علي عليه السلام، وعمرو أبو جهل بن هشام، قتله عوف بن عفراء، وأجهز عليه عبد الله ابن مسعود. قوله عليه السلام: «وجلب أسيافهم» أي ما جلبته أسيافهم وساقته إليهم، والجلب: المال المجلوب وجناه الثمر ما يجنى منه، وهذه استعارة فصيحة».[1]

[٢٣٣]

ومن كلام له عليه السلام:

أَلَا وَإِنَّ ٱللِّسَانَ بَضْعَةٌ[2] مِنَ ٱلْإِنْسَانِ فَلاَ يُسْعِدُهُ[3] ٱلْقَوْلُ إِذَا ٱمْتَنَعَ وَلَا يُمْهِلُهُ ٱلنُّطْقُ إِذَا ٱتَّسَعَ[4]. وَإِنَّا لَأُمَرَاءُ ٱلْكَلَامِ وَفِينَا تَنَشَّبَتْ عُرُوقُهُ[5] وَعَلَيْنَا تَهَدَّلَتْ[6] غُصُونُهُ.

(١ / ط ـ ٢٣٣) خصائص اللسان:

يتضمن هذا المقطع الاشارة إلى خصائص اللسان ودوره في حياة الإنسان، فان اللسان يعبر عما في ضمير الإنسان، فلابد للمتكلم أن يتصور موضوعاً خاصاً، ثم يعبر عنه باللسان، فاذا لم يكن في ذهنه تصور عن موضوع خاص فانه لايمكن ان يستخدم اللسان لشئ لم يتهيأ له، فليس اللسان إلّا آلة للتعبير عما في الضمير، والى ذلك أشار

(١) شرح نهج البلاغة؛ ابن أبي الحديد ١٣: ١٠ ـ ١٢.
(٢) في هـ. ص: أي قطعة لحم.
(٣) في هـ. ص: ضمير المفعول للسان.
(٤) في هـ. ص قوله :ولا يمهله النطق، الضمير يعود الى الانسان وتقدير الكلام: فلا يسعد اللسان القول اذا امتنع الانسان عن القول ولا يمهل اللسان القول اذا اتسع الانسان للقول، والمعنىٰ ان اللسان آلة للانسان فاذا صرفه صارف عن الكلام لم يكن الانسان ناطقاً واذا دعاه داع الى الكلام نطق اللسان بما في ضمير صاحبه، انتهى من الشرح. قال فيه: واعلم ان أمير المؤمنين عليه السلام قال: هذا الكلام في واقعة اقتضت وذلك انه أمر ابن اخته جعدة بن هبيرة المخزومي أن يخطب الناس يوماً فصعد المنبر وأحصر فلم يستطع الكلام فقام أمير المؤمنين عليه السلام فتسنم ذروة المنبر وخطب خطبة طويلة ذكر الرضى منها هذه الكلمات، تمت.
(٥) في هـ. ب: أي عروق الكلام، وفي هـ. ص: أي علقت وتمكنت كتمكن عروق الشجر.
(٦) في هـ. ب: أي ارسلت.

بقوله:

١ ـ (ألا إن اللسان بضعة من الانسان) والبضعة: الجزء المقطع من الشئ، واللسان كسائر اعضاء الإنسان هو جزء من هيكله.

٢ ـ (فلا يسعده القول إذا امتنع) فلا يمكن للسان أن يتكلم اذا امتنع عليه التكلم بسبب عدم ما يريد التكلم حوله، أو لعدم استعداده للتكلم لأي سبب كان، فلا يمكن أن يؤدي دوره المطلوب منه اذا لم

يستعد للموضوع والمادّة التي يريد التكلم عنها .

٣ ـ (ولا يمهله النطق إذا اتسع) ؛ فإن اتسع الكلام بالاستعداد للمادّة التي يجب التكلم عنها فينطق اللسان معبرا عما في الضمير، ويكون النطق مستمراً من دون مهلة كما هي الحال في الكلام الارتجالي الذي يقوم به الإنسان في حالات الفرح والحزن، فلا يتمالك لسانه.

وهذه الحقائق الثلاث للسان تحدد دوره المطلوب منه في حياة كلّ انسان متكلم للاستعداد للمادّة التي يريد الكلام عنها ثم المبادرة بالكلام.

ثمّ عقب هذه الحقائق الثلاث بحقائق ثلاث عن السبب فقال:

اولا:(وإنّا لأمراء الكلام) حيث ترعرع الادب في بيت ابي طالب، ودوانه معروف في عصره ومن بعده، وكانت بلاغه القرآن الكريم الذي تلقاه الرسول كتابا تخرج الامام عليه .

اهل بيت النبيّ ﷺ:

وهم باعتبارهم الطليعة في التخرج من مدرسة القرآن والسنة، كانت لهم الريادة في الكلام، وخطب الامام وقصار كلماته شواهد حيّة على ذلك .

ثانيا:(وفينا تنشبت عروقه): والنشب: تعلقها، كما تتغذّى الشجرة بالعروق.

ثالثا:(وعلينا تهدلت غصونه) والتهدل: التدلي والتظليل.

وفي ذلك اشارة إلى أن الثقافة الاسلاميّة التي تلقاها اهل البيت عن جدهم استولت على حياتهم، فهم استمدوها من القرآن الكريم والسنة واثمرت عليهم .

ونتيجة ذلك: أن الاستعداد لمواضيع الكلام حاصل، فيكون استخدام اللسان لايصال هذه المفاهيم لغيرهم طبيعيا لهم، واما غيرهم ممّن لم يتخرج من مدرسة النبوّة فيفتقر إلى

تحصيل هذا الاستعداد حتّى يتمكن من استخدام اللسان لأداء دوره.

قال الشارح ابن أبي الحديد (ت / ٦٥٦ هـ)، ما نصّه:«واعلم إن هذا الكلام قاله أمير المؤمنين عليه السلام في واقعة اقتضت أن يقوله، وذلك أنه أمر ابن أخته جعده بن هبيرة المخزومي أن يخطب الناس يوما، فصعد المنبر، فحصر ولم يستطع الكلام، فقام أمير المؤمنين عليه السلام فتسنم ذروه المنبر، وخطب خطبة طويلة، ذكر الرضى رحمه الله منها هذه الكلمات».[1]

(٢/ ٢٣٣ ـ ط) زمن المعاصرة وفساد الزمان:

وَٱعْلَمُوا رَحِمَكُمُ ٱللهُ أَنَّكُمْ فِي زَمَانٍ ٱلْقَائِلُ فِيهِ بِالْحَقِّ قَلِيلٌ وَٱللِّسَانُ عَنِ ٱلصِّدْقِ كَلِيلٌ وَٱللاَّزِمُ لِلْحَقِّ ذَلِيلٌ. أَهْلُهُ مُعْتَكِفُونَ عَلَى ٱلْعِصْيَانِ مُصْطَلِحُونَ عَلَى ٱلْإِدْهَانِ[2] فَتَاهُمْ عَارِمٌ[3]. وَشَائِبُهُمْ[4] آثِمٌ. وَعَالِمُهُمْ مُنَافِقٌ[5]. وَقَارِؤُهُمْ[6] مُمَاذِقٌ[7]. لَا يُعَظِّمُ صَغِيرُهُمْ كَبِيرَهُمْ. وَلَا يَعُولُ غَنِيُّهُمْ فَقِيرَهُمْ.

اشار عليه السلام اول زمن المعاصرة للنبيّ التي كان فيها ؛ فإنّ الناس على طائفتين:

أوّلاً: اهل الحق واصحاب المبادئ ووصفهم بقوله:

١ ـ (واعلموا رحمكم الله أنكم في زمان القائل فيه بالحق قليل) لقلة اصحاب الرؤية الواضحة للمبادئ والوسائل والاهداف الاسلاميّة .

٢ ـ (واللسان عن الصدق كليل) والكلل: العجز عن الاداء؛ فإنّ في ساحة الحرب خاصة تكثر الدعايات ويقل فيها معرفة الصدق من الكذب .

٣ ـ(واللازم للحق ذليل) في عيون من يجهل الحق؛ لأنّ اصحاب الباطن يتظاهرون بالمظاهر الدنيوية، واصحاب الحق يمتنعون عن ذلك، ومن الطبيعي أن يكون اصحاب الرؤية الواضحة هم القلّة في المجتمع.

---

(١) شرح نهج البلاغة ؛ ابن أبي الحديد ١٣ : ١٣.
(٢) في ط: أهله مصطلحون على الادهان، وفي هـ . د: عبارة «مصطلحون على الإدهان» من ب، وفي ب: الإدهان، وفي هـ . ب من المداهنة.
(٣) في هـ . ب: مفسد، وفي هـ . ص: بالعين المهملة: الشرير المفسد شرس الخلق.
(٤) في هـ . ب: شهادتهم.
(٥) في هـ . ص: يعتقد ويقول غير الحق ويتظاهر بالاسلام، وهذه صنعة علماء العامة، ومن أحرز منه ظهرا ثم كثروا.
(٦) في ط: وقارئهم، وفي هـ . ص: عابدهم.
(٧) في هـ . ب: مخلط، وفي هـ . ص: أي مرائي.

ثالثاً: اصحاب الدنيا، وهم على الضد من صفات اصحاب المبادئ، وقد وصفهم بقوله:

١ ـ (أهله معتكفون على العصيان) للرحمان في اوامره ونواهيه.

٢ ـ (مصطلحون على الإدهان) اي المداهنة والمسابقة في سبيل المصالح المادية.

٣ ـ (فتاهم عارم)؛ فإنّ نتيجة مواقف اصحاب الدنيا أن يكون الفتى منهم شديداً.

٤ ـ (وشائبهم آثم) والشائب: الذي صار شعره ابيضا؛ لتقدمه في السن، فإنّه آثم لتركه الأمر بالمعروف والنهي عن المنكر، وبمنع الشاب الشرس عن المواقف الشرسة.

٥ ـ (وعالمهم منافق) حيث انّه يقول ما لا يفعل، وهو اظهر مظاهر النفاق.

٦ ـ (وقارئهم مماذق) لشوبه الحق بالباطل، حيث انّه يقرأ القرآن ولا يعمل به.

٧ ـ (لا يعظم صغيرهم كبيرهم) باهمال واجب الحقوق الاجتماعية تجاه الكبار.

٨ ـ (ولا يعول غنيهم فقيرهم) بواجبات الغني باعالة اصحاب الحاجة.

فان هذه الصفات متضادة بين الطائفتين في كلّ زمان ومكان، ولكنّه في عصر الإمام كانت في دور الامتحان للناس بسبب الحرب الاهلية القائمة التي حددت المواقف بين المتحاربين، والله اعلم.

[٢٣٤]

ومن كلامله عليه السلام:

روى ذُعْلب اليمانيّ[١] عن أحمد بن قتيبة، عن عبدالله بن يزيد عن مالك بن دِحْية[٢]، قال: كنّا عند أمير المؤمنين عليه السلام، فقال وقد ذكر عنده اختلاف الناس[٣]:

إِنَّمَا فَرَّقَ بَيْنَهمْ مبَادِیءُ طِينِهمْ[٤]، وذَلِك أَنَّهمْ كَانُوا فِلْقَةً[٥] مِنْ سَبَخِ أَرْضٍ وَعَذْبِهَا، وَحَزْنِ تُرْبَةٍ[٦] وَسَهْلِهَا، فَهمْ عَلَى حَسَبِ قُرْبِ أَرْضِهِمْ يَتَقَارَبُونَ؛ وَعَلَى قَدْرِ اخْتِلافِها

---

(١) في ب: روى الثمالي، وفي ط ذوى ذعلب اليمامي، وفي هـ.د: روى اليماني ـ ش، وفي هـ ص: الذعلب والذعلبة الناقة السريعة قسمي به وهو من رجال الشيعة ومحدثيهم، ذكره في الشرح.

(٢) في ب: دحنّة.

(٣) في د: وقد ذكر عنده اختلاف الناس فقال.

(٤) في هـ. ب: في نسخة طينتهم، أي ابتداء أصلهم.

(٥) في هـ. ب: قطعه.

(٦) هـ. د: وحزون تربة ـ ش.

يَتَفَاوَتُون، فَتَامُّ الرُّوَاءِ[١] نَاقِصُ الْعَقْلِ، ومادُّ الْقَامَةِ[٢] قَصِيرُ الْهِمَّةِ. وَزَاكِي الْعَمَلِ[٣] قَبِيحُ المَنْظَرِ، وَقَرِيبُ الْقَعْرِ[٤] بِعيدُ السَّبْرِ[٥]، ومعْرُوفُ الضَّرِيبَةِ[٦] مُنْكَرُ الْـجَلِيبَةِ[٧]، وتَـائِهُ ٱلقَلْبِ مُتَفَرِّقُ اللُّبِّ. وَطَلِيقُ الِّلسانِ حَدِيدُ ٱلجَنانِ.

(١ / ط ـ ٢٣٤) اصناف الناس:

ظاهر النص أن اختلاف اصناف الناس يرجع طينتهم، واستنكر الشارح ابن أبي الحديد (ت / ٦٥٦ هـ) هذا، وذهب إلى تأويل الكلام إلى انّه يريد اختلاف النفوس المدبرة للابدان.[٨]

واظن ـ والله العالم ـ أن النص يعني بالطينة: الجبينات الحية التي توجد في كل من منيّ الرجل وبويضة المرأة، ومنها يتكون الجنين في الرحم حتى يولد طفلا مستوي الخلقة؛ فإنّ الجينات تتوارث ادق الصفات من الإنسان.

والنص يشير إلى ثلاثة حقائق عن خلق الإنسان يرتبط باختلاف اصنافه.

الحقيقة الاولى: ان الله خلق ابا البشر آدم من طين؛ فإنّه تعالى قال: ﴿هو الذي خلقكم من طين ثم قضى أجلاً﴾.[٩] وقوله: ﴿لقد خلقنا الإنسان من سلالة طين﴾.[١٠] وقوله: ﴿الذي احسن كلّ شئ خلقه وبدأ خلق الإنسان من طين﴾.[١١] وكثير من الآيات والروايات في الباب (راجع المادّة في المعجم).

والى هذه الحقيقة أشار بقوله:

---

(١) في هـ. ب: أي تمام المنظر، وفي هـ. ص: الرواء بالمد والهمز: المنظر الحسن.

(٢) في هـ. ص: أي طويلها.

(٣) في هـ. د: زاكي العقل ـ م، وفي الهامش: العمل، وفي هـ. ص: يريد بزكاء أعماله: سدادها وصلوحها.

(٤) في هـ. ص: يريد قصير القامة.

(٥) في هـ. ص: أي هو داهية لا يوقف على سرّه.

(٦) في هـ. ب: الخلق والطبيعة، وفي هـ ص الضريبة هي الخليقة الأصلية والجليبة الخلق الذي يتكلّفه الانسان ويتحيله مثل أن يكون جباناً بالطبع فيتكلف الشجاعة، وشحيحاً بالطبع فيتكلف الجود.

(٧) في هـ. ب: الجليبة ما يفعله الانسان على خلاف طبعه.

(٨) راجع: شرح النهج ١٣ : ١٩، ط / ١٩٦٠.

(٩) الانعام: ٢٠٢.

(١٠) المؤمنون: ١٢.

(١١) السجدة: ٧.

١ ـ (انما فرق بينهم مبادي طينتهم) أي الطين الذي خلق منه آدم، وان هذا الطين الاصلي هو السبب في تفرق الناس إلى اصناف، فالتفق يرجع إلى الاصل الذي منه خلق آدم .

الحقيقة الثانية:

ان الطين الذي خلق منه آدم لم يكن من بقعة واحدة من الارض، بل كان طينا خليطا من انواع مختلفة، اشار اليها بقوله:

١ ـ (وذلك أنهم كانوا فلقة) اي قطعة، وقد تكونت هذه من انواع اربعة:

اولا: (من سبخ أرض) والسبخ: أي المالح، وبسبب الملوحة لاتنبت الارض .

ثانيا:(وعذبها) والعذب: الطيب، وبسبب الطيب تصلح الارض للنبات .

ثالثا:(وحزن تربة) والحزن: ما غلظ من الارض وارتقع، والتراب: ما نعم من الارض .

رابعاً: (وسهلها) والسهلة: الارض الممتدة سطحها .

وهذه الانواع الاربعة من الارض ليست على مستوى واحد من المادة والأثر، ففي السبخة ملوحة، وفي العذب طيب، وهما متضادان في الطعم، وكذلك الحزنة فيها صلابة ما، والتربة فيها نعومة، والسهلة فيها رخاوة، فهي صفات متضادة.

وهذه الانواع المتضادة اختلطت في المادة التي تكون منها خلق ادم عليه السلام .

الحقيقة الثانية:

ان نسل ابي البشر ادم توارثوا منه جيلا بعد جيل الجينات الحية التي كانت في اصل خلقته المكونة من هذه الانواع المختلفة، وانتقلت هذه الجينات في اصناف الناس المتسلسلين على مدى العصور والايام، وستتسلسل حتى يوم القيامة، والى ذلك أشار عليه السلام بقوله:

أوّلاً: (فهم على حيث قرب أرضهم يتقاربون)؛ فإنّ تقارب الجينات عن طبقة خاصة يشكل منهم مجموعة خاصة تمتاز في اللون والجنس وما شابه في الآثار .

ثانيا:(وعلى قدر اختلافها يتفاوتون) فكلما اختلفت الجينات في النسل تفاوتت المجموعة في الآثار المترتبة على تلك الجينات .

هذا، ومن الثابت في علم الاجنة أن بعض الجينات تكون فعالة، وبعضها تكون ساكنة لا تؤثر إلّا بعد اجيال، وانا لست من اختصاص هذا الفن، ولعل من هو من اهلها ويجد في

نفسه القدرة والكفاءة ان يشرحها .

في عصر الإمام:

وإلى الصفات في عصر الإمام التي شاهدها وشاهد الاوصاف التي ذكرها والترابط بينها بعوامل البيئة والطبيعة والتربية اثرا مباشرا أو غير مباشر فيها فحصل في عصره ارتباط بينها .

الأوّل: (فتام الرواء ناقص العقل) والرواء: حسن المنظر؛ فإنّ ذلك يكون غالبا سببا للاغترار بالجمال، والغرور علامة نقص العقل بعامل التربية ايضاً .

ثانيا:(وماد القامة قصير الهمة) والمد: الطول، ومن الامثال العامية في عصرنا:« الطول طول النخلة والعقل عقل الصخلة».

الثالث: (وزاكي العمل قبيح المنظر)؛ فإنّ قبح المنظر في نظر البعض نقص، يحاول صاحبه أن يحسنه بالعمل الزاكي .

الرابع: (وقريب القعر بعيد السبر) والقعر: العمق، كناية عن قصر الجسم المجتمع مع السبر، وهو القوة في التفكير.

الخامس :(ومعروف الضريبة منكر الجليبة) والضريبة: الطبيعة، والجليبة: ما يظهره كالجلباب أي يغطي الطبيعة متظاهرا بها؛ فانه لايمكن ستر الإنسان ما جبل عليه؛ فإنّ الطبيعة في البدن لايغيرها إلّا الكفن.

السادس: (وتائه القلب متفرق اللب) حيث يفقد التركيز على شئ، فيكون فكره تائها بسبب ذلك.

السابع: (وطليق اللسان حديد الجنان)؛ فإنّ الطلاقة تعبر عن فكر عميق مسبق يتكلم عنه بطلاقة، دون من لم يتكلم فلا يكون طلقا؛ فإنّ الارتباط بين هذه الاصناف السبعة التي وردت في النص وبين الصفات المذكورة ليست كلية ولا عامة؛ فإنّ الوجدان يشهد على خلاف ذلك وعليه يصح القول بان هذه الاصناف من الجينات ما تقتضي هذه الآثار، وان هاك مايتغلب عليها بعوامل التربية والبيئة والطبيعة في تغيير الاصناف إلى اضدادها .

فيكون كلام الإمام مشيراً إلى ما شاهد من ارتباط بين هذا الاصناف والصفات في أفراد كثيرين في عصره، والله العالم .

قال الشارح ابن أبي الحديد (ت / ٦٥٦ هـ)، ما نصّه:« ذعلب واحمد وعبد الله ومالك

، رجال من رجال الشيعة ومحدثيهم . وهذا الفصل عندي لا يجوز أن يحمل على ظاهره ، وما يتسارع إلى افهام العامة منه ، وذلك لان قوله " انهم كانوا فلقة من سبخ ارض وعذبها " ، اما أن يريد به أن كل واحد من الناس ركب من طين ، وجعل صورة بشرية طينيّة برأس وبطن ويدين ورجلين ، ثم نفخت فيه الروح كما فعل بآدم ، أو يريد به أن الطين الذي ركبت منه صورة آدم فقط كان مختلطا من سبخ وعذب ، فان أريد الأول فالواقع خلافه ، لان البشر الذين نشاهدهم ، والذين بلغتنا اخبارهم لم يخلقوا من الطين كما خلق آدم ، وإنما خلقوا من نطف آبائهم . وليس لقائل إن يقول : لعل تلك النطف افترقت لأنها تولدت من أغذية مختلفه المنبت من العذوبة والملوحة ، وذلك لان النطفة لا تتولد من غذاء بعينه ، بل من مجموع الأغذية ، وتلك الأغذية لا يمكن أن تكون كلها من ارض سبخة محضة في السبخية ، لان هذا من الاتفاقات التي يعلم عدم وقوعها ، كما يعلم أنه لا يجوز أن يتفق أن يكون أهل بغداد في وقت بعينه على كثرتهم لا يأكلون ذلك اليوم إلّا السكباج خاصة ، وأيضا فان الأرض السبخة ، أو التي الغالب عليها السبخية ، لا تنبت الأقوات أصلا وان أريد الثاني ، وهو أن يكون طين آدم عليه السلام مختلطا في جوهره ، مختلفا في طبائعه ، فلم كان زيد الأحمق يتولد من الجزء السبخي وعمرو العاقل يتولد من الجزء العذبي وكيف يؤثر اختلاف طين آدم من ستة آلاف سنه في أقوام يتوالدون الان . والذي أراه إن لكلامه عليه السلام تأويلا باطنا ، وهو أن يريد به اختلاف النفوس المدبرة للأبدان ، وكنى عنها بقوله " مبادئ طينهم " ، وذلك انها لما كانت الماسكة للبدن من الانحلال ، العاصمة له من تفرق العناصر ، صارت كالمبدأ وكالعلة له من حيث إنها كانت علة في بقاء امتزاجه واختلاط عناصره بعضها ببعض ، ولذلك إذا فارقت عند الموت افترقت العناصر ، وانحلت الاجزاء ، فرجع اللطيف منها إلى الهواء ، والكثيف إلى الأرض».[1]

[٢٣٥]

ومن كلام له عليه السلام قاله وهو يلي غسل رسول الله صلى الله عليه وآله وتجهيزه:

بِأَبِي أَنْتَ وَأُمِّي لَقَدِ انْقَطَعَ بِمَوْتِكَ مَا لَمْ يَنْقَطِعْ بِمَوْتِ غَيْرِكَ مِنَ النُّبُوَّةِ وَالْأَنْبَاءِ[2]

(١) شرح نهج البلاغة ؛ ابن أبي الحديد ١٣ : ١٨ ـ ١٩.
(٢) في هـ. ص: بكسر الهمزة، مصدر انبأ، وروي بفتحها جمع نبأ.

وَأَخْبَارِ السَّمَاءِ خَصَّصْتَ حَتَّى صِرْتَ مُسْلِياً[1] عَمَّنْ سِوَاكَ وَعَمَمْتَ[2] حَتَّى صَارَ النَّاسُ فِيكَ سَوَاءً.

وَلَوْلَا أَنَّكَ أَمَرْتَ بِالصَّبْرِ وَنَهَيْتَ عَنِ الْجَزَعِ لَأَنْفَدْنَا عَلَيْكَ مَاءَ الشُّؤُونِ[3] وَلَكَانَ الدَّاءُ مُمَاطِلاً[4] وَالْكَمَدُ مُحَالِفاً[5] وَقَلَّا لَكَ[6]، وَلَكِنَّهُ مَا لَا يُمْلَكُ رَدُّهُ وَلَا يُسْتَطَاعُ دَفْعُهُ بِأَبِي أَنْتَ وَأُمِّي اذْكُرْنَا عِنْدَ رَبِّكَ وَاجْعَلْنَا مِنْ بَالِكَ[7].

(١ / ط ـ ٢٣٥) في رثاء الرسول:

يتضمن الرثاء لموت النبيّ صلى الله عليه وآله وأثر الموت والادب الاسلامي عند الموت، فقال:

١ ـ (بأبي أنت وأمي يارسول الله) بفداء اعز الناس اليه، وعن خصوصيه موت النبيّ قال:

٢ ـ (لقد انقطع بموتك ما لم ينقطع بموت غيرك من النبوة والأنباء وأخبار السماء)؛ فإنّ النبيّ محمّد صلى الله عليه وآله بحكم كونه خاتم الانبياء ابلغ من الرسالة ما لم يبلغه الاخرون، كما انقطع بموته ما لم ينقطع بموت غيره، فإنّه كان مصدقا لما بين يديه من التوراة والانجيل دونهم.

وعن اثر موت النبيّ صلى الله عليه وآله أشار الى أن له اثران ؛ خاص وعام، بقوله:

أوّلاً: (خصصت حتّى صرت مسليا عمن سواك) فإنّ النبيّ صلى الله عليه وآله خصص بنفسه مصيبة بالاعلان عن ذلك في جماعة خاصة من اهل بيته، فكان هذا التخصيص مسليا لهم، فقد روى البخاري: «أن النبيّ صلى الله عليه وآله دعا فاطمة في شكواه الذي قبض فيه فبكت، ولما اسرّ اليها بشئ فضحكت، فسألتها عائشة عن ذلك فقالت عليها السلام: لقد سارني أنه يقبض في مرضه هذا فبكيت، ثمّ سارني أنّي اول اهل بيته اتبعه فضحكت» فان هذا التخصيص كان مسليا لها .

(١) في هـ. ب: من السلوة، يقال مات رسول الله، وفي هـ. ص: أي خصت مصيبتك أهل بيتك حتى انهم لا يكترثون بما يصيبهم بعدك من المصائب ولا بما أصابهم من قبل وعمّت هذه المصيبة الناس حتىٰ استوى الخلائق كلهم فيها فهي مصيبة خاصة بالنسبة وعامة بالنسبة، انتهى من الشرح ١٣:٢٥.
(٢) في هـ. ب: عمت بموته جميع الناس.
(٣) ماء الشئون: يراد بها شئون الدمع، وهي مجاري الدموع في الرأس.
(٤) هـ. ص: أي مماطلاً بالبرء أي لا يجيب إلى الاقلال والابلال والافاقة، انتهى من الشرح.
(٥) في هـ. ب: أي الحزن محالفاً، أي ملازماً.
(٦) أي قليلاً لك.
(٧) في هـ. ب: قلبك.

ثانيا:(وعممت حتّى صار الناس فيك سواء) فاستوى جميع الخلق في فقدان اول من طبق حكم الله على الارض من الانبياء، فاصحبوا جميعاً سواء في هذا العزاء.

وعن الواجب الاسلامي في موت النبيّ قال:

١ ـ(ولولا أنك أمرت بالصبر ونهيت عن الجزع) عند الموت كأدب اسلامي يجب أن يلتزم به في الحياة لكان البديل مايلي:

أوّلاً: (لأنفدنا عليك ماء الشؤون) والنفاد: الفناء، والشؤون: منع الدمع .

ثانيا: (ولكان الداء مماطلا) والمطل: التاخير، والداء: هو الحزن على المصيبة باستمرار.

ثالثا: (والكمد محالفا) والكمد: الحزن، والمحالف: الملازم .

رابعاً: (وقلا لك)؛ فإنّ كلا من الداء المماطل والكمد المحالف قليل بالنسبة الى مصيبة موت النبيّ صلى الله عليه وآله .

٢ ـ (ولكنّه ما لا يملك رده ولا يستطاع دفعه)؛ فإنّ الموت ممّا لايملك رده ومنعه، فإنّه ارادة الله تعالى التي لا تردّ، فلا يستطيع احد دفعه، فلا محيص سوى الرضا برضا الله تعالى .

٣ ـ(بأبي أنت وأمي، اذكرنا عند ربك، واجعلنا من بالك) وفي المقام يقصر الكلام إلّا من العهد على ذكر الله سبحانه على كلّ حال، وطلب الدعاء من رسول الاسلام بأن يذكره عند الله في الاخرة كما كان في الدنيا.

اللهم ارزقنا زيارته في الدنيا وشفاعته في الآخرة .

[٢٣٦]

ومن كلام له عليه السلام اقتص فيه ذكر ما كان منه بعد هجرة النبي صلى الله عليه وآله ثم لحاقه[1] به :

فَجَعَلْتُ أَتْبَعُ مَأْخَذَ رَسُولِ اللهِ صلى الله عليه وآله ، فَأَطَأُ ذِكْرَهُ حَتَّى انْتَهَيْتُ إِلَى الْعَرْجِ [2].

في كلام طويل:

(١) في هـ. ب: لحقه، أي وصل الى النبي صلى الله عليه وآله.
(٢) في هـ. ب: منزل.

قَالَ الرَّضِيُّ رَحِمَهُ اللهُ تَعالَى[1] : قَوْلُهُ عليه السلام : «فَأَطَأُ ذِكْرَهُ» ، مِنَ الْكَلامِ الَّذِى رُمِىَ بِهِ إِلَى غَايَتَى الإِيجَازِ وَالْفَصَاحَةِ ، أَرَادَ أَنِّى كُنْتُ أُغَطِّى[2] خَبَرَهُ صلى الله عليه وآله مِنْ بَدْءِ خُرُوجِي إلى أن انتهَيْتُ إِلى هَذَا الْمَوْضِعُ، فَكَنَى عَنْ ذَلِكَ بِهَذِهِ الْكِنَايَةِ الْعَجِيبَةِ .

(١ / ط ـ ٢٣٧) اتباع الرسول صلى الله عليه وآله :

يشير المقطع على وجازته الى امرين للإمام عليّ عليه السلام بعد ليلة المبيت في فراش النبيّ صلى الله عليه وآله وقاية له من مؤامرة مشركين قريش على قتل النبيّ صلى الله عليه وآله في ١٢ ربيع الأوّل، الليلة الأولى للهجرة .

الامرالأوّل: أن الإمام علي كان على علم بالطريق الذي سلكه النبيّ صلى الله عليه وآله في الهجرة من مكة إلى المدينة حيث قال: (فجعلت أتبع مأخذ رسول الله) والمأخذ: الطريق الذي اخذ الرسول سلوكه ؛ فإنّ اتباع الطريق لايمكن إلّا بعد العلم به مسبقا، وقال محمّد بن اسحاق في كتاب المغاري:«لم يعلم رسول الله صلى الله عليه وآله احداً من المسلمين ما كان عزم عليه في الهجرة إلّا علي بن أبي طالب وابا بكر بن أبي قحافة، اما علي؛ فإنّ رسول الله اخبره بخروجه وامره أن يبيت على فراشه يخادع المشركين عنه ليروا انّه لم يبرح فلا يطلبونه».[3]

الامر الثاني: ان هدف الإمام كان اخبار النبي عن الاوضاع في مكة في اسرع وقت ممكن حيث قال: (فأطأ ذكره حتّى انتهيت إلى العرج) ومعناه ـ كما قال الشريف ـ:«كنت اغطي خبره من بدء خروجي إلى أن انتهيت الى هذا الموضع، وهو العرج».

وقال الشارح ابن أبي الحديد (ت / ٦٥٦ هـ):« العرج منزل بين مكة ومدينة، واليه العرجي الشاعر وهو عبدالله بن عمر بن عثمان بن عفان بن أبي العاص بن أُميّة بن عبد شمس».[4]

وقال ياقوت (ت / ٦٢٦): «وهي قرية جامعة في واد من نواحي الطائف، اليها ينسب العرجي الشاعر».[5]

(١) لم ترد «قال الرضي رحمه الله تعالىٰ» في د.
(٢) في د: أعطىٰ وفي هـ. ب: أي اعطى أنا .
(٣) شرح النهج ١٣ : ٣٤، ط /١٩٦٠ .
(٤) شرح النهج ١٣ : ٣٠٣، ط /١٦٦٠.
(٥) معجم البلدان ٤ : ٩٨، ط / ١٩٩٥.

[٢٣٧]

ومن خطبة له عليه السلام :

فَاعْمَلُوا وَأَنْتُمْ فِى نَفَسِ(١) ٱلْبَقَاءِ، وَٱلصُّحُفُ مَنْشُورَةٌ(٢)، وَٱلتَّوْبَةُ مَبْسُوطَةٌ(٣)، وَالمُدْبِرُ(٤) يُدْعَى، وَالمُسِيءُ يُرْجَى(٥)، قَبْلَ أَنْ يَخْمُدَ(٦) ٱلْعَمَلُ، وَيَنْقَطِعَ المَهَلُ، وَيَنْقَضِيَ ٱلْأَجَلُ، وَيُسَدَّ بَابُ(٧) التَّوْبَةِ، وَتَصْعَدَ المَلاَئِكَةُ(٨). فَأَخَذَ(٩) ٱمْرُؤٌ مِن نَفْسِهِ لِنَفْسِهِ، وَأَخَذَ مِنْ حَيٍّ لِمَيِّتٍ(١٠)، وَمِنْ فَانٍ(١١) لِبَاقٍ، وَمِنْ ذَاهِبٍ لِدَائِمٍ، ٱمْرُؤٌ(١٢) خَافَ ٱللّهَ. وَهُوَ مُعَمَّرٌ إِلَى أَجَلِهِ، وَمَنْظُورٌ إِلَى عَمَلِهِ، ٱمْرُؤٌ أَلْجَمَ نَفْسَهُ بِلِجَامِهَا، وَزَمَّهَا بِزِمَامِهَا، فَأَمْسَكَهَا بِلِجَامِهَا، عَنْ مَعَاصِي ٱللّهِ، وَقَادَهَا بِزِمَامِهَا إِلَى طَاعَةِ ٱللّهِ.

(ط - ١/٢٣٧) العمل ونتائجه:

صدر المقطع يدعو إلى العمل في الدنيا، وذيله إلى آثار العمل في الآخرة، قال:

(فاعملوا) في الدنيا والحال انتم تتنعمون بما تهيأ لكم من الحرية في العمل، وعدد الحالات بقوله:

١ ـ(وأنتم في نفس البقاء) والنفس: الفرصة، فإنّها لاتتاح في غير الدنيا .

٢ ـ(والصحف منشورة) أي مفتوحة لتسجيل الاعمال من قبل الملائكه الموكلين بذلك .

---

(١) في ه ص: بفتح الفاء أي في سعة.
(٢) في ه. ص أي وأنتم احياء إذ لا تطوى صحيفة العمل إلّا عند حضور الموت.
(٣) في ه. ص: أي ليست مقبوضة كحالة الموت والمدبر عن فعل الخير يدعى اليه ويقال له اقبل عليه لبقاء التكليف .
(٤) في ه. ب: المدبر عن الحق يدّعي انه يطلب الحق به.
(٥) في ه. ب: أي يرجىء توبته، وفي ه. ص: دخوله في الصالحين بالاصلاح.
(٦) في ص: يجمد، وفي ه. ص: استعارة مليحة لانقطاعه وروى بالخاء، وفي ه. د: يجمد ـ ك ل.
(٧) في ه. د: أبواب ـ ش.
(٨) في ه. ص: أي حفظته الى السماء لانقطاع عملهم في الأرض بموته.
(٩) في ه. ب: أي ليأخذ.
(١٠) في ه. ص :من حيّ: أي منه في حال حياته له في حال موته .
(١١) في ه. ص: أي من الدنيا، لباق هو الآخرة وكذلك من ذاهب لدائم.
(١٢) في ه. ص بدل موصوف من امري المطلق.

٣ ـ(والتوبة مبسوطة) للقبول، قبل أن تطوى الصحف، فلا تقبل بالموت .

٤ ـ(والمدبر يدعى) من قبل الله حتّى يرجع إلى رشده .

٥ ـ(والمسئ يرجى) أن يتوب فيرجع عن اساءته .

٦ ـ(قبل أن يخمد العمل) فلا يمكن، كما تخمد النار بالاطفاء.

٧ ـ(وينقطع المهل)؛ فإنّ المهلة للعمل هي في حال الحياة في الدنيا .

٨ ـ(وينقضي الأجل) بالموت .

٩ ـ(ويسد باب التوبة) بالموت.

١٠ ـ(وتصعد الملائكة) بالروح التي تقبض بعد الموت .

فان هذه الحالات العشر هي الحالات التي يمكن فيها العمل للاخرة، وبعد ذلك لايكون مجال للعمل، بل تبتدئ فترة البرزخ حتى قيام الحشر للحساب عند رب الارباب .

وعن نتائج العمل في الآخرة وانها تختلف بالنسبة الى اصناف الناس، قال:

١ ـ (فأخذ امرؤ من نفسه لنفسه) فمن الناس من يعمل فيفيد في الآخرة نفسه بسبب اعماله الصالحة في الدنيا، فاخذ لها ما ينفعه شخصيا.

٢ ـ(وأخذ من حي لميت) بالعمل في الدنيا وهو حي بما ينفع الاموات جميعا بما فيهم هو وسائر الاقرباء والمسلمين .

٣ ـ(ومن فان لباق) بالعمل في الدنيا بالاعمال التي تنفع الناس في الدنيا الباقية بعد موته كبناء المساجد والمكتبات والمستشفيات التي تبقى بعده لانتفاع الناس .

٤ ـ(ومن ذاهب لدائم)كالشهداء في ساحة المعركة دفاعا عن الدين والوطن والحق، الذين بدفاعهم عن الشعب المسلم وبقاء المبادئ الاسلامية، فيكون فناؤه في الدنيا لبقاء المبادئ التي من اجلها استشهد في سبيل الله والوطن الذي دافع عنه، والشعب الذي ضحى من اجله، كالضوء الذي يحرق نفسه لينير الطريق لمن بعده .

فان هذه الآثار تترتب على الاعمال في الدنيا من الذين شعروا بواجباتهم فادوها فانهم كغيرهم من البشر والحيوانات يموتون جميعا، إلّا أن هؤلاء يخلدون في التاريخ لقيامهم بما رأوه من الواجبات حسب مواهبهم، ويجمعهم الصفات التالية:

اولا:(امرؤ خاف الله وهو معمر إلى أجله) لعلمهم انهم يموتون إلى اجل، فعملوا في

الدنيا خوفا من عقاب الله تعالى في الآخرة .

ثانيا:(ومنظور إلى عمله) لعلمهم بأن الله ينظر إلى عمله فيثيب عليه في الآخرة .

ثالثا:(أمرؤ ألجم نفسه بلجامها وزمها بزمامها) لعلمهم جميعا بأن النفس الانسانية امارة بالسوء، فلا بد من تقييدها باللجام خشية الافلات، والزمام: لضبط سيرها .

(فأمسكها بلجامها عن معاصي الله وقادها بزمامها إلى طاعة الله) وبذلك خلدتهم اعمالهم في التاريخ باحرف من نور .

[٢٣٨]

ومن خطبة له عليه السلام فى شأن الحكمين وذمّ أهل الشام [١]:

جُفَاةٌ طَغَامٌ[٢]، عَبِيدٌ أَقْزَامٌ[٣]، جُمِعُوا مِنْ كُلِّ أَوْبٍ[٤]، وَتُلُقِّطُوا[٥] مِنْ كُلِّ شَوْبٍ[٦]، مِمَّنْ يَنْبَغِى أَنْ يُفَقَّهَ[٧] وَيُؤَدَّب، وَيُعَلَّمُ وَيُدَرَّبَ[٨]، وَيُوَلَّى عَلَيْهِ[٩]، وَيُؤْخَذَ عَلَى يَدَيْهِ، لَيْسُوا مِنَ المُهَاجِرِينَ وَٱلْأَنْصَارِ، وَلَا مِنَ ٱلَّذِينَ تَبَوَّءُوا ٱلدَّارَ وَٱلْإِيمَانَ[١٠].

(١) في ص زيادة: وذمّ الحكمين.
(٢) في هـ. ب: في نسخة: طغاة، وفي هـ. ب: جمع جاف، وفي هـ. ص: جمع جاف أي أعراب أجلاف، والطغام يقع للواحد والجمع، وقيل هو جمع طغم، أي لا يفقه.
(٣) في ب: أقرام، وفي هـ. ب: أقزام أي حقيرة لا خير فيهم، وفي هـ. ص: جمع قزم وهم رذال الناس وسفلتهم يستوي فيه الواحد والاثنان والجمع والمذكر والمؤنث لأنه مذهب المصدر، ذكره في الشرح.
(٤) في هـ. ب و ص: أي ناحية، وفي هـ. ب: أوب أي معتمون اليه وكذا الستوب أي المختلط من كل حيث.
(٥) في هـ. ب: من اللقطة.
(٦) في هـ. ص: أي هم أخلاط جمعهم حبّ الدنيا.
(٧) في هـ. ص: أي يفهم الدين.
(٨) في هـ. ب: التدريب التخليق يخلق حسن وهو ان يتخلق بخلق حسن، وفي هـ. ص: أي يعلم فعل الخبر.
(٩) في هـ. ب: يجعل لهم ولياً يعلمهم وفي هـ. ص: أي لا يستحقون أن يلوا أمراً بل ينبغي أن يحجر عليهم كما يحجر على الصبي والسفيه لعدم رشده.
(١٠) في هـ. ب: جعلوا دار الايمان، وفي هـ. ص: الذين تبؤوا الدار من الأنصار، فذكرهم تخصيصاً بعد التعميم تنبيهاً على شرف فعلهم، ومعني قوله تعالىٰ: ﴿تبوّؤا الدار والايمان﴾ الحشر : ٩، سكنوهما، وان كان الايمان لا يسكن، ففي الكلام مجاز.

أَلَا وَإِنَّ القومَ ٱخْتَارُوا لِأَنْفُسِهِمْ أَقْرَبَ ٱلْقَوْمِ مِمَّا تُحِبُّونَ[١]، وَإِنَّكُمْ ٱخْتَرْتُمْ لِأَنْفُسِكُمْ أَقْرَبَ ٱلْقَوْمِ مِمَّا تَكْرَهُونَ[٢]. وَإِنَّمَا عَهْدُكُمْ بِعَبْدِ ٱللهِ بْنِ قَيْسٍ[٣]، بِالْأَمْسِ، يَقُولُ[٤]: إِنَّهَا فِتْنَةٌ فَقَطِّعُوا أَوْتَارَكُمْ[٥]، وَشِيمُوا[٦] سُيُوفَكُمْ، فَإِنْ كَانَ صَادِقاً فَقَدْ أَخْطَأَ بِمَسِيرِهِ[٧] غَيْرَ مُسْتَكْرَهٍ، وَإِنْ كَانَ كَاذِباً فَقَدْ لَزِمَتْهُ ٱلتُّهْمَةُ.

فَادْفَعُوا[٨] فِى صَدْرِ عَمْرِو بنِ ٱلْعَاصِ بِعَبْدِ ٱللهِ بْنِ ٱلْعَبَّاسِ، وَخُذُوا مَهلَ ٱلْأَيَّامِ[٩]، وَحُوطُوا[١٠] قَوَاصِيَ ٱلْإِسْلَامِ[١١].

أَلَا تَرَوْنَ[١٢] إِلَى بِلَادِكُمْ تُغْزَى، وَإِلَى صَفَاتِكُمْ[١٣] تُرْمَى!

(١ / ٢٣٨ - ط) العدوّ وخطط المواجهة:

تتضمن هذا المقطع في صدره وصف العدو من اهل الشام في حرب صفين، وفي ذيله خطط العدو .

وقد وصف جيش العدو باوصاف منها انهم بعيدون عن الوعي الاسلامي وفاقدون للرؤية الواضحة للمبادي والوسائل والاهداف الاسلاميّة، فهم اشبه بالجيوش المرتزقة

(١) في د: يحبون، وفي هـ ص: يعني عمراً لأنه كان مبالغاً في تمام أمر معاوية وغلبته لينال به الدنيا.
(٢) في هـ. ب: أي أنا أدعو الى الطاعة وفيها مشقة فتكرهون، ومعاوية يدعو الى الفساد والفجور وهو مما تحبون، وفي هـ ص: هو أبو موسى لأنه كان مائلا الى ابطال ولاية علي عليه السلام لبغضه له منطو لما عليه من النفاق ولأنه من صنائع عمر بن الخطاب وكانوا نواصب فكان ميله الى مصير الأمر الى عبدالله بن عمر.
(٣) في هـ. ب: يعني أبا موسى الأشعري.
(٤) في هـ. ب: أي أبا موسىٰ.
(٥) في هـ. ب: أي أوتار القوس.
(٦) في هـ. ب: أي اغمدوا.
(٧) في هـ. ص: في هذا دليل على ان أبا موسى حضر صفين قبل أن يطلب للحكومة وانما طلب وهو في الجند وهذا أحد الروايتين، انهى من الشرح.
(٨) في هـ. ب: أي اختاروا جهاد أمثليهم، وفي هـ ص يقال: كف الأمر المتطاول لأمر عنه: ادفع في صدره أي رد كيده ومكره وغدره بذكاء ابن عباس.
(٩) في هـ . ص: أي اضمنوا سعة الوقت لتأدية فرض الجهاد.
(١٠) في هـ . ب: حوطوا: أي احتاطوا.
(١١) أي أطراف الاسلام.
(١٢) في هـ . ص: أي لا تغفلوا فليس بمغفول عنكم.
(١٣) الصفاة: الحجر الصلب.

التي لا تدافع عن هدف أو وطن، بل لمن يتولى امرها ويهيىء لها ماتريد، فقال:

١ ـ (جفاة) والجفاء: الغلظة في الطبع، التي لاتجتمع مع الرحمة .

٢ ـ (طغام) وهم اوغاد الناس الذين لا خلاق لهم عن أي عمل قبيح .

٣ ـ (وعبيد) يتبعون اوامر مواليهم لرضاهم، بدل رضى الله تعالى .

٤ ـ (أقزام) والقزم: السافل الذي لايتورع من اي شئ .

٥ ـ (جمعوا من كلّ أوب) من اماكن مختلفة لاتجمعهم رابطة في الحسب أو النسب أو الوطن.

٦ ـ (وتلقطوا من كلّ شوب) وهو الخلط، فانهم خليطوا الاهداف والدوافع في المشاركة في الحرب .

٧ ـ (ممّن ينبغي أن يفقه ويؤدب) لانهم يفتقرون إلى ذلك في واجباتهم؛ حيث لا فقه لهم ولا ادب، فهم يفتقرون إلى رؤية واضحة للاهداف الاسلاميّة في الحرب، وادب للوسائل المستخدمة فيها .

٨ ـ (ويعلم ويدرب) فانهم تنقصهم الثقافة الاسلاميّة، فلابد أن يتعلموها، والادب اي التربية الاسلاميّة فلابد أن يتكسبوها .

(ويولى عليه ويؤخذ على يديه)؛ بأن يكون عليه ولاية من كبير أهله يعلمه ويؤدبه ويأخذ على يديه من التصرف في الامور، كما يؤخذ على بد الصبي والسفيه من أن يتصرف فيما لامعرفة له فيه، ومن هذا يظهر أن العدو استخدم طائفة من الشبان ممن يفتقر إلى العلم فزج بهم في اتون الحرب .

٩ ـ (ليسوا من المهاجرين) الذين لهم معرفة بالمبادئ والوسائل والاهداف الاسلاميّة في السلم والحرب وتارخ الجهتين المتصارعين.

١٠ ـ (ولا من الذين تبوأوا الدار والايمان) والدار: اشارة إلى دار السلام التي كانت عاصمتها المدينة المنورة؛ فإنّ من عاش فيها وعرف مصالحها عرف المبادئ التي من اجلها نشر الاسلام، وكذلك ليسو من الذين تبوّؤا الايمان واعتقدوا بأن الحرب هذه حرب عقائدية للدفاع عن الاسلام وجعل الخلافة الاسلاميّة بالشورى وليس بالانحراف إلى الملوكية.

وهذه النقاط العشر كلها تنبئ عن التناقض بين الجانبين، كما يظهر من اسماء

المشاركين في جيش الإمام عليّ حيث كان المشاركون فيه اكثر من الفي من الصحابة المهاجرين الذين اشتركوا فيها باعتبارها حربا عقائدية تدعوا الى الالتزام بالمبادي والوسائل الاسلاميّة التي بشر بها النبيّ ﷺ.

وعن خطط العدو في لجنة التحكيم قال:

١ ـ (وإن القوم اختاروا لأنفسهم أقرب القوم ممّا تحبون) وفي النسخة المعتمدة كما في شرح النهج بتاء الخطاب؛ فإنّ الشارح ابن أبي الحديد (ت / ٦٥٦ هـ)قال:«وكان الاصل أن يقول: ألا وان القوم اختاروا لانفسهم اقربهم ما يحبون. فاخرجه مخرج قوله الله تعالى:﴿واتقوا الله ان الله عليم بذات الصدور﴾[1] واظن أن في ذلك تصحيف باء الغيبة بتاء الخطاب».[2]

فانه لا خلاف في ان أهل الشام اختاروا عمرو في لجنة التحكيم؛ لأنّه اقرب من يحبون لانفسهم، والتقابل مع الفقرة الثانية يقضي ذلك، وعسى أن ييسر الله نسخة قديمة معتمد عليها في تحقيق الاصل ويحققها من يجد في نفسه القدرة والكفاءة.

٢ ـ(وانكم اخترکم لانفسكم اقرب القوم ممّا تكرهون) وهو عبد الله بن قيس، العروف بابي موسى الاشعري، الذى لم يكن هواه مع عليّ، واعتزل المعركة.

ثمّ اسند ما قاله بمواقف الاشعري هذا، حيث انّه اعتزل حرب الجمل عام ٣٦، والى ذلك أشار بقوله:

٣ ـ (وإنما عهدكم بعبد الله بن قيس بالأمس يقول : «إنها فتنة» مشيراً إلى مقالته في حرب الجمل، وعلى اثر هذا الموقف اعتزل الحرب في الجمل واشترك في صفين، وعليه؛ فإنّ ابا موسى الاشعري اقرب القوم ممّا تكرهون؛ لاختلاف آرائه، ولابدللمنتخب أن يكون ممثلاً لمن ينتخبه، ومن هنا يظهر أن المقترحين لانتخاب الاشعري انما كانوا مندسين في صفوف الإمام لمثل هذا اليوم وهذا الموقف.

دفع شبهة:

وحيث أن مقالة الاشعري: « انها فتنة» مقالة سلميّة توجب الشبهة ، بين الإمام وجه الخطأ فيها، فنقل نص كلام الاشعرى، وهي قوله: « انها فتنة فقطعوا اوتاركم وشيموا

---

(١) التحريم: ٤.

(٢) شرح النهج ١٣ : ٣١١، ط /١٩٦٠.

سيوفكم» والوتر: قوس الرمي للسهم، والشيم: غمد السيف والكف عن القتال.

وقد دفع الامام الشبهة بقوله:

(فإن كان صادقا فقد أخطأ بمسيره غير مستكره ، وإن كان كاذبا فقد لزمته التهمة)؛ فإنّ موقف الاشعري موقف متناقض؛ حيث اعتزل الحرب في وقعة الجمل سنة ٣٦ معلنا انها فتنة، ومن يعتقد ذلك لابدّ وان يلتزم باقواله فلا يشترك في حرب مشابه لها وهي حرب صفين بقيادة الامام ايضا؛ فانه اشترك فيها باختياره من دون اجبار أو اكراه، وهو الان في حرب يتزعم الدعاة إلى التحكيم، ويرشح نفسه لتمثيل الإمام، فالموقفان متضادان، فلابد أنيكون احدهما صادقاً والاخر كاذباً لامحالة، فيكون متهما في المشاركة في حرب صفين لهذه المهمة في هذه اللحظة الحرجة.

ومن كان هذا شأنه يجب أن يعتزل بسبب مواقفه المتضاربة، ولا يقوم بدور الممثل ابداً .

واعلن الإمام خياره للممثل بقوله: (فادفعوا في صدر عمرو بن العاص بعبد الله بن العباس) ولكن هذا الخيار لم يؤخذ به؛ لاتهام ابن عباس بالتعاطف مع الامام لقرابة النسب، والإمام بحكم كونه قائداً اسلاميا لا يمكنه استخدام الوسائل غير الاسلاميّة في القرار، بل لابدّ وأن يكون قراراته بالشورى، وعلى هذا الاستناد لم يكن له سوى قبول الرأي العام للشورى. على ما هو مشروح بالتفصيل في قصة التحكيم، فراجع موارد الاعتبار .

وفي ختام المقطع اكد الإمام على المسؤولية الكبرى الملقى على عاتق الجيش في نقاط:

أوّلاً: (وخذوا مهل الأيام) وهي المهلة التي تتخلل ايام فترة التحكيم باداء الواجب العسكري للدفاع .

ثانيا:(وحوطوا قواصي الاسلام) بالاحاطة على اقصى ما وصل اليه الاسلام بالدفاع عن الوطن .

ثالثا:(ألا ترون إلى بلادكم تغزى) حيث أن العدو يستمر في شنّ الغزوات والغارات من اقاصي البلاد .

(وإلى صفاتكم ترمى) الصفاة: الحجر، كناية عن الوطن الذي اصبح مرمى للعدو في

نفس الوقت الذي كان يجري فيه محاورات التحكيم، وفيها دلالة واضحة على عدم التزامه باي عهد، واستخدام التحكيم لتحكيم مواقعه من دون اي تغيير في مواقفه، وذلك يستلزم الاستعداد التام للجيش على كل حال.

قال الشارح ابن أبي الحديد (ت / ٦٥٦هـ)، ما نصّه:

[فصل في نسب أبي موسى والرأي فيه عند المعتزلة]

ونحن نذكر نسب أبي موسى وشيئا من سيرته وحاله نقلا من كتاب الاستيعاب؛ لابن عبد البر المحدث ، ونتبع ذلك بما نقلناه من غير الكتاب المذكور. قال ابن عبد البر : هو عبد الله بن قيس بن سليم بن حضارة بن حرب بن عامر بن عنز بن بكر بن عامر بن عذر بن وائل بن ناجية بن الجماهر بن الأشعر ، وهو نبت بن أدد بن زيد بن يشجب بن عريب بن كهلان بن سبا بن يشجب بن يعرب بن قحطان وأمه امرأة من عك ، أسلمت وماتت بالمدينة ، واختلف في أنه هل هو من مهاجرة الحبشة أم لا والصحيح انه ليس منهم ، ولكنه أسلم ثم رجع إلى بلاد قومه ، فلم يزل بها حتى قدم هو وناس من الأشعريين على رسول الله ﷺ ، فوافق قدومهم قدوم أهل السفينتين جعفر ابن أبي طالب وأصحابه من ارض الحبشة ، فوافوا رسول الله ﷺ بخيبر ، فظن قوم أن أبا موسى قدم من الحبشة مع جعفر . وقيل إنه لم يهاجر إلى الحبشة ، وإنما اقبل في سفينة مع قوم من الأشعريين ، فرمت الريح سفينتهم إلى ارض الحبشة ، وخرجوا منها مع جعفر وأصحابه ، فكان قدومهم معا ، فظن قوم انه كان من مهاجرة الحبشة . قال: وولاه رسول الله ﷺ من مخاليف اليمن زبيد ، وولاه عمر البصرة ، لما عزل المغيرة عنها ، فلم يزل عليها إلى صدر من خلافة عثمان فعزله عثمان عنها ، وولاها عبد الله بن عامر بن كريز ، فنزل أبو موسى الكوفة حينئذ ، وسكنها ، فلما كره أهل الكوفة سعيد بن العاص ودفعوه عنها ، ولوا أبا موسى ، وكتبوا إلى عثمان يسألونه أن يوليه ، فأقره على الكوفة ، فلما قتل عثمان عزله علي عليه السلام عنها ، فلم يزل واجدا لذلك على علي عليه السلام ، حتى جاء منه ما قال: حذيفة فيه ، فقد روى حذيفة فيه كلاما كرهت ذكره والله يغفر له .

قلت: الكلام الذي أشار إليه أبو عمر بن عبد البر ولم يذكره قوله فيه ، وقد ذكر عنده بالدين ، اما أنتم فتقولون ذلك ، واما انا فاشهد انه عدو لله ولرسوله ، وحرب لهما في الحياة الدنيا :﴿ويوم يقوم الاشهاد يوم لا ينفع الظالمين معذرتهم ، ولهم اللعنة ولهم سوء الدار﴾

وكان حذيفة عارفا بالمنافقين، أسر إليه رسول الله ﷺ أمرهم، وأعلمه أسماءهم. وروى أن عمارا سئل عن أبي موسى، فقال: لقد سمعت فيه من حذيفة قولا عظيما، سمعته يقول صاحب البرنس الأسود، ثم كلح كلوحا علمت منه انه كان ليلة العقبة بين ذلك الرهط. وروى عن سويد بن غفلة قال: كنت مع أبي موسى على شاطئ الفرات في خلافة عثمان، فروى لي خبرا عن رسول الله ﷺ، قال: سمعته يقول) إن بني إسرائيل اختلفوا، فلم يزل الاختلاف بينهم، حتى بعثوا حكمين ضالين ضلا وأضلا من اتبعهما، ولا ينفك أمر أمتي حتى يبعثوا حكمين يضلان ويضلان من تبعهما، فقلت له احذر يا أبا موسى أن تكون أحدهما قال: فخلع قميصه، وقال: أبرأ إلى الله من ذلك، كما أبرأ من قميصي هذا. فاما ما تعتقده المعتزلة فيه، فانا أذكر ما قاله أبو محمّد بن متويه في كتاب الكفاية، قال رحمه الله: اما أبو موسى فإنه عظم جرمه بما فعله، وأدى ذلك إلى الضرر الذي لم يخف حاله، وكان علي عليه السلام يقنت عليه وعلى غيره، فيقول: اللهم العن معاوية أولا وعمرا ثانيا، وأبا الأعور السلمي ثالثا، وأبا موسى الأشعري رابعا. روى عنه عليه السلام انه كان يقول في أبي موسى صبغ بالعلم صبغا وسلخ منه سلخا. قال: وأبو موسى هو الذي روى عن النبي ﷺ أنه قال: كان في بني إسرائيل حكمان ضالان، وسيكون في أمتي حكمان ضالان، ضال من اتبعهما. وانه قيل له: الا يجوز أن تكون أحدهما فقال: لا - أو كلاما، ما هذا معناه - فلما بلي به، قيل فيه البلاء موكل بالمنطق، ولم يثبت في توبته ما ثبت في توبة غيره، وإن كان الشيخ أبو علي، قد ذكر في آخر كتاب الحكمين انه جاء إلى أمير المؤمنين عليه السلام في مرض الحسن بن علي فقال: له أجئتنا عائدا، أم شامتا فقال: بل عائدا وحدث بحديث في فضل العيادة. قال: ابن متويه، وهذه أمارة ضعيفة في توبته. انتهى كلام ابن متويه وذكرته لك لتعلم انه عند المعتزلة من أرباب الكبائر، وحكمه حكم أمثاله ممن واقع كبيرة ومات عليها. قال أبو عمر بن عبد البر واختلف في تاريخ موته، فقيل سنة اثنتين وأربعين، وقيل سنة أربع وأربعين، وقيل سنة خمسين، وقيل سنة اثنتين وخمسين. واختلف في قبره، فقيل مات بمكة ودفن بها، وقيل مات بالكوفة ودفن بها».[1]

[٢٣٩]

(١) شرح نهج البلاغة؛ ابن أبي الحديد ١٣ : ٣١٣ ـ ٣١٧.

ومن خطبة له عليه السلام يذكر فيها آل محمّد عليهم السلام[1]:

هُمْ عَيْشُ ٱلْعِلمِ[2]، وَمَوْتُ ٱلْجَهْلِ يُخْبِرُكُمْ حِلْمُهُمْ عَنْ عِلْمِهِمْ[3] وَصَمْتُهُمْ[4] عَنْ حُكْمِ مَنْطِقِهِمْ لَا يُخَالِفُونَ ٱلْحَقَّ وَلَا يَخْتَلِفُونَ فِيهِ وَهُمْ[5] دَعَائِمُ ٱلْإِسْلَامِ وَوَلَائِجُ[6] الاِعْتِصَامِ بِهِمْ عَادَ ٱلْحَقُّ فِى نِصَابِهِ[7] وَٱنْزَاحَ[8] ٱلْبَاطِلُ عَنْ مَقَامِهِ. وَٱنْقَطَعَ لِسَانُهُ عَنْ مَنْبِتِهِ[9]. عَقَلُوا[10] الدِّينَ عَقْلَ وِعَايَةٍ[11] وَرِعَايَةٍ[12] لَا عَقْلَ سَمَاعٍ[13] وَرِوَايَةٍ. فَإِنَّ رُوَاةَ ٱلْعِلْمِ كَثِيرٌ، وَرُعَاتُهُ[14] قَلِيلٌ.

(١ / ط ـ ٢٣٩) آل محمّد عليهم السلام:

يتضمن المقطع صفات آل محمّد ﷺ وآثارهم في المجتمع الاسلامي، والسبب الموجب لتأثيرهم في المجتمع وعدد صفاتهم بقوله:

١ ـ (هم عيش العلم) فانهم باغترافهم العلم من زلال عين جدهم الرسول الاعظم وعيشهم السنة النبوية في حياتهم عملياً وليس العلم المجرد نظريا فقط، فيعيش العلم بهم.

٢ ـ (وموت الجهل) والعلم والجهل متناقضان، فاذا وجد العلم مات الجهل.

٣ ـ (يخبركم حلمهم عن علمهم) فان للعلم اعلاما تدل عليه، ومنها: العلم الذي يطبق

(١) في هـ. ب: في نسخة: صلوات الله عليه وعليهم أجمعين.
(٢) في هـ. ص: عيش العلم: أي سقى العلم سقائهم ـ كما ورد في الحديث ـ.
(٣) في ط زيادة: وظاهرهم عن باطنهم، أي ان سريرتهم وعلانيتهم سواء، وذلك لطهارة اخلاقهم من حيث المكر والخديعة الذان هما طريقة اضداده، وفي هـ. د: عبارة« وظاهرهم عن باطنهم» ساقطة من ل ش. وفي هـ. ص: وذلك لأنهم يؤثرون الحلم وكظم الغيظ، فيدل ذلك على علمهم بفضيلة الحلم والصبر ورجحان أجرهما.
(٤) في هـ. ص: لأن الصمت في غير محل النطق دليل على العلم بما يقول في كل النطق.
(٥) في ط: عليه وهم.
(٦) في هـ. ب: جمع وليجة وهي أوطانه.
(٧) في هـ. ب: أصله.
(٨) في هـ. ب: زال.
(٩) في هـ. د: من منبته ـ ل.
(١٠) في هـ. ب: علموا الدين: فهموه وتحققوه.
(١١) هـ. ب: أي حفظ.
(١٢) في هـ. ص: أي عملوا به.
(١٣) في هـ. ص: أي تسمعونه ويسمعونه لا شيء وراء ذلك.
(١٤) في هـ. ص: أي العاملون به.

للعلم.

٤ ـ (وظاهر هم عن باطنهم) لما يقومون به من دور المحافظة على تـراث جـدهم والحديث عنه بسلسلة رواة الى جدهم في مختلف المواضيع الاسلاميّة.

٥ ـ (وصمتهم عن حكم منطقهم) فانهم لاينطقون إلّا فيما فيه المصلحة الاسـلاميّة، ويلتزمون بالصمت في غير ذلك.

٦ ـ (لا يخالفون الحق) من الكتاب والسنة حيث أنها مصادر معرفتهم.

٧ ـ (ولا يختلفون فيه) للرؤية الواضحة التي يتسمون بها في الوسـائل والاهـداف الاسلاميّة.

٨ ـ (هم دعائم الاسلام) حيث يبذلون كلّ طاقاتهم في المحافظة على مفاهيمه.

٩ ـ (وولائج الاعتصام) والوليجة: ما يدخل منه؛ فإنّ ال محمّد ﷺ بحكم تفانيهم في اعلاء كلمة الاسلام هم المقاصد لمعرفه المواقف الصائبة.

وهذه الصفات تظهر من تاريخ حياتهم المليئة بالتضحية والجهاد في سبيل الله.

وعن اثارهم في المجتمع الاسلامي قال:

١ ـ (بهم عاد الحق في نصابه) اي اصله، حيث طبقوا سنة جدهم الرسول فـي كـلّ مراحل الحياة، وكانت لهم مواقف تصحيحية كلما حصل الانحراف.

٢ ـ (وانزاح الباطل عن مقامه) والنزوح: الزوال عن المقام الذي يدّعيه.

٣ ـ(وانقطع لسانه عن منبته) وهو الاصل الذي كان يعتمد عليه في الاحتجاج، وبعد بطلان الحجة لا يبقى للباطل حجة.

٤ ـ (عقلوا الدين عقل وعاية ورعاية، لا عقل سماع ورواية ؛ فإنّ رواة العلم كثير ورعاته قليل)؛ فإنّ ال محمّد ﷺ درسوا الدين من منابعه الاصيلة ووعوها وعيا كاملا نظريا، ولكن لم يكتفوا بذلك بل طبقوها في حياتهم الشخصية والاجتماعية والسياسية تطبيقا كاملاً، فكانت النظرية وعاية، والعملية رعاية، وهذا يختلف عن الدراسة بمجرد السماع والرواية من دون الوعاية والرعاية، وطبيعي أن الشيئ كلما كثر قيوده قل وجوده، فيكون رواة العلم كثيرون ورعاته قليلون.

وتاريخ ال محمّد ﷺ يكشف عن المواقف الثابتة والصامدة ضد كلّ مغريات الحياة وتمسكهم بتراث جدهم النبي الاطهر وتطبيقه في حياتهم تطبيقا كاملا حسب الظروف

والاحوال.

[٢٤٠]

ومن كلام له ﵇[1]: قالهُ لعبد الله بن عباسٍ، وقد جاءهُ بـرسالةٍ مـن عثمانَ، وهو محصورٌ يسألهُ فيها الخروجَ إلى مالِهِ بينُبع، ليقلَّ هتفُ[2] الناسِ باسمِهِ للخلافةِ[3]، بعد أن كان سأله مثل ذلك من قبل.

فقال ﵇:

يَابْنَ عَبَّاسٍ، مَا يُرِيدُ عُثْمانُ إِلَّا أَنْ يَجْعَلَنِي جَمَلًا نَاضِحاً بِـالْغَرْبِ[4]، أَقْـبِلْ وَأَدْبِـرْ! بَعَثَ[5] إِلَيَّ أَنْ أَخْرُجَ، ثُمَّ بَعَثَ إِلَيَّ أَنْ أَقْدُمَ، ثُمَّ هُوَ الْآنَ يَبْعَثُ إِلَيَّ أَنْ أَخْرُجَ! وَاللهِ لَـقَدْ دَفَعْتُ عَنْهُ حَتَّى خَشِيتُ أَنْ أَكُونَ آثِماً[6].

(١ / ط ـ ٢٤٠) حدود الوساطة:

لكل شيئ في الحياة حدود لايمكن التجاوز عنها.

(ان كلّ شيئ جاوز حده انقلب إلى ضده، والوساطة بين المتنازعين مـن ذلك، وقـد توسط الإمام في الموقف المتأزم من الخليفة الثالث عثمان، هو وابنيه الحسن والحسين وجلبوا له الماء فيما منعه منه المعارضون وعلى راسهم طلحة والزبير، كما هو مشروح في التاريخ، وفي كل مرة كان الإمام يقوم بدور الوسيط حتّى تبين له أن المواقف لاتـتغير بالوساطة، فقال مخاطباً:

١ ـ (يابن عباس، ما يريد عثمان إلّا أن يجعلني جملاً ناضحا بالغرب اقبل وادبـر) والنضح: حمل الماء، والغرب: الدلو الكبير لحمل الماء، يشير إلى أن الوساطة لابـدّ وان يكون لها اثر في تغيير المواقف، فاذا لايكون ذلك فانه لايكون وساطة بـل اسـتخداماً

(١) ورد هذا الكلام وشرحه في الخطبة رقم ٢١٦. وقد جعلناه هنا حسب مـا ورد فـي النسـخ الأولى المخطوطة لنهج البلاغة، وفي في هـ. د: هذا الكلام ساقط من ل.
(٢) في هـ. ب: من الهاتف به.
(٣) في هـ. ص: هو ذكرهم له واعلانهم باستحقاقه.
(٤) في هـ. ص: أي شبيهاً بالسائبة في الاقبال والادبار.
(٥) في ب: بعُد.
(٦) في ب هنا ما يلي: آخر الخطب ويتلوه المختار من كتبه ورسائله.

للوسيط كما يستخدم الجمل في حمل الماء بالدلو الكبير مقبلا ومدبراً. وهذا ليس من دور الوسيط، واستدل هذا الرأي بقوله:

٢ ـ (يبعث إلي أن اخرج، ثمّ يبعث إلي ان اقدم، ثمّ هو الان يبعث إلي أن اخرج) وحسب هذا النص ، فهناك ثلاث مرات قام الإمام بالوساطة منفذا ما امر به الخليفة الثالث بالخروج ثم القدوم، ثمّ الخروج، وان لم نعرف تفصيل الوساطة، ولكن يكون ذلك أن تخرج الوساطة عن مدلولها الى الاستخدام.

وعن موقف نفسه قال:

٣ ـ (والله لقد دفعت عنه حتّى خشيت أن أكون آثما) ومواقفه في اخماد ثورة المصريين للمرة الاولى حتى خرجوا من المدينة متوجهين إلى مصر ، يساند ذلك، كما هو مدون بتفصيل في التاريخ، وما ارجعهم للمرة الثانية إلى المدينة إلّا بعد أن عثروا على رسالة سرية تأمر بقتلهم عند وصولهم، حينها انقلبت الامور وافلت الامر عن الظبط. ولم يشر التاريخ قط إلى اتهام الامام شخصيا بأي موقف للخذلان، والله المستعان.

[٢٤١]

ومن كلام له عليه السلام يحث أصحابه على الجهاد [١]:

وَٱللهُ مُسْتَأْدِيكُمْ شُكْرَهُ[٢] وَمُورِثُكُمْ أَمْرَهُ[٣] وَمُمْهِلُكُمْ فِي مِضْمَارٍ مَمْدُودٍ لِتَتَنَازَعُوا سَبَقَهُ[٤] فَشُدُّوا عُقَدَ المَآزِرِ[٥] وَاطْوُوا فُضُولَ الخَوَاصِرِ[٦] لَا تَجْتَمِعُ عَزِيمَةٌ وَوَلِيمَةٌ مَا أَنْقَضَ النَّوْمَ لِعَزَائِمِ الْيَوْمِ وَأَمْحَى الظُّلَمَ لِتَذَاكِيرِ ٱلْهِمَمِ.

(١) ورد هذا الكلام في ص بين الكلامين رقم ٢١٨ و ٢١٩، ووضعناه هنا حسب ما ورد في النسخ المخطوطة. وفي هـ. د : هذا الكلام ساقط من ش .
(٢) في هـ. ص: أي طالب منكم شكره بالجهاد في سبيله ومنه دليل على ان الطاعة شكر، والله أعلم.
(٣) في هـ. ص: عدة بأن مآل الأمر الى أهل دعوتهم ومقالتهم كقوله تعالى: ﴿وعد الله الذين آمنوا منكم وعملوا الصالحات ليستخلفنهم في الأرض كما استخلف الذين من قبلهم ...﴾ الآية، وهذه العدة ستتحقق حقائقها وينكشف معناها بقيام المهدي عليه السلام وظهور دعوة بعض الأئمة جزء من ذلك، والله أعلم.
(٤) هـ. ص: وذلك بالجهاد ومباينة الظالمين، وذلك شأن الأئمة عليهم السلام .
(٥) في هـ. ص كناية عن رفض اتيان النساء مع عزم الغزو.
(٦) في هـ. ص: أي لا تعوّدوا الشبع والتنعم فتألفوه فيقعد بكم.

(ط ـ ٢٤١/١) في حثّ أصحابه على الجهاد:

يتضمن المقطع نقاطا يشجع مواقف الصمود في ساحة المعركة ، هي:

١ ـ (والله مستأديكم شكره)؛ فإنّ القدرة على الدفاع عن الدين والوطن يستوجب الشكر، ولا يكون الشكر إلّا بالعمل بما يتطلبه، وقوله:(والله مستاديكم) اي يطلب اداء الشكر بالجهاد في سبيل الله .

٢ ـ (وممهلكم في مضمار محدود، لتتنازعوا سبقه) المضمار: اضمار الخيل استعداداً للسباق؛ فإنّ ساحة الحرب هي المهلة المحدودة للسباق في سبيل الله؛ فإنّ الجنة تحت ظلال السيوف، وساحة الحرب ساحة العمل، لا الكسل.

ثم أشار إلى الاسباب المؤدية إلى النصر بقوله:

أوّلاً: (فشدوا عقد المآزر) والمئزر: مايشد الخاصرة؛ فإنّ عقدها يدل على الجد في العمل، فلا يشتغل البال بذلك .

ثانياً: (واطوا فضول الخواصر) الخاصرة فوق رأس الورك؛ فإنّ الازار اذا لم يستحكم قد يقع فيشغل البال، وطي الازار من الاعلى لفاً يوجب استحكامه بحيث لا يمكن أن ينتزع، وكنت في عام ١٣٨٣ في الحج قد استخدمت ذلك للإتزار فلم يقع قط على الارض، وذلك بطيّ ما يفضل من الازار من الأعلى لفّاً، وقد ذهب الشارح ابن أبي الحديد (ت / ٦٥٦ هـ) الى انّه يعني النهي عن كثرة الاكل، وقال:«لان الكثير للاكل لايطوي فضول خواصره لامتلائها، والقليل الاكل يأكل في بعضها ويطوى بعضها».[١] وهذا بعيد جدا في ساحة الحرب .

ثالثاً: (ولا تجتمع عزيمة ووليمة) وهي ما يصنع من الطعام عند الافراح ، كناية عن أن ساحة الحرب ساحة العزم وليس الراحة .

رابعاً: (ما أنقض النوم لعزائم اليوم)؛ فإنّ النوم للراحة، والعزم للساحة، فيجب اليقظة لخطط العدو ومهاجمته من دون توقف للنوم الذي ينقض العزيمة .

خامسا:(وأمحى الظلم لتذاكير الهمم)؛ فإنّ الإنسان يهتم بامور في النهار، ويخطط لها عن مواقع ثابتة ؛ لأنّه في مقام الجد والعمل، وحينما يذهب إلى النوم ويخلد الى الراحة

(١) شرح النهج ١٢ : ١٤٣، ط /١٩٦١.

الجسدية والفكرية ينسى ما ذكره في النهار، فيكون ظلمة الليل ماحية لما تذكره من المهمات والمسؤوليات التي يجب أن يقوم بها في النهار.

فإنّ هذه النقاط الخمس اصول ثابتة في العمل ضد العدو في ساحة المعركة، بل لا يتحقق النجاح لأي مشروع في الحياة إلّا بأخذ هذه النقاط بعين الاعتبار، والله الموفق.

(وما توفيقى إلّا بالله عليه توكلت واليه انيب).

باب الكتب والرسائل

فهرس المحتوى

(١ / ط-١٨٢) الحمد والاستعانة بالله والايمان: ٦
(٢ / ط-١٨٢) من صفات الله: ٩
(٣ / ط-١٨٢) السماوات: ١٠
(٤ / ط-١٨٢) النجوم: ١٢
(٥ / ط-١٨٢) علم الله تعالى: ١٣
(٦ / ط-١٨٢) وصف الرّب: ١٥
تكليم موسى: ١٧
عجز الوصف: ١٨
(٧ / ط-١٨٢) الوصيّة بالتقوى: ١٩
(٨ / ط-١٨٢) العمالقة: ٢١
(٩ / ط-١٨٢) مسؤوليّة المسلم: ٢٤
(١٠ / ط-١٨٢) مسؤوليّة الإمام: ٢٧
(١١ / ط-١٨٢) أهداف الحرب: ٢٨
(١٢ / ط-١٨٢) ذكرى الشهداء: ٢٩
(١٣ / ط-١٨٢) اعلان الحرب: ٣٢
(١ / ط-١٨٣) في قدرة الله وبعثة الرسل: ٣٩
(٢ / ط-١٨٣) خصائص القران: ٤٢
(٣ / ط-١٨٣) السنّة النبويّة: ٤٣
(٤ / ط-١٨٣) التقوى وآثارها: ٤٥
(٥ / ط-١٨٣) اثار التقوى: ٤٧
(٦ / ط-١٨٣) المبادرة إلى العمل: ٤٨
(٧ / ط-١٨٣) العبرة بالآثار: ٤٩

(٨/ط ـ ١٨٣) الاستعداد: ٥٢
(٩/ط ـ ١٨٣) نتيجة المبادرة: ٥٤
(١/ط ـ ١٨٤) مواجهة المهرّجين: ٥٦
(١/ط ـ ١٨٥) حمد الله تعالى: ٥٨
(٢/ط ـ ١٨٥) وصف الرسول الاعظم: ٦١
(٣/ط ـ ١٨٥) الدلالة على الخالق: ٦٣
(٤/ط ـ ١٨٥) النملة: ٦٥
(٥/ط ـ ١٨٥) بين النملة والنخلة: ٦٨
(٦/ط ـ ١٨٥) آيات الله في الكون: ٦٩
(٧/ط ـ ١٨٥) خلق الجرادة: ٧١
(٨/ط ـ ١٨٥) القدرة العليا: ٧٢
(١/ط ـ ١٨٦) في التوحيد: ٧٥
(٢/ط ـ ١٨٦) المقطع الثاني ـ في وصف مخلوقاته: ٧٦
(٣/ط ـ ١٨٦) المقطع الثالث ـ في المعرفة بالأضداد: ٧٧
(٤/ط ـ ١٨٦) المقطع الرابع ـ في دلالة الأدوات: ٧٩
(٥/ط ـ ١٨٦) المقطع الخامس ـ في سائر صفات الذات والآلات: ٨٠
(٦/ط ـ ١٨٦) المقطع السادس ـ في صفات الذات المقدسة: ٨٣
(٧/ط ـ ١٨٦) المقطع السابع ـ في نفي الجسم: ٨٤
(٨/ط ـ ١٨٦) المقطع الثامن ـ في صفات الذات المقدسة: ٨٦
(٩/ط ـ ١٨٦) المقطع التاسع ـ خلق الخلائق: ٨٨
(١٠/ط ـ ١٨٦) المقطع العاشر ـ في قدرة الله تعالى: ٩٠
(١١/ط ـ ١٨٦) المقطع الحادي عشر ـ في فناء الارض والدنيا: ٩١
(١٢/ط ـ ١٨٦) المقطع الثاني عشر ـ بعد فناء الدنيا: ٩٣
(١٣/ط ـ ١٨٦) المقطع الثالث عشر ـ في خلق الدنيا وفنائها: ٩٤
(١٤/ط ـ ١٨٦) المقطع الرابع عشر ـ في تدبير الخلق: ٩٦
(١/ط ـ ١٨٧) في ذكر الملاحم: ٩٨

(١/ط ـ ١٨٨) في الوصية بأمور: ١٠٥
(٢/ط ـ ١٨٨) الموت: ١٠٥
(٣/ط ـ ١٨٨) الاستعداد للاخرة: ١٠٧
(١/ط ـ ١٨٩) الايمان ولوازمه: ١٠٩
(١/ط ـ ١٩٠) حمد الله: ١١٨
(٢/ط ـ ١٩٠) الشهادة بالرسالة: ١١٨
(٣/ط ـ ١٩٠) تقوى الله: ١١٩
(٤/ط ـ ١٩٠) التحذير من الدنيا: ١٢١
(٥/ط ـ ١٩٠) ما بعد الدنيا: ١٢٣
(٦/ط ـ ١٩٠) العمل المطلوب: ١٢٦
(٧/ط ـ ١٩٠) السلم والحرب: ١٢٧
(١/ط ـ ١٩١) حمد الله: ١٣٠
(٢/ط ـ ١٩١) الشهادة بالرسالة: ١٣٢
(٣/ط ـ ١٩١) التقوى اهلها وآثارها: ١٣٣
(٤/ط ـ ١٩١) الدنيا: ١٣٨
(٥/ط ـ ١٩١) من خصائص الدنيا: ١٤٠
(٦/ط ـ ١٩١) اهل الدنيا: ١٤٢
(١/ط ـ ١٩٢) الخطبة القاصعة: ١٤٦
(٢/ط ـ ١٩٢) حمد الله: ١٤٦
(٣/ط ـ ١٩٢) القسم الأوّل ـ امتحان الله سبحانه: ١٤٧
(٤/ط ـ ١٩٢) برهان الامتحان: ١٤٩
(٥/ط ـ ١٩٢) العبرة بالامتحان: ١٥١
(٦/ط ـ ١٩٢) القسم الثاني ـ الحذر من العدوى: ١٥٣
(٧/ط ـ ١٩٢) اعلان الحرب: ١٥٤
(٨/ط ـ ١٩٢) جنود ابليس: ١٥٥
(٩/ط ـ ١٩٢) المقاومة الاسلاميّة: ١٥٨

(١٠/ط ـ ١٩٢) خطط المقاومة: ١٥٩
(١١/ط ـ ١٩٢) القسم الثالث ـ في مسؤوليات المسلمين: ١٦٢
(١٢/ط ـ ١٩٢) المسؤولية الثانية ـ رفض العنصرية: ١٦٣
(١٣/ط ـ ١٩٢) المسؤولية الثالثة ـ مقاومة الكبر: ١٦٤
(١٤/ط ـ ١٩٢) المسؤولية الرابعة ـ التقوى: ١٦٦
(١٥/ط ـ ١٩٢) المسؤولية الخامسة ـ الاستعاذة: ١٦٩
(١٦/ط ـ ١٩٢) القسم الرابع ـ دور الأنبياء: ١٧٠
(١٧/ط ـ ١٩٢) العبرة: ١٧١
(١٨/ط ـ ١٩٢) موسى وفرعون: ١٧٣
(١٩/ط ـ ١٩٢) حكمة الله: ١٧٤
(٢٠/ط ـ ١٩٢) الامتحان هو المقياس: ١٧٨
(٢١/ط ـ ١٩٢) القسم الخامس ـ الكعبة المقدسة: ١٧٩
(٢٢/ط ـ ١٩٢) حج البيت: ١٨١
(٢٣/ط ـ ١٩٢) البديل للبيت: ١٨٣
وعن صفات البيت البديل الذاتيّة قال: ١٨٥
(٢٤/ط ـ ١٩٢) وامّا السلبيّات: ١٨٦
(٢٥/ط ـ ١٩٢) الفرائض الاسلامية: الصلاة الزكاة الصوم: ١٨٧
دور الفرائض: ١٩٠
حكمة الفرائض: ١٩١
(٢٦/ط ـ ١٩٢) القسم السادس ـ في العصبيّة، أسبابها وأقسامها: ١٩٢
(٢٧/ط ـ ١٩٢) اسباب العصبيّة: ١٩٢
القسم الثالث: ١٩٣
امثال العصبية: ١٩٤
(٢٨/ط ـ ١٩٢) عصبيّة المال: ١٩٤
(٢٩/ط ـ ١٩٢) العصبيّة المحمودة: ١٩٥
(٣٠/ط ـ ١٩٢) القسم السابع ـ في الاعتبار في التاريخ للامم والمؤمنين: ١٩٧

تاريخ الامم: ١٩٨
(٣١/ط ـ ١٩٢) من تاريخ المؤمنين: ١٩٩
(٣٢/ط ـ ١٩٢) اسباب النصر: ٢٠١
(٣٣/ط ـ ١٩٢) القسم الثامن ـ في بيت النبوة من ولد اسماعيل واسحاق: ٢٠٣
(٣٤/ط ـ ١٩٢) المرحلة الاولى ـ بيت النبوة قبل البعثة: ٢٠٤
(٣٥/ط ـ ١٩٢) السلطة الحاكمة: ٢٠٥
آثار السلطة: ٢٠٦
(٣٦/ط ـ ١٩٢) المرحلة الثانية ـ بعد البعثة: ٢٠٨
آثار البعثة: ٢٠٩
(٣٧/ط ـ ١٩٢) القسم التاسع ـ المجتمع في عصر الإمام: ٢١١
حالة المجتمع: ٢١٢
(٣٨/ط ـ ١٩٢) موارد النقض: ٢١٣
(٣٩/ط ـ ١٩٢) موارد الاعتبار: ٢١٦
(٤٠/ط ـ ١٩٢) اداء المسؤولية: ٢١٨
(٤١/ط ـ ١٩٢) القسم العاشر ـ خصائص الإمام عليه السلام: ٢٢١
(٤٢/ط ـ ١٩٢) حدثان بارزان: ٢٢٤
اولاً: رنة الشيطان: ٢٢٥
ثانياً: معجزة الشجرة: ٢٢٦
(٤٣/ط ـ ١٩٢) ختام الخطبة: ٢٢٩
(١/ط ـ ١٩٣) وصف المتقين: ٢٣٢
(٢/ط ـ ١٩٣) الرؤية الواضحة: ٢٣٤
(٣/ط ـ ١٩٣) الوصف التفصيلي: ٢٣٥
(٤/ط ـ ١٩٣) المنهاج اليومي: ٢٣٨
(٥/ط ـ ١٩٣) منهاج النهار: ٢٤٠
(٦/ط ـ ١٩٣) دعاء المتقين: ٢٤٢
(٧/ط ـ ١٩٣) علامات المتقين: ٢٤٣

(٨ / ط-١٩٣) الموعظة البالغة: ٢٥٠
(٩ / ط-١٩٣) مثال المتقين: ٢٥١
(١ / ط-١٩٤) الشهادة بالرسالة: ٢٥٥
(٢ / ط-١٩٤) صفات المنافقين: ٢٥٦
(١ / ط-١٩٥) حمد الله: ٢٦٢
(٢ / ط-١٩٥) الشهادتان: ٢٦٣
(٣ / ط-١٩٥) من صفات الله: ٢٦٤
(٤ / ط-١٩٥) التقوى وآثارها: ٢٦٧
(١ / ط-١٩٦) التحذير من الدنيا: ٢٧٠
(١ / ط-١٩٧) من خصائص الإمام: ٢٧٤
(١ / ط-١٩٨) احاطة علم الله بالجزئيات: ٢٧٩
(٢ / ط-١٩٨) التقوى وخصائصها: ٢٨١
(٣ / ط-١٩٨) الطاعة وآثارها: ٢٨٢
(٤ / ط-١٩٨) آثار التقوى: ٢٨٤
(٥ / ط-١٩٨) والعبرة بالتقوى: ٢٨٥
(٦ / ط-١٩٨) الاسلام، فضله خصائصه وآثاره: ٢٨٦
(٧ / ط-١٩٨) خصائص الاسلام: ٢٨٨
(٨ / ط-١٩٨) آثار الاسلام في المجتمع: ٢٩٠
(٩ / ط-١٩٨) الرسول الاعظم: ٢٩٣
(١٠ / ط-١٩٨) القرآن الكريم ـ فضله وخصائصة وآثاره: ٢٩٦
(١١ / ط-١٩٨) خصائص القرآن: ٢٩٧
(١٢ / ط-١٩٨) آثار القرآن في المجتمع: ٢٩٩
(١ / ط-١٩٩) من وصاياه لاصحابه: ٣٠٢
(٢ / ط-١٩٩) الزكاة وآثارها: ٣٠٤
(٣ / ط-١٩٩) اداء الامانة: ٣٠٦
(٤ / ط-١٩٩) علم الله تعالى: ٣٠٧

(١ / ط-٢٠٠) فى معاوية: ٣٠٩
(١ / ط-٢٠١) اهمال المسؤولية: ٣١٢
(١ / ط-٢٠٢) المرأة المسلمة المثالية: ٣١٨
(١ / ط-٢٠٣) في التزهيد من الدنيا والترغيب في الاخرة: ٣٢١
(١ / ط-٢٠٤) في الاستعداد للمستقبل: ٣٢٣
(١ / ط-٢٠٥) مواقف النقد ومسؤولية الخلافة: ٣٢٥
(٢ / ط-٢٠٥) مسؤولية الخلافة: ٣٢٧
(٣ / ط-٢٠٥) مسؤولية الامة: ٣٢٩
(١ / ط-٢٠٦) سب أهل الشام: ٣٣١
(١ / ط-٢٠٧) اوامر قيادية: ٣٣٣
(١ / ط-٢٠٨) امر الحكومة: ٣٣٤
(١ / ط-٢٠٩) مما قاله في البصرة: ٣٣٧
(٢ / ط-٢٠٩) نعيم الدنيا: ٣٣٨
(٣ / ط-٢٠٩) من مسؤوليات الإمام: ٣٤٠
(١ / ط-٢١٠) أصناف الحديث: ٣٤٣
(٢ / ط-٢١٠) أصناف الحديث: ٣٤٤
(٣ / ط-٢١٠) أصناف الرواة ـ المنافقون: ٣٤٥
(٤ / ط-٢١٠) المتوهمون: ٣٤٨
(٥ / ط-٢١٠) المشتبهون: ٣٤٨
(٦ / ط-٢١٠) الصادقون الموجهون: ٣٤٩
(٧ / ط-٢١٠) الخطأ في التطبيق: ٣٥١
(٧ / ط-٢١٠): الحافظون: ٣٥٣
(١ / ط-٢١١) في عجيب صنعة الخلق: ٣٥٥
(٢ / ط-٢١١) خلق الارض: ٣٥٦
(٣ / ط-٢١١) سبحان الله: ٣٥٨
(١ / ط-٢١٢) كان يستنهض بها أصحابه إلى جهاد أهل الشام في زمانه: ٣٦٠

(١ / ط ـ ٢١٣) في تمجيد الله وتعظيمه: ٣٦٢
(٢ / ط ـ ٢١٣) آثار البعثة النبوية: ٣٦٤
(٣ / ط ـ ٢١٣) يصف جوهر الرسول، ويصف العلماء، ويعظ بالتقوى: ٣٦٥
(ط ـ ٢١٤) وعن الشهادة الثانية قال: ٣٦٥
(٢ / ط ـ ٢١٤) طاعة الله وآثارها: ٣٦٦
(٣ / ط ـ ٢١٤) صفة العلماء: ٣٦٧
(٤ / ط ـ ٢١٤) موارد الاتعاظ: ٣٦٩
(ط ـ ٢١٥) كان يدعو به كثيراً: ٣٧١
(١ / ط ـ ٢١٦) دعاء الاستعاذة: ٣٧٢
(٢ / ط ـ ٢١٦) حقوق الدوله اسلامية: ٣٧٥
(٣ / ط ـ ٢١٦) حقوق القائد والشعب: ٣٧٧
(٤ / ط ـ ٢١٦) الفريضة الاسلامية: ٣٧٧
(٥ / ط ـ ٢١٦) الدولة الرشيدة: ٣٧٨
(٦ / ط ـ ٢١٦) الآثار العكسية: ٣٧٩
(٧ / ط ـ ٢١٦) النصيحة والتعاون: ٣٨١
(٨ / ط ـ ٢١٦) عظمة حق الله: ٣٨٢
(٩ / ط ـ ٢١٦) ثناء الناس: ٣٨٣
(١٠ / ط ـ ٢١٦) موقف الإمام: ٣٨٥
(١١ / ط ـ ٢١٦) رفض الثناء: ٣٨٥
(١٢ / ط ـ ٢١٦) سبب الرفض: ٣٨٧
(ط ـ ٢١٧) الدعاء على قريش: ٣٨٩
(ط ـ ٢١٨) في ذكر السائرين إلى البصرة لحربه ﷺ: ٣٩٤
(ط ـ ٢١٩) لما مر بطلحة بن عبدالله وعبدالرحمن بن عتاب: ٣٩٥
(ط ـ ٢٢٠) التكامل في الاسلام: ٣٩٨
(١ / ط ـ ٢٢١) التكاثر حتّى القبر: ٣٩٩
(٢ / ط ـ ٢٢١) من خصائص القبور: ٣٩٩

(٣ / ط ـ ٢٢١) حالات الزوار: ٤٠٠
(٤ / ط ـ ٢٢١) واجب الزيارة: ٤٠١
(٥ / ط ـ ٢٢١) لسان الحال: ٤٠١
(٦ / ط ـ ٢٢١) صفات الاموات: ٤٠٣
(٧ / ط ـ ٢٢١) وفي القبر: ٤٠٣
(٨ / ط ـ ٢٢١) مقابلة حالات الدنيا: ٤٠٤
(٩ / ط ـ ٢٢١) حالتا الموت والحياة: ٤٠٦
(١٠ / ط ـ ٢٢١) موعظة الاموات: ٤٠٦
(١١ / ط ـ ٢٢١) تصوّر الاموات: ٤٠٨
(١٢ / ط ـ ٢٢١) حالة الصحة: ٤١٠
(١٣ / ط ـ ٢٢١) حالة المرض: ٤١١
(١٤ / ط ـ ٢٢١) حالة الاحتضار: ٤١٣
(١ / ط ـ ٢٢٢) خصائص ذكر الله: ٤١٥
(٢ / ط ـ ٢٢٢) حقيقة الذكر: ٤١٥
(٣ / ط ـ ٢٢٢) اهل الذكر: ٤١٧
(٤ / ط ـ ٢٢٢) تصوّر الذاكرين: ٤١٩
(٥ / ط ـ ٢٢٢) حالة الذاكرين: ٤٢٠
(١ / ط ـ ٢٢٣) الغرور بالله: ٤٢٣
(٢ / ط ـ ٢٢٣) موجبات الغرور: ٤٢٥
(٣ / ط ـ ٢٢٣) معالجة الغرور: ٤٢٦
(٤ / ط ـ ٢٢٣) آثار ترفع الجهل: ٤٢٧
(٥ / ط ـ ٢٢٣) مغريات الدنيا: ٤٢٨
(٦ / ط ـ ٢٢٣) السعداء بالدنيا: ٤٣٠
(٧ / ط ـ ٢٢٣) التبرؤ من الظلم: ٤٣٢
(ط ـ ٢٢٤) نظرة إلى الظلم: ٤٣٢
(٢ / ط ـ ٢٢٤) تجربة عقيل: ٤٣٤

(ــ٣ــ) تجربة الهدية: ٤٣٥

ط - ٢٢٤٣
(ــــ) تجربة الهدية: ٤٣٧

ط - ٢٢٤٥
(ــــ) الموقف الثابت: ٤٣٧

ط - ٢٢٤٦
(ــــ) دعاء الصيانة: ٤٤٢

ط - ٢٢٥
(ــــ) في خصائص الدنيا والتنفير من الدنيا: ٤٤٣

ط - ٢٢٦٢
(ــــ) العبرة بالتاريخ: ٤٤٤

ط - ٢٢٦٧
(ــــ) وحدة المصير: ٤٤٧

ط - ٢٢٦١
(ــــ) حالة اللجوء: ٤٤٨

ط - ٢٢٧٤
(ــــ) طلب الدلالة والهداية من الله: ٤٤٩

ط - ٢٢٧١
(ــــ) يريد به بعض اصحابه: ٤٥٠

ط - ٢٢٨
(ــــ) الموقف من البيعة ووصف بيعته بالخلافة: ٤٥٥

ط - ٢٢٩
(ــــ) في حقيقته التقوى: ٤٥٧

ط - ٢٣٢
(ــــ) فضل العمل: ٤٥٨

ط - ٢٣٣
(ــــ) من خصائص الموت: ٤٥٩

ط - ٢٣٤
(ــــ) الاستعداد للاخرة: ٤٦٢

ط - ٢٣٥
(ــــ) صفة الزهاد: ٤٦٤

ط - ٢٣٦
(ــــ) من خصائص الرسول ﷺ: ٤٦٦

ط - ٢٣١
(ــــ) فيء المسلمين: ٤٦٧

ط - ٢٣٢
(ــــ) خصائص اللسان: ٤٦٩

ط - ٢٣٣
(ــــ) زمن المعاصرة وفساد الزمان: ٤٧١

ط - ٢٣٣
(ــــ) اصناف الناس: ٤٧٣

ط - ٢٣٤
(ــــ) في رثاء الرسول ﷺ: ٤٧٧

ط - ٢٣٥
(ــــ) اتباع الرسول ﷺ: ٤٧٩

ط - ٢٣٦
(ــــ) العمل ونتائجه: ٤٨٠

ط - ٢٣٧
(ــــ) العدوّ وخطط المواجهة: ٤٨٣

ط - ٢٣٨
(ــــ) آل محمّد عليهم السلام: ٤٨٩

ط - ٢٣٩

(ــ١ــ) حدود الوساطة: ٤٩١

ط - ٢٤٠
(ــــ) في حثّ أصحابه على الجهاد: ٤٩٢

ط - ٢٤١

فـــــهرس المـــــــحتوى



The Open School
P.O. BOX 53573
CHICAGO, IL 60653-0398

Sharna 3